امال ورجـــــــاء



ليلة من الليالي السود وقد تعالت فيها لعلعة المدافع وازيز الرصاص وتساقط الصواريخ فتقتل الابرياء وتهدم الابنية ، والخوف الشديد يتمشى بالعظام فترتعد الفرائص وترتجف الركب فما تقوى على حمل الارجل ، وقد غص الملجأ بالخائفين فتعالت الاصوات تجأر بالدعاء الى الله سبحانه ليرفع هذا الغضب الذي اصاب لبنان .

وفي لحظة هدات الحال نوعا فمشى الفكر يستعرض الحياة كما عرفها على هذا الكوكب وما استقاه من بطون الكتب وما ترامى اليه من الاخبار وتناقلته الالسن فما تبين غـــير ظلمات وظلمات مـــن فجر الانسانية حتى يومنا هذا .

دماء تسفك وسيوف تلمع وحراب تشرع ومدافع تطلق وقنابل تلقى وانانية جشعة تفتح فاها لتبتلع ما حولها فما تشبع ولا تأخذها تخمة بل انها تسير وتسير فاغرة شدقيها تلتهم الاخضر واليابس وقد غرها الطمع والتكالب وحب الرفعة فراحت تقتل وتستصفي وتأخذ ولا تعطي ، انهـــا الانانية ومحبة البسؤدد والمجد تدعوها الى الفتك والسبي والهدم ، فتقمصت الانسان القوي فجمع الجموع وحشد الجند وقادهم الـــى الهلاك فكانت الخرافة الاولى التي سيطرت على العقول فآمنت بالزعامة وبدات تقدم لها الخضوع وزعمت انه ابن الشمس ارسل ليسوس العالم بما يملي عليه طمعه وجشعه ، واقام من حوله زمرة يطبلون لـــه ويزمرون فخضعت البشرية للفراعنة والقياصرة والكهان ، تقدم لهـــم فلذات اكبادها محرقة مضحية بسبيلهم كل ما يرضيهم ويؤيد سلطتهم ويحفظ كيانهم ويوهمون الناس انهم سيصلون بهم الى الطمأنينة والسعادة .

قادوا الجند الى ساحات القتال ودارت رحى الحرب بـــين اقوام واقوام ، وقامت ممالك وانهزمت ممالك بين سفك الدماء وخفق البنود فهل سعدت البشرية واطمأنت ؟ او مـــا زالت الحروب تشن والادمغة المولدة تخترع آلات الدمار والفتك والاجسام تتجندل ؟ فهل نالت البشرية راحة او توصلت الى السعادة المنشودة ؟

قامت الزعامات وتألفت الاحزاب وتجمعت الجموع وارتفعت الرايات وانتشرت الشعارات واذيعت الخطب وكثرت الاقوال وعقدت المؤتمرات في سبيل السلام ، فهل حققت أملا ؟

ولما يزل الانسان يسعى وراء الطمأنينة ويسأل عن مكان السعادة فما ظفر بشيء وكأن ذلك كله قبض الريح ، ومـــا زال الفلاسفة يحلمون بالسعادة والمفكرون يبدون آراء ، فـــلا احلام الفلاسفة فسرت ولا آراء المفكرين اثمرت ، والسعادة بعيدة وبعيدة نطلبها ولا نجدها ، نسعى اليها ولا نتبين تباشيرها ، وكأنها كلمة جوفاء لا حقيقة لها ، ولما تزل البشرية جادة وراءها ولا بد لها من ان تظفر بها يوما :

اعلل النفس بالآمال ارقبها ما اضيق العيش لولا فسحة الامل

ولا بد من يوم تلغى بـــه الحروب وتحجب الدماء وتضمحل الانانية وتسود المحبة وبها تحل المشاكل . والنية الصالحة تثمر وتعطي وليس عند الله امر عسير . فمتى يكون ذلك اليوم وانه لقريب يرتع فيه الابناء والاحفاد والحب رائدهم والحق هدفهم ونور القلوب يبدد الظلمات .

عيسى ميخائيل سابا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



خليل مطران

خليـــل مطران

داعية الوحدة ـ عاشق الضاد

يوليو ١٨٧٣ ــ يوليو ١٩٤٩

بقلم محمد الخضري عبد الحميد

* * *

اشتهر خليل مطران بلقب (شاعر القطرين) . اذ كان شعره معبرا روحيا بين القطرين العربيين الشقيقين : مصر، ولبنان .. الا انه لم يلبث ان استحق عن جدارة لقب : شاعر (الاقطار) العربية .. بعد ان ملأت ترانيمه كل آفاق الوطن العربي الكبير .

ولد في « بعلبك » اقدم مدينة في العالم (؟!) في يوليو ١٨٧٣ من دوحة تتفرع عن ارومة (الأزد) الذين كانوا يسكنون قديما ارض اليمن .. فلما كانت كارثة (سد مأرب) نزحوا الى الحجاز حيث نزلوا في تهامة ، عند نبع ماء سمي بـ (غسان) .. ومنه اشتقت كلمة « الغساسنة » .

عاش حياته عربيا قحا ، لم تنل من فطرته العربية الاصيلة مستحدثات الحضارات الخارجية .. وكان يؤمن بأن : (العربية ــ لغتنا الشريفة) هــي لسان العروبة وعنوانها .. فنذر عمره لاعلاء شأنها ، والتغني بجلالها وسموها ، واجتهد ــ مخلصا ــ طول حياته في الحفاظ على قدسيتها ، ولم يأل جهدا في اثرائها بما ابتدعه من شعره من وصف قصص ، وصور عصرية جديدة زاهية ، جددت بحق من شباب الشعر العربي وحيويته ، ولكن بغير خروج ، ولا رعونة ، ولا مروق !

مطران .. داعية الوحدة

كان خليل مطران داعية متحمسا الى الوحدة ، وحدة العرب ، والتئام شملهم في وطن واحد كبير حول لغتهم (العربية الشريفة) ــ هكذا دائما كان يدعوها ــ والتوكيد المستمر بأن وطن كل عربي يمتد من المحيط الى الخليج .

ولكن كيف كان حال وطنه العربي آنذاك . حتى ندرك اي (شجاعة) كانت تتسم بها مجاهرة (شعرية) كهذه النغمات الوحدوية التي لا تكاد تخلو منها قصيدة مــن قصائده ؟ .. كان مسقط راسه لبنان ولاية عثمانية .. وكان الحكم العثماني استبداديا طاغيا ، وكان الناس ساخطين على ذلك الحكم متبرمين به .. ولم يرق الوضع للشاعر الفتى (وعمره وقتذاك لا يتجاوز الثامنة عشرة) فنظم قصيدة حماسية يستنهض بها الهمم ان تهب للقضاء على نير الاستبداد العثماني .. فكانت هي التي اثارت الحاكمين عليه ، وكانت هي السبب في اخراجه من لبنان .. وهكذا كان سبب خروجه من لبنان : (قصيدة وطنية) ! :

بني العرب فيم الصبر والحال ما نرى ... وبابى علينا الخسف تاريخنا قدما
وحتام نطوي العمر والليل دامس ... ونحتمل الاجحاف والضيم والظلما

كان هذا هو « اللون المختار ! » الذي آثر الطائر الصغير ان يبدأ تغريده به ، ذلك على الرغم من نصيحة مبكرة اسداها اليه ابوه قال له فيها : « يا ولدي . برضانا عليكم ، لا تتعاطوا هذه الصناعة ، لاننا ما وجدنا شاعرا على جسمه قميص » ! .

ومــن شعره في تمجيد وطنه العربي . وعربيته الشريفة :

مواطن الضاد شتى في مظاهرها ... وفي حقيقتها ليست سوى وطــن

فهو يعادي التجزئة ، ولا يعترف بالحدود الوهمية ، ولا يرى الا الوحدة والاتحاد مسلكا منطقيا ، ومنهجا للعزة الحتمية كريما :

بلادكــم فاجعلوها نصب اعينكــم ... وأيدوهــا علــى الاحداث تأييــدا
ولا تضنــوا عليهــا باتحادكــم ... فان خير الهوى مــا كان توحيدا

.. ومن الباحثين من ذهب الى ان مطران كان اسبق من شوقي الى البيت الذي قال (شوقي) فيه :

وطني لــو شغلت بالخلد عنــه ... نازعتني اليــه في الخلــد نفسي

فان مطران ــ فيما يقال ــ هو الذي كان سباقا الى هذا المعنى في بيته القائل :

وطني لــو بيعدنا عنــك يومــا ... بيع خلد النعيم ، لــم نشر خلدا

وفي اعتزازه بقومه يقول :

انــا لا شيء غــير اني بقومي ... اسعــد الطالبــين للعلــم جــدا

عاش مطران في مصر بين اخوة له .. سبعا وخمسين سنة .. محبوبا منهــم محبا لهــم ، يستجيب لدواعي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاحداث ، ويشارك في مقتضيات المناسبات .. وفي هذا المقام ما اكثر ما قال عن مصر وفيها ، مما لا يكاد يدركه حصر .. وبحسبنا في هذه العجالة المقتضبة ايراد اماثيل سريعة يستدل منها على وفائه العميق الكبير ، لهذا الوطن الكريم الطيب المضياف :

مصر العزيزة ان جارت وان عدلت ... مصر الحبيبة ان نرحل وان نقم
نحن الضيوف على رحب ومكرمة ... منهـا وانـا لحافظون للذمـم
جئنا حماها وعشنا آمنـين بـه ... منعمـين كـان العيش في حلـم

ويقول ايضا :

جنـة الامصـار مصـر ... حبهـا ديـن وأصـر

ويقول كذلك :

الجود في اهل مصر طبع انفسهم ... كالعرف في الورد، او كالنور في الشهب

وما اكثر ما يقول ! .. وحتى عندما ثقل كابوس الاحتلال البغيض على صدر (مصره الحبيبة) لم يك يفقد الامل لحظة في انها لا بد ناهضة تنفض عن ثوبها الناصع غبار ذلك الرزء المرير .. كما لم يـك في هذا متورعا كالعادة وفي نفس ظروف (الجو) الذي اخرجته فيه من لبنان قصيدة ! عن ان يجهر دائما ، وفي اعلى صوت واوضح بيان واكمل يقين :

ستعود مصر الـى سني مقامها ... وتطيب من خبث لهـا الاعوام !

وما اصدق القول البليغ : (قلب المؤمن .. دليله) !

عاشق الوحدة .. الوحدة في كل شيء

كان خليل مطران ـــ كما اسلف القول ـــ من عشاق الوحدة ، والداعين بدأب واصرار اليها .. عاش لها ومن اجلها .. وكانت حياته عينها « وحدة عربية » في حـد ذاتها .. فكل اقطار العرب وطنه الواحد .. وهو اذ يرى وطنه الكبير هـذا مقسما بالحواجز النظرية والفواصل الوهمية التي صنعها المستعمر الماكر الدخيل ، يعز عليه ان لا يجتمع شمل هاته الجنات المتشابهات .. فيظل يدعو وينادي جاهرا بأمله في ان يرى هذه الرياض قد انتظمها عقد واحد ، فجمع شملها : قلبا ، ونفسا ، واهدافا :

جنـة عنـد جنـة عنـد اخرى ... آه لـو ظـل حبلها في اتصال
وطـن واحـد فـان نقـل الاو ... طان فالجمع فيـه جمع اشتمال

ولقد ابلى بلاء حسنا في الدعوة الى (وحدة) اخرى في اطار غال من اطر لغة الضاد ، وحدة شعرية .. فدعا الى (وحدة القصيدة) في الشعر .. وكان ـــ وهو الشاعر المجدد ، وشتان بين (تجديده) وتجديد آخر عجيب نسمع به هذه الايام ! ـــ لم يسلم في زمانه من قوم يبدو انه لا مفر من وجودهم في كل زمان ومكان ، عابوا عليه ما اتى به من تجديد ـــ فلـم يملك الا ان قـال لأولاء مفحما مردعا : « ـــ يا هؤلاء !! .. نعم ، هذا شعر عصري ، وفخره انه عصري ، وله على سابق الشعر مزية زمانه على سالف الدهر » ! .. لكم كان مظلوما اذا قيس تجديده الرصين الملتزم لقواعد الشعر الراسخة واصوله وقوافيه .. بما يزعم (مجددو هذه الايام) انه ... تجديد ! .

اعلى انه يقضي على نظرية (الجمال في البيت الواحد) بصرف النظر عن علاقة ذلك البيت (الجميل !!) بالقصيدة بأجمعها ككل ، وما اذا كان ذا صلة وثيقة ببدايتها ونهايتها ، اومقطوع الصلـة بالاستهلال والخاتمة جميعا ! .. وفي دراسة للدكتور سامي الدهان حول هذه النقطة ان خليل مطران قال انه : « لا ينظر الى جمال البيت المفرد ولو انكر جاره ، وشاتم اخاه ، ودابر المطلع ، وقاطع المقطع ، وخالف الختام » ! .. فأراد بذلك ان يكون الجمال بجملة القصيدة : « في تركيبهـا ، وترتيبها ، وتناسق معانيها وتوافقها ، مع ندور القصور وغرابة الموضوع ، ومطابقة كل ذلك للحقيقة وشغوفه عن الشعور الحر وتحري دقة الوصف واستيفائه فيه علـى قدر » .. ولخليل مطران (قصة شعرية) ـــ فذلك اقرب وصف اليها ـــ فهي قد استغرقت ثماني عشرة صفحة متصلة لا انقطاع فيها ولا عناوين بينها ، على بحر واحد ، وروي مختلف ، في ابيات مخمسة ، جعل عنوانها : « الجنين الشهيد » .. قص فيها قصة فتاة قروية بائسة نازحة .. دفعتها ظـروف العيش الى ان تستجدي الاكف لتعول اسرتها .. فلما نضجت انوثتها وكانت تعمل في حانة ، اوقعها فتى مستهتر في شراكه باسم زواج مقبل ، حتى حملت منه سفاحا .. فتركها وفر هاربا ! .. ولم تجد هي ـــ درءا للفضيحة ـــ الا ان تقتل الجنين ، ثم تواصل العمل .. ولكن في طريق آخر ، اكثر انحرافا ! .. في تلك القصيدة ، التي يبدو ان الشاعر عاصر احداثها عن كثب فهزت وجدانه المرهف هزا عنيفا ، حقق مطران (وحدة القصيدة) في الشعر العربي ، المعاصر ، كأروع ما تكون الوحدة العضوية الجمالية في الشعر ، مبنى ومعنى .. حتى لقد وصفها صاحب مجلة سركيس بأنها : « الياذة الشعر الحاضر .. ومعلقة النهضة الشعرية العصرية » !

مطران .. شاعرا مجددا

مـا الشعر ؟ ... يقول « الزهاوي » في تعريف الشعر :

اذا الشعر لم يهززك عند سماعه ... فليس حريا ان يقال له شعر !

وشعر مطران توافرت فيه هذه الخاصية السحرية التي (تهززك عند سماعه) ! .. فهـو الشدو الرخيم الصافي ، يصدح به لسان عربي ، نابعا من جبلة فيها خلاصة مركزه مبلورة لكل ما في الجبلة العربية من سجايا اصيلة ، وخلال جميلة عريقة ..

اذن ... فما التجديد ؟

نعتقد انه يمكن القول ـــ والقول من عندياتنا ! ـــ بأنه : التجميل والاثراء .. دون اخلال ، وبغير مروق !

ولئن كان مطران وصف شعره ، على ما عرف عنه من تواضع ، فلم يستطع الا ان يفيه حقه ، فيقول انه :

« مدامع ذرفتها ، وزفرات صعدتها ، وقطع من الحياة بددتها ثم نظمتها ، فتوهمت انني .. استعدتها » ! .. فبم يوصف : تجديده ؟ !

يصف هو نفسه تجديده ، في مقال بمجلة « الهلال — اغسطس ١٩٤٩ » فيقول ، ونصب عينيه اللغة ، والاستمساك باللغة : « .. وخلاصة مذهبي فيما اريده .. وهو لا يختص بالشعر ، بل يتناول ضروب البيان بل يشمل ضروب وسائل المعاش بمعنى المعاش الراقي البالغ غاياته من جهة سمو الاخلاق وبدائع الطرف الحسية والمعنوية التي نستمتع بها فعلا وينكر بياننا ان لنا بها ادنى صلة .. خلاصة مذهبي اذن هي ان تتعلم ايها القارىء لغتك اولا ، وان تتمكن منها كل التمكن ، وان تستذكر منها كل ما في مفرداتها وتراكيبها واساليبها السليمة الفصيحة من شائق ورائق ومطرب وجميل ، وان تمثل هذه المادة تمثيلا ثم تحملها وهي مصورة الى معملك الاسمى ، وهو ذهنك ، وتبتكر ، وتحدث سببا صحيحا كريما لتكليفك الناس ان يقراوا شعرك ونثرك .. والا فان لم تكن الا محاكيا .. فما حاجتهم اليك والسابقون افصح منك لسانا وابلغ بيانا واقدر على التصرف في لغتهم الطبيعية التي اخذوها بالرضاع » !

ذلك — اذن — هو التجديد ! .. بعد هذا يكون من اليسير ان ننظر في تفسير للدكتور محمد مندور في تجديد مطران :

« .. وتجديد مطران الشعري لا يقف عند التجديد في شكل القصيدة العام بتحقيق الوحدة العضوية لها ، بل يمتد هذا التجديد الى ديباجة الشعر ذاتها ، وموسيقاه ، فهو في الوصف مثلا يمكن القول بأنه رائد ما نستطيع ان نسميه في شعرنا العربي الحديث بـ (الوصف الوجداني) اي الوصف الذي يختلط فيه الشاعر بالطبيعة وينقل اليها احاسيسه والوان نفسه ، كما يتلقى عنها كل ما يواتي حالته النفسية الراهنة على نحو ما نحس في وجدانياته الوصفية » : .. ثم جاء لنا الدكتور مندور — رحمه الله — بمثال « مطراني » على ما ساقه في هذا المعنى التفسيري :

شاك الى البحر اضطراب خواطري ... فيجيبني برياحه الهوجاء
ثاو على صخر اصم وليت لي ... قلبا كهذي الصخرة الصماء
يثنابها موج كموج مكارهي ... ويفتها كالسقم في اعضائي
والبحر خفاق الجوانب ضائق ... كمدا كصدري ساعة الامساء
تغشى البرية كدرة وكانها ... صعدت الى عيني من احشائي
والافق معتكر قريح جفنه ... يفضي على الجمرات والاقذاء

على ان للشاعر : تجديدا آخر ..

فهو قد اسهم بنصيب ملحوظ في امداد العربية بثمرات القرائح العالمية .. فعرب اربعا من رائعات (شكسبير) الخوالد .. حفزه الى ذلك : « انفعال .. فاقتناع » .. قال في كلمته التي صدر بها ترجمته لـ : « عطيل » :

« رغب الي جورج افندي ابيض ، صاحب الفرقة المعروفة (الآن) باسمه ، في ترجمة هذه القصة فترددت زمنا ثم اتيح لي ان رايته يمثل تجربة من « اوديب » فاعجبني اتقانه ، واتقان بعض اعوانه ، فاستخرت الله في نقل عطيل الى لغتنا الشريفة » .

وهو عندما ينقل هذه الروائع الى (لغتنا الشريفة) لم يكن مجرد (مترجم حرفي) او ناقل .. وانما كان — كالعهد به — (مجددا) .. مؤثرا للجمال والفائدة .. وفي هذا رجعنا الى مقارنة اخرى عقدها الاستاذ عبد الرحمن صدقي .. بين ما كان يفعله بعض المترجمين ممن لم يكن يهمهم التزام النص ، او على الاقل مسايرة (روحه) ! .. فذكر ان في (ماكبث) لشكسبير تظهر الساحرات في مستهل الفصل الاول يتواعدن للتعرض بمكرهن وسحرهن للقائد (ماكبث) .. فأجرى خليل مطران على السنتهن الحوار نثرا رقيقا جزلا كأنه الشعر نعومة ولطفا :

الساحرة الاولى : من اين مجيئك يا اختي
الساحرة الثانية : كنت اقتل خنازير .
الساحرة الثالثة : وانت يا اختي .

الساحرة الاولى : كانت امراة ملاح . تحمل في حضنها كستناء ، وتقضم .. تقضم تقضم .. فسألتها شيئا منه فطردتني قائلة : (اغربي يا ساحرة) ! .. ان زوجها قد سافر الى (حلب) ليكون ربانا بدجلة .. سأركب الغربال مقلعة اليه .. وسأعمل سحري كما يعمل الفأر نابه : قرضا ، قرضا ، قرضا ..

الساحرة الثانية : الطبول الطبول . مكبث يقترب ! فلننظر الى ما فعله بترجمة المسرحية عينها مترجمان هما : « عبد الملك ابراهيم ، واسكندر عبد الملك — عام ١٩٠٠ » مما يصفه الاستاذ عبد الرحمن بأنه : « النقل فيه لا يطاق ، ولا يمت بسبب الى الاصل » .. فلقد ضربا — سامحهما الله ! — بما اجراه شكسبير على السنة الساحرات عرض الافق .. وراحا يجريان — في ترجمتهما — على السنتهن مثل هذا الـ ... الكلام ! :

هيكات (كبيرة الساحرات) : « قلش قلش ، ملش ملش ، بحق الله الواحد القهار ، اقسم عليكم يا معشر الخدام والاعوان الكرام ، ان تنزلوا من الحق الاعلى بالسكينة والوقار ، وتطردوا الخدام والساكنين في هذا المكان هم وقبائلهم واعوانهم واجناسهم ، وافشلوا حركاتهم حتى تنقض حاجتنا .. بحق طاش طروش ، توكلهم يا روفائيل ، ويا سمسمائيل ، ويا جبرائيل ، ويا ميكائيل ، ويا عدبائيل » !

ولنا ان نتصور مدى الجناية التي تجنيها الترجمة بغير حس ولا ذوق ولا امانة ادبية .. ناهيك برقة الشاعر وغوصه الى اعماق النفس البشرية يستخلص من خصائصها وسلوكها انسب المعطيات التي تنم عنها وتوحي بها وفي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يأس وأمل

لـم أزل حيرى بوادي الظلمات ... ويـح نفسي مـن افانين الامـل
ادفـن الاحزان في قبـر الموت ... اسكب الاشجان في شعر الغزل
قـد سمعت الطير يشدو ويبين ... ورأيـت البـدر نـورا كامـلا
وسمعت الليـل يشكو في أنـين ... رغـم ان الضوء يسري هائـلا
قد سمعت الشاعر المسكين يشدو ... في حنـين وبكـاء مستمـر
ينظـم الاشعار تدوي ثـم تغدو ... بعـد حـين ومضة لا تستقـر
ليت شعري اي نفس ليس يرجو ... كـل أمـن رغـم تنكيل الزمن
يحفظ الله امرءا قـد راح يسمو ... فـوق آفـاق البلايـا والفتـن
قـد شجاني مـا يعانيه الاناس ... مـن عـذاب وشقـاء ولغـوب
لهف نفسي اي خـير في انتكاس ... اي جدوى عنـد دنيانا الكذوب
شفني الحزن الذي غش الورى ... وأحـال الكـون عنـدي كالقتام
كلمـا جلـت بعيني كـي ارى ... لـم أجـد الا ظلاما في ظـلام
أمـة الامجاد حـيرى كالطريـد ... كحمـام هـارب مـن صائـد
تـارة تخطو كمـا يخطو الوليد ... ثـم آنـا كالغـزال الشـارد
أيهـذا العهـد يـا مـن تفصل ... بـين عهديـن ظـلام وضيـاء
أنـت عندي تـاج عـز انبـل ... لـك عنـدي كـل خـير وولاء
سـوف ننسـى مـا .... سوف ننسى مـا لقينا من عناء
سوف ننسى ما فقدنا من شموس ... كي نلاقي مـا افتقدنا من ضياء
سوف نرسو فوق شط من رمال ... سوف نلهو عنـد موسيقى المياه
سوف نحظى بشذى تلك الظلال ... سوف نحيـا بالاماني في الحياه
سوف نسمو فوق اوهام البرايا ... حيث نحيـا في هـدوء وابتسام
حيـث ننجو مـن ملمات المنايا ... ونرى الدنيا علـى ضوء السلام
سنظـل العمر نشـدو كالطيور ... ونبيت الليـل في نـوم عميـق
حيث لا وهـم ولا قلب يثـور ... بـل حيـاة كلهـا حـب رقيق

عين شمس ــ مصر — جميلة العلايلي

ذات الوقت لا تنبو ولا تسف ، ولا تجمح بعيدا عما لا يمكن ان يدور بمخيلة المؤلف الذي هو « الشاعر » شكسبير !

لغتنا الشريفة ..

ولكنه احترام العربية ، لغتنا الشريفة كما وصفها ــ بحق ــ خليل مطران .. يحدوه الى ان يتهيب ــ في غمرة تجديداته ــ ان يدخل عليها ما يشوه جمالها الفطري الاصيل .. وما ذلك الا لانه عظيم الاكبار لهـا ، شديد الاعتزاز بها ..

أوليست هي التي قالت على لسانه ، او قال هو على لسانها :

وهـل لغـة قديمـا او حديثـا ... تعـد بوفـرة الحسنـات مثلى ؟!

بلى ! .. وانها ، هي عينها ، عربيتنا الخالدة الشريفة ، التي قالت على لسان مطران ، او قال مطران على لسانها :

انـا العربيـة المشهـود فضلي ... أأغـدو اليـوم والمغمـور فضلي
وفي القـرآن اعجـاز تجلـت ... حـلاي بنـوره اسنـى تجـل
اذا مـا القوم باللغة استخفوا ... فضاعت!.. ما مصير القوم؟ قل لي!

ملوي ــ مصر — محمد الخضري عبد الحميد

عباس الخليلي

١٣١٤ — ١٣٩٢

١٨٩٦ — ١٩٧٢

بقلم عجاج نويهض

* * *

ذكرنا في الكلمة السابقة في العدد الماضي من « الاديب » (ديسمبر ١٩٧٧) ، ما يتعلق بنشأة الاستاذ جعفر الخليلي ، العلامة الاديب العربي المؤرخ ، ومن رائدي القصة العصرية في العراق ، وقد وضع عنه الدكتور هاميل ، العلامة الاميركي ، الاطروحة بالانكليزية . وبسطنا الكلام في المقال الماضي عن هذه الاطروحة ومنزلة الخليلي في الادب العربي المعاصر . وترجم الاطروحة الى العربية رائدان في فن الترجمة ، فترجم الاستاذ وديع فلسطين قسما ، واكمل الباقي الدكتور صفاء خلوصي ، وقدم للترجمة امام من ائمة الشعر والنثر ، شاعر الاهرام الاستاذ محمد عبد الغني حسن . واطروحة الدكتور هاميل هذه تفتح نافذة يسري منها شعاع الادب العربي الى قراء الانكليزية ، وهذه خطوة حسنة مباركة في بابها .

ونتكلم اليوم عن عباس الخليلي اخي جعفر واكبر منه بثماني سنين ، واذا كان الاستاذ جعفر ولد سنة ١٩٠٤ ، واخوه عباس فارق النجف الى طهران سنة ١٩١٨ فيكون الاستاذ جعفر عاش مع اخيه عباس ١٤ سنة في ظل والدهما الشيخ اسد الخليلي ، وهذه الشركة في النشأة توجب علينا ان نترجم لعباس ايضا ، وهو ركن من اركان الادبين العربي والفارسي وشاعر عالي الطراز في اللغتين الشقيقتين . وما ينطبق على احد الاخوين ينطبق على الآخر من حيث الاستقاء من معين والدهما الشيخ اسد علامة وقته ، وكان متقنا لعلوم العربية حافظا للشعر القديم الاصيل ، على ما اتينا على ذكره ، وخاصة مجالس الادباء والشعراء في النجف في الفصل الماضي .

ان قصة عباس الخليلي رائعة الطموح ، والوقائع من الالف الى الياء . وقد عني بتنشئته ابوه عناية فائقة ، كما اخبرنا الاستاذ جعفر ، لان كان قد ولد للشيخ اسد اولاد قبل عباس ، فلم يعيشوا طويلا ، فلما ولد عباس نذروه للوطن ولله وجعلوا يعتنون بتربيته ، فتكون نشأة عباس واطلالته على الآفاق آخذتين بعض العقد الاخير من القرن الماضي ثم ما تتالى من العقود من هذا القرن .

فرأينا ان نضع خطوطا عريضة لفترة الشباب الواعي من فترات المراحل في حياة عباس من ١٨٩٥ فما بعد ، وهذه الصور (واللوحات) هي التي ارتضع من اغاويقها ، وهو معبقر العقل شفافه ، ومنازع عباس من بيئة النجف منازع عربية اسلامية ، اذ كان الطلاب في النجف الاشرف ليسوا من النجف وكفى ، بل من سائر العراق والهند وايران حتى الصين ، فهذا الاحتكاك المدرسي وسع من آفاق عباس ، فلما وقعت الحرب العالمية الاولى كان في الثامنة عشرة ، وكانت ينابيعه ، ما عدا المدرسية ، مجلات المقتطف والهلال والمنار والجامعة والمقتبس ، هذا وسنة ١٩٠٩ اضيفت مجلة العرفان في صيدا الى مكتبة ما يقرا ويناقش فكريا وعلميا واجتماعيا .

لما اخذ العباس يشب عن الطوق ويترعرع في النجف الاشرف ، ويتطلع في الآفاق ، كانت هذه الآفاق لا تزال تتردد فيها آهات الاسى والاسف على فراق ثلاثة من العظماء ، هم حملة عرش الدعوة الاسلامية والعربية ، نذكرهم حسب تواريخ وفياتهم :

١ — السيد جمال الدين الافغاني ، ت ١٨٩٧ في الآستانة .

٢ — السيد عبد الرحمن الكواكبي ، ت ١٩٠٢ في القاهرة .

٣ — تلميذ الافغاني الشيخ محمد عبده ، الاستاذ الامام ت ١٩٠٥ في الاسكندرية .

ومن غريب الاتفاق في خفايا القدر ، ان علقت بوفاة السيدين الافغاني والكواكبي شكوك لم يزل الباحثون يذكرونها الى اليوم ، وهي الغموض الشديد في سبب الوفاة . ولسنا هنا بمتعرضين لهذا . ولكننا نقول انه بعد وفاة الاستاذ الامام بثلاث سنين وقع الانقلاب العثماني ١٩٠٨ الذي كان ظاهره الدستور او « جمعية الاتحاد والترقي » وباطنه بؤرة الشرور او مكايد جمعيات اليهود والصهيونيين في هدم الكيان العثماني للوصول الى فلسطين . وفي سنة ١٩١٤ وقعت الحرب العالمية ومن نتائجها احتلال البلاد العربية المنسلخة عن السلطنة العثمانية تحت اسم مموه هو « الانتداب » المزيف .

اما في المملكة العثمانية فعلى الجملة كانت الحال العمرانية والثقافية تقريبا واحدة ، ما عدا تميز بيروت بنهضة علمية ادبية صحافية تضاهي بها مصر . والحكم للسلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ — ١٩٠٩) الذي الفت فيه الكتب العديدة بجميع اللغات تصف حكمه وحياته الخاصة مدة ثلث قرن ، وهو الفرد المستبد . ولنلاحظ هذا : الى الحرب العالمية الاولى كان الوالي متى ما عين لبغداد او البصرة ، عليه ان يركب البحر من الآستانة الى مصر فيجتاز ترعة السويس ثم البحر الاحمر ، فبحر العرب ثم الخليج حتى يصل البصرة ثم بغداد . لبنان له نظام خاص يحكمه وال مسيحي كاثوليكي يرشحه «الباب العالي»

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتوافق عليه الدول ذات الامتيازات وهذا كان جاريا منذ ١٨٦٠ وبقي الى الحرب العالمية فلما دخلت الدولة الحرب الى جانب المانيا وجاءت لبنان الغت امتيازاته وجعلت تعين « المتصرف » تركيا الى يوم انسحبت في خريف ١٩١٨ .

اما مصر ، فلرزوحها تحت الاحتلال البريطاني . كان التعليم فيها « دنلوبيا »(١) ، وبريطانيا تعنى بزراعة القطن لتغذية مصانع « لنكشر » . ويحكم مصر حاكمان : هذا حكما اسميا صوريا ظاهريا ، وذاك حكما حقيقيا فعليا . الخديوي عباس حلمي الثاني(٢) (١٨٩٢ — ١٩١٤) واللورد كرومر(٣) . ولما وضعت الحرب الاولى اوزارها قام سعد زغلول بنهضة مصر هو وصحبه مبتدئا سنة ١٩١٩ وتوفي سنة ١٩٢٧ فكانت ثورة مصر والثورة العراقية سنة ١٩٢٠ اول الانتفاضات في الشرق العربي بعد الحرب الاولى ، فاقتعد سعد من زعامة مصر مقعد القيادة والرياسة فاستيقظ العالم العربي على حركة سعد . استيقاظ الهند على حركة غندي في الشرق . وانما اكتسب حزب سعد « حزب الوفد » عالميا لان الامة المصرية التفت حول سعد ، تبرم ما يبرم ، وتنقض ما ينقض ، وكل معارضة لسعد كانت تقوم في مصر ، لا تلبث ان تنهار وتتلاشى ، وجعلت مصر تكون راس العالم العربي من قبل ظهور سعد ، فهي حاضرة عالم الضاد في العلم والادب وكل وجوه العمران . منارتها اعلى المنارات . كل عربي حر كان يلوذ بها يشرب من نيلها العذب ويأكل من خيرها — من الشام والعراق وتونس وسائر الشمال الافريقي . كانت تزدان بالرعيل الاول من الشعراء ، بعد محمود سامي البارودي . بشوقي وحافظ والمطران واسماعيل صبري . ومن سار في قافلتهم ، وازدهرت المطابع والكليات والجامعات والمعاهد ، والصحف والكتب ، هذا ما عدا الازهر الذي هو من سلسلة مصر الفقارية . وعلى الجملة صارت مصر موئل عروبة منذ انتهاء الحرب الاولى .

سنة ١٩٠٠ . انظر الى هذه المعالم العمرانية الاجتماعية في مصر : عفي عن سامي باشا البارودي لاشتراكه في ثورة عرابي . قدم ابو المكارم عبد المحسن الكاظمي مصر فاحتضنه الاستاذ الامام برا وترحيبا . في هذه السنة وقعت المحاورة الصحفية العظيمة بين الاستاذ الامام ومسيو هانوتو الوزير الفرنسي حول قابلية الاسلام للعلم . وفيها ايضا خطب الفيلسوف العربي امين الريحاني خطبته الشهيرة « التساهل الديني » في جمعية الشبان المارونيين في القاهرة . فاحدثت دويا هائلا في الشرق العربي ومهدت الطريق للريحاني ليرتفع بشهرته في العالم العربي . كما بحث السيد رشيد رضا صاحب المناور في «الوحدة العربية» من زاوية فلسفية . فقال لو ان الاتراك اتبعوا نصيحة السلطان سليم بالتعرب ، كما فعلت شعوب اسلامية عديدة من قبل ، لكان للاسلام مصير غير مصير .

واذا وقفنا عند سنة ١٨٩٨ وجدنا زيارة الامبراطور ويلهلم غليوم الثاني للسلطان عبد الحميد في الآستانة ، ثم مجيئه الى فلسطين فرسا يخته في حيفا واخذ يسير برا متنقلا في المستعمرات الالمانية حتى بلغ القدس واقام فيها اياما وزار القيامة وبيت لحم ، واهداه السلطان قطعة ارض في القدس لتقام فيها كنيسة ، ومن فلسطين جاء دمشق بطريق بيروت فاستقبلته العاصمة الاموية استقبالا باهرا حتى انه لما جاء يشكر الهيئة الرسمية التي قامت باستقباله مما قاله : « ... ومن دمشق تقتبس اصول استقبالات الملوك » . وزار قبر صلاح الدين ووضع عليه اكليلا من البرونز(٤) واهدى صاحب القبر تحية عسكرية . وكان الامبراطور غليوم في سياحته هذه وفي مواقف الخطابة والشكر اذا ذكر السلطان قال « والدي جلالة السلطان عبد الحميد » وفي دمشق خطب واعلن صداقة المانيا لثلاثماية مليون مسلم فرن صدى هذا التصريح في العالم . وفي الآستانة كان غليوم فاوض عبد الحميد بشأن فلسطين والصهيونيين ، حسب وعد منه لهرتزل في المانيا وقال لهرتزل : « في القدس ربما اعطيك الجواب » . فجاء هرتزل القدس لاول مرة واستطاع ان يتلقى جواب غليوم وهو ان السلطان يأبى المشروع الصهيوني ، فجفل هرتزل وخرج من فلسطين خائبا مذعورا ، وكانت تلك الزيارة منه

---

(١) نسبة الى المسيطر المهيمن على التعليم حسب برامج استعمارية واسمه مستر دنلوب فوصف هذا التعليم في مصر بنسبته الى دنلوب .

(٢) هو ابن توفيق بن اسماعيل بن ابراهيم بن محمد علي .

(٣) لورد كرومر (حياته ١٨٤١ — ١٩١٧) حاكم وسياسي مشهور في العالم الاستعماري البريطاني ولا سيما في توليه امور مصر بعيد ثورة عرابي مدة ربع قرن تقريبا (١٨٨٣ — ١٩٠٧) ولعل هذه المدة من المدد الطوال جدا في الحكم الاستعماري البريطاني . كان يجل الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ويعتبر حركته الاصلاحية الاسلامية الاعتبار كله . والاستاذ الامام لم تكن كل الوقت المياه صافية بينه وبين الخديوي . وكانت تقارير كرومر السنوية الى حكومته عن سير الحكومة والادارة والمشروعات والمنشآت في مصر ترتقب ارتقابا لاهمية ما يذكر فيها من اعوجاجات . وكانت خاتمة حكمه سيئة ، فلما جاء يرحل اقام له رئيس وزراء مصر مصطفى باشا فهمي حفلة وداع وخطب فيها واثنى على اللورد . فلما قام اللورد يرد ، تفوه بكلام فيه اهانة للامة المصرية وكان السلطان حسين كامل حاضرا شاهدا يسمع ، فقال احمد شوقي ابو علي وقتئذ ، قبل اليوم بسبعين سنة ، قصيدة مؤنبة ردا على كلام اللورد .

منها :

لما رحلت عن البلاد تشهدت ... فكانك الداء العياء رحيلا

اوسعتنا بوع الوداع اهانة ... ادب لعمرك لا يصيب مثيلا

ومنها :

فارحل بحفظ الله جل صنيعه ... مستعفيا ، ان شئت او معزولا

وكلها على هذا النمط وهي اكثر من ٤٠ بيتا . ومصطفى فهمي هو والد السيدة صفية زوجة الزعيم سعد زغلول .

(٤) جرى هذا في دمشق سنة ١٨٩٨ وبعد عشرين سنة ولما دخل الانكليز والقوات العربية دمشق في خريف ١٩١٨ وفي ثالث ليلة تسلل لورانس ومعه نفر من الجند ، الى قبر صلاح الدين ونزع منه اكليل البرونز الذي وضعه الامبراطور غليوم ، وبعث به لورانس الى المتحف البريطاني . بعد هذا بعدة سنين سرق الانكليز ما سرقوا من توت عنخ امون في مصر .

لفلسطين اول زيارة وآخر زيارة ومات بعد ست سنين .

ولكن المفاوضات التي كانت في الآستانة بين السلطان وغليوم واثمرت ، هي امتياز مشروع سكة حديد برلين — بغداد عبر الاناضول وهذا حديثه طويل لا مجال له هنا . وكان غليوم لما وقف حيال قبر صلاح الدين يحييه ويذكر شمائله الغراء في ملوك الارض وسلاطينها ، سارع شوقي فقال من قصيدة اولها :

عظيم الناس من يبكي العظاما ويندبهم ولو كانوا عظاما

وسنة ١٩٠٤ — ١٩٠٥ وقعت الحرب الروسية اليابانية فاهتزت آسيا حتى الاعماق اذ لاول مرة تنتصر دولة شرقية حديثة الكيان على دولة غربية من اعظم دول اوروبا ، وقال حافظ قصيدته المشهورة التي منها :

هكذا الميكاد قد علمنا ان نرى الاوطان أما وابا

وقبل حرب الروس واليابان بقليل كانت حرب البوير في جنوب افريقيا بين الترانسفال واورانج الحرة معا ضد بريطانيا ، فهزم البوير بريطانيا اولا ثم لما اتت بريطانيا بالامداد تغلبت على البوير وارتكبت اشد الفظائع واستمرت هذه الحرب من ١٨٩٩ — ١٩٠٢ وكلمة البوير من اصل هولاندي معناها الفلاح او المزارع .

في سنة ١٩٠٨ كان قد انتهى انشاء سكة حديد الحجاز من دمشق الى المدينة المنورة(٥) على امل ان تصل الى مكة فعسير فاليمن وكان يوم افتتاح الخط في المدينة المنورة مهرجانا عظيما ، لم يزل اهل المدينة المعمرون يذكرونه حتى اليوم . وقبل هذا كانت سكة الحديد بين بيروت ودمشق وسكة الحديد بين يافا والقدس قد تمتا بنحو عشر سنين . ولكن سكة حديد الحجاز قامت بها الدولة وبتبرعات منها ومن العالم الاسلامي وجعل الخط وقفا اسلاميا . واما الخطان الآخران فانشأتهما شركات فرنسية للتجارة والاستغلال .

المجلات العربية والاسلامية : كانت في مصر المقتطف والهلال والمنار والجامعة والمقتبس ، وسنة ١٩٠٩ انشئت العرفان في صيدا . هذه المجلات او معظمها كان يطالعها العباس في النجف الى سنة ١٩١٤ واول قصيدة نظمها نشرت في العرفان تلك السنة . وكانت في بيروت مجلة « ثمرات الفنون » تشغل حيزا كبيرا في العالم العربي وكانت في تلك السنة بلغت السنة السابعة والعشرين من عمرها .

شوامخ المؤلفات في السنة الاولى من هذا القرن : ظهر ديوان شوقي (سنة ١٩٠٠) باسم « الشوقيات » واقترح عليه هذا الاسم صديقه الامير شكيب ارسلان . وظهرت الالياذة لسليمان البستاني . وظهر الجزء الحادي عشر من دائرة معارف المعلم بطرس البستاني ، وضعه واخرجه سليمان البستاني مع عدد من اقربائه آل البستاني . ولم يكمل اصدار باقي اجزاء هذه الموسوعة المفيدة ، فوقف السير بها عند حرف العين بعده تاء وآخر مادة « عثمانية » اي الدولة العثمانية . وظهر في هذه السنة ١٩٠٠ كتاب « المراة الجديدة » لقاسم امين .

بقيت ناحية جديرة بالذكر لما لها من عظيم الاثر في تاريخ الحركة القومية العربية ، وهي ان المربي الكبير الشيخ احمد عباس الازهري ، حول في بيروت مدرسته المسماة « بالمدرسة العثمانية » وهي خارجية الى مدرسة داخلية وكتب لهذا المعهد ، بفضل هذا المربي المنشىء الصالح ، ان يكون مصنعا للفكرة القومية العربية ، فخرج منه شباب بالعشرات اصبحوا رجالات القضية العربية في الميادين السياسية والحربية ، وفي سنتي ١٩١٥ — ١٩١٦ علق السفاح احمد جمال باشا التركي عددا وافرا منهم على الاعواد في بيروت ودمشق .

هذه الملامح والمعالم والصور و « اللوحات » كانت تلوح للذهن عند استعراض الاحوال العامة من تطور في العمران سياسيا وثقافيا واجتماعيا في مصر والشام والعراق (والشام بمعناها وقتئذ تشمل سوريا الحالية والاردن وفلسطين) .

لما وقعت الحرب سنة ١٩١٤ كان عباس الخليلي في الثامنة عشرة ، فتى مليئا حيوية وطموحا ، وقوة بدنية وافرة . فقد اكتسب الاخشيشان من عادة خروجه الى اقرباء له في البادية . واتقن فنون الرياضة البدنية ، والصيد ، وقطع المسافات الطويلة ماشيا ، واحيانا مئات الكيلومترات . اما من الجهة المعنوية والعلمية والذهنية فقد كان حصل غاية ما يمكن تحصيله في مدارس النجف بالنسبة الى سنه . وصارت تجتذب قواه العقلية والفكرية المطالعات في المجلات التي ذكرناها ، والكتب الجديدة التي تظهر في القاهرة وبيروت ودمشق ، هذا كله فضلا عن مكتبة ابيه الشيخ اسد . فأصبح عباس في هذه السنة اشبه بقنبلة ، وكأنها تحمحم بيد القابض عليها تتهيأ للانطلاق .

وانتشرت فتاوي العلماء ، ونشرتها اجهزة الدولة في البلاد وكل شيء بات يدعو للجهاد فاشتعلت العزائم واشتد النداء وثارت الحميات . وبرز السيد محمد سعيد الحبوبي ، الشاعر المشهور وصاحب الديوان المأثور «بديوان الحبوبي» يدعو الى حركة الجهاد وصار المستجيبون يتقدمون للتطوع ، فتقدم العباس وقيد اسمه في سجل المتطوعين المجاهدين فلما درت امه بهذا عارضته بشدة لكن بلا جدوى .

ولا نعرج على اخبار احتلال العراق تفصيلا ، بل نقول ، والدولة المتهيئة للاحتلال بجيش ضخم تام العدة الحديثة من السلاح والذخيرة ، دخلت البلاد ولم تغن حركة الدعوة الى الجهاد شيئا . غير ان تغلب الانكليز على العثمانيين ليس معناه ان النجف قد تخلى عن كراهته

---

(٥) قال لي الملك عبدالله بن الحسين سنة ١٩٥٠ ان كان لشرافة مكة المكرمة اليد الطولى في تحريض القبائل الكبرى في الحجاز على معارضة وصول السكة الحديدية الى مكة المكرمة بعد وصولها الى المدينة المنورة ، خوفا من تغلب الترك على الحجاز كله في المستقبل .

المحرقة للانكليز . وبقي عباس ومن ماشاه يحسبون ان المضي بالدعوة لكراهة الانكليز ، جهاد بنفسه . ففاوض عباس استاذه الشيخ محمد عبد الجواد الجزائري ، الاختصاصي باتقان الكراهة للانكليز ، كما فاوض استاذه الآخر الشيخ محمد علي الدمشقي . ويمكننا ان نعتبر ان هذه المفاوضات كانت اول بذور الثورة في النجف .

فاتفق الثلاثة على تأليف جمعية سرية اسمها « النهضة الاسلامية » ورأوا ان يختاروا رئيسا لها السيد محمد علي بحر العلوم وفيه الصفات الكاملة لهذا العمل . وانتخب عباس سكرتيرا ، ولاتقانه الكتابة والانشاء اطلقوا عليه « فتى الاسلام » . وحفر ختم من نحاس باسم « النهضة الاسلامية » وحفر ختم آخر باسم « فتى الاسلام »(٦) . ولكي يحكم التستر فقد اتفقوا على ان يكون اجتماعهم لا في مكان واحد بل في امكنة متفرقة .

ولكن السلطة البريطانية ، وكلها عيون وآذان ، استطاعت بعد حين ان تشتم رائحة الجمعية . فكان حميد خان الهندي معاون الحاكم البريطاني مطيتهم وذلولهم الى الشرور والبغي . فجاء حميد هذا الى الشيخ اسد ونصحه ، والمسألة لا تزال الى الآن روائح وظنونا ، بأن يقتصر عباس من نشاطه السياسي . هنا رأت الجمعية ان لا بد من عمل شيء للحيطة ، وهو ان تؤلف جمعية ثانية من شيوخ القبائل وشيوخ النجف ، والجميع يكونون عصبة مقادتها بيد « النهضة » . فتم هذا ، وألفت الجمعية الثانية ، وصار عباس صلة الوصل والربط بين الجمعيتين . هذا ، والقوات العثمانية لا تزال في الفرات الاعلى ومدينة « عانه » تحارب الانكليز . واشتهر رجل اسمه عباس ابن الحاج نجم البقال ، بنقل الرسائل مخاطرا بنفسه وروحه ، واما ابوه الحاج نجم فعضو في النهضة . وانضم الى الجمعية من شيوخ القبائل خارج النجف عدد وافر .

هل استوفى الاستعداد بالسلاح لاستيقاد نار الثورة ؟ كلا . فبدىء بالعمل قبل الاوان ، فقام الحاج نجم وبعض الرجال معه باقتحام سراي الحكومة في النجف وهم متزيون بلباس شرطة ، فقتلوا الحاكم مارشال معتزين ظافرين .

في هذا الوقت كان الانكليز (١٩١٨) قد تم لهم فتح شمال العراق وانسحب العثمانيون من عانه وتلك الجهات ، فعثر الانكليز على طائفة من رسائل الجمعية فأسرعوا يتداركون الامر تداركا يمنع القبائل والعشائر التي وردت اسماؤها في المكاتبات من اي عمل ، وبهذا تمكن الانكليز من الحيلولة بين القبائل والاشتراك في الثورة ، فأمست المناطق المحيطة بالنجف مقيدة لا تستطيع حراكا ، ورسا عبء الثورة على النجف وحدها ولكن كانت النجف قد اعصوصبت وانقلبت كالحلقة المفرغة لا تدري اين طرفاها ، وانضم الى جموع الاهالي من لم يكن قد انضم من قبل .

واحكم الانكليز ضرب الحصار بالاسلاك الشائكة والجند المحيطة بالمدينة . قال الاستاذ جعفر : « فلم يبق هناك من منفذ للاتصال بين النجف وخارجها . فانقطع الماء وانحصر شرب المياه من الآبار المالحة وما تساقط من الامطار ، وشحت الحبوب وارتفعت الاسعار ارتفاعا حمل بعض الادباء ان يؤرخ الحادثة بكلمتين « حصار وغلاء » ١٣٣٦ — ١٩١٨ .

كان عباس يشارك في نشاط الجمعية وفي القتال ، ولكن الآن شلت الحركة كلها ، ولا يرتجى اي سند من القبائل ، فبقي لدى اهل النجف البسلاء اما المضي بالثورة واما الاستسلام ، وهذا الاخير لن يكون ، وطال الحصار ٤٨ يوما ، واستبد الجوع والعطش بالناس ، ولكن الانكليز لم يضربوا المدينة بالمدافع اذ لو اقدموا على هذا لهب العالم الاسلامي صارخا محتجا .

وكان هناك معقل مهم يسمى « بجبل الحويش » من استطاع احتلاله فقد ظفر ، وكانت جماعات الثوار تتناوب على حراسة هذا الجبل . فلما جاءت نوبة آل السيد سلمان ، تخلوا عن الحراسة ، وقيل ان ذلك باتفاق مع الانكليز ، فاحتل الانكليز هذا المعقل الذي هو مفتاح الغلبة وسلطوا عليه المدافع فاشتدت حلقة الحصار ضيقا .

قال الاستاذ جعفر ص ٩٥ : « وادرك الثوار ان الثورة قد فشلت ، فهم البعض بالخروج من النجف فألفوها محوطة بالاسلاك الشائكة ، فتناثروا ولجأ كل واحد منهم الى مخبأ لينجو بنفسه ، وتولى آل السيد سلمان زعامة المدينة بالقهر ، وراحوا يبحثون عن العاملين المشتركين في الثورة ، ومال اليهم عدد غير قليل ممن عمل في الثورة وكان من المعتمد عليهم في الهيئة التنفيذية » .

ونقول للقارىء الكريم في هذا الموطن :

ان التفاصيل بعد الآن غزيرة ، ولكن بحكم الضرورة ، وعلى لذة هذه التفاصيل لا بد من ايجازها لنصل الى نهاية هذه الترجمة لعباسنا النبراس . فقد استطاع ان يختبىء بزي امراة في سرداب يخص احد الاقرباء البعداء الذين ليسوا موضع ظن او شبهة . وهل كان عباس في السرداب حرا بالحركة ينتقل من زاوية الى زاوية ؟ كلا . بل كان داخل صندوق خشبي من الصناديق التي كانت ترد الى التجار من بلاد السويد . ونقلته والدته « ام عباس » المتفانية في سبيل المحافظة عليه ، المحجبة ، الى السرداب ، وهو بزي امراة محجبة ايضا ترتدي عباءتين ولا يظهر منها (او منه) للعين شيء .

وشاء القدر ان يكون مسعفا في اتخاذ التدابير بسرعة ، فلو وقع تأخر ليلة واحدة لوقع عباس ، الثائر ، « فتى الاسلام » في قبضة الانكليز ، كما وقع احد عشر من رفقائه ، وعلقهم الانكليز على الاعواد . وما كادت تمضي

---

(٦) يقول الاستاذ جعفر ان الاديب العراقي المعروف الاستاذ مشكور الاسدي يحتفظ بهذين الختمين الى اليوم . ونقول ان هذين الختمين هما الآن اغلى من اثمن اللآلىء والجواهر النادرة ، للرمز الشريف الذي يرمزان اليه .

الليلة الثانية على استسلام النجف حتى داهم المنازل والبيوت جلاوزة السيد مهدي السيد سليمان وهو يشرف على الحركة . وكان هناك رجل اسمه « تومان عدوة » وكان من اشد المخلصين لعباس ايام عز « النهضة الاسلامية » ، ثائرا مثله مقداما ، والآن في رمشة عين انقلب عليه وهو واقف على كل اموره . وتعهد للانكليز بالقبض عليه . هذا من عبر الدهر . جاء في «هكذا عرفتهم» ص ٩٨ ان تومان هذا ، كان يعرف الانكليز انه من المشتركين في الثورة ، ولكنهم راوا ان يتغاضوا عنه موقتا لينبعث بكل نشاطه للقبض على عباس وهو آمن لهم حتى اذا فشل اقتادوه وعلقوه ، وحتى لو نجح فلا مفر له من المشنقة ، وحسابه في الخيانة لعباس كان حساب جاهل .

فجاء الجلاوزة دار الشيخ اسد ليلا بغتة وبشراسة ، واقتحمت الدار فتلقاهم الشيخ اسد والفانوس بيده ، فسألوه عن عباس فأنكر ان يكون له علم بمكانه ، وزاد ان عباسا لا يساكن اهله في البيت منذ سنين ، ولا يمر بهم مرورا . ومع هذا فقد نزل فريق من الجلاوزة الى السرداب وفتشوه فلم يعثروا على ضالتهم المنشودة . والآن الساعة العاشرة ليلا . وبعد ساعتين او ثلاث من الليلة نفسها عاد هؤلاء الزبانية يتسلقون سطح بيت الشيخ اسد من الدور المجاورة ويهبطون من السطح ويطرقون الابواب ترويعا ، وعباس هناك في المكان الآخر ، في الصندوق الخشبي في سرداب بعيد من هنا في بيت مهجور ، ولكنه اخذ يشعر بضيق التنفس ، وهذا مما لا يطيقه الا الصابرون المؤمنون .

ولكي يقنع الشيخ اسد ، اولئك الزبانية بدعواه ، بعد ان طافوا البيت مرارا ، قال لهم : « اني لست راضيا عن ابني ، وقد بينت هذا لحميد خان منذ مدة طويلة ، واني مستعد ان اذهب واذكره بهذا » .

وفي النهار تجددت حملات التفتيش عن عباس لان المعلومات التي لدى الانكليز انه لم يبرح النجف . وفي النجف آبار السراديب عميقة مظلمة تبلغ خمسين مترا فأكثر . وكان عباس كما سبق القول قوي البنية خفيف الحركة فظن تومان لعل عباسا يختبىء في قعر السرداب ، اذ بعلمه من امر عباس انه يطيق من العذاب ما لا يطيقه غيره ، لثبات نفسه وشدة ايمانه ، فقال للشيخ اسد : قولوا لي اين هو والا نطلق الرصاص الى قعر السرداب فيقتل قتلا . وجربوا ان يأتوا « بنزالين » اهل مهنة ، يهبطون الى القعر فهبطوا وعادوا وقالوا لم نجد شيئا . وكان الجلاوزة يكررون عملية هذا التفتيش كل يوم ، وعباس حيث هو كاد يختنق من ضيق التنفس .

في هذه الاثناء كانت شرطة السيد سلمان قد تمكنت من القبض على جميع زعماء الثورة ، واستخرجتهم من مكامنهم واحدا بعد آخر ولم يبق متواريا لم يهتد الى مكمنه ولم يقبض عليه سوى عباس ابن الشيخ اسد الخليلي في مدينة النجف .

فعلقت السلطة اعلانات فوق بارز الجدران وعلى ابواب « الصحن الشريف » وابواب المساجد . تنذر بالويل كل من يعرف شيئا عن عباس الخليلي ولا يخبر السلطة . وفي الوقت نفسه فتحت السلطة باب الاغراء فاعلنت جائزة خمسة آلاف روبية لمن يدل عليه . وخشي تومان ان فشله سيؤدي الى القبض عليه هو نفسه ، ولما ايقن ان عباسا ليس مختبئا في بيت ابيه ، جاء بيت الشيخ اسد وجمع ما في البيت من اوراق ودفاتر كيفما اتفق ووضع هذا في خزانة وختمها بالشمع الاحمر ، وانذر الا يمسها احد لان السلطة غدا ستفحص هذه الاوراق . والساعة الآن الثالثة بعد منتصف الليل .

وكان الشيخ اسد سأل عباسا ايام العمل قبل الشدائد : أفي هذه الاوراق يا ابني شيء يخاف عليه او منه ؟ فنفى عباس ان يكون في الاوراق ما يخشى منه . وفي هذه اللحظة وقعت المفاجأة المذهلة من عباس ، فانه ما كاد يتأكد من خروج تومان من البيت يائسا ، حتى خرج هو من السرداب الذي كان فيه واتى البيت مسرعا وجمع هذه الاوراق التي في الخزانة والقاها في النار . فصاح به ابوه ، ماذا انت صانع يا عباس ؟ فقال : اذا وقعت هذه الوثائق بيد السلطة فسيقضى على مئات الناس ، وانا مصمم غدا على تسليم نفسي ، فصاحت به امه تستنجد برب العالمين الا ينوي هذه النية ، وعارضه الجميع ، وبعد هذا رجع عباس الى سردابه لا يتحرك ويعاني ضيق النفس في الصندوق . وصار موزع الفكر والعقل ، وتختبط مشاريعه بعضها ببعض ، وهو رغم ما سمع من صياح امه لا يرى مناصا من التسليم ، ولكن لا تسليم التسليم فوطد عزمه ، وربط جأشه ، على ان يقتل « تومانا » بهذه البندقية المخبأة معه في الصندوق .

جاء النهار وبلغت الشمس الضحى ، ولا سلطة بانت ولا احد . وبينما الكل في الشدة الخانقة ، والارتقاب المضني المحرق ، فاذا بعبم العابس يجيء هابا هبوب العاصفة يقول البشرى !! البشرى !! السلطة قبضت على « تومان عدوه » ليلا لما وجدته عاجزا عن الوفاء بتعهده لها بالقبض عليه . ومن الفرح بكت ام عباس ، وابو عباس ، والجميع ، وتنفسوا الصعداء ، ولكن الخطر لا يزال قائما . ربنا اتم علينا بالفرج والخير .

اما الذين قبض عليهم وهم (١٤) شخصا من الثوار فقد حكم عليهم بالاعدام ونفذ الحكم في (١١) منهم . وبتدخل الشيخ خزعل خان امير المحمرة فقد نجا السيد محمد علي بحر العلوم رئيس جمعية « النهضة الاسلامية » ونائبه الشيخ محمد جواد الجزائري . اما العباس فحكم عليه بالاعدام غيابيا . ونفي (١٠٥) اشخاص من اعضاء الجمعية والعاملين فيها الى مدينة سمربور في الهند .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعد تعليق من علق ونفي من نفي ، اخذت حملات التفتيش تخف ، اذ لم يبق احد له من اثر بارز في الثورة الا قبض عليه ولقي الشدائد . فسمح للاهالي ان يخرجوا الى الكوفة ليستجموا بعد هذا العذاب والحصار والجوع ، ولكن الخروج لا يسمح به الا لمن يحمل رخصة (باص) او ورقة مرور ومن باب المدينة للتفتيش . ولما كان الشيخ اسد لم يزل يتظاهر بالصداقة بينه وبين حميد خان فذهب اليه طالبا رخصتين واحدة باسم زوجته ام عباس وواحدة باسم ابنته والحجاب وقتئذ بتقاليده يجعل المرأة بهذا الحجاب لا يرى منها حتى اصابعها . ولعل القارىء اللبيب وثب بادراك شعوره ليقول ، وما تلك الرخصة الثانية والله اعلم الا لعباس لا لاخته ، لعباس الباقي في ذلك البيت الآخر كامنا فيه . فالخروج الى الكوفة فرج كبير من الله اذ بعد الكوفة يرى سبيله الى طهران .

ونحن في متابعة العباس الى هذا الحد في ثورة النجف نقصد به عدة امور : اولا ، لنبين مقدار مساهمة العباس « فتى الاسلام » الثائر ، في الثورة وكيفية نجاته . ثانيا ، بخروجه من النجف محروسا من الله الى طهران كان ينتقل بقضاء الله وقدره الى ما هو مكتوب له من الحياة الحافلة بكل انتاج عبقري . ثالثا ، ان نبين هذه المراحل له في حياته المستأنفة « لفتى الاسلام » في طهران مع الاشارة الى منجزاته في الادبين العربي والفارسي ، وهذا شيء بالغ العظمة .

وقصة العباس في الخروج من النجف الى الكوفة بزي سيدة مع والدته ام عباس ، ثم الى ايران ، كان قطعة من عذاب ، ولكننا نكتفي من تفصيل الترجمة بهذا المقدار . ومن احب الوقوف على التفصيل كله ، فعليه بالجزء الرابع من سلسلة « هكذا عرفتهم » الصادر سنة ١٩٧٢ للاستاذ جعفر فمنه استقينا هذه الحلقات كلها ، وقد ذكرنا اهمية هذه السلسلة في كلمتنا الماضية ، داعين للمؤرخ العلامة ابي فريدة جعفر بطول العمر نفع الله الامة بمخزون علمه ومدخر ادبه . نحن الآن لم نزل في سنة ١٩١٨ .

لما وقعت ثورة العراق الكبرى ١٩٢٠ كان العباس في الرابعة والعشرين وامسى اليوم في طهران لا في النجف ، ولما درى الانكليز بفراره طار صوابهم . كيف نجا من خروم الشبك ؟ وكيف ومتى خرج من النجف . ها هو اليوم في طهران يغرد ويصدح ويعندل ويرسل قصائده الى اخوانه الثوار في العراق ، تحيات واشواقا وهذه واحدة من تلك التحيات :

يحييكم اهل العراق على النوى ... فتى في سبيل المجد امسى مشردا
تحية عان كلما هبت الصبا ... ينوح كما ناح الحمام مغردا
ان اليوم اطلقت اللسان بحبكم ... فبالامس عنكم قد سللت المهندا
عواطف لا تنفك تغلي بمهجتي ... الى ان ارى فوق الصعيد موسدا

ومنها :

رويدا رجال الانكليز ورأفة ... ان اليوم اسرفتم فان لنا غدا
وان قصرت اقدامنا عن خطاكم ... مددنا الى ما فوق هامكم يدا

قال الاستاذ جعفر ص ١١١ « روى الاستاذ ابراهيم الوائلي ان عباس الخليلي كان اول شاعر ورد ذكر فلسطين عند وعد بلفور في شعره . ولم يطل به المقام في طهران ، عاصمة الادب والعلم والثقافة والتغني بالتراث حتى اقتعد هناك مقعد الاديب الصدر الماهر الرائد في اللغتين الشقيقتين ثم بعد ذلك اتقن الانكليزية والم بالالمانية وقد قال لي — يقول الاستاذ الوائلي للاستاذ جعفر — الدكتور مصطفى جواد انه قلما رأى عالما باللغة العربية محيطا بمفرداتها كالخليلي عباس » .

ومن الآن الى نهاية ترجمته نضعه في « لوحات » :

— كان معارضا لسياسة الحكومة في طهران دائما ، فأوذي كثيرا ونفي ودخل السجون مرات . ومتى عطلت صحيفته لجأ الى صديق بيده رخصة جريدة لم تستثمر بعد فيصدر جريدة جديدة .

— كان دائما مساندا للمصلح الحكيم ، رجل الامة والدولة والاسلام ، السيد ضياء الدين الطباطبائي من رجالات الشرق وافذاذ زعمائه ، رجل العقل والفهم والانسانية الراقية(٧) .

— تآمر المتآمرون على قتله هو و « عشتي » الشاعر الثائر . اما عشتي فلما جاءه الجناة واطلقوا عليه النار خرج ليرى ما هناك فعاجلوه بالرصاص فهوى صريعا . واما العباس فلم يكن في البيت فانتظروه حتى اتى فأطلقوا عليه النار فأخطأوه فبادلهم النار فأصاب احدهم في كتفه وطارده حتى قبض عليه وسلمه الى الشرطة . وكانت السلطة وراء المؤامرة .

— بعد ان اشتهر امره في الادب والسياسة والنضال الوطني اصدر جريدة « اقدام » وعاشت اربعين سنة وهي في المعارضة العنيفة . ومن مميزات فضله انه يعمل في جملة ميادين معا : الصحافة والسياسة والادب والشعر والتأليف ، فمجموع كتبه بلغ ٨٦ كتابا ورسالة .

— وكان منزل العباس في طهران منزل الضيافة ومقصد الوافدين من ارجاء العالم الاسلامي والعربي ، وكان صديقه الحميم عبد العزيز الثعالبي زعيم تونس كلما جاء ايران حل ضيفا في منزله الرحب الساحة القائم على الجود والكرم والسماحة .

— وضعت مجلة « المقتطف » مسابقها سمتها « الرائد » وهي شعرية دعت فيها شعراء العالم العربي ان يرتادوا القطب ارتيادا خياليا ويصفوا المشاهد المتخيلة وصفا علميا ما امكن ، فربحت قصيدة العباس احدى الجوائز . ولكنه ابى ان يقبل الجائزة النقدية ، وكان اصحاب « المقتطف » اصدقاءه فقدم اليه الدكتور صروف

(٧) لما توفي عليه رحمات الله منذ سنين نشرت في جريدة « الحياة » البيروتية فصلا في وصف عبقريته وحياته في فلسطين منذ كان الامين العام للمؤتمر الاسلامي العالمي سنة ١٩٣١ — ٣٢ الى سني الحرب الثانية الكبرى وهو اكبر صديق للعرب وفلسطين والمسجد الاقصى .

مجموعة « المقتطف » كاملة ونشرت القصيدة في عالم الضاد وهي لا تقل عن سبعين بيتا وكل معانيها المبتكرة تصور رائدا جويا عربيا يقوم برحلة استكشاف قطبي .

— ترجم من الشاهنامه للفردوسي ١٥ الف بيت الى الشعر العربي ، وكان للعلامة الدكتور عبد الوهاب عزام المستوقد لحميته في هذا العمل وهنا علينا ان نوضح ارتباط عدة اشياء مهمة بعضها ببعض فنقول :

اولا — الفردوسي ابو القاسم والشاهنامه : الشاهنامه ، وكلها او معظمها ، شعر ملاحم الامة الفارسية ، تكلمت عن تاريخ الفرس من اقدم ايامهم الى الفتح الاسلامي ، حقائق واساطير ووصف مختلفة ، فمكانتها عند اخواننا اهل ايران عظيمة ، كالالياذة عند الاغريق ، وهي تنطوي على صور اجتماعية عديدة الالوان . واكثر عناية الفردوسي بالدولة الساسانية الاخيرة ، عناية فائقة ربما لان اخبارها اكثر تيسيرا والدولة الساسانية هي التي يعبر عنها مؤرخو العرب « بملوك الطوائف » ، وكان آخر ملوكها خسرو . توفي الفردوسي سنة ٤١١ هـ وعلى قول ٤١٦ وتقع الشاهنامه في (٦٠) الف بيت كما يقال ، وانفق الفردوسي ثلاثين سنة في جمعها ونظمها وتأليفها ، وقدمها الى يمين الدولة السلطان محمود بن شبكتلين الغزنوي على امل ان ينال عليها جائزة عظيمة فلم يتحقق امله ولم نستطع الوقوف على السبب . وذاعت الشاهنامه في الآداب العالمية .

ثانيا — الفتح بن علي البنداري : (بضم الباء) نشأ في اصفهان ولقبه قوام الدين وهو مؤرخ عربي . صنف ولخص عدة كتب لعماد الدين في تاريخ السلاجقة ، وترجم الشاهنامه الى العربية نثرا وقدمها الى الملك المعظم الايوبي المتوفى ٦٢٤ هـ فأجازه عليها . وبعد هجوم التتار وهولاكو وتيمورلنك وذهاب المكتبات احراقا واغراقا ، غابت هذه الترجمة غيابا طويلا حتى ظهرت في الاوقات الحديثة ، والبنداري نفسه لم يعرج عليه كثيرا اهل التراجم فليس له ذكر في دائرة معارف البستاني المعلم بطرس مثلا .

ثالثا — الدكتور عبد الوهاب عزام والشاهنامه المترجمة نثرا : كان الدكتور عبد الوهاب عزام الرائد العلامة مشغوفا منذ اول شبابه بأن يقرأ ترجمة البنداري ، ورمى بأمله الى ان يترجم الشاهنامه شعرا يوما ما ، وراح يدرس التركية والفارسية من اجل هذه الغاية . ولكن الاقدار هدته بالتالي بعد الاستقصاء والتفتيش الى ان يعثر عليها في برلين والآستانة ولندن وحتى في دار الكتب المصرية في القاهرة . فماذا صنع الدكتور عزام بمشروعه : انه جمع معظم النسخ واختار اصحها ، وقارن وقابل وطبع الشاهنامه نثرا (ترجمة البنداري) في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة طبعا فائق الاناقة والرسوم والحواشي ووسم صفحة الوسمة هكذا :

« الشاهنامه . نظمها بالفارسية ابو القاسم الفردوسي وترجمها نثرا الفتح بن علي البنداري وقارنها بالاصل الفارسي واكمل ترجمتها في مواضع وصححها وعلق عليها وقدم لها الدكتور عبد الوهاب عزام المدرس بالجامعة المصرية » . سنة ١٣٥٠ هـ — ١٩٣٢ م وهي اربعة اقسام في مجلد واحد كبير ضخم ٢٧ × ٢٠ سم .

رابعا : فلما توثقت الصلة العلمية الادبية الاخوية بين الدكتور عزام والعلامة العباس الخليلي . وفي قلب عزام غرام بالشاهنامه وشوق اليها ، ووجد في صفيه العباس حامي حقيقتها وابن بجدتها ، طلب منه ان يرد مورد الشاهنامه شعرا ، فورد العباس نعم الورود وصدر بخمسة عشر الف بيت اي ربع الشاهنامه شعرا عربيا ، نرجو ان يكون باقيا محفوظا عند انجاله في طهران . ونطرح هذا الامل او الامنية على حملة عروش الثقافتين العربية والايرانية ، بأن يطبع ما ترجمه العباس من هذا الشعر .

— « الخيام » اول من ترجم من رباعياته الى العربية شعرا الشاعر اللبناني الفلسطيني وديع البستاني وذلك سنة ١٩١٢ ثم انبرى الفضلاء من اخواننا اهل الادب في مصر والعراق فترجموا « الخيام » شعرا ونثرا وهذا كله بأيدي الناس ، سوق عكاظ الاذواق . اما الفردوسي فلم يترجم من شعره الفارسي الى الشعر العربي سوى العلامة عباس الخليلي صاحب هذه الترجمة . فاذا تيسر تحقيق هذه الامنية ، فيكون نشرها من شعر العباس نشرا لارقى نوع من الشعر العربي للفردوسي .

— بالاضافة الى ما تقدم ، فقد ترجم العباس حصصا وافرة من شعر سعدي الشيرازي ، وحافظ ، والمثنوي ، الى العربية (راجع هكذا عرفتهم) .

— وقام العباس بترجمة « الكامل » لابن الاثير الى الفارسية في ١٤ جزءا وعرج على الكتب الاسلامية الحديثة فترجم الى الفارسية للعلامة احمد امين « فجر الاسلام » و « ضحى الاسلام » و « ظهر الاسلام » .

— ولنسمع هذه الطرفة المتعلقة باحدى كتب عباس الروائية : فقد كان له كتب عديدة بالفارسية منها كتاب « روز كار سياه » فقرأ في طهران هذا الكتاب مدير الامن العام وتأثر به حتى بكى وجعل يمسح دموعه ويتابع مطالعته ، وهذا في الليل . وفي صباح اليوم التالي عرج مدير الامن العام على السجن وطلب ان يؤتى اليه بعباس الخليلي ، احد السجناء فظن اصدقاء عباس في السجن ان مدير الامن العام جاء يفرج عنه بأمر عال . فلما حضر عباس وجلسا بادره مدير الامن العام بالقول : « في هذه الليلة الماضية كنت اقرأ روايتك « روز كار سياه » وبكيت كثيرا ، فجئت لاشكرك على هذه الرواية ولاخبرك ان ليس لي يد في سجنك » .

— قصة هذا الكتاب : كان الشاه رضا بهلوي السابق قد نفى عباسا الى كرمنشاه من غضبه عليه وشددت السلطة في كرمنشاه سبل الحياة على العباس فكتب الى الشاه كتابة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رقيقة يشكو اليه ما يعانيه ، وبعد اسبوع رفعت عنه القيود وقدم اليه بيت يليق به . وفي اثناء منفاه الى كرمنشاه عكف على التأليف ، ومنه هـذه الرواية الاجتماعية وصفوتها معالجة قضية الرقيق الابيض المنتشرة وقتئـذ في طهران وغيرها . تصور بيتا من بيوت الدعارة فيه اربع فتيات منحرفات وفي ليلة شاتية اشتد زمهريرها لم يزر الفتيات احد فجلسن حول النار للدفء واتفقن على ان كل واحدة منها تحكي لرفيقاتها كيف انزلقت وانحرفت . فالموضوع جذاب ، والمؤلف عقله عقل كاتب مصلح اجتماعي . وكان لا ينقطع عن التأليف متى ما كان في سجن او منفى . والا ، من اين اتت الستة والثمانون كتابا ؟

ـ ونظـم الشعر العربي علـى اختلاف ابوابه واغراضه ، وله قصيدة طارت بها الركبان ، مطلعها :

المجـد يشهد يـا قحطان والكرم ان العلى ارثنـا ان تجحد الامم
فالارض لـوح بـه خطت مآثرنا يراعنا السيف فيهـا والمداد دم

ـ ولما عاد من المنفى الى طهران عاد الى المعارضة شأنه دائمـا وكانت جريدة « اقدام » جريدته ، متنفس المعارضة وصوتها وسوطها . واخرج من ايران فجاء بغداد ومكث فيها بضعة اشهر ، ورغبه الملك فيصل الاول بالبقاء في بغداد ، فشكر ، واعتذر بأن صار له في طهران عائلة وبنون ولا بد من الرجوع (١٩٣٢) واولاده اربعة يعملون في الطب والهندسة والكيمياء اكبرهم الدكتور مهيار .

ـ وقع شيء من المجافاة بين الصديقين الحميمين ، عباس الخليلي المترجم ، وصفيه احمـد الصافي النجفي رحمهما الله ولم تعرف الاسباب . ولما جاء احمد الصافي يعاتب ويذكر عهد الشمل المجموع فما قاله ابيات منها :

لـذاك نايـت عنـه وفي فؤادي بقايـا الـود يطردهـا الجفـاء
وذكرى الـود مـا زالت بقلبي لـدى الايـام يحفظهـا الوفـاء
وابكـى كلمـا ارنـو اليهـا ويسبقها ـ متى ترني ـ البكاء

ـ وكان احيانا يعمل عباس في الدولة ، فاذا هبت رياح جديدة لم يرض عنها ، استقال وولى بعيدا . ويوما عينته حكومة ايران سفيرا ومندوبا فوق العادة ، في الحبشة واليمن ، وتعلقت قصة طريفة بتوقفه في القاهرة في طريقه الى الحبشة . فلمـا وصل القاهرة واخذ يلقى اخوانه وصحبه وخلانه وبينه وبينهم عهود قديمة ، واهمها صلاته العلمية والادبية والشعرية ، وهو جد مشتاق الى هذه البيئة ، والقاهرة ملقى الكواكب والمواهب ، والاحباب والاصاحيب ، اخذ العباس يمدد وقت اقامته في القاهرة مرة بعد اخرى ، حتى اعتبرت سفارة ايران ان القضية خرجت عن حدودها فأعلمت الخارجية . ولكن الخارجية لم تبد حراكا ، وبقي حبله على الغارب حتى شبع من اخوانه وخلانه . وسجل عباس في ذكرياته قطعة نفيسة تتعلق بهذا الامر جاء فيها :

« كنت سفيرا الى اثيوبيا (الحبشة) واليمن فمررت في طريقي مصر وهي كل املي ، او غاية ما كنت اروم في حياتي . وبعد الثورة العربية (ثورة النجف التي اوجزنا خبرها) واحكم علي بالاعدام ، حاولت ان اقيم فيها ... وسعدت بلقاء اناس طالما وعدت عيني بكحل النظر اليهم ، وقد عرفتهم بالمراسلة ، ومنهم من ضمه التراب الذي وددت ان يغشى عيني ولا يواريهم ، وقد اجتمعت بمن بقي حيا ، فسررت بقدر ما حزنت على من مات وفات ، وكانت لنا محافل انس وادب على ضفاف النيل ومحاورات ادبية ... » (هكذا عرفتهم ص ١٢٥ و ١٢٦) .

وهذه بعض ابيات من قصيدته في مصر :

فدى لك نفس الحر ان لحت يا مصر وقل الفدى بالنفس لو انصف الحر
قصدتك مثـل النسر حلق طائرا فلما بدا منك السنى وقع النسر
فوكري على هـام الثريا بفارس عدلت ثرى مصر به فهو لي وكر

قلت : وهذه الابيات للعباس ، تذكرنا بقصيدة ابي المكارم الشيخ عبد المحسن الكاظمي لما هبط مصر سنة ١٩٠٠ ، ومنها هذه الابيات :

ولمـا نقلنـا للبواخـر رحالنـا وعفنا المطايا وهي حسرى وضلع
هجمنا على جيش من الموج ضارب بزخـاره نحـو السمـا يترفـع
ولمـا تبينت السويس وسار بـي الى النيل سيار من البرق اسرع
هرعت اليه عاطفا مـن حشاشتي وقلت لصحبي هذه مصر فاهرعوا
سقى الله دارا تيم الصب نشرها واخـرى بهـا داريـة تتضـوع

ولما بلغ العباس الحبشة ولقي النجاشي سفيرا لايران نمت بينهما بسرعة لا صلات بل اواصر من الثقة الشخصية . ولا تسل عن الهدايا من هيلاسلاسي : النياشين والاوسمة والغوالي من الآثار القديمة . وقبل هذا في صنعاء عند الامام يحي حميد الدين . وفي « هكذا عرفتهم » اورد الاستاذ جعفر طوائف من المطارحات الشعرية بين العباس وصحبه من الشعراء كنا نود ان نقتبس بعضها ولكن ضاق بنا المجـال .

من هنا حتى النهاية في هذه الترجمة ، نوجز مأساة انتهاء حياته . كان يعرف العباس في طهران تاجر سجاد كبير من الارمن . وانما يعرفه مجرد معرفة دون ان تصل الى حدود المعاملات او الخبرة العملية . فجاءه هذا يوما ورجا منه ان يكفله لدى البنك كفالة واسعة اذ بيده صفقة سجاد عظيمة الارباح جدا . واخذ هذا الرجل يلح على العباس ويتوسل حتى انزلق وكفله بمبالغ ضخمة ، وبعد يومين طار هذا التاجر من طهران ، فنكب العباس بماله النكبة القاصمة للظهر . فأثرت به هذه الكارثة ، وهو كان يشكو مـن قبل من نوبات قلبية ، والابالة زادت ضغثا بوقوع خـلاف عائلي بينه وبين اسرته ، وبينما صحبه و « نادي القلم » في طهران يرتبون مهرجانا انيقا للاحتفاء باليوبيل الذهبي لعباس لانفاق اكثر من نصف قرن في الادبين العربي والفارسي ، التحق بالرفيق الاعلى في ١٠ شباط ١٩٧٢ واقيم له مأتم حافل دل على مكانته وعلو منزلته ، رحمه الله .

العوض للعرب بشقيقه الاستاذ جعفر ، وخير ما يصنع لتخليد ذكراه هو طبع ما ترجم شعرا من الشاهنامه كما تقدم . واني في الختام اشكر لاخي العلامة الاستاذ البر اديب هذه المنة بما فسح لي من مجال لاضع بين يدي قراء « الاديب » المقروء في الخافقين ، ترجمة هذا النابغة الفريد الطراز .

رأس المتن ـ لبنان **عجاج نويهض**

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذكرى الشاعر صالح جودت

قد حملناك مرة في الجوارح ... وسكبناك دمعة في المنائح
ونفضنا أكفنا منك لما ... احتوتك القبور تحت الصفائح
ورجعنا من الوداع حيارى ... ليس فينا من صفقة الموت رابح
قد توليت كالربيع المولى ... وتخليت كالشباب المبارح
عجزت (لندن) فلم تجد منها ... لمحة العلم او صفاء القرائح
واذا استحكم القضاء فما الطب بمغن ، ولا الطبيب بناجح
عشت ما بيننا كومضة برق ... ثم فارقتنا فراق النازح
شهد الله لم تكن غير حلم ... طار في صحوة النهار الجامح
ذهب الحام والكرى... واستبدت ... بالنيام الخطوب وهي غوادح
وأفقنا هنا ... فلا أنت غاد ... بين احيائنا ، ولا أنت رائح
لم يعد منك غير نفحة ذكر ... من ثناء ، وغير عطر فائح
بعد عام ونصف عام رجعنا ... نتحراك بيننا في الجوانح
لم نضيعك في الزحام ، فحاشى ... ان نضيع السيول بين الاباطح
كل شهر يمر بعدك اضحى ... وعليه من الحداد ملامح
ليس ــ والله ــ ينقصني بك حزن ... كل طير عليك في الطلح نائح
شهد الله ما نعمت بشدو ... مذ توليت او طربت لصادح
وتحاشيت أن أمر (بدار) (١) ... كنت فيها وجها من البشر طافح
فتجنبتها ... وقلت : حرام ... كل الامة بها بعد (صالح)
أوحشت وهي ذات أنس... ولكن ... كل ذكرى فيها تثير الجوارح
أيها المؤثر البيان المصفى ... لك في الشعر كل أجر المكافح
حين نافحت عن سوي القوافي ... كنت عن منهج الاصول تنافح
الجديد الذي يقولون عنه ... كجواد في حلبة الشعر جامح
شهد الله ما به من مذاق ... عربي ، ولا بيان راجح
استخفوا به فأسموه شعرا ... وهو حتى في النثر ليس بصالح
أيها الجامح النقيضين شعرا ... بين بأس العادي ولطف المسامح
أيها اللابس القميصين بردا ... بين جد التقوى ، وهزل المازح
كنت (قيس) الهوى اذا ما تغزلت و (عمرو) اللقاء بين البطائح
كنت يا صاحبي لسانا لمصر ... ان عدا حاقد ، وثرثر نابح
لك في الله ــ رغم لهوك ــ سبح ... ما عهدناه بين اهل المسابح
غفر المجد والعروبة والاسلا ... م ما قلت في الغرام الفاضح
أيها الغافر الاساءة لطفا ... من حقود ، او من عدو كاشح
ما تناسيت أننا ــ كأناس ــ ... ما خلونا من مادح او فادح
رب كف مدت اليك أذاها ... فتلقيتها بكف المصافح
غفر الله للصديق المولى ... فهو في رحمة الغفور الصافح

(١) هي دار الهلال التي كان الفقيد رئيسا لتحرير مجلتها « الهلال » ، ونائبا لرئيس مجلس ادارتها .

القاهرة — محمد عبد الغني حسن

نزار قباني

يجدد علاقته بالامة العربية بعد تشرين

بقلم سكينة الشهابي

* * *

حين دعا توفيق الحكيم الى الالتزام الحر النابع من اعماق الاديب كنا نظن ان دعوته هذه تبرير لتناوله قضايا الشعب من فوق الشعب لا من بين الشعب ، ونعينا عليه انكماشه على ذاته في برجه العاجي . ولكننا مع ذلك اقبلنا على قراءته اقبالا ، في الوقت الذي اعرضنا فيه عن قراءة ما كتب من الشعب والى الشعب اعراضا .

بعد طود امعان وطويل تأمل اعرضنا عما سماه اصحابه ادبا ملتزما لانه لم يكن نابعا من قلوبهم ومصورا لانفعالاتهم ، بل كانوا يجرون انفسهم اليه جرا، ويستوحونها قسرا ، مخضعينها لدستور نادى به الادب الهادف لا يستطيعون تجاوزه .

وعلى الرغم من انهم اخذوا مادتهم من الشعب ، وكتبوا عن الشعب ، ونطقوا بلغة الشعب ، فان الشعب اعرض عن هذا الغذاء الاصطناعي مقبلا على من نثروا ادبهم من فوق واعطونا صورة صادقة لنفوسهم وانفعالاتهم واحساسهم بما يحيط بهم ، ولكنهم لم يدعوا انهم يعكسون احساس الآخرين وينقلون تجارب الآخرين .

ولا يختلف موقف نزار القباني من قضايا الوطن وبشكل خاص بعد الخامس من حزيران — عن موقف توفيق الحكيم ، فقد التزم هو الآخر التزاما نابعا من اعماقه ، ولم يتقيد بذلك الدستور الذي ارهق الشعراء الملتزمون به انفسهم . انصرف نزار القباني عن اغنيات حبه ، وقصصه الفنية الخاصة الى قصص الوطن وقضايا الوطن ، ونقل الينا نفسه الشاعرة وهي تعيش احداث الامة ، واعترف صراحة انه بعد الخامس من حزيران ما عاد يستطيع التخلي عن مسؤولياته تجاه الوطن ، اخذ منذ ذلك الحين يخص امته بشعره متوجها نحوها بقبلاته تارة وبسياطه تارة اخرى ، مخالفا بذلك مبدأ من اهم المبادىء التي نادى بها الادب الهادف .

وكانت مواقفه الساخرة الغاضبة اضعاف مواقفه الراضية الهادئة . وعلى الرغم من ايماننا بأن ما يكتبه لم يكن مصباحا للامة بل عصا مرعبة لاهبة ، كنا نقرأ شعره ، يقرأه من يحب نزار ، ويقرأه من يمقت نزار ، لان الجميع لا يختلفون في انه يستحق القراءة .

وبينما كانت السياط تدمي جسم الامة العربية ونزار القباني يعلو بها ويهبط حصلت معجزة تشرين فجمدت العصا في يده وهو يستعرض موكب امة تريد الحياة . وبعد فترة من الصمت امضاها الشاعر وهو يفرك عينيه ، يريد ان يتأكد من انه ليس في حلم ، هدرت شاعريته بقصيدة فريدة اسماها « ملاحظات في زمن الحب والحرب » ، تخلى فيها عن كل تشاؤمه وتجاوز احزانه الخاصة لفقد ولده واقبل على امته بوجه طلق يسكب بين يديها حبه كله ويحيطها بقلبه كله ، ويغفر وجهه امامها طالبا منها ان تغفر له ذنوبا كثيرة دفعه الى اقترافها حبه الشديد وعطفه اللامتناهي . انه كان كالمداوي حبيبه يسقيه الدواء المر لما يعلم من نفعه له .

ان هذه الامة التي اخذها من تلابيبها في الماضي وصفعها صفعا شديدا لم تكن تستحق هذا الصفع ، ولكنها تحتاج الى العطف والرعاية . فالحوادث كشفت له عن وجه امته الاصيل الناصع البياض ، وفي هذه الحالة ما عليه الا ان يجدد علاقته بمن يحب وان يفتح صدره ليغمر امته العربية بعطفه وحنانه ، ويستغفرها ذنبا اقر على نفسه به .

ولئن كان الحزن قد اصمت نزار القباني قبل تشرين بقليل واذابت فؤاده لوعة الاب الثاكل فان شاعريته تهدر مرة اخرى متدفقة ولكن في غير مجراها القديم ، لان الطريق قد تغير حين تفجر بركان المعركة ، فكشف لنا عن وجه الشاعر الراضي الذي يحب امته حبا شديدا ، يحبها لا كما كان يحب صويحباته في الماضي ، ينقل قلبه من واحدة الى اخرى ، لان امته واحدة ، وهو في حبه لا يحاول العبث واللهو .. المحبوبة الآن امة بدت له بصورة امراة عربية تلخص لنا صور غرامه الماضي كله .

نزار القباني في قصيدته « ملاحظات في زمن الحب والحرب » يقف متعبدا في هيكل الحب وسرعان ما يغرق حتى اذنيه مع من يحب حتى يكاد القارىء يظن انه يحدثه عن حب جديد لولا صورة الوطن التي تزاحم وجه المراة وتطغى على مفاتنها وتنصهر في اعضائها :

الاحظت
كيف اكتشفنا طفولتنا بعد ست سنين
وكيف رجعنا اخيرا ..
لملكة العشق والعاشقين ..
احسست مثلي ،
بأن رجال المظلات كانوا ..
يحطون مثل الحمام على راحتينا ..
وأن جنود المغاوير كانوا ،
يمرون فوق عروق يدينا ..
الاحظت

كيف نثرنا عليهم ،
عقود البنفسج والياسمين ..
وكيف ركضنا اليهم ..
وكيف انحنينا
امام بنادقهم خاشعين ..

هذا الاحساس القوي بالمعركة عبر به من جسر الحب الضيق الى جسر الحب الواسع ، فغامت صورة التجربة الذاتية لتحل محلها تجربة امة . وانزاحت خريطة المراة لتستقر بدلا منها خريطة الوطن بشكله الزاهي الطلق ، كما استطاع الشاعر ان يراه :

تركت عصور انحطاطي
ورائي
تركت عصور الجفاف
وجئت على فرس الريح ، والكبرياء ..
لكي اشتري لك ثوب الزفاف .
تصيرين في زمن الحرب
مصقولة كالمرايا
ومسحوبة كالزرافة
وبين يدينا
تذوب الحدود وتلغى المسافة

هذا ما اثبتته التجارب والواقع القومي ، معركة الامة العربية واحدة ، ومصيرها واحد ، ولهذا فانها تخوض الحرب مجتمعة ، وتزحف الى المعركة بجيش متلاحق متلاحم ، تفتح امامه الطريق عريضة سهلة ، وتلغى في سبيل تقدمه في المعركة كل الحواجز والحدود . هذا ما عبر عنه في المقطع الماضي بصورة رمزية ، وما يعبر عنه بشكل واضح في قوله :

قرأت خرائط جسمك في كتبي المدرسية
ولا زلت احفظ اسماء كل النهور
واشكال كل الصخور
وعادات كل البوادي
ولا زلت احفظ اعمال كل
الجياد ...
فكيف افرق بين حرارة جسمك
أنت ...
وبين حرارة ارض بلادي ؟

الوطن المعشوقة والمعشوقة الوطن ، والامة المعشوقة ، والمعشوقة الامة .. هذا ما اراده نزار القباني بعد ان قفز بمجراه ، وبعد ان تغلب على احزانه الفردية لان هذه الاحزان جزء من احزان الوطن فكيف يظل حزينا وبلاده تسير من نصر الى نصر ! لا عجب اذا ان يشتري لها ثوب الزفاف ويعيش في رحابها نشوة لا تعد لها نشوة . ربما نعم بالحب ، ولكن حبه الآن جزء من سعادة امته وكبريائها ، كما انه جزء من طبيعتها الجميلة الساحرة :

الاحظت ؟
كيف تغير ايقاع صوتك
حتى تصورت صوتك ينبوع ماء
وزهرة دفلى على جبهة المجدلية
الاحظت انك صرت دمشق ..
بكل بيارقها الاموية
ومصر بكل مساجدها الفاطمية
وصرت الكتابة والابجدية

وعلى الرغم من ان نزار القباني قد انزل اسمه في قائمة الشعراء الملتزمين منذ حرب حزيران فان هذه اول قصيدة يقولها مطبوعة بطابع الالتزام الايجابي . لانه اصبح في هذه القصيدة جزءا من الوطن واصبح الوطن جزءا منه ، وتخلى عن صورته القديمة ، صورة الشاعر الناقم الساخط الذي يريد ان يدمر كل شيء ويحرق كل شيء . غدا الآن متفائلا بعد معركة تشرين وادار ظهره لحزيران الاسود فما عاد يراه ، ولم يعد يقسو على امته تلك القسوة التي عرفناها فيما اسماه في الماضي شعرا ملتزما . لقد عاد نزار القباني الى امته ليجدد علاقته بها ، عاد يلتمس منها الصفح عن شعره القديم واخطائه الماضية . عاد ليقف امامها وقفة خاشعة متضرعة :

فهل تسمحين بتقبيل جبهتك العالية
وهل تسمحين بنسيان وجهي القديم
وشعري القديم ..
ونسيان اخطائي الماضية .

هذا هو التحول الخطير في ذات نزار من الشاعر الرومنسي الغاضب الى الشاعر الملتزم الهادىء . نعم ، لقد اصبح الآن ملتزما بكل ما في كلمة الالتزام من معنى ، بعد ان انصهر هذا الانصهار الصوفي في امته :

احبك ..
تحت الغبار وتحت الدمار
وتحت الخرائب
احبك اكثر من اي يوم مضى
لانك اصبحت حبي المحارب

وليس هذا فقط ، فان نزار القباني يؤكد للناس انه لم يعد شاعرا رومنسيا يحلم بالدعة والاطمئنان تحت ضوء القمر الابيض لم يعد يسعى وراء الاوهام البعيدة والاحلام المجنحة ، لقد نزل الى الشعب شأنه شأن اي شاعر ملتزم :

واعلن للناس اني أعارض
ضوء القمر
واكره ضوء القمر

وهذا يعني انه ادرك بحق دور الشاعر الايجابي في خدمة امته المناضلة ، ورفض كل ما يحول بينه وبين القيام بهذا الواجب ، ضاربا الصفح عن كثير من تجاربه الفنية السابقة .

وشيء رائع حقا ان يسهم نزار القباني في حمل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المسؤولية ، وان يتراجع عن موقفه السلبي من امته المناضلة .

واذا كنا صفقنا لنزار القباني في قصيدته هذه حتى كادت تلتهب اكفنا من التصفيق فان هذا لا يمنعنا من ان نعترف بأن مادية الشاعر في غزله المكشوف كادت في بعض المواقف ان تقلص سمو القومية في القصيدة ، فهذه الاباحية في استعمال الفاظ الغزل لا يستطيع التخلي عنها مهما كان الموضوع ومهما كانت المناسبة .

ان قارىء ملاحظات نزار يلمس جانبا من هذه الاباحية يتسرب من مزجه بين الوطن والمحبوبة ، والذي راينا ما يشبهه عند محمود درويش وبشكل خاص في ديوانه « عاشق من فلسطين » فهل نقول ان الاستاذ يقترب الآن من التلميذ ليغترف من بحره شيئا ، ليعب من اصالته القومية ؟

لا مانع في هذا بعد ان اصبح للتلميذ مدار مستقل وغدت تسبح من حوله الافلاك . لقد غذى نزار القباني محمود درويش في طفولته الفنية فكان يمده باللفظة والصورة ، ويطغى على اسلوبه الفني فلا يستطيع الافلات منه .

اما الآن فقد غدت المسألة مسألة اخذ وعطاء بين شاعرين كبيرين لكل منهما طابعه الخاص ومذاقه الخاص .

ومهما يكن من امر فقد استطاع نزار القباني — في هذه القصيدة — بأصالة الشاعر المبدع ان يكون مع وطنه علاقة جديدة تقربه من شاطىء الالتزام .

وتعود ذكرى تشرين ويعود نزار ليغرد في دمشق ، ولدمشق ، ليغرد للبطولة وللامجاد ، وليكشف النقاب عن متاهات مظلمة بدات تحيط بنفسه وتغمر كيانه . وكان صوته في تشرين الذكرى مشبها صوته في تشرين المعركة لتشابه الاساس الفكري والخيالي الذي انطلق منه في كلتا القصيدتين غير ان مذاق «ملاحظات في زمن الحب والحرب» غير مذاق « ترصيع بالقلم على سيف دمشق » لان الشاعر ترك كآبته في الاولى ولم يستطع ان يتخلى عنها كلها في الثانية ، ونستطيع ان نقول ان شبح هذه الكآبة ظل يطاردنا حتى منتصف القصيدة ثم بدا بالتلاشي .

وهذا يعني ان الايحاء المنبعث من كل من القصيدتين قد اختلف على الرغم من تشابه الصورة العامة ، فدمشق غدت في تشرين الذكرى عروسا جميلة يهواها الشاعر ويقدم لها صورا من حبه وكانت في العام الماضي أمته العربية كلها امراة جميلة جددت علاقته بها معركة تشرين ، الامة العربية كلها ارتدت ملابس الزفاف لنزار القباني ، وجاءت دمشق الآن لترتدي هذه الملابس كما يشاء شاعرنا :

وضعي طرحة العروس لاجلي ان مهر المناضلات ثمين

في ملاحظاته كنا نسمع نجوى الوطن وهنا نجوى دمشق مسقط الرأس فيض من فتات الحياة التي تعصف بذكرى الماضي ، وما يوحي به هذا الماضي من حياة صاخبة ملونة عاشها الشاعر :

يا سريري ويا شراشف أمي يا عصافير .. يا شذا .. يا غصون

ان لون قصيدة اليوم يختلف عن لون قصيدة الامس .. ففي ملاحظات العام الماضي لم نلمح اثرا ليأس قاتم يعتصر نفس الشاعر ، اما هنا فاليأس القاتم في اول القصيدة يلف ذاته ويستولي على كيانه والذي يبدو لنا ان شيخوخة مفاجئة داهمت الشاعر ، لم يكن يحسب لها حسابا . وزاد احساسه بهذه الشيخوخة في دمشق وهو يلتقي بذكريات شبابه الماضي :

ما وقوفي على الديار وقلبي كجبيى قد طرزته الغضون
يا زمانا في الصالحية سمحا أين مني الغوى وأين الفتون
يا زواريب حارتي خبئيني بين جفنيك فالزمان ضنين

ان الزمان لا يعود ولا تستطيع زواريب حارته ان تخفف ما به من لوعة ، لكن صور الحياة الجميلة الماضية حين تمتزج بالطبيعة تستطيع ان تجن الشاعر . تستطيع ان تصعد عواطفه فيحس كأنه غدا جزءا من الطبيعة ، بل ربما بدا ممتزجا بها امتزاجا رومنسيا يفوق كل ما عرف الرومنسيون من صور الذوبان :

يا دمشق .. التي تقمصت فيها هل أنا السرو .. أم أنا الشربين
أم أنا الفل في أباريق أمي أم أنا العشب والسحاب الهتون
أم أنا القطة الاليفة في الدا ر تلبي اذا دعاها الحنين

واذا كانت الرومنسية قد امسكت الشاعر من يديه وحاولت ان تنسيه همومه وتسليه عن احزانه فان الواقعية الجديدة هي الاخرى تسعى نحوه مسرعة تحاول ان تغطي آخر آثار هذه الكآبة فتذكره بعهد قطعه على نفسه بعد الخامس من حزيران ، هذا العهد الذي وهب فيه الشاعر نفسه للوطن واستعاض عن برجه العاجي بخيمة ينصبها فوق قمم جباله الشامخة .

وحيال هذا ما عليه الآن الا ان يصعد من دمشق الطبيعة الى دمشق الامجاد . وهذا الصعود لن يغير في اللوحة الفنية الا تغييرا خفيفا لان صورة الحبيبة ستظل ماثلة في دمشق :

يا دمشق التي نفشي شذاها تحت جلدي كانه الزيزفون

وبعد ان كان مقرورا متفردا يقبل على قاسيون طالبا منه ان يحتضنه كما تحتضن الام طفلها لتشعره بالحنان والدفء والطمأنينة :

قادم من مدائن الريح وحدي فاحتضني كالطفل يا قاسيون
احتضني .. ولا تناقش جنوني ذروة العقل .. يا حبيبي الجنون

يأخذ في غمرة النشوة التي يحس بها في حضن امه الطبيعة . يحكي لنا قصة الرحلة الفنية التي قام بها منذ الخامس من حزيران حتى السادس من تشرين .. سبع سنوات اجتازها تخلى فيها عن هواه وحبه الفردي واتجه الى الوطن يعيش الاحداث ويسلط اضواءه الكاشفة على مشاكل الامة ويشعل نار ثورته ليحرق الاعشاب الضارة المؤذية .

في هذه السنوات السبع كان غاضبا على امته

ساخطا على وطنه ، يصب نقمته على كل ما حوله :

سنوات سبع من الحزن مرت مات فيها الصفصاف والزيتون
سنوات فيها استقلت من الحب وجفت على شفاهي اللحون
سنوات سبع بها اغتالنا اليأ س وعلم الكلام .. واليانسون
كيف اهواك .. حين حول سريري يتمشى اليهود والطاعون

وحين جاء تشرين استعاد الوطن جماله في نظر الشاعر واستعاد هو حبه في شخص دمشق . .بخور سحري صعد في نفسه الحب فغدا يحب الوطن ويعيش جماله ، واصبحت دمشق مسقط الرأس ، ورمز البطولة ، امراة جميلة يحبها الشاعر وتحبه ، عكس عليها أمانيه وأحلامه فبدت عروسا تزهو بحلة قشيبة من نسيج خيال الشاعر ، لاجل الشاعر :

شام .. يا شام يا اميرة حبي كيف ينسى غرامه المجنون
جاء تشرين ان وجهك احلى بكثير .. ما سره تشرين
يا دمشق البسي دموعي سوارا وتمني .. فكل شيء يهون
وضعي طرحة العروس لأجلي ان مهر المناضلات ثمين

ومنذ تتراءى للشاعر صورة تشرين تنزاح من امامه سحب الكآبة القاتمة وتحل محلها صور الامجاد ، وتتدافع كوى الماضي فيطل عمرو بن العاص ، ويطل المأمون ويرتدي الشاعر حلة عربية تقليدية ليستقبل وفود الماضي وليغني النصر كما غنى من قبله جده ابو تمام ، وربما حلت روح الشاعر الجد بالشاعر الابن فاختلطت امامنا صور النصر واشبهت نقوش الماضي نقوش الحاضر :

صدق السيف وعده .. يا بلادي فالسياسات كلها أفيون
صدق السيف حاكما وحكيما وحده السيف يا دمشق اليقين

ولا اظن الشاعر في البيت الثاني هنا خرج قيد انملة عما قاله ابو تمام في مطلع قصيدته « فتح عمورية » . وليس هذا من القديم فقط . لقد اراد الشاعر ان يحشد للمجد كل شيء قديم : السيوف ، والتنين الذي قلع اضراسه قدموس بن ملك صيدون — كما تقول الاسطورة اليونانية — والعنقاء ، ذلك الحيوان الخرافي الذي لا يستطيع احد قتله ، والسبع العجاف التي تحدث عنها القرآن في قصة يوسف .

كل هذه الاشياء اراد ان يحقق بها غرضين : ان يشعرنا بروعة النصر من جهة ، وان يؤكد لنا ان الامجاد متعاقبة متصلة من جهة ثانية .

ولا يظنن ظان ان نزار القباني تحول الى شاعر اتباعي ، وانه سيهجر قاموسه العصري متلفتا الى القديم يطوف حول كعبته ويختلس بعض ثماره .. ان شيئا من هذا لن يحدث لان الجديد اصل في الشاعر وهو لا يفتأ يطل برأسه لا ليسجل عجزا عليه ولكن ليؤكد مقدرته الفنية وليثبت لنا انه عرف كيف ينسج بردة لدمشق فيها جلال الماضي وعذوبة الحاضر ، عرف كيف يذوب عاطفته ليلف بها دمشق فتختال ساحرة بقديمها وجديدها :

كتب الله ان تكوني دمشقا بك يبدأ .. وينتهي التكوين
هزم الروم بعد سبع عجاف وتعافى وجداننا المطعون
وقتلنا العنقاء في جبل الشيخ وألقى أضراسه التنين
علمينا فقه العروبة يا شا م فانت البيان والتبيين
علمينا التفكير .. لا نصر يرجى حينما الشعب كله سردين

والحقيقة ان الواقعية الجديدة وصلت ذروتها عند الشاعر في آخر القصيدة حين حدثنا عن حتمية التاريخ التي تفعل فعلها لتعيد الحق الى نصابه . ان منطق التاريخ سيستلم زمام المبادرة وسيستعيد شعب اصيل امجاده هذا الشعب الذي لم يعرف في تاريخه سكوتا على ضيم ووضعا للحق في غير مكانه الطبيعي هل سيظل مطأطىء الرأس ! ان الارض التي انجبت ابطال الماضي ستنجب ابطال المستقبل . ان ارضنا الخصبة لا تجود بالثمار فقط ، انها تثمر الرجال . وما دمنا جزءا من الطبيعة فستجود الارض في المستقبل كما جادت في الماضي وستعطي كما اعطت . ويحتل ابن الشام مكانه الطبيعي تحت الشمس :

ان نهر التاريخ ينبع في الشام أيلفي التاريخ طرح هجين
نحن اصل الاشياء لا « فورد » باق فوق ايوانه ولا « رابين »
كل ليمونة ستنجب طفلا ومحال ان ينتهي الليمون

ان قصيدة نزار القباني هذه تبرز لنا خلاصة النضج الفني والتجديد الاصيل يلفه رداء شفاف من القديم قوامه البحر والقافية وشيء من البقع الفنية القديمة انها كابنة العصر الفاتنة ترتدي الملابس البدوية لتزيد جمالها جمالا وسحرها سحرا .

وكأني به اراد ان يثبت للشعراء المجددين ان التجديد الحق ما كان يستمد غذاءه من القديم .

او انه اراد لقصيدته ان تكون خالدة ولم يشأ لها ان تدخل موكب الخلود الا بقالب قديم وشيء من المنهج القديم ، اذ كيف يرصع سيف دمشق القديم شعر تمرد على البحر وتجاوز حدود القافية . وربما هزت الشاعر نشوة الماضي ، وتحركت به رواسب اللاشعور فامتزجت في نفسه اصالة القديم بروعة الجديد . وكان نتاج ذلك نقشا عربيا يلائم ذوق العصر ويضم تراث الاجداد .

انها معجزة الفن ان يضم المنهج العربي الاتباعي اغنية لدمشق تتلاقى فيها الرومنسية والواقعية الجديدة والكلاسيكية ، تصهر هذه المذاهب الثلاثة تجربة حية عاشها الشاعر الكبير نزار القباني .

لقد استطاع نزار القباني ان يقيم مع الوطن علاقة ايجابية جديدة بعد تشرين قوامها الحب والرضا والامل والتفاؤل ، كان ذلك بعد ان رأى تضحيات شعبه وصموده امام جحافل الطغيان .. زايله الآن شعور الغضب ، والقى جانبا عصا المربي القديم وتخلى عن نزعته السلبية لانه عرف انه من أمة حية تستعصي على الفناء ، لان في جذورها عناصر التجديد .

دمشق — سكينة الشهابي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المتـــــــن

« يا متن » عدت وما جهلت الدارا ... فلأنت كنت ومـا تـزال منـارا
أنا ما نسيتك لا ولا اهلي نسوا ... يسرا أكـان الدهـر ام اعسارا
لـم تحجب الينبوع عنـا غربة ... جلبت لسـيرة فارضيها العـارا
ظـل الحنـين يهزنـي ويشدني ... عمـرا حسبت شهوره أعمـارا
عام وبعض العام ثـم تكون لي ... نعـم المقر وقبـل كنت مـزارا

«يا متن» انت المتن في صحف القرى ... ورأيت غـيرك هامشا واطـارا
الارض ميـدان الرهان جميعهـا ... وربـاك خيـل عمالـق تتبارى
عمـد السماء صنوبراتك عانقت ... سحب النـدى وتحدت الاعصارا
شمخت كمثل طموح اهلك واستوت ... جبـارة توحـي العـلا الجبارا
أنا ما شممت عبير ارضك واحتوت ... روحي شـذا اعماقها المعطـارا
الا رأيـت زنود اجدادي وقـد ... غرست بقلب صخورك الاشجارا
وحمتك مـن كـل الغزاة بهمة ... عربـاء تأبـى ذلـة وصغـارا
نسجت حريـرك للمناكب مثلمـا ... ضفرت لجبهات الفخـار الغارا
حتى اذا مـا العلم آن اوانـه ... اطلعـت في افلاكـه اقمـارا
لـم تخل منهم ساحة في ارضنا ... تخذوا الدنـى لنشاطهم مضمارا
لـم يقبلوا وسطى المنازل انمـا ... جعلوا النبوغ لمـا ابتغوا معيارا

او ذاكر « يا متن » ليلـة أنسنا ... بالأمس حين بـدا الظلام نهارا
وتألقـت بالحسن أسراب الظبـا ... والبـدر يسكب نـوره مـدرارا
والفرحة الكبرى تشـع كأنهـا ... ألـق بأعمـاق النفوس أنـارا
والناس بالحـب الصحيح تحدثوا ... ونسوا صغائـر فتنـة وصغارا
والعلم يرفعهم الى أعلى الذرى ... وهنـاك كـل فـوارق تتوارى
حتـى شعرت كأننـي في جنـة ... ورأيت حولـي العتـرة الاطهارا
والمـاء كوثرنـا تـدار كؤوسه ... والارض قـد فرشت لنا ازهارا

لبنان كيف تعيش فيـك ضغينة ... رعنـاء حولـت العمار دمـارا
والحـب أنـت معينـه ومقـره ... امـا سواك أبى لـه استقرارا
هـذا الجمال تشيع فيك جذوره ... يوحـي السلام ولا يطيق بوارا
مذ كنت كان العدل فيك أصالة ... لا ترتضـي الاذلال والاقفـارا
كـم وثبـة جبـارة نبتت هنـا ... من اجل ان يغدو الورى احرارا
كـم شعلـة وهاجـة أوقدتهـا ... صـارت لكـل العالمـين منـارا
أنـت العروبة مـن قديم زمانها ... والابجديـة شاهـد مـا مـارى
فالباء مـن بيت الاعارب قطعـة ... والجيم عنـق جمالهـم مـوارا
والعين عينهم التـي تأبـى الكرى ... مـا دام في الدنيا ظلـوم جارا
لـم نختلف يومـا على امجادنا ... فلنمـلأ المستقبـل استبشـارا
ولتلتئـم هـذي الجراح فانهـا ... عار فهـل يرضى الاكارم عـارا

أنـا لا أحس بغربتـي الا اذا ... صـارت ديـاري للمذلـة دارا
واذا طغى فيهـا اللئام وشوهوا ... وعـدوا علـى حرماتها فجـارا
وتراجـع الانسـان في انسانهـا ... واإرحش صـال مزمجرا هـدارا

دمشق — سعيد ابو الحسن



محمد العدناني

عـثرات الادباء

بقلم محمد العدناني

* * *

أدى اليه حقه

ويقولون : أدى فلانا حقه ، والصواب : أدى الى فلان حقه ، اي : سلمه اليه . راجع الآية ٥٨ من سورة النساء .

وممن ذكر ايضا جملة (أدى اليه حقه) : مفردات الراغب الاصفهاني ، ومعجم مقاييس اللغة ، واللسان ، والمصباح ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

قراءة التواريخ وقراءة الاعداد

يؤرخ العرب بالليالي ، لسبقها في حسابهم ، اذ الشهور المعتمدة عندهم قمرية ، واول الشهر القمري ليلة ، وآخره نهار ، فاذا انتهت الليلة الاولى من الشهر ، قالوا : كتبت لليلة خلت ، ثم لليلتين خلتا ، ثم لثلاث خلون ، الى ان تنتهي عشر ليال ، ثم يقول : لاحدى عشرة خلت ، او لثلاث عشرة ، الى ان تجيء ليلة نصف الشهر ، فيقول : كتبت للنصف من شهر كذا . ويصح ان يقول : لخمس عشرة خلت ، او بقيت ، والاول اعلى واكثر شيوعا على السنة الفصحاء .

ثم يقول في اليوم السادس عشر : لاربع عشرة ليلة بقيت ، الى اول العشرين ، فيقول : لعشر بقين ، او لتسع بقين من شهر كذا ، وهكذا الى ان تبقى ليلة واحدة ، فيقول : لليلة بقيت ، فان مضت وبقي نهار اليوم الاخير ، يقول : كتبت لآخر يوم منه . واذا قال : لآخر ليلة منه او آخر يوم منه ، دل هذا على ان الشهر القمري كامل (ثلاثون يومـــا) .

ويصح وضع تاء التأنيث مكان نون النسوة ، والعكس في كل موضع يراد فيه التحدث عن عدد مدلوله جمع لا يعقـــل .

وعندما يقرأون السنوات والاعداد الكبيرة ، يرون ان قراءتها من اليمين الى اليسار افصح ، فيقولون : ولد غالب في الثامن من آذار عام خمسة وسبعين وتسعمئة والف ، وعندي ثلاث وتسعون وخمسمئة والف ابرة .

هذه هي خلاصة آراء النحاة عامة ، وآراء اصحاب النحو الواضح والنحو الوافي خاصة .

وانا ارى ان الافصح هو ما اعتدناه من قراءة الاعداد والتاريخ من اليسار الى اليمين ، ما دام ذلك قد سمح لنا به ، وما دام العرب كافة ، من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي ، يقرأونها من اليسار الى اليمين ، فيقولون : ولد غالب في الثامن من آذار ، عام الف وتسعمئة وخمسة وسبعين ، وعندي الف وخمسمئة وثلاث وتسعون ابرة . علينا ان نستعمل الصحيح المألوف ، ونجتنب استعمال الصحيح غير المألوف ، وان اجمع النحاة واللغويون على انه الافصح .

الأرومة والأرومة (بفتح الهمزة وضمها) ، والأروم (بفتح الهمزة)

ويخطئون من يسمي اصل كـل شيء ومجتمعه : ارومة (بضم الهمزة) ، ويقولون ان الصواب هـــو : ارومة (بفتح الهمزة) ، اعتمادا على قول النهاية : [وفي حديث عمير بن افصى : « انا من العرب في أرومة (بفتح الهمزة) بنائها » . وقد تكرر في الحديث] . وعلى قول بشار بن برد :

كرمت أرومته ، وأشرق وجهـه وصفـت خلائقـه مـن الاكـدار

وعلى قول ابي الطمحان (شرح الحماسة للمرزوقي صفحة ١٥٩٨) :

فـان بني لأم بـن عمرو أرومة سمت فوق صعب لا تنال مراقبه

وعلى الفاظ ابن السكيت (باب الاصل والكرم) ، والالفاظ الكتابية (باب في كرم المحتد والاصل) ، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ، والتهذيب ، والحريري في المقامـة الاسكندرانية ، والمعجم الوسيط . وجميعها فتحت همزة (الأرومة) .

ولكـــن :

أجاز فتح الهمزة وضمها كليهما كل من اللسان والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وذكر التاج ، والمد ، والمعجم الكبير ان ضم همزة (أرومة) لغة تميمية .

وأخطأ اللسان حين قال ان اللغة التميمية هي فتح الهمزة لا ضمها .

واكتفى الاساس بذكر الأرومة (بضم الهمزة) ، وأخطأ المعجم الكبير حين نقلها عنه مفتوحة الهمزة .

وهنالك كلمة ثالثة تحمل معنى الأرومة هي : الأروم (بفتح الهمزة) : الصحاح ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

قال عمير بن شييم القطامي :

بنى لك عامر وبنو كلاب أروما ما يوازنه أروم

بفتح الهمزة .

وتجمع الأرومة (بفتح الهمزة وضمها) على أروم (بضم الهمزة) . قال زهير بن ابي سلمى :

له في الذاهبين أروم صدق وكان لكل ذي حسب أروم

وقال جرير يمدح هشام بن عبد الملك :

ومن قيس سما بك فرع نبع على علياء خالدة الأروم

بضم الهمزة في البيتين .

اشترى ازارا جديدا او ازارا جديدة

ويخطئون من يقول : اشترى ازارا جديدة ، ويقولون ان الصواب هو : اشترى ازارا جديدا ، لأن الازار مذكر ، اعتمادا على :

(أ) قول الراغب الاصفهاني في مفرداته : (الازار الذي هو اللباس) .

(ب) وقول الحريري في المقامة الشتوية :

وكم ازار لو ان الدهر أتلفه لجف لبد حثيث السير مضطرب

(جفاف اللبد كناية عن الاقامة والكف عن الارتحال . والسير الحثيث : السريع) .

ولكن :

اجاز تذكير (الازار) وتأنيثه كل من اللحياني ، وادب الكاتب (في باب ما يذكر ويؤنث) ، والصحاح ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس (ويؤنث) ، والتاج (ويؤنث) ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

قال المعجم الكبير : يؤنث الازار في لغة هذيل . اما قول القاموس والتاج : « ويؤنث » فيعني ان التذكير هو الاعلى والاصل .

والازر (بكسر الهمزة) والمئزر ، والمئزرة (عن اللحياني) ، والازارة ايضا تعني الازار .

ويجمع الازار على :

(١) أزر (بضمتين) : لغة الحجاز ، والصحاح ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

(٢) وآزرة (بمد فكسر) : الصحاح ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

(٣) وأزر (بضم فسكون) : لغة بني تميم ، واللسان (تميمية) ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، والمتن ، والمعجم الكبير .

ومن معاني الازار :

(أ) الملحفة ، وهي اللباس الذي فوق سائر الثياب .

(ب) كل ما واراك وسترك .

(ج) الرأي يعلق به في اسفل الكتاب والرسالة ، ويقال له : توقيع .

(د) جر ازاره بطرا : تكبر . وفي الحديث : « لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا » .

(هـ) شد ازاره : اذا تهيأ للامر واستعد .

(و) باهر عفيف الازار ، وحفظ ازاره : عف .

(ز) حل ازاره : عهر .

(ح) ازار الحائط : ما يلصق به بأسفله للتقوية ، او الصيانة او الزينة (مجمع اللغة العربية بالقاهرة) .

الاسكيمو

الشعب المغولي السحنة ، الذي يقطن المناطق القطبية وشبه القطبية من امريكا الشمالية ، يطلقون عليه اسم الأسكيمو (بفتح الهمزة) والصواب (بكسرها) ، كما جاء في المعجم الكبير ، والطبعة الثانية من المعجم الوسيط اللذين اصدرهما مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وكما يرى عدنان الخطيب نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق .

اما الموسوعة الذهنية فقد ذكرت الاسكيمو دون همزة ، ودون ضبط بالشكل .

والاسكيمو كلمة دخيلة ، وعلينا وضع كل كلمة دخيلة في اطارها الخاص بها ، منعا للفوضى ، لاننا مضطرون الى اقحام كلمات دخيلة كثيرة في لغتنا الخالدة ، وأمتنا تقتحم مجاهل العلم والحضارة الحديثة المتطورة اليوم .

قتل العدو المرأة الأسير قتل العدو الأسيرة

ويقولون : قتل العدو المرأة الأسيرة ، والصواب :

(أ) قتل العدو المرأة الأسير .

(ب) او قتل العدو الأسيرة .

لأن فعيلا بمعنى المفعول لا يستوي فيه المذكر والمؤنث الا اذا كان الموصوف غير مذكور .

البابونج (بفتح النون)

هنالك جنس معرب من النباتات العشبية ، من فصيلة المركبات ، يستعمل في الصباغة او التداوي ، يطلقون عليه اسم : البابونج (بكسر النون) ، والصواب هو بفتحها كما يقول التاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، والوسيط .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويقول المد ومحيط المحيط ان اصل الكلمة الفارسي هو : بابونه . ويقول محيط المحيط ايضا : او : بابونك (بفتح النون) .

ويقول التاج ان اسمه في اليمن هو : مؤنس (بكسر النون) .

ويقول ابن البيطار في مفرداته والمد ان عربية هو : الأقحوان (بضم الهمزة) ، او زهر الأقحوان كما يقول المد .

وابن البيطار والمتن لا يضبطان (البابونج) بالشكل .

وقد عثر اقرب الموارد حين قال ان اسمه هو : البابونج (بكسر النون) .

الباذنجان

الباذنجان (بفتح الذال وكسرها) ، الأنب (بفتح النون) ، المغد (بفتح فسكون) ، المغد (بفتحتين) ، الوغد (بفتح فسكون) ، الحدق (بفتحتين) ، الحيصل (وزان فيصل) .

ويطئون من يطلق على النبات ذي الثمر الاسود او الابيض ، والمستطيل او المكور ، اسم الباذنجان (بفتح الذال وكسرها) ، لانها كلمة فارسية معربة ، ويقولون ان الصواب هو الكلمات العربية الآتية :

(١) الأنب (بفتحتين) وواحدته أنبة (بفتحتين) : ابو حنيفة الدينوري ، ومفردات ابن البيطار ، واللسان ، والمصباح (في مادة باذنجان في الهامش) ، والقاموس ، وشفاء الغليل ، والتاج ، والمد (في مادة باذنجان) ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

(٢) والمغد (بفتح فسكون) : مفردات ابن البيطار ، واللسان ، والقاموس ، وشفاء الغليل ، والتاج ، والمد (في مادة باذنجان) ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

(٣) والمغد (بفتحتين) : اللسان ، والقاموس ، وشفاء الغليل ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن .

(٤) والحدق (بفتحتين) : ابن الاعرابي ، والازهري ، ومفردات ابن البيطار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد (في مادة باذنجان) ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن (مجاز) .

(٥) والوغد (بفتح فسكون) : مفردات ابن البيطار ، واللسان ، والقاموس ، وشفاء الغليل ، والتاج ، والمد (في مادة باذنجان) ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

(٦) والحيصل (بفتح فسكون) : القاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن .

ولكن :

ورد ذكر الباذنجان (بكسر الذال) او الباذنجان (بفتحها) ، او كليهما في مفردات ابن البيطار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس (في مادة أنب ، ومغد ، ووغد ، وحدق ، وحاضل) ، وشفاء الغليل ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط (في مادة انب) ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

والباذنجان ، وان كان كلمة فارسية معربة ، هو كلمة ورد ذكرها في عدد كبير من المعجمات والمصادر العربية ، ولا يعرف المئة وخمسون مليون عربي — على ما أرجح — اسما سواه .

ولما كانت لدينا مئات من الكلمات المعربة ، التي احياها الاستعمال ، نتفوه بها بدلا من الكلمات العربية التي أماتها الاهمال ، كالخيار بدلا من القثد (بفتح ففتح) ، والياسمين بدلا من السجلاط (بكسر فكسر فتضعيف) ، فانني ارى ان نهمل الكلمات العربية ، ونستعمل الكلمات المعربة الدخيلة ، لاننا نأبى ان ننفر الناس من لغتنا العربية المحبوبة ، التي علينا ان نعمل جميعا على ازالة الاشواك القليلة من رياضها الحافلة بالورد الفواح .

الببغـــاء

الببغاء (بفتح فسكون) ، والببغاء (بفتح فباء مضعفة مفتوحة) ، والببغاوات (بفتح فسكون) ، والببغاوات (بفتح فباء مضعفة مفتوحة) .

ويختلفون في اسم الطائر الناطق وفي جمعه ، وهو طائر من الفصيلة الببغاوية ، يطلق على الذكر والانثى . وهو يتميز بمنقار معقوص ، واربع اصابع في كل رجل ، وله لسان لحمي غليظ ، ومن اشهر اوصافه انه يحاكي كلام الناس .

فالمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط تقول انه الببغاء (بفتح فسكون) .

ويقال ايضا انه الببغاء (بفتح فباء مضعفة مفتوحة) : القاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، واحمد شوقي القائل :

يا لـه مـن ببغـاء عقلـه في اذنيـه

وبادجر ، والمتن ، والوسيط .

ويقول اقرب الموارد وبادجر انه الببغاء (بفتح ففتح) ايضا . ويقول محيط المحيط انه يسمى الببغا (بفتح ففتح) والببغاة (بفتح ففتح) ايضا .

ويقول المتن ان كلمة (الببغاء) هندية دخيلة .

وتجمع الببغاء (بفتح فسكون) على ببغاوات (بفتح فسكون) : المصباح ، والمد ، واقرب الموارد ، والمتن .

وتجمع الببغاء (بفتح فباء مضعفة مفتوحة) على ببغاوات (بفتح فسكون) ايضا : اقرب الموارد والمتن ، بينما يجمعها المد على : ببغاوات (بتضعيف الباء الثانية) ، وهو الجمع القياسي المعقول .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اما الببغا ، والببغاء ، والببغاة (بفتح الباءات كلها) فانني ارى ان تجمع على ببغاوات (بفتح ففتح) ، لانني لم اجد لها جمعا في المعجمات التي لدي .

وتطلق الببغاء على الذكر والانثى ، فتقول : هذا ببغاء ذكر ، وهذه ببغاء انثى .

ويقول الوسيط ان الببغاء (بتضعيف الباء الثانية) الصغيرة تسمى الدرة (بتضعيف الراء) ، ولكن محيط المحيط وبادجر يقولان انها من اقوال العامة .

بتر المصير الأعور

ويخطئون من يقول : بتر الجراح مصيره الأعور (زائدته الدودية) ، ويقولون ان الصواب هو : استأصل المصير او قطعه ، لان الاطراف (الايدي والارجل) هي التي تبتر .

ولكن (البتر) يعني قطع الاطراف وغيرها من الاعضاء والاشياء كما يقول التهذيب ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمحكم ، والنهاية ، والمغرب ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، ودوزي ، والمتن ، والوسيط .

و (البتر) قد يكون استئصالا ، او قطعا للعمل قبل اتمامه ، كقولنا : بتر فلان حديثه او محاضرته .

وجاء في المتن : بتر رحمه : قطعها (مجاز) .

اما فعله فهو بتر الشيء يبتره (بضم التاء) بترا .

المنامة لا البجامة

جاء في المجلد الثالث عشر من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ، التي اقرتها لجنة الفاظ الحضارة ، بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ووافق عليها مؤتمر المجمع ، في جلسته الثالثة بتاريخ ١٧ شباط (فبراير) ١٩٧١ ، في المادة رقم ٢٣ ، ان المؤتمر وافق على ان يطلق على الثوب من قطعتين، الذي ينام فيه ، اسمه الفرنسي والانكليزي المعرب : البيجامة .

وعندما ظهرت الطبعة الثانية من المعجم الوسيط عام ١٩٧٢ ، ذكر البجامة ، وقال انها كلمة من الدخيل ، وعربيتها (المنامة) ، التي قال عنها انها ثوب ينام فيه .

وقال متن اللغة : « البيجامة : قميص النوم » .

واقترح ان نسميها المنامة او النيم (بكسر النون) في جدوله رقم ٩٢ .

وقال الوسيط ان النيم هو ثوب ينام فيه . وأنا ارى ان نكتفي بالمنامة ، لانها كلمة تدل حروفها على وظيفتها .

تبجبح بحبح

ويظنون ان الفعل تبجبح عامي ، وهو فصيح ، ومن معانيه :

(أ) تبجبح فلان : اتسع .

(ب) تبجبح في الشيء : توسع .

(ج) تبجبح الدار : تمكن في المقام والحلول بها .

(د) تبجبح الدار ، وفيها : توسطها .

وممن ذكر الفعل تبجبح : جاء في النهاية لابن الاثير : [وفي حديث خزيمة : « تفطر اللحاء وتبجبح الحياء » اي اتسع الغيث ، وتمكن من الارض] .

وممن ذكر الفعل تبجبح ايضا : الصحاح ، والاساس (تبجبح في الامر : مجاز) ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، ودوزي ، والمتن ، والوسيط .

واكتفى الصحاح والمختار بذكر المصدر (التبجبح) ، دون ان يذكرا فعله . وجاء في مجاز الاساس : « تبجبحت العرب في لغاتها : اتسعت » .

اما الفعل بجبح فمعانيه كالفعل تبجبح .

بحثر ماله لا بحتره

ويقولون : بحتر فلان ماله ، والصواب : بحثره ، اي بدده وفرقه . (راجع الآية التاسعة من سورة العاديات) . وقد قرىء الفعل الثاني فيها بحثر (بضم الباء) بدلا من بعثر (بضم الباء) .

وممن ذكر ايضا بحثر ماله فتبحثر : الفراء ، وتهذيب الالفاظ لابن السكيت (في باب التفرق) ، والازهري (في التهذيب) ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

بـــح الخطيب

ويقولون : بـــح (بضم فتضعيف) صـــوت الخطيب ، والصواب : بح (بفتح الباء) الخطيب ، كما قال ابو عبيدة، والازهري ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وأنا ارى ان حذف كلمة (صوت) ابلغ ، لان البحة (بضم فتضعيف) لا تكون الا في الصوت ، وان اجاز الاساس لنا ان نقول : فلان أبح (بباء مفتوحة فتضعيف) الصوت .

ونقول : هو أبح (بباء مفتوحة فتضعيف) ، ولا يقال بـــاح (بتضعيف الحاء) ، وهي بحاء (بفتح فتضعيف) وبحة (بفتح فتضعيف) .

اما فعله فهو : بح (بفتح فتضعيف) يبح (بفتح الباء وكسرها وضمها) بحا ، وبححا (بفتحتين) ، وبحاحا (بفتح الباء) ، وبحوحا (بضم الباء) ، وبحاحة (بفتح الباء) ، وبحوحة (بضم الباء) .

محمد العدناني

جغرافيا الرعب

محمد شبلي الذيب

ياطر ــ لبنان

العالم بركان ثائر ...
في الباطن ، في جوف الارض ،
ينظم دورة غضبته تنظيم المنجذ للجحر ...
يحفر انفاقا تبلغه انحاء السطح ،
وينفث فيها حمما حمراء
تلون اسفار الزمن .
تنسد منافذ انفاق الغضبة
ما بين الدورة والدورة ...
... الا نفقا منفذه يفغر متسعا
في قلب جنوبك يا وطني .
ترتعد القطرات البيضاء
على اطراف انامك المبتلة من ماء وضوئك ..
تغدو حمراء ...
تستشهد في فمك الاحرف ...
الا الترتيلة

◎

أنت الواقف في المحراب
وقد يممت الوجه المستبشر
شطر القبلة في مكة والقدس ــ فتبقى ...
... طفلا مولودا في كفن .

والعالم بركان ثائر ...
في الظاهر ، ما فوق السطح ،
يعدل بعض قذائفه
يجعلها كالصحن الطائر
يرسلها انذارا ابيض
في مرمى قوم ما فتئوا
دون استيعاب حقيقته
ينذرهم قرب عقوبته
ان هم ظلوا في حلمهم

◎

بالشمس تطل بلا ثمن .
والبعض الآخر يجعله
كالغيم الاسود ، ينشره
في عرض جهات الكون الاربع
لكن الريح الشرقية والريح الغربية
كل تدفعه ... وتجمعه
فيخيم فوق الصحراء ...
لكن لا يسقي واحتها
يحتر بوهج الصحراء ...
يغضب ، يرتد لحمرته
يتساقط ثلجا او بردا
يشحذ أنياب التنين
في سفح جنوبك يا وطني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



وحيد الدين بهاء الدين

جورج رشوان شاعر انساني مغمور

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

من شعراء المهجر وادبائه ، عرفت جورج صيدح بشعره العبقري وخلقه الرضي . كذلك عرفت جورج حسون معلوف بـ « اقاصيصه » ذات الطابع الفني والوجداني . ومن ثم عرفت جورج كعدي بـ « كعدياته » وبديوانه « الجديد » . اما غير هؤلاء ممن يحملون نفس الاسم والوسم فما عرفتهم ولا الفتهم ، بالرغم من ايثاري الرحلات الدائمات في عالم الادب المهجري : الشمالي والجنوبي ، وصلاتي القائمات بعديد من فرسانه وارباب صولجانه .

في منتصف صيف عام ١٩٧٥ ، وعلى غير انتظار ، ادركتني رسالة من « مسكيتا » بالبرازيل ، ممضاة من شاعر اجهله ، هو جورج يوسف رشوان ، يقول فيها : « خاطبتك دون سابق معرفة وسابق لقاء . بلى انا صديقك وانت صديقي . اما قيل «صديق الى قلبي صديق صديقي» . الاستاذ جورج صيدح هو صديقي ايضا دون سابق معرفة ، وهو الذي هداني سواء السبيل اليك . بهذه الكلمة : « اذا كانت لك حاجة في بغداد فاكتب الى صديقي الشهم وحيد الدين بهاء الدين العضو باتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين والمحرر بمجلة « الكتاب » واذكر له اسمي فهو يلبيك » . نعم حاجة اليك ، وهي ان تتفضل بقبول ديواني « انفاس الجراح » الذي طبعته بكل جهد جهيد ولم استعن بدار نشر او بصاحب مال . عسى ان يصل اليك بالسلامة ويحظى بفسحة صغيرة في مكتبتك الكبيرة »(١) .

فاذا بي اقف مبهورا امام هذه الرسالة التي تقطر لطفا وايناسا ، والتي تخجل التواضع .

ان هي الا ايام متداولة ، حتى بلغتني نسخة من ديوان « انفاس الجراح » .

فاذا بي مرة اخرى اقف مبهورا ، امام شاعر من معيار خاص ، ولكنه مغمور منسي ، اقل ما ينبغي ان يقال فيه : انه انسان ، يأخذ طريقه الى عقلك وقلبك ، من غير ان يشق ذلك عليه ، ومن غير ان تعارض انت او تحاول ان تعارض .

تلك هي آية من آيات الانتصار المعنوي .

جورج رشوان هاجر وطنه لبنان الى البرازيل عام ١٩٢٩ ... هناك ذاق مرارة الفقر والضنك تغالظه قسوة الغربة .. تعاطى التجارة ، يباهظه فيها حساب الربح طورا ، والخسارة اطوارا . مع هذا فالتجارة لم تصرفه عن اروع شيء وامتعه الى ذاته ، وهو فن الادب : نظيمه ونثيره .

واليوم يسترد جورج رشوان ، وقد تخطى السبعين ، ذكرياته الدفينات في اغواره ، ويوصلها بخيط واه بالحاضر هذا الغائر الثائر ، منتشلا نفسه الحساسة من اكدارها ، ومرطبا بها مزاجه اللهاب بفعل تقلبات الدنيا المضحكة المبكية :

على شاطىء الايام في الساحل الغربي	وقفت وقد طالت على قعرها دربي
اسائل قلبي عن شبابي ، عن المنى	عن الامس عن معنى حياتي عن حبي
عن الاهل عن عهد لامي قطعته	ومن لي بامي ويها في ذمة الرب
فغمغم قلبي حائرا في جوابه ،	وادركت ما يخفي، فقلت له: حسبي
فاعرض عني نافرا متلفتا ،	بعين على قطب وعين على قطب
له الله من شطرين في الشرق واحد	يعيش على الذكرى وآخر في الغرب

هكذا سكن جورج رشوان الى الوحدة في قرية من قرى البرازيل النائية ، منزويا يقضي الباقيات من ايام عمره ، تعلو « انفاسه » وتسفل حسرة ، وتنز « جراحه » وتئز لوعة ، عائشا في شبه عزلة ، زاهدا بكل شيء ، متحاشيا بجسده الناس : نبيههم وسفيههم ، متدانيا اليهم في الوقت عينه بفكره وشعره :

دعوني وحدي في عزلتي	اعالج امري في وحدتي
غريبا ويا لك من غربة	تهون علي بها غربتي
عجمت الحياة بأثقالها	فزادت بأثقالها خفتي
اذا ما الهموم بي استفحلت	أسلت الهموم على ريشتي
هموم يضيق بها عالم	وليست تضيق بها همتي

لقد عرف جورج رشوان نفسه ...

ذلك اعظم ما فيه . بل اعظم ما في الانسان في هذا الوجود . لانه نقطة البداية في رحلة الحياة ، طالت ام قصرت . اما قال سقراط في سحيقات القرون : اعرف نفسك بنفسك !

من اجل هذا كله ، لا يستطيع جورج رشوان ان يجيد لغة المغافرة والمكابرة . كذلك لا يستطيع ان يعلك حديث الاصل والفصل ... فما له وهذا الذي طواه الماضي

(١) رددت على هذه الرسالة برسالة نشرت بمجلة « المراحل » . العدد ٢٢٩ السنة ٢٠ ايلول ١٩٧٥ سان باولو / البرازيل .

وعفى عليه ، وبات مجرد معنى ، لا اثر له ولا غناء فيه ؟ ! بل ما انتفاعه به ، اذا هو لم يصنع وجوده بيده ؟ ولم يكتشف حقيقته الداخلية بارادته ، ولم يحمل مشعل الحرية والجمال في دروب الحياة بقدرته ؟ !

انا ابن يومي فما شاني وايامي ... دفنتها كلها مع كل احلامي
حملت ذاتي في ذاتي فما التفتت ... نفسي لخلفي ولا اهتمت بقدامي
ولا افتخرت بامي لا ولا بابي ... ولا ادعيت باخوالي وأعمامي
وان يكونوا ذوي مجد ومكرمة ... واجدر الناس في الدنيا باكرامي

لماذا ؟ ؟

لانه مخلوق من التراب ، واليه عائد عاجلا او آجلا . . وعلى ماذا ؟ ؟

على التوافه المتلاشية بتلاشي اسبابها ، والاعراض الزائلة بزوال ميقاتها :

سابقى ترابا يجر ترابا ... الى ان اعود الى تربتي

ويقول ايضا :

أهجوت ؟ قلت هجوت ... نفسي كلما راحت تكابر
أفخرت ؟ قلت : وكيف افخر ... هل لطين ان يفاخر

من هنا قال بعض المتصوفة : من عرف نفسه فقد عرف ربه .

ومن هنا ايضا نزع جورج رشوان نزعة انسانية الى درجة التوهج ، يقيم ارهاصاتها على الوعي الذاتي والرؤيا الواقعية .

ربما كانت نزعته هذه وراثية عنده ، لكن لا شك ان اسبابا ايجابية اخرى كما سلف ، زادتها عمقا وافقا ، واضفت عليها مضاء ورسوخا .

يسوق جورج رشوان ديوانه « انفاس الجراح » الى « اخيه الانسان في كل مكان وزمان . . » .

اية هدية مزجاة اكرم من هذه الهدية ، واي شعور دفاق امثل من هذا الشعور ؟ ! لا لشيء الا لانه يشارك اخاه الانسان في سرائه وضرائه ، متعاطفا معه ، مبتهجا بما يناله من اسباب النعيم والرخاء ، متألما لما يحيق به من بواعث الارزاء والادواء . .

على انه لا يريد ان يتخلى عن هذا الاحساس الانساني العميق المتبلور الذي يحتويه فيجتويه ، بالرغم من انه تمنى — والتمني رأس مال المفلس — لو لم يكن له قلب ، لكيلا يتعذب ، ويتقلب على جمرات كاويات :

يكلفني ما لا يطاق ولم اكن ... لأسطيعه لو لم يكن ذاك من دأبي
لقد صرت من قلبي على حالة بها ... تمنيت لو اني اعيش بلا قلب

ويقول كذلك :

لك الله يا قلب من صابر ... وليس لصبرك من فرحة
فما حاق بالمرء الا هوان ... فعض على ألم واسكت

والشاعر صادق مع نفسه . . ومع الآخرين ، لانه ذو اباء وكبرياء :

يا صاحبي دعني على جلدي ... في العسر ما في اليسر من رغد
لك لذة في ما وجدت ولي ... في ما وجدت ، وانت لم تجد

ثم يقول :

عسري ويسري اين الفرق بينهما ... هذا القليل كذاك الطافح الطامي
اقول للنفس ان ضاق السرير بها ... هذا الحصير فراش ناعم نامي

لئن اكتنفت شعر جورج رشوان مسحة الزهد والترفع ، وطابع القناعة والانسانية ، فلا ندحة له عن ان يكون مشغولا ذهنه بالآخرين ، مطحونة ذاته بواقعهم الكريه الصارخ بالصراع في سبيل البقاء :

حسبي من العيش ما اقضي به عوزي ... ومن حمياه ما املا به جامي
فرب فضلة عيش قد طمعت بها ... كانت غذاء لاطفال وايتام
ارضى بقسمي من دهري واجهل ما ... اصاب غيري من حظ واقسام

انها تجربة نفسية محضة ، ولكن من خلالها تتفتق الدلالات الانسانية والمعاني العميقة ، صريحة كاللباب ، واضحة كالشمس ، في لوحة شعرية معبرة :

انت ادخر ما اسطعته فانا ... حسبي من الايام ملء يدي
فلرب زاد فاض عن احد ... في فيضه نقص على احد
عيني صفت هيهات يخدعها ... رهج السراب وزهوة الزبد
قل للذي يسعى الى غده ... هيهات يوما تلتقي بغد

أليس هذا كله خليقا بالتأمل ؟ !

ولنا ان ننظر الى موقفه الاخلاقي الملتزم من اغنياء اغبياء ، يشمخون بأنوفهم ، ويتعالون على عباد الله ، من بؤساء وغقراء ، حيث يرثي لحالهم ويرحمهم ، بينما هو في قراره يحبهم . . فالحب دينه وديدنه :

كم مر بي مثر ولم يرني ... ولكم رآني قبل عن بعد
أترى يظن — ويا لخيبته — ... اني اسير اليه في مدد
ويعيبني سرا فارحمه ... ان لم يكن علنا ففي خلدي
واحبه والحب كان معي ... مذ كنت لم ينقص ولم يزد

تلك ذروة المثل في سلوكية الفرد واصالته .

لان اولئك الناس احوج ما يكونون الى غنى النفس . . فلا يغنيهم ما ينوه لانفسهم من امجاد الثراء والرخاء ، ولانه :

غني على فقر ، فقير على غنى

ولانه يقول :

واذا افتقرت الى السعادة ... سرت من ذاتي لذاتي
حرا فلا ندم على ... ماض ولا طمع بآت

وهل شهدت طمأنينة نفس كتلك ، وراحة بال كهذه ، الا عند الاتقياء والعظماء ؟ ! بينما الحياة من حواليك عصف وقصف ، مد وجزر ، والناس من حواليك ايضا في سجال وجدال ، في تناحر وتهاتر . . ؟ !

ثم يتساءل جورج رشوان ساخرا من اجاهل ، دعاهم الوهم وعمى القلب ، وغرور المجد الزائل ، الى التصور بأنهم من جنس آخر ، ملكوا اي شيء ، وما كانوا الا مسرفين على انفسهم :

من انت يا هذا الكبير ومن انا ... صنوان فرقت الجهالة بيننا
يهنيك عرشك ما الهناء حليفه ... وانا بلا عرش يحالفني الهنا
أحسبت جسمك طينة من عنصر ... كتب البقاء له وجسمي للفنا
خدعوك اذ القوا اليك زمامهم ... وتوهموك مؤمنا ومؤمنا

ويتجاوز جورج رشوان موقفه المتخذ من الانسان تعبيرا عن واقعه ، وتصويرا لمانيه ، وتحقيقا لبعض من حاجاته ، الى اعتداد الناس كلهم اهله او من اهله ، والى اعتداد الدنيا كلها وطنه او كوطنه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكهل والبوق

شمر الكهل عن ساعديه وجد في عزم ومضاء
يصوغ من قرن الوعل بوقا قبلما يعدو عليه الفناء
وقال محدثا نفسه : سوف يحمل هذا حكمة الحكماء
الى مشرق الدنيا ومغربها لحظة ألقى فيه النداء
فيعلو في الكون صوتي وتصفى الريح لي أتم اصفاء
فتعلم الام مني ما بناتها ومن هم الابناء
ولن يعجب الصغار حديثي وان هو أعجب الآباء
ويفتح الاخوة أعينهم على خرافة الاخوة والاخاء
ويمضي الافراد فرادى فلا صداقة او اصدقاء
ويصعق الخيرون رعبا اذ يرون جليا هول الجزاء
فلا يكون ساعتها سبيلا لشر او ايذاء
فان وعى المصلحون قولي فما ضاعت حياتي هباء
قال هذا وأشرق بالنور وجهه وبانت عليه علائم الهناء
ولكن .. خفت الصوت وضاع الرجاء
لما انتهت بانتهاء البوق أنفاسه وطارت روحه الى السماء

الاسكندرية — عبد العزيز جادو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الا توافقني لو قلت : ان الروح الانسانية الايجابية تتمثل رائعة شامخة ، بل أكثر روعة وشموخا في تضاعيف هذا الموقف الجديد .

انه يأبى الزمان قيدا ، والمكان حدا .. ويرفض الناس غرباء ، ما دام الحب يسقي لحمه ودمه والايمان يختلج في وجدانه وعلى لسانه ، والاطلالة تشحذ نظراته عمقا ووهجا :

الناس اهلي والدنى وطني — انى نزلت نزلت في بلدي
جسدي اذا اتلفت جدته — عوضت من نفسي على جسدي

ويقول في قصيدة اخرى :

انا راية بيضاء تخفق للرفيع وللوضيع
انا نسمة الحب التي تذري العبير على الجميع

ويقول في غير ذلك :

لا تسالي ما مذهبي لن تعرفي .. لا تتعبي
ولم السؤال اما امحى بالعلم كل تعصب

هذا كله حري بأن يحدو الشاعر على الثورة على الجهل والانانية والتعصب والظلم ، ويدعوه الى مواجهة الصيغ السلبية التي تنخر كالسوس في كيان المجتمع الذي يلعب فيه الانسان اخطر الادوار ، لانه عموده الفقري :

من انت يا هذا ؟ اراك كان في برديك ثائر
انا ثائر للحق مخذولا امام البطل صاغر
انا ثائر للشاة تنهشها الضواري والكواسر
انا ثورة خرساء في نفسي تضيق بكل جائر
انا شاعر البيداء ساقتني اليك يد الاعاصر

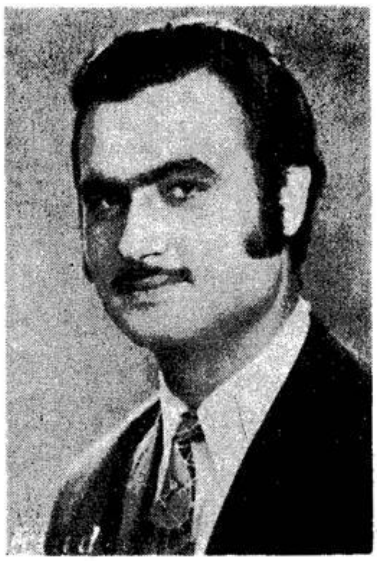
وبنظرة خارقة تخترل المسافات ، وتهتك الحجب ، يدرك جورج رشوان ما سوف يداهم لبنان العربي ، انه يقول ، وماذا يقول :

لكم الله نحن يا شهداء
ضاقت الارض دوننا والسماء
نحن لبنان فامنحونا مقاما
عندكم ، نحن مثلكم شهداء .

اما قلت في ثنايا هذا المقال : ان الشاعر جورج رشوان انسان ، تقوم ارهاصاته على الوعي الذاتي والرؤيا الواقعية .

لعلك تقول معي : بلى .

بغداد — وحيد الدين بهاء الدين



فوزي عطوي

القضاء الدولي والاقليمي

في ضوء تطور فكرة المسؤولية الدولية

بقلم فوزي عطوي

* * *

المسؤولية الدولية والقضاء الدولي

محكمة العدل الدولية الدائمة

في مستهل هذا البحث ، لا بد من العودة الى التمييز الذي تلحظه الاتفاقات الدولية الخاصة بحل المنازعات ، ما بين المنازعات السياسية من جهة والمنازعات القضائية من جهة ثانية ، وبالتالي فلا بد من الاشارة الى ان النوع الثاني من المنازعات وحده هو القابل للاحالة على القضاء الدولي ، بينما يبقى النوع الاول الذي يظل ذا مفهوم مطاط ، مما يحمل الدول ، وخاصة تلك التي تتنكر لشرعية القواعد الدولية حين تتعارض مع مصالحها الوطنية ، على صبغ كل نزاع يقوم بينها وبين غيرها من الدول ، بالصبغة السياسية لا القضائية حتى لا يضطرها قبولها باحالة النزاع الى القضاء الدولي ، للاذعان لحكم هذا القضاء ، خصوصا وانه ليس هنالك قانون يلزم اية دولة الزاما مطلقا بالمثول امام الهيئات القضائية المختصة وبالتالي يبقى لها الحق التام في وصف النزاع الذي يقوم بينها وبين غيرها ، وفقا لما تراه مناسبا لمصلحتها .

وعلى هذا الاساس ، يتسنى لنا الايضاح بأن التحكيم الدولي ، رغم الاتجاهات الفقهية الكثيرة الداعية الى جعله الزاميا ، لم يستطع ان يلعب الدور الفعال في حل النزاعات القضائية على الصورة المرجوة لحفظ السلام العالمي ، والحؤول دون نشوب الحروب التي تصبح ، في حال تعذر العثور على الحل الملائم ، نتيجة منطقية من نتائج النزاعات بين الدول . ولذلك كان لا بد من القيام بخطوة ايجابية جديدة ، في هذا الاتجاه .

وهكذا ، فعلى اثر انقضاء الحرب العالمية الاولى ، استقرت آراء الدول المشتركة عام ١٩١٩ في « مؤتمر فرساي » على ضرورة احياء المشروع الآيل الى اقامة سلطة قضائية قادرة على حل النزاعات بين الدول ، فجاءت مقدمة صك « عصبة الامم » منددة بالقوة ، ومزكية اللجوء الى التعقل والقانون لحل هذه المنازعات ، كما تضمن الصك ، في المادة الرابعة عشرة منه ، تكليف مجلس العصبة اعداد مشروع بتأسيس محكمة عدل دولية دائمة تكون مختصة بالبت في اي نزاع دولي الطابع ، يقدم اليها من قبل الاطراف المعنيين ، كما تكون مختصة باصدار الآرا الاستشارية .

وقد شكل مجلس العصبة لهذه الغاية لجنة تض عشرة فقهاء من مختلف الجنسيات والاتجاهات القانونية فاجتمعت اللجنة اعتبارا من ١٥ حزيران حتى نهاية تموز ١٩٢٠ ، واعدت المشروع الذي نوقش في دورات المجلس والجمعية العامة ومن ثم ادخل في متن البروتوكول الصادر بتاريخ ١٦ كانون الاول ١٩٢٠ عن العصبة ، وعرف فيم بعد بنظام محكمة العدل الدولية الدائمة .

ولما كنا لا نرى انفسنا في مجال البحث المفصل في ماهي محكمة العدل الدولية الدائمة من حيث جهازها ، وتنظيمها واختصاصاتها ، واصول العمل لديها والدور الطيب الذي ادته على صعيد حل النزاعات الدولية ، بالاسلوب القضائي الودي فاننا نكتفي بالاشارة الى اهم ما تتسم به ماهية تلك المحكمة لكي نخلص بعد ذلك ، الى تبين اهمية قيامها في ضوء تكريس فكرة المسؤولية الدولية :

١ ــ اما جهاز محكمة العدل الدولية الدائمة ، فكان يتألف عام ١٩٢٠ من احد عشر قاضيا واربعة نواب قضاة ثم رفع العدد عام ١٩٢٩ الى خمسة عشر قاضيا واربعة نواب قضاة واخيرا الغيت عام ١٩٣٦ مناصب نواب القضاة .

وبالاضافة الى شرط الكفاءة ، كان يشترط في توزيع القضاة ان يمثلوا كافة اشكال الحضارة الانسانية ، ومختلف النظم القانونية الرئيسية في العالم . وقد اتخذ قصر السلام في لاهاي ، بهولانده ، مقرا للمحكمة . لكن هذا المقر انتق

(●) راجع الاديب عدد ديسمبر ١٩٧٧ صفحة ٢٩ .

مرة واحدة الى مدينة جنيف بسويسرا ، عندما اجتاحت الجيوش الالمانية النازية هولاندة . ويروى ان الفوهرر هتلر ، فكر بجعل قصر السلام مقرا لرئاسة اركانه ، لكنه اقلع عن هذه الفكرة في النهاية ، احتراما لهابة القضاء الدولي(١) .

٢ ــ واما تنظيم المحكمة ، فقد نص النظام الاساسي للمحكمة على ان اجتماعها يتم بكامل هيئتها والنصاب يتم بحضور تسعة قضاة فقط . كما نص نظامها على تشكيل ثلاث غرف هي : غرفة الاجراءات المستعجلة ، غرفة قضايا العمل ، غرفة قضايا المواصلات والترانزيت .

وفي النظام الاساسي ، نصوص تتعلق بالقضاة المتممين وبالعدول والخبراء لكن المجال لا يتسع للمزيد من الحديث عنهم ، فنكتفي بالاشارة الى ان تعيين القاضي المتمم كان امتيازا خاصا ببعض الدول من دون بعضها الآخر ، وان تاريخ المحكمة لم يشهد مثول اي من الخبراء في اي قضية من القضايا التي عرضت عليها .

٣ ــ واما اختصاص المحكمة ، فهو يتفرع الى نوعين نصت عليهما المادة ١٤ من صك عصبة الامم ، وهما : الاختصاص القضائي ، والاختصاص الاستشاري .

لقد كانت الدول وحدها ، سواء انتسبت او لم تنتسب الى العصبة ، هي صاحبة الحق في رفع الدعاوى امام محكمة العدل الدولية الدائمة . لكن ولاية المحكمة كانت تتوقف على توافق ارادة فرقاء النزاع ، بمعنى انه لم يكن في وسع المحكمة ان تبادر من نفسها لوضع اليد على النزاع .

وتتجلى ارادة الدول اما باتفاق بين الدولتين المتنازعتين على رفع الدعوى الى المحكمة ، واما بمعاهدة مسبقة يتفق اطراف النزاع بموجبها على عرض نزاعاتهم القضائية في المستقبل ، على المحكمة ، واما بالموافقة على الاتفاقية المعروفة بالصك العام للتوفيق والحلول القضائية عام ١٩٢٨ ، او بالموافقة على البند الثاني من المادة ٣٦ من نظام المحكمة الاساسي فيما عنى البند الاختياري ونصه :

« للدول التي هي اطراف في هذا النظام الاساسي ان تصرح في اي وقت بأنها ، بذات تصريحها هذا ، وبدون حاجة الى اتفاق خاص ، تقر للمحكمة بولايتها الجبرية ، في نظر جميع المنازعات القانونية التي تقوم بينها وبين دولة تقبل الالتزام نفسه ، متى كانت هذه المنازعات القانونية تتعلق بالمسائل الآتية :

١ ــ تفسير معاهدة من المعاهدات .
٢ ــ اية مسألة من مسائل القانون الدولي .
٣ ــ تحقيق واقعة من الوقائع التي اذا ثبتت ، كانت خرقا لالتزام دولي .

٤ ــ نوع التعويض المترتب على خرق التزام دولي ومدى هذا التعويض .

(١) يراجع الهامش الوارد في الصفحة ٥١ من كتاب القضاء الدولي للدكتورين فؤاد شباط ومحمد عزيز شكري ــ المطبعة الجديدة ــ ١٩٦٦ .

نموذج من الموافقة على الاختصاص الالزامي للمحكمة

وبين ايدينا ، الآن ، نماذج عن تصريحات الدول لقبول الاختصاص الالزامي لمحكمة العدل الدولية ومنها دول : مصر ، السودان ، الولايات المتحدة الاميركية ، فرنسا ، المملكة المتحدة (بريطانيا وايرلنده الشمالية) والصين . واننا نكتفي على سبيل المثال بذكر التصريح الفرنسي بحرفيته :

« باسم حكومة جمهورية فرنسا ، انا الموقع ادناه كوف دى مورفيل وزير الخارجية ، اقبل كملزم حكما ودون حاجة لاي اتفاق خاص ، وفيما يتصل بالاعضاء الآخرين للامم المتحدة الذين يقبلون نفس الالتزام اي بشرط المقابلة بالمثل ، اختصاص المحكمة وفقا للمادة ٣٦ ــ ف ٢ من النظام الاساسي ، ولمدة ثلاث سنوات ، وبعد ذلك حتى يصدر اخطار بالغاء هذا القبول ، في كل المنازعات التي يمكن ان تنشب حول حقائق او وقائع لاحقة لهذا الاعلان باستثناء :

١ ــ المنازعات التي يمكن ان يكون الفرقاء قد اتفقوا او يمكن ان يتفقوا على اللجوء من اجلها الى وسيلة سلمية اخرى .

٢ ــ المنازعات التي تتعلق بمسائل يعتبرها القانون الدولي واقعة ضمن الاختصاص الداخلي لفرنسا .

٣ ــ المنازعات الناشبة عن اي حرب او نزاع دولي ، والمنازعات الناشبة عن معضلة تؤثر في الامن الداخلي او عن تدبير او اجراء متخذ على هذا الاساس .

٤ ــ المنازعات مع دولة لم تكن عند نشوب الواقعة او النزاع قد قبلت اختصاص المحكمة لفترة مساوية على الاقل لتلك المحددة بهذا الاعلان » .

* * *

هذا بالنسبة للاختصاص القضائي . اما الاختصاص الاستشاري ، فقد خول « صك العصبة » المجلس والهيئة العامة فقط حق سؤال المحكمة عن رأيها الاستشاري في الامور التي قد تتراءى لاحدهما ضرورة استفسار المحكمة فيها .

٤ ــ واما اصول العمل لدى المحكمة ، فتشمل المرافعات الخطية ، وبعدها الاجراءات الشفهية التي تقدم وتجرى امام المحكمة ، وبالنتيجة تنسحب المحكمة لتدرس القضية وتصدر حكمها فيها ، مع الاشارة الى انه يحق لدولة ثالثة ان تطلب التدخل في الدعوى اذا كانت تشعر ان قرار المحكمة سيؤثر على مصالحها القانونية ، او اذا كانت طرفا في اتفاقية ، يشكل موضوع الدعوى تفسيرا لها ، كما انه يحق للمحكمة ان تتخذ تدابير احترازية لضمان مصلحة احد الفرقاء ، على ان تعلم مجلس العصبة فورا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بذلك ، كما يمكن ان تتوقف المحكمة عن النظر في الدعوى اذا توصل الفرقاء الى اتفاق قبل صدور القرار .

وهذا القرار يقرأ في جلسة علنية ، وينشر فورا باللغتين الانكليزية والفرنسية ، وهما اللغتان الرسميتان للمحكمة . والقرار بعد هذا قطعي لا يقبل اي طريق من طرق المراجعة ، لكن يمكن طلب تعديل الحكم اذا ظهرت وقائع جديدة كانت تؤثر على الحكم لو انها اكتشفت قبل صدوره .

وثمة اصول مماثلة تتعلق باختصاص المحكمة الاستشاري . والمحكمة هنا تعتمد في اصدار آرائها وفتاواها ، على المعاهدات الدولية ، والعرف الدولي ، والمبادىء العامة للقانون ، والاحكام القضائية الدولية والداخلية ، وآراء فقهاء القانون الدولي — ومبادىء العدل والانصاف — اذا اتفق الفرقاء على ذلك . لكن المحكمة لم تلجأ الى المبادىء الاخيرة في اي من الاحكام الصادرة عنها .

والآن نعود الى السؤال الاساسي : الى اي مدى كرست محكمة العدل الدولية الدائمة فاعلية القضاء الدولي، على ضوء فكرة المسؤولية الدولية ؟

محكمة العدل الدولية الدائمة والمسؤولية الدولية

ورد في احدى نشرات « عصبة الامم » ان «اثر المحكمة على تطور القانون الدولي ، مهما يكن محترما ، فهو اثر عارض لا يعادل الاثر المباشر الذي تركته في حل بعض الامور المستعصية بين الدول فيما صدر عنها من احكام وآراء استشارية » .

وهذا الكلام صحيح الى حد بعيد ، فان محكمة العدل الدولية الدائمة اصدرت عددا غير قليل من الآراء والفتاوى فيما عرض عليها من نزاعات وقضايا تهم الدول ، وحسمت بذلك خلافات كانت تقض مضاجع المجتمع الدولي ، لكن الظروف التي احاطت بنشأتها ، والتي رافقتها في عمرها القصير نسبيا ، بالنسبة لقواعد القانون الدولي ، لم تجعلها قادرة على ان تعكس شيئا هاما من ايمان الدول بمسؤولياتها ، بل على العكس ، تلاعبت بالمحكمة اهواء ومصالح ، وفشلتها تيارات وغايات ، بعدما كان الامل كبيرا في ترسيخ قواعد المسؤولية الدولية ، وفي تكريس فعالية القضاء الدولي الذي انتقل بفضلها من غيبيات الاحلام الفقهية الى الواقع العملي الملموس .

ان من المتفق عليه بين غالبية مدوني القانون الدولي وقضاته ، ان اهم ما احرزه العالم المتمدن من خطوات ، في عهد عصبة الامم ، هو انشاء الجهاز القضائي المتمثل في محكمة العدل الدولية الدائمة ، ولكن اذا لم يتسن لتلك المحكمة ان تنجح النجاح المرتقب في استجماع اسباب كمالها ، من حيث الزامية اختصاصها ، وانفاذ احكامها فلانها جاءت صنيعة الدول المجتمعة في فرساي التي لم تكن قد اكتملت عندها بعد (ولم تكتمل حتى الآن) فكرة نبذ السيادة المطلقة للدول ، وتعديلها بالقضاء الجبري الذي يعطي « ما لله لله وما لقيصر لقيصر »(٢) .

لقد اصدرت المحكمة كما اوضحنا ، احكاما كثيرة ، وآراء استشارية كثيرة فيما عرض عليها من نزاعات وقضايا عالقة بين بعض الدول ، واما في مجال القانون الدولي فمن اهم آراء المحكمة :

١ — ان المعاهدة هي ذات اثر قانوني فيما بين الدول الاطراف فيها فحسب ، وفي حال الشك لا يمكن ترتيب حقوق للدول الاخرى فيها ، ولكن يجب ملاحظة انه ليس ثمة ما يمنع بشكل قاطع — امكانية استفادة الدول الاخرى من معاهدات لم تكن طرفا فيها(٣) .

٢ — ان المعاهدة الدولية لا يمكن بحد ذاتها ان ترتب حقوقا او التزامات مباشرة على الافراد . ولكن ، مما لا شك فيه ان هدف المعاهدة نفسه وفقا لارادة الفرقاء المعنيين ، يمكن ان يكون اقرارا لقواعد محدودة من شأنها ترتيب حقوق والتزامات للافراد ، قابلة للتطبيق من قبل المحاكم الوطنية(٤) .

٣ — انه في الوقت الذي لا تسمح فيه المبادىء القانونية المتعارف عليها ان تستند دولة ما على دستور اخرى في دعوى ضدها بل على القانون الدولي والالتزامات الدولية التي تتحملها هذه الدولة ، فلا يمكن للاخيرة ان تستند الى دستورها كيما تتخلص من التزامات مفروضة عليها بموجب القانون الدولي والمعاهدة النافذة(٥) .

وفي اي حال ، فاننا نظلم محكمة العدل الدولية الدائمة اذا قررنا انها قصرت من تلقاء ذاتها ، فيما انتدبت له من مهمة ، على صعيد القضاء الدولي ، ذلك ان الدول التي استحدثت عصبة الامم ، لم تستطع ان تتوصل الى ترسيخ ايمانها بأنها مسؤولة عن تصرفاتها تجاه اشخاص المجتمع الدولي ، الامر الذي مهد لقيام الحرب العالمية الثانية ، فكان ادنى آثار انفراط عقد العصبة هو زوال محكمة العدل الدولية الدائمة ، وان كان المؤتمرون في سان فرنسيسكو قد اجتهدوا بأن « التراث القانوني لمحكمة العدل الدولية الدائمة يجب ان يلعب دورا كبيرا في اجتهاد المحكمة الحديثة » اعني محكمة العدل الدولية الحالية .

فهل نجحت المحكمة الجديدة في المهمة التي لم تستطع ان تكمل المحكمة القديمة شوطها فيها ؟

---

(٢) القضاء الدولي : للدكتورين فؤاد شباط ومحمد عزيز شكري ، ص ٦٢ و ٦٣ .

(٣) منشورات محكمة العدل الدولية الدائمة : قضية سيليزيا العليا عام ١٩٢٥ .

(٤) منشورات المحكمة : الرأي الاستشاري عام ١٩٢٨ حول اختصاصها في دانزيغ .

(٥) منشورات المحكمة : الرأي الاستشاري عام ١٩٢٢ حول معاملة الرعايا البولونيين والاشخاص الآخرين الذين هم من اصل بولوني في دانزيغ.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محكمة العدل الدولية

لئن استطاع المجتمع الدولي ان يقرر نهائيا ، في مؤتمر سان فرنسيسكو الغاء عصبة الامم وقيام « هيئة الامم المتحدة » عوضا عنها ، فان موضوع استمرار محكمة العدل الدولية الدائمة او تعديل نظامها او احلال محكمة جديدة محلها ، قد تعرض لكثير من الاخذ والرد ، الى ان استقر الراي اخيرا على اعلان نهاية محكمة العدل الدولية الدائمة(٦) . وبالتالي انشاء « محكمة العدل الدولية » المستقلة في وجودها عن المحكمة القديمة ، دون ان يكون في هذا الاستقلال ما يؤدي الى انقطاع الصلة الفقهية بين المحكمتين .

ونكتفي ههنا بالاشارة السريعة الى ان جميع الدراسات والمقترحات التي وضعت من جانب جهات دولية مختلفة ، قد انصبت في اتجاه يقول بضرورة قيام محكمة دولية ملحقة بالمنظمة الدولية الجديدة ومن بينها :

١ ــ مشروع وزارة الخارجية الاميركية الذي وضعته لجنة خبراء شكلتها الوزارة المذكورة ، وقد عرف باسم Draft Constitution

٢ ــ مشروع الميثاق الذي اعدته لجنة ثانية شكلتها وزارة الخارجية الاميركية ليكون دستورا للمنظمة الجديدة.

٣ ــ مقترحات اللجنة القانونية لمنظمة الدول الاميركية عام ١٩٤٢(٧) .

٤ ــ تقرير لجنة الحلفاء المشتركة (غير الرسمية) .

٥ ــ مقترحات دومبارتون اوكس عام ١٩٤٤(٨) .

٦ ــ دراسات لجنة الفقهاء في واشنطن (نيسان ١٩٤٥) (٩) .

٧ ــ واخيرا مؤتمر سان فرنسيسكو (١٩٤٥) الذي اقر بصورة عامة آراء لجنة الفقهاء في واشنطن ، وبذلك اصبح الميثاق ونظام المحكمة الاساسي الذي يتبعه ، نافذين اعتبارا من ٢٤ تشرين الاول ١٩٤٥ .

اما المواد المخصصة للمحكمة في الميثاق فهي المواد (٩٢ ــ ٩٦) التي استغرقت الفصل الرابع عشر واما نظام المحكمة الجديدة الاساسي ، فيتضمن (٧٠) مادة موزعة على خمسة فصول .

ولما كانت المادة (٩٣) من الميثاق قد نصت بصراحة على ان نظام محكمة العدل الدولية مبني على نظام محكمة العدل الدولية الدائمة ، ثم لما كانت صياغة النظام الاساسي للمحكمة الجديدة قد روعي فيها الترتيب والارقام والمواد ذاتها التي كانت في النظام القديم ، فاننا نعتقد اعتقادا جازما ان استعراض جهاز المحكمة الجديدة وتنظيمها واصول العمل لديها ، سيكون تكرارا غير مفيد ، ومن نوافل القول التي لا تضيف جديدا الى موضوع الدراسة .

ويبقى علينا ، في هذه الحال ، ان نؤكد على الدعم الكبير الذي رغبت هيئة الامم المتحدة تقديمه للمحكمة الجديدة ، اذ اعتبرت المادة السابعة من الميثاق ان محكمة العدل الدولية هي احدى هيئات ست تضمها الامم المتحدة ، كما اكدت اللجنة الرابعة المنبثقة عن مؤتمر سان فرنسيسكو ، والتي تولت دراسة نظام المحكمة تصميم الدول المشتركة في المؤتمر على ضرورة استخدام المحكمة لتلعب دورا هاما في الحفاظ على الامن والسلم الدوليين ، وانها كواحدة من الهيئات الرئيسية للمنظمة ، ستتمتع بالتأييد (المعنوي على الاقل) من جانب جميع الاعضاء ، طالما ان نظامها هو جزء لا يتجزأ من ميثاق الامم المتحدة(١٠) . وعلى هذا ، فقد اتجه المجتمع الدولي نحو تكريس الاختصاص الالزامي للمحكمة ، بعدما كان العديد من الدول قد ابدى موافقته على البند الاختياري (المادة ٣٦) الذي سبقت الاشارة اليه ، لدى الحديث على اختصاصات محكمة العدل الدولية الدائمة .

لكن الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي ، ايمانا وثيقا منهما بسياسة السمك الكبير والسمك الصغير ، اصرا على موقفهما السلبي بازاء اختصاص المحكمة الالزامي ، بينما ايدته الصين ، كما ايدته بريطانيا ، بتحفظ ، لا بل ان المندوبين الاميركي والسوفياتي الى مؤتمر سان فرنسيسكو اكدا بوضوح تام ان حكومتيهما لا يمكن ان تصدق على النظام الاساسي للمحكمة وبصورة ادق على ميثاق هيئة الامم المتحدة اذا احتوى نصا يفرض اختصاص المحكمة ، فكان بديهيا ان راى « السمك الكبير » ، كان الراي الغالب الذي ابتلع كل آراء « السمك الصغير » في نهاية المطاف . ولم يكن ذلك مستغربا في شيء ، فان للمجتمع الدولي في حق النقض المقرر للدول الكبرى في مجلس الامن ، سابقة لا تحتاج الى توضيح .

ولعل ابلغ ما قيل في وصف الموقف الاميركي والموقف السوفياتي من الاختصاص الالزامي للمحكمة ، كلمة مندوب المكسيك الذي قال :(١١)

« لقد اوضحت الدول الصغرى ثقتها بالدول الكبرى حين وافقت على الصلاحيات الواسعة لمجلس الامن ، حيث القوة الفعلية للاخيرة ، غير انه ليس للدول الكبرى مثل هذه الثقة حين ترفض المبدأ القائل بحل المنازعات القانونية الصرف عن طريق محكمة اثبتت غير مرة نزاهتها وتجردها وتمسكها بقواعد القانون » .

---

(٦) كان ذلك بموجب قرار الجمعية العامة للعصبة بتاريخ ١٨ نيسان ١٩٤٦ .

(٧) في مجلة القانون الدولي الاميركي ، المجلد ٣٧ ــ ص ٢ و ٣ ــ عام ١٩٤٣ يراجع مقال هودسون .

(٨) مؤتمر الامم المتحدة للمنظمات الدولية ــ ج ٣ ــ ص ١٠ .

(٩) مؤتمر الامم المتحدة للمنظمات الدولية ــ ج ١٤ ــ ص ٥٢ .

(١٠) مؤتمر الامم المتحدة للمنظمات الدولية ــ ج ١٤ ــ ص ٥٢٨ .

(١١) مؤتمر الامم المتحدة للمنظمات الدولية ــ ج ١٤ ــ ص ٢٢٧ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي اي حال ، فـان الدول (الموافقة منها علـى الاختصاص الالزامي والرافضة له على السواء) لجأت غـير مرة الـى محكمة العدل الدولية باستثناء الاتحاد السوفياتي الذي لم يتبين لنا ، من المراجع التي بين ايدينا ، انه لجأ الى المحكمة على الاطلاق ، بل كان مدعى عليه من قبل الولايات المتحدة (عام ١٩٥٤ و ١٩٥٥ و ١٩٥٨ و ١٩٥٩) لكنه لم يقبل المثول امام المحكمة ، فشطبت الدعاوى المرفوعة ضده ، وكذلـك كان موقف هنغاريا (١٩٥٤) وتشيكوسلوفاكيا (١٩٥٥) مما يؤكد لنا مجددا مـدى تمسك بعض اشخاص المجتمع الدولي بالسيادة المطلقة التي تتنافى ومفهوم المسؤولية الدولية التي نحاول تبين ملامحها من خلال القضاء الدولي .

ومن الطريف ان نذكر ، في هذه المناسبة ، ان فرنسا رفعت امام المحكمة خلال عشر سنوات (ما بين ١٩٤٩ و ١٩٥٩) ست دعاوى ، كانت اثنتان منها ضد لبنان ، بعدما تبنت دعوى شركة بيروت للكهرباء عام ١٩٥٣ ، وشركة ميناء بيروت وراديو الشرق ، عام ١٩٥٩ ، لكن الدعويين شطبتا فيما بعد ، باتفاق الطرفين ، وهكذا كان كل من الدولتين « يحمل الهوى ، ويخرج منه ، لا عليه ولا له » فتكرست بذلك لغة التسوية ولم يترسخ جذر واحد من جذور المسؤولية الدولية .

على ان السؤال الذي يعنينا في معرض هذا البحث : ماذا يرتب القانون الدولي من احكام لمواجهة الحالة التي ترفض فيها دولة معينة ، وبسبب من الاسباب مبدأ احترام حكم المحكمة ، رغم قبولها بعرض نزاعها عليها ، واعترافها لها باختصاصها في رؤية النزاع ، وفي اصدار حكم بشأنه ؟

الحقيقة ان المادة (٩٤) مـن ميثاق الامم المتحدة تنص ، بهذا الصدد ، على ما يلي : « اذا امتنع احـد المتقاضين في قضية ما عن القيام بما يفرضه عليه حكم تصدره المحكمة ، فللطرف الآخر ان يلجأ الى مجلس الامن . ولهذا المجلس، اذا رأى ضرورة لذلك، ان يقدم توصياته، او ان يصدر قرارا بالتدابير التي يجب اتخاذها لتنفيذ هذا الحكم، ولا يخفى ما في هذا النص من نقاط ضعف لا سيما في عبارتي « اذا رأى ضرورة لذلك » و « يقدم توصياته » فقد ادخلت هاتان العبارتان على النص الاصلي الذي كان مقترحا ، بناء على اعتراضات اثارها كالعادة كل من مندوبي الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي .

وقد حدث فعلا ان تمنعت دولتان عـن انفاذ حكم محكمة العدل الدولية هما البانيا وقد رفضت دفع التعويض لبريطانيا عن خسارتها في السفن المتفجرة بفعل الالغام المزروعة في ممر كورفو ، لكن المجلس لم يتخذ قرارا بشأنه بسبب معارضة الاتحاد السوفياتي ، وايران ، وقد رفضت تنفيذ التدابير الاحترازية التي قررتها المحكمة بشأن الدعاوى المتعلقة بشركة الزيت الانكلو — اميركية ، ثم ان المحكمة قررت فعلا عدم اختصاصها في النزاع المذكور(١٢) .

رابعا — المسؤولية الدولية والقضاء الاقليمي

محكمة العدل العربية :

بالاضافة الى قيام محكمة العدل الدولية الدائمة ، ثم محكمة العدل الدولية ، يجدر بنا ان ننوه بقيام عدد من المحاكم الاقليمية الآيلة الى ضمان حقوق الافراد ومنها :

١ — المحكمة الاوروبية لحقوق الانسان : وقد نصت على انشائها وعلى انشاء « لجنة حقوق الانسان » معها ، الاتفاقية الاوروبية لحماية حقـوق الانسان والحريـات الاساسية (٤ تشرين الثاني ١٩٥٠) (١٣) .

٢ — المحكمة الاميركية لحماية حقو ق الانسان : وقد ذكرت في المادة ٣٤ (البند ب) من الاتفاقية الاميركية لحقوق الانسان التي ما تزال حتى اليوم مشروعا لم يخرج الى حيز التنفيذ بسبب تعذر تصديق سبع دول اميركية عليه وفقا لنص المادة ٨٥ من المشروع .

٣ — محكمة دول اميركا الوسطى لحقوق الانسان : وقد نص عليها في مشروع اتفاقية الدول المذكورة وهي ما تزال ، كالمحكمة الاميركية في حيز المشاريع التي لم تقترن بالنفاذ .

٤ — مشروع محكمة العدل العربية : نص ميثاق جامعة الدول العربية (المادة الخامسة) على انه لا يجوز الالتجاء الى القوة لفض المنازعات بين دولتين او اكثر ، من الجامعة . فاذا نشب خلاف لا يتعلق باستقلال الدولة وسيادتها او سلامة اراضيها ولجأ المتنازعون الى المجلس لفض الخلاف ، كان قراره حينئذ نافذا وملزما .

وفي هذه الحالة لا يكون للدول التي وقع بينها الخلاف ، الاشتراك في مداولات المجلس وقراراته .

ويتوسط المجلس في الخلاف الذي يخشى منه وقوع حرب بين دولة من دول الجامعة وبين اية دولة اخرى من دول الجامعة او غيرها للتوفيق بينهما ، وتصدر قرارات التحكيم والقرارات الخاصة بالتوسط ، بأغلبية الآراء .

فاذا عطفنا على هذه المادة ، نص المادة السابعة من ميثاق جامعة الدول العربية التي تقول :

ما يقرره المجلس بالاجماع يكون ملزما لجميع الدول المشتركة في الجامعة وما يقرره المجلس بالاكثرية يكون ملزما لمن يقبله .

« وفي الحالتين تنفذ قرارات المجلس في كل دولة ،

---

(١٢) يراجع مقال للدكتور ابراهيم شحاته ، عنوانه « موقف الدول الجديدة من محكمة العدل الدولية » في المجلة المصرية للقانون الدولي ج ٢٠ — ص ٣٧ — ١٩٦٥ .

(١٣) يراجع مقال للدكتور عز الدين فوده ، عنوانه « المحكمة الاوروبية لحقوق الانسان » في المجلة المصرية للقانون الدولي ملحق ج ١٩ — ص ١٢١ ، ١٩٦٣ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفقا لنظمها الاساسية » . استطعنا ان نستنتج الملاحظتين التاليتين :

١ ــ ان النص الاول ذكر كلا من التحكيم والتوسط والتوفيق ، ولم يذكر القضاء .

٢ ــ ان النص الثاني يرجح كفة سيادة الدول الاعضاء واستقلالها ، على فكرة التعاون فيما بينها ، او اقرار مسؤوليتها في الالتزام التضامني بقرارات المجلس .

ولا ريب في ان هذا الواقع يجعل الميثاق منطويا على ثغرات لمسها مجلس الجامعة غير مرة ، الامر الذي دفعه منذ عام ١٩٥٠ الى النظر الجدي في انشاء « محكمة العدل العربية » خصوصا وان المادة ١٩ من الميثاق تنص على ان من بين اسباب تعديل الميثاق انشاء محكمة عدل عربية ، وقد الف المجلس لهذه الغاية ، لجنة ثلاثية بموجب القرار المؤرخ في ١٣ نيسان ١٩٥٠ ، فوضعت مشروعا بذلك ، وما زال مجلس الجامعة ، منذ ذلك التاريخ يرجيء النظر في موضوع المحكمة ، مبررا ذلك بضرورة اتاحة الفرصة امام الدول الاعضاء لتوحيد وجهات نظرها حوله ، قبل عرضه بصيغته النهائية على مجلس الجامعة .

وكان آخر تاريخ لادراج مشروع « محكمة العدل العربية » في جدول اعمال الجامعة ، هو دورة ايلول ١٩٧٧ ، لكن اي قرار بهذا الشأن لم يتخذ حتى كتابة هذه السطور .

ولا ريب في ان قيام محكمة العدل العربية المنشودة اصبح امرا ملحا ولا سيما في الفترة الاخيرة حيث شهدنا بألم واسف الوانا من المنازعات العربية التي وصلت الى حد الاقتتال الدموي ، وآخرها قتال الحدود بين مصر وليبيا (١٩٧٧) وفي حال تحقق قيام المحكمة ، فان ذلك يعتبر انسجاما مع احكام المادة ٩٢ من ميثاق هيئة الامم المتحدة التي لم تحصر بمحكمة العدل الدولية ممارسة القضاء الدولي بل اعتبرتها الاداة الرئيسية القضائية للهيئة ، وافسحت في المجال امام محاكم دولية على الصعيد الاقليمي ، اذ ورد في المادة ٩٥ من الميثاق قوله :

« ليس في هذا الميثاق ما يمنع اعضاء الامم المتحدة من ان يعهدوا بحل ما ينشأ بينهم من خلاف الى محاكم اخرى بمقتضى اتفاقات قائمة من قبل او يمكن ان تعقد بينهم في المستقبل » .

وفضلا عما تقدم ، فان محكمة العدل العربية المقترحة تساعد على قيام قضاء اقليمي متخصص وقادر على حل قضايا ذات طبيعة اقليمية خاصة من حيث الجوهر ، قد يخفى الكثير من جوانبها على اية محكمة دولية اخرى تكون مؤلفة عادة من قضاة ينتمون الى حضارات مختلفة ، والى مفاهيم حقوقية متعددة ومتعارضة في غالب الاحيان .

ولا حاجة بنا الى القول بعد هذا ، بأن قيام محكمة العدل العربية سوف يكون ظاهرة صحية تؤكد مدى ترسخ مفهوم المسؤولية الدولية في وجدان مجموعة الدول العربية ، ومدى ايمانها واحترامها لقواعد القانون الدولي ، ولاحكام القضاء الدولي .

خامسا ــ مستقبل القضاء الدولي

الحقيقة المرة التي لا بد من الاعتراف بها ، بصراحة تامة ، عندما نشرع في استشفاف مستقبل القضاء الدولي ، ان اسبابا كثيرة حالت الى الآن دون تكريس فعالية ذلك النوع من المحاكم الامر الذي رسخ سيادة الدول على حساب سيادة القوانين الدولية . ومن هذه الاسباب :

١ ــ كثرة لجوء اعضاء هيئة الامم المتحدة الى محاكم اخرى غير الاداة الرئيسية للقضاء الدولي ، عنيت بها محكمة العدل الدولية .

٢ ــ تردد الدول في تبني قضايا رعاياها ، وفي تحريك مسؤولية الدول الاجنبية ، وذلك حرصا منها على العلاقات الطيبة القائمة بينها وبين تلك الدول .

٣ ــ عدم قيام محكمة جزائية دولية للنظر في الجرائم الموجهة ضد امن الانسانية وسلامتها وكرامتها .

فمن اجل مزيد من فعالية القضاء الدولي ، لا بد من اخذ المقترحات التي يقول بها فقهاء القانون الدولي بعين الاعتبار ، ومنها :

١ ــ افساح المجال امام الوكالات والهيئات المتخصصة لرفع الدعاوى امام محكمة العدل الدولية .

٢ ــ استحداث فروع للمحكمة الدولية في انحاء العالم تكون مختصة على اساس جغرافي ، وتعتبر محكمة العدل الدولية بمثابة المرجع الاستئنافي الذي ينظر في احكام المحاكم الفرعية .

٣ ــ تشجيع تضامن الدول فيما بينها على انشاء محاكم اقليمية ، اسوة بما ذكرنا بالنسبة لانشاء محكمة العدل العربية العتيدة .

اما بالنسبة لتعزيز دور محكمة العدل الدولية الحالية، وبالتالي تعزيز سيادة القانون الدولي ، وترسيخ الاعتقاد بالمسؤولية الدولية ، فلا بد من الاخذ بجملة مقترحات يوردها الحقوقيون الدوليون ومنها :

١ ــ الحصول على اكبر عدد ممكن من قبول الدول الطوعي باختصاص المحكمة الالزامي .

٢ ــ لجوء الجمعية العامة للامم المتحدة الى المحكمة لطلب الآراء الاستشارية او احالة المتنازعين على المحكمة واعتبار كل خلاف قانونيا الا اذا قررت المحكمة خلاف ذلك .

٣ ــ تعديل نظام المحكمة بما يضمن صراحة ، للمنظمات الدولية ، حق التقاضي او المثول امام محكمة العدل الدولية ، بصفة مدعى عليها .

٤ ــ منح الاشخاص حق التقاضي امام المحكمة ضد الدول او ضد المنظمات الدولية .

٥ ــ تأسيس المحاكم الاقليمية التي تضم قضاة اقليميين وتطبق القانون الدولي الاقليمي الذي هو اقرب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان جئت لن استمهلك

يـــا ظالمـي ان لـــم تكـن ... بـــي راحمـــا ، لـــن أسالـــك
او غبـت لـــن انســـاك ... او ان جئـت لـن استمهلـك
يـا مـا دعـوت الـى الهـوى ... قلبـي الـذي لـن يمهلـك
فاهجـر ، تـر القلـب الـذي ... اهملتـه ، لـن يعذبـك !

ادنـــاك منـــي يـــوم ان ... ادنـــاك قلـــب اترعـــك
ذوب الوفـاء ولـــم يـزل ... في صبـوة ، مـا ودعـك
فاذكـر اذا مـا شئت مـن ... ايامنـــا مـــا امتعـــك
واذهـب ، ودع قلبـي المقيـد ... فهـو لـن يمضـي معـك

ذكـر الهوى عطري وافراحي ... ومـــؤنـــس اضلعـــي
القـــاه ريـــان الوفـــاء ... وفي الاسـى يبكـي معـي
أحيـــا بمـــا استافـــه ... مـن زهـره او مـا أعـي
مـن عهـده أو مـا جـرى ... بعـد النـوى مـن ادمعي !

القاهرة — احمد عبد المجيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى افئدة الدول من القواعد الدولية العالمية .

٦ ــ انشاء محاكم جزائية دولية او غرف جزائية في المحاكم الاقليمية لمحاكمة من يرتكبون مخالفة او خرقا لاحكام القانون الدولي .

٧ ــ انشاء غرف اقليمية خاصة بالمخالفات والجرائم المتعلقة بحقوق الانسان .

٨ ــ انشاء محكمة لمعالجة الخلافات السياسية الدولية(١٤) .

خاتمة

وفي ختام هذه الدراسة السريعة ، نظن ان من البديهي القول بلا تناهي النزاعات والخصومات الدولية ، وتلك نتيجة طبيعية ومنطقية لتضارب المصالح ، ولتباين الاهداف ولاغترار الدول الكبرى بقواتها وثرواتها ولقلق الدول الصغرى على مصيرها في هذا المحيط الهائج المائج الذي ما يزال المجتمع الدولي يسمح فيه بقيام سياسة السمك الكبير والسمك الصغير ، كما ذكرنا غير مرة .

لكن المهم ان يرتقي الوجدان الانساني في هذا المجتمع الدولي العريض ، الى مستوى الايمان بلغة العقل والمنطق وسيادة القانون ، لئلا تصبح القيم العلى التي روجت لها كل اديان العالم ، وكل حضاراته واخلاقياته وتشريعاته ، عبارات انشائية براقة اللفظ باهتة المضمون ، او مومياء محنطة تصلح لاروقة متاحف التاريخ .

وفي يقيننا ان كل ما اقترح ، وكل ما سيقترح في المستقبل من اجل ترسيخ فكرة المسؤولية ، وتكريس فعالية القضاء الدولي والاقليمي ، سوف يظل رهين الاقتراح الاهم والقائل بضرورة اعتبار كل نزاع بين الدول نزاعا قانونيا ، الا اذا قررت محكمة العدل الدولية او اية محكمة اقليمية خلاف ذلك وبهذا نقفل الباب امام بهلوانية النزاعات السياسية التي تعرف جيدا كيف تطرح المشكلة ، لكنها تظل اغبى من ان تقدم حلا ملائما للعدالة والمساواة في التعامل بين الدول ، واضعف من ان تعمق في الوجدان العالمي احساسه وايمانه بمسؤولياته وبوجوب اسهامه المضطرد في احترام القضاء الدولي ، وفي ترسيخ قواعد القانون الدولي العام .

فوزي عطوي

(١٤) ورد هذا الاقتراح على لسان الاستاذين كلارك وسوفن في كتابهما : « السلام العالمي عن طريق القانون الدولي » ص ١٧٥ ــ ١٨١ .

بدموعي لا بدمائي

الدكتور سهيل بشروئي

الجامعة الامريكية في بيروت

◎

اذا كانت الدماء حقا غالية
فالدموع اغلى .
الدموع متعلقة بالجسد
متصلة باللحم والدم .
الدموع متعلقة بالروح
متصلة بالجوهر غير المرئي من النفس والذات .
يسيل الدم من كل جزء من الانسان
باحساس او بدون احساس
يسيل الدمع من العين فقط
تدفعه احاسيس عدة ومشاهد جمة
الدماء تلطخ
الدموع تغسل
سفك الدماء جريمة
ذرف الدموع عبادة
الدم مياه اختلطت فيها الاشياء
الدموع ينبوع قدسي طهرت ماؤه
واكتسب نقاوة لا يشوبها شائب
بالدم يشيد الطغاة صروحا
للاستعباد والطغيان
بالدموع يقيم الرسل والانبياء
معابد المحبة والسلام في كل مكان
اذا تحولت الدموع الى دماء
ولد الحسد
ولكن الروح لا يولد
الا اذا تحولت الدماء الى دموع
الكراهية نقطة من الدم ثائرة
في شرايين الشيطان
المحبة دمعة رائقة
في مآقي الازل
ولهذا كله صليت من اجلك مرتين
وأوقدت لك هذا الفجر شمعتين
وذرفت شوقا وتوقا اليك
دمعتين !

◎

لأكتب بالاولى اسمك
وبالثانية اسمي
ولكن الدمعتين اختلطتا
وبدلا من الاسمين اكتبهما
مـــد ..... اصبعه
وخط بحروف الدموع اسمه هو
فقرأت ما كتب
وكانت كلمته التي لا تزول
هي « المحبة » ! !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الريح الصحراوية تهب جافة ، عاتية ، فوق الاهرام الرابضة ربوض الازل في صحراء مصر . تنسف الرمال التي تنزلق عن جوانبها لتتراكم على اقدام ابي الهول ، كأنها تريد ان تنسج حوله غشاء يرد عنه عوادي الزمن وتخلده رمزا لخلود العقل .

في منبسط من الارض يمتد بين القاهرة والاهرام ، انتشر الوف من العمال ، المشمري الاثواب حتى الركب ، قد عصبوا رؤوسهم بمناديل تقيهم لذع الشمس واكبوا فوق حجارة يقطعونها او يصقلونها . يهيئونها لترصف في الطريق الجديدة التي تصل القاهرة بالاهرام .

عند منعطف تظلله اشجار النخيل، توقف بضعة عمال ليمسحوا العرق عن جباههم ويتبادلوا الحديث . ومد احدهم يده الى جيبه فأخرج منها علبة تنك محشوة بالتبغ الخشن ، اخذ منه قبضة يحشو بها لفافة يريد تدخينها ، لكنه اعاد العلبة فجأة الى جيبه وعاد هو ورفاقه الى عملهم الشاق . ذلك لان الوكيل المطربش مر بجانبهم ، معقود الحاجبين ، مستعدا لينتهر او ليضرب بالسوط كل من تحدثه نفسه بالتوقف عن العمل ولو لحظة من الزمن .

لكن الرفاق ، رغم هذا ، يجدون فرصة للتهامس بما يجيش في صدورهم من خواطر . لانهم لم يتعودوا ضبط السنتهم عن موضوع يثير اهتمامهم . فاذا ابتعد الوكيل وأمنوا شره ، مالوا الى الحديث بأصوات منخفضة وهم يسترقون اللحظ الى ما حولهم .

ـ جاءت الاوامر بأن نعمل ليل نهار . لان الطريق يجب ان تنتهي في ايام معدودة .

ـ اربعة ايام ؟

ـ اربعة او عشرة ... يجب ان نفرغ منها في خلال ستة اسابيع .

ـ كل هذا بالسخرة ...

ـ الامير مستعجل جدا . انفق على بناء الطريق الوف الجنيهات التي لم يصلنا منها شيء .

ـ اتعرفون لماذا هذه السرعة ؟ لان الطريق يجب ان تنتهي قبل موعد فتح قناة السويس ، لكي يمر عليها ملوك الفرنج في طريقهم الى الاهرام .

ـ نعم . لتمر عليها ملكة الفرنسيس في عربتها الفخمة .

ـ يقولون انها جميلة جدا .

ـ وماذا نستفيد نحن ؟ ايسمحون لنا بمشاهدتها ؟

ـ لم لا ؟ والله سأصعد الى رأس الهرم لأراها ...

توقفت الالسن عن الحركة . وانشغلت الايدي بالتقطيع والنحت . لان الوكيل المطربش عاد من جولته ؛ منتفخ الصدر ، معقود الحاجبين مستعدا لزجر المتباطئين وضربهم بالسوط اذا اقتضى الامر .

في قصر عابدين كان الخديوي اسماعيل متربعا فوق ديوان مكسو بالحرير ، يدخن غليونا حشاه بالتبغ الفاخر ، يملي اوامره على سكرتيره الخاص الجالس على مقعد الى يمينه .

الامير مستدير الوجه ، مذهل الجسم ، يتكلم وعيناه نصف مغمضتين . قصير اللحية ، يرتدي الملابس الفرنجية ، لا يميزه عن ملوك الفرنج سوى الطربوش التركي القصير الذي يكسو رأسه هيبة ونبلا .

ـ يجب تهيئة القصر الجديد بأسرع وقت لضيافة خمسة آلاف من علية القوم .

ـ كل هذا جاهز يا مولاي ، اجاب السكرتير .

ـ والاوبرا التي وضعها فردي ؟

ـ جاهزة للعرض . الممثلون سيلبسون مجوهرات كلفت عدة ملايين الجنيهات . وستبرز القاهرة بأبهى زينة .

ـ والطريق الجديدة بين القاهرة والاهرام لمرور العربات ؟

ـ اصبحت جاهزة كذلك .

ـ لا تنس ان تضيف تكاليف سفر المدعوين ، ذهابا وايابا ، الى تكاليف اقامتهم .

ـ ستة آلاف ؟

ـ ستة آلاف .

ـ هذا يعني مبالغ طائلة من الجنيهات .

ـ لا بأس . امامنا فرصة نادرة نظهر فيها للسلطان العثماني ان عزيز مصر يستطيع ان يكون اعظم منه سخاء . اراد اذلالي بلقب متواضع . لقب « خديوي » ، لكني سأفهمه ان العظمة ليست بالالقاب .

في هذه الاثناء كان فردينان دوليسبس ، فاتح قناة السويس ، منشغلا بتفقد القناة التي تقرر تدشينها في صباح السابع عشر من نوفمبر ١٨٦٩ برئاسة الامبراطورة اوجني .

عشية ذلك اليوم شاع الخبر بأن صخرة سقطت في القناة ووقفت حاجزا دون مرور السفن اي دون حفلة التدشين . واكتشف فردينان ان اثنتين من آلات اختبار العمق سقطتا فوق صخور جاثمة في القعر فأصبحتا على مستوى يعرضهما للارتطام بسفن المرور . اذ ذاك بادر الرجل الى تفجير الحواجز بكمية من الديناميت ونجح في اخلاء الطريق للسفن .

كان هذا خاتمة العقبات التي جابهها واستطاع تذليلها طوال خمس عشرة سنة . كافح خلالها لتحقيق

الذي يبقى

بقلم روز غريب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



حلمه الكبير الذي قاومته دول اوروبا وعلى رأسها انكلترا . لانها رأت في تزعم فرنسا لمشروع دوليسبس دليل انبعاث المطامع الفرنسية التي اوجدت حملة نابوليون بونابرت الى مصر . وقد نجحت انكلترا يومذاك في افشال الحملة وارغام بونابرت على ترك مصر . فكيف تسمح الآن لابن اخيه بتجديد محاولته ؟

« احفروا قناة السويس تخلقوا ساحة حرب . القناة اخطر من مضيق البوسفور » . هذا ما قاله ارنست رونان الفيلسوف الفرنسي محذرا قادة اوروبا . ومع هذا ، وعلى الرغم من المعاكسات التي لقيها المشروع ، استطاع دوليسبس ان يكسب تأييد الامير محمد سعيد وخلفه اسماعيل . وتمكن من تأليف شركة بحرية عامة برأس مال ضخم وبمساندة اوجني ووساطتها ، اضاف نابوليون الثالث الى رأسمال الشركة اربعة وثمانين مليون فرنك تعويضا عن الغاء السخرة بأمر السلطان العثماني الذي عارض المشروع . وطالت معارضة السلطان ، بتحريض من انكلترا ، مدة ثلاث عشرة سنة . لكنه رضي اخيرا باقرار امتياز الشركة وترك العمل يسير والسخرة تستأنف . وها هو صباح السابع عشر من تشرين الثاني — نوفمبر — ١٨٦٩ ، يطل عليهم حاملا بشائر النصر والفرح .

بدأ الاشراف والاعيان الذين دعاهم الخديوي ، يتوافدون واحدا بعد آخر ، وموكبا بعد موكب . دوق سانت البنس الفرنسي ، الامير توفيق ولي العهد المصري ، امير ويلز الانكليزي ، وآخرون غيرهم ، جاءوا ليشهدوا هذا الحدث العجيب الذي ادى الى ازدهار مرفأ بور سعيد وقيام مدينة الاسماعيلية ، واجتماع بحرين متباعدين : الاحمر والمتوسط ، وربط ثلاث قارات .

قبل موعد تدشين القناة بيومين ، جرى انضمام البحرين في حفلة ترأسها الخديوي . كانت مياه البحر الاحمر محجوزة وراء سد قائم في الطرف الاعلى من البحيرات المرة . وكان سد آخر على بعد كيلومتر يمنع مياه المتوسط من التدفق .

وقف فردينان وقال : « منذ خمسة وثلاثين قرنا تقهقرت مياه البحر الاحمر بأمر موسى . واليوم بأمر حاكم مصر تعود المياه الى وضعها السابق » .

اعطى اسماعيل اشارة فانفتحت السدود وتدفقت مياه البحر الاحمر جارفة في سيلها رمال الشط وما عليها من آلات . فهرع الرجال الى السد الشمالي يدعمونه ويمنعونه من هجوم المياه واكتساحها له . وفي لحظة التحم البحران واستوت مياههما كبحر واحد .

قبيل اليوم المعين لتدشين القناة ، اخذ المتفرجون يتدفقون من كل حدب وصوب لحضور الحفلة . اتراك وتتر . اوكرانيون وبدو . نساء ورجال . عجائز واطفال . الوف من الاوروبيين جاءوا من غير دعوة . فنصبت لهم الخيام ، وحظوا بضيافة اسماعيل ... في منطقة بحيرة التمساح وحدها كان ثلاثون الفا من المتفرجين ، بينهم خمسة آلاف في القصر الذي شيده اسماعيل لهذه المناسبة ، وهيأ للضيوف الذين احتلوه خمس مئة من الطهاة والفا من خدم المائدة .

القناة جاهزة لاستقبال الامبراطورة اوجني في يختها : « النسر » ، الذي ستعبر فيه القناة ، لاول مرة ، من جانب لآخر ، مارة بالبحيرات المرة وبحيرة التمساح ، الى بور سعيد .

اكثر من ثمانين مركبا ، معظمها مراكب حربية ، وفي طليعتها مراكب الانكليز ، اجتمعت للقاء الامبراطورة ، ولدى وصولها أطلقت مدافع الفرح والترحيب .

كان الطقس جميلا . الوف الاعلام تخفق فوق رؤوس الجماهير المختلفة الاعراق والازياء .

« لم أر في حياتي منظرا بهذه الروعة » قالت الامبراطورة .

كان وراء الخديوي ، امبراطور النمسا وامير هولنده وعدد كبير من الامراء . وقف فردينان بينهم ، يستعد لاستقبال نسيبته اوجني وقلبه يطفح سرورا . اوجني احب شخص اليه ، لا لانها نسيبته ، ونصيرة مشروعه فحسب ، بل لانها امراة كبيرة القلب ، فياضة الشعور . سحرت قلوب اصدقائها وعارفيها بشخصيتها الفذة . حين مرورها باستانبول في طريقها الى مصر ، نجحت بلباقتها في ازالة التوتر الذي ساد علاقة تركيا بمصر ، فأقام لها السلطان حفلة تكريم نادرة المثال ، دلت على التأثير الذي تركته في نفسه تلك المقابلة .

أيمكن ان ينسى فردينان فضلها على مشروع القناة ؟ أينسى انها بذلت لاجله كل ما لديها من نفوذ لدى الامبراطور ؟ كلما فكر هذا في التراجع كانت هي وراءه لتقول : « لا !... » لقد كانت هي المحرك لكل خطوة ايجابية خطاها نابوليون الثالث ولولاها لما كتب لمشروع القناة اي نجاح . فمن يكون احق منها بتدشين القناة ؟

بدت الامبراطورة بملابسها الحريرية المزخرفة وحلاها المتوهجة مثل احدى سلطانات الف ليلة وليلة . لكن الجمال الذي شع من وجهها الملائكي وعنقها المكشوف وذراعيها البضتين كسف بريق الحلى وروعة الملابس . فلو لبست ثياب راعية لما كانت اقل فتنة .

— اهنئك يا عزيزي ، قالت اوجني وهي تعلق الصليب الاحمر لجوقة الشرف على صدر دوليسبس . لقد حققت حلمك الباهر . اصبحت محط انظار العالم . بلغت قمة المجد .

— بملء الفخر اذكر فضلك على المشروع ، قال فردينان .

— ما قمت به لا يستحق الذكر .

— بالعكس . اما انا فقد كنت منساقا الى عملي بدافع لا يراد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لحظة عمر

يا لحظة عمر
تحملني فوق شجوني
يا موجة شوق
تدفعني نحو جنوني
لا تدعي العمر يسابقني
لا تدعي الشوق يفارقني
فالعمر شجون وجنون
وأنا مفتون مفتون
وأنا أحيا
والشوق حياة ترويني

يا حلم الامس
يعانقني خلف الايام
يسبقني نحو غدي
لحنا فوق الانغام
أمضي عنه فيعاودني
وأعود اليه يراودني
فالحلم حياة ملك يدي
وصباح يسطع في خلدي
وسواه سراب
اوهام بين الأوهام

لم نشكو ان طال فراق
من بعد لقاء
لم يا دنياي وفي الدنيا
غيم وصفاء
ان جاد القرب بموردة
أسقيه وأشرب من يده
او راح البعد ليطوينا
فالذكرى كأس تحيينا
والحب جمال
يرسمه ظل وضياء

طيف مسحور
جمعنا بالامس نداه
وأفاق الصبح يودعنا
في همس ضياه
أهلا بالامس يجمعنا
أهلا بالصبح يودعنا
والغد ان جاءت نسمته
او ضاع وضاعت بسمته
فالغد أقدار ، اسرار
والحب حياه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جامعة الاسكندرية

لطفي عبد الوهاب يحيي

سيطر علي الحلم واستعبدني ولاجله ضحيت بكل شيء .

ـــ لا تندم يا فردينان . لا يستطيع الانسان ان يحقق جميع امانيه . ولا بد من تضحية بعضها في سبيل امنية كبرى .

في المساء ، حين أوى فردينان الى مضجعه . اخذ يراجع في ذهنه قول الامبراطورة . وخطر له السؤال : بماذا ضحت اوجني حين تزوجت الامبراطور ؟ الم يكن بريق المجد الذي استهواها ؟ هل احبت الامبراطور ام احبت العظمة والابهة اللتين طوق بهما راسها ؟

سعت اوجني وراء المجد ولكن ، هل يدوم المجد ؟

وهتف به صوت آخر من اعماق نفسه : وهل يدوم الحب ؟

لم يمض على تدشين القناة سنة واحدة ، حتى اندلعت نار الحرب بين فرنسا والمانيا . فانهزم نابوليون الثالث في حرب السبعين وانهار عرشه . واضطرت الامبراطورة ان تهرب مستخفية الى انكلترا حيث قضت بقية عمرها منفية ، مجهولة ، كأية امرأة عادية . تجتر ذكريات الماضي وامجاده الضائعة . في وقت واحد فقدت زوجها وعرشها وحبها ومجدها .

وفي منفاها كتبت الى نسيبها دوليسبس تقول :

« فقدت كل شيء . لكن امرا واحدا يمنحني عزاء . هو اني بذلت كل ما امكنني بذله في سبيل مشروع عظيم يحمل الخير والمنفعة للبشرية . هذا وحده الذي يبقى » .

روز غريب

نم ايها الاعصار

◎

نـــم ــ ايهـــا الاعصـــار ــ قـــد ارهقتنـــي جسمـــا ونفســـا
نـــم ــ يـــا جنـــون ــ فانـــت قـــد ارهقتنـــي ذهنـــا وحســـا
نـــم انهـــا نامـــت .. وعـــاد رجـــاؤك المنشـــود يأســـا
نامـــت وألهبـــت اللظـــى في القلـــب يضـــرم منـــه جســـا
نامـــت وقـــد حبســـت علـــى الذكـــرى همـــوم النفـــس حبســـا
قـــد افـــرغـــت كأســـي ولمـــا انتـــش .. فحطمـــت كأســـا
وصحـــوت فانقشعـــت أمـــان عشتهـــا وهمـــا وجدســـا
واذا بواقعـــي المـــريـــر اعيشـــه ادهـــى واقســـى
مـــا لـــي وللايـــام تمشـــي بـــي مـــع الآمـــال عكســـا
مـــا ان ارى مـــاء يروينـــي فتجعـــل منـــه يبســـا
ضاقـــت بـــي الدنيـــا . فـــلا عجـــب اذا مـــا ضقـــت نفســـا
طفـــح الانـــاء ففـــاض آلامـــا وحـــرمانـــا وبؤســـا
ليلـــي رهيـــب الظـــل . لـــم تطلـــع بـــه الايـــام شمســـا
أنـــى اتجهـــت ارى الهمـــوم بجانبـــي ــ مغـــدى وممســـى
فتظـــل تأكـــل مهجتـــي وتعضنـــي نابـــا وضرســـا
الصبـــر .. هـــل يجـــدي وينفـــع مـــن تصبـــر او تأســـى
وصمـــدت حتـــى صـــرت اقـــوى مـــن عواصفهـــا وأرســـى
أجتـــر بقيـــا الذكريـــات تفيـــض في دنيـــاي أنســـا
واضيعـــة الانســـان حـــين يضـــم في جنبيـــه حســـا
بينـــي فـــلا تبقـــي لـــه الايـــام مـــن مبنـــاه أســـا
تجتـــث مـــا زرعـــت يداه فـــلا تبقـــى منـــه غرســـا
يـــا ليتـــه مـــا كـــان قـــد فهـــم الحيـــاة ولا أحســـا
واضيعـــة العمـــر الثمـــين تبيعـــه الايـــام بخســـا

يـــا امـــس .. يـــا حلمـــي اللذيـــذ .. ومـــن يـــرد علـــي أمســـا
يـــا نغمـــة العيـــش الهنـــي تلـــذ في الاســـماع جرســـا
يـــا لحظـــة العمـــر التـــي مـــرت .. ولكـــن ليـــس تنســـى
يـــا ســـحـــر عينيهـــا . وقـــد اوحـــت حديـــث الحـــب همســـا
لغـــة العيـــون وعيتهـــا وحفظتهـــا درســـا فدرســـا
نظراتهـــا ملئـــت حنانـــا زادهـــا طهـــرا وقدســـا
بحـــر عميـــق الغـــور لكنـــي بـــه ألفيـــت مرســـى
ووجـــدت دربـــي فيـــه مفـــروش الخطـــى فـــلا وورســـا
حلـــم رقيـــق الظـــل فيـــه قـــد لمســـت الســـعـــد لمســـا
وقطفـــت مـــن ثمراتـــه مـــا طـــاب لـــي نبتـــا وغرســـا
تتراقـــص الآمـــال مـــن حولـــي كأنـــي عشـــت عرســـا

بغداد ــ ص.ب ١٠٣٨ محمد جواد الغبان



رشيد الذوادي

رضوان ابراهيم كما عرفته

بقلم رشيد الذوادي

★★★

تعودت ان التقي به من خلال دراساته وابحاثه في معظم مجلات الشرق مثل « الاديب » و « الآداب » و « الهلال » و « العربي » و « الموقف الادبي » ثم كان لقائي الثاني معه في تونس وبالتحديد في شهر فيفري ١٩٥٦ ، عندما نشر بمجلة « الندوة » مقاله الشهير « رعاية الادب » الذي حدد فيه مهمة الاديب في الوطن العربي ودوره الواعي المتجدد عبر السنين والايام .

لمست في كتابات هذا الرجل روحا ملتهبة ، وتنويعا ، وايمانا قلبيا يدفعه هدف كبير جعل عقله في خدمته .

تبين لي من خلال هذا الاتصال الفكري « برضوان ابراهيم » انه كاتب مكثار واديب طلائعي وناقد حصيف .

هو لا يكتب فيما يشتم منه التسلية ، او ما فيه دغدغة الغرائز وتملق الشهوات ، كما انه لا يجري وراء الكسب المادي ، انه لزاهد في كل ذلك ، ولكنه في مسعاه كان يهدف الى افادة القارىء العربي ، وتوعيته ، وتعريفه بماضي حضارته العربية .. الم يقل في احدى مقالاته : « اصبحت مسؤولية الادب العربي خطيرة الى حد لم يعهد من قبل .. فاذا كانت سبيله بالامس التسجيل ، او الترويح .. واذا كان بالامس فن ملحة ودعابة ، او زينة مجلس ونقل شراب .. واذا كان الاديب بالامس مشعوذا ، او مهرجا ، او مرفها ، او ملهاة ملحقة بالركب ، فقد اصبح اليوم دليلا وهاديا وموجها .. لقد تطورت مفاهيم الادب بتطور الوعي ، وعظمت رسالة الاديب بعظم جدية الامور التي نعيش في خضمها اليوم .

وعاد الاديب رائدا للمجتمع ، وموجها للامة ، يوقظها من غمرتها ، ويضع في يدها سلاحها وامام اعينها اهدافها ثم يمنحها الروح والقوة والجلد والصبر ..

لم تعد وظيفته في الامة ان يهدهدها ويغنيها الاغنيات الناعمة حتى تطرب ، او يقص عليها الخرافات الحالمة حتى تنام ..

بل تبعته في هذه الآونة ان ينشدها الانغام الثائرة ، حتى تهب ، وان يصرخ في آذانها حتى تثور على نفسها وعلى معايبها ، وان ينصب لها المشاعل الوهاجة على الطريق حتى لا تضل ولن يقول لها بعد اليوم : نامي ولا تبالي الحياة ، واهجعي هادئة مطمئنة ودعي الكون يصطخب من حولك ، فمالك في دنيا الناس من ناقة ولا جمل .

ولكنه قائل لها : اعملي واعملي واعملي ، حتى تسودي .. ان الناس جميعا يعملون ، ومن لا يعمل لا يأكل ولا يعيش ، ومن لا يتقدم في كل لحظة خطوات ، ارتد الى الوراء » .. (١)

وتعددت لقاءاتي بفكر هذا الرائد العربي الواعي ، فاذا بي اتلهف على مقالاته الاخرى في « الندوة » عام ١٩٥٦ خاصة ، « الدراسات الادبية المعاصرة »(٢) و « شعر من نزار قباني »(٣) و « المسؤولية الثقافية للجامعة العربية »(٤) .. أيقنت بعد اطلاعي على هذه الدراسات الهادفة القيمة انني كنت في صحبة رجل ليس ككل الناس ، لانه مفكر واع وكاتب اصيل له ملامح فكرية واضحة .. ادركت ان الفقيد رضوان ابراهيم له رسالة .. هو مؤمن بها ، ومتجه اليها ، ومدفوع الى حمايتها .. ويود ان يمضي في الطريق ليكمل المسيرة عن طريق القلم والحرف .

وجمعتني به الصدف ذات يوم بتونس في ايام انعقاد المؤتمر التاسع لادباء العرب (مارس ١٩٧٣) .. كان الوقت مساء والجو منعشا .. حدث هذا بمناسبة حفل

---

(١) مجلة « الندوة » التونسية س. ٤ ع. ٢ (فيفري ١٩٥٦) .
(٢) مجلة « الندوة » س. ٤ ع. ٥ (ماي ١٩٥٦) .
(٣) مجلة « الندوة » س. ٤ ع. ٦ (جوان ١٩٥٦) .
(٤) مجلة « الندوة » س. ٤ ع. ٤ (افريل ١٩٥٦) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اقامه « اتحاد الكتاب التونسيين » بنـزل « افريقيا » ، تكريما للادباء العرب .. قدمني اليه الاديب ابو القاسم محمد كرو قائلا له : « ان الصديق رشيد له كتاب في المطبعة يحمل عنوان « رواد الاصلاح » وسيتحدث فيه عن جماعة من رواد الاصلاح مثل الافغاني ، وعبده ، وبيرم الخامس ، وخير الدين التونسي ، وعبد الحميد بن باديس .. وشد بيديه على يدي .. قال انه يحبذ كتبا من هذا النوع لانه تأثر بحركة المصلحين كثيرا والتهم كل ما كتب حول هذا الموضوع ، كما عاشر الكثير من مريديها وما زال يحن الى الاماكن والاندية التي اعتاد ان يجلس فيها بالقاهرة كل من الافغاني ، وعبده ، وسعد زغلول ، ورشيد رضا ، ومحب الدين الخطيب ، ومحمد فريد .. وفي اثناء حديثنا عن « العروة الوثقى » قال : « انها البذرة الاولى لمقاومة الاستعمار في شتى مظاهره ، كمـا حملت على سياسة التغريب والتشويه والتزييف » . كما عرفني ببعض اصدقاء محمد عبده الاوفياء له ونوه به كمفكر واع تحمل المشاق في سبيل مباديه وعن صلاته بالتونسيين التي امتدت منذ زيارته الاولى لتونس فيما بين : (٦ ديسمبر ١٨٨٤ — ٥ جانفي ١٨٨٥) ووعدني بالكتابة حول كتابي هذا حالما يتصل به وفعلا وفى بوعده وكتب فصلا عنه في مجلة « الفكر » عدد ماي ١٩٧٤ ، كما قدم بعض كتبي في برنامجه الاسبوعي الادبي في « اذاعة الكويت » ونشر عنها بعض الكتابات في مجلتـي « الاديـب » اللبنانيـة (ديسمبر ١٩٧٣) و « الصدى » التونسية : (ع. ٦ : ١٧ جوان ١٩٧٤) .

قضينا حوالي الثلاث ساعات في هذه الجلسة الفكرية الممتعة وامكنني فيها ان اتعرف عليه كشخص ، وكمفكر .. وناقد ، وانسان يحب البشر ويتألم للمتعبين منهم .

هـو يعمل باحدى هيئات وزارة المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية بالقاهرة ، وهو يراس « رابطة الادب الحديث » بها .. عاش فقيرا وذاق مرارة اليتم ، وانهى تعلمه بالقاهرة واحرز على « الاجازة » في الآداب ، وعلى عدة شهائد عليا : في الادب العربي المعاصر .. وفي اللغة الروسية .. وفي علم النفس .. وفي علوم التربية .

واشتغل بتدريس الادب ، وبتنظيم المكتبات ولـه تجارب في الشعر الوجداني ، كما الف عدة كتب منها :

أ) مجموعة من « قصص الاطفال » .

ب) مجموعة قصص « جراح شعب » .

ج) وكتبا تحمل عناوين :

«ازمة التعبير الادبي» و «شعراء العرب المعاصرون» و « تيسير مقدمة ابن خلدون » .

د) وترجم عن اللغة الروسية عدة مؤلفات هامة منها كتاب عن « الادب التونسي » و « نظريات ابن خلدون » المطبوع بتونس عن (دار المغرب العربي) للمستشرقة الروسية « سفيتلانا باتسيفيا » ، استاذة اللغات الشرقية بجامعة لينينجراد والتي يعود لها الفضل في التعريف بابن خلدون في الاتحاد السوفياتي كمفكر عربي تتلمذت عليه واعتمدت على نظرياته في الاجتماع والاقتصاد والسياسة والتاريخ .

ومن خلال حديثي معه تبينت ان الرجل لا يحب الحديث عن نفسه ، لكنني احرجته بأسئلتي وافتككت منه هـذه المعلومات التي تبرز عصامية الرجل وجهاده الادبي وما اسهم به في تغذية الفكر العربي في معظم مجالات الادب بالوطن العربي واذاعاته خاصة في مذاييع « القاهرة » و «صوت العرب» و «الكويت» و «دمشق» و «العراق» و « الدوحة » و « الجزائر » .

وتعددت اتصالاتي بهذا المفكر عن طريق المراسلة المستمرة او عند زيارتي له في القاهرة في صائفة ١٩٧٤ .. ادركت من خلال هذه الصداقة ان هذا المفكر العصامي ، الذي كافح الفقر والمظالم ، وهزأ بالاتعاب وتحدى الصعاب ، لو اراد ان يلعب بالذهب لاستطاع ، ولكنه فضل العيش الشريف .. فضل ان يعيش صوفي الروح يخدم امته ، ويناضل في سبيل اصالتها بما استطاع .

ادركت انه يحمل في نفسه املا كبيرا لذلك سارع باقتحام الصعاب حتى لا يتعثر الشباب فيها او تكون حائلا بينه وبين مسار الامة الطبيعي وضياء المنار الخالد الذي اقامه الاجداد طيلة اربعة عشر قرنا .

عاش الاستاذ رضوان ابراهيم طيلة حياته يكتب ..

اشتركوا في مجـلة

الاديـب

تساهموا في نشر الثقافة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتب في تمجيد اللغة العربية وثقافتها ، واشاد بالنضال العربي ، وبشر بالوحدة ، وتغنى بالبطولات ، وباهى بالمواهب الشابة ، ودافع بقلمه عن قضايانا المصيرية ، وخاصة قضية فلسطين ، وأزمة المثقف العربي ، واشكال الشعر والقصة . ومن ايادي رضوان ابراهيم على تونس انه اخلص اليها .. أمد مجلاتها وصحفها « كالندوة » و « الفكر » و « الصباح » و « الصدى » و « الثقافة » بعديد البحوث طيلة عشرين عاما ، كما قدم الكثير من المؤلفات التونسية عن طريق « اذاعة الكويت » مثل : « السد » و « حصاد قلم » و « دراسات » و « ادباء تونسيون » و « التوت المر » و « اعلام من بنزرت » و « الشعر التونسي المعاصر » .

وقد راسلني منذ بضعة اشهر طالبا مني ان امده ببعض القصائد الشعرية للاساتذة : الهادي العبيدي ، ونور الدين صمود ، ومحمد العروسي المطوي ، واحمد القديدي ومحمد صالح الجابري ، والهادي المدني ، وعبد العزيز قاسم ، والطاهر الحداد ، وسعيد ابو بكر ، والشاذلي خزنه دار .. وفعلا انجزت طلبه وكانت آخر رسالة مني اليه منذ شهر تقريبا راسلني على اثرها شاكرا ومعلما بأن له دراسة عن « الشعر التونسي وتياراته » .

بمثل هذه الاعمال الادبية الجادة كان الاستاذ رضوان ابراهيم يعبر عن حبه لتونس ولثقافتها وفكرها وادبائها .. وعنده ان الكتابة الاصيلة هي من انفس الفنون ، وان الشعر الجيد سيبقى غذاء للروح ما دام للناس عواطف ومشاعر واحاسيس ، وان الفن الادبي الرائق سيظل الى الابد متعة للاذهان وبهجة للقلوب رغم تفوق الروح العلمية .

ومن آرائه : انه لا بد ان نكون حذرين من الدعوات الهدامة المدمرة التي تريد ان تقطع صلاتنا بتراثنا وبماضينا الحافل بالمآثر ، كما كان يوصي الكتاب بالشجاعة ، وطالبهم بالفناء في سبيل المبدأ والعقيدة ، ودعاهم الى الالتزام لكن دون الخروج عن المتعة الفنية الجمالية ، اذ لا استغناء عن اي واحد منهما ، فهو يقول في هذا الشأن :

« ولا تعارض بين ان يكون الادب لنفسه وبين ان يكون للمجتمع ، فانه لا يحمل الى المجتمع شيئا ذا قيمة ما لم يكن ادبا ذا قيمة يرضي الذوق المرهف والحاسة الجمالية ثم يطلقها متفجرة تنير سبيل الحرية ، وتنسف العوائق ، وتسير بالانسان الى هدف نبيل »(٥) .

ومن دعواته انه الح على تواجد مقاييس وانماط جديدة في النقد الادبي لان النقاد العرب لم تكن لهم وجهة علمية مدروسة او فلسفة واضحة فيما يكتبون من آراء نقدية ، طالبهم بامعان النظر في الاثر المنقود حتى لا تنمو وسائل الهدم والتدمير ، كما اوصاهم بعدم القسوة ، لان القسوة جارحة وقد تثني العزائم عن الانتاج ، كما دعا الى التراجع في الاحكام حتى لا يمتد الطريق الشائك امام المنحرفين .

وهو يرى ان الكاتب الصادق المؤمن المسؤول يجب الا ينحاز الى راي او الى مبدأ او شخص ، لان ذلك يفقد العمل الادبي قيمته في راي الحق والتاريخ(٦) .

هو يطالب الكتاب دائما بالتزام الصدق والحق فيما يكتبون .. يناديهم بالدقة ، ويتجنب السرعة والتزييف .. يؤكد في هذا الشأن :

« لا بد من العدالة ، وتسليط اضواء الضمير ووزن مصير الاحكام امام التاريخ يوم ينصب لهذه الاقلام موازينه العادلة »(٧) .

هذه بعض آرائه تجدها في مقالاته ويحدثك عنها بلهجة رصينة هادئة وبروح انسانية رقيقة فتحس بسر اللمسات الرائعة في حديثه وكتابته .. تلاحظ في نبرات صوته وفي تعابيره ان الرجل يحمل ملامح واضحة .. في الفكر .. في الجهاد .. في الكتابة .. في المزج بين مختلف التيارات الفكرية المعاصرة .. في الهدف الاكبر .. هدف الكاتب الاصيل الواعي والرجولة الحق .

ورغم مظهره المتواضع ولين طبعه ، تشعر اذا ما خلوت الى « رضوان ابراهيم » او تجاذبت معه اطراف الحديث انك امام رجل خير بطبعه قد آمن برسالة وتعذب طويلا في سبيل حملها وتبليغها .

لقد كون شخصيته مرحلة مرحلة ليصبح كاتبا مسؤولا يضيء الدروب ، ويدفع المواهب ، ويغذي المشاعر .. رفض « رضوان ابراهيم » الادب المحنط الذي يزيد في تخدير الشعوب واذلالها ، وترفع عن الكسب المادي ، وعن الرتب والالقاب الوهمية وظل يعمل قرابة نصف قرن من اجل تعميق المثل العليا وتوضيح الفكر الاصيل ، الملهب للاحاسيس والعواطف .. الهادف الى توعية الاجيال وخلق الرجولة فيها .

فتحية اليك ايها الصديق الاعز .. وليتقبلك الله برحمته وغفرانه وليجزيك خير الجزاء .

بنزرت — تونس — رشيد الذوادي

(٥) مجلة « الندوة » س. ٤ ع. ٥ (ماي ١٩٥٦) ص. ٢٩٩ .
(٦) المرجع السابق . (٧) نفس المصدر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



البدوي الملثم يعقوب العودات

البدوي الملثم في رسائله

بقلم عيسى فتوح

* * *

... « اما الدراسة التي تراودك عني ... فمع شكرك على هذه العاطفة ، فأنا انسان أمقت الاضواء العامة ، وأؤثر العزلة والانطواء هربا من الناس ، حتى انني قلت لقرينتي : « عند موتي افضل الا يسير في نعشي الا افراد العائلة وبعض الاخوان ، وحذار ان تقيمي لي مأتما وعويلا ... اما حفلة التأبين فانني أمقتها وأنا تحت اطباق الثرى ! ... ان لي فلسفة خاصة قد لا يرضى عنها الكثيرون ممن نعايشهم ، وهذه الفلسفة ستكون زادي في العالم الثاني » . من رسالة بتاريخ ١٩٦٧/٩/٥ .

كانت صلتي بالمرحوم البدوي الملثم ، صلة القارىء المتتبع المتقصي ، بالاديب المنتج الثر ، يعطي بلا حساب . واذكر انني قرأت له ، اول ما قرأت ، كتابه عن « ابراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته » ثم كتاب « شاعر الطيارة ــ فوزي المعلوف » فأعجبت بهما ايما اعجاب ، وان كانت صفة الجمع هي الغالبة عليهما ، وتمنيت لو اتيحت لي مراسلته . لأبثه تقديري ... وانطوت الايام ، حتى كان عام ١٩٦٧ ، اذ تعرفت بالاديب والكاتب المسرحي الاب اسطفان سالم(١) في اللاذقية التي نقلت اليها لتدريس مادة اللغة العربية في مدارسها الثانوية ، وتوثقت عرى الصداقة بيننا يوما بعد يوم ، حتى لا يكاد يمر يوم لا نلتقي فيه ونتحدث في الادب وشؤونه ، والموسيقى التي يعتبر من اساطينها تأليفا وتلحينا وعزفا من الطراز الاول على آلتي الارغن والبيانو . وذات يوم اطلعني على ما كتبه عنه البدوي الملثم في مجلة « الاديب » تحت عنوان « اعلام الفكر والادب في فلسطين » الا ان الترجمة التي وضعها له كانت مقتضبة جدا .

ابديت للأب سالم رغبتي في التعرف على هذا « البدوي الملثم » بعد ان قرأت له اكثر من كتاب واحد ، فدفع الي بعنوانه في عمان ، وفعلا كتبت له اول رسالة بتاريخ ١٩٦٧/٤/٢٠ فأجابني قائلا :

« سرني ان اتلقى رسالتك الانيقة المؤرخة في ٢٠ الجاري ، وقد حز في نفسي ان احرم لقاءك في حلب الشهباء ، عندما قصدتها في عيد الاضحى الفارط لأعود صديقي الاستاذ فتح‌الله الصقال بمناسبة مرضه .

وعلى ذكر هذا الصديق النبيل شرعت بعد ايابي من زيارته في التخطيط لدراسة بقلمي ، ينوي اخ الطرفين الاستاذ عبدالله يوركي حلاق اخراجها في عدد خاص من مجلة « الضاد » ، وعلى كل ابق هذا النبأ مكتوما ، ولا تكتب به للعزيز عبدالله » .

قلت ان ما كتبه عن الاب سالم في مجلة الاديب كان مقتضبا جدا ، وعندما ألمحت له بذلك كتب لي يقول : « سرني ان تكون اذا صلة بالاديب الاب اسطفان سالم ، وجوابا عن ملحوظتك ، فاني ارحب بفصل واف عن سيادته ، اذا ما تعاونتما على اعداده ، ولاثبته في احد الجزءين المنوي ايداعهما احد مطابع بيروت الكبرى .

وزيادة في الايضاح اعلمك بأن موسوعتي التاريخية المصورة « اعلام الفكر والادب في فلسطين » ستجيء في اربعة اجزاء متتالية ، وفي الوقت الحاضر لدي مادة للجزءين الاول والثاني » .

لقد احب المرحوم البدوي الملثم مجلة الاديب وصاحبها الاستاذ البير اديب محبة جمة خالصة ، ولذلك كان يعمل لدعم هذه المجلة ماديا ومعنويا وادبيا بشتى الطرق ، وهو الذي سعى ــ مع نخبة من اصدقائه في الاردن ــ لتأليف لجنة اطلقت على نفسها « لجنة يوبيل الاديب » بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على تأسيسها ، قامت بجمع المساعدات لها عندما كانت تجتاز اقسى محنة مادية ،

(١) اصله من بلدة الناصرة في فلسطين ، وكان مديرا عاما لثانوية الارض المقدسة في اللاذقية .

ARCHIVE
https://archivebeta.Sakhrit.com

هددتها بالتوقف . ولا اغالي اذا قلت ان مجلة الاديب كانت شغله الشاغل ، وموضع اهتمامه الاول . كتب لي يقول : « من فضل الله ان تجيء حصيلة التبرعات التي قدمناها لمجلة « الاديب » بمناسبة مرور ٢٥ سنة على صدورها دسمة ، وأود من سيادة الاب سالم ومنك مناصرة هذه المجلة الراقية وتزويدها بمشتركين افاضل يقدرون الادب ، فيدفعون بدل الاشتراك دون تذكير وتكرير ... ومتى وجدتما فئة قليلة من هذا النوع المثالي فاكتبا مشكورين للاستاذ البير اديب وعنوانه كذا ... وأبلغاه اعطر سلامي .

واخيرا من حقي عليك ان اذكرك بالفصول الطلية التي يسخو بها قلمك ، واقترح عليك حزمها في كتاب تزفه للخزانة العربية ، ختاما اشكرك على دعوتك وارجو ان يتاح لنا اللقاء ، ولا تنس قدس الاب سالم ، والصديق القديم الاستاذ توفيق نديم هارون في اللاذقية من سلاماتي ، والله أسأل ان يحفظك لمحبك » . يعقوب العودات

كان رحمه الله لا يفتأ يذكرني بقضية مجلة الاديب وضرورة الاهتمام بها في اللاذقية ، لذلك عاد في رسالته المؤرخة في ١٩٦٧/٥/٩ ليحثني مرة اخرى على العمل من اجلها . وفي نهاية الرسالة ينقل لي بعض انباء موسوعته « اعلام الفكر والادب في فلسطين » وأنباء صديقه معالي الاستاذ فتح‌الله الصقال في حلب :

« اخي الاستاذ عيسى فتوح دمت بخير

سعدت هذا الصباح برسالتك المؤرخة في ٢ الجاري . وردا عليها :

١ ــ اشكرك على تطوعك لخدمة « الاديب » والمهم يا اخي ليس « الكم » بل « الكيف » فخمسة من المشتركين الذين يحترمون انفسهم ويؤدون ما عليهم ، خير من خمسين مشتركا بهلوانيا المهم في نظري نوعية المشتركين لا كثرتهم . ولعل الاب الفاضل اسطفان سالم يولي هذه الناحية اهتمامه ، فأهل مكة ادرى بشعابها .

٢ ــ العمل الموسوعي الذي انشر بعض فصوله على صفحات مجلة « الاديب » عمل خططت له تخطيطا علميا هجائيا ، فكيف انسى الاديب الاستاذ نصري الجوزي(٢) لقد بعثت بالفصل الخاص به الى قلم تحرير « الاديب » برسم النشر .

٣ ــ تشير الرسالة التي تلقيتها قبل ايام من قرينة معالي الاستاذ فتح‌الله الصقال الى خروجه بنزهة حول مدينة حلب بالسيارة ، وعزمه على قضاء اشهر الصيف في اوروبا للعلاج والاستجمام .

٤ ــ الاستاذ يوسف عبد الاحد هاتفني قبل مدة من عمان واكد لي قرب زيارتي في المنزل ، فرحبت به ، ولم اشعره بأنني طريح الفراش منذ ايابي من حلب ، وحتى هذه الساعة لم يتصل بي يوسف ، ولا ادري اعاد الى دمشق ام انه في ربوع الاردن .

اقف عند هذا الحد ، وارجو حمل سلامي الى الاب الفاضل سالم ، والى الصديق القديم هارون ، ولك مني خالص الشكر ، وموفور المودة ، المخلص » . يعقوب العودات .

في ١٩٦٧/٥/١٢ رزقت بأول مولودة اسميتها « لينا » فكتبت له أزفه النبأ فأجابني بتاريخ ١٩٦٧/٦/٣ يقول :

اخي الكريم « ابا لينا »

« الف مبروك اطلالة « لينا » وأرجح تكون هذه اول رسالة تتلقاها بكنيتك ومناداتك « بأبي لينا » ، متعها الله بالسعادة في ظلك وظل السيدة والدتها ، وأراها أفراخا من اخوتها ، وأطال في عمرك للاسرة السعيدة .

سرني ان تتسلم نسخة كتابي « شكري شعشاعة » ، وقد تطوع الاخ يوسف عبد الاحد بايصالها اليك ، وهو في طريق عودته الى مقر عمله . امس فرغت من كتابي : « فتح‌الله الصقال الرائد الانساني الكبير » ، ومن فوري كتبت للأخ الاستاذ عبدالله يوركي حلاق ليعلمني باللازم حول موافاته بالكتاب في هذه الظروف ، او التماهل في ذلك .

تلقيت الساعة رسالة من الصديق وديع فلسطين، وفيها يعلمني بأنه قرأ في جريدة نعي الصديقين العزيزين نصر سمعان الشاعر المهجري ، ويوسف اليازجي ، احد مفاخر

(٢) كنت قد ذكرت له في رسالتي ان هذا الاديب يعيش في دمشق بعد نكبة ١٩٤٨ ، وفعلا كتب عنه في الاديب .

في مطلع كل شهر
اطلبوا
الاديب
من الباعة والمكتبات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العروبة في المهجر . لقد بكيت هذين الاخوين الحميمين اللذين عرفت فيهما المروءة وسراوة المحتد .

اشكرك على الجهد الذي بذلته في سبيل « الاديب » ودعمها بالمادة ، ولعل الاب اسطفان سالم يكون عونا لك في هذا المضمار القومي ، وعلى ذكر الاب سالم ماذا فعلتما بالفصل المتعلق به والمنوي « تهويته » وزيادته . اكتفي بهذا القدر ، واكرر تهاني بريحانة القلوب « لينا » وارجو للأخ النبيل ولفيف الاسرة دوام الصحة والسعادة » .
يعقوب العودات

بين رسالتيه المؤرختين في ٦٧/٦/٣ و ٦٧/٧/١٧ حدثت نكسة الخامس من حزيران ، وما رافقها من اهوال ، وكنت قد اخبرته ان لي اخوين طبيبين اشتركا فيها : الاول في الجبهة الاردنية ، والثاني على خط النار في الجبهة السورية ، وسلما بحمد الله بعد ان اشيع ان الاول — وهو طبيب عيون — اسر في اسرائيل ، ولكنه عاد ولم يحدث شيء من هذا ، فكتب لي والالم يعصر قلبه على خسارة العرب عامة ، وخسارة مجلة الاديب خاصة ، قائلا :

الاخ ابا لينا

« تلقيت الساعة رسالتك الرقيقة المؤرخة في ٣ الجاري فبادرت الى الرد عليها وانا في حيرة من بدئها واختتامها ! احمد الله على سلامة شقيقيك ، ولو شاهدت الاهوال التي عاشها هذا البلد لقدرت مداها ، ولصورت بقلمك الهلع الذي انتاب الناس العزل ، ولرأيت ما فعلته مدنية القرن العشرين من بربرية وحرق وترويع ! رحم الله فوزي المعلوف القائل :

ليت عمرانه تأخر اجيا لا فكل البلاء في عمرانه !

سنظل يا اخي نعيش في دوامة القلق حتى يسود الحق الباطل ، ويعود الى اهله .

الخسارة التي ألمت بمجلة الاديب من جراء تهويد القطاع العربي الفلسطيني تقدر بـ ٣٦٠٠ ليرة سورية ، ولا ادري كيف السبيل الى التعويض على الاستاذ البير ، واذ اشكرك على دعمك هذه المجلة الراقية ، ارجو من الاديب الجليل الاب اسطفان سالم ان يولي هذه المحنة التي اصابت « الاديب » اهتماما خاصا ، وان تتفضل بدورك بتهوية(٣) الفصل الخاص بسيادته وتوافيني به على عجل .

قبل ايام وافيت الاخ الاستاذ عبدالله حلاق بكتابي المخطوط « فتح‌الله الصقال الرائد الانساني الكبير » وبعد ان تناهى خبره لمعالي الاستاذ الصقال طير لي البرقية التالية « اطلعت على مؤلفكم الرائع عني ، فأثر في نفسي تأثيرا بليغا اراق مدامعي ، واثار اعجابي بوفائكم المكين الصادق ، فبكل مشاعر محبتي وتقديري ، اشكر لكم اجزل الشكر ، وارجو من المولى ان يكافئكم عني وعن الادب والتاريخ والصداقة الحقة ، وان يديمكم واسرتكم الغالية . وبمناسبة سفري الى سويسرا لمتابعة معالجتي استودعكم الله وأبثكم اطيب التحيات والاشواق .

اكتفي بهذا القدر ، وارجو ابلاغ القرينة تحيات ام خالد وسلامي مشفوعا بلثمي وجنتي « لينا » ريحانة القلوب » . يعقوب العودات

لم تكن لتفوت المرحوم يعقوب العودات مناسبة دون ان يجيل قلمه فيها من ولادة ، او موت ، او تنصير الخ ... ولذلك كتب لي بعد ان جرت حفلة تنصير ابنتي الكبرى يقول : « اخي أبا لينا

تحيات من قلب وبعد ، اليوم اطلت علي رسالتك الانيقة المؤرخة في ١٩٦٧/٩/١١ فقابلت اخبارها بالغبطة ، وبادرت الى التبريك بتنصير ريحانة القلوب « لينا » متمنيا لها العمر الطويل في ظلال والديها العزيزين » ثم يخبرني عن زيارته دمشق والتقائه بصديقه القديم يوسف الصارمي :

قضت ظروف قاهرة بسفري الى دمشق وبيروت لأعود في الاولى صديق الاغتراب الاستاذ يوسف الصارمي صاحب مجلة « المواهب » التي كانت تصدر في « بونس ايرس » وابن « صلنفه »(٤) الذي عاد قبل عامين الى دمشق واستقر فيها مع افراد اسرته واصيب بفالج نصفي . ونظرا لما اكنه لهذا المغترب الاديب من ود واحترام قررت السفر الى دمشق ظهر ١٩٦٧/٨/٢١ لزيارة هذا الاخ الغالي بعد غياب ١٥ عاما . وكم اتمنى لو عرفت هذا الانسان(٥) الطيب القلب عن كثب ! ، وهذه الظروف نفسها تقضي باستئناف السفر الى بيروت لأعود صديقي معالي الاستاذ فتح‌الله الصقال ، اذ تناهى الي انه عندما عاد من « جنيف » الى مطار بيروت ، زلت به قدم فأصيبت ساقه بشظي حمله على دخول المستشفى ، لهذا عولت على السفر لبيروت لأعود معاليه .

وتدل رسائل الاخ الاستاذ عبدالله يوركي حلاق على ان مطابع « الضاد » انجزت طبع نصف كتابي « فتح‌الله الصقال : الرائد الانساني الكبير » وفي نهاية ايلول الجاري ستفرغ من طباعته وتجليده » .

ان القاسم المشترك الاعظم لرسائل المرحوم البدوي الملثم كان مجلة الاديب التي ظل حتى اللحظات الاخيرة من

---

(٣) قمت فعلا بـ « تهوية » الفصل الذي كتبه عنه وارسلته له ، لكنه لم ينشر ، ولعله ما يزال محفوظا بين اوراقه المخطوطة وقد اكد لي وصوله في آخر رسالة كتبها لي .

(٤) يريد ان يقول « كفرجوايا » مسقط رأس الصارمي وهي قرية من قرى صافيتا .

(٥) الواقع انني كنت اعرف هذا الاديب قبل رسالته ، وقد كتبت عنه مرتين في مجلتي « المعرفة » و « الثقافة » بدمشق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حياته يعمل جاهدا لدعمها ، والترويج لها ، وان لم تكن بحاجة الى الترويج بقدر ما هي بحاجة للدعم المادي ، وهذه شهادة صديق اردني لي وله هو الاخ الاديب عيسى الناعوري الذي كتب لي بتاريخ ١٩٧١/١٠/٥ وبعد وفاة البدوي الملثم يقول :

« الحقيقة ان خسارة مجلة « الاديب » بوفاة العودات كانت اكبر من خسارة الكثيرين غيرها ، فقد كان يعقوب ، في السنوات الاربع الماضيات يجمع لها من الانصار والتبرعات ما لم يجمعه لها انسان آخر . وفي عام يوبيل الاديب كان له اكبر الفضل في انشاء « لجنة تكريم الاديب » في الاردن ، واكبر الفضل في جمع مبلغ ١٣٠٠ دينار اردني وارسالها الى الاديب . وفي العام التالي كذلك مضى يجمع لها المال والاشتراكات ، وتسنى له — بفضل صداقاته العديدة في الاردن والخارج — ان يجمع بضع مئات اخرى ، واستمر في توفير الاشتراكات لها بعد ذلك حتى وفاته » .

لقد تألم للمحنة المادية التي المت بالاديب لذلك كتب لي بتاريخ ١٩٦٧/٩/١٥ يقول : « احزنني الظرف القاسي الذي تبلوه مجلة « الاديب » ، وبالرغم من ظروف النكبة الثانية ، فقد استطعنا جمع بعض المال لتتمكن هذه الصحيفة الشريفة من مواصلة الصدور . وبارك الله في همتك وجزاك عن الادب خير الجزاء واطيبه .

اجزاء موسوعتي الفلسطينية تتراوح بين ٦ — ٨ اجزاء ، ولولا النكبة التي قلبت الامور راسا على عقب لتم تأليف اللجنة التي تتبنى طبع الاجزاء ، وها نحن بانتظار تحسن الظروف . سلم على القرينة والاب اسطفان سالم . والله يحفظك لقادر ادبك » . يعقوب العودات

عمان في ١٩٦٧/١٠/١٣

« اخي الاستاذ عيسى

ظهر البارحة عدت من زيارة لبنان مارا بدمشق ، ولم انس خلال اليلة التي امضيتها في جلق المرور بالشقيق الدكتور جوزيف — على الواقف — والسؤال عنك وابلاغك عطر تحياتي وهناك حصل لي شرف لقاء الوالدة الفاضلة .

بين الرسائل التي وردتني رسالتك اللطيفة المؤرخة في ١٩ الفارط ، وقد جاءت طافحة بأخبارك السارة . سرني ان تكون على صلة بالصديق القديم الاستاذ يوسف الصارمي ، وحبذا لو زرته كلما بلغت دمشق ، وحملت اليه قبلاتي وسلاماتي ، فالصارمي يا اخي كالقطع النادر ! .

هاتفت الاخ الاستاذ حلاق فوافاني الى بيروت ، وكنا معا في زيارة الصديقين الاستاذين الصقال وبدوي الجبل المقيمين في المستشفى الالماني ببيروت ، وفي استقبال الصديق الاستاذ فارس الدبغي القادم من البرازيل ، وبعد ان امضينا معا مدة ثلاثة ايام عاد كل منا الى مقر عمله ، وقد علمت من الاخ عبدالله بفراغه من طباعة كتابي عن الاستاذ الصقال ، وبعد اسبوع من تاريخه سيفرغ من حزمه وتجليده والشروع في توزيعه ، وبالطبع سيكون اسمك في الطليعة ، وأود ان اقف على رأيك في هذا الجهد المتواضع لأنشره على صفحات « الاديب » وعلى ذكر « الاديب » ذكرتك كثيرا لدى الاخ الاستاذ البير واطريت ادبك الرفيع وخلقك السامي .

أعلمني سيادة الاب سالم بتبرعه بمبلغ خمسين ليرة سورية لمجلة « الاديب » وتفضل سيادته بارسال المبلغ الى صاحبها مع رسول امين ، من الله في عمره واجزل له الثواب والجزاء .

اعذرني اذا وقف القلم عند هذا الحد ، اذ ان علي ردودا على عشرات من الرسائل التي تلقاها « خالد » وابوه في الاجازة . سلم على القرينة واسلم لمحبك » . يعقوب العودات

عمان — الاردن ١٩٦٧/١٠/٢١

« الاخ العزيز الاستاذ فتوح

تحيات من قلب وبعد ، حالما عدت من اجازتي واطلعت على رسالتك الاخيرة اجبتك فورا وعرجت على ذكر زيارتي الخاطفة للاخ الدكتور جوزيف ، لكن مصلحة البريد في اللاذقية اعادت الرسالة وعليها عبارة « مجهول العنوان » فأدركت انني لم اذكر على غلاف الرسالة عبارة « المشروع الثاني » فتداركت هذا السهو . وعدت الى ايداع هذه الكلمات والرسالة « التائهة » بريد عمان باسمك . مشاغلي لا تحصى وكل ما ارجوه منك ومن الاب العالم اسطفان سالم الصلاة من اجلي » المخلص يعقوب العودات .

عمان — الاردن في ١٩٦٧/١٢/١

« اخي الاستاذ عيسى نفعنا الله بعلمك ووعيك

تحيات من قلب وبعد ، بين يدي الساعة رسالتك المؤرخة في ٢٩ الفارط ، وقد سرني وجودك والقرينة الفاضلة والطفلة الغالية في غمرة من الصحة والسعادة . لكن اسفت لاقدامكم على شراء جهاز التلفزيون ، هذا الجهاز الذي تمقته آلاف العائلات في اميركا لانه كان سببا رئيسيا في رسوب ابنائها ، وانصرافهم عن دروسهم . انني يا عيسى اميل الى الهدوء والمطالعة الصامتة ، وامقت اللجاجة والصخب ، والصور المتحركة ! .

ما زلت بانتظار النسخ التي طلبتها من الاخ الاستاذ عبدالله حلاق من كتابي عن الاستاذ الصقال ، ولعلي اتلقى رأيك فيه ، كما ارجو ان نتعاون والاخ الاديب الاب اسطفان سالم على سبك الفصل الخاص بسيادته وموافاتي به بالبريد المسجل . سلم على القرينة العزيزة والاخ الدكتور جوزيف عند الكتابة اليه ، وتقبل والاخت القرينة تحيات ام خالد ومودة المعجب بشخصك ، الفخور بأدبك » . يعقوب العودات .

دمشق — عيسى فتوح



نقولا يوسف

مع فقيد الادب نقولا يوسف

بقلم رياض نصور

* * *

عقدت الدهشة لساني ، وملأ الحزن قلبي ، عندما علمت في مكتب « مجلة الاديب » انه مضى اكثر من عام على وفاة صديقي الاديب الكبير الاستاذ نقولا يوسف . هكذا يموت الاعلام ... هكذا يموت الادباء الكبار في بلادنا العربية ، في صمت يذهبون ودون ان نسمع فالصحف والمجلات والاذاعات العربية والرأي شغلها وما يزال موت المغني الفنان عبد الحليم حافظ ... واجهزة الاعلام هذه بكاملها لم نعرف وعن طريقها ولو خبرا صغيرا عن الاديب الكبير الذي قضى عمره في الكتابة والتأليف وترك للعربية اكثر من ثلاثين مؤلفا في القصة والرواية والدراسة الادبية منها ما نشر ومنها ما يزال مخطوطا بانتظار النشر .

نقولا يوسف هذا الكبير في ادبه ... الكبير في صداقاته ... الكبير في اخلاقه ... الكبير في وفائه ... يمضي هكذا مجهولا وكما يمضي اكثر الادباء غريبا عن الوطن وعن الديار ... لا كلمة ، لا همسة ، ولا اذاعة ولا تلفزيون ... لم يتحرك احد للاشادة بأعماله الضخمة ومؤلفاته الغزيرة ... فروايته « الهام » التي كتبها في اوج الشباب ... لم اجد عند دراسة الرواية في مصر من يشير الى هذا العمل الجبار والذي يعتبر من اسس الرواية المصرية القوية عمقا واسلوبا ودراية . ومن مجموعاته القصصية التي تلطف باهدائها الي : « هم وهن » و « مع الناس » وهي الى جانب كامل كتبه جديرة بالدراسة والتعمق والتعليق .

امتدت معرفتي بالاديب الكبير الى سنوات خلت .. كنا نتراسل دائما .. ولقد كان رحمه الله شعلة وفاء واريحية ومحبة .. كان يهديني مؤلفاته ويسألني عن الادب والادباء في مدينتي اللاذقية عروس الساحل . وكنت اوافيه ببعض مؤلفات الادباء اللاذقيين .

اهديته عام ١٩٦٩ مجموعة قصصي « اشباح المدنية » فكتب لي رسالة بتاريخ ١٩٦٩/١١/٩ وبها يقول : « تلقيت رسالتكم الرقيقة ووصلت الي بعدها مجموعتكم القصصية الجديدة « اشباح المدينة » ويبدو ان المجموعة تمهلت في طريقها الي فسبقتها الرسالة عشرة ايام ! — بينما كنت في طريقي الى القاهرة .. فصحبتها معي عملا بالقول المأثور : « سل عن الرفيق قبل الطريق » ...

وهكذا قدر لهذه المجموعة الحسناء ان تزرع الفضاء — من اللاذقية الى الاسكندرية — ثم الى القاهرة المعزية — لتعود الى شاطىء السكينة وتعيش مع اشباح المدينة .. وهناك ارجو ان اجمع اشتات نفسي ، وابدي لكم رأيي — ما دمتم ترون في مثل هذا الراي قيمة .

وكنت قد اطلعت على اقصوصتكم اللطيفة بمجلة « الاديب » عدد تشرين اول الماضي ... واعتقد انني كشفت في هذه الاقاصيص عامة عن قاص فنان موهوب ، دقيق الملاحظة ، جميل الاسلوب ...

فالى لقاء قريب — يا اخي الاديب — راجيا ان ارسل اليكم ما يقع لي من كتبي ... » .

وتوالت على مدى السنين رسائله وكتبه ومعايداته في عيدي الفطر والاضحى . وكانت الصور المهداة في الاعياد ليست من الصور التقليدية المعروفة ، وانما صور تجمع باقة من قادة الادب والفكر وتمثل الفقيد في جلسات مع طه حسين ، وتوفيق الحكيم ، ومحمود تيمور وصديق شيبوب وهلال ناجي وغيرهم .. وكنت اعتبر ان الاعياد التي اعايد بها بمثل هذه الصور الثمينة هي اعياد العرب اجمعين ولا فرق بين طائفة وطائفة وعيد وآخر ... ولا ادري كيف عرف مؤخرا فتوقف عن ارسال هذه الصور بمناسبة الاعياد وانما ضمن رسائله القيمة التي كانت تصلني تباعا ...

وكنت ارسل اليه مؤلفات بعض الادباء اللاذقيين وفي احدى رسائله المرسلة الي بتاريخ ١٩٧٠/١٠/٣٠ يقول في احدى فقراتها : « جاءتني عن طريقكم المجموعة القصصية التي دبجتها يراعة الاستاذ القصاص عبدالله عبد بعنوان « مات البنفسج » وكتبت اليه على عنوانكم شاكرا فضله ... وفي الشهر الماضي تسلمت ديوان « ازهار » للشاعر الفنان منير سليمان وبعثت اليه اخيرا خطابا ... كما ارسلت اليه والى الاستاذ القصاص عبدالله عبد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مجموعتي القصصية « هم وهن » — مبادلة روحية تذكارية — ارجو ان تكون قد وصلت جميعا سالمة ...

ومع ذلك — اعترف بتقصيري المزدوج نحو هذه المؤلفات القيمة سواء في الرد السريع على كل منها — ام بالكتابة عنها في احدى الصحف العربية — وعذري الذي احاول تقديمه : تلك الظروف ... ومداعبات الشيخوخة ... والمآسي القومية والشخصية ... ثم ما كلفت به من وضع مؤلف عن « اعلام دمياط » مسقط رأسي وكنت قد قدمت كتابا عن « اعلام من الاسكندرية » وضممت الى ترجمتي — ابني اللاذقية — الراحلين صديق وخليل شيبوب لاقامتهما الطويلة في الاسكندرية ... وكم اود ان تقوموا مشكورين بنشر كتاب عن « اعلام اللاذقية » — لنزداد جميعا معرفة بحياة ادبائها ومجاهديها العاملين ، وبآثارهم واعمالهم اجمعين ... ومنهم « الشيبوبين » الكبيرين واللاذقية مدينتهما حيث ولدا ...

وكثيرا ما يخفف عني ما أقراه لكم وعنكم بين الحين والحين في مجلة الاديب البيروتية ثم اتحرك للكتابة ... ثم انكص ... » .

ولا استطيع ان انقل الا القليل من رسائل المودة والاخلاص ، واكثر هذه الرسائل تتحدث عن الكتب التي ارسلها اليه دائما ولكنني احاول ان اعطي قدر المستطاع بعض ما جاء بهذه الرسائل مما يعطي صورة واضحة عن الاديب الكبير الذي كان جم التواضع ، جم التضحية جم النشاط رغم الشيخوخة ، وجم الاخلاص ...

بتاريخ ١٩٧١/٣/١٢ كتب لي يقول : « تلقيت هذا الاسبوع رسالتكم ومعها مسرحية الاستاذ مصطفى الحلاج « احتفال ليلي خاص لدريسدن » — وشرعت في مطالعتها بعد قراءة مقدمتها التحليلية البديعة التي كتبها الاديب حنا مينه ...

فأرجو قبول شكري الجزيل على اهداء هذه التحفة الادبية الي ... وما سبقها من مؤلفات قصصية وشعرية بأقلام الادباء اللاذقيين الذين ازددت بهم بفضلك معرفة وتقديرا ... وكنت خير عامل على توثيق عرى المودة بين الثغرين العربيين الجميلين — اللاذقية والاسكندرية — .

والى ان افرغ لدرس هذه المؤلفات القيمة — ويقدرني الله على الكتابة عنها والتنويه بما هي جديرة به من تقدير وتقييم ، فقد ارسلت منذ يومين الى « بريد الاديب » البيروتي كلمة بعنوان : « تحية من الاسكندرية الى ادباء اللاذقية » — قصدت بها ان تكون مقدمة موجزة عامة لدراسة شاملة خاصة ان سمح الاجل ... » .

ولقد نشرت هذه التحية في عدد مايو من الاديب لعام ١٩٧١ .

وكتبت له في احدى رسائلي اشكو لوعة فراق من نحب . فكتب لي جوابا مطولا وبه يقول : « ... انك اعلم يا اخي العزيز بأننا على سفر من هذا العالم الارضي المضطرب . نودع بعضنا بعضا — على لقاء في عالم آخر اكثر سلاما وبهاء ... ولكنه فراق الاحباء ما يحطم قلوبنا ... ومرض الاعزاء ما يهد قوانا — وليس امامنا الا الايمان ... والتجلد ... والتسامي بالاحزان ...

كانت رسالتكم امامي طوال هذه الايام الماضية — تكر سراعا متشابهة عابسة ... وانا اجهد في الاجابة والرد ... وفي ارسال برقيات التعزية الى اهل الاصدقاء والزملاء الراحلين تباعا من تنعيهم الينا صفحة الوفيات بجريدة الاهرام كل صباح ... وانا اتقوقع مقاوما تقلبات الطقس وموجات البرد ، ونوات امشير — ووعكات الشيخوخة ، وبلايا الحياة الدنيا ... الهو بخفيف القراءات وانباء الصحف وكلام المجلات — عاجزا عن حمل القلم المتجمد ، والقيام نحو الاعزاء الاوفياء بالواجبات ... كما ان لدي اكثر من عشرة مخطوطات تحتاج الى بعض المراجعة والتبييض — منها ما اعد في الاربعينات ومنها ما اعد بعدها تدريجيا — وقد يعود اهمالها — عدا الشيخوخة — الى ندرة « الحوافز » و « الدوافع » التي تحركها من مكانها ... » .

اما آخر رسالة من الفقيد بعثها الي فهي اطول الرسائل جميعا يحرضني بها على الكتابة والتأليف ويطالبني بطبع كتبي المهملة قبل ان تدركني الشيخوخة ويدعوني للكتابة عن صديق فقدناه فيقول : « حزنت على فقد الصديق الشاعر الشاب منير سليمان في حادث سيارة يرحمه الله ويحسن اليه — انني لم اره قط ولم اعرفه الا عن طريقك ... ليتك تكتب للقراء في « بريد الاديب » ولو نصف صفحة (مؤقتا) عن حياته واعماله للذكرى ...

لقد فقدنا في هذه الاعوام الاخيرة عددا كبيرا من ادباء العربية الشيوخ والشباب — وهي خسارة يؤسف لها — وعزاؤنا ان الكتاب والشعراء يتابعون الحديث عن مآثرهم وتراثهم .

لقد اتممت في ١٢ مارس الماضي سبعين عاما من عمري اي (بلغت من العمر ارزله) كما يقولون — ومع ذلك احمد الله ، ما زلت اسير على قدمي والتقي بالاصدقاء ... واواصل قراءة الصحف والمجلات والكتب ... وان كنت فقدت الميل الى الكتابة والتحبير ... وعجزت عن تلبية نداء الاصدقاء من محرري الصحف والمجلات ... والرد على المراسلات والمكاتبات وتركت موسدات عشرات المقالات والمؤلفات معرضة للتلف والفناء ... » .

هذا مقطع اخير ومن آخر رسالة خطها لي بقلمه المرهف صديقي الاديب الكبير نقولا يوسف قبل ان يودعنا الوداع الاخير ... ولقد عرفته من خلال ما قدمه للمكتبة العربية من آثار قيمة ومن خلال رسائله الطافحة بالمشاعر النبيلة ، والوفاء النادر ، والتهذيب الرفيع ... وكم يطيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

راحـــــلة

يـــا حبيبا لـــم يزل بين ضلوعي ... نغمـــا يحلـــم بالفجـــر الوديـــع
ليس لي غيرك ، يا روح فؤادي ... انت شمس القلب في ليل الخشوع
يـــا لعين ذوبتني .. يـــا لوجه ... اخجل الورد ، وفي الورد نجيعي
ترحلين الليـــل ، والنـــار بجنبي ... وأنـــا شوقـــي قطـــار للرجوع
كيف يـــا سارقة العمـــر اغني ... للهوى الراحل ، للهدب الصريع
منك ضاء الكون يـــا فتنة كوني ... فانتشى الصدر على صوت الرضيع

* * *

لك ، يـــا احلى عذاب في حياتي ... ابحـــر الزهـــر بأضواء الشموع
زينـــة الدنيا التـــي يرقص فيها ... رمشك الاعذب ، يا نجم سطوعي
ملكتني .. قيدتنـــي ، فاعتقيني ... بـــين هدبيك أيـــا حلوة جوعي
يا غرامى ، هل ترى يشهق عمري ... بالتراتيل التـــي اجـــرت دموعي
هـــل تطوفين على زورق دمعي ... هل تدوسين على عطري الصريع
فليبارك خطـــوك الحـــب المعنى ... واذكريني جمرة بـــين الضلوع !

مراكش ــ المدينة
ص.ب ٤٦١
آيت وارهام احمد بلحاج

لي ان تسارع وزارة الثقافة في مصر الى اصدار كتبـــه المخطوطة والى اعادة طبع كتبه المفقودة من المكتبات مع كامل تراثه الثر ... وان يسارع ادباء العالم العربي الى اعطاء دراسات شاملة عن الفقيد الكبير ... ولعلي بما اعطيته من ايجاز عن رحلة الصداقة بيني وبينه قد قدمت ولو شيئا ضئيلا من الوفاء للاديب الراحل . وقد اعود في المستقبل القريب لدراسة ادبه والكتابة عن بعض مؤلفاته التي اهداها لي في حياته وهي غزيرة المبنى والمعنى ، فياضة بما تحويه من عمق واصالة ورهافة احساس . وهي جديرة بالدراسة الواعية والتعمق الصحيح .

وسنذكر دائما ان صديقنا الراحل كان انسانا كريما واديبا مرهفا وقارئا متذوقا ، وصديقا صدوقا ...

لقد مضى نقولا يوسف وبقيت ذكراه حية في نفوسنا وقلوبنا الى الابد .

اللاذقية — رياض نصور

الشاعر اسماعيل عامود

بقلم عبد الكريم دندي

* * *

يتابع الشاعر اسماعيل عامود رحلة الصيف بجهد متصل لم تفتر خلالها الهمة عن مكابدة آلام الابداع ، وعذابات التغرب فيها . وان ظل مترددا بعض الوقت في انطلاقته الشعرية بين الشكل المرسل والمقيد ، فمرد ذلك الى البداية العصامية التي عرجت طريقه في حقل المعرفة والادب . ومنذ ربع قرن وهو يكتب الشعر وينشره على الناس فوق صحائف الدوريات الادبيـــة والمنابر سواء في دمشق او بيروت . وقد طرح حتى الآن خمس مجموعات شعرية هي :

ــ من اغاني الرحيل	نشره عام ١٩٥٩
ــ كآبـــة	نشره عام ١٩٦٠
ــ التسكع والمطر	نشره عام ١٩٦٢
ــ اغنية للارصفة البالية	نشره عام ١٩٧٢
ــ اشعار من اجل الصيف	نشره عام ١٩٧٧

واذا كانت رحلة الصيف عند العرب الاقدمين . رحلة البيع والشراء والسياحة ، فهي عند شاعرنا رحلة الحلم والحزن والهوى . فهاجس الترحـــال ضارب في غـــور احاسيسه ، اذ ولد في بيت مرتحل بحكم وظيفة والده ، لا يستقر به المقام طويلا . ولا تألفه الجماعة . وكان هذا الترحال في الاقاليم قد غرس في وجدانه جو الاغتراب ، وحس الزمن ، فكان مزماره في غربته الدائمة ، والتجوال نوله الذي ينسج عليه خيوط بيرقه الشعري في رحلة الصيف على المدى ، مذ نظم الشعر اول مرة وراح ينشده امام ضيوف والده حينا ، وبين اترابه اغلب الاحيان :

« حبيبي .. قم بنا نمضي
بجو الحب طيرين
هجرنا الارض للناس
وهذا العالم القاسي
بعيدين .... بعيدين .. »

و « اشعار من اجل الصيف » ليست سوى خواطره التـــي ارهقته احساسا بالمفارقات القائمة بـــين الكائن والممكن . وشراعه الى العالم الفسيح عبر بوابة الخيال المطلق وجنوح الشاعر الى العالم السحري لم يغرب صورة عـــن مألوف القارىء العربي . وظلت صوره الشعرية مشدودة الى واقعها الذي تهرب منه على جناح حلم اليقظة ، حيث السعادة والهناءة مسورة بالرغبة الفردية في تجاوز آلام الواقع . والوصول الى عالم سعيد . بلا مشكلات ترهق القلب والفكر معا . عندما يقلب الانسان في جوهرها عقله .

فمشكلات الواقع من حول الشاعر هي وليدة خلل فكري في البناء الاجتماعي الفوقي .. وممارسة مشوهة على الارض . والصور الشعرية عند اسماعيل عامود لم تمازج بين جموح احلامه ، وواقعه القائم فظلت على مدى الرحلة بعيدة عن الغرابة في عين القارىء ، ولم تكن تبهره ايضا لانها حافظت على اتزانها الادبي وفق منهج البلاغة العربية . وحدودها دائما في الواقع ، لا تنفجر العلاقات بين الحدود من اللاشعور بقدر ما تسامي الى العلو المتكون من دوائر احلام الشاعر .. :

« ايتها السواقي المترنمة في المنحدرات
صيفي يرتمي عن الاعالي معفرا بترابه .
بشحوبه .. وبأحزانه
انه ينتهي في آخر الوديان
وانتن ايتها القبرات فوق الاعشاب الحالمة
انبئن حبيبي في المدينة
انني ــ تحت الدالية ــ انشج ..
والدالية حبلى بألوان الصيف
انبئن حبيبي في المدينة عن تعذيبي
ونسيماتك يا صيف لم تعد تحمل الي نغم العصافير
لم تعد تقفز على اسيجتك بلابلي العاشقة
وكل ما فيك يا صيف ،
امسى شيئا من المقت والتعب والشجون
بيادري الثرية اطعمتها لاطيار الشحوب
المسافرة الى بلاد الغرام »

فرحلة الصيف كما نرى عند الشاعر اسماعيل عامود مشوار احلام متنوعة ، ومدار تساؤلات فردية شتى ، تتناغم فيها الذات الشخصية مع الصبوات الانسانية الى الراحة الدائمة في مستقر ابدي ، وتلك امنية الانسان منذ القدم دونهـــا عثرات وتحديات لا تحصى . تقفز اليهـــا الاحلام .. ولقد اغرم الشاعر بالتسكع ، ــ مركبته الوحيدة الى الامنية ــ واخذ من عطائه حجما لا بأس به . وان دل هذا على شيء في حياة الشاعر . فانه يدل بالتأكيد على هيمنة الطفولة على مسار رحلته ، والواقع ان صوره تعطي القارىء هذا الانطباع . فالخيال جانح الى المطلق ، يبتعد به الشاعر عن ارض الواقع ، وهذا الجنوح قد اغرق صوره الشعرية في المثالية وذلك انفصام كامل عن معايشة الشاعر والقارىء لما يجري حولهما من احداث واحلام .. ولولا اسباب البلاغة التي حافظت على حدودها في هذه الصور لما تذوق قارىء ظلالها او ارتحل مع الشاعر الى الاجواء المقصودة :

« لقد مرت سحابة فوق غرفتي
حجبت شمس الصباح عن نوافذي
وهمست : اين الخريف ؟
فانقبض صدري ، وعلت وجهي علامة يأس قاسية
وهتفت : ويحي
هل سينتهي صيف المحبوبة ؟

وتصبح عذابات الشاعر دامية بمقدار ما تجسد من هموم فردية يكابدها في العالم السريع نحو اهداف الجماعة الانسانية ، واسماعيل لا يشارك في حمل عبء الصليب مع هذه الجماعة . خوفا على فرادته . فاشكل عليه الهروب هذا الصليب . ومعاناة ثقله في رحلته الشعرية . وظل يرنو الى الخلاص من بعيد ، ويحدق في طريق الجلجلة كل يوم . فالتضحية في منظوره مطهر فردي . ولا يعيش قيمها الا في المستوى الذاتي . وتلك هوية الحالمين دائما :

« الزمان يسيرنا الى حيث لا ندري
انه يسرق منا اعذب الساعات واللحظات
بودي لو املك اعنته الجامحة
اذن .. لوقفت به على بابك يا حياتي
لسمرته عند صيفك بأشعاري
ولكن ما اضعفني يا الهي
تمنحنا الحب .. كي نتعذب
يحرقنا الشوق بالعذوبة ،
ويغمرنا الفرح ليردينا الالم بأودية الاوجاع
فلا شوق طال ، ولا فرح بقي
وصيفنا الجميل يستسلم
ينطفىء على عتبات الشتاء
يجرنا الى العتمة صاغرين ..

ومهما جهدنا ان نحمل الصور ظلال الواقع . فلا جدوى من كل ما نسعى اليه . فالشاعر لا يربط اشعاره بخيط فكري محدد . والغريب ان اسماعيل عامود يكابد هموم الوطن والمواطنين ، ولكنه يهرب ويهرب قارئه معه من هذه الهموم على مركبة الحلم الى البعيد . ويكفيه في هذا التهرب ودق العاطفة الموارة :

« رامبـــو
افق من سباتك الابدي
وتعال معي
لندق معا : بأرجلنا الحافيات
ساحات عاطفة الشعراء في القرن العشرين

ان الشاعر في رحلة الصيف يحلم ، ثم يحلم . ولقد عذبه هذا الحلم طويلا في مسيرته الشعرية والوجودية حتى .. لقد جهل الآخرون مقامه بينهم ، وتعبوا في مقاصده من هذا التسكع الدائم ولو تحت المطر . انه يغني كل يوم حتى لا يسمع آهات المحرومين . ويحلم كل ساعة حتى لا يرى آلام البائسين من حوله . ففي الحلم والشعر رحلة لذيذة تغرقنا في امنية الانسان ساعات قليلة :

« طيور احلامي
كم اطلقتها في الليل نحو دارك
فتعود الي وفي مناقيرها اغرودة حب يائسة
وعلى ريشها شحوب روح حرون
وفي عيونها دمعات اسى وتعاسة
فأحزن لحالها . واغص بمرارة
ثم امسح على ريشها برفق وحنان
كي لا تعود اليك ثانية
ايتها البخيلة الجاحدة
يا من تحب بلا احلام »

فالعذاب الذي يكابده الشاعر خلال رحلته . هو عدم فهم الآخرين مقاصده ، من جهة ، والموازين القلقة بين الناس من جهة اخرى . وكم تضنيه الزلفى عندما تصبح العملة الوحيدة في ميدان الحياة :

« في بلادي .. لكي تعيش
عليك ان تشترك في السباق
والا فاتك القطار
في يقظة الفجر الشاحب

والحزن ميسم بارز في صوره الشعرية على مدى الرحلة ، ويتوضح هذا الحزن في الوان مختلفة وان لم يحمل صك الفاجعة في وجدان الشاعر ، بقدر ما يمثل غربته القائمة في نفسه من التناقضات المتصارعة في واقعه :

« عندنا امر ... تكون الشمس في جفن الافق
بينما شحروري الغامق يغرد
بأغنية بائسة
انه يناديني ولكن .. ؟

او في مثل هذا الخطاب :

« ايتها المرأة .. : انا اعطيك من افكاري
جمالا ورقة وصفاء وعطرا
وانت بقايا
تعطينني ماذا .. ؟
شحوبا وكآبة
ونشيجا وحزنا
لا كنت اذن ايتها البقايا »

فرحلة الصيف اذا عند اسماعيل عامود رحلة الحزن والحلم . حلم يجنح به عن واقعه المضني . وحزن على احتراقات الانسان في الوجـود . ان استمرار عطائـه الشعري ربع قرن من الزمن على عربة الحزن والحلم ، بعيدا عن هموم الواقع وازماته الخانقة دون الوقوع في التكرار والرتابة او الاسفاف هو انتصار كبير بحد ذاته . اضف اليه ريادته في حساب الزمن للشكل المرسل من اشكال الشعر العربي الى جانب سليمان عواد ومحمد الماغوط في القطر العربي السوري والفرسان الثلاثة من مدينة السلمية وان اختلفت بدايات كل شاعر منهم ومداره الشعري في عالم الادب .

سلمية ــ سورية **عبد الكريم دندي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السقوط في الليل

حسين علي محمد
الزقازيق ــ مصر

.. وتطلعين فالصباح
معطر الجناح
وأنت ترفلين في ثيابك البيضاء
كفلة تحوطها الانداء
والعاشق الذي ألقته في الطريق
عواصف الحنين والاشواق
يظل مغمض العينين
حالما بقطرة من مائك اللجين
وهمسة من شعرك الرقراق

أراك ساعة الظهيرة
غمامة تحوطني بالظل والامان
وترتوي احلامنا
وأنت يا أميرة
أراك ترأبين صدع ذلك الجنان
من حبه القديم ..
من احلامه السراب
وتزرعين في ربيعه اليباب
ألف فلة
ترى كم يستمر ذلك الامان
في احضانك المظلة

أراك في المساء تخرجين من يدي
وتفلتين من اصابعي
يا فلتي البيضاء ..
أين تذهبين ؟
والخاطفون ...
أنوارهم مثيره
أموالهم كثيرة
عيونهم ضريرة
لا يبصرون العاشق المسكين
في الظلام
أحلامه كثيرة
كأنها التلال
ايديهمو خبيرة
وأنت يا أميرة
وأنت يا أميرتي الغريرة
لم تصمدي للسيل
أراك تسقطين
فراشة محروقة في الليل
أراك تسقطين
والليل مستمر
والصبح لا يبين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ديوجين الحكيم

مسرحية شعرية ـ تأليف عدنان مردم بك ـ ١٤٠ صفحة
منشورات مؤسسة الرسالة في بيروت

بعد ثلاثة دواوين ، وثماني مسرحيات شعرية يطل علينا الشاعر عدنان مردم بك بمسرحيته التاسعة « ديوجين الحكيم » التي استوحاها من حياة الحكيم اليوناني ديوجين « الذي ظل يبحث عن الرجل (وقيل عن الحقيقة) جاهدا طوال عمره في وضح النهار ، وهو يحمل فانوسه ، ولم يوفق في العثور عليه » .

ولكي لا يكون موضوع المسرحية غريبا على القارىء ، فقد اثبت المؤلف في صفحاتها الاولى الدافع الذي حداه الى اختيار هذا الموضوع ، وتحدث بالتفصيل عن الحكيم ديوجين الذي يقال انه كان رجلا غريب الاطوار ، حتى رماه بعض الناس بالهوس والجنون ، ومنهم الكاتب الفراتي لوقيانوس السميساطي في كتابه « مسامرات الاموات » الذي يعتبر اول رحلة خيالية الى العالم الآخر في تاريخ الادب العالمي(١) .

كان ديوجين ينتمي الى زمرة الحكماء الكلبيين الذين عرفوا بالزهد والتقشف الشديد ، فقد عاش حياته لا يملك الا عصا غليظة ، وعباءة خشنة يستر بها جسمه ، وقدح خشبي يشرب به الماء ولما شاهد مرة طفلا يشرب الماء بكفيه من النهر ، حطم قدحه قائلا : « ان الاطفال اشد معرفة مني بالاشياء » فتخلى عنه فورا .

كل ما وصلنا عن ديوجين لا يتعدى بعض المماحكات الجدلية التي جرت بينه وبين الفيلسوفين افلاطون وارسطو ، وكلها تدل على سرعة بديهته ، ونكتته اللاذعة . الا انه لا يمكن ان يعد في جملة الفلاسفة اليونانيين ، لان آراءه في الحياة لم تتعد بعض الحكم المتناثرة التي لا ترقى الى مستوى الفلسفة . واغرب ما في حياته قصة موته ، اذ امتنع عن التنفس حتى اسلم الروح ، ولهذا السبب كان موضع تقدير الفيلسوف الالماني شوبنهور الذي اعجب بطريقة موته ، واعتبرها اعظم انتصار على الحياة ! .

تحدى الحكيم ديوجين الناس بلا رفق ، وراح يذمهم لتكالبهم على حياة تافهة ، قصيرة ، يملؤها الزيف والغش ، ولذلك حمل فانوسه المضاء في رابعة النهار ، وراح يتجول في شوارع اثينا ، فاذا سأله احد عن السبب اجاب : « انني ابحث عن الرجل ! » . ثم يعود فيدخل برميله ، ويفكر في امور الناس والمجتمع ، فكان بهذا مصلحا اجتماعيا اشبه ما يكون بأبي العلاء المعري .

اما لماذا اختار الشاعر عدنان مردم بك هذه الحياة الغريبة ليجعلها موضوعا لمسرحيته ، فهو سؤال كثيرا ما طرح عليه ، وأجاب عنه بقوله :

« ظلت كلمة ديوجين ترن في اذني ردحا من الزمن حتى رجعت الى تاريخ اثينا السياسي والاجتماعي زمن ديوجين بالذات ، فقرأت العجب عن فساد الضمير والانحطاط الخلقي ، رغم نضج شعب اثينا الفكري . فقد انقسم الناس الى شيع شتى ، منهم من يدعو الى الملك فيليب المكدوني ، عدو شعب اثينا اللدود ، ومنهم من هو حائر في امره ، يتخبط في ظلمة الجدل العقيم ، والقليل من ادرك الخطر ، وكان ان هاجم فيليب المكدوني بلاد اليونان ودخلها دون كبير مقاومة ، بأن اشترى ضمائر رجال السياسة بالمال .

لم تحرك اثينا ساكنا طوال حياة فيليب المكدوني ، واستكانت على الضيم ، سوى افراد قلة ـ كالخطيب ديموستين ـ تفرقوا خارج الوطن ، وعاشوا مشردين .

شهد ديوجين تلك المأساة الاخلاقية التي تفشت في نفوس رجال الفكر والسياسة ، وهاله هذا التردي في مطاوى الفساد ، فانكر على قومه رجولتهم ، وراح يتحداهم بقوله لكل من يسأله عن حمله الفانوس في وضح النهار ، بأنه يبحث عن الرجل » .

يخيل لي ان الاستاذ عدنان مردم بك اراد في مسرحيته هذه ان يعيد بناء النفوس المتراخية التي فقدت رجولتها ، كما فقدتها ايام ديوجين ، فراح يفتش عنها في وضح النهار بطريقة لا تخلو من السخرية والتهكم والاستهزاء ، وان يشير الى الخطورة التي تكمن في استسلام الشعب الى الفساد والترف واللامبالاة ، اذ لا فائدة من الفلسفة لشعب باع الضمير ، وداس الاخلاق ، ولا جدوى من البحث في الميتافيزيك في امة مات وجدانها ، واستسلمت للمجون ، ولذلك احتقر ديوجين امثال هؤلاء الناس الذين الهاهم الترف عن التفكير بوطنهم المغلوب ، فلا يغضبون لحمى مستباح ، ولا يسألون عن مجد ضائع :

والشعب في سنة النزيف ... كانه اهل الرقيم
سئم النضال ولم يطق ... دفع الاذى بيد الكريم
ورأى السلامة في السلام ... فكان اضيع من يتيم

لم يشأ الشاعر عدنان مردم بك ان يمر بهذا الدرس التاريخي الاليم دون ان يستفيد من عبرته ، بل احب ان يقف عنده وقفة مستانية ، ليستخلص العظة ، ذلك لان العظة التي يستمدها الانسان من التاريخ تكون اوقع في النفس ، والرمز احيانا ابلغ من الافصاح .

تقع المسرحية الشعرية في اربعة فصول وستة عشر مشهدا يطول او يقصر حسب الفكرة التي يعالجها فيه ، واختار لها بحرا قصيرا هو مجزؤ الكامل ، دون ان يلتزم فيها قافية واحدة ، فكان كلما انتقل من مقطع لآخر ، اختار قافية جديدة ، فابعد بذلك عنها صفة الرتابة والاملال التي ترافق القصائد الطويلة ذات القافية الواحدة عادة . كما نثر فيها الكثير من الحكم ، وهذا امر طبيعي في مسرحية جرت احداثها على ارض اليونان ، بلد الفلسفة والحكمة ، ناهيك عن ان بطلها الرئيسي حكيم ، خبر الحياة ، وحنكته التجارب ، كقول الشاعر :

ان مات في الشعب الضمير ... فما لعثرته قيام

وقوله :

ولرب خطب مستطير ... مبتداه من صغير

وقوله :

تشفي المحبة من جرا ... ح الكره ما لا يدمل

ويشير الى ان الحضارة اذا بلغت اوجها ، لا بد ان يدركها الهرم ، وتضنيها الشيخوخة ، الى ان يهلكها الموت ، مثلها في ذلك مثل الكائن

---

(١) لوقيانوس السميساطي : (١٢٥ ـ ١٩٢) ولد في سميساط على نهر الفرات (سورية) وكان خطيبا وفيلسوفا يونانيا ، له عدة مؤلفات اهمها « مسامرات الاموات » الذي ترجمه الاستاذ الياس سعد غالي الى اللغة العربية عن الاصل اليوناني ، ونشرته اللجنة الدولية لترجمة الروائع عام ١٩٦٧ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحي ، وهي فكرة اشار اليها بعض المؤرخين ، كابن خلدون وآرنولد توينبي :

ان الحضـــارة كالكعاب تشيخ مـــن بعد الشباب
ومـــآل كـــل حضـــارة مـــا كان قدر من خراب

ويرى انه لا نفع من الحضارة اذا لم ترتبط بالاخلاق السامية والفضيلة ، وان السعادة في الفضيلة ، والموت في الرذيلة :

مـــا كـــان نفـــع حضارة ان جردت عنهـــا الفضيلة
ان السعـــادة في الفضيـ لة ، والمنيـــة في الرذيلة

وبعد فالمسرحية بالاجمال ذات حبكة جيدة ، واسلوب طلي عذب ، يحس القارىء وهو يطالعها بتسلسل الحوادث واتساقها . اما القوافي فكانت تتنوع من مقطع لآخر ، منسجمة مع المعنى ، لا عسر فيها ولا تكلف ، ابعدت النص عن الرتابة والنمطية ، وخلعت عليه ثوبا فضفاضا من الحركة والحياة ، والحوار مقتصد لا يطول ولا يقصر ، والموسيقى واضحة في الالفاظ الغنائية ، والقوافي الطبيعة المنتقاة ، وكل هذا يؤكد لنا ان الشعر يمكن ان يستخدم اداة للمسرح كالنثر ، اذا كان الشاعر المسرحي موهوبا .

دمشق — عيسى فتوح

* * *

امـــــواج

ديوان شعر : عبد الرحيم الحصني — (؟) صفحة — منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي في دمشق

اصدرت وزارة الثقافة والارشاد القومي في دمشق اول ديوان للشاعر الاستاذ عبد الرحيم الحصني ، وعنوانه « امواج » . واستهل الشاعر ديوانه بالاهداء الآتي :

« الى الحياة بكل ما فيها من آلام وآمال
الى الانسان بكل ما فيه من عوالم
الى أمتي التي تخط سفر خلودها رغم كل التحديات .
الى كل موقف نبيل .
الى كل ابتسامة حب
الى كل خفقة قلب
أهدي ديواني الاول » .

والذي يقرأ الديوان ، وهو يستحق المطالعة الجادة من دفته الى دفته ، ويستحق فوق ذلك انتقاء مختارات منه وحفظها عن ظهر قلب ، يجد الشاعر وقد احاط بكل ما اهدى ، وبكل من اهدى ديوانه اليه : فيه آلام الحياة وآمالها ، فيه الانسان وعوالمه الواسعة ، فيه الامة العربية بتوثبها وطموحها الى الحضارة والتقدم ، وفيه تسجيل لمواقف نبيلة ، وفيه ابتسامات مشرقة للحب ، وفيه خفقات قلب مضطرم رغم ما علا الرأس من شيب .

والانطباع الاول الذي يخلفه الديوان هو ان صاحبه شاعر مطبوع ، يتدفق شعره من قلبه كما يتدفق الماء من الينبوع ، لقد ملك عليه الشعر كل حواسه ، فهو يعيش له ، بل لعله يعيش له وحده ..

لقد ذكرني حبه للشعر وتقديسه له واستغراقه فيه بقول الشاعر الكبير رسول حمزه « داغستان بلدي » :

أيها الشعر
انا — لولاك — يتيم .
لولاك كان العالم مغارة من الظلمات .
لا تعرف قطرة شمس
او سماء دون نجم يلمع
او حبا لا يعرف حرارة قبلة .
لولاك كان العالم بحرا لا زرقة فيه ،
ولا رطوبة خالدة ، ولا حركات لانهائية ،
او بستانا لا ازهار فيه ولا اعشاب ،
ولا اغنيات بلبل ولا نغمة صرصور .
لولاك لكانت الاشجار عارية سودا
لا شيء غير ضباب تشرين ، لا صيف ولا شتاء ولا ربيع .
لكان الانسان وحشا وشقيا
والاغنية ... ولكن الاغنية لا يمكن ان تكون .

مثل هذا الشعور نجده في ديوان عبد الرحيم ، ان الشعر هو الهواء الذي يتنفسه ، والدم الذي يجري في عروقه ، والنور الذي ترى به عيناه ، والخمرة التي تتلحظ بها شفتاه .

وهذا الحب الذي يكنه للشعر حب صوفي مجرد ، انه يعلم ثم يسجل آلام الشعراء وحرمانهم وبؤسهم وشقاءهم ، ولكنه مصر على تحمل هذه الآلام لانه يعرف قيمة الشعر وما يزين به الدنيا من جمال ، وما يقدمه الى البؤساء من تعزية وسلوان .

قـــال :

وأين مـــن نازف النجوى مزيفها وأين من لين قلب الهائم الحجر
الحب ، والشعر ، في جنبي مهدهما كلاهما ، في فؤادي ، الثائر الضجر
أرنو الى .... المجهول أسأله ماذا فعلت باهل الشعر يا ...
لنـــا الهداية دون الناس تنشرها ومـــن معابدنـــا الآيـــات والسور
ما في المجامر ... الا عودنا عبق ما في الخمائل ... الا وردنا عطر
نبـــادل الناس احسانـــا اساءتهم ونغمـــر الذنـــب تحنانـــا ونغتفـــر
لا الشمس ، لولا وسيم من منارفنا لاحت ، ولا هل لولا ليلنا القمر

ويذكر عبد الرحيم فضل الشعر على الشعراء ثم يذكر ما يلاقونه من آلام يستريح منها الغافلون ، فلا يشعرون بها :

يا شعر لولاك ما رفت لنا مهج ولا استبحنا لعـــذال ، ولـــوام
الغافلون استراحوا في جهالتهـــم ونحـــن نغمـــد آلامـــا بـــآلام

ولعل اروع الابيات التي يذكر فيها آلم الشاعر وحرمانه ، ابياته في رثاء الشاعر المرحوم بدر الدين الحامد ، واشارته الى الحملة التي استهدف لها الشاعر في قصيدة له غنائية مشهورة ، قال عبد الرحيم :

وهل اعيش على ارض سكبت لها عصارة القلب حبا عيشة الغربا ؟
تجاهل القوم شكوانا ، وما علموا ان النهى والندى في شعرنا اصطحبا
مـــاذا يقولون للاجيال ان سئلوا عنا ؟ وهل يحذف التاريخ ما كتبا ؟
من نحن ؟ نحن هدايا الله زودنا من معجزات المعاني خير ما وهبا
يميد رأس العلى من غمز قافية وينحني وجـــلا مـــن شاعر غضبا
ما لي ارى الناس حولي لا حراك بهم حتـــى كأن غرابـــا فوقهم نعبـــا
ماذا علينـــا اذا هبـــت جوانحنا وجـــدا لفقـــد زمان طيـــب ذهبا
أنحرم (الآه) — واذلا لعصمتنا — حتى على (الآه) لم نسلم من الرقبا

ومن هذا الحب العميق للشعر ، والحنان الضافي على الشعراء والادباء ، ورجال الادب والفن على العموم — تنبع سجية رائعة في قلب الشاعر ، كما تشمخ الشجرة السامقة في الوادي الخصيب ، انها سجية الوفاء الكامل للاصدقاء من الشعراء والكتاب والفنانين الذين ماتوا — دون قبور — ملأوا الدنيا صداحا ونغما ، ثم لم يلقوا من الناس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والمجتمع الا الاعراض والاذى ، ومن هنا كانت قصائد الرثاء كثيرة في الديـوان .

ان الوفاء هو اهم ما يميز الشاعر بعد حبه للشعر ، وهذه قائمة بأسماء رجال القلم والريشة الذين فاض قلب الشاعر بالحسرة عليهم فوقف يرثيهم ويدعو المجتمع الى تقديرهم والى التخفيف من مصائبهم في أثناء حياتهم ، لا الى الاكتفاء بتكريمهم بعد وفاتهم ، ونجد في هذه القائمة بعض الشعراء العرب الكبار الذين اشترك في حفلات تكريمهم ومهرجاناتهم :

١ ــ ابو فراس الحمداني . ٢ ــ الموسيقار الرسام سليم عماري .
٣ ــ بدر الدين الحامد . ٤ ــ سامي الكيالي . ٥ ــ سامي الدهان .
٦ ــ محمد اقبال . ٧ ــ وصفي قرنفلي . ٨ ــ نظير زيتون .

وهو حين يذكر الوفاء الذي دفعه الى رثاء الشعراء والادباء يتهم الخيانة ويدينها ويراها ذنبا لا يغتفر . قال :

ذنب الخيانة ليس يغفر ما انطوى في الحادثات ، وكـل ذنب يغفر

ورغم كل هذه المراثي فهو يرى حينا انه لم يوف أترابه وأحبابه حقوقهم عليـه :

رتل من الاتراب سار . وليتني وفيـت بعـض محبتـي الاترابـا

وهو يسأل التراب حينا هل قضى واجبه :

مهد الهوى . تلك آياتي انزلها على ثراك ، فهل وفيت قرباني ؟

وهو يذكر قلبه الوفي حينا :

لك الخلود على مر العصور ، ولي قلـب الوفي لامس طيـب ذهبـا

وفي هذه المراثي جميعا نجد الشاعر الصادق ، والانسان النبيل ، والدمعة الوفية ، والحسرة اللاهبة ، والقلب الكبير .

قال في رثاء وصفي قرنفلي الشاعر الكبير الذي حمل الآلام المبرحة سنين طويلة لم يكد يذكره فيها احد :

أخا القصيد حملت الداء مرتضيا وقلت للخوف : هذا دربك الوعر
فاعصف بما شئت، انى فوق ما حملت مـن كبرياء السماء الانجم الزهر
وما اتسدت لحمل الداء من وهن ان الاباة اذا ما استهدفوا صبروا
لكنما الوحي هذ الجسم فارتجفت بمناك ، وانساب في اعصابك الحذر

رحم الله (وصفي القرنفلي) فقد حمل من الآلام ما لا تحمله الجبال .

وعبد الرحيم الحصني ، الشاعر الوفي ، وطني عربي معتدل ، ويظهر حبه لبلاده في قصائده الوطنية ، وهي غير قليلة ، انه يريد الوحدة العربية ، ويذكر فلسطين ، ثم لا يمل الحديث عنها ، والدعوة الى انقاذها ، ويظهر حبه لبلاده ايضا في ذكره للمدن العربية ، وخاصة في سورية ، فحب الوطن ليس من الضروري ان يكون صراخا ، ولكنه يبدو ايضا في وصف جمال الوطن ، وانهاره وغاباته وآثاره ، فالقدس العربية والمسجد الاقصى وكنيسة المهد ، وحلب الشهباء ومجد الحمدانيين ، وحماة ونواعيرها ، وحمص وعاصيها وميماسها ، وبانياس وبحرها ، وبيروت وغوانيها ، ودمشق وغوطتها ، كلها ترد في شعره مرارا ، دعوة الى التمتع بالجمال ، والى الفخار بالمجد السالف ، انه حب يتغلغل في نفسه ، فيعبر عنه في بساطة وعفوية :

مروجي على(الميماس) ما زال عطرها يعانق بوح (الغوطتين) ويطرب
أصبرا وأرض (القدس) راحت بظلها بقايـا فلول الشر تلهـو وتلعب
وألف (مسيح) عند كـل ثنية بأيـدي الدخيل الوغد يـا شرق
شهباء ! دنست الاوغاد تربتنـا ونحن لمـا نزل نستنفر الخطبـا
رصاصنا الشعر ، والاقوال عدتنا وكيف نسلم ان لم نحمل القضبا
(لبنان) يا ترف الجمال تركتني لا اشتهي مـن غـير مائك منهلا
رويتنـي مـن راحتيـك فاعشبت نفسي لديك ، وزرع وجدي اسبلا
انا من نسيمك ، ما نعمت بنسمة الا وعـاد لـي الشباب واقبلا
بينـي وبينك عهـد حـب خالد سيظـل في خلـد المـودة أولا

والحصني في امواجه شاعر غزل رقيق ، يحب الجمال ، ويذوب فيه ، رضع لبانه صغيرا ، ورتع في رياضه يافعا ، وركع في محرابه كبيرا . تحس وانت تقرأ قصائده في الغزل بصدق حبه للجمال ، قد تتبدل اسماء احبابه ، ولكن الجمال هو الذي يهواه في هؤلاء الاحباب ، لا الاسماء ، ولا الاشخاص ، لكان للحسن تمثالا في قلبه ، ثم تأتي أميمة او سلمى او ليلى ، او السابحة في البحر ، ليكون نماذج او نسخا من هذا التمثال .

قال في سابحة :

بنت السواحل ! ما احلاك واهبة اذا حدبت ... وما انداك انعاما
فجـرت في شبابا كنـت اندبـه وكنت احسبه قـد صار احلامـا
يا للربيع ... لقد عادت ازاهره نشوى وصفـق سكرانا وبسامـا

لقد أحيا الحب الجديد قلب الشاعر ، واضرم ناره ، وكان يظن ان السنين أطفأت نيرانه .

وقال في (غادرة) :

يـوم اطللـت وانتظاري اعشب اهـل الشعر بالربيـع ، ورحب
اهـل الشعر بالدلال ، بجفـن متعـب الهدب ، بالتفاتة ربـرب
اهـل الشعـر بالفراشة عطشى تجتني لمعـة الشفاه ، وتنهـب
اهـل الشعر بالصباح ، بوجـه لـون الورد وجنتيـه ، وخضب

اسلوب الشاعر : أرجأت الحديث عن اسلوب الشاعر الى آخر البحث كيما يجد القارىء نماذج من شعره . ان الحصني شاعر يحب التراث الشعري العربي ، ويدافع عنه ، ويدعو الى اغنائه وانمائه ، ويحرص على اوزانه وقوافيه ، وربما هاجم من حين الى حين اولئك الذين يخرجون عليه ، ويدعون الى لون من الشعر لا يوافق عليه ، ولا يقره . ولكن حب هذا التراث لا يحول بينه وبين انتقاء الكلمة الصافية ، والمعنى الرقيق ، والصورة الشعرية الراقية ، انه من مدرسة « الشعر العربي المصفى » مدرسة بدوي الجبل ووصفي القرنفلي وبشارة الخوري ، وكل هؤلاء الشعراء الكبار الذين آمنوا بالشعر العربي القديم ، ومقدرته على التعبير ، ضمن اشكاله ، عن خلجات النفس ، وعواطف القلب ، ونوازع الضمير ، وشطحات العقل ، ثم حاولوا بعد ذلك ووفقوا في محاولاتهم الى مد هذا الشعر بينابيع دافقة من الالوان والصور والافكار والعواطف والمفردات ، فكأنهم كانوا عمرا ثانيا وحياة جديدة في السلسلة الذهبية والعقود الفريدة للشعر العربي .

واذا كان لنا ان نلاحظ شيئا على هذا الديوان فانا نرجو ان يستطيع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبد الرحيم في دواوينه القادمة الكثيرة ــ ان شاء الله ــ ان يشق طريقا خاصة به ، لنقول كلما قرانا شعره : هذا شعر عبد الرحيم ، شعره وحده .

تهانينا للشاعر الصديق الرقيق ، وألف مرحبا بأمواجه .

دمشق — عبد المعين الملوحي

* * *

عوض قشطة ــ حياته وشعره

تأليف حسين علي محمد ــ (؟) صفحة ــ مطبعة (؟)

ان سلوكية الشاعر والناقد حسين علي محمد الظاهرة والمستمرة في كتاباته عن اقلام لم تعرف بعد او لم تأخذ حقها من الدراسة او تعيش في زوايا الاهمال والصمت وهو بعد في شرخ الشباب وذروة الحماسة ، طبيعة انسانية نادرة الوجود في حياتنا الثقافية المشغولة وعلى جميع الاصعدة اعلاميا وثقافيا باناس عرفوا كثيرا ، وباقلام كتبت عنها الاقلام الكبيرة والصغيرة ، الواعية والنافهة ، بغية الادب وغير الادب ؟

قلت ان هذه السلوكية طبيعة انسانية ومتأصلة في نفس حسين المنفتحة والمشرقة والتي تغري الآخرين على التفتح فالعطاء ، فخوض غمار الحياة الثقافية عرضا وطولا .

وها هو حسين علي محمد يكتب عن انسان ولد بعيدا عن اضواء القاهرة في قرية من قرى الدقهلية ولم يتمكن من متابعة الدراسة والاتصال بوسائل الاعلام الا في سنواته المتاخرة رغم انه من مواليد ١٩١٨ ويقوم صديقنا حسين المسكون بالحب بتعريفنا على حياته وشعره ويقدم للعربية انسانا عصاميا فيضرب من خلال كتابه هذا مثلا تطبيقيا للآخرين في الايثار .

اشتمل كتاب عوض قشطه على مقدمة جاء فيها : « انني اقدم هذا الكتاب عن شاعر في الظل عسى ان يأخذ بيد هذا الاديب ويضعه في دائرة الضوء وسيعرف القراء في هذا الشاعر لؤلؤة صادقة في بحر الاصداف الذي يغطي حياتنا الادبية » .

ويطلعنا على سيرة شاعر من نشأته وبيئته ومنابع ثقافته واتصاله بالادباء والمجلات والاذاعة منذ عام ١٩٦٦ ، ثم يتحدث عن اغراض شعره ويبدي آراءه في سياق حديثه ، ويطلق احكاما قيمة مما يدفع بالكتاب الى مرتبة الموضوعية والنقد وأورد ثلاث ملاحظات من اصل ست ابداها المؤلف على شعره الوطني ويمكن ان نطلقها على جميع شعره :

١ ــ معارضة الشعراء الاقدمين والمعاصرين واقتباس معانيهم .
٢ ــ تأثر الشاعر بالقرآن الكريم في بعض صوره .
٣ ــ يعيب بعض هذه القصائد شيئان هما : الخطابية والتقريرية التي تصل احيانا الى حد النثرية .

وقد علل ذلك الضعف لسببين :

« ١ ــ انصراف الشاعر مدة طويلة عن الحياة الادبية .
٢ ــ اكتفاؤه بسماع ما يتردد في الاذاعة من الاغاني » .

وسوف اشارك القارىء جولتي مع المؤلف والشاعر عوض . في الفصل الاول نلمح عنوان « في رحاب الايمان » ويستعرض الناقد شعره الديني .

اقتطف بعض ابيات من قصيدته الاولى :

الهي نحو بابك قد سعينا وجئنا في رحابك واحتمينا



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٢٥ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

في الخارج العربي : ٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي ١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار : ٢٥ دولارا بالبريد العادي ٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية : ٥٠ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج ١٠٠ ل.ل. او ٥٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر للاعلان تراجع ادارة المجلة

الادارة : ٢٢٣٨١٩ Dir. 223819
المنزل : ٢٢٥١٣٩ Dle. 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨ــ١١
بيروت ــ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهي كل شيء فيك يحلو صبرنا ام جزعنا ام قضينا
الهي انت تعلم ما جنينا فعفوا ربنا عما جنينا

وفي فصل « شاعر العاطفة والوجدان » يقول المؤلف عن تجربته هذه ما يلي : تجربة الشاعر عوض قشطه مع شعر العاطفة والوجدان تجربة مثيرة فهو لم يكتب هذه القصائد الا بعد ان نيف على الخمسين وهي قصائد جيدة » .

يقول في قصيدة الى محبوبتي :

محبوبتي والعيد حين أراك وأجل ساعات الزمان لقاك
حينا يداعب مهجتي طيف المنى فأرى السعادة حيثما ألقاك
اني أحبك ما حييت وليتني كل صبح ما حييت أراك

ولا يخلو الرجل من شعر الحكمة والتأمل :

عش في الحقيقة وانشد ودع الخرافة والخيال
خذ من حياتك حرفة تغنيك عن ذل السؤال
ان ساء حالك فانتظر حالا سيأتي بعد حال

وفي قصيدته (تأملات) شاعرية مرفرفة يقول فيها :

مس الهوى قلبي الرقيق فرحت في صمت عميق

وبعد ان يعدد ما وجده في الكون من شمس مشرقة ، وطير شادية ، وماء يتسلسل وزرع يزهو نضرا :

حتى نجوم الليل في قلب الظلام لها بريق
الصمت خير والتأمل سلوة القلب الرقيق
لو ادرك الانسان سحر الكون ما ضل الطريق!

ويختتم فصول شعره بباب المراثي من قصيدة يرثي اباه يقول :

رحيما كنت يا ابتي عطوفا ولولا ذاك ما طاب الغراس
غداة هجرتني لم ألق خلا يؤانسني وان كثر الاناس
متى ألقاك ألقى الانس يسري لنفس شاقها منك ائتناس

وبعد ذلك يختتم الكتاب باقوال النقاد عن عوض قشطه للدكتور عبده عبد العزيز والشاعر فؤاد بدوي والشاعر المرحوم عبدالله شمس الدين الذي قال عن القشطه : « احيي فيك عصاميتك كما اهنئك بموهبتك الفياضة الاصيلة » وبدوري من سورية ومن حلب الادباء احيي الناقد الشاعر حسين والشاعر قشطه وألف تحية .

حلب **مصطفى النجار**

* * *

١ ــ نافذة للبراق

شعر امجد محمد سعيد ــ ٦٦ صفحة ــ وزارة الاعلام العراقية
دار الحرية للطباعة ببغداد

في سلسلة كتابات جديدة ظهرت اضمامات جيدة تبشر بالخير في عالم الشعر سنعرف القراء بها في هذه السطور .. من هذه الاصدارات ــ نافذة للبراق ــ للشاعر امجد محمد سعيد .. تتالف المجموعة من ست عشرة قصيدة موزعة على ٦٦ صفحة .

القصائد صادرة عن عفوية وايمان ينهض دليلا على حب الانسان والتزامه بقضيته وحقه الكامل في الحياة الحرة الكريمة يقول :

آه
يا زهرة عباد الشمس
خذيني
يا زهرة عباد الشمس
المفتوحة كالقلب العربي
المزروعة كالراية

القصيدة عند امجد محمد سعيد حصان جموع يركض على صفحات عديدة في اطار مفتوح فالسطر الواحد يتكون من كلمتين او ثلاث ولو اختصرنا هذه المجموعة لما تعدت نصف حجمها .. بعض الخواطر تحتاج الى صيغة جديدة امثال : ذاكرتي المزحومة وعصافير الرصاص أرجو له نجاحات مستمرة .

٢ ــ وردة لعيون البعثية ليلى

شعر غزاي درع الطائي ــ ١١٤ صفحة ــ وزارة الاعلام العراقية
دار الحرية للطباعة ببغداد

يمتلك الشاعر غزاي درع الطائي احساسا شعريا جيدا وقابلية تظهر في تدويره القصيدة تدويرا يدل على نفس طويل وخيال مشحون بالافكار والصور وهذه ظاهرة لا نتلمسها في غيره من الشعراء الشباب الذين يستعجلون النشر .

تتالف المجموعة من ثمان عشرة قصيدة موزعة على ١١٤ صفحة هذا مقطع من قصيدته ــ تفسيرات اولية لكلمة امراة :

أدفن وجهي في العشب وأبكي كالفرسان المهزومين ، فكل بنات الحي مررن بقربي الانهر الورد المحزون ، فكل بنات الحي مررن بقربي الا وجهك ...

وفي قصيدته ــ مطالعة في عودة سعيد بن جبير ــ يقول :

الخبز تجيء به الارض
والارض يجيء بها السيف
والسيف يجيء به وجه « سعيد بن جبير » .

وسعيد بن جبير ثائر معروف نهض من اجل الفقراء قتله الحجاج بن يوسف الثقفي بعد فشل ثورة ابن الاشعث وقبره موجود على مقربة مدينة الحي في محافظة واسط بالعراق .

٣ ــ وللمدن صحوة اخرى

شعر زهور دكسن ــ ٨٠ صفحة ــ وزارة الاعلام العراقية
دار الحرية للطباعة ببغداد

صوت نسوي يتربع على خميلة حريرية ويهيم في اجواء ربيعية معشوشبة كفراشة تمضي وتعود على انوار الشمس وترسم آمالا على مطر المواسم التي تملأ الانهار .. تتكون المجموعة من عشر قصائد لنستمع اليها وهي تقول :

كلما مر رجع الصدى
واستراحت اكف على صفحة النهر
من زورق مستكين
حقلنا .. والعبير الجنوبي ينشال
من معول العائدين

ان قصائد الشاعرة موزعة على الصفحات شان قصائد نافذة للبراق .

الكوت ــ العراق **كاظم محمد حسين**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

احمد فارس الشدياق

وقصيدتان مخطوطتان له

بقلم علي حيدر النجاري

* * *

في الجزء الاول من المجلد الثامن لمجلة « اللسان العربي » التي يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية في الرباط بالمغرب ، مقال هام للاستاذ محمد جميل بيهم بعنوان : (اعلام اللغة ــ احمد فارس الشدياق) انحى فيه باللائمة على الاقطار العربية وعلى لبنان بوجه خاص للتغاضي عن ذكر احد ائمة اللغة العربية في العصر الحديث . ويرى الاستاذ بيهم انه بكتابته المقال يلقي عن عاتقه عبء التكريم اذ عدد فيه مآثر الشدياق اللغوية وفضله على النهضة الادبية الحديثة للعالم العربي .

ذلك انه سنة الف وتسعمائة وست وثلاثين تنادى لفيف من كتاب لبنان للاحتفال بذكرى الشدياق وبايعاز من الكاتب الكبير مارون عبود (١٨٨٥ ــ ١٩٦٢) في اقامة يوبيل خمسيني ، فعامئذ ــ ١٩٣٦ ــ يكون قد مضى نصف قرن على وفاة العلامة صاحب الموضوع ، واختار المجتمعون وفدا مؤلفا من : محمد جميل بيهم ، الشيخ يوسف زكريا ، كرم ملحم كرم ، يوسف يزبك ، ليمثلهم في مقابلة رئيس الجمهورية اميل اده ، يعرضون عليه المشروع وتتبناه الحكومة فتدعو رجالات الاقطار العربية للمشاركة في الاحتفال ، وقد احالهم الرئيس على وزير المعارف آنذاك الاستاذ حبيب ابو شهلا (ت ١٩٥٧) لعلمه ودرايته في مثل هذه الامور . بيد انه مضت شهور وانقضت سنون دون ان يتحقق المهرجان ، فكانت صرخة الاستاذ عبود مدوية لهذا الفشل ، اطلقها منددا بلبنان في اهماله تكريم احد عباقرته وذلك في مقدمة كتابه : « صقر لبنان » الشدياق .

هذا ما اورده الاستاذ الجليل محمد جميل بيهم في المجلة المذكورة ، وهو يخشى ان لا يمتد به الاجل كما لم يمتد بصاحب الفكرة ــ مارون عبود ــ دون ان يكرم العلامة الشدياق ، لذا فالاستاذ بيهم القى ــ كما قلنا ــ عن كاهله المسؤولية وبادر الى كتابة كلمة عن الشدياق .

نذكر ان ثمة كتبا الفت عن ذلك العالم اللغوي ، والكاتب القدير ، والشاعر البليغ ، والصحفي الاول ... الى آخر ما اسبغ عليه من اوصاف . نذكر بولس مسعد في كتابه : « فارس الشدياق » ، مارون عبود : « صقر لبنان » ــ الشدياق ــ ، محمد عبد الغني حسن : « احمد فارس الشدياق » ، ميخائيل صوايا : « احمد فارس الشدياق » .

وانعقدت له فصول طوال في مؤلفات كل من جرجي زيدان : « مشاهير الشرق » ، حسن السندوبي : « اعيان البيان » ، مارون عبود : « رواد النهضة الحديثة » ، انيس المقدسي : « الفنون الادبية واعلامها » ، عمر الدسوقي : « في الادب الحديث » وغيرهم .

ورغم جميع ما ذكرنا لم يتعد هذا الى مستوى الجماهير العربية المتعلمة ، فالامام اللغوي ــ الشدياق ــ ، مجهول لدى الكثرة الغالبة من المثقفين ، وفي التقرير الذي تقدمت به لجنة التربية اللبنانية الى وزارتها عام ١٩٦٨ طالبت بادراج الشدياق ضمن مناهج القسم الادبي للبكالوريا اللبنانية(١) .

هذا في بلد المنشأ ــ لبنان ــ ، اما في غيره من البلدان العربية فليس من ذكر له في المناهج الثانوية ، ويرد اسمه في اشارات عابرة ضمن مقررات الكليات الادبية للجامعات العربية رغم خطورته واهميته .

وكان لكاتب هذه السطور شرف التنويه بجهوده في ميدان المصطلحات العلمية للغة العربية وذلك ضمن مقال في مجلة « المعرفة » الدمشقية حيث ساهمت مع العلامة الشهابي والاستاذ السلاوي في ابداء الراي حول التدريس العلمي الجامعي في اللغة العربية في العدد الثامن والخمسين لعام ١٩٦٦ . ثم في مجلة « العربي » الكويتية بعنوان : « مصطفى الشهابي » في العدد الثامن والثلاثين بعد المائة باعتبار الشدياق رائدا لاستاذنا الراحل ــ الشهابي ــ في المسميات العلمية للغة العربية . ثم ايضا في « العربي » في مقال لنا عن العلامة صلاح الدين الكواكبي حيث مهدنا بمحاولات جرت في القرن الماضي لايجاد مسميات علمية ومنها محاولة الشدياق .

ولد الشدياق في عشقوت ــ لبنان ــ عام ١٨٠٥ ونشأ شغوفا بقراءة الكتب ونسخها ، ولبراعته في النساخة استدعاه الامير حيدر الشهابي لكتابة تاريخه المشهور ذي الكتب الثلاثة : « الغرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان » و « الروض النضير في ولاية الامير بشير » و « نزهة الزمان في تاريخ جبل لبنان » .

وكان شقيقه اسعد الشدياق يكبره بسبع سنوات وهو من تلاميذ عين ورقة التي نشأ فيها فارس ايضا ، وكان يجيد السريانية والعربية واللاتينية والايطالية والمنطق واللاهوت والطبيعيات والخطابة وحدثت نكبة هذا الاخ حين « مال الى المرسلين الامريكان واعتنق مذهبهم ، فثارت ثائرة البطريرك ــ فؤاد حبيش ــ عليه فاضطهده وعذبه وأمر بسجنه في مكان منفرد ، ثم اطلق سراحه بعد توسط من اسرة الشدياق ومن اعيان الطائفة ، ثم عاد يتعقبه حتى

(١) مجلة المعلم العربي كانون الاول ١٩٦٩ .

اعيد الى السجن حيث وافته منيته عام ١٨٣٠ بعد ان قاسى انواع العذاب »(٢) .

وكان لهذا الاضطهاد الاثر الاكبر في حياة فارس الشدياق مما الجاه الى الفرار والاتجاه نحو مصر عام ١٨٢٥ خلال سجن اخيه وتعذيبه . وفي مصر اقبل على التهام كتب اللغة والنحو والشعر والادب واشركه رفاعة الطهطاوي (١٨٠١ — ١٨٧٣) في تحرير الوقائع المصرية ثم استدعي الى مالطة فاقام فيها اربعة عشر عاما حيث الف وطبع كتابه « الواسطة في احوال مالطة » الطبعة الاولى عام ١٨٣٤ وترجم فيها كتاب « طبائع الحيوان » حيث استحدث فيه بعض المسميات ، ثم كتابه « خبرية اسعد الشدياق »(٣) وبعض الكتب المدرسية في قواعد النحو العربي ، ومختارات ادبية ، وكتابين في نحو اللغتين الفرنسية والانكليزية .

وفي سنة ١٨٤٨ استدعي من جمعية ترجمة الاسفار المقدسة الى انكلترا فلبى الدعوة واقام ثماني سنوات انتقل في فترة منها الى باريس وفي العاصمة الفرنسية الف وطبع كتابه المشهور « الساق على الساق فيما هو الفارياق » ورغم ما تخلله من عبث ومجون ، فيه بوادر القصة العربية الحديثة بنثر مرسل في اغلبه .

وفي باريس التقى بباي تونس احمد باشا حيث دعاه الى بلده ، وفي تونس اعلن اسلامه وسمي « احمد فارس » وطبع كتابه : « كشف المخبا عن فنون اوروبا » ويقول فيه الاستاذ محمد عبد الغني حسن : « ويعد هو وكتاب مالطة من امتع كتب الرحلات في الادب الحديث وادقها وصفا وابعدها عن الملل »(٤) .

واخيرا ! ... حط رحاله في الآستانة وبها اكتمل نبوغه ، وعظمت شهرته ، فاسس اول جريدة عربية فيها « الجوائب » عام ١٨٦٠ « وقد طلعت على الناس باسلوب جديد في الكتابة العربية حيث جمعت بين السياسة والادب بشتى ضروبه وابوابه بما في ذلك القصائد البليغة لكبار شعراء العربية ، فذاعت واقبل الناس على قراءتها بشغف بالغ ولم تدع بلدا عربيا بل اسلاميا الا ودخلته »(٥) . وكانت جريدة « التيمس » اللندنية تطلق عليها آنئذ لقب « نور الشرق »(٦) .

وفي الآستانة كانت له المؤلفات النفيسة في اللغة العربية وفقهها : « الجاسوس على القاموس » طبع الجوائب ويقع في ٦٩٠ صفحة ويعتبر الشدياق فيه كشارح وناقد ولغوي واول من نزع ثوب العصمة اللغوية عن صاحب القاموس المحيط مجد الدين الفيروز آبادي ، لكان الشدياق يرى ان اي اديب متمكن من اللغة وقواعدها ، يستطيع النظر في بعض معاجم اللغة العربية ونقد اصحابها ، فهؤلاء لا يخرجون عن كونهم بشرا يخطئون ويضلون في بعض الاحايين .

ثم الف في الآستانة كتابه « سر الليال في القلب والابدال » وهو جزءان لا يزال الثاني مخطوطا وتبلغ صفحاته ٦٠٩(٧) . ومؤلفه المخطوط الذي احترق والذي وردت فقرات منه في كتبه ومقالاته وعنوانه « منتهى العجب في خصائص لغة العرب » .

وفي الكتابين المطبوعين يقول الوالد رسول النجاري (١٨٤٩ — ١٩١٩) وقد زامل الشدياق وركن اليه هذا في الفترة الاخيرة من حياته — كما سنذكر — يقول الوالد :

قاموس فضل ومجد الدين دان له ... اذ اتقن اللغة الحسناء محتسبا
بيان «الجاسوسه» شمس النهار كما ... «سر الليالي» سناه المشتري كسبا
يا حبذا اصمعي العصر في لغة ... يروي عن العرب العرباء ما عزبا(٨)

وقبيل وفاته زار مصر بدعوة من الخديوي توفيق حيث استقبله رسميا ثم عاد الى الآستانة ولم يلبث ان توفي فيها ، في ايلول — سبتمبر — عام ١٨٨٧ ونقل جثمانه الى لبنان ودفن في احتفال مهيب في قرية الحدث . ولقد رثاه فريق كبير من الشعراء والادباء وعلى راسهم شاعر العصر محمود سامي البارودي (١٨٤٠ — ١٩٠٤) .

قصيدتان مخطوطتان للشدياق
لمحة عن المرسل اليه

قصيدتان بخط يد احمد فارس الشدياق بعث بهما الى الوالد المرحوم رسول النجاري في مناسبتين مختلفتين سنأتي على ذكرهما بعد ان نعرف القارىء الباحث على الشخص المرسل اليه وهو والدي الكريم واقدم له بما يلي :

سنة الف وتسعمائة واثنتين وثلاثين كنت في اليفاعة وكثيرا ما كانت تراودني احلام اليقظة ففكرت في اصدار جريدة اسلامية يكون لها الانتشار الكبير في العالم الاسلامي ! . وارسلت الى العلامة المرحوم الامير شكيب ارسلان ١٨٦٩ — ١٩٤٦ ارجوه الكتابة فأجابني في صفحتين يعتذر ويصف حالة المسلمين بالتقاعس حيال الاعمال النافعة وختم كتابه بقوله :

« ووالدكم المرحوم الشيخ رسول النجاري كان يحرر في الجوائب وكنت اقرا كتابته فيها وانا في الرابعة عشرة من العمر واسمه مشهور ، وفضله مذكور ، رحمه الله وجعلكم نعم الخلف وزادكم علما وآتاكم في الحق حكمة » .

وكان الوالد في صباه شغوفا بقراءة الكتب الادبية واستظهارها ، والحت به الرغبة في السفر الى القاهرة

---

(٢) اعلام العرب : احمد فارس الشدياق لمحمد عبد الغني حسن .
(٣) للمعلم العلامة بطرس البستاني (١٨١٩ — ١٨٨٣) كتاب عنوانه : سيرة اسعد الشدياق .
(٤) اعلام العرب : احمد فارس الشدياق . محمد عبد الغني حسن .
(٥) في الادب الحديث الجزء الاول لعمر الدسوقي .
(٦) جريدة الجوائب ايلول ١٨٨٣ .
(٧) الشدياق — محمد عبد الغني حسن ص ١٩٥ .
(٨) من قصيدة للوالد رسول النجاري يمدح بها الشدياق وقد وردت في كتابه المخطوط (الجواهر الغالية الاثمان في الرحلة الى دار خلافة آل عثمان) .

فذهب اليها ودخل الجامع الازهر وتخرج منه ، ثم عاد الى مسقط رأسه حمص ولم يلبث ان ضاق به بلده بعد زيارة طويلة قام بها الى دمشق حيث نشأت بينه وبين الشيخين طاهر الجزائري (١٨٥٢ ــ ١٩٢٠) ومحمد المبارك صداقة وطيدة تخللتها مراسلات ومطارحات ادبية وشعرية ما زلت احتفظ ببعضها .

ثم شد الرحال الى الآستانة مهبط الطامحين آنذاك وفيها تعرف على نزلائها من رجالات العرب مادحا ومساجلا، وعلم به الشدياق فاسلمه قيادة ابنه الوحيد « سليم » في تحرير الجوائب وتصحيح مطبوعاتها خلال السنوات السبع الاخيرة من حياتها ، اذ اعتزل الشدياق الاب ادارتها بعد ان ناهز الثمانين . وقد هجر الوالد الجوائب قبيل احتجابها لخلاف بينه وبين صاحبها ، واخذ يكتب القصائد والمقامات في الجريدتين العربيتين اللتين كانتا تصدران في الآستانة : « الاعتدال » لصاحبها احمد قدري المترجم العربي لدى السلطان ، و « الانسان » لصاحبها حسن حسني بك والطويراني باشا فيما بعد(٩) بالاضافة الى جريدة « البيان »(١٠) في القاهرة و « التقدم » في بيروت وغيرهما .

وفي نحو ١٨٨٥ انتسب الى السلك العدلي وانصرف اليه خلال فترات كانت تعاوده فيها قريحته الشعرية ، فيبعث بقصيدة او ابيات الى رئيس او صديق . ثم تقاعد في حلب الشهباء وكان مدعيا عاما لدى محكمتها الاستئنافية، وعاد في اوائل سنة ١٩١٤ الى الآستانة فور احالته على التقاعد وكان من معارفه فيها الشيخ عبد العزيز جاويش ودخلت تركيا الحرب فعاد الى مسقط رأسه حمص ومات في اواخر عام ١٩١٩ فقيرا مغمورا .

القصيدة الاولى المخطوطة

يحتم علينا واجب الادب قبل ايراد هذه القصيدة ان ننوه في لمحة خاطفة بالشدياق شاعرا بعد ان نوهنا به عالما لغويا وكاتبا وصحافيا .

يقول الاستاذ محمد عبد الغني حسن : « ويروي زيدان في تراجمه ان له ديوان شعر من نظمه يشتمل على اثنين وعشرين الف بيت ويذكر المؤرخ طرازي ــ ١٨٦٥ ــ ١٩٥٦ ــ هذا الخبر ولكن يصف هذا الديوان المخطوط بانه كبير الحجم بحيث انه اعظم من كتاب الجاسوس»(١١).

ويرى اديب الشام الكبير الاستاذ شفيق جبري في احدى افتتاحياته في مجلة المجمع اللغوي بدمشق(١٢) بمقال خاص عن عباس محمود العقاد . ان شخصين في الادب العربي الحديث استطاعا ان يبرزا في الكتابة وفي الشعر : الشدياق والعقاد .

اما الفقيد العلامة الاستاذ انيس المقدسي فيختم فصله القيم بقوله : « والذي يبدو لنا ان الشدياق كاتب متفنن وعالم مدقق ، اما في ميدان الشعر فانه مقصر عن المجيدين في زمانه من امثال الشيخ ناصيف اليازجي وطبقته ولعلنا اذا اهتدينا الى ديوانه نرى فيه ما يحملنا على تعديل رأينا في فنه الشعري »(١٣) .

ويتحدث الاستاذ ميخائيل صوايا عن : « الشدياق والشعر » فيقول : « لكن لا بد من نعت الشدياق بالشاعر اللبق اذا خرج من نطاق المدح الى الغزل او الى المزاح » ثم يورد بعض النماذج من ابياته ويختم هذا الفصل بقوله : « ذا هو الشدياق الشاعر ، وهو دون الشدياق الناثر . فالناثر مبدع ممتع والشاعر مقلد في اكثر ما نظم »(١٤) .

ويرى الشاعر الاديب الدكتور احمد زكي ابو شادي (١٨٩٢ ــ ١٩٥٥) ان الشدياق اول من قال الشعر المرسل في العصر الحديث وليس عبد الرحمن شكري واخوانه من مؤسسي المدرسة الشعرية الجديدة(١٥) .

حتى ان الدكتور محمد خلف‌الله يعزو تجديد الشعر العربي الى الشدياق(١٦) .

وفي هذه القصيدة المخطوطة وفيها روح الدعابة التي اشتهر بها الشدياق ، بعض الضوء نلقيه على راي كل من المرحوم ابي شادي والدكتور خلف‌الله .

اما مناسبتها فيقول الوالد المرحوم في كتاب مخطوط له عنوانه : « الجواهر الغالية الاثمان في الرحلة الى دار خلافة آل عثمان » وقد انتهى من كتابته على ما يبدو حوالي عام ١٨٨٥ ، وانا لنورد كلامه بالحرف الواحد حرصا على الامانة العلمية وليستشف الباحث منه ما عسى ان يراه :

« وكتب لي ــ اي الشدياق ــ وكنت دعيت الى الطعام ، عند بعض الطغام ، بواسطة صديق لا يمكنني ان امتنع عنه او احتجب ، ولم يسعني الا اجابته ومن دعي فليجب ، غير عالم بما قدر وقسم ، بارىء النسم ، لان تلك الاكلة عافانا الله دخلت في بطني كالسم فاعتراني بلا امهال ، وجع البطن والاسهال ، ولذلك جاء بما سيذكر من القريض ، وجاء به وانا مريض ، متعللا عن عيادتي بعلة طبيعية ممن عمر وامل ، اذ يشيب المرء وتشيب فيه خصلتان الحرص وطول الامل ، فقال ، وابدع بالمقال :

لا ارى ان اراك والكف صفر لا ولا ان انساك ذلك عذر

---

(٩) للتعريف بهذا الكاتب الصحافي الشاعر (١٨٥٠ ــ ١٨٩٧) يراجع : « اعلام من الشرق والغرب » لمحمد عبد الغني حسن . القاهرة مطبعة الاعتماد ١٩٤٩ .

(١٠) لصاحبها يوسف شيث وصدر بعدها في القاهرة البيان للبرقوقي والبيان للعلامة ابراهيم اليازجي .

(١١) احمد فارس الشدياق لمحمد عبد الغني حسن ص ١٩٨ .

(١٢) مجلة المجمع اللغوي الجزء الثاني المجلد السابع والاربعون نيسان ١٩٧٢ .

(١٣) الفنون الادبية واعلامها لانيس المقدسي .

(١٤) اعلام الفكر العربي : احمد فارس الشدياق لميخائيل صوايا .

(١٥) هذا ما جاء في الرسالة التي تقدم بها الاستاذ نشأت كمال الى جامعة عين شمس لنيل الدكتوراه عام ١٩٦١ وموضوعها احمد زكي ابو شادي .

(١٦) الفنون الادبية واعلامها ص ١٨٠ .

المغامر .. وحصاة الغدير

وكل نهار تجيء الينا ... توقع خطوا بروح المغامر
وتلقم قاع الغدير حصيا ... وتطفو على السطح هذي الدوائر
وتمضي وتترك الف سؤال ... يعربد خلف مئات الحناجر
ويومض من جانب السطور برق ... يشد اليه جميع البصائر
وذات صباح توقف سير ... الزمان واقفر هذا المكان
وكل المنارات يا سيدي ... توارت وفي الارض مات الحنان
وهذي الزوارق قد ابحرت ... اترجع قبل فوات الاوان
وقبل اعتيادنا هذا الغياب ... اتبلغ يا قلب شط الامان
غدا حين ترجع تلك العيون ... ويثقل سمعي هدير السؤال
وتلغط فينا جميع الشفاه ... ويكثر في وفيك المقال
وتسكن ملء اهابي طيوف ... وتحملني عربات الخيال
ساذكر عينيك يا سيدي ... واعرف اني طلبت المحال

دمشق — سلافة العامري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فانبت الي عني وباسم الله ادعو ان لا يمسك ضر ... آنست منه سنا انس هديت به ... بعد البعاد لاقصى القصد والارب
لعنت اكلة تلاها زحير ... وطبيب وشغل بال وحصر ... لذاك فارقته والعين في عبر ... والقلب في حرق والجسم في حرب
اتحرت لك المقادير اسها ... لا بديل التسهيل اذ انت حر ... عنه انطلقت ولكن مهجتي اسرت ... لديه والقلب يدعوني ان انقلب
ام راك الزمان جلدا عليه ... فراى انه عليك يسر ... مع انني بؤت بالفضل الجزيل لدى ... حمى الامام الهمام الطيب الحسب
ان يضق عن اذاه صدرك وهو الرحب فليتسع لبرء يسر ... اعني به «الظافر» المفضال شيخ مليكنا المعظم في الدنيا مدى الحقب
فعسى ان يكون في الضر نفع وعسى ان يكون في العسر يسر ... فهذه حالتي في الحب قد ظهرت ... فكيف حالك لي « يا فارس» العرب
لم يضع من عمر الفتى ما هداه سبلا للنجاة مما يضر » ... وحق فضلك في ذا القطر لست ارى ... سواك من فاضل ارضاه مصطحبي
كم لامني عاذل في فرط حبك لي ... ورام منصرفي عنكم ومنقلبي
ومن اراد اصطحابي عنك قلت له ... شتان بين ذكي فاضل وغبي
لله درك من صبر سما ونما ... في نظمه الدر فوق الزهر والشهب
سحبان ليس بحسبان لديك له ... سبحان باريك للانشاد والخطب
وما نظام جرير مع فرزدقه ... بلبامرىء القيس لو قسناك لم نصب
اما نظرنا تاليفا لك انتشرت ... من كل سفر بديع جاء بالعجب
فزادك الله عمرا يا مني املي ... ودمت بدرا بافق المجد لم يغب
قلدتني يا امام الشعر والادب ... مدحا لغير حلاك الغر لم يجب
فانني رجل رام الخمول فما ... له سواه وغير الصدق من ارب
ان كنت انظم شعرا فهو لي داب ... لا للحصول على جاه ولا رتب
وان يكن طاب ذكري في مديحك لي ... فانما هو مع تذكار ذي الحسب
محمد ظافر من انت منتسب ... الى حمايته يا طيب منتسب
من يعتصم بحماه فهو ذو جدة ... وحظوة وامان من اذى النوب
فكل ما قلت فيه عن مكارمه ... فصدقه ظاهر كالصدق في الخطب
وانما كان تاخيري مديحكما ... للعجز مع انه سولي ومطلبي
دم يا «الرسول» المعالي تستبين لنا ... من معجزات المعاني زينة الكتب
لانت فخر لنا والناس تعلم ذا ... وليس ينكره الا عم وغبي
ولا تؤاخذ شبيخا بالقصور عن الاطراء فهو اسير الهم والوصب

حمص — علي حيدر النجاري

القصيدة المخطوطة الثانية

اما هذه فرغم انها اقرب الى شعر المناسبات فهي تعطي الباحث مجالا لدراسة عن شخصية الشاعر وعما تنطوي عليه جوانحه خلال الفترة الاخيرة من حياته ، ولعلها من اواخر اشعاره .

والابيات كانت ردا على رسالة شعرية بعث بها الوالد الى الشدياق متشوقا بعد أن حل ضيفا على احد علماء الصوفية آنذاك وهو الشيخ محمد ظافر الشاذلي صاحب كتاب « الانوار القدسية » المطبوع في مطبعة الجوائب ، ويبدو انه كان شيخا للسلطان عبد الحميد قبل ان يتولى الشيخ ابو الهدى الصيادي (١٨٤٩ — ١٩٠٩) هذه المشيخة ، ونورد ابيات رسالة الوالد الشعرية اتصالا بالبحث ، واتماما للفائدة :

سر يا كتابي لخدن العلم والادب ... ومن به تضرب الامثال في الكتب
واشرح صحيح غرامي المستجاد له ... وانشر حديث «الرسول» غير مضطرب
شوقي لانس اديب مفرد علم ... بالعلم والفضل يسنعلي على الرتب



توأم الفردوس

انشدت في مهرجان وطني
اقامته الجاليتان السورية واللبنانية

زكي قنصل

*

حتام اخنق غصاتي وانتظر ... طال الطريق واوهى عزمي السفر
جارت علي النوى واستنزفت كبدي ... فكيف يضحك في قيثارتي وتر ؟
انى التفت رأيت الافق معتكرا ... أفي سمائي أم في مقلتي الكدر ؟
ويح الغريب لكم اغرته بارقة ... وكم تنازعه التطواف والسهر
يعيش في ظلمات من هواجسه ... بالله هل يستريح الواجف الوجر ؟
نهاره عرق بالليل متصل ... وليله سقر في اثره سقر
يغفو تهدهده الاحلام زاهية ... ويستفيق فلا يبقى لها اثر
اضاع في الكدح والتذكار غربته ... فمات حيا .. وكم في موته عبر

يا شام لولا طلاب المجد ما انتثرت ... في الشرق والغرب هذي الانجم الزهر
نادى فطاروا اليه لا يروعهم ... ما يضمر الغيب او ما يعلن القدر
لم تسع ، حيث سعت اقدامهم ، قدم ... ولا تسامى الى آفاقهم نظر
كرمى لعينك ما يلقون من خطر ... ما هان الا على محرابك الخطر
يا شام باسمك كم غنوا وكم هزجوا ... ويعلم الله كم انوا وكم زفروا
شادوا على ملكوت الحب دولتهم ... فاخضوضلت وحلا للقاطف الثمر
تبارك الحب كم راجت تجارته ... وكم ترفع عمن باسمه اتجروا
لم يهجروك ، برغم البعد ، ثانية ... شتان شتان من غابوا ومن هجروا

لانت خفقة وجد في جوانحهم ... تخبو النجوم ولا تنفك تستعر
فيحاء يا توأم الفردوس دونكها ... تحية بعبير الشوق تأتزر
واحر قلبي كم اصبو اليك وكم ... اطوي جناحي على نار ولا شرر
اهوى ترابك تبرا لا يقاس به ... تبر ، وكيف يقاس التبر والمدر ؟
اهوى سماءك صاغ الله انجمها ... شقرا .. واحلى الدراري الانجم الشقر
واها على جدول في المنحنى هذر ... نشوان يسكر منه البلبل الهذر
مياهه فضة تجري على ذهب ... من زان قاعك بالابريز يا نهر ؟
الكوثر الطاهر الرقراق والده ... فلا يطاوله في الانهار مفتخر

واها على قرية بالافق عالقة ... يزينها الفاتنان : الدل والخفر
لا هم يشغلها ، لا غم يدخلها ... ما دام يملؤها الايمان والسمر
تمسكت بحبال الله واعتصمت ... بالطود يزلق عن هاماته البصر

كانها ـ والدجى يغشى نوافذها ـ سفينة تتراءى ثم تستتر
واها على ربوة بالحسن كاسية يزهو على كل عشب عشبها النضر
ترتادها الطير اسرابا ويقصدها من المجانين او ليلاتهم زمر
للصيف في ظلها الريان منتجع وللشتاء ومن يشتون مؤتمر
واها ... وماذا تفيد الواه مغتربا يكاد يفلت من راحاته العمر
اخاف ـ والشوق يطويني وينشرني يقضي المشوق ولا يقضى له وطر

قالوا ولبنان هل تنساه ؟ قلت لهم هيهات ينسى ليالي عزه الوتر !
لي فيه الف أخ طابت شمائله والف اخت هم الاطياب والزهر
فكيف ياخذني في حبه حذر ان المحبة من آفاتها الحذر
ذكرت ماضيك يا لبنان فائتلقت في خاطري صور ، واستيقظت صور
هذي سرايا العلى من شطك انطلقت تغزو بايمانها الدنيا فتنتصر
لم تحمل النير للاعناق ، بل حملت رسالة النور فاستهدى بها البشر
حرية الفكر قد ارست قواعدها ايام ترسف في اغلالها الفكر
بيروت عاصمة التاريخ ما برحت للشرع مدرسة تزهو بها العصر
ياوي الى ظلها الباكي فتحضنه وينكث العهد راجيها فتغتفر

تراث فينيقيا صانت ذخائره ولم تفرط بما قد خلفت مضر
ما عزت الضاد الا في حمايتها هل يضحك الحقل ان لم يسقه المطر ؟
شمس الحضارة من آفاقها سطعت ان كان من غيرها قد اشرق القمر
طارت على صهوات الريح شهرتها ولا يزال اسمها ينمو وينتشر
لبنان يا درة الشرقين ان يدا تمتد صوبك بالعدوان تنكسر
لم تعرف الشمس اعلى منك ناحية فداء مجدك ، مهما عزت ، الدرر
الله حاميك من غاز ومن جشع فليعصف الهول ، فالعقبى لمن صبروا

الناس عندك اخوان ، احبهم لله اسرعهم للعفو ان قدروا
ما للضغينة في جنبيك متسع ولا مكان لمن ان عاهدوا غدروا
حدث وحدث بما استنبطت من بدع ان الكرام اذا ذكرتهم ذكروا
باسم المحبة خضت البحر من قدم وباسمها سار في اعقابك الظفر
الادعياء على ميراثك اجتمعوا فازجرهم بسياط الحق ينزجروا
ان فاخروك بماض من مآثرهم فانت مبتدأ الدنيا وهم خبر
وان تباهوا بما خطوا وما نحتوا فالحرف منك ، ومنك الفكر والحجر
بعثت قدموس استاذا فعلمهم لولاه ما كان شيء اسمه حضر
بني العقول بلا من وهذبها ان الكريم ليعطي ثم يعتذر

يا جيرة الارز ان الارز رايتكم فلا يلم به ضيم ولا وضر
ابلى الزمان وما زالت ملابسه خضراء يسكر من انفاسها السحر
هياكل الرب شيدت من اضالعه فليخشعن على اقدامه الشجر
اني لاسمع فخر الدين يامركم بالذود عن حرمات الدار فائتمروا
فيئوا الى نهجه ـ يسلم لكم وطن وامشوا على دربه تحمد لكم سير
لانتم اسرة في الله واحدة فكذبوا قول هاذ انكم اسر
وانتم الفئة الصغرى ، وكم فئة كبرى مؤزرة لم يجدها الكبر
ماضيكم مشرق ، فلينره حاضركم ان الشبول من الآساد تنحدر !

بوانس ايرس ـ الارجنتين زكي قنصل

قبلة طفل

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

الاستاذ بكلية اللغة العربية بالقاهرة

* * *

قرات قصة مترجمة عن الاسبانية تتحدث عن مجرم شرس ينزل سجنا قاسيا اعد لمثله ، وكان من الشراسة والجفوة والبطش بحيث اعجز الحراس ، وتحاماه زملاؤه الاشرار من اصحاب الجرائم الفظيعة ، وكان مدير السجن عنيفا يتخذ افظع اساليب الردع ناظرا الى عملائه كذوي خطر شديد لا يستجيبون لخير ، حتى ضجر بـه القاطنون ، واخذوا اهبتهم المتيقظة للفتك به ، وكان يسكن في مبنى خاص ملاصق للسجن . وله بنت صغيرة في العاشرة من عمرها ، بحث عنها ذات صباح فلم يجدها بالمنزل ، فتوقع الشر ، وذهب في هياج ليجدها تداعب هذا الشرير الضخم ، وتبتسم له في لطف ، ويحدثها في حنان ، فحمد الله ان نجت من شره ، واخذ يعنفها ان تركت المنزل وجاءت الى مكان هذا المفترس الوحش ، فقالت الطفلة : ليس وحشا يا ابي فقد قبلته كما اقبلك ، وكتم المدير غيظه فلم ينطق ، وبعد ايام فوجيء بعصابة قوية من نزلاء السجن تهجم عليه في شراسة ، وتوقع الموت اذ كان دون سلاح وحراس ، ولكنه وجد هذا الشرير الخطير يهجم على افراد العصابة ، ويقاوم وحده شرها خائضا اقسى المعارك حتى تفرقت عنه بعد ان امتلأ جسده بالجراح وسال الدم من راسه ووجهه ، وقد سئل عن سبب الدفاع عن رجل يؤذيه ويكرهه فقال ، لقد قبلتني ابنته ذات يوم ، وهي الوحيدة التي قبلتني ، وحرام ان تعيش يتيمة !

ذكرت هذه القصة حين سمعت ما يشبهها مما حدث واقعا دون تاليف ، سمعت فعجبت ، وعرفت ان الطبائع الانسانية تتقارب في كل زمان ومكان ! وان قبلة الطفلة الصغيرة او الطفل الصغير علاج سحري يرد اعتى العتاة من المتوحشين انسانا رقيق الحس ، عميق الشعور . اما كيف كان ذلك فاليك :

نزلت احدى مدن الصعيد مدرسا ، وامتدت سنوات التدريس هناك فالفت الناس والفوني ، وصادقت الكثيرين من ذوي النفوس الكريمة ، والاخلاق الرضية ؛ عرفت فيمن عرفت انسانا فاضلا حقا ، يتحدث في ادب . ويعيش في نظافة ، ويقرا في اهتمام ، وله بشاشة مفرطة مع الزائرين ، وترحيب طيب بالوافدين ، وكان يميل الى القراءة فهو يطالع الكتب والمجلات ويشارك في مسائل النقافة وتيارات السياسة : مع صمت حلو يخيل اليك معه انه حديث ناطق تقوم فيه الاشارة مقام العبارة ويغني الصمت عن اللفظ ، على هيام زائد بكتب التاريخ الاسلامي قديمها وحديثها ، حتى لتسمع منه اخبارا قراها في الطبري والمسعودي وابن الاثير لم تقراها من قبل ، ولم تكن موضع ملاحظة كاتب معاصر ممن يملئون كراسي التاريخ في الجامعات ؟ ولا ادري لماذا اختصني بوده دون زملائي بالمدرسة ، فهو يدعوهم من اجلي ؛ واذا حاولت التهرب من كرمه المفرط غضب واهتاج ، وقد عرفت ان هذا ديدنه قديما مع الاساتذة الوافدين ، يرتاح الى احاديثهم ، ويعقد معهم مجالس الشعر والثقافة ! وهو بعد عصامي الاطلاع لم يتخرج في جامعة وانما قرا وشغف ، واهتم بفنون من القراءة تناسب مشربه ومزاجه ، حتى صار ذا راي تستمع اليه فتستريح .

والناس لا يتركون انسانا دون كلام ، وان نزل من السماء ، فلا بد ان يحسد هذا الفاضل على كرمه وعلمه ، ولا بد ان ياتي الينا في المدرسة الثانوية من يقول عنه انه ورث مالا عن ابيه القاتل السفاح ، وان ما ورث لم يكن حلالا خالصا ، ولكنه انتزع غصبا من الناس ، خوفا من شراسة الوالد ومؤامرته . وان الصلة به لا تحمد ، وبخاصة من رجال التربية والتعليم ، ويستمع الزملاء الى الحديث بين مصدق ومكذب ثم يقول قائلهم نحن غرباء ، ولنا موضع القدرة بين العامة ، فلا بد ان نتحفظ فلا نزور احدا مهما الح في طلب الزيارة ، ومنهم الانطوائي بطبعه ، الذي كان يرى العزلة مذهبه ، فيجد لنفسه عذرا في الانطواء ، ويتباهي بمسلكه المتجنب ، ويدل ببعد نظره وسعة تفكيره ! وهكذا اصبح الاتصال بالرجل المفضال موضع مؤاخذة ، ولم تبدر منه بادرة سوء بل لم يبدر منه غير الحميد من القول ، والحسن من الفعل ، وكل ما قيل من الاراجيف يتعلق بأبيه وقد مات منذ عشر سنوات ، ولكنه لا بد ان يؤاخذ على كرمه وادبه ، ولا بد ان تزر وازرة وزر اخرى .

وتحفظ الزملاء فلم يعودوا يخفون اليه ، وارادت لي الظروف ان اتحفظ بعض الشيء فلا اسرف في الزيارة كما لا اجاهر بالقطيعة ، وقد عرف الصديق بفراسته حقيقة ما كان ، فلم يشا ان يقطع الحبل معي ، ولكنه جعل الصراحة ديدنه ، فخف الى المدرسة ليقول انه سيزورني في منزلي ، وكانت العادة ان يقول انه يدعوني الى زيارته في منزله ، وقد حدد الساعة بعد العشاء فوجب ان انتظر ، ولم يخاطب الزملاء بشيء فخيل اليهم انهم استراحوا من عبء متوهم ، ولكني والله قد فرحت بموعده ، واخذت انتظره على شوق .

صلينا العشاء معا بالمنزل ، وخيل الي ان الزيارة ستكون صلة للمودة دون ان تمس ما جد عليها من وهن ؛ ولكن الرجل قد جاء ليتحدث فيما ظن ، وكان ظنه صادقا ، وكان طبيعيا فلم يفتعل تمهيدا ، ولم يختلق مناسبة ياتي معها القول استطرادا وكانه لم يتعمد ، بل قال لي في

ابتسام ؛ سأسمعك قصة والدي ؛ قلت في تجاهل : وهل لوالدك قصة ؟ قال نعم وقد جاءتك مجوفة مكبرة فيجب ان تقف على حجمها الطبيعي ؛ فتراجعت ابتسم في خجل ؛ وانطلق يقول :

اخذ والدي في قضية ثار ، كان يرى من شرفه ان ينتقم . ورات الحكومة ان يسجن ، وقد قضى ما كتب عليه في السجن ، ثم خرج ليجد الناس يعاملونه كسجين وقع في قبضة العدالة وكوفىء بالاشغال الشاقة ، فضاق امامه باب الرزق ، واضطر لان يلجه من غير طريقه ، وعرف عنه ذلك لمدى قصير ، حيث انقذه الله من ناحية لم تكن في حسابه ، اذ جاءه ذات مساء عم غادر يقوم وصيا على ابن اخيه الوحيد الذي يمتلك ثمانين فدانا ، وقد سولت له نفسه ان يقوم بمؤامرة تنزع الحياة من طفل بريء لا يتجاوز العاشرة كي يصبح هو الوارث الشرعي لما يملك ، وكان خبيثا فيكيده ، ماهرا في حيلته ، فعرض على والدي ان يخطف الطفل ، وحدد له البيت والساعة والشارع ، اذ ان الضحية يتيمة لا تجد من يقف معها غير ام محطمة لا تملك ادوات الدفاع ! ثم يرسل له خطابا خادعا يطلب منه عشرة آلاف جنيه فدية ، ويكون الخطاب بالبريد ، فيظهر استعداده امام الناس لدفعها ، ويجمعها بالفعل متصنعا الجد ، وباحثا عن المكان والموعد ، ثم يفاجأ بجثة الطفل ملقاة في مصرف مائي حدده كذلك ، واذ ذاك يعلم الناس انه بعيد عن الجريمة ، وانه بذل الجهد في البحث ، واسرع في جمع الفدية ، ثم تدخل القدر على غير ما يريد ، وقد قدم لوالدي خمسمائة جنيه ووعده بمثلها بعد تمام المكيدة ، وماذا سيضيره حين يخسر الف جنيه وهي ثمن فدان واحد مما سيصبح ملكا خالصا له ، وكان والدي لا يجد المال الا عن طريق الجريمة مستجيبا لوسوسة الشيطان وسيطرته ، فاستجاب .

حان موعد التنفيذ في منتصف ليلة شديدة الظلام بالريف ، وقد وقف العم ليدل ابي على الباب الخلفي وليرسم له طريق الذهاب الى مضجع الطفل الراقد جوار والدته المريضة ، وكان يظن ان الامر لا يستغرق عدة دقائق ، فالام وحيدة عزلاء ، والطفل لا يستطيع المقاومة ، والظلام ساتر سابغ ، ولكن ابي يدخل فيجد الطفل مستيقظا تغني له والدته ، وقد اسرع الطفل حين ابصر القادم فجاة وهو يصيح بابا بابا بابا جه يا ماما اذ توهمه اباه الغائب — كما كانت توهمه امه — لبعض ملامح رآها الصغير مشابهة للراحل البعيد ، وقد فرست الام ووقعت مغمى عليها لما تاكدته من هول الواقع المنتظر ، اما ابي فنظر الى الطفل يسرع اليه وهو يقول بابا فحمله في رفق بين يديه فوجد الطفل يقبله فرحا وهو يصيح : بابا ! حبيبي ! فارتعشت يده ، وادركه من الحنان والرحمة ما دفع بالدمع الى عينه . فلم يتمالك ان اخذ يقبله في حب ؛ ثم اتجه الى السيدة المغمى عليها ليرش وجهها بالماء ؛ وليساعدها على الانتعاش حتى اذا عاد لها الرشد ـ جلس في ادب خاشع ليقول لها في حب : انا خادمك يا سيدتي ، وقد اوعز لي المجرم ان اقتل وحيدك ، ولكن الله قد بعث في قلبي له حبا يدفعني الى ان اقاوم الجبابرة دون حياته ، سافضح المجرم غدا في الطريق امام الناس ، وساهدده بقتل اولاده جميعا لو اصاب طفلك السوء ! سيعلم من انا ؟ وقد كتب الله على يدي له النجاة ، وكان الام كانت تحس البغض الدفين في نفس العم ، وترى انها في مهب الخطر فاندفعت تبكي بحرقة وقالت انه استولى على الارض ولا يدفع لنا غير ايراد فدان او فدانين ثم يدعي ان المحصول كله في نفقة الام والطفل ، وقد تساهلت ورضيت بالكفاف لاضمن حياة الطفل حتى يشب ! واذا كنت قد رحمتني فلا آمن ان يسلط علي سواك ! صاح الوالد في حماسة : ساهدده بخطف جميع اولاده ، وسيكون امامي اضعف من ذبابة ، وسترين .

ذهب العم الى المنزل مترقبا ان يسمع صراخ الام ، وفزعها الهلوع حين تعلن اختطاف الطفل ، ولكن الليل يمضي دون ضجة ، فيظنها نائمة لم تدر ما الفاجعة ؟ حتى اذا بدت الشمس ، سمع العم ما افزعه ، سمع ابي ينادي الناس في الشارع العام ، ليقول لجماهيرهم المحتشدة ، ان هذا الوغد قد سعى الي بليل ، لاختطف ابن اخيه واقتله وارميه في المصرف المائي ، ووالله الذي لا رب سواه ، لقد اعلنت على رؤوسكم جميعا حمايتي للطفل البريء ، ولئن مسه اي خطر فسأخطف اولاد الوغد جميعا ، وان لم يكن انا الخاطف فساتعاهد مع من يخطف ويقتل ، ليشعر بالحسرة الكاوية ، ثم انهي المأساة براسه ! لقد اعلنت حمايتي ، ومعي كل اصدقائي نشترك في صد هذا الوغد ! كان بالامس في قريتنا ، وقابلني ، ومر ببعض من شاهدوه ، ممن استدل بشهادتهم الآن امام الشرطة ليفضحوه ! لن يقف احد ما دون حمايتي لهذا البريء ولامه ! سأنتزع الارض منه وسيرى !

بهت الناس لهول ما راوا ، ولم يستطع العم ان ينكر ، فقد اذهله الموقف بمفاجآته ، وجاء التهديد بخطف اولاده الثلاثة واحدا واحدا زلزالا مدمرا لاعصابه ، وقد استعاد بعض ثيابه فهرع الى مقر الشرطة مسترحما يستعين بالضابط ، ولكنه كان ذا فراسة صادقة فازدراه وقال له ان القانون لا يحمي المتآمرين ، وزاد في تحطيم اعصابه فقال : لقد وقعت في يد اخطر العصابات ، فليست المسألة مسألة فرد ، فوراءه من هو اخطر منه ، والمجرمون ياكل بعضهم بعضا ، فاستعد لما سيقع ، فلا سلطة لنا الآن على غريمك ، وقد صد شرك عن ابن اخيك ! ثم قال في استدراج : اذا كنت بريئا فاسال ربك العون فهو نصير الضعفاء !

وما كاد العم يصل الى منزله حتى راى صراخ زوجته ، وفزعها الهائل ، تقول له : عرضت نفسك للفضيحة ، واولادك للقتل ، وقد نهيتك فلم تسمع ! كنت تدبر ، وكنت

أبوان

شمسان نورتا نفسي مدى الامد ... فانزاح عن أفقي سرب من الكبد
اغدو ، وفي القلب افراح اعانقها ، ... مثل السناء الذي ينساب في عضدي
قد كنت زهرا يضوع العطر من فمه ... كأعين عطفها قـد زاد في جادي
لولاكما كـان عيشي غـير مؤتلق ... أكرم بعيش بدا كالنجم بـين يدي
بشر الابوة انـى سرت يفمرني ... يزجى الي مـع الاحلام ثوب غدي
والود ، ود التي بالروح تطممني ... سر الحياة . ومن اغلى من الواد ؟
رؤياي تشرب من كاسيكما ألمـا ... يطفو على ظاهري المفموس في الكمد
امـا عروقي ، فاوتـار توقعها ... انامل الحزن ، والاسقام في البلد
فكم صحاري لا ترتاح مـن ظما ... مثل الجذى وقدها يختال في الرمد
وكـم ورود رماها اليأس ذابلة ... لمـا الحمام ارتوى من نبعة الابد
لولا الابوة ما استلقى الضحى فرحا ... بين الطفولة ، او في صحوة الخلد
يا والدي ، صنيع القلب يخبرني ... عن انهر من حنان اثلجت كبدي
أرنو الـى حسنها مستمرئا خلقا ... يبقى الوجود بـه مستوثق العمد
آمنـت بالحب اخلاقـا ومركبـة ... تسمو النفوس بها عن شرعة العقد
هو اندفاق مـن الرحمن اودعه ... قاب الامومة ، كالغفران للجسد !

مراكش ــ المغرب ــ ص.ب ٤٦١

آيت وارهام احمد بلحاج

اثنيك ، كانت الارض كلها معك فماذا كنت تريد ؟ ولم يتمالك ان ضربها بحدة ، فصرخت ، وجاء الناس ليسمعوا اعترافها بالجريمة ، فصدق المتشكك ، واطمأن المستريب ، وتساقطت اللعنات عليه من اقرب القربى فما ظنك بالغرباء ؟

لم يقف والدي عند هذا الحد اذ استمع الى اشارة ام الطفل في ان يعمل على انتزاع الارض منه ، وقد رضيته قائما على زراعتها وانتاجها ليحميها من الناهبين ، وله نصف المحصول واكثر منه لو اراد ، فقد حفظ روح طفلها من السباع ولم يكن العم متصورا ان المعركة ستنتهي به الى ان يفقد وصايته الشرعية على الارض ، فعاند وتبجح ، ولكن والدي قد استعان بقوم من قريته بدأوا يفدون الى منزل الام ، ويرسلون تهديداتهم الشريرة الى العم ، وكم ارسلوا الطلقات النارية فوق منزله في الظلام تهديدا له ، وانذارا بخطف اولاده لو وقف عقبة دون ان يسلم الارض لاهلها ، فانهارت اعصاب الزوجة ، وزاد الامر خطورة لدى العم ان احد هؤلاء قد استطاع ان يخطف الولد الصغير من بيت خاله ثم يقدمه الى والده قائلا لقد عفونا عنه هذه المرة وسترى ، حتى اضطربت نفسه ، ورأى الدنيا لا تساوي ان يعيش بها لحظة واحدة مع ما يواجه من تهديد الغرباء واحتقار المعارف وتباعد الاقرباء ، وقـد فارقته زوجته معلنة كل ما بيت من شر ، ثم ارسلت تتوسل لمن يسمون بالغرباء ان يرحموا الاولاد ؛ ودونهم الاب فهو صاحب التدبير الاثيم .

وقبل ان يجمع المحصول ، سلم العم كل مـا في حوزته ؛ وجاء ابي ليدير الارض بنفسـه ، وليختار من يثق فيه من الفلاحين واذ ذاك اعلن توبته لله عز وجل اذ وجد باب الرزق الشريف ، وقذ انهل الخير عليه كالمطر ، فام الطفل ترعى له حقه وتعطيه كل ما يطلب ، ومهما اعطت فقد سلم لها الدخل جميعه واصبحت مطلقة اليد فيما تنفق وتدخر وقد منحت اكثر دخلها لذوي الحاجة من الناس ، اذ كانت رحيمة القلب ، سخية اليـد ، فضمنت محبة الجميع ، وشعر كل انسان ان ارضها الخصبة ثروة للفقير والضعيف .

زاد المال لدى ابي ، فاقتنى العقار ، وجمع الحيوان والماشية ، واقام المنازل ، ثم رحل الى ربه وقد ترك لي ما اتمتع به من ثراء ، اما الطفل الذي انقذه فهو الآن صاحب منصب مرموق ، وقد ورث الارض جميعها بعد وفاة والدته ، ولا يزال يزورني وازوره مقرا بفضل والدي عليه .

ثم سكت صاحبي ونظر الي لاتكلم فقلت ، يا اخي لم اشك في طهارتك لحظة ، وقد ورثت المال عن ابيك حلالا صافيا ، ولك خيره خالصا طاهرا ، فدع الحاسدين وما يهذون .

قال في اسف : ولكنهم يشوهون الحقائق ، ومـا اتصلت بقوم الا اشاعوا الاراجيف ، ونقموا على الموتى واقلقوا المضاجع ساخطين .

قلت وما يضيرك ؟ فلن يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، وصدق الله العظيم .

القاهرة ــ كلية اللغة العربية — محمد رجب البيومي

العمل الفني في ادب عصور الانحطاط

بقلم لطفية الشهابي

* * *



كثرت التعليلات والتعليقات والدراسات حول ادب هذه العصور — عصور الانحطاط ولكن وللاسف لا يكاد القارىء ، رغم كل هذه الكثرة ، يجد ما يشفي غليله ، وهو ما زال يحس انه بحاجة الى مزيد من القول ، لست ادري لماذا ؟ هل لان الاهمال ما زال من نصيب هذه الفترة ؟ ام لان طبيعة ادبها لا ترغب القارىء والدارس بالصحبة الطويلة له ؟ ام لاسباب اخرى غير هذه وتلك لا ندري . ولكن المهم بالنسبة الي هو انني اطلت مرافقته اكثر من اللازم حتى خشيت على نفسي من عدواه . الا ان هذه الصحبة بدأت فيما يظهر تكشف لي عن بعض مكنوناته وتظهر شيئا من اسباب علله وامراضه . فلقد احسست بصدق ان الاديب متى فقد القدرة على خلق المعاني او تمثلها من جديد ، ووضع امامه نماذج يريد ان يجتذبها ويسير على غرارها ، واولى اهتمامه الى التشور مغاليا في التلاعبات اللفظية والزينة الكلامية ، والصور سواء كانت جميلة او غير جميلة ، ضاعت معانيه تحت ركام النماذج القديمة المحطمة والصناعة اللفظية والمعنوية المشوهة واختل في انتاجه عنصرا الموسيقى والعاطفة .

اجل لقد احسست ذلك بصدق وانا اديم النظر في شعر هذه الفترة بصورة خاصة . ولقد مللت التعليلات الطويلة للاسباب الخارجية المحيطة بالاديب والتي ادت الى تقهقر هذا الادب ، وبدأت ابحث عن الاسباب الداخلية وعن طبيعة العمل الفني كيف غدت في نفس الاديب حينذاك .

فالاديب هو الانسان الذي منحه الله قدرة البيان ووهبه امكانية التعبير عن اشياء يحس بها جميع الناس ولكنهم لا يحسنون عرضها وتصويرها وبعث الخطوط الموحية فيها كما يحسن ذلك الاديب . واذا فهنالك عوامل خارجية وداخلية تتعاون لدى كل منشىء او صاحب موهبة ، على انتاج ما ينتج وابداع ما يبدع . انه يتأثر بالعوامل المحيطة به ويتفاعل ذلك التأثر مع مشاعره الداخلية ومقدرته الفنية فيعكس لنا تأثره بطريقة من الطرق التعبيرية ان بالشعر او بالنثر . ويبدأ كل فنان حياته الفنية متلدا كما هو شان الانسان في كل ما يتعلمه ثم ينتقل من التقليد الى الابداع . واذا ما بقي في طور التقليد فذلك يعني انه بقي في طور الطفولة الفنية . وانه لم يمتلك الشخصية القوية والطموح الكافي اللذين يدفعانه الى الابداع والابتكار والاستقلال الفني عن سواه . ولو لم يمتلك ابو تمام ناحية غنه ويتمتع بأقصى قدر ممكن من الطموح لما سمعناه يقول :

يقول من نظرق اسماعه كم ترك الاول للآخر

اما اديب عصور الانحطاط فقد رضي لنفسه ان يبقى مقلدا طوال حياته ، ولم يكد يشعر بالمهانة لقاء ذلك الرضى . بل ان نقاد تلك الفترة جعلوا لانفسهم مقياسا يقيسون به اجادة الاديب اذا استطاع ان يضمن في شعره شيئا من اشعار الاقدمين الجميلة . يقول كاتب مقدمة ديوان ابن النحاس(١) : « وانفس نفائسه تضمينه المشهور لصراع الرئيس ابن سينا :

لا يدعي قمر لوجهك نسبة فاخاف ان يسود وجه المدعي

فالشمس لو علمت بانك دونها « هبطت اليك معه المحل الارفع »

ان هذا التضمين هو من محسنات ابن النحاس الاساسية في راي ناقده وجامع ديوانه ، وهذا يعني ان التقليد عندهم غدا عادة غير مذمومة ، بل بتعبير اصدق انها مرغوب فيها الى اقصى الدرجات . والا فكيف يسمح ابن نباته لنفسه بأن يرقع شعره ذلك الترقيع العجيب في كل قصائده . لم يكن هدف ابن نباته ان يخلق معنى جديدا ، ولا ان يستوعب بعمق المعنى القديم ويعكسه كما تعكس المرآة الصافية الصورة بكل جمالها ، او كما تعكس عدسة المصور الماهر اجمل لمحة للوجه الذي امامها ، فتخرج له صورة تمثله ولكنها تزيد عنه جمالا ، وانما كان هدفه ان يعكس فقط المعنى القديم ولو بدا مشوها كما تظهر صورة الانسان على صفحة الماء العكر المضطرب . هكذا ظهر لنا عمل ابن نباتة في هذا البيت مثلا :

يا صاحبي اقلا من ملامكما ولا تزيدا بهذا اللوم اغرائي

انه وضع امامه بيت ابي نواس :

دع عنك لومي فان اللوم اغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

انه قد قلد ابا نواس المبدع فجاء تقليده مسخا مشوها . ولست ادري كيف سمح لنفسه ان يستخدم شطرة ابي الطيب في هذا البيت :

يا من يوفر طيفها سهري لقد امن ازديارك في الدجى الرقباء

او شطرة ابي نواس في هذين البيتين :

وهائم بالجواري الخود قلبي من سحر القدود فسمراء ولمياء

من السراري التي من بعد موت اب « لو مسها حجر مسته سراء »

ولنواصل تتبعه في اختطافه لشطرات متنوعة من شعر الاقدمين ، فها هو يلاحق ابا تمام :

يا تالي الذكر كتبا في لواحظه « السيف اصدق انباء من الكتب »

والمتنبي :

مدح يفار لسود المداد به « حمر الحلى والمطايا والجلابيب »

---

(١) هو احد شعراء الفترة الاخيرة من عصر الانحطاط توفي سنة (١٠٥٢ هـ) حلبي الاصل له ديوان شعر مطبوع .

وابا غراس :

اذا زرتني فالروح والمال هين « وكل الذي فوق التراب تراب »
« فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والانام غضاب »

انه لم يكتف بشطرة واحدة من شعر ابي نواس فالحقها ببيت كامل . وهكذا الى آخر ما هنالك من ابيات لا تقع تحت عد كلها قد اقتطع لها اجزاء من اشعار الاقدمين ووصلها بشيء من كلماته فجاءت مهلهلة ضعيفة بعيدة كل البعد عن الجمال الذي نحسه قبل كل شيء في تلك الروح المبدعة التي يوحي بها انتاج الفنان المبتكر .

ان ابن نباتة وغيره من شعراء عصر الانحطاط لم يحاولوا ابداع معنى جديد ولا تمثل معنى قديم وانما اخذوا يحتذون تلك المعاني ويقلدونها فجاء انتاجهم مسخا مشوها لا رو حفيه وذلك لان المعنى هو الروح .

وما كفاهم انهم اضعفوا روح فنهم بل التفتوا الى الشكل يبالغون في زركشته ظنا منهم ان ذلك سيغطي حقيقة فعلتهم ، لقد خيل لاديب عصر الانحطاط انه سيبلغ ذروة الفن ان استطاع ان يزين بيته بجناس او طباق او تورية او ترصيع او تصريع ... ولم لا يكون ذلك كذلك وهذا ابو تمام وذلك البحتري والمتنبي قد اكثروا جميعا من هذه الصناعة اللفظية ، ونسي صاحبنا ان اولئك قد ابدعوا وافتنوا في خلق معانيهم ثم حاولوا توشيتها ببعض الزينة ، وان زينتهم كانت ثمينة راقية كانها الماس والياقوت واللؤلؤ ، وما كان واحدهم ليرضى بقطعة زجاج حمراء فارغة او خضراء ملتمعة سريعة العطب . وانه بالاضافة الى كل ذلك فان قيمة عقودهم كانت تاتي من قيمة الصدور التي تزينها ، فهل لاحد منا ان يشعر بثقل الطباق الموجود في هذا البيت :

وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

انه مجموعة مقابلات تعرض الحياة بكل ما فيها وهل الحياة الا متناقضات ، والا اشخاص صغرت نفوسهم فاستعظمت كل صغير وآخرون عظمت نفوسهم فاحتقرت كل كبير .

وهل لنا ان نحس بثقل الصنعة في هذين البيتين :

السيف اصدق انباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف متونهن جلاء الشك والريب

لقد بهرت مثل هذه الصناعة انظار ادباء عصور الانحطاط فظنوا ان الجمال كل الجمال نابع من خلالها فلم لا يكسونها اكواما فوق اشعارهم ليضمنوا لها اكبر قسط من الفتنة . ونسوا ان المساحيق المتكاثفة على وجه المراة القبيحة السطحية التفكير لا تزيدها الا قبحا وفراغا . وان اكداس الاساور والعقود الرخيصة في عنقها ويديها لا تثير في النفس الا الهزء والسخرية من عقلها الجاهل السخيف .

وهكذا راح شعراؤهم يبحثون عن الصناعة ايا كان نوعها فالمهم عندهم ان يأتوا بالصورة وان لم تؤد الغاية المرجوة ، حتى ولو كانت تحتوي على تناقض داخلي في ذاتها ، فيقول ابن نباتة :

تولى من جمالهم ربيع فجاء بنوء اجفاني الشتاء

ويقول :

من بيتغضل صحيح الوزن قد رجحت به مفاخر آباء واجداد

فلا نرى جمالا في تلك الصورة الاولى المتناقضة مع نفسها والتي جعلت الشتاء ياتي بعد الربيع ، ولا في الصورة الثانية التي صرفت انتباهنا عن معنى المديح الى مجال الابحر العروضية . وهذا هو ابن النحاس يتغزل :

وما سمعت بالغصون قبلهم مشت بها اكثبة البوادي

فلا ارى اسمج من صورته ولا اكثر برودة ، فاي روعة نحسها حين نرى غصنا يمشي به كثيب كبير . صحيح انها الصورة الكاريكاتورية القديمة لمحبوبة الشاعر الجاهلي ، ولكن صاحبنا قد جردها حقا من كل جمال آخر وابقاها كما يريدها مصور الكاريكاتور تماما . ولنقرا هذا البيت كذلك لابن نباتة :

تفاح خديه بقتلي شامت فلاجل ذا يلقاك وهو مخضب

واراني مضطرة الى الاسراع في القول بأن شاعر عصر الانحطاط ما كان ليعبر بصدق عن مشاعر يحسها وعواطف تعتلج في نفسه ، وانما كان يصطاد صورة من هنا وتشبيها من هناك ويلبسها لمعنى صادفه ، وليس لمعنى تمثل في نفسه ، ثم ياخذ بتزيين ذلك المعنى بالمحسنات اللفظية ، هذا اذا لم يكن قد اعد هذه المحسنات من قبل وجهد ليجد لها اجسام الابيات فيكسوها اياها .

وهذا لا يعني ان ادباء هذا العصر اصبحوا مجردين من المشاعر والاحساسات ، وانما يعني انهم اضاعوا ذلك كله بالخطة التي رسموها لانفسهم حين جعلوا من القديم نموذجا يحاكونه ويسعون للوصول اليه ، ولم يستقلوا بانفسهم ويجعلوا من الماضي ضوءا للانارة وانما جعلوا منه خطة للمسير فرجعوا القهقرى وكان حالهم حال المقلد الذي لا يحاول الابداع . لقد غدوا مقيدين في تقليدهم ففقدوا شخصياتهم ومعالمهم الذاتية ، تلك المعالم التي هي اهم ما يجعلنا نحس بجمال انتاج الفنان وروعة ما يقول . ان كلف ذلك الاديب بالصنعة اللفظية الرخيصة كان ينسيه كل شيء ، انظروا الى ابن نباتة في قوله :

بابي هلال شرق طلعته يجري مدامعنا من الغرب
كسر اللواحظ ناصب فكري فضنيت بين الكسر والنصب
وسلبت لبي والحشا وجرت فميت بالايجاب والسلب
كيف استماعي من حديثكم قشرا وعندي معذبي لبي

ان الذي يسيطر على هذه الابيات هو مجموعة من الالفاظ المتطابقة المتقابلة . لقد حسب الشاعر انه بلغ ذروة الفن حين استطاع جمعها في ابياته ، ونسي ان الطباق وسيلة وليس غاية ، ولذا فقد استطار عقله فرحا حين حصل على محسنين في بيته الاخير وهما الطباق والتورية . وصاحبنا قد طارت شهرته في كلفه بالتورية . وهو القائل :

اودت فعالك يا اسما باحشائي واحيرتي بين افعال واسماء

ولا اريد اطالة الوقفة عند المحسنات اللفظية لدى ادباء هذا العصر فلقد اشبعها الدارسون تدقيقا وتمحيصا .

اليوم عدت اليك

اتصدقين بانني اكتب ... ما كان ، قبل اليوم ، لا يكتب
أرجعت للينبوع رقته ... ورجعت من سلساله اشرب
اذنبت أم اذنبت ، لا ادري . ... من كان منا ، بعد ، لم يذنب
ما ضاق صدري الرحب من كبر ... الا لانك صدري الارحب !
ان كان لي عتب برمت به ، ... أعلى سواك ترين ان اعتب
أنسيت أني الحلم اذ ارضى ، ... وبأني الغفران اذ اغضب
واحرقتي من نفسي الولهى ، ... واشقوتي من قلبي الطيب
يا ألطف الاحباب ، ما تعبت ... قيثارتي من عمري المتعب
الشعر ؟ كان الكأس مفرغة ، ... واليوم هذي كأسه تسكب
أترين ؟ عاد النجم موطنه ، ... والافق عاد لبوحه ملعب
أرسيت لي في الشعر مدرسة ... ان تنتسب ، فارقتي تنسب
حملت قلبي ريشة نشوى ... رسمت دواوين الحلا والحب
لولا سطور كنت اكتبها ... لم يشق انسان ، ولم يطرب
العاشقون غدوا بغير غد ، ... لما شراعي ضيع المركب ،
فهربت من قدري الى قدري ، ... لم أبق ، بعدي ، متعة تنهب
اليوم عدت اليك . لا تسلي ... هل بعد لي من حبنا مهرب
ما ضاع منا لم يكن عمرا ، ... أيام ذاك العمر لا تحسب

فوزي عطوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانما كل ما اريد ان اقوله هو ان هذه الصناعة غدت غاية بعد ان كانت وسيلة ، ولذلك اساءت الى الادب ايما اساءة .

ونتيجة لكل ما سبق فقد كدنا نفتقد نهائيا عنصري الموسيقى والعاطفة في الانتاج الفني لهذه الفترة . ففقدان عنصر الموسيقى جعلنا نحس بالنثرية المتفشية في اشعارهم، بل رب نثر كان له من الايقاع اكثر مما نجد في شعر عصر الانحطاط . ان الازدواج والتوازن في كتابة الجاحظ كانا يمنحان اسلوبه غير قليل من الايقاع الجميل . الا ان النثرية او انعدام الموسيقى غدا ميزة واضحة في ادب عصر الانحطاط . فهذا ابن نباتة يقول :

لقد عذبت الفاظها ومعانيها ... على ان قلبي في هواها معذب
تجاسر عود اللهو يشبه صوتها ... فمن اجل هذا اصبح العود يضرب

ويقول :

انت الحبيب ولكني اعوذ به ... من ان اكون محبا غير محبوب
وحق تربة يحيى يا محمده ... لا غير الصدق مني صبر ايوب

فلا نحس بموسيقى الشعر ولا سيما حين ينتقل من شطرة الى اخرى ، ان هذه ليست الا نماذج قليلة لو اردت ان اكثر منها لما اتسع المجال لذلك .

اما العاطفة فهي العنصر المظلوم المغبون في هذا الشعر . والا فدلوني بربكم اين تحسون عاطفة الحب في هذين البيتين :

جائر الحكم قلبه قلبي صخر ... وبكائي لبه بكا خنساء
عذلوني على هواه فاغروا ... فهواه نصب على الاغراء

واين عاطفة التعظيم والتقدير والاحترام للمدوح في هذه الابيات :

ملك حافظ المناقب تروي ... راحتاه عن واصل عن عطاء
في معاليه للمديح اجتماع ... كأبي جاد في اجتماع الهجاء
اعربت ذكره مباني المعاني ... فعجبنا لمعرب ذي بناء

او ابيات اخرى يقول فيها :

قاضي القضاة اذا اعيى اورى فطنا ... حسيرة العين دون الباء والتاء
والمعتلي رتبا لم يفتخر بسوى ... اقدامه الراء قبل التاء والباء
والثاقب الفكر في غراء ينصبها ... لكل طالب نعمى نصب اغراء

لقد تبخرت العاطفة وذهبت بين ركام تلك الصنعة السطحية التي لم تقر جمالا في اللفظ ولم تبق على اثر للمعنى .

ان اديب عصر الانحطاط قد اخطأ المسير حين جعل القديم قبلته ونسي شخصيته الذاتية ، شأن كل مهمل لذاته ، مبدد لكيانه ، فلم نعد نجد لادبه الطعم اللذيذ الذي كنا نجده في ادب الاقدمين ، ولا نرى الصورة المميزة له عن غيره من الأدباء ، الا في تلك الزخارف الباهتة التي زادته سطحية وفراغا .

دمشق

لطفية الشهابي



الدكتور وليم الخازن

ملامح القومية
في الشعر العربي الحديث

بقلم الدكتور وليم الخازن

* * *

نمت بذور الشعر العربي القومي في القرن التاسع عشر مع ظهور الشعر الوطني . ولم تكن التيارات القومية التي فعلت فعلها في خريطة العالم الغربي قد دخلت البلاد العربية بشكل فعال . ولم يكن للعرب مكاسب قومية في القرن التاسع عشر الذي وصف بعصر الانجازات القومية . وفي مطلع القرن العشرين كانت الدول الغربية التي هنئت باستقلالها القومي تسعى لتخطي حدود القومية ، ولبناء الدولة السياسية الحديثة . اما القوميات الجديدة ، بما فيها القومية العربية المتحررة من السيطرة الاجنبية ، فكانت تتفتح في ربيع ايامها . والكتب العربية التي ارخت لهذه النزعات ، كثيرا ما شطحت مع عصبيتها وخيالها ، وحاولت ان تبني بناء شامخا بمداميك صغيرة متفرقة . ورأينا جورج انطونيوس ، وهو من اكثر المؤرخين العرب اعتدالا ، يقول في كتابه « يقظة العرب » ان فكرة الامة بمفهومها الحديث غزت البلاد العربية في الربع الاخير من القرن التاسع عشر . ونحن نقبل قوله هذا ان كان يقصد فيه مجرد الفكرة العامة للقومية وتغلغلها الاولي ، اما شيوع فكرة القومية وانتشارها في القرن التاسع عشر ، وحتى في اواخره ، فلم يظهرا لنا فيما طالعناه من مراجع بهذا الشان . ولقد اورد البرت حوراني في كتابه « الفكر العربي في عصر النهضة » ان الاعتقاد القومي لم يتضح ويكتسب قوة سياسية الا في القرن الحالي . مع العلم ان العرب لم يحرموا ادباء عرفوا مفاهيم القومية الحديثة وكتبوا عنها مثل اديب اسحق السوري (١٨٥٦ ــ ١٨٨٥) الذي بحث في الامة والوطن والوطنية وحدد مفاهيمها ، غير ان هذه الابحاث لم تبلغ حد الانتشار الكافي . والدول التي تولت قسمة العالم في اتفاقيات ١٩١٩ ــ ١٩٢٠ ، اخذت قوميات الدول الغربية بعين الاعتبار وحددت هذه الدول بالنسبة لقومياتها ، فنالت حظها واطمأنت . اما الدول العربية ، فقد طبق عليها عكس ذلك ، اذ جارى المؤتمرون ومصالحهم وقسموا الاطار القومي العربي غير الواعي الى دول عديدة ، بقيت لديها المسالة القومية في مقدمة المساعي والمطالب الوطنية . وحيث اعطي غيرها حقه القومي حرمت هي قوميتها ، وما زالت تسعى لتحقيقها في افتراضات اتحادية شتى . وفي عام ١٩١٩ اخذ الشاعر خير الدين الزركلي ، شأن المواطنين الواعين ، ينبه العرب الى تصميم الغرب على تقسيم بلادهم ويقول :

فيم الونى وديار الشام تقتسم ... اين العهود التي لم ترع والذمم
هل صح ما قيل من عهد ومن عدة ... وقد رايت حقوق العرب تهتضم

وعندما جاءت لجنة الاستفتاء العالمية عام ١٩١٩ تستطلع الحقائق عن الشرق العربي وتستفتي الشعوب في تقرير مصيرها وافرادها يضعون شعار الميزان على اعضادهم تطرق لها الزركلي وقال من قصيدة :

ما بال من حملت موازين الهدى ... اعضادهم لم يحسنوا البرهانا
ان لم يغيثوا المستغيث وينصروا ... مستنصرا فليكسروا الميزانا

وتصدى بعض الشعراء العرب للحكم الغربي الدخيل، ووصفوا مساوئه في بلادهم كما نرى مثلا لدى الشاعر العراقي محمد رضا الشبيبي عام ١٩٢٠ ، والشاعر المصري احمد زكي ابي شادي (١٨٩٢ ــ ١٩٥٥) عام ١٩٢٣ ، اذ يقول في قصيدته « عيد المناحة » :

لا عاش في ارض الكنانة بـان ... ان عد امتها الغريب الجاني

ولدى مواطنه الشاعر مختار الوكيل ، عام ١٩٣٤ ، في قصيدة « الدخيل المعتدي » . وبعد هذا التاريخ قض التقسيم مضاجع القوميين العرب فسمعناهم ينددون به في كل مناسبة ، ويهاجمون فرنسا التي اقرته ، كما نرى

عند محمد الفراتي الذي قال عام ١٩٢١ من قصيدة :

ارثـي لشعب قسمته لفايـة ايدي المطامع فاستحال شعوبا
يا شعب يعرب كم تقاسي مرغما دون الشعوب من الهوان ضروبا
... يا ويح جلق من فرنسا انها شنت عليهـا غـارة وحروبا
هتكت حرائرها نفـت احرارها لـم تبق شبانا هناك وشيبا .

طلائع القومية العربية

راينا اثر محمد علي باشا ومجاهرة ولده ابراهيم بعروبته ؛ وقد اطلق محمد علي على نفسه لقب : « سلطان العرب وخاقان البحرين » ، غير انه كان يسعى الى منفعة توسعية امبراطورية باءت بالفشل ، ولم يعاونه العرب باخلاص في سبيلها . وكان همه الاول ، وهو من اصل الباني ، كما كان هم ابنه ، السيطرة على العرب ، وحكمهم بشكل قريب من حكم العثمانيين . وكان اثر هذه الحركة ادنى الى تنبيه العرب وتفتحهم الوطني ، منه الى تسييرهم في الطريق القومي . اما حركة الوهابيين التي حارب من اجلها ووطد اركانها محمد بن سعود (... — ١٧٦٥) وابنه عبد العزيز (١٧٢٠ — ١٨٠٣) ، فقد كان شعارها اقامة المذهب الحنبلي ، وتوطيد الحكم السعودي في الجزيرة العربية . وظهرت قبل حركة الوهابيين وبعدها انتفاضات وثورات اتخذت حينا طابعا عربيا ، وحينا آخر طابعا دينيا ، ولم تكن من التاثير والشمول بما يجعلها تعتبر بدء طريق القومية العربيـة .

ولم نر للشعر القومي اثرا يذكر قبل القسم الثاني مـن القرن التاسع عشر . اما قبل هذا التاريخ فكانت تلمح بروق قومية خلف ركام من الشعر الحماسي الذي عرفه العرب في عهودهم القديمة . وربما كان خير شاهد على هذا المظهر شعر عبد القادر الجزائري الذي ظهر بالجزائر في مرحلة كان الشعر فيها انطوائيا سلبيا يدعو الى العزلة والفرار من الواقع والهروب الى الصوامع والمساجد . وقد حاول الفرنسيون حجب العربية والعروبة عن اعين الجزائريين . وفي القسم الثاني من القرن الماضي ، اخذ الشعر العربي يتعدى اغراضه التقليدية . ولعل ولاية مدحت باشا على سورية (١٨٧٨ — ١٨٨٠) ساعدت على تفتح الافكار القومية . وكان ابرز شعر عربي قومي مستقل ، وربما اقدمه ، لابراهيم اليازجي وابن اخته نجيب الحداد ابتداء من عام ١٨٦٨ . ولا شك في ان كتابات اديب اسحق السوري اثرت في الجو العام الذي خرجت منه قصائد اليازجي وغيره .

ويتجلى للناظر في الشعر القومي العربي ان معظم رواده من المسيحيين. ومرد ذلك الى وهن ارتباط المسيحيين بالاتراك ، وضعف وشيجتهم بالجامعة العثمانية . ولا يعني هذا ان المسيحيين استاثروا آنذاك بالقومية العربية ، فقد شاركهم ببث افكارها الجديدة جماعة من المسلمين وعلى راسهم عبد الرحمن الكواكبي الحلبي (١٨٢٥ — ١٩٠٢) . وقامت جمعيات تطالب بحقوق العرب ، وتبث الحمية في نفوسهم ، مسلمين ومسيحيين ، مثل جمعية « حفظ حقوق الملة العربية » التي نشأت عام ١٨٨١ ، وغيرها . ولكن يبقى للمسيحيين وقفتهم الفذة في هـذا المجال . وتجدر الاشارة الى ان دور ابراهيم اليازجي وغيره من شعراء هذه المرحلة لا يعدو كونه دورا اوليا يسجل لهم شرف الريادة القومية في الشعر ، ولم يتعد هذا الفضل ، فيحتل مرتبة الالتزام ، والعمل المثمر .

وفي اواخر القرن التاسع عشر ، ومطلع القـرن العشرين ، راحت النزعة القومية تزيد بروزا في كتابات العرب ، فصدر عام ١٩٠٥ باللغة الفرنسية كتاب نجيب عازوري « يقظة الامة العربية » . وبعد ابتهاج العرب وتهليلهم للدستور العثماني عـام ١٩٠٨ ، اصطدمـوا بالسياسة الطورانية المبيتة ، فمرتهم خيبة امل ، واحدثت في نفوسهم ردة فعل على جمعية « تركية الفتاة » العاملة للقومية التركية بتزمت يبيح سيطرة الجنس والعنصرية ، ويكفر بغيرهما من الروابط الانسانية بحيث ان الاتحاديين ما لبثوا ان حلوا « جمعية الاخاء العربي » التي باركوا انشاءها عام ١٩٠٨ في الآستانة ، فاضطر العرب للعمل بطرق سرية الى جانب الطرق العلنية ، فنشأت ، بين ١٩٠٩ و ١٩١٤ ، جمعيتان علنيتان هما « المنتدى الادبي » عـام ١٩٠٩ و « حزب اللامركزية الادارية العثماني » عام ١٩١٢ . وثلاث جمعيات سرية هي « القحطانية » في اواخر عام ١٩٠٩ ، و « العربية الفتاة » عام ١٩١١ ، و « العهد » عام ١٩١٣ — ١٩١٤ . وردة الفعل ظاهرة في اسم الجمعيتين الاوليين منهما اللتـين تواجهان القومية التركية بما يقابلها من الانكفاء العربي .

وعلى اثر هذه التحولات في السياسة والفكر العربي ، وبعد المؤتمر العربي العام الذي عقده العرب في باريس عام ١٩١٣ وحددوا فيه مطالبهم القومية ، ظهر شعراء قوميون كبار نكتفي بذكر بعض من المشهورين منهم . فمن لبنان : امين ناصر الدين (١٨٧٥ — ١٩٥٣) ، وفؤاد الخطيـب (١٨٨٠ — ١٩٥٧) ، والشاعـر القـروي (١٨٨٧ —) ، وابو الفضل الوليد (١٨٨٩ — ١٩٤١) ، والياس فرحات (١٨٩٣ — ١٩٧٧) . ومن سورية : فارس الخوري (١٨٧٣ — ١٩٦٢) ، ومحمد البزم (١٨٨٧ — ١٩٥٥) ، وجميل مردم بك (١٨٩٠ — ١٩٥٢) ، وشفيق جبري (١٨٩٨ —) ، وبدر الدين حامد (١٩٠١ — ١٩٦١)، وعمر ابو ريشة (١٩١٠ —) . ومن العراق : معروف الرصافي (١٨٧٥ — ١٩٤٥) ، ومحمد مهدي الجواهري (١٩٠٣ —) ، ومحمد رضا الشبيبي (١٨٨٩ — ١٩٦٥) . ومن مصر : احمد شوقي (١٨٦٨ — ١٩٣٢) ، وحافظ ابراهيم (١٨٧٢ — ١٩٣٢) ، واحمد محرم (١٨٧٧ —

١٩٤٥ ! . ولو حاولنا ان نذكر غيرهم من سائر البلاد العربية لبدا على كلامنا التعنت وشق النفس لان زعامة الشعر القومي انحصرت في شعراء من لبنان وسورية والعراق ومصر . اما سائر الاقطار العربية ، فكان يخيم على بعضها تاخر فكري وحضاري بفعل انعزالها وطريقة عيشها البدائي ، وعلى بعضها الآخر حكم اجنبي مطبق .

وربما كان الاستمرار العربي بتونس اثبت وجودا ببقاء جامعي الزيتونة والقيروان اللذين شابه اثرهما في تونس اثر الجامع الازهر في مصر . ومن الشعراء البارزين الذين يمثلون الحركة الفكرية والادبية في تونس خلال القرن التاسع عشر محمود قبادو . ولما كانت القومية العربية مع المساهمة الفعالة التي اداها لها المسيحيون العرب ، ذات طابع اسلامي ، فان المؤسسات الفكرية التي انشاها ادباء ومفكرون في سبيل الاسلام وتحرير امه وتوحيدها اسهمت في تعزيز التيار القومي العربي حتى لنستطيع ان نورد في هذا المجال بتونس ، مثلا ، ما كان لجمعية « العروة الوثقى » التي انشاها جمال الدين الافغاني في مدينة كلكوته بالهند عام ١٨٨٢ ، وجريدتها الصادرة في باريس عام ١٨٨٤ على يد الشيخ محمد عبده ، من تاثير قومي في الفكر التونسي ، آنذاك ، حتى قام الشيخ محمد السنوسي يقرظ الجمعية وجريدتها شعرا . وكان السودان حتى بداية الحرب العالمية الاولى منعزلا عن النهضة التي شملت مصر والعالم العربي في بداية القرن التاسع عشر ، ولم تعمه النهضة التي حدثت في عهد محمد علي باشا والخديوي اسماعيل لان الاخلاص والوعي والرغبة الصادقة اعوزت معاونيهما في حكم السودان ، الذين سير اعمالهم الجشع والفساد في المدرسة التركية القديمة .

وابتدات الانطلاقة السودانية العربية بعد عام ١٨٩٩ على اثر قيام الحكم الثنائي الانكليزي ــ المصري ، وفتح مدرسة « غردون » . ولم تكن فكرة العروبة بعيدة عن نفوس السودانيين . فالسودانيون ، كما يقول صاحب كتاب « الشعر الحديث في السودان » يعتدون بأصلهم العربي ، وتحتفظ قبائلهم بأنسابها العربية . اما في ليبيا ، فقد كانت الرقابة الايطالية تتصيد الاحرار ، ولم يجرؤ الشعراء على طبع شعرهم الوطني والقومي ، فلا تكاد تجد ديوانا مطبوعا . وقد اشار محمد الصادق عفيفي في كتابه « الشعر والشعراء في ليبيا » الى انه وجد ديوانين مطبوعين فقط لمصطفى بن ذكرى وسليمان الباروني ، وهما يحتويان على القليل من اشعارهما لانهما طبعاهما في مطلع حياتهما ، وقد توفي الاول عام ١٩١٨ ، والثاني عام ١٩٤١ . وقد روى المؤلف نفسه عن بعض الادباء الليبيين قوله : « ففي مدة الاحتلال الاسود التي تربو على الثلاثين سنة ، حرمنا من المشاركة في الفنون والعلوم العصرية ، فلا تاريخ لنا يدرس ، ولا لغة لنا تلقى ، ولا آداب لنا تنشر ، بل حجب عنا حتى مطالعة الجرائد والمجلات التي ترد الينا من الاقطار الشقيقة ، فبقينا منعزلين عن العالم العربي ، وعن الحياة الاجتماعية » . وكان الشعراء يوقعون بأسماء مستعارة ، ويتركون قصائدهم بلا توقيع احيانا ، تقية وخوفا من براثن المستعمر . وابرز الشعراء الليبيين الذي بلغ الشعر الوطني ذروته على لسانهم هو احمد رفيق المهدوي (١٨٩٨ ــ) ، غير ان الوطنية الليبية عنده اظهر من القومية العربية . وقبل ان نختم الكلام على الشعر القومي في افريقيا العربية ، لا بد لنا من الاشارة الى ما كان لبعض الشعراء التونسيين من نفحات عربية قومية ، نذكر منهم محمد الشاذلي خزنه‌دار (١٨٨١ ــ) ، وسالم الاكودي (١٨٨٢ ــ) ، وصالح النيفر (١٩٠٢ ــ) ، ونبقي مكانا خاصا لابي القاسم الشابي الذي كان له دور بارز في رفد التيار الوطني القومي منذ عام ١٩٢٥ حتى وفاته عام ١٩٣٤ ، ونشير الى ان الشعر الوطني في الجزائر ظهر مع الحركات الوطنية الاستقلالية خلال الثلاثينات من القرن الحالي . ولم يعدم المغرب العربي الشعر القومي خلال العشرينات ، اذ وجدناه عند شعراء من إمثال محمد القرى (١٨٩٩ ــ) ، ومحمد علال الفاسي (١٩٠٨ ــ) اللذين تحدثا الى قومهما وامتهما حديث من يعي وحدة الشعور العربي ، ويعتز بعروبته ، ويحافظ على لغته . فلمحمد القرى قصيدة يدعو فيها الى المحافظة على اللغة العربية ، وقد قال الفاسي في بعض شعره :

فما الفذ الا من تقلد رمحه وما الفذ الا من يقول فيعرب

وهو القائل في مطلع قصيدة نظمها بمناسبة دخول جريدة « الشهاب » الجزائرية عامها الثاني :

قم للجزائر انعش مجدها العربي انت الشهاب تضيء الفكر بالادب .

وليم الخازن

في مطلع كل شهر

اطلبوا

الاديب

من الباعة والمكتبات

نعمت عامر شاعرة الوجدان

بقلم علي محمود البسيوني

* * *

كانت تلميذتي بالمدرسة ، اتذكرها في درس اللغة العربية نشيطة خفيفة ، تصغي في انتباه وتتحفز للاجابة عند السؤال في شوق ، فاذا وقفت في دروس النصوص تقرا الشعر العربي ، سمعت صوتا جميلا ، والقاء عذبا يمثل المعاني اجمل تمثيل ووالله لقد تنبأت لها بمستقبل ادبي نضير .

ومرت الايام تعدو ، وما اسرع ان تمر الايام ، وعلى غير موعد وجدتها ترسل الي ديوانها الشعري (امواج) وعلى الغلاف صورة الشاعرة الشابة ! لقد كانت فتاة صغيرة تتلقى الدرس بين يدي ، وها هوذا غصنها ينمو مزهرا في روضة الشعر ليتفتح عن مراى وعطر !

وفي مقدمة الديوان قصيدة لصالح جودت ! شاعر الغناء والحب ورفيق ناجي والهمشري ورامي ، لقد لفت شعوره وعقله هذا النغم الجديد فأصغى اليه متسمعا ثم أصغى الى صوت وجدانه فوجده يقول :

لها نغم مثل همس الملائك او وشوشات الهنى العاطره
بها صور من دروب الجمال ملونة حية ناضره
وعاصفة تتحدى العواصف من مهجة بالهوى عامره
اناشيد تضفي عليها الا نوثة الوانها العذبة الفاخره

واذن ، فنعمت كما يراها صالح جودت شاعرة لها نغم كهمس الملائك ! ولشعرها صور جمالية حية ، وهي حين تثور في حماستها الوطنية تتحدى العواصف من مهجة عامرة بالهوى .

واي هوى لنعمت تلميذتي ، لقد بحثت عنه في الديوان فوجدته هوى الوطن وهوى الدين وهوى الام وهوى الزوج ! لن اذكر الزوج في حياة نعمت كيلا انكأ جراحها ، لقد غنت زوجها الحبيب اهازيج الحب والحان الوفاء فقالت فيه حيا :

شريك العمر يا امل الحياة اليك ومنك موهبتي وذاتي
فان جزت المدى في الشاعرات فانت السر في ماض وآت
وانت نجي الهامي وحسي
بناتي او بنات الشعر عندي لهن علي ميثاقي وعهدي
كما لك يا حياة الروي اهدي قصيدي وهو الشواقي ووجدي
يدل علي في يومي وامسي

ثم تقع الواقعة ، وترجف الراجفة ، فيغيب الزوج الحبيب عن الدنيا وتزلزل الارض بنعمت فتملأ عشها نواحا ، وتتردد الحانها الباكية على صفحات المجلات الادبية في مصر ، فتقرأ من الشعر ما يزلزل الكيان ، ويوقد الاحساس ، وما يجعل دمعك يهمي لخنساء لا تبكي الاخ بل تبكي الزوج :

وقد بكت نعمت كثيرا وكان مما قالت :

احيط بقلبي فما يخفق بغير الاسى والردى مطبق
نزلزلت الارض زلزالها والجم شعري فما ينطق
ففيم بقائي بغير حبيبي وزهرة عمري به تعبق
لقد كنت اخشى مرور النسيم وذرة تترب به تعلق
فكيف بما قد اهيل عليه وكيف بقبر اذا يغلق
لقد كان درعي في النائبات فلست ابالي بما يحدق
ولست ابالي رعود الخطوب فاصبحت من همسها افرق

ورأت نعمت ان تعتصم بالشعر في محنتها ، واستلهمت ايمانها حين ناجت ربها بقصائد عامرة ، ومدحت رسول الله بهتاف صادق حار ، وانسابت في صوفية حالمة تذكر برابعة العدوية حين تقول :

لكم ذبت شوقا بحب الاله بحب عميق بدا من ضياه
عرفت الطريق فما لي سواه وكلي ابتهال لالقى رضاه

اليس هذا النغم العذب مما يذكر بقول رابعة في مناجاة ربها العظيم :

احبك حبين حب الهوى وحب لانك اهل لذاكا

وهي قصيدة تحفظها نعمت وتسجل ابياتها بصوت ام كلثوم لتستريح الى سماعها ! وقد ملكت ام كلثوم قلب نعمت حقا ، فرسمت صورتها في ديوانها ونظمت في وصفها بارع ابياتها ! ولا احب ان اكثر الاستشهاد ، فالديوان ذائع ، والشعر عاطر فواح ! وعبير نعمت الانثوي لا يقتصر على ام كلثوم بل يشمل حواء في مراحل حياتها بنتا وأما وزوجة ثم يشمل حواء مجاهدة مكافحة في عصر نعمت وفيما قبل عصرها بأجيال حين ينقب في صحف التاريخ ليتحدث عن اسماء ذات النطاقين ! وحين تباهي نعمت بنفسها فتقرن شعرها بشعر الخنساء وقد سخطت في بعض القصائد على الشعر حين يكون لهوا ضائعا ولعبا ورضيت عنه حين يكون تمجيدا للبطولة ، وقد استمدت الشاعرة مخولة من موقفها الحماسي فقالت في مثل جزالة ابي تمام :

ياتي من الجن شيطان فيدفعني الى الكتابة في شيء من الغلب
يملي فاكتب ابياتا اذا قرئت حققت فيها حديث اللهو واللعب
واضلتاه لشعري لا يجنبني ما في الحياة من التلفيق والكذب
اني لاذكر اوطاني واسمعها انشودة المجد في وخد وفي خبب
فان اقل عن الخنساء منزلة فيما خلقت له من نهضة العرب

ولا استغرب هذه الجزالة من نعمت فقد قرات ادب مصطفى صادق الرافعي واعجبت به ، ولعل صلة الرافعي بعمها الاديب السياسي السفير حافظ بك عامر مؤلف رسالة الحج هي التي جذبتها الى الرافعي اذ تحدث الرافعي عن عمها في اكثر من مقال بوحي القلم ، ومالي اقف عند الرافعي ولا اذكر صلة نعمت الادبية بالاستاذ احمد حسن الزيات الذي اهداها مجموعة الرسالة ونشر لها بعض القصائد في مجلة الازهر ، وقد حفظت لاستاذها الكبير مكانته فمدحته بأبيات من معدن ابي تمام تقول في بعضها :

يا بلبل الايك هل يشجيك تغريدي اذا شدوت وهل يسبيك ترديدي
لا لا لعمرك اني لست شاعرة مجيدة انما اصبو لتجويد
شعري شعوري ولكن لا يطاوعني ام لا يسلم بالابداع للفيد
كم ذا تراوغ عند السبك قافية نفارها كنفار الظبي في البيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قفقيش

أوقفوني .. سألوني
عن بطاقة تعريفي .
فتشت كهوف المعطف ،
كان فوقي ، جبلا .
أخرجتها . كانت بلا صورة .
واسمي محاه المطر المتدفق .
أخذونـــي ..
صارت الامطار خلفي تتساقط .
جبهتي لم تتبلل .
كانت الشمس تصلي فوقها .
دقب الاجراس خلفي ،
وتعالت نغمة الآذان
ترسم ابريل على واجهة الابراج ،
تمتد خلفي .

وجدة ــ المغرب — محمد علي الرباوي

وكـم معان كاطيار الربيع نـات واسعدت بعد تصويب وتصعيد
تالله آثاره الغراء مـا برحت احـرى الكنوز بتمجيد وتخليد
من لي بنثر كنفح الطيب ترسله يـد البراعة في حـذق وتنفيد

ولا يظن احد ان نعمت تلميذتي وحدها هـي التي تراوغها القوافي عند النظم وتنفر منها نفار الظبي في البيداء فالفرزدق كان يقول يأتي علي وقت وخلع الضرس اهون عندي من نظم بيت ، والشاعر الفحل علي الجارم يقول في مثل هذا الموقف عن الشعر :

آنـا يراوغني فانظر ضارعا فيلين بعـد تنكـر وجحـود
ولقـد اغـرد بالقريض فينثني فانـال قادمتيـه بالتغريـد

وصديقي الراحل الكريم الاستاذ محمد الاسمر يقول عن الشعر ايضا :

انـي لاطلب اذ احاول صيده ما يرتجي في الغاب صائد ضيغم

واذا كان الفرزدق والجارم الفحلان هكذا . فكان الله لنعمت عامر .

على ان وقع الاحداث الشديدة على الشاعرة الرقيقة قد صرفها الى نوع من التفلسف فهي تفكر في الازل والابد والبقاء والفناء والوجود والعدم ولها في ذلك رنات شجية نقول في بعضها :

ان نخلـع ثوب البشرية ونغيب بـارض حجرية
لا نشعر او نشعر ، ويلي فهـي المأساة الابديـة
مهما عمرت بهـا امدا تتناثـر اشلائي بـددا
وجيوش الـدود بمادبتي تتوالى لا احصي عددا
اقراسة روحي في واد وكثافة جسدي في واد
اتجـزا عجبـا بمماتي بـا ليت بروحتي اخلادي

وهي زفرة تذكرنا بزفرات ابي العلاء والخيام وبها وميض من فلسفة ابن سينا وابن طفيل ، والموت هـو الموت ! والتفكير فيه شجى اليم .

ومن اجمل ما قرات لنعمت الشاعرة ترجماتها الرائعة عن فحول الشعراء في الغرب والشرق فقد نقلت عن طاغور وشيلي وهيجو ولي هنت ، وايفينجي ايفتشينكو ونقولا نيكراسوف وجويس كلمر مقطوعات حية تحتفظ بحرارتها وجمالها في لغة نعمة كما ضمنت ذلك في لغتها الاصيلة ، ولا اترك القارىء الكريم حتى انقل له ترجمة نعمت عامر لاحدى روائع شيللي عن فلسفة الحب :

قـد سرى الجدول الرقيق الـى النهر مشوقا في فرحة وابتهاج
وجرى النهر في انتشاء لبحر يتغنـى بلجـه الرجـراج
فعـدا البحـر وائبـا لمحيـط فـاذا كـل قطـرة في امتزاج
والنسيمات في انسجام رقيـق تتناجـى في الفـة وانجـذاب
ليس في العالم الفسيح انفصال بـل وصـال موطـد الاسباب
فلمـاذا لا تمزجـين بنفسـي ليس يجـدي تفـرق الاحبـاب
انظري الطود يالثم الافق حبا مثلمـا تلثـم الزهور الزهورا
وارقبي الموج يحضن الموج شوقا وسنا الشمس يملأ الارض نورا
لا تـرى وردة تخاصم اخـرى بـل عناق يتـح لثمـا كثيرا
قبـلات بكثـرة او بقلـة ضائعـات ، اذا ضنيـت بقبلـة

هكذا تشعر نعمت وهكذا تترجم واني لارقب منها المزيد متطلعا الى غدها الخصيب .

القاهرة — علي محمود البسيوني



محمد العدناني

عثرات الادباء

بقلم محمد العدناني

* * *

في اثناء العام او غضونه لا في بحره

ويقولون : سأسافر الى المدينة المنورة في بحر هذا العام .
والصواب : سأسافر اليها في اثناء هذا العام او غضونه (بضم الغين) .

ويقال : جاء في غضون كلامك كذا ، اي : في اثنائه وطياته .

ومفرد الغضون هو الغضن (بفتح ففتح) او الغضن (بفتح فسكون) ، وهو كل ثنى وتكسر في ثوب ، او درع ، او جلد ، او اذن (بضم فضم) او غيرها .

الراهب بحيراء او بحيرى

ويطلقون على الراهب الذي عرف النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وآمن به قبل بعثه ، اسم بحيرا (بضم ففتح) ؛ والصواب : بحيراء (بفتح فكسر) كما قال الذهبي ، وشراح المواهب ، ومستدرك التاج ، والمتن .

وجاء في مستدرك التاج : « وفي رواية بالالف المقصورة بحيرى (بفتح فكسر) » . وذكر القاموس ان من الاسماء : بحيرى (بفتح فكسر ، والف مقصورة في النهاية) .

وقال التاج في مستدركه ايضا : « قولنا بحيراء (بضم فتح ، غلط » .

البداءة ، البداية

يخطىء ابن بري والنووي من يقول : البداية (بكسر الباء) . ويريان انها لحن ، ويقول المطرزي والمصباح انها لغة عامية . ويرى هؤلاء مع اللسان ، والتاج ، والمد ان الصواب هو : البداءة (بكسر الباء) . ولكن :

يجيز استعمال البداية (بكسر الباء) كل من زهير بن ابي سلمى ، وعبدالله بن رواحة الانصاري ، وابن جني ، وابن القطاع ، واللسان ، والتاج ، ومحيط المحيط ، والمتن.

قال زهير بن ابي سلمى :

جريء متى يظلم يعاقب بظلمه سريعا ، والا يبد بالظلم يظلم

(بفتح لام (يظلم) الاول ، وكسر قاف (يعاقب) . يبد (بضم فسكون ففتح) ، وكسر لام (يظلم) الاخير) .

وقال ابن جني في « سر الصناعة » : « العرب ابدلوا الهمزة لغير علة ، طلبا للتخفيف ، كقولهم : قريت في قرات ، وبديت في بدأت ، وتوضيت في توضأت » . ثم استشهد ببيت زهير ، وقال ان الشاعر اراد بكلمة (يبد) : يبدا (بضم فسكون ففتح فسكون) ، فقلبت الهمزة الفا ، ثم حذفت للجازم . فمن قال (بداية) بناه على هذه . وظاهر كلام ابن جني اطراده ، فلا خطأ في قولنا : بداية او بداءة .

وقال عبدالله بن رواحة الانصاري :

باسم الاله وبه بدينا ولو عبدنا غيره شقينا

(بدينا : بفتح فكسر) .

وقال ابن القطاع ان البداية لغة انصارية : بدات بالشيء وبديت به : قدمته . ثم استشهد ببيت ابن رواحة .

وهنالك مصادر اخرى ، هي :

بدء (بفتح فسكون) : التهذيب ، والصحاح ، والمحكم ، والمصباح ، والتاج ، والمد .

وبدء (بضم فسكون) : الاصمعي ، والتاج ، والمد .

والبداة (بفتح فسكون) : الصحاح ، والمحكم ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد .

والبداة (بضم فسكون) : الصحاح ، والمحكم ، والقاموس ، والتاج ، والمد .

والبداة (بكسر فسكون) : اللسان والمد .

والبداءة (بفتح الباء) : المحكم ، والقاموس ، والتاج ، والمد .

والبداءة (بضم الباء) : الصحاح ، والمحكم ، والقاموس ، والتاج ، والمد .

والبداهة (بضم الباء) : المحكم ، والمغرب ، والتاج ، والمد .

والبدئية (بفتح فكسر) : المحكم ، والقاموس ، والمد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والبداءة (بضم فتضعيف) : التهذيب ، والتاج ، والمد .

وهذا يجعلنا نستعمل هذه المصادر كلها ، دون ان نخشى من ينكر ذلك علينا .

لا بد لفلسطين من ان تعود الى اصحابها العرب

ويخطئون من يقول : لا بد لفلسطين ان تعود الى اصحابها العرب ، ويقولون ان الصواب هو : لا بد لفلسطين من ان تعود الى اصحابها العرب ، لان المصدر جاء هنا مؤولا . اما اذا جاء المصدر صريحا ، فاننا مضطرون الى اعادة حرف الجر ، نحو : لا بد لفلسطين من العودة الى العرب اصحابها .

وقد ذكر المرزوقي في الحماسة ، وهو يشرح بيت تأبط شرا :

ومن يغر بالاعداء لا بد انه سيلقى بهم من مصرع الموت مصرعا

(يغر : بضم فسكون ففتح) . اننا نستطيع ان نقول :

(أ) لا بد من انه سيلقى ... (ب) ولا بد من كذا .

(ج) ولا بد ان يلقى بهم ... (د) ولا بد انه سيلقى ...

وعندما شرح بيت يحيى بن زياد :

مضى صاحبي، واستقبل الدهر صرفتي ولا بد ان القى حمامي فاصرعا

لم يذكر الا : (أ) لا بد من ان يكون كذا . (ب) ولا بد ان يكون كذا .

وممن ذكر جملة (لا بد من كذا) : الصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وزاد محيط المحيط جملة اخرى هي : لا بد ان يكون كذا .

جاء بدران ، رايت بدران او بدرين

ويخطئون من يقول : رايت بدرين (بدران اسم رجل) ، ومررت ببدرين ، ويقولون ان الصواب هو : رايت بدران ، ومررت ببدران . والنحاة يجيزون الوجهين ، اذ يصح ان تقول : رايت بدرين او بدران ، ومررت ببدرين او بدران :

(١) بحذف علامتي التثنية من آخر كلمة بدران (لانها ملحقة بالمثنى ، وليست مثنى حقيقيا) ، واعرابها بعد ذلك بالحروف كباقي انواع المثنى الحقيقي ، فنقول : جاء بدران (بكسر النون) ، ورأيت بدرين ، وسلمت على بدرين . وهذا قد يوهم انه مثنى ، ولا يأمن اللبس فيه الا خبير يعرف انه مفرد ، ويدرك ان العلم المثنى لا يتجرد من « ال » الا عند اضافته ، او ندائه ، وهذا غير مضاف ، بل انه قد يضاف فيزداد اللبس قوة .

(٢) بالزامها الالف والنون ، مثل عمران ، واعرابها اعراب ما لا ينصرف بحركات ظاهرة فوق النون ، فترفع بالضمة من غير تنوين ، وتنصب وتجر بالفتحة من غير تنوين ايضا . وهذا ايضا لا يخلو من اللبس احيانا .

ويرى صاحب النحو الوافي ابقاء العلم على حاله — من الالف والنون ، او الياء والنون — مع اعرابه كالاسم المفرد بحركات اعرابية مناسبة على آخره . وهذا الوجه وحده اولى بالاتباع ، اذ لا يؤدي الى اللبس ، لانه الموافق للواقع ، وليس في اصول اللغة ما يمنعه ، بل ان كثيرا من المعاملات الجارية في عصرنا توجب الاقتصار عليه ، فالمصارف — مثلا — لا تعترف الا بالعلم المحكي ، اي المطابق للمكتوب نصا في شهادة الميلاد ، وفي الشهادة الرسمية المحفوظة عندها ، والماثلة لما في شهادة الميلاد ، ولا تقضي لصاحبه امرا مصرفيا الا اذا تطابق توقيعه ، واسمه المسجل في تلك الشهادة تطابقا كاملا في الحروف وفي ضبطها . فمن اسمه حسنين او بدران ، يجب ان يظل على هذه الصورة كاملة في جميع الاستعمالات عندها ، مهما اختلفت العوامل التي تقتضي رفعه ، او نصبه ، او جره .

فلو قيل : حسنان ، او بدرين ، تبعا للعوامل الاعرابية ، لكان كل علم من هذه الاعلام دالا في عرف المصرف ، على شخص آخر ، مغاير للشخص الذي يدل عليه العلم الاول ، وان لكل منهما ذاتا وحقوقا ينفرد بها ، ولا ينالها الآخر ، ولن يوافق المصرف مطلقا على ان الاسمين لشخص واحد ، ولا على ان الخلاف يتجه للاعراب وحده دون الاختلاف في الذات . ومثل المصارف كثير من الجهات الحكومية ، كالبريد ، وانواع الرخص ، والسجلات الرسمية المختلفة .

وانا أؤيد صاحب النحو الوافي في رايه هذا ، لانه منطقي ، ويبعدنا عن اللبس والغموض .

لا يبدىء ولا يعيد

ويقولون : فلان لا يبدي (بضم فسكون) ولا يعيد ، اي : لا يقول شيئا اول الامر ، ولا يقول شيئا في المرة الثانية ، او : لا حيلة له ، او : هو سليم القلب ، او : هلك .

والصواب : فلان لا يبدىء ولا يعيد ، كما يقول الصحاح ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والوسيط .

ولم يذكر (ما يبدي وما يعيد) سوى متن اللغة ، الذي عثر هنا ، او سقطت همزة (يبدىء) من منضد الحروف ، وهو ما ارجحه ، لان المتن من المعجمات الدقيقة .

تبدى : اقام بالبادية . ظهر

ويخطئون من يستعمل الفعل تبدى (بفتحتين وتضعيف والف مقصورة) بمعنى : ظهر ، ويقولون ان معنى الفعل تبدى هو : اقام بالبادية ، اعتمادا على الصحاح ، والاساس

(الذي قال : تبدى الحضري) ، والمختار ، والقاموس . ولكن :

يقول ان معنى (تبدى) هو : (ا) اقام بالبادية (ب) ظهر : كل من (١) قيس بن الخطيم القائل : « تبدت لنا كالشمس تحت غمامة » (٢) واللسان الذي ذكر في مادة (جيش) ان ابن الاعرابي انشد : « قامت تبدى لك في جيشانها » (بفتح فسكون) . ويرى ابن سيده ان الشاعر اراد : « في جيشانها (بفتح الياء ايضا) ، اي قوتها وشبابها ، فسكن الياء للضرورة . (٣) والتاج الذي ذكر ما جاء في اللسان في مادة (جيش) . (٤) والمد ، (٥) ومحيط المحيط ، (٦) وذيل اقرب الموارد ، (٧) والمتن الذي استشهد ب :

وبدت لميس كانها قمر السماء اذا تبدى

(٨) والمعجم الوسيط . وجاء في متن اللغة : تبدى في منطقه : جار .

بذ فلانا وبزه

ويخطئون من يقول : بز (بفتح وتضعيف) فلانا ، اي : غلبه ، ويقولون ان الصواب هو : بذ فلانا ، ويعتمدون على الحديث : بذ القائلين ، اي : سبقهم وغلبهم . ومنه صفة مشيه صلى الله عليه وسلم : يمشي الهوينى ، يبذ القوم اذا سارع الى خير ، او مشى اليه ، اي : يسبقهم .

ويعتمدون ايضا على الصحاح ، الذي يقول : بذه : غلبه . اما بزه فيقول ان معناه هو : سلبه ، وفي المثل : من عز بز . وعلى معجم مقاييس اللغة ، وعلى الاساس الذي قال : بذ فلان اصحابه : غلبهم . ثم استشهد ببيت النابغة الجعدي :

يبذ الجياد بتقريبه ويباري الى حضر ملهب

حضر : (بضمتين) .

ولكن :

قال ان الفعلين بذه وبزه كليهما يعنيان (غلبه) كل من اللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، والمتن . والوسيط .

اما مختار الصحاح فلم يذكر (بذ) ، ولكنه قال ان معنى (بز) هو : سلب ، واستشهد بالمثل الذي استشهد به الصحاح .

وفعله : بذه يبذه (بضم الباء) بذا ، وبذيذة (بفتح فكسر) : غلبه .

اما الفعل بذ (بذذ : بفتح فكسر) يبذ (بفتح الباء) ، بذذا (بفتح ففتح) ، وبذاذا (بفتح الباء) ، وبذاذا (بكسرها) ، وبذاذة (بفتح الباء) ، وبذوذة (بضمها) فمعناه : ساءت حاله ورثت هيئته ، فهو باذ ، وهي بذ وبذة وباذة .

والفعل بزه يبزه (بضم الباء) بزا (بفتح الباء) وبزيزى (بكسر فتضعيف والف مقصورة) : غلبه وغصبه .

وبز الشيء : انتزعه . اخذه بجفاء وقهر .

وبز ثوبه : جذبه اليه .

الساتر لا البرافان

ويطلقون على شبه الجدار المتنقل ، المصنوع من الخشب والقصيح غالبا ، للفصل بين الناس ، اسم برافان ، تعريبا للكلمة الفرنسية .

وانا اقترح على مجامعنا الاربعة الموافقة على استعمال الكلمة العربية البسيطة (الساتر) ، بدلا من كلمة (البرافان) الفرنسية الدخيلة .

التبرير والتسويغ

ويخطئون من يقول : الغاية تبرر الواسطة ، ويقولون ان الصواب هو : الغاية تسوغ الواسطة ، لان المعجمات لا تذكر ان الفعل (برر — بفتح فتضعيف) يعني سوغ (بفتح فتضعيف) ، ما عدا الوسيط الذي قال : « برر عمله : زكاه ، وذكر من الاسباب ما يبيحه (محدثة) .

ولكن :

جاء في الجزء الحادي عشر من «البحوث والمحاضرات» للدورة الرابعة والثلاثين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٦٧ — ١٩٦٨ :

اجتمعت لجنة الاصول خلال سنة ١٩٦٧ ، ورات ما ياتي :

« في المعجم : بر (بفتح فتضعيف) حجه : قبل (بضم فكسر) ، وتضعيفه بره : جعله مقبولا ، ومن ثم ترى اللجنة اجازة ما شاع من استعمال التبرير في معنى التسويغ ، استنادا الى قرار المجمع في قياسية تضعيف الفعل للتكثير والمبالغة » .

محمد المدناني

اشتركوا في مجلة

الأديب

تساهموا في نشر الثقافة

الايام الهاربة

غادية الزعبي

الدسمة ــ الكويت

.. وان الايام الهاربة في المتاهات
لا يلوح لي منها وميض شقاء .
انها ايامي ،
اتبناها ، بكل غصصها وابتساماتها
انها سجل ذكرياتي ..
ذكريات كل خطوة في الدروب الماضية

من قال : اني اعلنت براءتي منها
حتى جئت تدعوني الى فضيلة النسيان ؟
أاللغي تاريخ عمري ؟
أتهرب الايام مني
ثم اكون هاربة ، في آثارها ؟

*

لقد بثثت في ضميري خلجات الشموس
وانميتني على عهد الهوى والجمال
نسجت لي من وعودك مآزر كبرياء
والبستني من التيجان
ما لبسته ، قبلي ،
أميرات الاساطير !

ايامي الهاربة
حملت كل الشموع والاشعة
اخذت بيديها عطور البخور ...
سلبتني احلام براءتي
وتجيئني ، بعد هذا
تدعوني الى فضيلة النسيان !
تدعوني الى الغاء تاريخ عمري ؟

*

كلا ، يا رفيق ايامي الهاربة
ربما استطعت اطفاء بريق الشموس
ربما خنقت عهد الكواكب بالضياء
ربما سلبتني تاج أميرات الاساطير
وربما مزقت المآزر
المنسوجة من كبرياء الوعود الآفلة !

ربما يا صديقي
يا رفيق الايام الهاربة
ايها الداعي الى فضيلة النسيان ..
ربما هربت مني كل احلام البراءة

لكن حبا روى سنواتي الظامئات
وأملا أضاء جنبات الهوى الحالك
ان يموتا
لن يضيعا ..
لن يهربا كما هربت أنت
كما هربت ايامك في المتاهات !



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور عبد السلام العجيلي

ازاهير تشرين المدماة

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

الملازم سامي مدرس ادب عربي ، وهو اديب وشاعر ، اصيب في احدى طلعاته الاستكشافية بقنبلة شوهت وجهه ، وكسرت ساقه ، واقعدته عن السير ، وها هو في المستشفى العسكري ينتظر عملية التجميل الثالثة ، والجبصين لا يزال على ساقه ، والحرب لا تزال دائرة ، وفي غرفته نسمع الى طرف من اخبار المعارك ، يرويها اخوانه ، وزواره في المستشفى .

هذا هو الاطار الذي ضمنه يحرك (عبد السلام العجيلي) شخوص روايته الجديدة : ــ ازاهير تشرين المدماة ــ ، وهي رواية قصيرة من النوع المعروف بالقصة القصيرة المطولة ، قال في مقدمتها :

ــ روايتي هذه قصة اطارها متخيل ، واحداثها واقعة . وقد انتقيت لاغلب ابطالها الواقعيين اسماء مستعارة ، واذا كان فيها من اسماء حقيقية فهي لمن استشهدوا وقضوا في سبيل وطنهم والمثل العليا .

ثم يقول : وهي عمل ادبي مقتضب لم يتسع الا للمع ضئيلة من احداث حرب تشرين الاول ١٩٧٣ وبطولاتها في مختلف ساحات القتال . وانا اعترف بعجزي عن ايفاء هذه اللمع حقها من الوصف فيما كتبت . فالكتابة مهما بلغت من الاعجاز لا تستطيع الاحاطة بالواقع كل الاحاطة . فكيف اذا كان الواقع خوضا للمخاطر ، وتضحية بالنفس ، والسير الى الموت اختيارا ودون تهيب لصد المعتدي وصيانة تربة الوطن المقدسة ؟ .

وبالفعل ان حس الواقع في الرواية شيء بارز : ويتخذ عدة مظاهر ريبورتاجية ، وتسجيلية ، ومواقفية . ويدل على صدق (عبد السلام العجيلي) في النقل عن الحياة ، وتوثيق وقائعها ، وتفنيد ماجريات الامور فيها .

ان الرواية تجري كلها على لسان المتكلم ، والذي هو الملازم سامي الذي يروي لنا خبر حواراته مع اخوانه ، وزواره ، وقصصهم في معارك حرب تشرين .. وقد ظلت حتى نهايتها في حدود تجربة هذا الملازم الباسل الشجاع ، وعلى الخصوص حدود مناسبة دخوله المستشفى وخروجه منه ، ولذلك ظلت فنيتها هي فنية القصة القصيرة المطولة ، التي تقوم برصد اللقطات ، او تثبيت المواقف بالقدر الذي يسمح به تكامل السرد والوصف والتحليل فيها ، والتفنيد .

في حين انه بالعادة يقوم البناء الروائي على حدث كبير تسببه صراعات اجتماعية ، ونفسية بين شخوص الحياة ، وتسرد الرواية اخبارهم ، او تصف ظروفهم ، وتحلل شخصياتهم ، وبالعادة يكون هناك بطلان من ذكر وانثى ، او من جنس واحد يمثلان هذه الصراعات ، وتتعلق بهما حركة العمل الروائي ، والاحداث الثانوية الاخرى التي تجري للشخوص الآخرين ، مما يتيح تسليط الاضواء على التجارب ، والمواقف المتنوعة فيها .

ولكن هنا لا شيء من ذلك ، فلا صراعات ، ولا احداث ثانوية ، ولا مناظر جانبية ، وانما فنية قصة قصيرة مطولة ، تقوم على تسجيل اللقطات ، والتعليقات التي يمكن ان يستوعبها حديث الملازم سامي عن دخوله المستشفى وخروجه منه .. ولذلك بدت الرواية انها مجموعة لوحات تسجيلية عن حرب تشرين ، او انها افتقدت عنصر التحليل ، كما ذهب الى ذلك عدد من النقاد ، منهم عبد الكريم الناعم ، ورجاء طائع وغيرهما ، ولكن الاصح ان نقول انها تحقق فنية القصة القصيرة المطولة ، فتسرد ، وتحلل بشكل مواقفي تسمح به الاقتضاب في تسجيل الواقع .

الاثر الهام هو الذي يجمع هذه الحكايات المتفرقة عن معارك حرب تشرين ، بحيث انها مشاهد واقعية عن الحرب نتبينها من خلال الحوادث والتعليقات ، وخطوات التسجيل فيها هي على النحو التالي : الملازم سامي يتذكر استشهاد صديقه الملازم محمود ، وهو فلسطيني ، في اليوم الاول من الحرب في طلعة استكشافية عند حدود بحيرة طبريا ، صداقة مع رئيسة الممرضات ياسمين ، وهي ايضا فلسطينية ، وحديث معها عن خروجها من الطيرة عام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٩٤٨ . تحت وابل نار اليهود . غلجات مع اهلها الى طولكرم . ثم اضطرارها من جديد معهم اثر حرب ١٩٦٧ الى مغادرة طولكرم واللجوء الى الشام .

ثم ينتقل فيحدثنا عن ساقه كسرها وجبرها ، ثم عن خطيبته سلوى ، وكيف اعطته ايشاريها عندما اعلمها بقطع اجازته ، والتحاقه بسريته ، وكيف طلبت اليه ان يبله بماء بحيرة طبريا ، ثم قيامه بالعمليات الاولى ، وننتقل اثرها الى خبر الرائد بشارة من البحرية ، واصابته بالشلل بفعل التبرد ، ثم قصة المجند عبدالله الذي رقي الى ملازم بفعل صده هجوم الدبابات نصف ساعة بسلاح فردي من قذائفه.

وينتقل الحديث الى الغارة على دمشق ، ومستويات التسلح والقتال ، ثم نعود الى المعارك الجوية ، وحديث الفانتوم ، والميراج ، والميج ، مع عودة الى الرائد بشارة وشلله ، وايضا خطوبته ، وياسمين والملازم محمود ، ثم نسمع من الرائد بشارة قصة غرق زورقه ومكوثه في عرض البحر سبع ساعات سباحة حتى انقذ .

ثم نعود الى حديث ياسمين والملازم محمود ، وايضا الملازم سامي وخطيبته ، ثم ننتقل الى الحديث عن معنويات الحرب ، وايضا دروس الحرب ، ونسمع قصة عن المدرعات وقتال الدبابات ، ثم نعرف ان ياسمين كانت زوجة للملازم محمود ، الا انها آثرت الطلاق منه بفعل اختلافهما في امر العمل في مؤسسات الجيش ، وهناك تظهر غيرة المساعد نعمان على ياسمين ، واهتمامه بها ، ومساعدته لها في اعمالها ، ثم نجد الملازم سامي يبلغ ياسمين بحب نعمان لها ، ويوصيها خيرا به ، وتزور سلمى المستشفى ، ويخرج الملازم سامي منه معافى .

وقد وفر (عبد السلام العجيلي) لهذه الرواية القصيرة ، وتسجيلاتها خطين متكاملين ، الخط الاول رومنطقي شاعري ، عن الحب والخطوبة والزواج ، كما في علاقات سامي وسلوى ، وبشاره ونادية ، دعمه بحس للجمال ، وانس للطبيعة ، كما في اوصاف الخريف ، وخاصة قصص ازاهير تشرين التي يقطفها نعمان في طلعاته الاستكشافية ، ومنها الزهرة التي قطفها عندما ذهب لتفقد حال الملازم محمود ورفاقه ، فوجدهم صرعى . نثرت دماؤهم على الارض ، فجففها وكانت مدماة وظل حديثها يتردد حتى خروج سامي من المستشفى .. والخط الآخر مرح ، وفي بعض الاحيان ساخر ، ويتمثل خاصة في احاديث نعمان ، وتعليقاته ، وكانت بمثابة تنفيس لاجواء المستشفى ، والحرب على السواء .

كيف رسم (عبد السلام العجيلي) شخصيات هؤلاء الابطال ؟ . وما هي حيثياتهم ؟ . لا بد ان نلاحظ هنا صلة الشكل بالموضوع ، وبالتالي صلة هذا الرسم بمضامينه ؛ وذلك ان موضوع الرواية ، ولقطاتها موضوع عسكري عن الحرب ومعاركها ؛ ومضامين سردها واوصافها هي نجربة هذه الحرب ، والتي نتبينها عبر احوال هؤلاء الاشخاص منها ، ومواقفهم فيها .

ولذلك نجد ان الابطال فيها مشدودون الى مواقفهم الراهنة ، الى الحرب نفسها واخبارها ، الى همومهم الشخصية ، ومنها الاضرار الجثمانية سبب وجودهم في المستشفى .

— ما شاء الله ، اكتمل النصاب ، وعادت الندوة الى سابق ايامها ، كاننا في اول ايام الحرب .

— لا ، بل نحن في ايام السلم الجميلة ، على رغم وقائع حرب الاستنزاف التي تدور على مقربة منا .

ضحكنا كلنا وقال المقدم : نحن مدينون لك بصمتنا يا سيادة العقيد .. عن قريب يلتحق كل منا بقطعته ، وهذا فضلك .

— نعم ستعودون الى قطعاتكم . ينتظركم هناك عمل . العدو يابى لكم ان تتمتعوا بصحتكم ويصباكم كما يتمتع بها الشباب في كل انحاء العالم .

وعلى هذا النحو تستطيع ان تتبين ارتباط بقية الاشخاص بمواقفهم في اللقطات ، والقصص التي تورد اوصاف معاركهم ، حيث الدقة ، والتشويق في رصد هذه المعارك في ساحات القتال المختلفة برا ، وجوا ، وبحرا ، وحيث التفنيد والشاعرية يمدان هذه الاوصاف بنسغ انساني واقعي مشبوب ، ومعبر :

— الذي يعزيني اننا لسنا الذين نريد الحرب ، هي مفروضة علينا من معتد يغتصب حقنا ، ويريد فوق ذلك ان يذلنا . ملازم سامي ، قرات لي مرة شعرا معبرا عن التضارب بين رغبة الانسان في السلم ، واضطراره الى مواجهة الحرب بسبب ما يتعرض له من ظلم ..

— لا ادري اية قصيدة تعني ، ولكن المتنبي يقول :

ومراد النفوس اهون من ان نتعادى فيه وان نتفانى
غير ان الفتى يلاقي المنايا كالحات ، ولا يلاقي الهوانا

قال : صدق ، وما رايك انت يا مساعد نعمان ؟

فحك نعمان راسه ، وتردد قليلا قبل ان يقول : اذا كان الهوان هو الهاون سيدي ، فنحن لاقيناه ، ولم يخفنا . قنبلة هاون ، ومن النوع الحارق ، المتفجر ، الفظيع اصابت سيارتنا ، انا وسيادة الملازم ، ولكنها لم تقض علينا .

ضحكنا كلنا لتفسير المساعد لكلمة الهوان ، الا ان ذلك لم يربكه ، ولا منعه من متابعة الكلام بقوله :

— صحيح انها فجرت سيارتنا ، وحرقتها ، وجرحتنا ، ولكنها لم تقض علينا . نحن عائدون الى قطعاتنا ، وسائرون في الطريق حتى النصر .

اننا هنا امام اشخاص من الحياة ، والواقع ، مندمجين في مواقفهم ، متعاطفين فيما بينهم بحكم ظروف القتال والحرب ؛ وبحكم شعورهم بواجبهم ومسؤولياتهم تجاه الاحداث .. ورسم الشخصيات هنا هو مجرد تثبيت مواقفي

نهاية الرحلة

حينما رحلت في عيونك ــ البحيرة
راكبا بساط الموجة المنطفئة
ماسكا زمام الماء والاعشاب .. والطحالب الملونة
كانت عناكب الخريف في انتظاري
تراقب انكسار الضوء في مدامع النهار
ومركبي في الوحل يا صديق
اخاف من عوائق الطريق
اخاف من غدي المجهول
الخوف في خطاي ... والموت فيك يا سهول

القاهرة — حسين علي محمد

لمجريات هذه الحياة واصدائها ، بنفس المدلول العلمي(١) الذي لعلم نفس الموقف ، حين يعتبر السلوك جزءا من المجال النفسي يظل مرتبطا بالواقع الحاضر ، لانه نتيجة تركيبه في زمن معين .

فمثلا (الملازم سامي) الذي تشده اصابته الى واقعه الحاضر في المستشفى هو ايضا مهموم بالحرب ، ومهموم بخطوبته ، ومهموم ايضا بصداقاته .. انه لا ينفك يذكر منديل خطيبته ، وكيف طلبت منه ان يغمسه في مياه بحيرة طبريا ، ولكنه لم يستطع ان يلبي لها طلبها ، مما ظل يحز في نفسه ، حتى صار محل تعليقات اخوانه .. يضاف الى ذلك شعوره بثقل هزيمة حزيران على نفسه ، ووطنه ، وهذا شيء واضح في حواراته ، او شعوره بمعنويات الحرب ، وكيف تقوم على القوة والتدريب والشجاعة والانسان نفسه :

ــ اعود الى ما قاله الملازم سامي عن القوة . احترقت قلوبنا مرات ، ونحن نحارب من نقص القوة التي يعنيها الملازم ، قوة السلاح . ولكن ما شاهدناه من قوة النفس سمح في مرات كثيرة منها على حريق القلوب واهم . لا اتكلم عن سلاح المدرعات ، بل عن ما رأيته فوق راسي من فعال طيارينا : حلقت فوق سريتنا اربع طائرات عدوة . اثنتان منها فانتوم ، واثنتان ميراج . كنا هدفا سهلا لها ، وكانت خطرا محققا علينا . طلبنا الحماية الجوية ، فجاءتنا اربع طائرات ميغ ١٧ . الميغ ١٧ امام الفانتوم وامام الميراج عصفور امام باشق ، ولكن لو رأيتم سيدي كيف كانت هذه العصافير تناور على صفحة السماء الزرقاء ، تعلو وتهبط وتلف وتنحرف .. كانت الميغ ١٧ سيوفا قصيرة ، فلما خطا بها فرسانها خطوة الى الامام طالت .

ــ القوة سلاح وشجاعة . اذا خاننا السلاح ظلت لنا الشجاعة .

ــ الحق معك ، القوة ليست في السلاح وحده ، بل هي في شجاعة الرجال وتصميمهم ، وعنادهم مع السلاح ، او ربما هي قبل السلاح ، ان الشجعان موجودون في كل الاسلحة .

وهناك (ياسمين) رئيسة الممرضات ، والتي تتبين من سرد الرواية انها كانت زوجة الملازم محمود رفيق الملازم سامي في طلعته الاستكشافية الاولى ، وقد استشهد في تلك الطلعة عند بحيرة طبريا .

انها شخصية عصامية ، ونظامية ، تحب عملها ، انيسة وودودة .. وقد توفق (عبد السلام العجيلي) في رسم شخصيتها ، واندماجها في عملها ، وعلى الخصوص في الكشف عن تاريخيتها ، وتجاربها ، ان المساعد نعمان يميل اليها ، وربما طلب يدها للزواج ، وقد اوصاها الملازم سامي خيرا به ! . فهل يا ترى تقبل بنعمان زوجا ؟ ! .

اظن انها سترفضه ، وترفض طلبه ، وتؤثر عليه حريتها وعملها ، وعلى الخصوص ان المساعد نعمان مرح يحب المزاح والمشاكسة ، وان وضعه ، ورتبته في الجيش غير مشجعين على الزواج ، وانه يذكرها بزوجها الملازم محمود الذي كان يمانع في ممارستها عملها ! . وارجو في الختام ان اكون جلوت المسائل الهامة العلمية والفنية المتعلقة بهذا الاثر الروائي القيم ، والى اللقاء .

دمشق — عدنان بن ذريل

(١) سبق في كتبي ودراساتي عن الادب القصصي والروائي في سورية ، او عن ادب عبد السلام العجيلي نفسه ان استعملت هذا المدلول العلمي ، والذي نتبينه هنا كاوضح ما يكون ، وارجو ان يتاح لي قريبا الكتابة للاديب القراء عن علم نفس الموقف ، والشخصية .



نقولا يوسف

مع نقولا يوسف في رسائله

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

عرفت اديبنا الراحل « نقولا يوسف » في آثاره المنشورة وكتبه ، وكنت على صلة روحية معه خلال ما يزيد على ثلث قرن ، وعرفته اكثر من خلال ما تبادلناه من رسائل رغم ان فترة تراسلنا كانت قصيرة ، بدأت عام ١٩٧٥ عندما بلغ اديبنا الراحل السبعين من عمره ، وقد وجهت اليه وتتذاك تهنئة بهذه المناسبة في صحيفة « اخبار دمياط » التي ظل الفقيد يكتب فيها منذ نشأتها في عام ١٩٤٩ حتى رحل عن عالمنا ، والتي زاملته في الكتابة فيها منذ عام ١٩٥٣ ، الامر الذي جعلنا نلتقي اسبوعيا تقريبا فيما نكتب ورسخ بيننا على البعد .

وفي ٢٠ يناير ١٩٧٥ وجه اديبنا كلمة الشكر التالية الى مهنئيه بعيده السبعيني في صحيفة (اخبار دمياط) : « ازجي شكري العميق الى الاخوة الاجلاء الذين اختصوني بتهانيهم وامانيهم لمناسبة عيد مولدي السبعيني — واخص بالذكر الزميل الكاتب الكبير الاستاذ ايليا حليم حنا صاحب التعليقات والاحاديث الشائقة على كلمته الرقيقة المنشورة في العدد الاخير من صحيفتنا (اخبار دمياط) راجيا له العافية والحياة الموفورة » .

كان شعورا طيبا منه جعلني احس برغبة قوية في الكتابة له ولكن حال دون ذلك عدم معرفتي عنوانه ... وكانه كان بظهر الغيب يدرك رغبتي فبادرني بما كنت اريد ان ابادره به ، وتسلمت رسالته الاولى التالية مؤرخة في ١٩٧٥/٢/١٢ :

اخي الكاتب الجليل الاستاذ ايليا حليم حنا

تحية المودة والتقدير ... سعدت بتمنياتكم الاخوية في ذكرى مولدي السبعينية — المنشورة بجريدة (اخبار دمياط) ... وقد شاء صديقي الاستاذ سمير وهبي ان يحتفي بهذه الذكرى « المجيدة » ... بمجلة (الاديب البيروتية) — كما يفعل كتابنا اليوم في سبعينيات مشاهيرنا ! فكان له ما اراد وكان له الشكر الجزيل ... ولكم يا اخي خالص الشكر على هذه المشاركة الكريمة — وارجو لكم حياة مديدة سعيدة ...

ولقد كنت منذ عهد بعيد من قراء ابحاثكم وتعليقاتكم في (اخبار دمياط) و (الاديب) وغيرهما — ومع ذلك فلم تشأ المقادير ان ابادئكم بالمراسلة لجهلي عنوانكم — وكنا نحن رجال التعليم كالبدو الرحل تتغير عناويننا بين يوم وآخر — ! حتى الهمت اليوم بسؤال (الاستاذ زكريا الحزاوي(١)) عنه فتفضل مشكورا بارساله الي بالبريد — هذا الى ما نعلمه جميعا من عبث البريد بالرسائل والمطبوعات مما يدعونا الى الشك في وصولها ! ... يا ليت هذه الرسالة تشذ عن القاعدة فتصل اليكم سالمة ولو بعد حين !

ويا ليت العمر يمهل شيخا مثلي فاقرأ ابحاثكم ومقالاتكم مجتمعة في مجلدات ... واستطيع انا ايضا ان اجمع شيئا مما انشر في مجلد اسعد باهدائه اليكم قبل ان يتغير العنوان ! ...

لكم يا اخي الاديب الكبير ازكى تحياتي وشكري ودعواتي ... دمتم للمخلص نقولا يوسف .

امسكت بالقلم بمجرد ان فرغت من تلاوة الرسالة لأعبر له عن فرحي العظيم برسالته الرقيقة ، واشكر له تلك المبادرة الطيبة متمنيا ان تدوم المراسلة بيننا ولا تنقطع ... ورجعت باديبنا الراحل الى شبابه وانتاجه المبكر ، وما قرأته له في تلك الآونة ، وانا لا ازال طالبا في المرحلة الثانوية ... حقا لقد قرأت باهتمام كل ما كان يكتبه وتابعت نشاطه الادبي المتعدد النواحي الذي يلمس فيه قراؤه ، وانا واحد منهم . اصالة الفكر وسلامة الاسلوب ، والقيم والمفاهيم الانسانية العالية ... وسرت معه في فكره وكل ما تمكنت ان احصل عليه من انتاجه ولكن هذه الصداقة الفكرية الروحية المباشرة شيء آخر... انني وان كنت قد التقيت به فكريا منذ زمن بعيد ، الا ان هذا اللقاء اروع واكثر حيوية ... انه تبادل ثقافي ، وغناء روحي ، وزاد فكري ، وحوار تلقائي ؛ وتقارب حي يمكنني ان اعرف عن اديبنا واكثر مما عرفت عنه من كتبه وما كتب عنه .

---

(١) صاحب ورئيس تحرير (اخبار دمياط) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المحت الى هذا في رسالتي اليه وشكرت له احساسه الكريم راجيا ان تستمر المكاتبة بيننا كلما سمح له الوقت متمنيا له موفور الصحة ، وطول العمر ، والانتاج الوفير .

ولم يطل انتظاري لرده ، وتسلمت الرسالة التالية مؤرخة في ٧٥/٢/٢٥ :

اخي الكاتب الجليل ...

تحية المودة والتقدير ... تلقيت رسالتكم المؤرخة في ٧٥/٢/١٧ ، وهممت بافادتكم عن وصولها سالمة — لم تفقد او تتأخر في الطريق على ما عودنا البريد احيانا — وسبب لنا من الحرج مع الاصدقاء الوانا ! .

ولكن — لم يكن هناك مفر من تلبية دعوة (قصر الثقافة) بالاسكندرية لادارة ندوة ادبية (امس ٢/٢٤) — تدور حول « يحيى حقي وقصصه — وقنديله » — مجاراة لادباء القاهرة المحتفلين بذكرى مولده السبعينية — وهو الصديق القديم الظريف الخليق بالوفاء والتكريم — فشغلني اعدادها بضعة ايام وليال ...

وبعد ... فالحق لقد كانت هذه المراسلة بين اديبين متعارفين متفاهمين — على البعد — بعد تلك السنوات الطوال — شيئا جميلا ... وهي وان جاءت متأخرة فلعل « كل تأخير فيه خير » !

ولقد اثارت رسالتكم في نفسي كثيرا من الذكريات التي يحلو لشيخ مثلي استعادتها — وهانذا اجيب على ما ورد منها في هذا المكتوب الاخوي الكريم : — فاما كتاب « الفردوس » المطبوع لصبي في الثامنة عشرة — عام ١٩٢٢ — فهو كما لاحظتم ولا شك — وليد عهد الشعر والاحلام ... وكنت يومذاك اكتب الشعر المنثور . — ونشرت منه ما اجتمع فيما بعد في كتاب سميته « نسمات وزوابع » — المنشور عام ١٩٢٧ — فلما هجرتني الرؤى والاحلام ، وزجت بي حقائق الدنيا وسط متاهاتها ، هجرت راغم الانف عرائس الشعر الى دمى البشر ! وجاء ذلك الحلم الاول في ثوب قصة شعرية تحلم بالطوبى « يوتوبيا » — على جزيرة بعيدة عن دنيا الناس ومشاكلهم ! تديرها عرائس الشعر والاحلام ! وخرج الكتاب لا قصة ولا شعرا ! ... وكان المسؤول عن ظهوره ناشر امي لم يقرأه وباعه بمكتبة في الفجالة كما يباع الفجل — وسرعان ما نفد واحتجب ! ...

واما « الهام » الرواية التي تلت هذين العملين الشعريين — فقد ولدت بين عهدي الحقائق والاحلام — كتبت في العشرينيات ولم تطبع حتى ١٩٣٧ عندما سهل الصديق الكبير سلامه موسى امر طبعها في مطبعته — وبطلها كما ترائم الشاب « فريد » ويليه رفيق صباه الفتى « سمير » — والشابان يمثلان المؤلف نفسه !! — في ازدواج الشخصية — الروحية والمادية — يوم كانت تتصارع في قلب المؤلف — ابن العشرين وما حولها — تيارات المثالية والدنيوية ... الفكرية والعاطفية ... الشاعرية والمادية — فخرجت من هذا الصراع تلك الصور .. والحوار .. والتلاحم والصدام ... وان كانت تبدو للقارىء صورا وشخصيات روائية منفصلة من صنع الخيال .. وكما تعلمون — غير مطلوب من (القصاص) ان يكشف للقارىء كل ما يرمز اليه من صور وكلام — وعلى كل حال — فان هذه الرواية الرومانسية من آثار الشاعرية التي عاشها المؤلف طيلة الشباب — مؤلفها شاب واشخاصها من الشباب ... وقراؤها من الشباب — يرحمها الله ويرحمهم جميعا !! ...

اما المقالة التي قرأتموها في « المجلة الجديدة » — يوليه ١٩٣٨ — عن مشروع الفنان النرويجي هنريك كريستيان اندرسون — ومدينته العالمية — (الطوبوية) — فكانت ايضا أعجابا بحلم فنان عرفته وراسلته — وضاع مشروعه في تيار الفاشية الموسولونية — كما ضاعت ثروته ثم حياته — وحاولت تكملة ختام قصته في مجلة « العالم العربي » الشهرية التي كان يصدرها الصديق « اسعد حسني » بالقاهرة — وذلك في مقالة بتاريخ ١٩٥٨/٢/١ ثم اشرت اليها بمجلة « الادب » لأمين الخولي عام ١٩٦٢ — قصة واقعية ختامها الحرب العالمية — كسائر الاحلام (اليوتوبية) ونسي الرجل .. ومشروعه ! ...

اما عن ذكرياتي الخاصة فاتمنى تدوينها كما فعل مئات الكتاب من الشيوخ والشباب وما زالوا يدونون — انما هو فتور الهمة والتأجيل ... والتسويف ... نفسي ان اكون عند حسن ظنكم فانشر منها ما تيسر بصحيفتنا (اخبار دمياط) ... مهد الذكريات ...

واحس انا ايضا انني اطلت فاعفيك ولو مؤقتا من هذه الثرثرة !

والى اللقاء في اسعد الاوقات — ولك يا اخي الاديب العزيز صادق التمنيات والدعوات — دمتم للمخلص نقولا يوسف .

ورجعت الى مجلة (العالم العربي) اقرأ تفاصيل مشروع الفنان النرويجي (هنريك كريستيان اندرسون) بقلم اديبنا الراحل وكان بعنوان (في عالم السلام — الفنان المليونير داعية الاخاء الانساني) جاء فيه : كان هذا عام ١٩٣٨ حين عرفت هذا الفنان النرويجي العجيب ... وكان يومذاك شيخا في السبعين اضناه الجهاد والبذل ، وخفت صوته وسط ضجيج المتأهبين للحرب العالمية الثانية .

درس (اندرسون) فن النحت وفن المعمار ورأى ان خير وسيلة لمنع الحروب وضمان التعاون بين الامم هو في تشييد مدينة دولية ذات موقع مختار تتكفل ببنائها جميع الدول مشتركة لتكون عاصمة العالم ، وكعبة زعمائه وعلمائه وفنانيه وادبائه ، ليعملوا يدا واحدة من اجل منفعة الجنس البشري وتطوره وتصبح هذه المدينة العالمية بمثابة راس العالم المفكر الذي به يعمل العقل العالمي وينتج خير الثمار ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجمع (اندرسون) الرسوم والخرائط وصور التماثيل والنماذج والابنية ، التي سوف تحتوي عليها عاصمته العالمية وعلق عليها بقلمه وطبعها في كتاب انيق كلفته النسخة الواحدة ثلاثين جنيها وارسله الى كل ملوك الدول وحكامها وبرلماناتها وجامعاتها في انحاء العالم ! فلقيت فكرته كل ترحيب ... وظل اكثر من ربع قرن يطبع الكراسات والنشرات للدعاية الى تحقيق عاصمة للعالم وما يتضمنه المشروع من مبادىء الوحدة العالمية والسلام ...

وقد كان لاديبنا الراحل حظ الاتصال بهذا الفنان الانساني العظيم فارسل اليه عددا من النشرات المصورة والكراسات .. كما بعث اليه بخطاب جاء فيه :

... يسرني ان ادرج اسمك كعضو في (جمعية الضمير العالمي) ولي كل الامل ان تعمل ما استطعت من اجل تعريف بني وطنك بالفكرة وبالمثل الاعلى لمدينة الاتصال العالمية ، وارسل اليك كطلبك بعض نسخ من مقالات كتبت من المدينة العالمية وتفاصيلها العملية والمزايا التي تعود على البشرية منها ، واكون سعيدا اذا ترجمت او نشرت اي جزء منها ، ومع احسن تمنياتي لعملك الباهر ، ومع تحياتي ارجو ان اظل المخلص ، هنريك اندرسون .

ويمضي اديبنا الراحل في وصف هذه المدينة العالمية وتفاصيلها ثم يختم مقاله بقوله : ثم تبددت خيالات اندرسون الشعرية ... واستيقظ الشيخ على صوت نفير الحرب العالمية الثانية وكان يتمنى الا تحدث ...

وفي ١٩٧٥/٣/٢٠ تصلني اقصر رسالة كتبها الي ، يتحدث فيها عن تجربته مع (البريد) ، ويعبر في اشارة عابرة عما يحس به من ضيق .

عزيزي الاديب الجليل ...

تحية واجلالا . راجيا لكم وافر الصحة والحياة السعيدة .. كنت متغيبا بالمعادي ضواحي القاهرة منذ عشرة ايام في زيارة كريمتي هناك — ولدى عودتي امس الى منزلي بالاسكندرية وجدت خطابكم المؤرخ في ٣/١٠ — وعلمت فيه ان رسالتي المرسلة اليكم حوالي ٢٠ فبراير الماضي ردا على رسالتكم الاولى المؤرخة في ٢/١٧ — لم تصل حتى ذلك التاريخ (٣/١٠) ! ... ولقد تلقيت اليوم خطابا من الصديق (الاستاذ وديع فلسطين) يقول ان رسالتي الاخيرة اليه ردا على رسالته تسلمها بعد عشرة ايام — ويظن انها ارسلت على ظهور الابل من اقصى البلاد ! — ولم تكن الشكوى الاولى منه ، ومن سائر اصدقاء القاهرة ! — رحم الله الصديق الاديب سمير وهبي — من مصر الجديدة — الذي فقدناه يوم ١٠ هذا الشهر — لطالما شكا لي من ضياع الرسائل ...

ولدى عودتي تلقيت ايضا عدد مارس الحالي من مجلة (الاديب) البيروتية وبه مقالتكم الانسانية الرائعة المعنونة : « استيقظ وعش حياتك كلها » وقد سعدت بمطالعتها . وليتها « توقظني » كي « اعيش » هذه البقية الباقية من حياتي « الضائعة » في « الصراع » المؤبد مع الحياة الدنيا .. !

ولك يا اخي الاديب الجليل صادق الدعوات وخالص التحيات ..

والى اللقاء في اسعد الاوقات ، دمت للمخلص ، نقولا يوسف .

وارسلت اليه بتاريخ ٧٥/٣/٢٩ اقول له انني بعد قراءة روايته الطويلة (الهام) احسست انها ترجمة ذاتية تتناول مرحلة من حياة مؤلفها وانها رحلة في قلبه وعقله ... وسألته اذا كان قد عدل فيها في طبعتها الاولى عام ١٩٣٧ ؟ او في طبعتها الثانية عام ١٩٦٥ ؟ ام انه نشرها كما كتبها وهو في العشرينيات ، وسألته ماذا يكتب لو انه اعاد كتابتها من جديد ووضع فيها تجاربه الناضجة في الحياة والادب والفن .

فتسلمت رسالته المؤرخة في ١٩٧٥/٤/٢٩ :

عزيزي الأديب الجليل ...

تحية المودة والتقدير — ولمناسبة عيد القيامة المجيد — وعيد الربيع السعيد — ابعث اليكم بخالص التمنيات وصادق الدعوات ... لتكن ايامكم اعيادا وحياتكم نورا وامجادا ..

مضى شهر كامل على تسلمي رسالتكم المؤرخة في ٣/٢٩ — كرت ايامه كعادتها لا تلوي على شيء ... لعلي تمهلت حتى يهل موسم الاعياد فابادر الى التهنئة ... ولعلي رايت ان اصحب هذه الرسالة بالقائمة المرفقة — وبها ما وقع من اخطاء مطبعية كثيرة في طبع رواية (الهام) حين اخرجتها في غيبتي « الدار القومية للطباعة والنشر » — وكان الصديق ابراهيم المصري قد ارسل الى هذه الدار طبعتها الاولى الصادرة عام ١٩٣٧ عن « مطبعة المجلة الجديدة — سلامه موسى » بعد مناقشة فلسفية في باب التواضع والدعاية والنشر وما اشبه ! .. وهأنذا ارسل اليكم هذه « القائمة » الحافلة املا في تصحيحها في النسخة التي بين يديكم — ان وجدتم ذات يوم ساعة فراغ تضيعونها في مثل هذه اللعبة ! ...

... فكما ترون ان هذه الرواية التي كتبها شاب في العشرينيات وطبعت اول مرة عام ١٩٣٧ — ما زالت متسمة بطابع الرومانسية والشاعرية والايديولوجية التي كان عليها شاب شاعري النزعة تسيطر عليه عوامل السن والعصر والوسط ... وقد سبقها ديوان من الشعر المنثور : « نسمات وزوابع » — نشره عام ١٩٢٧ للشاب نفسه : المرحوم الياس انطون الياس (صاحب المطبعة العصرية بالفجالة) — وكان مصطبغا بالروح الشاعرية ذاتها وطبقت عليه المقاييس عينها — قبل ان يحول الى « متحف الذكريات » !! واجابة على اسئلتكم اقول اني لا احب اعادة هذه البواكير ، ولا احب ان اضيف اليها شيئا او اعدل فيها اشياء ، لانها خرجت عن ملكيتي وعن اختصاصي — كما لا يستطيع المرء ان يغير ويعدل في ذكريات صباه

وشبابه ... ويخطىء من يحاول التعديل والتصويب في سرد سيرته الذاتية او حتى الدفاع عن اخطائه امام قرائه ـ كما يفعل البعض من كتاب الترجمة للنفس ... وكنت غير متفق مع صديقي المرحوم محمود تيمور حين كان يغير ويبدل في سرد قصصه الباكرة ـ ولا اقول ينقح اللغة ـ كلما اعاد طبع قصصه .. وان كنت اوافق سلامه موسى على رايه في ان للكاتب الذي يتطور فكريا الحق في ابداء آرائه المتطورة في كتاباته التالية ... وهذا ما يحدث للكثير منا وبخاصة لمن يتقدمون في السن ... اما عن « اليوتوبيا » التي قراتم انها نشرت لي ـ فاظن ان المقصود بها كتاب عنوانه « الفردوس » نشرته لي « مكتبة الوفد » بالفجالة عام ١٩٢٢ ـ وكنت كما ترون غلاما في الثامنة عشرة ـ متسرعا في الكتابة والنشر ! ـ ويصور حلما طوبويا لفتى شاعر يزعم تحقيقه بجزيرة خيالية ... وخرج الكتاب في اسلوب الشعر المنثور ـ وبالرغم من ضعف قيمته فقد نفد من الاسواق بحكم الاقدمية ، ولم اعد اعثر على نسخة منه على عربات اليد ، او على سور حديقة الازبكية ـ ومع ذلك فاذا عثرت عليه او على احد اخوته يوما بادرت الى ارساله اليكم للفرجة تلبية لرغبتكم ـ وان كنت قليل الامل في العثور على ما اكل عليه الدهر وشرب ـ ما علينا ـ لقد استفد الحديث عن قديم الذكريات طاقة الرسالة ـ وكنت اود ان ابداها بذكر السبب الاول في تاخير كتابتها شهرا كاملا ـ فان بعض الاصدقاء الادباء بالقاهرة والاسكندرية راى في آخر العمر ان يشغلوا فراغي المزعوم ـ (فراغ المعاش) ـ في كتابات واجتماعات وندوات متلاحقة .. فرشحني القاهريون لوضع دراسة عن الشاعر المرحوم عبد الرحمن شكري في ثلاثين صفحة ـ وفي ثلاث نسخ على الآلة الكاتبة ـ لضمها الى مجموعات لجنة الشعر في المجلس الاعلى للفنون والآداب عن الشعراء المحدثين ـ كل مجموعة خمسة شعراء ـ وامهلوني شهرا واحدا ... كما ضمني السكندريون الى « مجلس الثقافة الاعلى لمحافظة الاسكندرية » والى احدى لجانه الادبية ... والى لجنة التراث السكندري .. وما شاكل ذلك ـ وتوالت الاجتماعات ... واللجان .. والمناقشات ـ ! وانصرم مارس وابريل وما زلنا في وضع البرامج والتخطيط ... واما رسائل الاصدقاء والمعايدات والبطاقات ـ فمتروكة لاوقات الفراغ والمصادفات ! .. فمعذرة يا صديقي الاديب العزيز من اي تأخير او تأجيل ثم من هذه الثرثرة التي اصابتني عدواها من رسائل الصديق وديع فلسطين ـ ! والى اللقاء في اسعد الاوقات ـ ولكم صادق التمنيات والتحيات ، من المخلص ، نقول يوسف .

بعد كتابة هذه الرسالة سعدت بوصول معايدتكم المؤرخة في ٢٨/٤ فشكرا جزيلا وتحية خالصة ، نقولا .

في يونيو ١٩٧٥ ذهبت الى الاسكندرية للاستحمام وكان مرجوي ان التقي بفقيدنا العزيز شخصيا ولكن منعني عن هذا ان اقتحم عليه داره دون ميعاد سابق واكتفيت بأن اكتب له خطابا من الاسكندرية متمنيا ان يتاح لي الظرف المواتي لاحقق رغبتي في اللقاء القريب .

فجاءني رده بتاريخ ١٩٧٥/٨/٥ يقول فيه :

اخي الاديب الجليل ...

سعدت برسالتكم المؤرخة في ٦/٥ الماضي ـ والمكتوبة كما ذكرتم « وسط ضغط العمل ... الى جانب وعكة نفسية سلبتكم كل نشاط فكري ... » وارجو ان تكونوا الآن ـ وقد سكنت هذه العواصف ـ قد استرددتم سكينة النفس .. والراحة ... والسلام ..

لقد بلونا طويلا ـ نحن « عمال التراحيل في حقل التربية والتعليم » امثال هذه المشاكل والمشاغل .. والمتاعب ... ما التهم خمسة وثلاثين عاما من زهرة العمر ! .. ولم يخلصنا من الاغلال غير التقاعد ! .. وعلى راي صديقنا شاعر دمياط : (خرجت من الممات الى المعاش !) مد الله في حياتكم حتى « المعاش » وما بعده من سني الراحة والتفرغ لما تحبون من آداب وفنون .. ومنحكم العافية والقوة في تلك السنين ...

انتظرت هذه الاسابيع العاصفة كي اكتب اليكم في هدوء ... غير ان لموسم الصيف عندنا (بالاسكندرية) خواصه العجيبة ! ـ قد تعرفونها مثلي ـ فهو لا يقبل علينا بخيله ورجله الا وفي ركابه الهرج والمرج ، وطوابير القادمين من كل فج ! ويتقاطر ادباء القاهرة والاقاليم على الثغر زرافات ... وينزل الاهل ضيوفا مكرمين في جماعات ... وتبدأ المواعيد واللقاءات ، والزيارات والمصادفات ! وتعقد الجلسات والندوات في قصور الثقافة والكازينات !! وقد يحلو هذا لابن العشرين ، ولكن ما العمل مع ابن السبعين ! ؟ ...

ما علينا ! ـ لقد استطعت اخيرا ان اخلو بنفسي هذه الساعة كيما افيدكم على الاقل ان رسالتكم وصلت الي سالمة ، ولم تضع في البريد كغيرها ـ ومنها مجلة « الاديب » عددان ...

وكنت قبيل هذا الصيف قيدت بعض الخواطر في باب « الذكريات » وارسلتها تباعا الى صحيفتنا الطيبة « اخبار دمياط » لعلي اواصل كتابتها اذا طاب المزاج وحل الصفاء ، وسمح الناشر والقراء ! ولعلي اظفر برايكم في رسالة قادمة عن هذا النوع من الموضوعات ـ ؟ وكنتم قد رايتم لي ان اكتب بعض الذكريات ـ وهي كثيرة الشعب والطرقات .. ! ـ وكأنما كنا على موعد بعد فترة صمت طويلة للكتابة في (اخبار دمياط) اذ التقيت بكم على صفحاتها منذ عهد قريب في مقالتكم عن كتاب الدكتور مصطفى محمود « الحب والحياة » ـ وارجو هذا اللقاء دائما ـ ثم شكرا جزيلا يا اخي الكريم على ما ذكرتم عن كتابة (امسية معي ..) ولست هنا بالمتواضع القائل : « لا داعي لهذا التعب ! .. » اذ كان من رايي دائما ان

قلم الكاتب ملك للناس يبدون فيه الراي كما يريدون — ما دام يكتب ليهم لا لنفسه — وقد كتبت عن عشرات من كبار الادباء وصغارهم تطبيقا لهذا المبدا ..

ثم لا تخش ايها العزيز ان تثقل علي — كما تقول — برسائلك فانني وان كنت لم ازل في دوامة الصيف — فان الهرج سيهدا مع آخر هذا الشهر — وان رسائل الاصدقاء الادباء — تلطف الازمات وتصبح كالدواء ! ...

واذا حضرت الى الاسكندرية — كما فعلت في هذا الصيف — فلا تضن باللقاء — وان شئت فرقم تلفوني في اعلى الصفحة تحت تصرفك — ولكم يا صديقي الاديب الجليل خالص المودة واذكى السلام — والى اللقاء في اسعد الاوقات — دمتم للمخلص ، نقولا يوسف .

وفي ١٩٧٥/٨/٢٦ ارسلت اليه اقول : (سرني انكم بداتم في كتابة ذكرياتكم ... انني بالرغم من انني اعرف الشيء الكثير عن استاذنا نقولا يوسف من طول قراءتي لكتاباته منذ ما يقرب من اربعين عاما الا انني احب واتوق الى قراءة كل ما تعمق معرفتي بكم وبحياتكم وجهادكم وصولاتكم الادبية في اكثر من نصف قرن ، بقلمكم المبدع وبواقعيتكم الرصينة ... قرات الاجزاء الستة الاولى التي نشرت من ذكرياتكم(٢) — حتى الآن — فوجدت فيها ذكريات اديب عظيم احب الناس واحبه كثيرون في هذه الحياة .. انها سجل للصداقة والوفاء كما انها تحمل ملامح الحياة في جيلنا ... انها سرد جميل بحاسة تاريخية وفية ورائعة ... الا انه لم يظهر فيها — حتى الآن — الجانب الذاتي الا لماما ... ترى هل تكون كلها حديثا عن الآخرين ؟

وفي ١٩٧٥/٩/٢٠ جاءني خطابه الذي يعرض فيه رفع الكلفة بيننا الامر الذي سرني كثيرا ورسخ صداقتنا وجعل كلا منا يفتح قلبه للآخر ...

عزيزي الاديب الجليل ...

تحية المودة والوفاء والتقدير ... تلقيت رسالتك — [وساخاطبك من الآن بلفظ المفرد الاخوي العائلي ... ؟] المؤرخة في ٨/٢٦ .. وهممت بالكتابة اليك ، فاذا بصحيفتنا « اخبار دمياط » تصل الي متمهلة كعادتها هذه الايام وتقطع الرحلة في اسبوع .. وعذرنا مجلة « الاديب » التي لم ارها منذ شهرين — فاذا وصلت سالمة حمدنا الله على السلامة وكنا دائما من الشاكرين ! والحق لقد سعدت بمقالتك النقدية التحليلية ... الكريمة ... الرائعة التي تناولت جانبا من حياتي ... وكان للبحث بقية احببت متابعتها ، فلما لم يصل عددها الى اليوم ، خشيت ان اتاخر ايضا عن واجب الشكر مهما كان العجز عن ادائه ! .. وقد يكون السكوت عن اداء الشكر احيانا ابلغ من سرد الالفاظ المالوفة ! ...

---

(٢) بدا الفقيد في نشر ذكرياته عام ١٩٧٥ تحت عنوان (من جراب الذكريات) بصحيفة اخبار دمياط .

وقديما وددت لو اهديت اليك ما نشر لي من مطبوعات .. غير ان جهلي بعنوانك الذى لم اكتشفه حتى عهد قريب ، حال دون تحقيق هذه الامنية ... فلما ظهر العنوان كانت هذه المطبوعات قد تبعثرت وطواها القدم ولحق حديثها بقديمها .. ومع ذلك فخشية ان يغتال البريد هذه « التذكاريات » فسوف احتجز ما قد اعثر عليه منها على « عربات الكتب القديمة » حتى اذا سمح الزمان بلقاء قريب سعدت بتقديمه اليك شاكرا — « بيدي لا بيد عمرو ! — » والحكاية كلها تدور حول « التذكار » على النمط المالوف .. وهنا يقول المثل العامي : « بصلة الحبيب خروف ! ؟ » .

ثم يسرني ما قلت انك شرعت في فرز كتاباتك المنشورة ليجد بعضها طريقه الى المطبعة ... والمعروف ان القاهرة هي المكان الوحيد في بلادنا الذي تتمركز فيه الطباعة والنشر والاذاعة .. ! وعلى الرغم من غلاء الورق وتدلل الناشرين وما شاكل ذلك — كما ذكرت في خطابك — فان اصدقاءنا الادباء بالاسكندرية لا يخفون دهشتهم عندما يمرون بباعة الصحف والدوريات وقد فرشوا ميدان محطة الرمل وسائر الميادين بمئات الكتب الجديدة الملونة التي تنهال عليهم كل يوم من القاهرة وبيروت حاملة اعجب العناوين ... ويرون بينها نحو عشرين كتابا جديدا لمؤلف واحد مثل انيس منصور ومنها مجلد كبير عن (حياته وادبه) ... وامام هذا الطوفان من الورق المطبوع يتساءلون عن مكانهم ومصيرهم ؟ ...

ثم اشكرك على ما وصفت به سلسلة (الذكريات) التي انشرها بجريدة (اخبار دمياط) ... وصدقت حين قلت : «لم يظهر فيها حتى الآن الجانب الذاتي الا لماما ...» — يبدو لي انني لا اجيد الحديث عن نفسي خارج الرسائل الخاصة ! ... وانني ما زلت متاثرا بمهنة التعليم التي افنيت فيها العمر فاوثر الناحية الموضوعية فيما هو تاريخي لعل المتحدث اليه يخرج بقدر اوفر من المعرفة عن المتحدث عنه ! وبخاصة اذا كان جديرا بالتعرف اليه .. ثم ارجو بعد ذلك ان احقق رغبتك الاخوية في الاستزادة من الجانب الذاتي في السلاسل القادمة من هذه « الذكريات » ؟

وختاما اكرر جزيل الشكر راجيا لك الصحة والعافية .. ووافر الانتاج الادبي — ولك خالص التمنيات وصادق الدعوات وازكى التحيات ... ، دمت للوفي المخلص ، نقولا يوسف .

وفي ١٩٧٥/١٠/٨ تسلمت منه الرسالة التالية :

عزيزي الاديب الجليل ...

تحية المودة والوفاء — راجيا لك وافر الصحة والعافية .. ولعلك قضيت هذه العطلة الصيفية في راحة واستجمام قبل القيام بالرحلة المدرسية المضنية .. ولعلك تلقيت رسالتي التي بعثت بها اليك منذ ايام — وحاولت ان اعبر فيها عن شكري على ما طوقت به عنقي من فضل في مقالتك الرائعة المنشورة في « اخبار دمياط » عدد ٨

سبتمبر .. ثم ورد الي عدد ٩/٢٢ وبه بقية البحث الرائع عن بعض اعمالي وعني والذي اعد اجمل واعمق ما كتب في هذا ... فانا هنا يا اخي الاديب الكبير ـــ اكرر الشكر والاعجاب والتقدير .. دمت للادب نصيرا ... وللقلم صديقا قديرا .

وادعو الله ان يعينك علـــى اخراج آثارك الادبية ومؤلفاتك المطوية تباعا وان يمد في عمر عبده « قليلا » ريثما يطلع على بعضها منشورا ويشيد بفضلها تـــدر الاستطاعة ...

ازكى تحياتي اليك وصادق الدعوات والتمنيات ، والى اللقاء في اسعد الاوقات ... دمت لاخيك الوفي ، نقولا يوسف .

اهدى الـــي فقيدنا الراحل مجموعتـــه القصصية (هم وهن) وارسل الي في اول نوفمبر ١٩٧٥ يقول :

عزيزي الكاتب الجليل ...

تلقيت رسالتك المؤرخة في ١٠/١٥ ـــ وتصادف ان عثرت منذ بضعة ايام في احدى مكتبات الاسكندرية ـــ على نسخة « اثرية » من مجموعتي القصصية « هم وهن » المطبوعة هنـــا عام ١٩٦٢ فبادرت بارسالها اليـــك ـــ (مطبوعات مسجلة يوم ١٠/٢٦) لعلها وصلت اليـــك سالمة .. والقصد هو « التذكار » كما تجري العادة بين الاصدقاء .. فهم الذين يعنون بقراءة كتاباتنا .. وهم الجديرون باهداء مصنفاتنا ...

وكنت قد نشرت معظم اقاصيص هذه المجموعة في الخمسينيات ببعض الصحف والمجلات ـــ وبخاصة جريدة « القاهرة » ـــ المحتجبة ـــ حين راس تحريرها الصديق القديم حافظ محمود ، زميلي في التحرير بصحيفة « السياسة الاسبوعية » ايام الشباب ... لهذا سميتها « اثرية » لانها مكتوبة منذ ربع قرن ... وما اسرع مرور الزمن ! ... وقد سبقها الى النشر مجموعتان اخريان سميتهما : « دنيا الناس » ـــ ١٩٥٠ و « مواكب الناس » ـــ ١٩٥٢ ... ارجو ان ارسلهما اليك في القريب ... كما ارجو ان الحق بهذه الثلاث ـــ مجموعة رابعة معدة للطبع ... ولا اعتقد ان في العمر بقية تتسع لكتابة قصص اخرى .. فلقـــد غامرت في هذه السنوات الاخيرة بكتابة « التراجم » ولا سيما للادباء ـــ زاعما انها فرع من شجرة القصة ... والمسالة فيما يبدو مزاج وهواية !

وقد اطلعت على كلمتك في (اخبار دمياط) هـــذا الاسبوع عن الفقيد العزيز دكتور عزيز برسوم ـــ وفاء نادر ... ومأساة الاوفياء انهم لا يستطيعون ملاحقة الزمن حين يفرق بينهم وبين اعزائهم الراحلين تباعا ـــ فما ان يبدأوا في رثاء احدهم حتى يفاجأون بفقد الآخر ـــ وهكذا تتراكم الكلمات المكتوبة على الورق فلا تنشر ـــ كما تتراكم الذكريات المنقوشة في القلب ولا تقبر ! ... وارى معك ان جمع آثار الفقيد في مجلد او اكثر هو خير ما يرضي روحه في سمائها وما يبقى على ذكراه في ارضنا ...

اما ما ذكرت عن مجلتنا الطيبة « الاديب » ، وصاحبها العزيز « البير اديب » فان المجلة كما قلت لم تصل الى احد بمصر بعد اغسطس الماضي ـــ ؟ وقرانا جميعا ان نوافذ بيته حطمها الرصاص .. ثم دارت الشائعات ان الصديق البير اصيب في هذه المذابح (والله اعلم) ؟ ! وقد كتبت الى الاخ وديع فلسطين بالقاهرة مستفسرا فلم يات منه رد بعد ... وعلى ذكر « الاديب » كنت قد ارسلت اليه كلمتين لنشرهما في (بريد الاديب) ـــ عـــن الكاتبين الصديقين الراحلين : اسعد حسني ـــ (الذي راس تحرير مجلة « العالم العربي » بالقاهرة عدة سنين قبل عمله بجريدة الجمهورية) وكان اخا وفيا مخبا ... وتعذب كثيرا في اواخر حياته ... والصديق السكندري « حسين رشدي » صاحب التمثيليات الاجتماعية الاذاعية ـــ يرحمهما الله .

وعن سؤالك عن احب كتبي الي ؟ ـــ اجيبك بان هذا امر تصعب الاجابة عليه عندي ! ـــ فامامي عدد من كتبي المطبوعة ـــ واكثر منها لم يزل مخطوطا ـــ ولعل بـــين المخطوط ما هو احب الي من المنشور لسبب او لآخر ؟ ! فقد نشرت فيما مضى من السنين مثلا عشرات المقالات عن اصدقاء ادباء اعزاء ولم تجمع في كتب ـــ تكون حبيبة الى القلب بذكرياتها الخاصة : ... اجاب احد الكتاب مرة (لا اذكره) ـــ عن مثل هذا السؤال بان مؤلفاته جميعا كابنائه متساوين لديه في المعزة .. واجاب طـــه حسين ـــ فيما اذكر ـــ بانه لا يعود الى كتاب طبع له ولا يقرؤه بعد نشره ، وقد يعني انه لا يحب المفاضلة ... ويقول جبران (فيما اذكر ايضا) ـــ ان احب مؤلفاته اليه واهمها لم يكتبه بعد ـــ وان قلبه مثل بركان مسدود لم يتنفس عن منصهراته .. (او ما اشبه من التعبير) .. وهذه العبارات وامثالها انما تدل على الحيرة في الاجابة عـــن مثل هذا السؤال .. ؟

اكتب اليك هذه السطور في احد اركاني بكازينات كليوبترا على شاطىء البحر ـــ (كعادتي كل صباح) ـــ وكل مـــا حولي هادىء رائع ... ولكنها « مداعبات » الشيخوخة تسبب ضعفا في القلب وفي البصر ... وتنعكس آثارها على النفس وعلى القلم فتخرج هذه السطور بادية الضعف كثيرة الثرثرة ! .. فمعذرة يا صديقي ما تراه في رسائلي الخاصة وفي مقالاتي المنشورة مـــن هنات ولت وعجن ... جنبك الله اماعيل الشيخوخة بعد عمر طويل .. وتحل القوة والعافية في حياتك وفي اداء رسالتك ...

ولك دائما خالص التمنيات وازكى التحيات والى اللقاء في اســعــد الاوقات . دمت للوفي المخلص ؛ نقولا يوسف .

وفي ١٦/١١/٧٥ كتبت له الرسالة التالية :

الاخ الكريم استاذنا الكبير نقولا يوسف

تلقيت بسرور كبير رسالتكم المؤرخة في ١/١١/٧٥ وقد غمرني بالسعادة ما فاضت به من مشاعر اخوية وما تضمنته من تجاوب كبير ... ويسعدني ان ينفذ كل منا الى اعماق الآخر .. ليتكم تحدثوني عن نفسكم طويلا وكثيرا فان هذا الحديث لذيذ وممتع .. ان معرفة نقولا يوسف الانسان لا تقل اهمية عن معرفة (نقولا يوسف) الاديب الفنان .. ان الحديث الذاتي بقلم اديب كبير مثلكم فيه متعة فكرية ... انني احب (المازني) كثيرا لانه لم ينقطع عن الحديث عن نفسه في معظم كتبه ، والقارىء الذي يهوى الادب لا يمل سماع الرجل الممتاز عندما يصدقنا القول عن نفسه ... ليتكم تفتحون لي قلبكم فاسمع كثيرا منكم وعنكم فاعيش مع فكركم وتجاربكم واحاسيسكم واهتزازاتكم مع الحياة ...

وسعدت برسالته التالية المؤرخة في ٤/١٢/١٩٧٥ :

عزيزي الاستاذ الجليل ...

تلقيت رسالتك الكريمة المؤرخة في ١١/١٦ — ومرت الايام كعادتها سراعا ... والحمد لله على نعمة الصحة — فهي ومثلها الحكمة — كما يقول اهل الذكر — من هبات الله الكبرى لعباده ... وشكرا لجدعان البريد الذين حملوا اليك مجموعة الاقاصيص سالمة معافية ... ولعلهم « يتمون جميلهم » حين ارسل اليك ما ارجو ان اعثر عليه من (حفائر) اخرى — ما دمت من هواة الآثار المتسامحين المتساهلين !

وكما رغبت — احدثك عن نفسي قليلا — فأقول واستطرد الحديث — انني كنت في الشهرين الاخيرين التمس الراحة — المرادفة للكسل في عرف الاصدقاء غير الطاعنين في السن — ولو كانت هذه الراحة في مجالسة الكتب والمجلات والصحف عملا بوصية القائل : « وخير جليس في الايام كتاب » ! وقد يدخل في باب الراحة ايضا كتابة الانابيش لصحيفتنا الغراء « اخبار دمياط » ... ومن ذلك ما رايت في المسلسلة الاخيرة — المزيج من الذكريات التاريخية والذاتية المستمدة من سجل الصبا وعهد التلمذة ... انني لم اشرع بعد — واخشى ان يكون قد فات الاوان — في كتابة ما تشير به علي من ذكريات ذاتية وتجارب شخصية ... انما هو شعور باطني بان المذكرات الذاتية من « اختصاص » المشاهير وكبار القوم الذين يشتاق القراء قبل الاصدقاء الى معرفتها ، ويذهب اليهم الناشرون في طلبها ، ويدفعون الالوف من اجلها ؟ — ام هو الكسل ما يعوق الاقدام على نبشها ولمها والاعداد لنشرها ؟ — ام لان اذاعتها في صراحة وامانة يمس الكثير من اسماء الاحياء والراحلين ؟ .. ولسان حالهم يقول مع الشاعر :

ولا تقف زلات العباد نعدها فلست على هذا الورى بمسيطر !

وهنا يعمد القلم الى اخفاء العيوب والتستر على النقائص والاكتفاء بذكر المحاسن ؟ ! ولقد لاحظنا ان معظم كتاب التراجم الذاتية عندنا لا يجرأون على الاعتراف بمباذلهم كما جرؤ (جان جاك روسو) و (فرانك هاريس) وغيرهما — مثلا — اما خوفا من الوسط المحافظ واما تظاهرا بالبراءة — أهو هذا ام ذاك ام الكل مجتمع ؟ !

يحضرني الآن — والحديث ذو شجون — مثل في موضوع الذكريات والمذكرات — فمنذ عشر سنوات كنت جالسا في الكازينو المطل على البحر مع زميل قديم عزيز من ايام المدرسة التوفيقية بشبرا — هو المرحوم المستشار تادرس ميخائيل تادرس — وشكا من الفراغ الطويل بعد المعاش ، فاشرت عليه بكتابة ذكرياته القضائية المليئة بالطرائف والمواعظ مما كان يقصه علي — فازعجه نشر الاسماء وخشي التعريض بالشخصيات الواردة في تلك القضايا ، وكان الحل البسيط لهذا المشكل وضع اسماء مستعارة للاشخاص والاماكن — وضربت له المثل بذكريات توفيق الحكيم في (يوميات نائب في الارياف) — وكيف خرجت قطعة فنية جميلة — وهكذا نشر الصديق تادرس كتابه « ذكريات في عالم المحاماة والقضاء » — عام ١٩٦٦ ولقي نجاحا — يرحمه الله .

ومع ذلك ارجو — اذا طال الاجل قليلا — ان انشر ما تيسر من ذكرياتي الخاصة — ولو في « اخبار دمياط » الواسعة الصدر ! — ومنذ حوالي خمسة اشهر طلب مني الصديق القديم عبد العزيز الدسوقي — رئيس تحرير مجلة « الثقافة » بالقاهرة — مقالة بعنوان (تجربتي الادبية) — موضوع « ذاتي » — فعدت الى الحيرة في التحدث عن « الذات » والزج بها وسط المشاهير والمتظاهرين — ولم احقق رغبته الى اليوم — ! .. والامر لله ... — اعود الى حكاية « الراحة » التي التمستها في المطالعات والتأملات — فاذا باصدقاء الشباب في « لجنة الشعر بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب بالقاهرة » يعيدونني الى ارض الحقائق ! بدلوا بطلب بحث من ثلاثين صفحة عن الشاعر المرحوم عبد الرحمن شكري — لضمه الى المجموعات التي يصدرونها تباعا عن الشعراء العرب المحدثين — فلما ان ارسلت اليهم البحث .. وحاز القبول ، عادوا فطلبوا (كتابا) عن « الشعراء اليونانيين الذين نشأوا بمصر وتأثروا بها وكتبوا عنها » ... وشرعت في التنسيق والتبييض ! فاذا (بمجلس الثقافة لمحافظة الاسكندرية) المنشأ منذ بضعة اشهر والذي ضمني الى لجانه يقرر اصدار مجلة جامعة باسم « امواج » تظهر في يناير القادم ويطلب مقالة ؟ .. ثم زارني صحفي من القاهرة يقول انه في طريقه الى سلطنة عمان ليرأس تحرير مجلة شهرية هناك باسم « السراج » — ويرغب في مقالة ! ... بينما غضب مني اصدقاء العراق لاني لم ارسل اليهم شيئا

لمجلتهم : (الكتاب) التي يصدرونها شهريا ببغداد وتطلعوا عني اعداد المجلة المهداة ـ كما استاء اكثر من عشرة من كتاب الاقطار العربية وشعرائها ممن ارسلوا الي مؤلفاتهم فلم اكتب عنها نقدا واكتفيت برسائل الشكر والثناء ؟ ! ـ وهذا قلت : « وداعا ايتها الراحة » ! ؟ على وزن : « وداعا ايها الملل » ؟ ! ـ عنوان كتاب لصاحبنا الصحفي .... مؤلف الستين كتابا والبقية تأتي ؟ !

اما مجلة « الاديب » الحبيبة ـ فانها لا تباع بالاسكندرية منذ عام مضى ، وان كانت تأتي بالبريد الى بعض اصدقائها ـ ولم نرها منذ اغسطس ؟ ولا نعلم شيئا من انباء صاحبها العزيز ؟

ـ ارأيت كيف اطلت عليك هذه المرة بالثرثرة والمفاخرة ! ؟ ذلك لاني ساريحك منها حتى عيد الميلاد القادم (٧ يناير) ـ وكل عام وانتم بخير ـ اننا سنتغيب عن الاسكندرية من يوم ١١ ديسمبر الحالي حتى الثالث من يناير ... ونرجو ان نمر بالمعادي ضواحي القاهرة لزيارة ابنتنا الوحيدة المتزوجة هناك ـ وحيث لا نستطيع الكر والفر في مآزق القاهرة وطرقاتها العامرة .. ونرابط في « المعادي » طلبا للسلامة وان كانت تثني المرء عن المعالي .

فالى اللقاء يا اخي الاديب العزيز ـ في بطاقة المعايدة ان شاءت المقادير ، ولك خالص التمنيات وصادق الدعوات ... والمعايدات ... دمت للمخلص ، نقولا يوسف .

وفي ١٩٧٥/١٢/٣٠ ارسلت له خطابا قلت فيه :

... انني اعرف جيدا ان الكتابة الذاتية الصريحة من اصعب الامور ... انني حتى في مذكراتي الشخصية التي لا يطلع عليها غيري .. اشعر بحرج شديد وأنا اكتبها (عارية) مشفقا على نفسي وعلى من احبهم ... اننا في شرقنا العربي لا نفكر بلغة الواقع العصري الذي نعيش فيه .. ولم تتحرر تراجمنا الذاتية تماما من عبودية النماذج التقليدية .. .والرجل المشهور عندنا يخفي كل نقائصه وقد يضفي على نفسه من الفضائل ما ليس فيها ، ويظهر انه مخلوق من (طينة) غير الطينة التي خلق منها البشر جميعا ... وعلى ذكر الصراحة في التراجم .. لقد تردد في بعض خطاباتكم لي ما فهمت منه انه كانت لكم صلة وثيقة بأستاذنا سلامه موسى .. ترى هل صور (سلامه موسى) نفسه صورة حقيقية في كتابه (تربية سلامه موسى) ام هناك ما قد اخفاه وتعرفونه عنه ؟ ترى هل كتبتم عن (سلامه موسى) كما كتبتم عن كثير من الادباء الاصدقاء ، والذين عرفتموهم عن كثب ؟

ولم يمض وقت طويل حتى تسلمت منه في ٧٦/١/١٠ آخر رسالة : بعدها رحل عن عالمنا ...

عزيزي الاستاذ الجليل ...

لكم في عيد الميلاد المجيد ... وهذا العام الجديد السعيد ـ اطيب التمنيات وصادق الدعوات باليمن والتوفيق والعمر المديد ... ولتكن ايامكم اعيادا ـ وحياتكم نورا وامجادا ..

كنت متغيبا عن داري بالاسكندرية اكثر من عشرين يوما .. وعدت هذا الاسبوع ـ وتلقيت رسالتك المؤرخة في ٧٥/١٢/٣٠ فشكرا جزيلا على معايدتك الرقيقة وتمنياتك الاخوية ...

امضينا اياما في ضيافة ابنتنا وزوجها في المعادي .. (ولاسباب صحية من مختلف الاصناف) ... لم يستطع اخوك الشيخ لقاء صديق او قريب في القاهرة ـ كما حرن تلفون المعادي ولم يسعف في مهاتفة الاصدقاء ـ ومرت الايام في خمول واعتكاف واستشفاء ! .. وما زلت منذ عودتي في صراع مع الوعكات وفي عجز عن النشاطات ! ..

وبعد ـ فكما اعتدنا تبادل الآراء الذاتية ـ والتعليق على بعض المسائل الادبية ـ ارى معك :

١ ـ ان موضوع « الترجمة الذاتية » ـ الاتوبيوغرافي باب من ابواب الادب جدير بالاهتمام وبخاصة في ادبنا العربي ـ وكما قلت : ان تراجمنا الذاتية لم تتحرر تماما من عبودية النماذج التقليدية ـ ولهذا ارى ان توضع فيه الدراسات النقدية والتحليلية ـ في مؤلفات لا في مقالات او تعليقات ... واذكر انني قرأت منذ بضع سنوات كتابا للدكتور شوقي ضيف ـ بعنوان : « الترجمة الشخصية » ـ ولكن يبدو اننا في حاجة الى كتاب واف اكبر يتسع لنقد هذه العشرات من كتب التراجم الذاتية والمذكرات والذكريات ـ مما يملأ مكتباتنا واسواقنا ـ ويا حبذا لو توفرت على وضع كتاب في هذا الموضوع ـ ما دام لديك اهتمام بالبحث في هذا الشأن ـ وعن نفسي ـ لو عدت الى الوراء عشر سنين لحاولت وضع مثل هذا الكتاب النقدي المفيد (ولكن يبدو ان الوقت قد فات !) .

٢ ـ وما اشرت اليه عن صلتي بأستاذنا « سلامه موسى » ـ اذكر لك انها كانت صلة وثيقة ـ بدأت بقراءتي كتاباته ايام صباي ثم تعرفت به شخصيا عام ١٩٢٧ وظللنا صديقين الى يوم وفاته في صيف ١٩٥٨ ـ نتزاور ونتراسل ... واكتب في (المجلة الجديدة) منذ عامها الاول (١٩٣٠) الى ان احتجبت ... وفي مجلاته الاسبوعية وجريدته « اليومية » ـ وفي مطبعته الخاصة طبع كتابي « الحياة الجديدة » ـ ١٩٣٦ ـ ورواية (الهام) ١٨٣٧ ، وتحدث سلامه موسى عن (الهام) عقب صدورها من محطة اذاعة القاهرة واهدى نسخة من كتابي « الحياة الجديدة » الى كل مشترك في مجلته عامذاك ـ ومع ذلك فلم اكتب عن سلامه موسى فيما اذكر غير مقالة بمجلة (العالم العربي) عدد ١٩٥٨/٩/١ وكان يصدرها صديقنا المرحوم اسعد حسني ـ احد تلاميذ سلامه موسى ـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والسبب في ذلك انني كنت وما زلت ــ ارجو وضع مؤلف شامل عنه ــ اضمنه النواحي الذاتية والموضوعية ــ وكعادتي التعسة في التسويف والتأجيل ، مر اليوم على وفاته ــ كما ترى ــ سبعة عشر عاما ــ والمسودات والمراجع في اضابيرها مكومة ــ وامامي اربعون كتابا بقلم سلامه موسى قرأتها جميعا ــ ومنها كتابه عن نفسه : « تربية سلامه موسى » وفي خلال تلك السنوات ظهرت ثلاثة كتب عن سلامه موسى وضعها تلاميذه ــ اعني كتاب « سلامه موسى وازمة الضمير العربي » لغالي شكري ١٩٦٢ ــ و (سلامه موسى المفكر والانسان) لمحمود الشرقاوي ١٩٦٥ ، ١٩٦٨ ــ و (سلامه موسى وعصر القلق) لفتحي خليل ١٩٦٥ ــ ثم ملحق مجلة « الطليعة » عدد اغسطس ١٩٦٥ عن (سلامه موسى والفكر الثوري المعاصر) لعدد من الكتاب ــ كما كتب عنه في الصحف والمجلات اكثر من مئة مقالة ودراسة ــ كما تعلم ...

اما عن سؤالك عن كتابه : (تربية سلامه موسى) ومدى ما فيه من صدق ، فقد كان رحمه الله صادقا في تصويره لنفسه .. ولم يعب الكتاب ــ كما قلت له مرة ــ غير انجازه الشديد ــ وكان جوابه ان ناشره (طه حسين) رئيس تحرير مجلة الكاتب المصري يومذاك هو الذي حدد صفحاته اقتصادا في نفقات الطبع .. ولهذا اضاف سلامه موسى الى طبعة عام ١٩٤٨ فصلا في طبعته الثانية ١٩٥٨ ــ ومع ذلك ظل الكتاب موجزا ــ واعتقد ان سلامه موسى ــ على الرغم من جراته المشهورة لم يتوسع في شرح عقيدته الدينية ــ او صوفيته كما كان يدعوها ــ تجنبا لحرج الناشرين ــ وكان له كما تعلم الكثيرون من المحافظين المتربصين الذين اتهموه بالالحاد وبالشيوعية والتناقض وبالتعصب (للفرعونية) ... ولم يزل بعضهم الى اليوم يكتب عنه انه كان من الدعاة الى اللغة العامية ومن الداعين الى الفرنجة والانفتاح على الاوروبية ... الخ ... وقد حاربه هؤلاء دون دراسة او تعقل ...

٣ ــ اما عن اخبار صديقنا البير اديب فما زالت مقطوعة ؟ ولم يصدر « الاديب » منذ عدد سبتمبر .. وجاءني من الصديق وديع فلسطين بمصر الجديدة (وهو كما تعلم ــ مراسل ادباء الشرق العربي والمهجر كافة) ــ ان البريد اللبناني محجوب عنه ولا يعلم شيئا عن اخبار ادباء لبنان جميعا ؟ ! ...

٤ ــ اما مجلة (العربي) الكويتية ــ فقد سمعت ان هناك صراعا على رئاسة تحريرها منذ وفاة عالمنا الدكتور احمد زكي ! ولم اطلع على مقالتك عن (الخيام) والدفاع عنه ، لانني غير متتبع لاعداد هذه المجلة بانتظام .. ولعلي اعثر على العدد الذي فيه مقالتك في مكتبة كليوبترا ــ واسمها (مكتبة الصبر طيب) !!

والى اللقاء يا اخي الاديب العزيز على صفحات المجلات ــ او في الرسائل .. او في لقاء شخصي ــ في اسعد الاوقات ــ ، دمت للمخلص الوفي ، نقولا يوسف .

وارسلت ردي على خطابه هذا بتاريخ ٧٦/٢/١٤ ولاول مرة لم يصلني رد منه ... وكان آخر خطاب كتبته له بتاريخ ٧٦/٤/١٩ اهنئه فيه بعيد القيامة واستفسر عن صحته ، والمؤلم ان هذا الخطاب ارسل اليه وكان قد فارق دنيانا ، وانا لا ادري ــ الا بعد ان قرأت صحيفتنا (اخبار دمياط) تنعاه الى قرائه ...

لقد تراسلنا قرابة عامين وكانت خطاباتنا ندوة ادبية تناولنا فيها الكثير من الموضوعات الذاتية والموضوعية ... وكانت هناك محاولة مني ان اصل الى اعماق اديبنا الكبير واجعله يتكلم عن نفسه لاعرف عنه اكثر مما عرفته عنه في كتبه .

كان اديبنا الراحل من ارق الادباء اخلاقا واقربهم من الذوق الحساس الرقيق ، وكان في كل ما كتبه ودودا متواضعا هادىء الطبع ... لقد اعجبت كثيرا بالمعية خاطره وحيوية ذهنه حتى وهو يعاني مما انتابه اخيرا من ضعف وهفوات صحية ، ولم يحل هذا دون انتاجه فقد توفي ــ رحمه الله ــ والقلم في يده . وكان اديبا اصيلا ينتج في صمت ... عاش لرسالته بعيدا عن الاضواء والضوضاء .

لم يأخذ (نقولا يوسف) حظه من اهتمام النقاد في حياته لانه كان راهب فكر يتعبد في محراب الادب يؤمن برسالته ويضعها فوق كل الاعتبارات ولا ينزل بها دون المستوى من اجل نفع زائل او بريق زائف .. وواجب محبي (نقولا يوسف) ومريديه ان يتناولوا حياته وتراثه بالشرح والتفسير ... فنقولا يوسف يستحق اهتماما كبيرا .. اكبر واعمق مما ناله في حياته .

والآن اسأل : ما مآل مخطوطاته العديدة التي قال لي عنها في احدى رسائله : (امامي عدد من كتبي المطبوعة ــ واكثر منها لم يزل مخطوطا ــ ولعل بين المخطوط ما هو احب الي من المنشور لسبب او لآخر) ...

ورسائله الى مئات من الاصدقاء في العالم العربي ؟ ! هل يتركها اصدقاؤه الادباء تأكلها العثة وتندثر ؟ ! فآمل ان تجمع كل رسائل (نقولا يوسف) ــ التي بعث بها الى اصدقائه العديدين ــ في كتاب خاص يحيي به هؤلاء ذكراه . وان كان هذا متعذرا ، ارى ان يبعث بها الاصدقاء الى (الاديب) الذي يهمه ان تنشر هذه الثروة الادبية القيمة ولا تطمر وتندثر .

القاهرة — ايليا حليم حنا

ظعـون المعـري

*

سر يا ظعون ! ..
واقطع رحلة الموت
سيرا ، يخترق برفق ، وتؤدة ،
هداة الليل ، وضوضاء النهار ، واديم الارض .

سـر ! ..
لا تلو الى الوراء ،
فلا شيء يستحق الذكر ،
الحلو على ظهر هذا الحطيم مر ،
والمر علقم ، والفناء يفتك باستمرار ،
جيش دون دبيب ، جرار ، يتسلل ، يزحف ،
خلسة ، دون حفيف ، يكر
صوته ايماءة هاجرة ،
غفوة ظل ، رفة هدب ،
لا يترنم ... لا يترنح ...

سـر ! ..
كل شيء هالك وله ميعاد ، من قبل ثمود ، وعاد
والانسان مغرور عات ، يبصر بغرائزه ،
يتظاهر بالتقوى صبحا ، ويدس السم مساء ،
يتنكر ، يتلون ، يتنسك ، لصيد الضعفاء ،
سر يا ظعون ! ..
غير آسف ، غير نادم ،
عن حياة براقة ، وعالم مراء ، ماكر ،
الفساد فيه باد ، من قديم ، والداء عياء ،
ولا مجال للحيرة ، والتردد .

سـر ! ..
فقد قطعت حبل الوصل ، واسترحت ،
وسددت على الحبة ، باب الجحر ،
وتبعت الركب الهادي ، بقرار حازم ، صارم ،
استخرت الله فيه ،
يمنحني ، العون ، الايمان ، صوم الدهر ،
بعد ان استرجعت ، وحمدت

سر يا ظعون ! ..
فقد تمادى الباطل ، وصال ،
واشتد ساعد الشر ، وعم اذى الحمق ،
وتعاظم نفوذ الفجار ، والتجار ،
ودنس اولاد الافاعي ، الهياكل ،
واستباحوا حق اليتامى والايامى ،
والانسان الانسان ، مخلوق ضعيف ، لا يساوم ،
منكفيء ، ليس له حول في رد الغوائل ،
انه مغلوب ، مقهور ، يتذمر ، يتصبر ،
وهو في الحق لا يفرق ،

سر يا ظعون ! ..
فقد ضلت الدنيا عن ركب الحق ،
وعن عظمة هذا الكون ، الذي يندي بالخير ،
ويسبح ، المجد ! ..
وراحت تتفنن في تعذيب البنين ،
وقتل الآخرين ، امعانا ... تصميما .
اللعنة ! .. اللعنة عليك يا ام الدواهي ،
يا أم دفر ! ..
لقد اخطات في تقدير جوهر العقل ،
وتفاضيت عن خلود النفس ، وفناء الجسد ،
فحذا ابن آدم حذوك ،
واقدم على اعظم خطب ،
وحطب على ظهره اثام حطب ،
وشمخ ، وعاث وتاه ، في متاهات السراب ،
واضاع العمر ، غير هياب ، للثواب ، والعقاب .

سر يا ظعون ! ..
واقطع رحلة الموت ،
لا شيء يسر في عالم موكوس ،
وعلى الدنيا بعدك العفاء ،
وامر الله ظاهر في التقدير ، والتدبير ،
« من يهد الله ، فهو المهتدي ، ومن يضلل ،
فلن يجد له وليا مرشدا » .

محمود الحسنية



اميل توفيق

في فلسفة العلم
السببية والقوانين الطبيعية

بقلم اميل توفيق

* * *

ان فكرة « السببية » قد اصبحت محورا لكل نظرية عن « المعرفة » في عصرنا الحديث . والحقيقة ان الطبيعة تمدنا بالاحداث التي تقع في نطاق حواسنا . ولا نجد لها وصفا يفسرها سوى « قوانين السببية » وهذا يجعلنا نميل الى التأكيد بأن الاحداث الطبيعية انما يحكمها قانون العلة والمعلول .

ومنذ ان قدم نيوتن قوانينه في الميكانيكا ، وجدت الفلسفة في تلك القوانين مفهوما جبريا ... بمعنى ان هناك اساسا وراء هذا المفهوم ، هو اساس التفسير الجبري لنظام العالم الفيزيقي .

ويهمنا ان ندرس تطور مفهوم السببية منذ القرن التاسع عشر وخلال القرن العشرين . ذلك لان هذا التطور قد ترتب عليه اعادة النظر في فكرة « القوانين الطبيعية » التي قامت على فلسفة جديدة عن السببية .

فما معنى السببية ؟ الحقيقة ان رجل العلم يفهم قانون السببية على انه علاقة تربط بين حدثين — بحيث ان حدوث اولهما (أ) يعقبه الثاني (ب) مباشرة . وهذا التعاقب الزمني بين أ/و/ب يحدث في كل الاوقات طالما بدانا بـ (أ) . فاذا قلنا ان النار تحرق الخشب كانت العلاقة بين اشعال النار (او تسليطها على الخشب) ، وحرق الخشب .. هي علاقة سببية ، لانها علاقة تتكرر دائما طالما سلطت النار على الخشب . او تأمل مثلا آخر .. فمرور التيار الكهربي في سلك معدني ، يحدث انحرافا في الابرة المغناطيسية وملاحظتنا ان التيار يحدث الانحراف دائما .. تؤدي بنا الى علاقة سببية بين التيار الكهربي والمجال المغناطيسي الناتج .. وان هذه العلاقة انما هي تشير الى قانون ، وليس الى مجرد علاقة قائمة على الصدفة . فأحيانا يحدث ان يعقب حدث ما حدثا آخر ويرفض العلم او العقل الواعي ان يعتبر هذه العلاقة الطارئة قانونا سببيا . اما التكرار بين حدوث أ ثم ب في تعاقب زمني فهو الذي يجعلنا نقول ان (أ) هي العلة او السبب .. وان (ب) هي النتيجة او الاثر . ولما كان هذا الارتباط يحدث دائما وصفنا هذه العلاقة بالسببية .

ان التقدم المادي في عصرنا الحاضر مدين للعلم بتطبيقه للكثير من القوانين الطبيعية التي تم كشفها خلال القرنين الماضيين ، وكل نتيجة من النتائج التطبيقية انما تقوم اساسا على قاعدة عامة او اكثر او على قانون او اكثر من القوانين الطبيعية .

تصاغ قوانين الطبيعة اذن في صيغ معينة او في مقولات معينة . نعتبرها علاقات يشار الى ان حدوثها دائم وبلا استثناء . وهذا التحليل ليس فقط يوضح معنى السببية ، بل انه يفتح الباب او يمهد الطريق لكي نمد معنى السببية ، لكي نفسر بها او نفهم بلغتها ما ادخله العلم الحديث من جديد النظرات وبخاصة علم الاحصاء .

ان قوانين الاحصاء — وهي اصلا كانت تطبق في مجال المشاهدة والتسجيل لنتائج تمرينات المصادفة او الصدفة — هذه القوانين اكتشف ان لها اهمية في تطبيقها في مجالات اخرى .

لقد تم عمل اول الاحصاءات الاجتماعية خلال القرن السابع عشر . اما في خلال القرن التاسع عشر فقد ادخل الاحصاء في علم الفيزيقا .

وبتطبيق العلم الاحصائي في الفيزيقا — كما في العمليات الحرارية وغيرها — امكن العالم النمسوي بولتزمان ان يفسر القوانين التي تتم بها هذه العمليات على اساس احصائي . وما كنا نعبر عنه بالقانون الدقيق انما قد حل محله التعبير بانه قانون احتمالي ، وان احتمال حدوثه هو احتمال عال جدا ، مع ترك نسبة صغيرة احصائية او احتمالية للاستثناء . اي ان المفهوم اصبح يشير الى ان (أ) يعقبه (ب) والحدوث بينهما بنسبة مئوية كبيرة جدا — مع النسبة الصغيرة جدا للاستثناء .

بهذه النتيجة دخلت السببية الى مرحلة جديدة . ذلك ان فكرة السببية الدقيقة انما تدرك على اساس تصور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عيناك

عيناك ابحر فيهما
مستشعرا جو الامان
واظل اقبس منهما
نورا يبث بي المنى
ويضيء لي درب الزمان
فاروح اكتب عنهما
شعرا يفيض محبة

عمان ــ الاردن

ويفيض انهار الحنان
فهما اللتان تقدمان لريشتي
سحر القوافي والبيان
وهما هما لولاهما
لولا دخولي فيهما
لبقيت منغلق الجنان !

رياض العزه

مثالي للاحداث المنتظمة (والتي يكون تكرار علاقاتها بأعداد وفيرة) في البيئة ذات الاجسام الكبيرة التي نعيش فيها .

اي ان ما نعتبره قانونا دقيقا انما هو تبسيط لما يشير اليه هذا العدد الوفير من العمليات ذات العلاقات العلية او السببية . ونحن نرى في هذا الانتظام قانونا دقيقا . وما هو في الواقع الا قانون اخصائي او قانون من قوانين الاحتمال .

هذا وليس في مقدورنا ان ننقل فكرة السببية الدقيقة (من العالم الكبير الاجسام) الى عالم الذرات او العالم الميكروسكوبي . واذا جاز لنا ان نعتبر ان السببية قاعدة اساسية في مجال عالمنا الانساني ، او المجال ذي الاجسام الكبيرة .. فان السببية لا يمكن ان تكون هي القاعدة المفسرة للاحداث والظاهرات التي تحدث في العالم الذري او الذرات . انما الحادثان او الوقائع والظاهرات الذرية تفسرها القاعدة البديلة ــ قاعدة الانتظام الاحصائي . وبعدما اكتشف ماكس بلانك ذرية الطاقة ، بما سماه الكم او الكونتم ، واصبحت الميكانيكا هي الميكانيكا الكماتية (وتسمى بالميكانيكا الموجية) اصبحت قوانين الاحتمال تحل محل السببية . وقد عبر هيزنبرج بقاعدته الشهيرة اللاجبرية انه في المجال الذري او مجال تطبيق الميكانيكا الموجية لا توجد سببية . فالمبدا الذي تقره الفيزيقا هو مبدا الانتظام الاحصائي او القوانين الاحتمالية . والمنطق الحديث يقدم لنا وسيلة التعامل بهذه العلاقة . ونعني بها العلاقة التي تتضمن الاحتمال .

والتركيب العلي الذي كونا له صورة في عقولنا ، او الذي بنيناه في تصورنا ، على اساس العلة والمعلول او السببية ، هو تركيب لم يعد يفسر لنا الحادثان او الوقائع كما تقع في الكون . لقد اصبح يحل محله تركيب او بناء آخر على اساس مفهوم القوانين الاحتمالية اي بناء احتمالي للعالم الفيزيقي . ان فهم هذا العالم فهما صحيحا ، وتفسير وقائعه واحداثه انما يقتضي ظهور هذه النظرية الاحتمالية .

على اننا يجب ان نلاحظ حتى بدون نتائج الميكانيكا الموجية ، وبدون اخذنا العالم الذري في الاعتبار ، نلاحظ ان تحليلنا للسببية يظهر لنا ان تصوراتنا الاحتمالية ، او افكارنا الاحتمالية ، لا بد ان تؤخذ في الاعتبار ، اذ هي لا غنى عنها لتجعل السببية دقيقة . ان قانون السببية هو في الواقع قانون صحيح ومثالي ، طالما كانت الظروف مثالية ، وكان تركيب الموضوعات التي تتضمنها العلاقات الموصوفة هي موضوعات لها تركيب مثالي معروف وواضح تماما . اما اذا كانت الموضوعات معروفة لدينا بدرجة كبيرة من الاحتمال ، فاننا لا نستطيع وصف العلاقات بينها وصفا يقوم على التركيب او البناء السببي الدقيق ، ان الدلالة الاحتمالية انما تشير الى اهميتها التفسيرية حتى قبل ان تكتشف ميكانيكا الكم او الميكانيكا الموجية .

وبعد هذا الكشف التوضيحي ، لم يعد هناك فيلسوف لا يأخذ في اعتباره مفهوم الاحتمالات اذا اراد ان يتفهم « التركيب المعرفي » بل لم يعد هناك من ينظر نظرة علمية (فلسفية او تطبيقية) الا ويقرنها بالفكرة الاحتمالية .

ان ما قدمه العلم من نتائج ومفاهيم قد جعل صرح الفلسفة العقلية (او المثالية) ينهار تماما ، بل قلل من قيمتها .. وفي نفس الوقت قد اعلى من قيمة الفلسفة الواقعية او التجريبية ، ولكن على اسس جديدة تماما ، فقد اصبحت هذه الفلسفة تستمد مقوماتها من الفيزيقا الحديثة او بالاحرى من رياضيات الفيزيقا الحديثة .

القاهرة — اميل توفيق

مرجعا البحث :

(1) The Rise of Scientific Philosophy — by Hans Rheichenbach.

(2) Physics & Philosophy — by James Jeans.

ملاحظات على شاعرية ميخائيل نعيمة بين المبدأ والتطبيق

بقلم ممدوح السكاف الهاشمي

* * *

شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر ولادة ثلاث عبقريات فذة ، كان لها اثر خطير في بعث حركتنا الفكرية واشاعة الحرارة في لغتنا وتلوين شعرنا بالوان لم يعرفها من قبل وتفتيح آفاقنا الشعورية والعاطفية على عالم جديد . هذه العبقريات الفذة تمثلت في شخصيات ميخائيل نعيمة ، وجبران خليل جبران وامين الريحاني . ولقد كتبت دراسات مطولة في اعمال هؤلاء الادباء وتحليل آثارهم وتبيان دورهم في نهضتنا الادبية ورصد مذاهبهم وآرائهم في اللغة والشعر والنقد والحياة . وقد اثار كل منهم حوله ، بما اذاع من افكار وطرائق مستحدثة في الفن ، عاصفة قوية ، تصدى لاخمادها المحافظون التقليديون ممن يسيرون على سنن الآباء والاجداد وممن يقدسون موروثنا العربي تقديسا اشبه بالعبادة ، ولكن العاصفة كانت اقوى من الموت واقدر على المجابهة ، والتحدي فلم تستطع صيحات الغضب ان تخنق اندفاعها بل مكنتها من السير الحثيث ووطنتها على التصميم المنتج .

وسنحاول في هذه المقالة ان ندرس ميخائيل شاعرا ، ومعولنا الاول ديوانه الشعري اليتيم « همس الجفون » وقبل ان نبدأ هذه المحاولة لا بد لنا من استقصاء شخصية ميخائيل نعيمة الثقافية والمناهل التي اثرت في تفكيره ، ومن قراءتنا لترجمة حياته في كتابه « النور والديجور » وكتابه الموسوعة « سبعون » نرى ان الحياة بامتداداتها الواسعة الرحيبة وبما فيها من تناغم وتكامل وانسياب هي العامل الاول في تكوين شخصيته الثقافية ومده بالفكر العميق . اما العامل الثاني في تكوين هذه الشخصية فهو اتقانه اللغة الروسية وقراءته لآدابها عندما كان يدرس في اوكرانيا بروسيا ، واتقانه للغة الانكليزية وقراءته لآدابها ايضا حينما كان يدرس الحقوق في جامعة واشنطن بأمريكا . ولا شك في ان اطلاعه على آداب هاتين اللغتين وخاصة الانكليزية قد اضاف الى ذخيرته الثقافية التي استمدها من طبيعة الحياة ، صنيع ابناء الحياة وفنهم في اصقاع الدنيا المتباعدة . اما العامل الثالث في تكوين شخصية نعيمة الثقافية فهو اطلاعه الضئيل في شبابه على كتب الادب القديمة في العربية وما فيها من شعر ونثر وخطب ورسائل ومقامات . ومرد هذا الزهد في التعمق بآدابنا الكلاسيكية ودراستها كون ميخائيل قد ثار على نمطية هذه الآداب وشكلها وجوهرها لانه وجد فيها انغلاقا فكريا وروحيا . ومراوحة واستعادة في الصياغة الفنية وكونه ايضا قد عاش يفاعته وجزءا طويلا من شبابه في غربة متنقلة مما ابعده عن الاطلاع الدائب على ادبنا القديم لعدم توافر مصادره ومظانه ، لذا فالدارس لآثار نعيمة يلحظ ضمور ثقافته في الادب العربي القديم وقلة اتكائه على سالفنا اللغوي .

هذه هي العوامل التي كونت شخصية نعيمة الثقافية ، واذا اضفنا اليها ما للغربة عن ربوع الوطن الام من آثار جليلة وتجارب مخصبة ، وجدنا كم هي غنية هذه الشخصية ومنوعة ، وكم هي ذات ينابيع دافقة وظلال وارفة ، وكم هي مشبعة بالعقل والروح والنماء .

ويقتضينا منهج الدراسة المقارنة ان يكون تخطيط بحثنا كما يلي :

آ) تحليل شاعرية نعيمه ، ب) العرض لشاعريته بين مبداه النقدي وتطبيقه الشعري .

يقف مؤلف (الغربال) من شعرنا وشعرائنا موقفا هجوميا حادا ، فهو يهاجم الشعراء الجاهليين بعنف ويقول ان غثهم اكثر من ثمينهم ، وليس في اشعارهم ما يرفعهم الى مصاف الخالدين ، وهو يهاجم الشعراء المحدثين امثال شوقي وحافظ ومطران ويصفهم بانهم شعراء مناسبات ينتشون المعاجم لتذليل القوافي الشاردة ، ثم ينتقل ليعرف الشعر تعريفا شاعريا اسلوبيا منفلوطيا كأن يقول — انه ترنيمة البلبل ونوح الورق الخ ... ثم يقول في نهاية التعريف — وبعد ان يرفض كل التعريفات السابقة للشعر — « وبالاجمال فالشعر هو الحياة باكية وضاحكة وناطقة وصامتة ومولولة ومهللة ، وشاكية ومسبحة ومقبلة ومدبرة » وما اظن ان في هذا التعريف كبير غناء لانه تعريف للحياة اكثر مما هو تعريف للشعر ، واذا جاز لنا ان نحكم على امر فاننا نعتقد ان ميخائيل نعيمة اراد بهذا التعريف الطويل الحافل بالمتضادات والطباقات ان يقول لنا ان الشعر هو الحياة وبهذا خرج عن جوهر الشعر الى تأثيراته، وانتقل من حقيقة الشعر الى توليداته .

ويعتقد نعيمة ان الشعر ليس صنعة ولا تزيينا ولا زركشة ولا رنينا موسيقيا انما هو معنى الوجود والحياة وعواطف الانسان ضمن الجماعة ، لذا طالب ان ترفع كفة المعنى على كفة اللفظ او كفة الروح على كفة الجسم ، وان يصور الشاعر في شعره الخوالج النفسية من رجاء ويأس وفوز وفشل وايمان وشك ولذة والم وغير ذلك من انفعالات وتأثيرات . وهذا معناه ان نعيمة يجعل للفكرة والعاطفة والخيال المقام الاول في الشعر وللغة المقام الثاني ولعل الذي دفعه الى هذا الاعتقاد ، ضعف لغة ادباء المهجر وضمور العناصر الثلاثة « الفكرة والعاطفة والخيال » في شعر شعراء تلك الحقبة من الزمن في الاقطار العربية .

وقد يكون نعيمة قبس هذا التفكير في الشعر من الآداب الاوروبية والمنزع الرومانسي بشكل خاص . الا انه

يعتقد ان للشاعر دورين ، دورا تجاه نفسه ودورا تجاه مجتمعه ووطنه وامته . اي ان للشاعر عالمين عالمه الداخلي وله يغني ما توحيه « الذات » من انفعالات عاطفية وعالمه الخارجي وله يغني ما توحيه « الجماعة » من انفعالات وطنية وقومية واجتماعية .

لميخائيل نعيمة ديوان شعري واحد هو « همس الجفون » ومعظم قصائده نظمت في المهجر بامريكا بين عامين ١٩١٧ و ١٩٣٠ ، ويبدو ان فلسفته في (وحدة الوجود) قد تكونت اول ما تكونت في قصائد هذه المجموعة الشعرية .

وقد عاش الشاعر قصائد « همس الجفون » في مدن الدخان والنار بين مصانع الفحم والحديد ، ورأى تكالب الناس على الاصفر الرنان ، وخبر قسوة الحياة المادية وجهامتها حين تهمل المقدسات الروحية ، فاثر فيه ذلك كله تاثيرا عكسيا ، دفعه الى تقديس الروح واحتقار المادة وجعله يتعلق بالحياة الصوفية تابسا ملامحها الاولية — هو وجبران — من متصوفي الاسلام كالحلاج ومحي الدين بن عربي وابن سينا .

احب نعيمة الطبيعة حبا خلاقا ، واندمج فيها اندماجا عاشقا لما فيها من جمال وجلال وروعة ، احب الجبال لان في ارتفاعها ارتفاعا للانسان ، وسموا للروح ومعرفة لله ، واحب البحر لانه يعطي المخلوق صورة واسعة عن المطلق واللانهاية والخيال الفسيح ، واحب الارض لانها تهب الكائنات الحية بيد كريمة طاهرة من كل اثم ، واحب الانهار في جمودها وانسيابها ، في مماتها وحياتها وغنى جماع هذه المظاهر الطبيعية في نثره وشعره ، وهكذا فان نعيمة يتامل الكون الطبيعي فيجد في مشاهده الملونة المختلفة دروسا من الفلسفة والتعقل تدعو الى التفكير الدقيق وادامة النظر في اسرار الحياة . وهو يشترك في هذه الميزة — حب الطبيعة واللجوء الى جمالها لتخفيف الآلام وقهر الصعوبات مع بقية شعراء الرابطة القلمية ، ونظرة واحدة على عناوين قصائده في الديوان من مثل «النهر المتجمد» «اوراق الخريف» « ترنيمة الرياح » « نهر يغني » « يا بحر » تثبت ذلك .

واحب نعيمة الخير وكره الشر ونادى بكره الشر لا بكره الشرير ورأى ان الانسان يختزن في اعماقه صورة للملاك وصورة للشيطان وان الصراع بين هاتين الصورتين ابدي سرمدي لانه يعبر عن الصراع بين قوى متناقضة متعادية في الحياة :

دخل الشيطان قلبي ، فراى فيه ملاك
ويلمح الطرف ما بينهما اشتد العراك
ذا يقول — البيت بيتي ، فيعيد القول ذاك
وانا اشهد ما يجري ولا ابدي حراك
سائلا ربي — اي الاكوان من رب سواك
جبلت قلبي من البدء يداه ويداك
لست ادري ارجيم في فؤادي ام ملاك

واعتقاد نعيمه بوحدة الوجود وبأن الذات الالهية والكون والمخلوق جميعها تؤلف كلا جميلا هو الله ، وعنه يصدر كل شيء ، واليه يعود كل شيء دفعه لعدم الخوف من الموت واستقباله بفرح لان الروح ، روح الانسان جزء من روح الله ، ولان هذه الروح الميتة سترجع لتجد في جسدها داخل الحفرة الرطبة نور الحياة مجددا .

وعندما الموت يدنو — واللحد يفغر فاه
اغمض جفونك تبصر — في اللحد مهد الحياه

ويظهر هذا الاعتقاد بوحدة الوجود واضحا في قصيدته « من انت يا نفسي » فنراه يتساءل في مقاطعها تساؤل الفيلسوف الشاعر او الشاعر الفيلسوف عن مصدر النفس الانسانية ومبعثها ، هل انت من البحر ومع امواجه ، ام انحدرت مع الرعد في قصفه او ولدت مع الريح في صوانها او انبثقت من الفجر وضيائه الازرق ، او هبطت مع الشمس واشعتها الذهبية او غردت مع اللحن في انسجامه ؟ . . . ثم بعد حيرة وشك ، وكثير من الاستفهامات يقول :

انت ريح ونسيم انت موج ، انت بحر
انت برق انت رعد انت ليل انت فجر
انت فيض من اله . . .

ويرى نعيمة ان اكبر قوة واعظمها في الانسان قوة الخيال لا قوة العقل فالعقل قاصر عن ادراك الذات الالهية لانه مقيد بالحواس اما الخيال فقادر على الانطلاق والرفرفة في الابعاد والآماد اللانهائية لانه ليس مغلولا بغل . وهكذا فالخيال والعقل دفعا نعيمة الى التامل المجرد في حقائق الوجود ، وكنه العالم ، وفي النفس الانسانية وفي اسرار الحياة فكان ان اعتقد بعد تأمله الرحب العميق الشامل ان الالم هو الذي يوحد القلوب ويصقل احاسيسها ويقيم بينها الروابط المتينة واسباب التعاطف والمحبة ، وان كمال الانسان لا يكون الا بالسلام وان رخاء العالم لا يتحقق الا بالصفح وان الحرب هدر لكل القوى البشرية وان الاخوة الانسانية يجب ان تعلو المكاسب المادية .

اخي ان عاد بعد الحرب جندي لاوطانه
والقى جسمه المنهوك في احضان خلانه
فلا تطلب اذا ما عدت للاوطان خلانا
لان الجوع لم يترك لنا صحبا نناجيهم
سوى اشباح موتانا

هذه لمحة عابرة تطرقنا فيها الى نتف من طريقة تفكير نعيمة وطبيعة عواطفه في ديوانه « همس الجفون » ، ولنا ملاحظات تتعلق بروح الشعر ومادته لديه واولها ان القصيدة عند نعيمة تعبير نفسي متكامل ، او عمل ذاتي تام ، تتجلى فيها الوحدة الفنية ، وتعالج في مجموعها موضوعا واحدا فالشاعر « يسترسل » مع فكرته استرسالا ينسيه احيانا انه يكتب قصيدة ، ويبني كثيرا من قصائده على هذا الاسترسال بل لعله يعمد الى الموضوعات التي تبيح له مثل هذا الانطلاق المسترسل الذي لا يقف بصاحبه الا حين يتعب او يمل ، لا حين يجد الشبع الحقيقي وهو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يصوغ تجربته النفسية في ابيات متعاقبة يجمعها الالتحام والاتساق ، ولعله استمد هذا كله من نموذج القصيدة الغنائية عند الغربيين ، اذ تصل بين الابيات فيها وحدة عضوية متآزرة ولا عجب في ذلك فقد غنى نعيمة كما غنى الرومانسيون آلام النفس البشرية وطفح وجدانه بأحاسيسها ومشاعرها .

والملاحظة الثانية هي فقدان نزعة الحنين الى الوطن ومناجاته والشوق اليه في هذه المجموعة مع ان هذه النزعة تكاد تكون السمة الاشد وضوحا في شعر الشعراء المهجريين الجنوبيين والشماليين ، وهي حادة عنيفة عند الياس فرحات والشاعر القروي وايليا ابي ماضي وجورج صيدح ونسيب عريضة وغيرهم ... فهل نستطيع ان نقول ان تيار الحياة الجديد الاخاذ في امريكا قد حجب عن الشاعر وجه وطنه الام ، وانساه ملاعب طفولته وذكريات صباه ؟ .. قد يصح لنا ان نزعم مثل هذا الزعم اذا علمنا ان نعيمة يكفر بالحدود والاقاليم والاوطان والاعلام والنقود المضروبة — مطبقا عقيدته في وحدة الوجود تطبيقا فضفاضا — لانه يرى ان « الوطن ليس اكثر من عادة » ويسخر من الذين « يذرفون الدمع لفراق اوطانهم ويذوبون حنينا اليها » على حين يحاول الدكتوران احسان عباس ومحمد يوسف نجم في كتابهما « الشعر العربي في المهجر — امريكا الشمالية » ان يلصقا بنعيمة نزعة الحنين الصاقا بمعناها الوطني الواسع الذي تعارف عليه النقاد ، وذلك في قصيدته « صدى الاجراس » فيقولان — « وقد مزج نعيمة بين الحنين الى الوطن والحنين الى الطفولة على طريقة الاسترجاع الحلمي والتوغل في الماضي . كمشي النائم اثناء النوم .. » وهذا فيما نظن نوع من التعمل والتصنع في تفسير القصيدة وتحليلها سيكولوجيا، وحشر للدراسات النفسية في غير موضعه ويقصد بهذا الالصاق الاعتذار عن الشاعر لضمور معاني الحنين في شعره او بالاحرى انعدامها ، ويقينا ان من يقرأ قصيدة « صدى الاجراس » لنعيمة لا يقع فيها الا على بيت واحد يختلج فيه الحنين الى الوطن او الى الطفولة هو قوله :

ذا صوت صباي يردده الوادي وشواهق صنيني

وتعلق نادرة جميل السراج على فقدان هذه النزعة في شعر نعيمة بقولها : « وهكذا جاء شعره خاليا من صور الحنين او مواقف التأثر بطبيعة بلاده التي ظهرت صورها ومناظرها في اشعار زملائه من شعراء الرابطة » وتعلل ذلك قائلة : « ان ميخائيل نعيمة لم يات الى امريكا مهاجرا من بلدته في سبيل القوت والرزق كغيره من المهاجرين ولا فارا من مظاهر الظلم والتعسف كغيره من المسيحيين وانما هو قد سافر طلبا للعلم في الجامعات الامريكية وتزود منه بقسط وافر في السنين الاربع الاولى من قدومه الى العالم الجديد وكان طبيعيا ان يشغل فسحة هذه المدة بالعلم عن تذكر الاهل والديار ، وان ينصرف الى الدراسة التي ابعدته عن الصبابة والتذكار » .

والملاحظة الثالثة ان نزعة التشاؤم تغلب على معظم قصائد المجموعة وان اللون الكامد فيها اظهر من اللون المشرق والانطواء على العواطف السلبية اكثر من الانفتاح على العواطف الايجابية ، ونظرة واحدة على فهرست القصائد في « همس الجفون » يؤكد صحة هذا الرأي وقد يظن ان فلسفته الصوفية دفعته الى هذه النزعة التشاؤمية القاسية ، وقد تكون مطالعات نعيمة للشعر الانجليزي واعجابه بالمدرسة الرومانسية لهما اثرهما في دفعه للسير على هذه الطريقة وتلوين شعره بالنغمة الاسبانية الحزينة كما في قصيدته « التائه » التي يبداها بهذا المقطع :

اسير في طريقي في مهمة سحيق
ووحدتي رفيقي ووجهتي الفضا
مطيتي التراب وخوذتي السحاب
ودرعي السراب ورائدي الفضا

ومن الغريب ايضا — وهي الملاحظة الرابعة — ان نرى ضمور وهزال عواطف الحب نحو المراة في « همس الجفون » فنحن لا نعثر على قصيدة واحدة فيها لوعة المحب وسهر العاشق ، ودنف الصب مع ان ميخائيل نعيمة يعتقد ان الرجل والمراة جناحا البشرية ، وان المراة قلب الانسانية النابض في قلب الله فهل كان تصوفه الفلسفي معوضا له عن حب المراة واستلهامها ؟ ...

لا شك ان حياة نعيمه في شبابه لم تخل من امراة بل من عدة نساء وهو الذي قضى شطرا كبيرا من عمره موزعا ما بين روسيا القيصرية وامريكا فهل يعقل ان يعيش في مثل هذه المجتمعات المتقدمة والمتحللة خلقيا في آن واحد دون ان يعرف امراة ويعاشرها ، ان لم نقل يحبها ؟ .. ان هذا الظن ليكاد يكون ضربا من المستحيل واذ كانت فلسفة النعيمي الاجتماعية والانسانية تدعو الى « المحبة » كي تتحقق سعادة البشرية ، واذا كان قد صرف جهده كتابة وخطبا في الدعوة الى الحب « الكبير » فلماذا لم يعبر في شعره الا في القلة النادرة عن حبه الفردي « الصغير » ؟ .. هل يمكن ان يكون هذا البعد عن وصف عواطف القلب ، نوعا من الرصانة الادبية والفكرية والاجتماعية اراد بها نعيمة ان يميز نفسه عن بقية اخوانه في الرابطة القلمية الذين صوروا حبهم وعذاباتهم النفسية تصويرا رائعا ، وحفلت دواوينهم بأناشيد الفؤاد الولهان والعاطفة الجياشة ؟ ... وهل يتعارض الحب مع التصوف ؟ ... ام هل يتنافى الحب مع وحدة الوجود ؟ ... قطعا .. لا .. واكاد اقول ان نعيمة بالتعبير الحديث (نرجسي) كعمر بن ابي ربيعة مع حفظ الفارق بين الشاعرين عصرا ومنزلة شعرية ومسارا فنيا ، فالنساء يتهافتن عليه وهو يترفع عنهن ، وفي جميع علاقاته الانثوية يصور نفسه انه هو المحبوب وليس المحب وهذا هو عشق الذات . ففي حديثه عن حب (ماريا) له في بولتافا بروسيا يقول في المرحلة الاولى من سبعون « يا لله اي ورطة هي هذه الورطة . ماذا اعمل بقلب لا يرى له حياة الا في قلبي ؟ .. بل ماذا

احنع بقلبي ترتمي عليه القلوب وهو لم يجد بعد قلبا يرتمي عليه » وفي مكان آخر من « سبعون » يصف نزوع « غاريا » الشهواني نحوه فيقول واذا بغاريا تنهض عن كرسيها وبلمح الطرف تطوقني بذراعها وتنكب على فمي بشفتيها مرددة عن كل قبلة خذها .. خذها .. تذكارا من غاريا » .

وفي قصيدة « آفاق القلب » محاولة للتغلب على الحب ودفعه عنه ، وهي مثال فذ على خمود العواطف القلبية عند نعيمة ، وتوقد الافكار في عقله ، ثم الصراع المر بين النقيضين «العاطفة» التي يمثلها القلب و «الفكرة» التي يمثلها العقل ، وها هوذا يخاطب قلبه قائلا :

فكم من مرة هجما عليك الحب فانهزما
وكم ، كم قد جثا قلب امامك حاملا املا
فراح مزودا المـا
فقلت لفكرتي اتقدي وقلت لنفسي اتقدي
فنور الفكر يهدينا اذا ما قلبنا مجدا
ونورا فيه لم نجد

وترى « ثريا ملحس » في دراستها عن تصوف ميخائيل نعيمة ان الحب هو الخيط الاليف الذي لا بداية له ولا نهاية في حياته ، وانه هو الذي دفعه الى ايمانه بالانسان وبالله والى احساسه بالاشراق والفيض ، وتعتقد ان نعيمة « احب نفسه اولا ، ثم انطلق بعد الى الانسان ثم الى الله ، فالخليقة فالوجود » ولانه — كما تقول ثريا ملحس — لم يجد امرأة تشاركه الفهم الالهي ، ولم تستطع الوصول معه الى محجته « راح يستعيض عنها تارة بالدعوة الخيرة الى المساواة التامة بين الرجل والمرأة في الادراك والناسوتية ، وتارة اخرى بالنظر الى ان الزواج فشل انساني » وتسترسل الاديبة ملحس في اسباغ صفات الصوفية وشطحاتها على نعيمة حتى يصل الحب عنده الى المحبة والمحبة الى الحب ، ويذوبا معا . وتنتهي في خاتمة بحثها لهذه النقطة من تصوف نعيمة الى ان « الحب هو المصعد الروحي الذي قربه الى الله ، وكسائر الصوفيين ابتدا بالدين والايمان به ثم بالحب الانساني والتغني به ، ثم انطلق منهما نحو الجمال الاسنى منشدا حبه له » .

وثمة ملاحظة خامسة وهي ان اسلوب نعيمة الشعري يقرب كثيرا من اسلوبه النثري فلغته نقية صافية مترعة بالتعابير الانيقة والصور البارعة المنتقاة والوقع الموسيقي الاخاذ ، وليس في شعره ما يأسرنا من جزالة اللفظ ومتانته لان نعيمة يوجه همه في قصائده للفكرة والجانب العقلي التأملي الباطني توجيها بالغا ، حتى يستنفذ جزئياتها ويغور الى دقائقها فهو يهتم بالمضمون اكثر من اهتمامه بالشكل فالفكرة عنده هي الغاية الاساسية ، اما اللفظة فهي وسيلة لا اكثر لنقل هذه الغاية ، ومن هنا نلحظ غزارة الافكار والمعاني وتزاحمها وتنوعها واسترسالها في قصائد المجموعة ، وخير مثال على شعر الفكرة « المهموس » المتمادي عند نعيمة قصيدته « حبل التمني » وفيها يقول :

فصغيرا قد كنت اطلب لو كنت كبيرا ، ولي صفات الكبير
وكبيرا لو عدت طفلا صغيرا واستردت نفسي نعيم الصغير
وخليا لو كنت بالحب ، مضنى واسير الغرام لو كنت حرا
وفصيحا لو كنت عيا ، سكوتا وسكوتا لو كنت انطق درا
ووحيدا لو كان حولي اناس ومحاطا بالناس لو كنت وحدي
وغريبا او كنت ما بين اهلي وقريبا لو طال او دام بعدي

ولا بد ان نلحظ ايضا ان وظيفة الخيال عند نعيمة وظيفة هادفة فهو ياتي بالصور ، ويعمل المخيلة من اجل ايضاح الفكرة التي يريد ايصالها للقارىء فالخيال في اعتقاده ليس ترفا فنيا بل هو اداة تلبس الافكار وتلبسها الافكار وان كنا نرى مع الدكتورين عباس ونجم ان خيال نعيمة خيال قياسي منطقي « يكفيه ان يعلق بحالة ما حتى يقيس عليها الحالات الاخرى » . ونحن نظن ان هذه القياسية الخيالية — ان صح التعبير — هي من مخلفات التفكير النثري عند نعيمة ، فصاحب الغربال ، والنور والديجور ، وجبران خليل جبران ، وزاد المعاد ، الخ ... الخ ... كان ناثرا قبل ان يكون شاعرا ، وكان فيلسوفا متصوفا ، قبل ان يكون حالما مرفرفا ، وكان واقعيا عمليا ، قبل ان يكون مثاليا خياليا ، فلا بد — والحالة هذه — ان تترسب في شعره معظم طرائق التفكير المقالي ومحاكماتها .

يا نهر ذا قلبي اراه ، كما اراك مكبلا
والفرق انك سوف تنشط من عقالك وهو لا

وجدير بنا ان ننتبه الى كثرة الضرورات الشعرية في المجموعة ومثلها الصياغة والالفاظ غير الشعرية ، والامثلة على ذلك متوافرة تدركها الاذن الحساسة ويكشفها الذوق المدرب ، فما من قصيدة في « همس الجفون » الا وتحوي على قصر للممدود او مد للمقصور ، او زحاف عروضي مستهجن او لفظة نثرية جدا . الا ان هذا العيب ينسحب على الشعر المهجري بأجمعه ، وهو وليد الثقافة العربية المحدودة لدى شعراء المهجر الذين كانوا يكتبون بالايامن ، ويرتزقون بالشمائل ، ولا تدور العربية على لسانهم الا قليلا ، والغربة عن وطنهم الام تكاد تنسيهم لغتهم الاصلية .

ونعيمة بدا حياته الادبية ناقدا يدبج المقالات النقدية لمناسبات صدور كتب زملائه في المهجر والوطن او بدافع نقدي ذاتي لمناقشة وتحليل قضية ادبية من القضايا التي يشجر فيها عادة الخلاف بين النقاد كالمفاضلة بين المعنى والمبنى وادب المناسبات الاجتماعية او شعر السياسة والوطنية والوصف ، الى ما هنالك من مشكلات تستدعي التصادم في وجهات النظر ... نقول ان نعيمة بدا ناقدا ثم انقلب الى شاعر والشعر الذي ياتي بعد نضال نقدي شاق ، وشبه نظرية متبلورة الخطوط او على اقل تقدير ، اتجاه محدد في الفهم والتذوق ، محك ناعم وحساس لما يؤمن به صاحبه من آراء ومواقف واعتقادات نقدية ، وكثيرا ما عرفنا الشاعر يصبح ناقدا بعد ان يشعر بالعجز عن تحقيق المثل الاعلى الذي تستشرف اليه نفسه في الشعر والقيم الجمالية التي يبغي توافرها في القصيدة .

اما ان يبدا المرء ناقدا ثائرا يهدم سؤات القديم ليقيم مكانها حسنات الجديد ، ثم بعدئذ يندفع الى قول الشعر فامر فيه جراة حقا وهو اذا دل على شيء فانما يدل على ثقة مفرطة بالذات ، ومخالفة للعادة والطبيعة في مجال الخلق الفني .

اترى نعيمة كان على وعي بأنه يرسم بشعره انموذجا لما يطلبه ويلح عليه في نقده ؟ ... اتراه يؤمن بأن جمهرة القراء سترى في شعره وفاء بالمنهج الذي رسمه وانسجاما وتطابقا مع المبادىء والقيم والشروط النقدية التي نادى بهـا ؟ ...

ولكن ما هو هذا المنهج النقدي في ميدان الشعر لدى نعيمة ؟ ... وهل استطاع شاعرنا الناسك ان يخضع شعره لآرائه الشعرية وهل التزم في قصائده النصائح التي وجهها الى الشعراء في لهجة تشبه الصراخ الناقم ؟ ...

ونحن سنحاول ان نوجز اهم هذا المنهج مخضعين ما بين ايدينا من اشعار نعيمة لميزانه النقدي نفسه ، ولطريقته في الغربلة والتصفية .

اولا ــ يهاجم نعيمة هجوما ساخرا شعراء الوطن وزملاءه من شعراء المهجر لانهم يصطنعون شعرهم للتكريم والتهنئة والتأبين والوطنية وغير ذلك مما تفترضه المناسبة ويدعو اليه الواجب الاخلاقي ، او العرف الاجتماعي او التزلف النفعي ويضرب كثيرا من الامثلة على ذلك ويهزأ بقائليها . وقد كان نعيمة وفيا لهذا المبدأ في ديوانه « همس الجفون » فانت لا تقع فيه على قصيدة تحفل بمناسبة او تهتم بحدث عائلي او تعبر التفاتا الى مجاملات الصداقة والزمالـــة .

ثانيا ــ ويرى نعيمة انه ينبغي الا يكون الشاعر « عبد زمانه ورهين ارادة قومه » ولكن ينبغي في الوقت ذاته الا يطبق عينيه ويصم اذنيه عن حاجات الحياة وينظم ما توحيه اليه نفسه فقط سواء كان لخير العالم او لويله ونحن اذا استعرضنا قصائد ديوانه ، نجد صدى عميقا لهذه الدعوى الذاتية الخالصة التي ينادي بها نعيمة معبرا عن احاسيسه الوجدانية وعن عالمه الخاص وعن ــ اكاد اقول ــ برجه العاجي لولا قصيدته الرائعة « اخي » التي يصور فيها مآسي الحروب واشباح الموت ؛ داعيا الى انسانية سعيدة يرفرف عليها سلام مطمئن وسعادة روحية وتمحي فيما بينها الفوارق العرقية واللونية والطبقية .

اخي ان عاد يحرث ارضه الفلاح او يزرع
ويبني بعد طول الهجر كوخا هده المدفع
فقد جفت سواقينا وهد الذل مأوانا
ولم يترك لنا الاعداء غرسا في اراضينا
سوى اجياف مونانا .....

ثالثا ــ وحماسة نعيمة توقعه احيانا في شيء من التناقض الفكري وتباين المواقف ، او فلنقل المرونة النقدية . فهو مثلا ــ يقول في (الغربال) « الوزن ضروري اما القافية فليست من ضروريات الشعر لا سيما اذا كانت كالقافية العربية بروي واحد يلزمها في كل القصيدة ... ولا مناص لنا من الاعتراف بانها ليست سوى قيد من حديد نربط به قرائح شعرائنا وقد حان تحطيمه من زمان » بينما نراه بعد قليل يقرر : «فلا الاوزان ولا القوافي من ضرورة الشعر...» وان دل هذا التناقض على شيء فانه يدل على برم نعيمة بهذه الاغلال التي تغل القصيدة العربية ومع كل ذلك وعلى الرغم من هذه الثورة العاتية على الوزن والقافية نرى نعيمة في شعره لم يتحلل منهما ، وان كان قد اختار في الغالب مجزوءات البحور او البحور الخفيفة اللينة ، ونوع القوافي المزدوجة حتى تحول الشعر عند نعيمة الى نغمة يستطيع الانسان ان يترنم بها في صوت خافت ويجد لها طعما ووقعا ومذاقا خاصا مما قرب اسلوبه الشعري من حافة الاسلوب النثري باعتماده علـى ازدواجية الجمل القصيرة والفقرات المتوازنة وامثلة ذلك :

ــ روحي وخلينا ــ بالارض لاهينا ــ نرعى امانينا ــ في مرج اوهام
ــ يا رمز فكرحائر ــ ورسم روح ثائر ــ يا ذكر مجدغابر ــ قد عافك الشجر
ــ اسير في طريقي ــ في مهمه سحيق ــ ووحدتي رفيقي ــ ووجهتي الفضا
ــ انا الجلاد والاسي ــ انا الفرار والهادي ــ انا البلوى ــ انا السلوى

وضيق نعيمة بالوزن دفع به ، كما قلنا سابقا ، الى ارتكاب الضرورات الشعرية المستقبحة ، ونحن نرى صدى هذه الثورة على البحور الخليلية والقافية العربية في « همس الجفون » والتزاما بمبدأ نعيمة في النقمة عليهما ، ولولا ان نعيمة كان يحب ان يطلق عليه اسم « شاعر » لنظم شعره حرا من قيود الوزن متحللا من اعباء القافية تنفيذا لتشهيره بهما ، وقد يحق لنا ان نرى في شعره وفاء بمنهجه تجاه هذين العنصرين من عناصر الشعر .

رابعا ــ وقد طالب نعيمة الشاعر ان يتجنب الخلخلة في ابيات القصيدة والا ينتقل انتقالا فجائيا غريبا من نقد عنيف الى حكمة الى غير ذلك ، وان يبتعد عن التناقض في المعاني كما دعا الى ان تكون للقصيدة وحدة عضوية فلا ينفلت الشاعر من نائح يبكي الى ناقد يسخر الى مغرم يتغزل الى مادح ، الى شيخ الـى اقتصادي الى عالم اجتماعي الى فيلسوف الى لاهوتي ... الخ ...

والواقع انه ليس بين شعراء الرابطة القلمية من هو ادق تمثلا للمخطط الكلي العام لقصيدته من نعيمة ، حتى ليخيل اليك انه على وعي كامل ، وفهم مسبق ببدايتها ووسطها وخاتمتها ووحدتها المعنوية وانسجامها الفكري ، وتسلسلها المنطقي وانسراحها الطبيعي فكأنه بذلك يرسمها امام ناظريه قبل ان يخط فيها حرفا واحدا ، وقد يكون ابو ماضي ــ كما يرى صاحبا كتاب « الشعر العربي في المهجر ــ امريكا الشمالية » ادق احساسا منه بنمو القصيدة غير انه لا يدانيه في تصور الحدود الكلية التي تتدرج فيها قصيدته . واذا كان نعيمة لا يملك حدة الانفعال كأبي ماضي ، فان لديه الدقة الكلاسيكية التي تؤدي بصاحبها الى التركيز الشديد وتفصيل التعبير على جسم المعنى دون زيادة او نقص ، وهذا لا يتعارض مع ما قلناه سابقا عن استرساله

مع فكرته فانما هو استرسال في داخل هذه الحدود ؛ فموضوع قصيدته النفسي الفلسفي التأملي هو الذي يملي عليه هذا الاسترسال لا اغفاله لحدود القصيدة او تهاونه في التركيز .

خامسا ــ وقد نبه نعيمة الشاعر الى ضرورة الابتعاد عن التقرير واللجوء الى الوصفة ليحدث التاثير في القراء فانه لو بقيت شهر ــ نقلا عن نعيمة ــ بل عاما اقول للناس : « يا ناس اني بكيت » لما بكي معي احد ولما رق لحالي مخلوق ، غير اني لو ادخلتهم قلبي وقد خيم الحزن فيه وفتحت امامهم ابواب نفسي وقد غلقت في شراك الناس لتبللت مع عيني عيون ، وهذه هي مهمة الشاعر .

وقد استطاع نعيمة حقا ، ان يكون في شعره شاعر العواطف المصورة الموصوفة بشفافية وانسياب ، ففي جميع قصائده تلمح تصويرا لحالات النفس كما تنبعث من الداخل : تصوير للنفس الانسانية في قلقها وسخطها وبرمها ، وتفاؤلها وانبساطها وايمانها ، ووصف للطبيعة في عبوسها وجهامتها وفي فرحها وانطلاقها ، ورسم للعوامل النفسية في ذوات البشر ، بعقدها واوهامها ، وبصفائها ورقتها ، انه يستوحي الحياة ، ويعطيها حياة جديدة على الورق دون تقريز. وفي قصيدته (اوراق الخريف) نجد مثالا واضحا على شيء مما ذكرنا :

تناثري ... تناثري ... يا بهجة النظر
... يا مرقص الشمس ويا ارجوحة القمر
يا ارغن الليل ويا قيثارة السهر
يا رمز فكر حائر ورسم روح ثائر
يا ذكر مجد غابر قد عانق الشجر

تناثري ... تناثري

تنادينا ــ ولم يغفل نعيمة في منهجه النقدي اسلوب الشعر او ما دعاه بالسروال الخارجي : دقة تراكيبه وحلاوة رنينه وطلاوة الوانه ، وما اشبه . والحق ان نعيمة من اصفى شعراء المهجر ديباجة ورقة لفظية وسبكا شعريا فهو من اولئك الشعراء الذين يعرفون كيف ينزلون الكلمة في منازلها وينشئون التركيب في استوائه ، لا هلهلة ولا تقعر ، وانما انسياب اشبه بانسياب الجدول الرقراق الصافي ، فوق الحصى البراق ، وتمثل غني خصب لموسيقى الشعر في حركتها الداخلية وفي جريانها الخارجي وقدرة ملموسة على التلوين العاطفي ياسا وقنوطا ، وحبورا وغبطة ، وفي قصيدته (ابتهالات) لمع من هذه كله :

اكحل اللهم عيني
بشعاع من ضيائك
كي تراك
في لجميع الخلق : في دود القبور
في نور الجو ، في موج البحار
في صهاريج البزاري ، في الزهور
في الكلا ، في التبر ، في رمل القفار
في قروح البرص ، في وجه السليم
في يد القاتل ، في نجع القتيل
في سرير العرس ، في نعش العظيم
في يد المحسن في كف البخيل

الا ان هذا جميعه لا يمنع ان نعيمة كان ، احيانا ، يهوي الى حضيض النثرية السافرة والالفاظ والتراكيب اللاشعرية متاثرا بطبيعته الأدبية كناثر اولا ، وكفيلسوف صوفي ثانيا ، مثال ذلك قوله من قصيدة « النهر المتجمد » وهي القصيدة التي نظمها بداءة بالروسية ، ثم صاغها مجددا شعرا عربيا :

لكن سينصرف الشتا وتعود ايام الربيع
فتنك جسمك من عقال مكنته يد الصقيع
يا نهر ... ذا قلبي اراه كما اراك ، مكبلا
والفرق انك سوف تنشط من عقالك وهو لا

ومن قصيدة الى : M.B.D.

انا الدمع الذي لمعا بعينك عندما انقشعا
لاول مرة ، عنها ضباب الغيب والوسن

سابعا ــ يرى نعيمه ان العصرية في الشعر ليست في ان يملأ الشاعر ديوانه بالصور والرسوم وانما العصرية ان تستفيق نفوس الشعراء على رعشة الحياة في داخلها « لقد كان واحدهم سابقا يكتفي بنشر ديوانه مبوبا تبويبا محكما ، او مرتبا حسب احرف الهجاء ، اما اليوم فتأخذ الديوان وتجد فيه عدا القصائد الشائقة « العصرية » رسوما لا تترك عندك من شك في عبقرية الناظم » .

والعجيب ان يهاجم نعيمة الشعراء الذين يزينون ويحلون دواوينهم بالصور والرسوم ويعمد هو ــ زيادة في اظهار مواهبه ــ الى ملء ديوانه « همس الجفون » بالواح ابدعتها ريشته وريشة زميله جبران خليل جبران (الطبعة الاولى للديوان ١٩٤٣ م نشر مكتبة صادر ببيروت والرسوم منشورة مقابل الصفحات ٨ ، ٢٠ ، ٢٨ ، ٥٢ ، ٩٢ . اما الخطوط فبريشة الشيخ نسيب مكارم ، وقد اعتمدت هذه الطبعة في دراستي) انه الانسان .. ولا بد للافكار المفرقة في المثالبة من ضريبة ، وكثيرا ما تكون الضريبة تناقض الشاعر مع نفسه احيانا .

وبعد ... فقد كان تصور نعيمة للشعر احيانا ، تصورا ذاتيا ، خاصا به ، يدور في عالم نعيمي وان كانت اشتات من هذا التصور ، تلتقي مع اشتات من تصور العقاد الا ان نعيمة استطاع الى حد كبير ان يعطينا في شعره ما طالب به في نقده ، وهذا ما لم يستطع العقاد الوصول اليه والحقيقة التي لا سبيل الى انكارها ايضا ، ان نعيمة شاعر لم يبتذل ملكته الشعرية مرة واحدة ولم يتملق شعوره ابدا ، بل كان دائما مستلهما ، لما يؤمن به ، وفي هذا وحده ما يجعلنا نشعر بالاسف على انه انصرف عن حقل الشعر الى حقل النثر ولعله وجد المجال هنا اكثر اتساعا لنزعته الاستغراقية التأملية الشمولية التي لا يحتملها الشعر بما طبع عليه من تركيز ولمع وايحاء .

حمص — ممدوح السكاف الهاشمي



جميل بركات

محمد اقبال الشاعر الفيلسوف

بقلم جميل بركات

* * *

تحتفل باكستان بالعيد المئوي لميلاد شاعرها الموهوب اقبال الذي كان يؤمن بأن الحرية هي اثمن شيء في الوجود ونعيم الحياة وسر البقاء ، متخذا من قول الخليفة عمر بن الخطاب المأثور : «كيف استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا» نبراسا ومعنى للحرية التي كان يدين لها ويلتزم بمبادئها ، لهذا كان متعاطفا مع البشر دون تمييز يؤيد ذلك قوله :

لم الق في هذا الوجود سعادة كمودة الانسان للانسان
لما سكرت بخمرها القدسي لم احتج الى تلك التي في الحان

قرأ القرآن وتفهمه وهو فتى صغير يوم قال له والده : « يا بني اقرأ القرآن كأنه نزل عليك ، فتسود كما ساد قادة العرب الاوائل ، فمبادؤه من توحيد واخاء ومساواة هي اسمى المبادىء التي تتوخاها البشرية ، فعن طريقها تصان كرامة الانسان وتحفظ حقوقه » .

وهكذا كان ، ففهم اقبال الاسلام على حقيقته ، واخذ على عاتقه ايقاظ همم الناس ، وتعريفهم بأن من عرف نفسه فقد عرف ربه ، مؤكدا ان صلاح الفرد هو صلاح المجتمع . لهذا يعتبر نموذجا فريدا في شخصيته ، فاحتل مركزا مرموقا في الادب العالمي المعاصر بعد ان ترجم الكثير مما كتبه في الشؤون الاجتماعية والادبية والفلسفية شعرا ونثرا الى اللغات الحية من انكليزية وفرنسية وروسية والمانية وايطالية وتركية وعربية .

كان مربيا فاضلا ووطنيا صادقا ، وداعية اصلاح وخير ، وهو من الرجال الافذاذ المشهود لهم بالرأي الثاقب وبعد النظر ، عمل على التخطيط لدولة باكستان بعد ان ايقن ان الاستعمار البريطاني في الهند قد زرع بذور الحقد في نفوس سكانها وثبت جذوره ، فسالت الدماء في ثورات اهلية طاحنة لا يكاد يخبو اوارها حتى تستعر من جديد ...

فأعلن اقبال بملء فيه بأن خير وسيلة لوضع حد لهذه المآسي التي تقع في اكبر منطقة على وجه الارض مساحة وسكانا ، هي تقسيمها على اسس جنسية ودينية ولغوية ليستطيع الناس هناك العيش بسلام في مجتمعات وبيئات تلائم عاداتهم ومعتقداتهم .

ويوم ذاك وصفت اراؤه هذه بانها خيال شاعر مجنون ، والشعراء يتبعهم الغاوون ... الخ .

فالاستعمار كما خيل لسواد السكان هناك لا يمكن ان يقيم دولا مستقلة في شبه القارة الهندية ، ويغادر من حيث اتى بعد ان ذاق حلاوة خيراتها واستغل مواردها التي لا تنضب ، وسخر اهلها كعبيد اذلاء لخدمته . وفي حروبه وغزواته كان يحارب لآخر جندي هندي يؤكد هذا القول احصاءات قتلى ومشوهي الحربين العالميتين الاولى والثانية . كما انه يمنع اقامة اية صناعة وطنية ، فكشمير التي انحدرت منها اسرة اقبال كانت تشتهر بصناعة يدوية فريدة ، هي الاقمشة الحريرية الدقيقة ، فقطعت ابهام كل يد صانعة فقضي على تلك الصناعة ولم تبق منها الا نماذج في المتاحف لتدلل على طغيان الاستعمار وجبروته ، ناهيك بما كان يلاقيه الاحرار من اضطهاد وتعذيب ، فأثر ذلك في نفس اقبال الذي ادرك ان المستعمرين لا يسودون الا في الجهل .

سمعت باسمه وانا فتى لم يتجاوز عمره عشرا من السنين ، حين عقد اول مؤتمر اسلامي في القدس برئاسة سماحة الحاج امين الحسيني عام ١٩٣١ حيث كان اهلها يرددون اسماء شخصيات عربية واسلامية قدمت من كل قطر قاص ودان ، وذلك لبحث وسائل العمل لانقاذ الديار المقدسة من الانكليز الذين جاؤوا لتهويد فلسطين .

وقد ظل اسمه عالقا في ذهني الى ان وعيت فعرفت بعدها بعض الشيء عنه من مجموعات الصحف والمجلات التي كانت محفوظة في مكتبة المسجد الاقصى ومما كتبه عنه وترجمه له استاذنا المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام ، وقد لفت نظري ما قرأته من خطاب له في ذلك المؤتمر قوله : « ان مستقبل فلسطين متوقف على وحدة العرب وعلى هذه الوحدة يتوقف مستقبل الاسلام والسلام » .

وفي موضع آخر يقول ساخرا من مزاعم اليهود الذين يدعون ملكية فلسطين لانهم سكنوها في قديم الزمان :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نعمة الحب

لا تقولـي استعبد القلب هوانا ... نحن لولا الحب لـم نخلق كلانا
لا ولا كنـا دعـاء في صـلاة ... رددتهـا في خشـوع شفتانـا
انـه الحـب الـذي صيرنـا ... مهجـة حـرى ووجدا وحنانا
جمـع الله عليـه شملنـا ... وبـه نحيـا سلامـا وأمانـا
منحـة الله الينـا فاحـذري ... ان تداري اليوم ما الله حبانا
انـه عالمنـا مـن ريـق الاحـلام صغنـاه ورودا وجنانـا
قبلنـا لـم يـك احباب ولا ... كان هـذا الكون للحب مكانا
فاتينـاه فـامسى روضـة ... بعـد ان كـان ركاما ودخانا
ومنحنـا البلبل الغريـد لحـن الحب حتى صار يحكي عن لفانا
فانظري كيـف اصطفينا جنـة ... دون خلـق الله ، والله اصطفانا
انـه الحـب الـذي صيرنـا ... في عفاف الزهر معقودا لوانـا
نحـن بالحب غدونـا حـرة ... أنفسا منـا وعينـا ولسانـا
كانت الدنيـا ظلامـا داكنـا ... فاتيناهـا فضـاءت بروانـا
ومضينـا فـاذا النجـم لنـا ... رحلـة والسعد يحدو بخطانا
انـه الحـب الـذي صيرنـا ... اصفيـاء العشق والله هدانـا

القاهرة — حسين خريس

« ولماذا لا يطالب العرب باسبانيا التي ملكوا زمامها قرونا طويلة وبنوا فيها اعظم حضارة عرفها الانسان !! »

وهكذا تحققت نبوءة اقبال ، فبعد موته بسبع سنوات تاسست باكستان حلمه الجميل الكبير ، دولـة مستقلة باسقة بقيادة الزعيم الراحل محمد علي جناح فلم تعد خيال شاعر ، ولكنها كانت فكرة عبقري حكيم آمن بها الشعب فاستجاب له القدر .

وتدور الايام فاذا بي ازور كراتشي عام ١٩٤٩ يوم عقد فيها اول مؤتمر اقتصادي بعد الاستقلال . وفي تلك الايام كادت الحرب ان تقع بين دولتي الهند وباكستان بسبب كشمير . والباكستانيون كانـوا يؤيدون مطالب سكانها بتقرير مصيرهم باشراف هيئة دولية : والهنود كانوا ضد هذا الراي خشية من نتائج الاستفتاء .

وكان الاستعمار الغربي الذي خرج من شبه القارة الهندية بعد استقلال هاتين الدولتين يحرك نار الفتنة هنا وهناك ، فالمندوب السامي البريطاني المقيم في كراتشي يؤيد موقف باكستان بتقرير مصير كشمير ، بينما صنوه في دلهي كان يشجع الهند على رفض تقرير المصير .. !!

في هذا الجو المحموم كثر الحديث عـن اقبال في العاصمة كراتشي وعن آرائه في مقومات الدول ، وفي لقاءاتي المتكررة مع من عرفتهم من الشخصيات هناك اكتشفت ان الناس معجبون بشاعر باكستان العظيم الذي كان من العاملين من اجل بعثها وحريتها ، والمتطلع الى عالم انساني واسع الآفاق ، تسوده المحبة وروح التعاون ، يبدأ بوحدة العرب وتشع في جنباته حضارتهم في بلاد الشام ومصر والعراق والاندلس ، لتلتقي مع حضارات الامم الاخرى . يعزز آراءه هذه ما ورد في احدى قصائده التي ترجمها شعرا الى العربية الصديق الفاضل الشيخ صاوي شعلان من علماء الازهر ، اقتطف من ابياتها ما يلي :

يا ظل حدائق اندلس ... انسيت مغانـي عشرتنا
وعلـى اغصانك اوكار ... عمـرت بطلائع نشاتنا
يا دجلة هل سجلت على ... شطيـك مآثـر عزتنـا
امواجك تـروي للدنيا ... وتعيـد جواهر سيرتنا
يا ارض النور من الحرمين ... ويـا ميـلاد شريعتنـا
ان اسم محمد الهادي ... روح الآمـال لنهضتنـا
دوت انشـودة اقبـال ... جرسا ايقظ فيه الزمنا
ليعيـد قوافلنا الاولى ... في المجـد ويبعث امتنا

رحم الله اقبالا ، ومن حقه على باكستان والعرب والمسلمين ان يحيوا ذكراه وان ينهلوا العلم والمعرفة من آثاره ، وان يستفيدوا بل ويتعلموا من رده على ديكتاتور ايطاليا موسوليني غازي الحبشة الذي قال « ان من ملك الحديد فقد ملك كل شيء » فاجابه اقبال « ان من كان عزمه قويا كالحديد فهو كل شيء » !!

عمان — الاردن — جميل بركات

الرحيل

بقلم حسني سيد لبيب

*

الرحيل هي الكلمة الوحيدة التي زعقت بها الشفاه . فالثلاثة تركوا آمالهم في القاهرة ، ولا يربطهم بهذه البلدة الصغيرة سوى العمل . وما اقساه من عمل ! . احد الثلاثة — فؤاد — عين منذ خمس سنوات وترك في الزقازيق زوجا واولادا ثلاثة . اما الآخران فقد كانا حديثي عهد بالمهنة ، ولا تتجاوز خبرتهما شهور العام الدراسي التسعة .

فصول الجيش المنسحبة تمزق القلوب . صرخ حسن حين لمح جنديا يقع على الارض اعياء ولا يزال محتضنا مدفعه ، فرحلة الصحراء قاسية .. وما اقسى ان يتراجع الجندي ، وما امر هذه الخطوات المشلولة ! . صراخ حسن تحول الى بكاء . تهالك في موضعه وهو غير مصدق لما حدث . هل انتهينا ؟ .. أننسحب الى غرب القناة ؟ ! .

زميله فؤاد يحبس انفعالاته ، ولا يبدو على ملامحه الا الغضب . يصل اليه صوت المأمون ناصحا بالرحيل . صرخ حسن :

— انرحل ؟ .. انها اكذوبة . انا لا اصدق المذياع . ان العالم الذي حولنا موبوء بالاكاذيب . تسعة اشهر عشتها في « القنطرة شرق » ، تألمت لفراق اهلي ، لكني احببت هذا المكان ، واحببت التلاميذ ، وعلقت آمالا كبارا ان استقر هنا .

ان الثلاثة — منذ بدء العدوان — يعيشون في بيت ناظر المدرسة ، حيث دعاهم ليؤنسوا وحدته . فليس في البيت زوجة او اولاد . انه يعيش وحيدا . رضي بمهنته وأحب المدرسة وتلاميذها ، واحس بانه اب كبير للتلاميذ والمدرسين على السواء .

— لا بد ان نرحل .

همس فؤاد بالعبارة وهو يتظاهر بالاتزان .

— والاستاذ عزيز .. انتركه ! .

— يرحل معنا - اذا اراد .

وخيم الصمت الكئيب ..

شرد حسن . لم يحاول ان يتدبر امرا ، فقد جمد تفكيره .. قال لهما :

— في الظلام الكئيب ، كنا نتهامس عن مصير الحرب وما ستسفر عنه .. اما الناظر ، فقد كان يحلم بالعزف على قيثارته الحبيبة ، وكان يلعن الظلام .

هبط المأمون الى الطابق السفلي ليخبر الناظر عزمهم على الرحيل . الفاه يطهو طعام الغداء ، فوجم .. اقتعد كرسيا ، وراقبه لحظات ثم قال :

— حقا نحن في حاجة الى الطعام ، شكرا يا استاذ عزيز .

دخل احد الجيران في عجلة ، صائحا :

— حضرة الناظر ، الا ترحل ؟ ! .

ابتسم الناظر في هدوء ، ثم سأل :

— ارحل عن الدنيا ؟ .

— عفوا يا سيدي .. عفوا .. امد الله في عمرك . اقصد ان نرحل الى حيث الامان . الم تسمع النبأ المفجع ؟ . جيشنا ينسحب .. لماذا نبقى ؟ .. انبقى للمذلة والهوان ؟ ..

انبقى لنصير لعبا تحركها جماعة من الحاقدين ؟ .

اجابه الناظر بنظرة صامتة . هبط حسن وفؤاد وتبادلا مع الرجل القادم كلمات غير مرتبة ، يشوبها التوتر . وفي كثير من الاحيان لا تعبر الكلمات عن رغباتهم الحقيقية . واملى انفعال اللحظة امرا غير طبيعي بالنسبة لهم . عزم الثلاثة على الرحيل ، بعد احتدام المناقشة .. اقنع كل منهم الآخر بسلامة هذا الموقف .. وحين حاولوا اقناع الناظر ، سألهم على الفور :

— الا تشعرون بالجوع ؟ .. لقد تم اعداد الطعام .

تحمس حسن لكلماته ...

— نعم يا استاذنا .. نشعر بالجوع . هيا نتغدى . ان الساعة تقترب من الرابعة ولم نتناول شيئا منذ الصباح .

جلسوا الى المائدة . التهموا الطعام في عجلة ، احساسا منهم بأنهم على اهبة الرحيل . وتناول الناظر الطعام ببطء ، وكان يتملى في وجوههم الحزينة .

وبعد تناول الطعام ، كانت هنالك مهمة شاقة تنتظرهم .. هي اقناع الناظر بالرحيل . صاح حسن :

— سيدي الناظر ، لا بد ان ترحل معنا .

كان الموقف دقيقا ، لكنهم لم يتدبروا الامر جيدا .. فالموقف عصيب ، والوقت لا يمهلهم ، والمصير يتحدد بتصرفهم الآن ..

انتحى المأمون بالناظر جانبا ، وقال له في مودة :

— سيدي الناظر .. انا حائر بين حبين ، حبي لك وحبي لزوجتي واولادي الثلاثة . اذا بقيت هنا فسأحرم منهم ، واذا رحلت فسأحرم منك . لهذا ارجوك ان توافق ، ان تصحبنا في رحلة لا نريدها ، لكنها مفروضة علينا .



اجابه الناظر :

ـــ اذا رحلت معكم فساحرم من البيت ، والبيت عالمي البهيج ، واذا بقيت فساحرم منكم ، وانتم اصفيائي .. فماذا اختار ؟ .

ازيز الطائرات يؤلم الآذان .. ودوي المدافع يزعجها .. ونذر الشؤم تتكثف في اخيلتهم ، تلتهب في عروقهم، تتصاعد ابخرتها الى عقولهم .

ماذا يفعلون ؟ .. الاهل في القاهرة قلقون ، ولا بد من الرحيل ! .

ودعوا الناظر بالقبلات والدموع ، ثم ساروا في جنازة بلا نعش .. خطوا خطواتهم المتثاقلة صوب القناة ، ساروا عشرات الامتار ثم جمدوا في اماكنهم ، تسمروا في الارض .. التفتوا ناحية البيت كانهم يطمئنون عليه .. التقت عيونهم الحائرة بعيني الناظر الدامعتين . اشار اليهم كي ينتظروا ...

وانتظروا .. انتظروه طويلا .

تهيأ الناظر للرحيل . كان يودع البيت .. لثم قيثارته الصامتة ، وخيل اليه انها تشجيه بانينها . احس وهو يلثمها بأنغام حزينة تنوح بها . كان يدخل غرف البيت ، يتملى فيها ، ثم يحكم رتاج ابوابها . واخيرا ، اخذ يتمشى في حديقة البيت منعما النظر فيما حوله من خضرة وازهار .. ثم خرج، واغلق الباب الخارجي باحكام. وضع المفتاح في جيب سترته في حرص شديد وهو يحس بأنه قد افتقد شيئا غاليا . لكن احساسا طاغيا اكد له بانه سيعود في القريب، وتحت سيطرة هذا الاحساس قرر الرحيل ، لكنه لم يحمل معه شيئا من ملابسه او حاجياته .

تحرروا من وقفتهم الصامتة حين لمحوه مقبلا . تهللت اساريرهم ، واحسوا بالاطمئنان . ان الناظر لن يتخلى عنهم ، لن يتركهم . انه ، اثناء الدراسة ، يرشدهم ويعمل على راحتهم ويذلل ما يواجهونه من صعاب . وفي ايام المعركة الفاصلة دعاهم للاحتماء في بيته . وشملهم بعطفه .. وها هو ينوي الرحيل من اجلهم ، فاحسوا به ابا حانيا يتنازل عن الزم حاجياته في سبيل راحة ابنائه .

عانقهم من جديد . وحين عاودوا المسير ، تمهل الناظر قليلا ، وتملى النظر الى بيته .

بدأت الجنازة الصامتة المسير . احاطوا الناظر واحتفوا به .. تحرروا من الصمت ، وتبادلوا الكلمات عن الاهل والقلق الذي يؤرقهم . ازيز طائرة نبه الناظر من شروده ، تتبعها بعينيه ..

الطائرة تحوم حول بيته ، يا لها من طائرة وقحة ! . الطائرة تعلو وتهبط ، انها الآن فوق البيت ، اتريد ان تنسفه ؟ ! . يا الهي ! ... كيف ذلك ؟ ! . توقفوا عن المسير وتابعوا معه النظر والترقب . الطائرة لا تختفي الا لتعود ، فاحس بقلق بالغ .. همس :

ـــ نسيت قيثارتي ..

وقفل راجعا ، بينا قلوبهم تخفق خشية وخوفا .. وترقبوا هذه اللحظات الحاسمة حتى يعود اليهم . تعلقت ابصارهم بالبيت ، وتوقعوا مجيئه من فينة لاخرى .

اختفى قرص الشمس في كبد السماء ، وزحف الظلام وانتشر .. لكن صورة البيت بدت لهم واضحة ، وكأنه يتحدى الظلام الزاحف .

تناهت الى آذانهم انغام القيثارة الحبيبة . همس المأمون :

ـــ عاوده الحنين الى العزف .

وقال حسن :

ـــ انها انشودة الرحيل ..

وسأل فؤاد :

ـــ هل يعود ثانية ؟ .

ولم يتلق جوابا . وظل السؤال حائرا بينهم ، ولا يجرؤ احد منهم على ان يجيب . فقط ظلوا يترقبون عودته. ان الظلام يخيم على المكان ولم تعد تستبين لهم حدود المرئيات .

اخذ حسن بروعة الانغام ، شنف اللحن اذنيه ! . وتبدى له وجه الناظر مضيئا وسط ظلام قاتم . احس بأمل حلو يزغرد في اعماقه .. صاح :

ـــ ليست انشودة الرحيل .. انها ، يا رفاق ، انشودة العودة .. اجل .. هي انشودة العودة .

وفجاة ، روعهم انفجار هائل اختلط صوته بأنات القيثارة ، فجمدوا في اماكنهم .

اهتز الوجه المضيء في مخيلة حسن ، وضاعت الصورة في ضباب اساه ، اختفى الوجه المضيء ، وخمد النغم الحبيب .

هدأ الانفجار المروع ، وتلاشى الصوت المدوي ، وعاد السكون يخيم على المكان . النغم الحبيب لم يعد يشنف آذانهم . تبدد النغم وضاع في السكون الابدي .

بكى حسن وتمزقت الكلمات على لسانه ، وتوترت اعصاب المأمون ، وخرج عن وقاره واحتدت كلماته .. بينا القى فؤاد نظرة ثاقبة على بيت الناظر . وبرغم الظلام الحالك ، فقد تيقن من ان البيت اصبح اثرا بعد عين ! .

انتشلوه من تحت الانقاض ، ووسدوه الثرى . ثم استداروا في اتجاه القناة ، واصلوا السير في جنازة صامتة . غاب قرص الشمس، وخيم الظلام ، لكنهم يأملون في ان يسمعوا انغام القيثارة من جديد . جالت عيونهم في الظلام الحالك ، وتحسسوا الطريق الى ضفة القناة ! .

ما اشقى عبور القناة الى الغرب ! .. ما اشقى الرحيل ! ..

القاهرة — حسني سيد لبيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاستاذ العامودي والصحافة

بقلم ابو حسام

* * *

فرحت حين علمت ان الاستاذ الكبير محمد سعيد العامودي قد ترك عمله الصحفي ، ليتفرغ الى جمع آثاره الادبية على مدى اربعين عاما او تزيد ، لان الذين تحملوا رسالة الصحافة منذ اربعين عاما فاكثر كانت لهم مثل ادبية لا تجد الرواج اليوم ، وانا اعرف من هؤلاء المجاهدين الصابرين اعلاما بررة كالاساتذة محمد فريد وجدي واحمد حسن الزيات واحمد امين والبير اديب وعبد القدوس الانصاري ومحمد سعيد العامودي ! اعرف انهم عشقوا الصحافة لانهم ادباء باحثون يملكون نعمة البيان الجيد ، والتفكير النزيه ، ويضيئون الى شمائل عالية من الخلق النزيه ، فالاستاذ منهم في مجلته كالاستاذ في الكلية الجامعية يوجه ويرشد ويختار الاجود وينفي الرديء ، وقد تأتيه المقالة الناقصة فيرسل الى صاحبها ناقدا وطالبا بعض الاضافات او حذف ما يجب ان يحذف ! وقد تأتيه مقالة من كاتب مغترب في قطر نازح وهي تحمل من الافكار ما يجب ان يذاع ، ولكن الاسلوب التعبيري مهلهل ركيك ، فيحاول رئيس التحرير ان يصوغها من جديد ، مدخرا تعبه عند الله ، رايت هذا بنفسي مرات ومرات حين كنت ازور بعض هؤلاء الكبار ، وقد يجد الواحد منهم بحثا يحتوي على حقائق تاريخية او سياسية او ادبية ليست مما يعلم ، فيضطر الى مراجعة المصادر كيلا يقدم للقارىء شيئا لا يتأكد صوابه ! وقد يأتيه مقال يحوي تهجما على بعض الشخصيات الماضية او الباقية ، فيضطر الى ان يخفف اللهجة بما يضيع الكثير من وقته في الزيادة والحذف والمحو والاثبات ! ويظهر المقال للقارىء وكل فضله يرجع الى الكاتب ، اما جهد الفدائيين من امثال الاستاذ العامودي فقد ستره الايثار بالف نقاب ! . .

فرحت باعتزال الاستاذ العامودي ميدان الصحافة بعد جهاده الشاق ورئاسته لاكثر من ثلاث صحف ذات هدف واعباء ، اذ انه قام على تحرير جريدة صوت الحجاز ثم على تحرير مجلة الحج ثم جمع اليها مجلة الرابطة ، كما اسهم في تأسيس لجنة احياء المخطوطات المكية ، ولجنة النشر العربية بمكة ، وعمل في ادارة الطبع والنشر مرؤوسا ورئيسا ، هذا الى مشاركاته السياسية في مجلس الشورى بالمملكة وما على مستواه من المجالس ، وكل هذه الاعباء جعلت انتاجه الخير متفرقا في انهار الصحف وجداول المجلات ، ونقصد بالانتاج انتاجه الرسمي الموقع باسمه .

اذ انه ظل يتحدث عن الكتب الجديدة قرابة اربعين عاما حديثا خافي التوقيع ينم عنه بمزاياه الاسلوبية التي يعرفها قارئوه دون ان يحرص على تسجيل اسمه تواضعا واستتارا ، فاذا علمت اليوم انه قد تفرغ الى جمع هذه الزهور المتناثرة في رياض متباعدة فيجب ان افرح .

ان رئيس التحرير في المجلة الذائعة كالتاجر في بعض نواحيه ، فهو حريص على رواج المجلة وذيوعها لا ليضم الى جيبه الذهب والفضة بل ليسعد بانتشار ما يريد من افكار يدعو اليها ، ويفسح المجال للتعبير عنها ، ورئيس التحرير قد يكون حاسم الاشارة ، صعب المراجعة كالاستاذ احمد امين ، فانك تعطيه المقال فيقرؤه ثم يدعوك الى القائه ليحاسبك على كل ما تضمن ، اذكر اني وجدته يناقش زملاءه في لجنة التأليف والنشر حين تقدم اليه بعضهم بمقالاتهم مناقشة جادة منصفة ، وهم يعلمون عدله وانصافه وشدة تحريه للحقيقة فيقبلون منه كل نقاش ، ويدعونه الاستاذ الرئيس ! كما ينزلون على رايه في مودة واخلاص اذا لم يستطعوا اقناعه بما كتبوه ، وحين دعاني لمناقشة مقالي عن (جورجي زيدان) وانا طالب مبتدىء بكلية اللغة العربية ، جلست جلسة التلميذ المهذب ، اذ ما عساي ان اصغ واساتذة الجامعات يذعنون راغبين ! وكانه راى تهيبي فاوجز واشار ببعض الحذف والزيادة فاستجبت ! هذا رئيس التحرير الصريح المجابه ، اما ذوو الدماثة المفرطة كالاستاذ العامودي فما اكثر ما يتحملون ! لقد كنت ارسله مدى خمسة عشر عاما فاكثر عن كل ما ينشر في الرابطة والحج والتضامن ، وكنت اعترض اعتراضات سافرة على بعض المقالات ! فيجيئني الرد المسهب الطويل من الاستاذ عن كل ما وجهت من نقد ، ثم اتيح لي ان اجالسه واناقشه فعلمت ان سعة الصدر وصفاء النفس لديه وجمال الحياء مما يقف دون رغبته المثالية في النشر والنقد والتصويب ، ولله كم لاقى من صعاب ، ان الكتب الجديدة لتفد اليه شهريا بالعشرات ، وحسبه النيل لا يجيز له ان يترك كتابا دون قراءة وتعليق ، ولا بد ان يوجز ليتسع باب الصحف في المجلة لاكثر من كتاب ، وقد يضيق فضاء مجلته عن هذه الكتب جميعها فيكتب في الجرائد المكية كالندوة او يذيع عن بعضها في اذاعة جدة ، او يخص مجلة المنهل ببعض التعريفات النقدية وصاحبها الاديب الكبير عبد القدوس الانصاري صديقه الحميم ، اذ تآخى الاديبان مؤاخاة نبيلة لحمتها الخلق وسداها الادب ، حتى اصبحت مودتهما مضرب المثل في الصفاء والترفع والايثار ، وكان الظن بهؤلاء الذين يخصهم الاستاذ برعايته المترظة الناقدة ان يحمدوا له هذا الصنيع ، ومنهم من يعرف الفضل لصاحبه فيشكر ويزهو ، ومنهم من تدفعه المراهقة والاثرة الى العتاب لانه لم يخصه بمقال متسع ، بل شارك معه سواه ! وقد يتعرض الاستاذ العامودي في مقاله الى نقد مهذب يرسله رقيقا حلوا وكانه

يعاتب ! فيجد من المنقود شراسة ولجاجا ! والرجل صابر على ما يلقى ! واكبر متطلبات الصبر لديه ، حين يجد بعض المدعين يمطرونه بالمقالات السطحية ، ثم يتعجلون نشرها ، فاذا ابطأ قليلا حاصروه في مكتبه وسعوا الى منزله ووقفوا في الطريق له غاديا رائحا ، لان المجلة تكافىء وتمنح ، فلا بد ان تكثر المقالات هاطلة دافقة كالغيث ، وفي هؤلاء من هو فرح بمقامه العلمي في المدرسة والجامعة ، ويظن ذلك كافيا لقبول المقال ونشره على وجه سريع ! والاستاذ العامودي يقرأ ويصبر ويتحلم حين ضاق الصدر بالحلم على من يكتبون له المقالات عن عمر وابي بكر والمتنبي وخالد بن الوليد ثم لا يضيفون جديدا غير ما يعرفه طلاب المدارس الثانوية ، وهم بعد اساتذة رسميون !! اين الاستاذ احمد امين اذن لهؤلاء !! كم كنت انظر الى الاستاذ العامودي بوجهه الباسم ، وعينه الهادئة وانا اعلم ما يصطرع في حناياه من غضب ، على هؤلاء المترامين دون رعاية لحق القلم ! ثم اوازن بين انسان رقيق عف يدفع السيئة بالحسنة ويطوي الصدر على مستكنه ، وبين انسان صارم جاد يضع كل كاتب في مكانه الطبيعي ، ويواجه بالحقيقة دون اكتراث ، لا بد ان العامودي قد تحمل من هؤلاء الوصوليين ما يوهي الجبال وقد آن له ان يستريح .

واذا كان الزيات واحمد امين وفريد وجدي والانصاري يوقعون المقالات بأسمائهم في كل عدد يصدر او في اكثر ما يصدر من الاعداد فان البير اديب ومحمد سعيد العامودي وجدهما ممن عرفت ، لا يحرصان على التوقيع ، اذ تظهر المجلة خالية من بحوثهم الموقعة ، مع ان كليهما قد قرأ كل سطر ، ووقف عند كل نقد ، وكتب المقالات دون توقيع ، وكان من اليسير عليهما ان يختصا بالافتتاحية ، ولكن فضيلة الايثار تدفعهما الى تشجيع من يمدون الصحيفة بالمقالات ، وهو عمل له رصيده الخلقي الباهر ، في عالم كثر فيه الادعياء ، الى حد راينا فيه مقالات لبعض رؤساء التحرير يكتبها غير اصحابها الرسميين وقد تحدث الاستاذ محمد علي غريب في مذكراته عن نفر من هؤلاء ! ولا نريد ان نشهر بأحد حتى نعيد ما قال ، ولكننا نقرن هؤلاء بأمثال العامودي والبير اديب لنتأكد ان الزمان على امتداده لا يخلو من فدائيين ، يعملون ويعملون في خفاء وصمت ! ليرضوا نزعة المثالية في هدوء قانع وصبر جميل .

وانا كقارىء للاستاذ العامودي ارى ان انتاجه يمتد الى ثلاث شعب ، اولاها الشعبة النقدية ، وفي مجالها الخصب تدفقت آثاره الكثيرة ما بين محاضرات في المؤتمرات الادبية ، او مقدمات لبعض الدواوين والكتب ، او عجالات في الصحف والاذاعة عما صدر من المطبوعات ! ومن واجب الاستاذ على نفسه ، ان ينهض الى جمع ما كتب واذاع وحاضر في هذا المجال ، واذا كان لي راي اود ان يضعه موضع الاعتبار ان قبل . فهو ان ينشر ما طواه من النقدات لان الفائدة حينئذ اعم واقوى ، وانا لا ادري لم يغضب المنقود وقد لمس اخلاص الناقد واهتمامه الجاد ، ان اقدام اديب كبير على نقد كتاب علمي او ادبي هو اعتراف صريح باهمية الكتاب ومؤلفه ، اذ لو كان المؤلف ساقط الاعتبار لدى الناقد ما اقدم على نقد كتابه فليعلم هذه الحقيقة من يضيقون بالنقد ، ولا ينظرون غير الثناء الممتد في غير طائل ، اما الشعبة الثانية في انتاج الاستاذ العامودي فهي الشعر لانه ابتدأ حياته الادبية شاعرا ثم اضطر الى الكتابة النثرية وفاء بحق ما يقوم عليه من الاعمال الصحفية ، وله قصائد ذائعة ، بعضها مقرر في سنوات الدراسة الثانوية بالسعودية ، كما انه اصدر رباعيات شعرية تنحو منحى الحكمة المعرية ، واذكر اني كتبت بحثا عنها في جريدة الدعوة بالرياض منذ سنوات ثم رايت ان اضيف اليه مقدمة ترسل بعض الضوء على مقرراته الادبية ، وكنت في زيارة الاستاذ بمكة فاعطيته المقدمة مع البحث كي يبعث بهما الى مجلة المنهل ، ثم مرت الايام دون ان يفعل الاستاذ ، وليست لدي مسودة لما كتبت ، واني لارجو ان يبحث عن حديثي عن الرباعيات مقدمة وعرضا ثم يبعث به الى مجلة الاديب بلبنان او الى مجلة المنهل بجدة ليجد موضعه الطبيعي ، كيلا يسألني يوم القيامة عن اهماله فيصبح مع المؤودة باي ذنب قتلت ؟

اما الشعبة الثالثة فهي اتمام تحقيقه لكتاب (اعلام المكيين) وقد رايت بعض مسوداته وطالعتها بشغف ، على ان هذا كله لا يجيز للاستاذ ان يقطع سلسلة بحوثه التاريخية عن (الصحافة الحجازية) حيث قام بابتداءات رائعة كانت ركيزة قوية لما تلاها من الاعمال ، ومثل الاستاذ في عمله الحافل الممتد الى نصف قرن قارئا فمحررا فرئيسا للصحف بالمملكة العربية السعودية يجد في ذاكرته من دقائق الانباء وتفصيل الاحداث ، واتجاه الشخصيات ، واستقامة الدروب حينا والتوائها حينا آخر ، اقول ان مثل الاستاذ جدير بأن يفض بما لديه ، وهو فرض عين عليه ، لان نظرته موضوعية هادئة ، وخلقه رحيم متسامح ، واحاطته شاملة ممتدة فهو اجدر بتاريخ الصحافة في المملكة من كثيرين لا يحملون عناصره النقية وهدوءه الصبور .

على اني — شهد الله — لا اقصر اطلاع العامودي على تاريخ الصحافة في وطنه الخاص ، بل امتد به الى كثير من ربوع الضاد اذ رصد نفسه لقراءة الانتاج الادبي صحفا وكتبا في مثنى ديار العروبة ، وبخاصة في مصر ولبنان ، منذ العشرينيات من هذا القرن ، وكم طال مجلسي معه ، والحديث متسلسل عن ادباء العصر واعلامه ، وعن الاتجاهات المتعارضة والمتفقة لدى زعماء الفكر العربي ، وقد كان في زيارته الاخيرة للقاهرة في رمضان سنة ١٣٩٧ هـ كلفا بالتنقيب عن آثار ادبية ودواوين شعرية ظهرت فيما

هبي لك المرج

*

ما لي وما قيل ان قالوا فقد صدقوا ... حبي لك المرج لا يثنيه ما رشقوا

كنا كتمنا هوانا عن خواطرنا ... لكنما السر من عينيك قد سرقوا

ما ذنبي اليوم ان طافت حكايتنا ... بين الحواري في الاهداب تلتصق

فحولونا على كره وما عمدوا ... هديا بدا في دجى العشاق يأتلق

كاننا شمعة صلت لمن سهروا ... تنير ليل النوى ، في الصمت تحترق

تزهو فيرنو لها من ذاق نبعتنا ... ويستجير بها من شفه أرق

ما ذنبك اليوم ان صارت حكايتنا ... سفرا من الحب.. والافواه تختلق

فعللي القلب لا تاسي لما ذهبوا ... ولا تبالي بمن في حقدهم غرقوا

فحسبنا اننا في الحب منزلنا ... فوق النسيمات يلهو حيثما الشفق

البدر نادلنا والغير في ظمأ ... والروح خمرتنا مدارها غدق

الشاربون كؤوس الصفو مترعة ... في جفنه الليل في الأصباح نغتبق

الصادقون لعهد الحب ما نكثوا ... الصامتون عفلفا ان هم نطقوا

الراحلون لدنيا كيف يعرفها ... عوازل لو بها يدرون لاستبقوا

دنيا بعثنا سناها فاستبيح لنا ... فردوسها فهوانا حولها افق

دنيا هي الحب يا ليلاي فابتسمي ... ولا تبالي بمن في صبحهم غسق

لا يرجم الناس الا من بها ثمر ... ولا يشمون الا من بها عبق

عبد اللطيف مهنا

بين الحربين العالميتين ، وقد طلب البحث عن مجموعات محرم وعبد المطلب والكاشف ونسيم وولي الدين يكن وعبد الحليم المصري دون طائل ، اذ تبدلت الوجوه ، واختلفت دورات الزمن هبوطا وارتقاء حتى تصدر للشعر من لا يقيمون عروضه ، واكثر من يقيم العروض تصاراه ان ينظم دون روح :

اما الخيام فانها كخيامهم ... وارى نساء الحي غير نسائها !

وقد سألني مشتاقا عن مجلة الاديب متى تصدر ؟ ونم يكن المسؤول بأعلم من السائل ؟ ثم كتب الي يقول انه قد قرأ اعلانا عن صدورها ويرجو الحصول عليها بأي ثمن ، لانها لا تباع في مكة كالعهد قبل الدمار الرهيب ، ولعل الرياح تهب رخاء فتصل السفينة بالاديب الى شاطىء النجاة بعد ما كابدت من اهوال .

هذه تحية عابرة اقدمها للكاتب الكبير الاستاذ العامودي راجيا ان يذكر على البعد تلميذه الودود .

ابو حسام



ابراهيم غبده الخوري

من حكايات القريـة

بقلم ابراهيم عبده الخوري

* * *

من صغري وانا مغرم بالحيوانات الداجنة . المرحوم والدي — طيب الله ثراه — جاء لي بالدجاج والارانب والحمام والخراف . وكان يهتم بها كرمى لعيني وحيده انا . واثناء دراستي الداخلية في معهد عينطوره ، طيلة ثماني سنين متواصلة ، كانت رسائله الي تتضمن ، فيما تتضمنه ، تطمينات عن سيرة حيواناتي .

وكبرت ، وكبر حبي لها . حتى اني عندما قررت تمضية الصيف ، مع العائلة ، في الجبل ، فتشت عن قرية ما زال فيها الفلاح اللبناني سعيدا بحياته ، قانعا برزقه ، منشرحا بحيواناته ، معتزا بمعطياته . فاذا بي احط الرحال في « شحتول » قرية مي زيادة ، اديبة الشرق ، وهي منبسطة على اقدام ثلاث تلال ، واستاجر منزلا عند ابن « العم بولس » الفلاح والمزارع الذي جاوز السبعين من عمره ، وكانه في شرخ الشباب .

و « العم بولس » ، كما استنتجت بعد قليل وقت ، مسبع الكارات حسب القول المتداول . يسترسل في ادعاءاته ويتباهى بحيواناته وبعنترياته ، والطريوش لا يفارق راسه عندما يقصدني لاحتساء القهوة وتزويدي باخبار القرية العتيقة . وقد احببته فقدرته على الرغم من انني لم اقبض جديا كل عنترياته في القول والعمل .

لماذا احببته فقدرته ؟

« العم بولس » ، فيما مضى ، كان معلم عمار . ومنذ سنوات ، وبعدما ترك مهنة العمار لابنيه ميلاد ونبيه يشذبان الصخور ، وينحتانها ، ويبنيان بحجارتها منازل اللبنانيين في الجبال التي تناطح النجوم ، ارتد الى الارض — منبت الكرامة — يفلحها ويزرعها قمحا وخضارا فتعطيه الخيرات ، ويأتي بالدجاج والبقر والماعز يربيها ويعلفها فتقدم له الحليب واللحم والبيض والسماد .

لم يكد يمضي اسبوعان على وجودي في القرية حتى هتف « العم بولس » في صبيحة يوم ضاحك : « وجهك خير علي يا بو عبده . فما ان حللت بيننا على الرحب والسعة حتى البقر «صبحى» ولدت «عجلتين» اطلقت عليهما اسمي « نجمة » و « عيواه » .

بشرني « العم بولس » بالحدث السعيد عنده ، وكانه على علم مسبق بحبي للحيوانات الداجنة . واقول بالحدث السعيد لان البقرة نادرا ما تلد توامين . ولم يمض شهر حتى ولدت بقرة له ثانية « عجلة » اسماها « رمانة » .

ويفاخر حتى الوله ببقراته وماعزه ودجاجه ومزروعاته . يرى في بقراته مزراب حليب . ويؤكد لك انه اكبر مالك بقر في المنطقة . وكل المصطافين في القرية — وكانوا يعدون على الاصابع — يشترون من عنده الحليب . « ولولا بقراتي الحلوب ما كان احد في القرية يحصل على رطل حليب » .

دائما يغني على ليلاه ، ويتفاخر بامجاده السابقة والحالية . وانا ، وان لم اعترف بامجاده هذه ، قدرته حياته الحالية ونشاطه المتزايد . وفي هذا الصدد اختلفت مع ابنه نبيه الذي يطلب دائما منه ان يبيع البقرات والماعز ويكتفي ببقرة حلوب واحدة ، ويخلد الى الراحة ، فقد كفاه عملا متواصلا يبدا عند صياح الديوك ، وينتهي عندما يأوي الى فراشه بعدما يكون قد نسي ، مرارا ، اطعام الحيوانات او ارجاعها الى زرائبها من المراعي .

انا مع الفلاح اللبناني يزرع القرية حبا ونشاطا وعافية فتنبت له الخيرات . وانا مع الفلاح اللبناني يعيدنا الى اجواء الطبيعة الخصبة ، يضربها بمعوله ، ويزرعها بسواعده ، ويفلحها بقلبه ، فتعطيه طعام البقاء . وانا مع الفلاح اللبناني يربي الحيوانات ويكثر منها . ومن هذا المنطلق يردد « العم بولس » دائما امامي : « ما الخسارة اذا كنت مغرما بمزرعتي وبخضاري .. انا المالك سعيدا في قريتي ... » .

ويسترسل في ذكر انواع الخضار التي زرعها في ارضه وارض الغير (وارض الغير يعتبرها ملكا لديه في الوقت الحاضر) . وكم تعتريك الدهشة عندما تطلب منه ان يبيعك من هذا الصنف او ذاك ، وتجد انه لم يزرعه .

أنا وشعري

شعري عيون بالجمال تحدق ، وكواكب في أفق عمري ، تشرق
من نبعه نهل الفؤاد سلافة وهج الحياة بكاسها يترقرق
يفني العوالم والزمان بلحظة في عالم الالهام روحك تغرق
بين الورود.. مع النسائم.. تغتدي اطيار روض في الربيع تزقزق
في خد فاتنة يداعب حمرة حتى ينال فؤاده ما يعشق
كالجدول الرقراق يمشي هادئا في خلسة بين النفوس يسقسق
من لونه اخذ النهار ضياءه ، من لحنه صوت الهزار يموسق
شعري شعور بالحياة وروضة في عالم بيد المشاعر ، تورق
صورا اشاهدها بحس مرهف فاحيلها بالهمس عطرا يعبق
شعري عيون من منابعها سرى ذوب من الافكار كان يؤرق
يمشي مع الفقراء دون غضاضة ويعاشر التعساء فيه المنطق
لا تحزنن اذا سمعت انينه في جرحه ينمو شعاع ازرق
من صحبة الايام سر وجوده ودماؤه بدم الحقيقة تهرق
هذا شعوري مثل شعري صادق مرآة ذاتي حينما يتدفق

حماه ـ سورية

وليد حجار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانا ارتاح اليه ، لا سيما عندما اجلس واياه القرفصاء امام « نجمة وعيواه ورمانة » مصطحبا طفلي وليد يجر وراءه اعوامه الثلاثة . وكم من مرة غافل وليد امه وقصد البقرات و « عمه بولس » سعيا وراء الحليب الطازج .

وافرح عندما تدغدغ اذني اجراس البقرات والماعز لدى عودتها من المراعي في صفوف متراصة .

وانشرح عندما استفيق في الصباح على صياح ديكته واصوات طرشه كأنها الموسيقى المجنونة ، واغمض عيني في المساء على مقطوعات لشوبان او موزارت او بيتهوفن تعزفها زوجتي على البيانو . وهات يا « عمي بولس » من موسيقاك ، وخذ من موسيقى الخالدين ، ولتدم نعمك الى الابد .

وكما قلت ، فانه مسبع الكارات . في شهر ايار المنصرم ، كان موسم الحرير عنده مزدهرا . فدود القز امدته بشرانق حرير باعها بثمن مرتفع .

وصنع الدبس المستخرج من العنب . وصنع المشروبات ، ومشروباته هي اجود واطيب مشروبات في القرية كما يدعي ، ودبسه ايضا . وعندما تذكر له ان صناعة الدبس والمشروبات في القرية معقودة اللواء لجاره وديع او لاخيه نعمةالله ، يرفض قولك هذا ويصر على انه كان وما زال سيد هذه الصناعة دون منازع .

والى جانب ما تقدم ، فانه مولع بالسياسة . ولا يمر مساء اصعد فيه الى « شحتول » المغناجة الا ويسألني عن آخر التطورات السياسية المستجدة على الساحة اللبنانية . وكله حماس وامل بعودة الالفة والمحبة بين المواطنين . وكأنه بذلك « خليفة » مي زيادة التي كانت مقالاتها في وطنها الام ، مبنية على التآلف والوئام والنصح .

هذه هي صورة « العم بولس » الذي ارتاح لرؤيته يحلب بقرة او يرعى عنزة او يغرس معوله في التراب . انه ، بكده وثباته وتعلقه بالارض ـ على الرغم من بلوغه من العمر عتيه ـ نموذج للفلاح اللبناني المتشبث بأرض الآباء والجدود ، يرويها بعرقه فتعطيه نعمها .

فدم هكذا ايها « العم بولس » . ولا بأس ان ادعيت ان امجادك تطاول السماء وان طربوشك يروي قصص الابطال . ولا غضاضة من ان تقول « انا وانا » ، ما دام حليب بقراتك وماعزك يزود ولدي عبده ووليد واحفادك بالغذاء ومقومات الحياة ، وما ظلت خضارك ـ على قلتها ـ تقلع من تربة غرستها بعرق الجبين .

واكرم بك فلاحا لبنانيا معافى !

ابراهيم عبده الخوري



ايليا حايم حنا

وقفة مع النفس

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

كان عام ١٩٧٧ يلفظ آخر انفاسه ، وكان الكل في المنزل حولي مبتهجا ينتظر في احساس عميق غامر مبهج الدقائق القليلة الباقية على مجيء العام الوليد ، كانوا يستقبلون مرحلة جديدة من الحياة بآمال جديدة ورؤية جديدة ، كانت اعماقهم تنبض بحرارة الجديد وروعته وجماله ، كانت ارواحهم تشدو والحياة تضحك فيهم لانهم كانوا يرون طريقا مضيئا باهرا امام عيونهم ، ومجرى آخر تسير فيه حياتهم اشد وفرة وغنى وغزارة ، وآفاقا تضيف الى حياتهم ابعادا لم تكن فيهم . كانوا في لحظة الانطلاق الجديد النابض ، والمشاعر المشحونة بالامل والتفاؤل ، ينطلقون بأفكارهم الى حياة نضرة جديدة .

في غمرة هذه البهجة ، وفي وسط هذه الغبطة ، وفي هذه اللحظات الحلوة لحظات العبور بين الواقع والحلم توقفت على درب حياتي الطويل والقيت بناظري الى الوراء لارى كيف مضت رحلتي الى الآن ، ووجدتني اواجه ذاتي مواجهة داخلية بالغة الصدق ... عدت الى مثل هذا اليوم من العام القديم وانا أسأل نفسي : كم من اعوام ودعناها ونحن نتطلع الى حياة جديدة في شوق مسرف الى الكمال ؟ ! ماذا حققنا من كل تطلعاتنا ونحن نستقبل الاعوام الجديدة ؟ هل حققنا معظم اهدافنا او حتى بعضها ؟ هل نفذنا كل ما وضعناه من برامج لعام جديد حافل ؟ ما مدى التغيير في نفوسنا وعاداتنا وسلوكنا واهتماماتنا وجهودنا وتفكيرنا وتصوراتنا وقيمنا وتعاملنا مع الآخرين ، وكل جوانب حياتنا المكونة للشخصية الناضجة ؟ هل اصلحنا اخطاءنا التي نعرف انها تعوق تطورنا الى ما هو افضل ؟ هل سيطرنا على سلوكنا الفكري والوجداني .. هل طورنا اسلوب حياتنا ؟ هل تخلصنا من ضعفاتنا ومعوقاتنا واقتربنا شيئا فشيئا نحو الكمال ؟ هل انجزنا فعلا كل ما فكرنا في انجازه كل عام وبنينا حياتنا بناء صحيحا ام اننا ما زلنا نرزح تحت عبء الاحساس بالقصور والعجز ، وبقيت حياتنا بلا معنى ، كلها ايام رتيبة تولد صباحا وتجهض مساء ؟ !

تصورت ما كان يمكن ان تعطيه الحياة لنا من نضج وجمال في سنواتنا التي مرت لو اننا فعلا افدنا من تجاربنا وكان لنا من الارادة والايمان ما يمكننا من تحقيق برامجنا . كلنا نعرف كيف ندع السنين تمر ونحن في تناقض بين الواقع والحلم الجميل بحياة اجمل ، ولا نجاح لحلم الا بتحقيقه . ... مأساتنا اننا نعرف ما يجب ان نعمله ولا نعمل ونترك نزعاتنا العاطفية الضحلة الهوجاء تتحكم في مصيرنا وتقف بنا دون مجابهة الحياة في مستوى النضج والكمال ، وقد صور الشاعر الصيني (فنج شيه) هذه الحياة والنزاع فيها بين الانسان واشواقه بكلمات حية جاء فيها :

ما من عصفور ذهبي يغرد في اذني
بل هناك غربان المساء تنعق نادبة من بعيد
كل شيء مختلط مشوش ، بعيد المنال
اين طريقي في الحياة
انا العاجز الضال ؟
انني احب واحترم
الانسان
الذي يستطيع ان يعيش في صمت
بطلا بلا اسم حتى نهاية الزمان ،
اما انا، فكل ما استطيع ان افعل هو ان اموت في صمت
بلا اسم ولكن لست بطلا .

...

واسفا ، عيناي كليلتان
لا تبصران اي بصيص من ضوء العاصفة
اني احسدهم
اولئك الفتيان والفتيات الذين ماتوا من اجل الحب
تاركين ذكريات حلوة
في قلوب الرجال
غير اني اقصر عن بلوغ كل هذا ،
كل ما استطيع هو ان احملق ،
احملق بنظرات فارغة الى عابري السبيل في المدينة
كل يحمل على كتفه حمل الفراغ الثقيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كل يحمل على كتفه حمل الفراغ الثقيل !
بلا شيء وراءه غير الكآبة اللانهائية(١) .

هل نظل حتى نهاية الحياة نضج تحت الغبار واللهب في بيداء قاحلة يدفعنا الى معايشتها ضعف الارادة ، واخفاق العقل ، وسيطرة المعوقات ، وتضيع حياتنا في نزاع مرير بين اشواق النفس الفضلى وواقعها ، بين الحلم والحقيقة ؟ ان الزمن يقهرنا ونحن كل عام نرجو ونأمل ولا نحقق رجاء او املا ، نبكي الجمال والعظمة الضائعين ... انه لشيء مؤسف مؤلم ان يمضي الانسان ايامه وهو يقول سأعمل ولا يعمل شيئا ويسلك كل عام نفس الطريق المسدود يمتليء حلقه بالمرارة ونفسه بالعجز ويصبح هو مشكلة نفسه .

يقول (توماس بين) في ذلك : « ما اعجز الانسان ان لم يستطع ان يرفع من قيمة نفسه ، وما اتفه العقل اذا شل وظيفته بالتمسك بموروثات تنقصها الحقائق الساطعة » .

ويقول (جون جاردنر) في كتابه (تجديد الذات) : « الشيء الذي يعوق التطوير الذاتي هو السجن الذي يصنعه الانسان بيده ، ويحبس فيه نفسه ، او بمعنى آخر عجزه عن تحرير ذاته من اغلالها » .

ويقول (هنري دافيد ثورو) : « فلنخترق ما في الآراء والتقاليد والاوهام والاضواء والمظاهر الكاذبة من وحل سميك او رقيق ... » .

ويقول « ولست اعرف شيئا اكثر تشجيعا على هذا من قدرة الانسان التي لا نزاع فيها على ان يرقى بحياته بما يبذل من الجهد عن علم وقصد » .

ويثور (جاك لندن) على نفسه وعلى ما ارتكبه من دنايا — وكان قرصانا افاقا سجن عدة مرات — ويلومها قائلا : (أهذه هي الحياة ان اعيش كدابة بل كخنزير يتمرغ في حمأته ؟ !) ويبدأ على الفور في بناء ذاته الفضلى .. كان الطريق شاقا ولكنه بالسيطرة الكاملة على نفسه امكنه ان يتخلص من ضعفاتها ، واصبح من اعظم كتاب العالم... وعندما مات كتبت عنه صحف العالم كله اكثر مما كتبه عن (فرانسوا جوزيف) امبراطور النمسا الذي توفي قبله بيوم واحد ، وبكته امته وحزنت حزنا عميقا ، وقالت عنه صحافة بلاده : (كفوا عن الضحك فقد فقدنا جاك لندن) .

ليس من الحكمة ان نمضي كل حياتنا ننسج كل عام ، او ربما كل يوم ، خيوط حياة جديدة افضل من التي نعيشها ثم تجرفنا عاداتنا واساليبنا الفكرية والعاطفية المعوقة عن البناء الطيب المثمر ، وتمضي حياتنا فارغة جافة مملة نسج فيها كما نسج في بحر جف ماؤه ووجدنا انفسنا نعوم فوق ما فيه من حصى واشواك تحت شمس محرقة تلهب رؤوسنا واجسادنا .

يقول (ماكس مولر) : « انها لخطيئة كبرى الا يكون المرء سعيدا » .

لا سعادة في الحياة بدون هدف نبيل نبذل كل الجهد لكي نصل اليه ، لا بد لنا من قمة شامخة متفاوتة الارتفاع نتسلق اليها بعزم قوي ونشاط وتفاؤل ، فنسعد كلما ارتقينا درجة تقربنا من القمة ونجد في هذا راحة لنفوسنا .

(انك بدون رسم صورة افضل لحياتك وبدون تطلعك الى ذات مثالية تتعشقها وتجعلها هدفك الذي تعيش من اجله ، بدون هذا التصميم الرائع ، تعيش فاترا قلقا مضطربا ...) (٢) اجعل لحياتك غاية وحدد هدفك واقبض على زمام نفسك وسر في طريق النجاح الطويل ، سر حتى النهاية ، لا تنظر الى الخلف او تحسب المسافة الباقية ، سر وتقدم ، حطم العقبات ولا تقف ، تسلق الجبال بين الاعاصير والانواء ، ولا تطلب الامان والسلامة فيما اعتدت عليه من عادات وافكار زائفة .. سر ولا تتردد .. تقدم نحو انسانيتك العليا وقل مع (غاندي) : « حياتي هي رسالتي » .

ليس الطريق الى الكمال سهلا ، وجمال الشخصية ونضجها يتطلب منا اكثر من الرغبة والتمني ، يتطلب اصرارا ، وارادة قوية ، وتحكما في النفس ، لرفض الامتثال لاخطاء النفس وضعفاتها .

الشخصية الانسانية المتكاملة جبل عال شامخ نصل الى قمته الرائعة بالرغبة الصادقة والحب الحقيقي للحياة الافضل والارقى ، ولا بد ان نتكبد في هذا الصعود الصعب السعيد ما يتكبده ويتحمله اصحاب هواية تسلق الجبال رغم ما تتعرض له حياتهم من مخاطر قد تفضي بهم الى الموت ، وشتان بين الهدفين ... بتحدي الظروف المعوقة يمكننا ان نحصل من الحياة على اجمل ما فيها ، واجمل ما فيها ليس هو النجاح المادي فقط ... لا بد من التحديات العنيفة المتصلة لكي يتسنى لنا تحرير انفسنا ، وتحرير النفس ليس امرا هينا ، قال عنه (غاندي) : « ان قهر الشهوات الكامنة في النفس لهو اشق بكثير من قهر العالم اجمع بحد السيف » .

وارانا الشاعر الفيلسوف (اندريه ريفوار) الطريق اليه ، في كلماته القوية النابضة الموحية التالية :

انطلق في طريق الشوك شامخ الراس، عالي الجبهة ،
مضموم القبضة ولا تتقهقر ...
احترق كفاحا ونضالا وعشا !
اذا خاب املك فاجعل من الخيبة حافزا
واذا وهن عزمك فاصنع من التعب سوطا
واذا انتابك اليأس فاخلق من اليأس نارا
تضرم فيك شعلة الجنون وتلهب مثلك الاعلى .
احترق ضعفا وقوة وتعذب
احترق مرضا وصحة وتغلب
احترق تجربة وحكمة وتعذب

---

(١) ترجمة الاستاذ عادل محمد علي : مجلة الشعر ، يوليو ١٩٦٤ .
(٢) من كتابي : (كيف نجحوا) ١٩٥٩ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

احترق ثقافة ومعرفة وتغلب
احترق ارادة وتحملا وعش
احترق تجلدا وتصلبا وتعذب
احترق سعيا وراء الكمال المطلق وعش .
هذه هي الحياة .

التحدي يثري حياتنا ويفتح لنا آفاقا جديدة عديدة يجب استكشافها والتغلغل فيها . لا يجدد الحياة ويرقى بها غير التحدي ... النفس الانسانية في صراع دائم مع الظروف وهذا يجب ان ينتهي الى الخير والكمال وبعث الانسان المتواصل لنفسه ... بالتحدي نجابه الحياة في مستوى النمو والنضج والسمو والتطور ... التحدي هو الارادة التي نستكشف بها كل يوم شيئا جديدا يجدد حياتنا ويحفظ لها نضرتها ويجعل لها طعما ومذاقا . ما قيمة حياة الدعة الفارغة المملة ؟ ! ان صاحبها موجود ولكنه لا يعيش ... ان مصدر الشقاء هو ضحالة عقولنا وفساد وجداننا ، لاننا نواجه الحياة كما يواجهها طفل بخلفية غريزية ، وافكار محدودة ضيقة ، ورؤية غير واضحة ، وفهم قاصر ، فنشيخ وعقولنا فارغة ووجداننا بدائي ... ماذا تعطينا الحياة ونحن نواجهها هذه المواجهة الناقصة ؟ ليس في الحياة الضحلة الجامدة اية متعة لصاحبها ، انه يشقى بها فلا شيء يملأ فراغ نفوسنا الا الظلام ، ولا شيء ينمو فيه الا التبرم والملل والقلق واليأس والضياع . النفس لا تسعد الا عندما تصل الى العمق الانساني بالنضج العقلي والوجداني الذي يستجيب لكل باعث قوي راق يحرك حياتنا من السطح الخامد الى الاعماق الثائرة ، ويؤدي بنا الى الفهم العميق للحياة ويحدث في انفسنا تغيرات تقدمية تجعلنا نرضى عن حياتنا ، وفي هذا الرضا سعادة لا يعرفها الذين يقفون عند السفح يتطلعون الى القمة ولا يحاولون التسلق اليها ... وتمضي كل ايامهم فارغة مخلفة لهم التعاسة والاوجاع النفسية ... ان انشغالنا ببناء الحياة الناضجة الطيبة هو في حد ذاته مصدر سعادة لنا .

ومغالبة النفس وتطهيرها مما ركب فيها من نقائص موروثة او مكتسبة امر صعب ، والارادة وحدها قد لا تصل بنا الى نهاية الطريق ... اننا ونحن في طريقنا الى انضاج نفوسنا وتطويرها في حاجة الى رفيق قوي يعيننا على اعلاء ميولنا الغريزية ، ويمكننا من التغلب على انفسنا وعلى ما فيها من عواطف بدائية ... وليس غير الايمان القوي العميق البعيد عن التعصب ما يكبح جماح النفس ويقيها الشطط ... انه قوة دفع جبارة للارادة الطيبة يعطينا طاقة جبارة للصمود والتحدي ... انه وسيلة الحياة الباسلة التي تنهض بالانسان ليصير سيد نفسه وهو الحارس القوي للقيم الطيبة يسكب في قلب صاحبه عصارة اسمى العواطف الانسانية ، يغير الاعماق ويحرر النفس من كل قيد ويجعلها اقوى واصلب مما هو خارج عنها ، انه السبيل الى تيسير العسير يكتسح الالم ويتغلب على الصعاب ... انه النار المقدسة التي تحرق كل ادران النفس وتبعث في شرايين الانسانية حرارة القيم العليا ... وهو مصدر كبير للسعادة لانه يحقق لنا الامن والطمأنينة حتى في اشد حالات الضيق والاضطراب ... لذا فهو الزم الامور لنا في رحلة الحياة ان اردنا الا تقهرنا غرائزنا وميولنا البدائية ، وعاداتنا المعوقة ، وافكارنا الجامدة ، ونحن في الطريق الى تطوير ذاتنا .. انه يحقق ما لا تستطيع ان تحققه الارادة وحدها .. ولذا فانه لا غنى لنا عنه اذا اردنا السير في طريق الارتقاء والسمو دون نكوص ..

يقول (هنري لنك) : (الواقع ان كل عواطفنا عمياء الا بقدر ما نضيء لها الطريق بتجاربنا وايماننا ، وبقدر ما ترشدها القيم العليا التي تختلف عنها) . الايمان يثبت القيم وينصرها ، لا شيء يزلزل المؤمن او يزحزحه عن هدفه .. الايمان هو الباب الذي نمر منه الى الجوهر الانساني الكامل .

يقول (توفيق الحكيم) : « القرار الذي يتخذه الانسان في شأن مصيره قلما تنقصه الايام ، اذا كان صادرا حقا عن ارادة وايمان » . ويقول : (الحياة عندي في جوهرها هي تحقيق الذات) .

ترى هل حققت ذاتك وانجزت برامجك وتطلعاتك في العام الماضي والاعوام التي سبقته ؟ هل اقتربت بك خطواتك من الاهداف ؟ ان لم يكن قد تحقق لك هذا حتى الآن فلا تقف حيث انت ...

ضياع ان تعيش هذا الخريف الموحش الى الابد ... الانسان الحي لا تنتهي مهمته في تطوير امكانياته في حياة نامية ناضجة لا يتوقف نموها ونضوجها ... الاستمرار في الجمود موت .. ولا بد من عملية مستمرة من التجدد كي نلغي اثر عملية الاضمحلال والموت المرحلي في حياتنا .

يقول (ملتون) : « اذا تراجعت مياه النبع الحار الى الوراء فلا يلبث ان يصير مستنقعا قذرا » . عيب الناس ان يقفوا امام الحياة وتحدياتها كأنهم موتى ، وهم يعرفون ان السعي الى ما هو افضل يتطلب اكثر من الرغبة والتمني ... ينبغي الا يظل المرء هائما على وجهه منقبا باحثا عن نفسه بين مزالق الوجود ومآزق العدم . الحياة قصيرة وان طالت ، ويجب ان نعيشها بقوة وعمق حتى نراها دائما نضرة متجددة كالربيع ، جميلة في عيوننا وقلوبنا وافرازات عقولنا ... انزع من قلبك عوامل التخاذل والفشل والذبول وكن امينا مع نفسك مخلصا لها ، والاخلاص لها هو ان تسير بها الى الامتلاء والنضج والجمال والكمال لتكون ربيعا دائما ... ولا تتحقق لها هذه السعادة الا بمزيد من الممارسة الخلاقة في مسيرتنا نحو الهدف العظيم استمرارا واتصالا وارتباطا وعهدا حتى يكون احتفالنا بالاعوام الجديدة احتفالا بانتصاراتنا على انفسنا وبحياة جديدة اكثر نضجا واشراقا .

القاهرة **ايليا حليم حنا**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نجوم المتاهة

*

ليلى السايح

الكويـــت

*



في نهاية كل عام
تبدو شجرة الايام عارية ووحيدة
في انتظار فجر آخر وسماء اخرى .
كذلك ستبدو بعد ايام قليلة
من رحيل الانتظار والقلق :

طويلة بعريها
كطول هذا الشجن
الممتد كجرح عميق
وحيدة بصمتها كصمت النجمة الوحيدة
في متاهة لا تنتهي !

ليس الخيال وحده
ما يصلح للحديث عن الزمن المتشابه
الزمن الدائري
على ساعة بلا مؤشرات
فكذلك تصلح المتاهة
وكذلك تصلح النجوم القليلة البعيدة
لرصد ايام ، خارج الايام
والامساك بهذه القاعدة :
السنوات المجهولة وراء اسوارها .

سنقف الآن ممدودين
بهذا الشبق الجنوني
لعام لن يجيء
وبهذه الرغبة الممتلئة ، سنرسم وطنا ..
سنرسم وطنا
بشواطىء ومدن وارياف ، على ورق
ونسافـــر ..
نسافر في كل عام ، مشدودين لاحلامنا !

انهم في اقصى الارض
يبتسمون في فرح
لأن بجوارهم تمر الشمس ،
وتمتلىء المتاهة بالنجوم ..
وتنبض الايام
كقطيع من الاسماك في شبكة حقيقية !

ماذا نقول لهذه الشجرة العارية والوحيدة ؟
ماذا نقول للشجرة
الواقفة ابدا تحت غيوم بيضاء
وبضعة نجوم ..
على ابواب المتاهة ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بين مهيار الديلمي وعلي الفلال

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

الاستاذ بكلية اللغة العربية ـ جامعة الازهر

* * *

قدمت دار الكتب المصرية ديوان مهيار الديلمي في اربعة اجزاء منذ نصف قرن ، فأسدت بذلك يدا بيضاء لدارس الادب العربي ، وكان المظنون ان تعقب ظهور الديوان دراسات مستفيضة عن شاعر كبير لم يلق ما يستحق من التحليل والتشريح ، ولكن الذي شغل الباحثين هو نقد الاخراج والتحقيق لفترة اعقبت ظهوره ، وهذا واجب نهض به اصحابه مشكورين ، ومضت الايام دون ان ينهض احد لدراسة الشاعر نفسه الا ما كان من مقال بمجلة العصور للاستاذ اسماعيل مظهر ومقال بمجلة الرسالة للاستاذ عبد الرحمن شكري رحمهما الله .

ومقال الاستاذ مظهر مقال عابر لا يمس الاصول الفنية للشاعر ، لان كاتبه على فضله العلمي غير متخصص في موضوعه وقد قال ان ملامح العنصر الفارسي ظاهرة في شعر مهيار ، متعللا بطول القصائد ، وهي ملاحظة غير صائبة ، لان الديوان عربي المنزع ، في شكله الادبي فكرة وصورة وتعبيرا ، اما مقال الاستاذ عبد الرحمن شكري فقد اكد بعده عن التأثير الفارسي ، وعلل ذلك باحتذاء مهيار للشريف وولوعه بالادب العربي وحده . والمقال على ايجازه النسبي رائع صائب ، ومكانه في المجلد السابع من مجلة الرسالة سنة ١٩٣٩ ، فلعل عاشقي مهيار يرجعون اليه متأملين ، وقد رأى مجمع اللغة العربية بمصر احتياج المكتبة العربية الى دراسة متأنية عن مهيار ، فعقد مسابقة لهذا الغرض وتقدم لها الاستاذ الشاعر البحاثة (علي الفلال) فأحرز الجائزة الاولى ، وتفضل بطبع كتابه فقراه العارفون ، ثم ظهر في لبنان كتاب عن مهيار جعل دراسة الفلال مرجعه الاول ، هكذا فهمت من موازنة الكتابين .

كما تقدم بعض طلاب الدكتوراه برسالة عن مهيار كانت سطوا فادحا على كتاب الاستاذ الفلال ، وقد كشفها منذ عامين باحدى الصحف في المجلات السعودية ، وكان الاستاذ علي الفلال على خلق عظيم حين اكتفى بمقالي دون ان يطالب بحق ما ، وهي مناسبة تسمح لنا ان نقف عند بحثه متمهلين ، فقد يكون في تحليله الادبي ، ما يدل على مكانه الاصيل والاستاذ علي الفلال كبير شعراء المنصورة واستاذ ادبائها الباحثين ، وهو من رجال التربية الذين انشئوا المدارس الخاصة في وقت كان الاقدام على ادارتها الذاتية بطولة قادرة ، فصدر عن عزة عالية وشمم ابي ، وكان له مع موظفيه همة نادرة تذكر في سجل الاريحية العربية مروءة وترفعا وبسطة كف ، وماذا تقول في رجل يحرص على عشرة من العمال دون عمل ، اذ هم فوق ما تتطلب المدرسة ، لانهم فقراء لا يجدون العمل عند سواه ، هذا الى شاعرية ممتازة تضعه جوار الكبار من شعراء المنصورة امثال علي محمود طه وصالح جودت والهمشري ومحمد عبد الغني حسن ، وقد شغلته اعباؤه التعليمية عن النزوح الى القاهرة لتسلط الاضواء عليه كما سلطت على هؤلاء الكرام على ان وجوده بالمنصورة الدائم ، كان من فضل الله عليها ، فهو نجم محافلها الادبية الذي يعيد اليها هزة المنابر الشعرية ، فيذكر الناس بالجارم وحافظ وبشارة الخوري والملاط ، وقد قدر لي ان اكون مدرسا في مدرسته حينا من الدهر سعدت فيه بأستاذيته ، وحظيت بتوجيهه .

ومن جميل المصادفات المثمرة اني اقتديت به في حب المسابقات المجمعية ، وكان من الحسن ان اشترك معه منذ سنوات في مسابقة المسرحية الادبية فكنت الثاني لانه الاول ، وهي ثانوية افتخر بها واعتز ، اذ سبق بالاولى اديب اصيل .

وتعريفا بدراسة المؤلف المهيار انقل ما تحدث به الاستاذ عبد الوهاب خلاف عضو المجمع اللغوي في مقدمة الكتاب حيث يقول :

« في سنة ١٩٣٠ طبعت دار الكتب المصرية ديوان مهيار الديلمي في اربعة اجزاء ، ضمت قرابة خمسمائة قصيدة تشتمل على نيف وعشرين الف بيت ، وقد قرأنا الكثير من هذا الديوان وفهمناه ، ولكن كثيرا من شعر مهيار لم يفهم للدارسين على جليته ، وهو يخاطب اشخاصا ويثير مشاكل لو احطنا بها خبرا لكان فهمنا لشعره ادق واسلم ، واجتلاؤنا لمراميه اوضح وأبين ، ولهذا اعتقد ان هذا الباحث ـ يريد الاستاذ الفلال ـ الذي قدم الينا بحثه الادبي في مهيار وشعره وفق الى حد كبير اذ عني عناية كبيرة بدراسة عصر مهيار ، وقد عاش في بغداد في اوائل القرن الخامس واواخر القرن الرابع الهجري ، فعكف ذلك الباحث على دراسة عصر ملوك بني بويه من مبدئه الى منتهاه ، ورجع بالعوامل التي احاطت بمهيار ، واثرت شعره الى خمسة جلاها واستشهد لكل منها بشواهد من شعر مهيار ، فجلا الشاعر احسن الجلاء ثم زاد بأن عقد موازنة بين مهيار والشريف في المدائح وغيرها ، وبين مهيار وغيره من الشعراء ، في موضوعات كثيرة ، وبذلك رسم هذا الباحث صورة واضحة لمهيار وعصره ، ومن قرأ ديوان مهيار بعد دراسة هذا البحث تجلى له شعره في صورة اوضح ، وفهم منه معاني ادق ، لذلك ارى ان طبع هذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكتاب سيضم الى المكتبة العربية تراثا نفيسا » .

هذا بعض ما قاله المغفور له الاستاذ عبد الوهاب خلاف ، وقد عبر صادقا عن رسالة الكتاب ، واثره في الحقل الادبي ، والحق ان المؤلف لم يكن غريبا عن مهيار ، فانه وقد احاط بالادب العربي في كافة عصوره قد خص مهيار الديلمي بفصول ادبية كان قد نشرها بصحيفة البلاغ الادبية سنة ١٩٣١ ثم راى مجمع اللغة العربية بعد سبعة عشر عاما من هذا التاريخ يعلن عن مسابقة تتعلق بصاحبه ، فهاج وجده القديم اليه .

بدأ الاستاذ الفلال بدراسة عصر مهيار ، وهو عصر زاخر بالتيارات الفكرية ، والزلازل السياسية والنكسات المادية ، فكشف عن مفارقاته الكثيرة ، وراد اصفى الينابيع ، صادرا عن حياد منصف دقيق لا تشوبه دوافع التعصب ، او يغشيه ضباب الاعجاب ، وله في بحثه وثبات ظافرة ، فقد استطاع ان يحدد ميلاد الشاعر على وجه التقريب ، اذ سكتت عنه مصادر الكاتبين ، واستنتجه الشاعر من الديوان استنتاجا ينم عن تأمل جيد ، اذ وجد مهيار يقول عرضا في احدى قصائده (غدرك والخمسون في روضة) فبحث عن زمان القصيدة فوجده في اواخر سنة ٤١٧ فحذف الخمسين ليعرف عام الميلاد على وجه التقريب ، واقول على وجه التقريب لان الانسان دائما يتجاوز عن الكسور الزائدة عن العقد في سنه فقد يكون في عامه الرابع والخمسين او الخامس والخمسين ثم يقول (غدرك والخمسون) ، هذا غير اهتداء الباحث الى نظائر اخرى تؤكد ما ذهب الى تقريبه ، ففي حديث مهيار عن شيبه المبكر لمح الدارس ما يقوى اتجاهه ثم شفع حديث الشاعر عن شيبه بموازنة فنية بين ما قال الشريف وتلميذه مهيار في هذا المجال ، ومن دقته الاميئة انه رجع الى الدكتور زكي مبارك ص ٢٥ في امر لمسه بنفسه ، ولكنه اشاد بسبق مبارك متنصلا من فضل كان من المقبول ان يدعيه ، ولذلك مدلوله الخلقي في سجايا الباحث الامين ، وانا بمناسبة الحديث عن الشريف ومهيار اوضح مسألة هامة ، اذ شاع لدى الباحثين جميعا ان الشريف الرضي هو الذي حبب تلميذه في الاسلام فاعتنقه على يده ، اشار الى ذلك ابن الاثير وغيره ، ووافق عليه الاستاذ الفلال حين قال ص ٣١ :

« ومن المحقق ان الفضل في اسلامه يرجع الى الشريف الذي توسم فيه استعداده لنصرة التشيع ، وكان لبيت الرضي زعامته ، فما زال يوصيه بالاسلام حتى اسلم ، وانه لما يدهشنا ان مهيار لم يصرح في اشعاره التي قالها في استاذه بما يؤيد هذا الفضل ، على حين نراه صراحة ينسبه الى الكافي الاوحد ابي العباس الضبي حيث يقول في مدحته الدالية التي قالها بعد تركه الري مغضوبا عليه :

هو المنقذي من شرك قومي وباعثي على الرشد ان اصفى هواي محمدا
وتارك بيت النار يبكي شراره علي دما اذ صار بيتي مسجدا

ذلك الى جانب اختصاصه بتهنئته باسلامه ، يدلنا على اثر ذلك الممدوح في دفع الشاعر الى اعتناق الشريعة السمحة » .

وهذا الكلام الواضح يحتاج الى نظر فاحص ، لان قول ابن الاثير ومن تابعه ان الشريف هو الذي هدى الشاعر الى الاسلام ، لا يعدل اعتراف الشاعر نفسه بأن الكافي الاوحد كان سبب اسلامه ، اضف الى ذلك انه مدح الشريف ورثاه فلم يشر الى اثر ما له في ذلك ، مع اهميته البالغة ، واثره البعيد في نفس مهيار ، فما الذي يؤخذ من ذلك ؟ يؤخذ منه ان كلام ابن الاثير ومن تابعه مجرد استنتاج مخطىء وان اعتراف الشاعر وثيقة صادقة تمنع اللجاج .

لقد استوفى الاستاذ الفلال حديثه عن الاغراض الشعرية التي اتجه اليها مهيار استيفاء شاملا في اكثر مناحيه ، وقد اتسع حديثه وانكمش وفق اتساع الشاعر وانكماشه فيما تناول من الاغراض ، فهو في المديح والتهنئة ممتد النفس طويل الطريق ، كما هو في الهجاء والحكمة متقارب الخطو ، ضيق الامد ، وكذلك كان الدارس في هذه الاغراض ، وقد تجلى التجليل المتأمل فيما ساقه الاستاذ الفلال من آراء نقدية ، كانت بوارق ساطعة الضوء في بحثه الحي .

ومن الماح هذه الآراء تعليله الرائع لمقدمات القصائد الغزلية اذ يقول ص ١٣٨ :

« وارجو الا يكون فضولا مني ان اتعرض لذكر علته ـ علة النسيب في الافتتاح الشعري ـ فالشاعرية احساس يهيجه الحنان ، ومعاودة ذكريات الهوى ، وقد يركد هذا الاحساس فيجف معين الخيال ، وتذبل نضرة الوجدان ، فيصعب على الشاعر اذا عالج نظم القريض في غرض غير طبيعي كالمديح ان يظفر بمواتاة شاعريته ، وقد يقف جامدا لا يكاد يجيد قولا ، فيعمد الى شحذ خياله ، وسن شبا عاطفته بمعالجة الغزل بما تستلزم من اثارة الحنين ، ولم شتيت الاخيلة ، وعرض صحف من الذكريات تتزاحم بتزاحمها المعاني في اجمل حللها اللفظية كأنها الابكار في ميدان انتخابي للجمال ، فاذا احس الشاعر قدح زناد احساسه تسلل في لباقة الى غرضه ، وهو موضوع القصيدة ، فاذا العصي طيع ، واذا الجديب خصيب ، والشارد مذلل » .

وهذا كلام جيد ، رائع الموقع ، صادق الاصابة ، وقد كشف الباحث عن فطنته النفسية ، حين قال ان المدح غرض غير طبيعي ، لان فيه شعورا باستعلاء الممدوح واعتلائه على المادح ، مع ان الانفس قد جبلت على المساواة ، ثم تمردت في بعض احوالها عليها فأرادت ان تبغضها لتعتلي على الناس ، فلا بد للمدح من تكأة طبيعته هي الحديث عن الحب والشوق والصبابة ، واي الناس ليس له صبابة ، والحب امر غريزي ، ودافع فطري ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يجد صداه المجلجل والمحرق احيانا في القلوب ، فاذا انتظر الممدوح ان يسمع ما يرضيه من الثناء ففوجيء بالغزل فانها مفاجأة سارة يهش لها كتمهيد جميل ، وكذلك اذا استعصى على المادح القول ، وثقل به الحمل ، فانه يسحب مطيته بجميل الحديث عن الهوى حتى يسلس له القياد فيصاحبه التوفيق » .

وموقف الفلال من المدائح بوجه عام موقف المتبرم الضائق ، ومن عرف انفة علي الفلال وشممه واريحيته . وعلو همته عرف ان موقفه هذا طبيعي من مثله ، فهو ينظر الى المديح كبلاء عام نزل بالشعراء جميعا ولم يخص مهيار وحده فقدم لحديثه عن مدائحه بمقدمة شائقة يقول فيها ص ٨١ :

« المديح موجود منذ خلق الله المكرمات ، وليس يخلو جيل من المادحين الا اذا خلا من السماح والمروءة والشجاعة وما اليها من حميد الخصال وطيب الفعال ، اما ما يصلح ان يكون موضع اخذ ورد ، وجزر ومد ، فهو اتخاذ المدح وسيلة للكسب ، فالامة الغنية بمواردها ، المغمورة بثرواتها ، والتي لا تعرف البطالة سبيلا الى ابنائها ، يندر ان تجد فيها متكسبا بأدبه — يريد عن طريق المدائح — وللحكومات القائمة اثرها في ذلك ، فقد تشجع حكومة ما على احياء المدح التكسبي بكثرة البذل تقربا للادباء ، لغرامها بالثناء ، وتعطيف الراي العام نحوها » .

واظن المدح الذي يريده الفلال هنا ما تعمد اليه بعض الحكومات من اصطناع ذوي الاقلام في الصحف ليدافعوا عن السياسة العامة ، وهذا عينه ما كان يريده الحاكم القديم حين يسمع المدائح الشعرية مبتهجا ويثب عليها مجزلا ، والفلال في تمهيده الغدر لمهيار انما يلتمس فرصة صريحة لاعلان رأيه الابي ، وقد وجدها حين راى مهيار يقول عن الشعر :

لا تمتهنه في كل سوق فقد ... تربح حينا وبيعك الخاسر
انظر الى من وفى مدائح من ... انت وقد بات نائما ساهر
واحن عليه فانه ولد ... ابوه قلب وامه خاطر

اذ قال الفلال معلقا على هذا النص : « ان مهيار في هذه الابيات يبين نهجا نكب عن سلوكه الى حد ما ، لانه اعلن وجوب صيانة الشعر عن مهابط الضعة والامتهان، بمدح من ليسوا اهلا للمدح ، ولكنه امتهنه في كل سوق ، وقرر استيام ثقيل المهور لمدحته ، في شعر قاله ثم عاد فأرخص قصائده ، وجعلها ثمنا لارتداء جبة ، وما اظن شعره في ذم بعض الناس وتصريحه بطلب العطاء مما يرضي العلاء ! » وصدق الكاتب حقا في هذه اللمحة الواعظة .

ثم قال الاستاذ الفلال ص ١٢١ تعليقا على قصيدة لمهيار :

« ونستطيع ان نستنبط من القصيدة انه كان شرها يرخص كرامته من اجل المال ويكيف امداحه التكيف الذي يضمن له الحصول عليه ، وانه كان له وسطاء يقترحون عليه الثناء ويهيئون له العطاء ، وكثيرا ما اشار مهيار في مدائحه الى ان الممدوح اغرم بشعره وقرظه ، ثم يردف ذلك بطلب الثواب في تصريح كاشف غير مخبوء كأن يقول :

اتاني من الانباء انك مغرم ... بفضل مديحي عارف بتوحدي
حبيب اليك ان تشد عرائسي ... عليك تهادى بين شاد ومنشد
متى ما تجد لي عند غيرك غادة ... مخدرة تغبط عليها وتحسد
فقلت كريم هزه طيب اصله ... وواحد قوم شاقه مدح اوحد
متى تجزها الحسنى بحق ابتدائها ... تزرك بعين تملأ السمع عود

فاذا ترك الاستاذ المديح الى الهجاء فاننا نجده يقول :

« كان في قدرة مهيار ان يكون هجاء لاذعا ، لان هذا الغرض وثيق الارتباط بالمديح ، وهل المديح الا تنسيق عقود من كريم الفضائل يبدو الممدوح بها للناس حاليا ، وهل الهجو الا سلب تلك الفضائل او اسناد نقيضها اليه فيعود المذموم منها عاطلا ، انه كما يستطيع الباني ان يكون هادما كذلك يستطيع المادح ان يكون هاجيا ، ولكن مهيار لم يكن من الهجائين السابقين مع سبقه في المدح ، وقلما تجد متكسبا بشعره تكسب مهيار يعطى مرة ، ويمنع اخرى فيمدح معطيه ولا يذم مانعه » .

فهذا الحديث عن الهجاء موضع نقاش بيني وبين الاستاذ الباحث ، لانه صدى لاقوال سبق بها قدامة بن جعفر وابن رشيق القيرواني وغيرهما ، حينما زعموا ان من يستطيع ان يذم فيقول انه ما فعل كذا بدل ان يقول انه فعل كذا ، وهذا في رايي استنتاج ذهني لا يفطن الى الدخائل النفسية ، فليست الاماديح والاهاجي تلفيفات ذهنية في كل حين ، او تمرينات عروضية يقوم بها ناظم متمرس ، ولكنها وليدة نفس تحس وتشعر ، وفي النفوس البشرية نفوس تنفعل بالمكرمات فتهتاج وتسوق المدائح في اسهاب مرن طويل ، ولكنها نفسها تضيق بالمثالب ضيقا يأخذ عليها سبيل القول فلا تستطيع ان تفرج عن غضبها الساخط ببيت واحد ، لان طبيعتها الكريمة تنكر هذا اللون من القدح ، وحين تنساب اليه مكرهة تقوله عن رهبة واستكراه ، واذن فليس كل من يستطيع ان يبني يستطيع ان يهدم ، لان الهادم في البناء الحسي المشيد بالطوب والاسمنت غير الباني للجدار ، ومن يستطيع هدم الجدار قد لا يستطيع بناءه والعكس صحيح ، فالرجوع الى الطبائع ينكر ان يكون كل مادح هجاء ، او كل هجاء مادحا ، وللنفس اغوار دفينة تتطلب السبر الدقيق .

وفي الكتاب وثبات ظافرة لا نستطيع الالمام بها جميعها في هذا النطاق المحدود ، ويجد القارىء امثلتها فيما تحدث فيه المؤلف عن الشكوى ومكانها من انتاج الشاعر ، وتأثيرها النفسي في اعماقه ، وهو حديث واقعي صادق عن شاعر شكاء بكاء بلغ به الضيق النفسي مبلغا جعله يقول :

عيش كلا عيش ونفس مالها ... من متعة الدنيا سوى حسراتها
ان كان عندك يا زمان بقية ... مما تضيم به الكرام فهاتها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حديث مع النفس

شكوت الشجا للنفس في هدأة الدجى ... وافضيت بالاشجان والنجم غاسق
معـا نتساقى اكؤس الوجد بيننا ... ونسكب نجوانـا فيهتـز خافـق
اقول لهـا اغفى الانـام فحدثي ... فاني كما تدرين في الدهر « صادق »
وعنـدك منـي محنتـي وتعلتي ... وعندي منـك السر ليس يفارق
صحبتك في دنيـاي غـير مجانف ... وحسبي ضمير منـك بالله واثق
كفاني اني لـم اذق مـن لذيذها ... ولـم انتهز منها كما التذ ذائق
ولازمني فيهـا عـذاب وشقـوة ... فمـا لان عزمي للذي بي ضائق
وبينا اناجي النفس والليل صامت ... وقور اذا روح مـن الفجر عابق
فقالت سلام انمـا العمر نفحـة ... تنشق منها الطيب من هو ناشق
وما سورة الآلام والوجد والضنى ... سوى طائف يرتادنا وهـو زاهق
اذا اشرب الايمان قلب سما بـه ... وبصره بالحـق والحـق شائـق
فباركت نفسي انهـا « مطمئنة » ... يظللها لطـف مـن الله سامـق
وعاهدتها انـي سأطوي مودتـي ... لهـا مثلما يطوي المـودة عاشق
واحفظ منها النصح ما عشت دائبا ... علـى سنن لا تعتريـه البوائق

النجف الاشرف — محمد رضا آل صادق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كما تجد من وثبات الكتاب العلمية ما كشف عنه المؤلف من اخطاء عروضية حاول ان يقيمها ، وان ينقلها من بحر الى بحر كي تستقيم ! وفي الابيات ما لا يقبل العلاج مهما حاول الاستاذ ، وقد ادان صاحبه في كثير مما عرض له عن نصفة وحياد .

اما الموازنة بين الشريف وتلميذه مهيار فموفقة كل التوفيق ، ولو كان المجال الزمني فسيحا لدى الاستاذ لجاء بأكثر مما جاء به ، لان المجمع قد حدد امدا للبحث لا يزيد عن نصف العام ، وان كنت الا ارى راي الفلال فيما اخذه من التناقض الصريح لدى مهيار حين يكون باسما فرحا في بعض المدائـح وعابسا منقبضا في بعضها الآخـر ، لان التناقض المعترض عليه لا يكون في موضعه النقدي الا اذا وقع في قصيدة واحدة ذات زمن محدد ، اما اذا اختلفت القصائد باختلاف الازمنة المتعددة فانها حينئذ صدى لنفس متقلبة تنقل صادقة من حال الى حال فالشاعر يعبر عن اللحظات التي يعيشها ، وقد يكون مكتئبا وهو يمدح زيدا من الناس فيعبس كمـا يكون مبتهجا وهو يمدح انسانا آخر فيضحك .

ولعل لدى الكاتب وجهة نظـر اخرى طواها دون عرض ، وكنا نود ان ينشر ما يراه دون طي متحفظ لتكتمل الرؤية في وضوح كعهدي به فيما كنا نتجادل فيه من قضايا الفكر منذ حين .

هذا بعض ما يقال عن اثر الفلال في تحليل مهيار اما كل ما يقال فيضيق عنه المجال .

المنصورة — محمد رجب البيومي



حنانيك يا ربي

تعرض صديقنا الاستاذ عبد الرزاق الهلالي ، الى عارض توقف كليتيه عن العمل وعجزهما عن اداء وظيفتهما الطبيعية ، فتزايدت بدمه مادة (اليوريا) القاتلة ، فلما نقل الى (مدينة الطب) في الوقت المناسب ، بودر بعلاجه بغسل كليتيه بالكلية الصناعية ، وبذلك تم اسعافه وابعاده عن اثر مادة اليوريا التي كادت تقضي عليه . وحيث ان كليتيه لا تزالان عاجزتين ، فقد اوصي بمراجعة مدينة الطب مرتين في الاسبوع للافادة من خدمات هذا الجهاز الطبي .

عبد الرزاق الهلالي

حنانيك يـا ربي فلولاك لم اعش ... بهذي الدنى ارجو الشفاعة يا رب
حنانيك اني لـم اكن اعلـم الكلى ... لها في اذى جسمي التكاسل والكرب
فقـد كنت ألهو وهـي تفعل فعلها ... بجسمي فيا لله كم ضعفها صعب
فبينا أنـا في رائق العيش سادر ... وفي هذه الدنيا احقق مـا اصبو
شعرت بأني قـد تولاني الضنى ... وجذوة آمالي بـدت بالاضنى تخبو
وبـت اعاني مـن امـور كثيرة ... وصرت اذا مـا سرت في مهمة اكبو
فأسرعت للدكتـور اشرح حالتـي ... فقال بفحص الدم تنكشف الحجب
فنفذت ما اوصى بـه وهو عالم ... بـأن خلايا الـدم مرتعها خصب
فاظهر هذا الفحص انـي فريسة ... لسم هو (اليوريا) الذي امره عجب
وان الكلى قـد اعجز السم فعلها ... وباتت جهازا قـد تهارشه العطب
فمـا لـي الا ان اسارع راجيا ... شفاءا بدار الطب فهي لنـا أرب
ولـم ألف حتى جاءني معشر بهم ... تفاخر دنيا الخلق ، والعلم والطب
فقالوا رعـاك الله انـك مسعد ... فقد جئت في وقت بـه عظم الخطب
فقـد زادت اليوريا زيـادة راغب ... بقتلك عمدا اذ بها اضطرب القلب
واصبح ضغط الدم بالجسم عاليا ... وانت بهـذا للضنى والاذى نهب
فمـا لـك الا ان تبارك نعمـة ... مـن الله واشكر انه المنعم الرب
فلولا جهاز (الدايلسز) لمـا بدا ... بامكاننا شيء ، فـذا طبه صعب
فهـذا جهـاز قـد اعـد بدقـة ... لغسل الكلى اذ فيه يستدفع الكرب
ويطرد ما في الدم من مرض غدا ... لـه في خلايا الدم موقفه الصلب

فقلت تعالى الله اني لشاكر ... له الحمد هذي نعمة فيضها عذب
فهـا انـذا في رحمة الله مؤمـن ... وما قد اتى العلم الحديث له اصبو
وهاكم يـدي كـي يغتذى بدمائها ... جهازكـم مـا في أمانتـه ريـب
فقالوا رعاك الله مـا دمت مؤمنا ... وتعلـم ان العلـم ميدانـه رحب
تعـال الينـا كـي ننظف كليـة ... بـه انه في خدمة الناس لا يكبو
فكم مـن مريض ، وشكت ان تهده ... سموم بها اضحى وليس لها طب
ولكنـه في ذا الجهـاز تعادلـت ... فواه واضحى لا ينوء بـه الركب

فقلت اذن انـي لفي طوع امركم ... خذوني اليـه انني مغـرم صب
وما هـي الا لحظة كنت بعدها ... مسجى وجسمي للجهاز لـه قرب
ومـد ذراعي كـي يمص دماءها ... رضيع لـه في المص ديدنه سحب
وآخـر يأتـي بالدمـاء نظيفـة ... ويودعها بالجسم كي ينهض القلب
وبت علـى هـذا النظام ممددا ... مدى ست ساعات طوال لها صخب
فلمـا تناهى المص والدفع بعدها ... اعيد دمي ما فيه من وضر شوب
فقمت وقـد احسست اني متعب ... فقالوا استرح واصبر فقد يذهب التعب
وبينـا انـا في راحـة وهنـاءة ... افكر في ما قد اتى العلم والطب
اتوا بجهاز الضغط كيمـا يحددوا ... مدى ضربات القلب فالقلب قد يكبو
فلما بـدا اني على خـير حالة ... وان كيانـي لا يهـدده شغـب
نصحت بـأن اغدو الى البيت طالما ... بدت صحتي في حالة ما بها كرب
وقيل ابتعد عن كل اكل به اذى ... تزيد به اليوريا فيستعظم الخطب
فـان بالبروتين يكمـن داؤهـا ... فاياك ان تهفو لـه انـه حرب
وخذ جدولا يعطيك كـل شريحة ... من الاكل حتى لا يضيق بك الدرب
وكن حذرا مـن اكل بعض فواكه ... كثير بهـا البوتاس والملح والصلب
ولا تنس ان تأتي الينـا معاودا ... بيومين في الاسبوع كي يسعد القلب
وكـي تتصفى الكليتـان ففيهمـا ... من السم ان السم مركبه صعب

فنفذت مـا قالوا وصرت مداوما ... وليس لحظي في مداومتي عتـب
واسلمت امري للذي هـو خالقي ... وما هـو الا الواحد الصمد الرب
اذا شاء ان يحـي العظام رميمة ... يقول لهـا كوني فتنهض لا تكبو
ويبعث فيهـا الروح وهـو لقادر ... على ان يعيد الميت حيا ، فلا ريب
وهل لـي الا ان اسائل رحمـة ... مـن الله ارجوها ليرتفـع الكرب
فقد قال يا عبدي ادعني استجب وكن ... على ثقـة اني لدعواك في قـرب
فليس بعيـدا ان يحـرك كليتي ... ويأمرها كيمـا يعاودها الجـذب
فتفرز عن جسمي السموم براحة ... فلا وضر اذ ذاك فيها ولا شوب
الهي هـذا مطلبي وهـو هـين ... عليك ، فانقذني بعونك يـا رب

بغداد ــ اعظمية

عبد الرزاق الهلالي

محلة نجيب باشا ــ شارع عزيز احمد شهاب

القصيدة الغنائية وتطورها

عند شعراء مدرسة ابولو

بقلم الدكتور محمد قشوان

* * *

اذا جاز لنا ان نجعل للحياة فنا فان الشعر هو فن الحياة الاول ، والشاعر اقدر الناس على فهم الحياة ، وهو بشر يتحدث الى بشر ، ويعمل جاهدا كي يعثر على اجود الالفاظ في اجود نسق .

ومن المؤكد ان الشعر ليس شبيها بالحياة ، ولكنه يوقظ حياة جديدة فينا ويعجل بظهورها ، ومن اجل هذا يعمل على ان يخصب في عقولنا استجابات كانت مخزونة في نفوسنا هامدة جامدة .

والشاعر يصنع نفسه في قصيدته من جديد ، متخيلا مختارا منظما وسط ركام الاشياء المبهمة التي تتدافع في نفوسنا لتتحول الى الفاظ واصوات ، ويأتي القارىء بدوره فلا يتعرف على الشاعر فحسب من حيث هو انسان موهوب ، وانما يكشف مداخل ومسارب جديدة لم يحسها في نفسه من قبل .

وقد واكب فن الشعر ركب الحياة الاول ، منذ اللحظة الاولى التي انفرجت فيها اسارير الكون ، وتهلل وجه الطبيعة بالبشر ، وهي ترقب اول مخلوق من ابناء البشر .

ففي فجر الطبيعة الاول رن في انحاء الوجود صوت كأنه الحلم المحبوب يطوف بالجفن ، او كأنه المعنى السامي يمر بالذهن ، واذا هذا الصوت يتجلى غناء للسامعين ، ويمشي رجاء للنائمين ، ولم يكن هذا الصوت سوى صوت الشاعر .

عاش الشاعر قبل ان يوجد في ضمير الغيب ، يسبح في سموات اثيرية شفافة يحلم باللحظة التي تتفتق فيها الحياة عن مولده ، ويمني نفسه بمستقبل واعد على الارض ، ولما ان هبط الى الارض هبط مشوقا اليها ، فاذا هو يرى من امرها عجبا ، واذا ابناؤها يجدون ويهزلون ، ويصارحون ويراؤون ، ويأملون ويألمون ، ويفرحون ويشجنون ، واذا شعره يتحول الى سجل حافل ، بكل تلك المتناقضات التي تسبح في بحر الوجود .

واذا كان ادبنا العربي قد حفل بعدد كبير من الشعراء الذين اتخذوا من الشعر معزفا ينشدون عليه اعذب الالحان ، وجعلوه وسيلة للترجمة عن روح الوجود وجماله منذ عصري الجاهلية وصدر الاسلام حتى العصر الحاضر ، ثم لا تزال قصائدهم تتردد في سمع الزمان ، وانا شيدهم العذاب تسرف في ارجاء الطبيعة والكون تعطر الانسام وتضمخها بعبيرها الفواح فان جهود الدارسين والباحثين في ميدان الدراسات الادبية والنقدية في الماضي والحاضر ، قد كشفت عن جوانب كبيرة من هذا الشعر ، وسبرت اغواره ، ووضحت سماته وخصائصه وتعرضت لكل ما اثير حوله من قضايا ومشكلات ، ثم لا يزال صداها يتردد قويا مجلجلا في محيط الدراسات الادبية والنقدية حتى العصر الحديث .

واذا كان الشعر العربي قد تناوشته عوامل كثيرة من القوة والضعف ، والنضارة والذبول ، والازدهار والاضمحلال ، على اختلاف المراحل التاريخية التي مر بها ، فانه مع بواكير هذا القرن بدأ ينهض من عقاله ، ويتحرر من اغلاله التي كبل بها خلال فترة الحكم العثماني لمصر وباقي بلدان العالم العربي تقريبا ، ويشهد تحولا خطيرا على ايدي مدرسة البارودي التي اعادت للقصيدة العربية ديباجتها الرائعة التي كانت عليها ايام العباسيين وسواهم .

وقد قامت في اعقاب تلك النهضة المباركة مدارس جديدة تنافس مدرسة البارودي وشوقي في الشعر ، وتدعو الى التجديد بأوسع معانيه واشمل مدلولاته فكانت مدرسة الديوان التي ضمت ثلاثة من كبار الشعراء هم : عبد الرحمن شكري ، والمازني والعقاد ، الذين حفل شعرهم بالمضامين والتجارب الجديدة في منهج القصيدة ، واتجاهها في الفكرة والتصوير ، والذين نقدوا شعر حافظ وشوقي ، كما نقدوا في غير هوادة او مهادنة ادب المنفلوطي .

وفي عقب تلك الخصومة قامت مدرسة ابولو الشعرية .

وقد نشأت هذه المدرسة متأثرة بالشعر الرومانتيكي والرمزي في فترة الشعور الجارف باستقلال الشخصية المصرية ، والاحساس الغامر بالحرية الفردية ، والتشبع بروح الثورة .

قامت تلك المدرسة متمثلة في جمعية ابولو الشعرية التي اعلن الدكتور احمد زكي ابو شادي عن قيامها في سبتمبر من عام اثنين وثلاثين وتسمائة والف .

وقد اصدرت هذه الجمعية مجلة باسمها ، صدر العدد الاول منها في سبتمبر من نفس العام .

صدر من مجلة ابولو اربعة وعشرون عددا على مدى

عرض لرسالة الدكتوراه التي قدمتها الى كلية اللغة العربية بجامعة الازهر باشراف الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، وحصلت بها على الدكتوراه مع مرتبة الشرف الاولى ومع التوصية بطبع الرسالة على نفقة الجامعة وتداولها مع شتى الجامعات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عامين ، ضمت ثلاثة آلاف صفحة ، احتوت على اكثر من سبعمائة قصيدة وقطعة ومنظومة ، الى جانب اربعمائة وخمسين دراسة تحلل وتنقد . شارك في المجلة اكثر من ثلاثمائة قلم لادباء وشعراء ، بعضهم كان معروفا ، وبعضهم كان مغمورا لم تطرق اسماؤهم الاسماع .

وقد كتب الدكتور ابو شادي في العدد الاول يقول : « ان السر في قيام الجمعية والمجلة هو الرغبة في احلال الشعر مكانته السامقة الرفيعة ، وتحقيق التآخي والتعاون المنشود بين الشعراء »، ويقول : « واذا كانت «الميثولوجيا» الاغريقية تتغنى بأبولو رب الشمس والشعر والموسيقى فنحن في حمى هذه الذكريات التي اصبحت عالمية نتغنى بكل ما يسمو بجمال الشعر العربي وبنفوس شعرائه » .

وقد بدات صلاتي الادبية تتوثق بتراث تلك المدرسة في الفترة السابقة على مرحلة العالمية (الدكتوراه) اذ وجدت في تلك الدراسات التي اتيح لي الاطلاع عليها في تلك الفترة كثيرا من السمات والملامح التي مازت هذه المدرسة عن غيرها من مدارس الشعر في العصر الحديث .

وقد شجعني ذلك على الاتصال بالتراث الشعري والنقدي لتلك المدرسة في مصادره الاصلية ، وكان لهذا كله آثار مخلدة باقية دفعتني الى القيام بعبء تلك الدراسة .

واذا كان شعراء تلك المدرسة قد عاشوا في كنف الطبيعة بزرعها واشجارها ، وحيوانها وطيورها ، وهوامها وحشراتها ، وبحارها وانهارها وعيونها وآبارها ، وتسمعوا في خفر واستحياء الى حفيف الاشجار ، والى هتاف الطيور في البكور والآصال ، وراقبوا في حبور مشرق حركة الهوام والحشرات ، وركبوا البحار والانهار ، وشاهدوا فيها عجائب المخلوقات ، ثم ابحروا مرة اخرى في نفوسهم ، وسلكوا دروبها المعتمة ، وارتادوا مساربها المبهمة ، فأيقظوا ساكن الاحاسيس ، وخامد المشاعر ، وغصت اشعارهم بأنماط شتى من الصور والخيال ، فان الحياة التي عشتها في طفولتي ويفوعتي لا تبعد كثيرا عن هذه الحياة ، التي ترجم عنها شعراء ابولو في جل ما خطته يراعتهم الشعرية من قصائد واشعار تزخر بها دواوينهم الكثار .

ولما كان الشعر العصري هو لسان الحياة العصرية ، والحياة العصرية ذات صلات شتى بالماضي ، وذات تطلع الى المستقبل فليس غريبا ان يكون موضوع هذا البحث « القصيدة عند شعراء مدرسة ابولو » .

وقد تناول بعض الدارسين والباحثين هذه الدراسة في كتب ، وبحوث قامت في الجانب الكبير منها على المنهج التاريخي دون اهتمام واضح بالمنهج الفني ، او المنهج التكاملي ، وفي ظني ان الدراسة الفنية للظواهر الادبية هي ما ينبغي ان تنهض عليها الدراسات الجامعية ، وعلى الذين يكلفون انفسهم بدراسة التراجم الشخصية او بدراسة الظواهر التاريخية للاتجاهات والمذاهب الادبية والنقدية ان يقتصدوا في السرد التاريخي ، وان تتجه جل عنايتهم الى دراسة الظواهر الفنية ، لان ذلك في ظني يتفق وجدية تلك البحوث والدراسات .

واننى اذ اتقدم بهذه الدراسة الفنية الجادة عن القصيدة عند شعراء مدرسة ابولو لنيل شهادة العالمية (الدكتوراه) في الادب والنقد من كلية اللغة العربية بجامعة الازهر الشريف ليحدوني الامل في ان تعطى تلك الدراسة كل ما تصبو اليه نفسي من آمال .

هذا ... وقد بنيت البحث على مقدمة وخاتمة تجمعان فيما بينهما خمسة ابواب على جانب كبير من الاهمية على النحو التالي :

الباب الاول : بعنوان : القصيدة .... مفهومها وبناؤها الفني وقد اشتمل على اربعة فصول :

الفصل الاول : في مفهوم الشعر والقصيدة والقصيد والرجز قديما وحديثا ، وقد اشرت في هذا الفصل الى عدة نقاط اثبتها ملخصة فيما يلي :

١ ــ اختلفت الآراء في تحديد ماهية الشعر قديما وحديثا ، واذا كانت عناصر الشعر عند القدماء تنحصر في اللفظ والمعنى ، والوزن والقافية مع القصد والنية ، فانه يتمثل في هذا العصر في التجربة الشعرية ، والموسيقى والخيال والصورة .

٢ ــ ناقشت تعريف القدماء للشعر من انه الكلام الموزون المقفى ، وبينت ان هذا التعريف ابعد الاشياء عن روح الشعر ، اذ ان هذا التعريف من شأنه ان يضيق حدود الشعر ، ويقتل الشاعرية ، لانه بمقتضاه يصبح اكثر النظام شعراء على بعد الشقة بين الشعر والنظم .

٣ ــ وضحت ان هذا التعريف لم يزل يفرض سلطانه على شعراء المدرسة المحافظة في العصر الحديث ، وان بوادر التمرد والخروج عليه قد بدأت بظهور المدارس التجديدية في الشعر العربي الحديث .

٤ ــ سقت في تلك الدراسة كثيرا من تعريفات العرب والغربيين للشعر ، وبينت ان شعراء مدرسة ابولو لا يعتدون فيه بالوزن ولا بالتقفية ، وانما يعتدون بطاقاته الكامنة فيه ، وبنبضاته وارتعاشاته ، وهمساته وايحاءاته ، وبما يشتمل عليه من دقيق الحس ورقيق الشعور .

٥ ــ عقبت على تعريفات شعراء ابولو ونقادها للشعر بعدة ملاحظات من بينها :

ــ ان الناس سوف يختلفون في الاجابة عن هذا السؤال : ما هو الشعر ، وان هذا الاختلاف سوف يستمر باستمرار الحياة نفسها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ لم يعر شعراء ابولو القصد والنية في الشعر ادنى اهتمام ، وقد وضحت سبب ذلك في موضعه من الدراسة .

ـ النثر عندهم يقابله النظم ، اما الشعر فقد يكون منظوما ، وقد يكون منثورا ، ولم يعد النثر مقصورا على كونه لغة العقل ، والشعر على كونه لغة العاطفة ، بل اصبح النثر في احيان كثيرة معرضا للعواطف القوية ، والاحاسيس الجياشة والمشاعر الفوارة .

ـ لم تعد الموسيقى الخارجية (الوزن والقافية) الاساس الذي ينهض الشعر عليه بل اصبح احساسهم بالموسيقى من المعاني المبهمة او الغامضة ، التي قد لا يمكن تحديدها في احيان كثيرة .

٦ ـ عرضت في هذا الفصل ايضا تعريفات القدماء والمحدثين لكل من القصيدة والقصيد والرجز ، وناقشتهم في تلك التعريفات بما يتفق واتجاهات الفلسفة الجمالية الحديثة .

اما الفصل الثاني : فكان عن المعجم الشعري عند شعراء ابولو ، وقد عرفت بمصطلح المعجم الشعري ، ثم عرضت عرضا سريعا لهذا المعجم في عصور الادب المختلفة من الجاهلية وصدر الاسلام حتى العصر الحديث ، محاولا ربطه بالنواحي التاريخية والسياسية والنفسية والاجتماعية وغير ذلك ، اذ ان تلك النواحي جميعها قد القت بكثيف ظلالها على المعجم الشعري ، ولونته تلوينا خاصا يشير الى ان طبيعة الحياة المتغيرة قد لونت المعجم الشعري عند شعراء ابولو بما يتفق وما طرا على العالم من تبدل وتغيير .

ثم قسمت المعجم الشعري الى قسمين بارزين :

أ ـ المعجم الشعري المفتوح : واعني به ذلك الحشد الهائل من الالفاظ والاساليب الشائعة عند شعراء المدرسة جميعا .

ب ـ المعجم الشعري المغلق : واعني به ذلك الرصيد الكبير من الالفاظ والاساليب الشائعة في انتاج كل شاعر منهم على حدة .

وهذان الاصطلاحان من الاضافات الجديدة التي لم يسبق ان اشار اليها باحث او دارس من قبل .

كان ابو شادي لا يستسيغ العنجهية التي ترفض صقل المألوف ، وتؤثر احياء الرميم من الكلمات الثقيلة البالية التي لا يقبلها الذوق العصري من امثال : السخام لهباب القدر ، والراقول لمطلاع النخلة ، والمرعاس لمدق الطريق والنوردجة للقبعة ، والتقازيح للتوابل ، وغير ذلك .

ومن اجل ذلك شاع في انتاجهم كثير من الكلمات العصرية ، والشعبية ، كما ادخلوا كثيرا من الكلمات الاجنبية على المعجم الشعري ، وكان ذلك ناجما عن اهتمامهم بالشعر المترجم ، وتشجيعهم لحركة الترجمة من اجل تطعيم ادبنا بألوان عديدة من تلك الثقافات .

وقد حققت في هذا الفصل عن طريق دراسة المعجم الشعري المفتوح نظرية التحليق الشعري التي تنهض على معجم شعري خاص ، وعلى لون من الموسيقى يتسم بالعذوبة والشفافية والغموض .

ثم عرضت آراء بعض المنهجيين في تلك الالفاظ التي تنهض عليها تلك النظرية وناقشتهم في ذلك مناقشة علمية جادة على نحو موضوعي رشيد .

وقد حققت ايضا مسألة على جانب كبير من الاهمية ، وهي مسألة استعمال شعراء ابولو لكثير من الالفاظ السابحة في الاضواء والظلال والارواح والاشباح والشذى والنور والعطر وغير ذلك ، فقد كان ابو شادي شديد الاهتمام بالنور ـ مثلا ـ حتى عده خليل مطران شاعر النور الاول في العربية ، واول شاعر جعل للنور قداسة .

واما الفصل الثالث : فكان عن الشكل والمضمون في القصيدة ، وهذه قضية نقدية قديمة بلا شك ، لذا عرضت لها عرضا خاطفا عند القدماء ، ثم تأنيت في عرض آراء شعراء ابولو ونقادها فيها ، مشيرا الى ان النزعة الى استقلال الفرد في التعبير قد فرضت على هؤلاء الشعراء البعد عن النماذج التقليدية في الشعر من اجل ابراز شخصيتهم ، ولذلك حاولوا التجديد بالخروج على نظام الشكل المنهجي للقصيدة الى الشكل الجديد .

وقد نوهت في هذا الفصل بالجهد الذي بذله شعراء المدرسة من مناداتهم بتمثيل الشعر للتجارب الانسانية والنفسية والوجدانية التمثيل الصادق دون ان يصبح الشاعر اسير تلك الفلسفة المنهجية الموروثة في صنع القصيد .

وكان الفصل الاخير عن الوحدة الفنية في القصيدة ، وهي قضية نقدية قديمة كذلك ، واذا كنت قد اسرعت في عرض تلك القضية عند القدماء فاني قد تأنيت في عرضها عند شعراء ابولو ونقادها ، ولم يفتني في معرض تلك الدراسة ان انبه الى ان حديثهم عن تلك الوحدة لم يخرج عما اشار اليه سلفهم من نقاد العصر من امثال مطران وشكري والمازني والعقاد وميخائيل نعيمة وغيرهم .

كما لم يفتني ان انوه بما كان لهم في تلك القضية من اضافات مشيرا الى ان تلك الاضافات الجديدة انما استقوها اصلا من اطلاعهم الوسيع على آداب الغرب .

ثم عرضت لتطبيق تلك الوحدة على الشعر الغنائي ، والقصصي ، والملحمي ، والتمثيلي عند شعراء تلك المدرسة مبينا ما ادخله هؤلاء من تجديد على نظام القصيدة في تلك الناحية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اما الباب الثاني : فكان عن الاجناس الشعرية عند شعراء مدرسة ابولو وقد تشعب الحديث فيه الى ثلاثة فصـــول :

الفصل الاول : وفيه عرضت للاغراض والنزعات الشعرية للقصيدة الغنائية عند شعراء تلك المدرسة ، ومن تلك الاغراض التي ذكرتها :

١ ــ الشعر الوصفي : وقد وضحت في هذه الدراسة ان الوصف عندهم لم يقف عند الناحية التقريرية المجردة ، بل مزجوا بينه وبين مـــا تمور به نفوسهم مـــن مشاعر واحاسيس وفي سبيل ذلك استعملوا التشبيه والاستعارة وسائر الوان المجاز استعمالا شفافا ، وكانت جرأتهم في تلك الناحية من المسائل التي قررتها الدراسة ، وقد كان علي محمود طه مـــن ابرز شعراء ابولو في باب الوصف الشعـــري .

٢ ــ الشعر الوطني : وفيه يعمد شعراء تلك المدرسة الى الجهد والتصريح تارة ، والهمس والتلويح تارة اخرى ، وكان حديثهم عن معالم مصر الحضارية لونا من الوان هذا القسم ، كما كان حديثهم عن اشخاص الزعماء الوطنيين من امثال سعد زغلول ومصطفى كامل لونا من الوان الشعر الوطني كذلك .

٣ ــ شعر الرثاء : وقد قسمته الى ثلاثة اقسام :

أ ــ رثاء من ماتوا من شعراء المدرسة او اصدقائهم واقاربهـــم .

ب ــ رثاء الزعماء الوطنيين في مصر والعالم العربي .

ج ــ رثاء الممالك الزائلة .

وفي القسم الاول يتمثل الصدق ، ويتجلى الوفاء كاملا لهؤلاء الذين جفت في حلوقهم اناشيد الحياة ، وقد اجريت بعض الموازنات بين تلك المراثي ، هادفا من ورائها الى بيان سماتها وخصائصها ، في الالفاظ والاساليب والصور والخيـــال .

ووضحت في القسم الثاني ان هذا اللون لم يكن يقصد به اشخاص الزعماء بقدر ما كان يقصد منه من اثارة نخوة الوطنية في النفوس مـــن اجـــل الظفر والفوز بالحرية والاستقـــلال .

اما القسم الثالث فقد خمدت فيه وقدة العاطفة ، بينما اطلت النزعة الوطنية برأسها من خلاله على نحو ملحـــوظ .

٤ ــ شعر الفلسفة والتأمل والتصوف : وقد وضحت مـــا بين شعر الفلسفة وشعر التأمل المجرد ، والتأمل المشوب بالفلسفة والتصوف من فروق ، واشرت الى ان شعراء ابولو كتبوا الشعر الفلسفي وشعر التأمل المجرد ، والتأمل المشوب بالفلسفة والتصوف ، والدراسة في تلك الناحية تمتاز بالعمق والموضوعية والجدة والابتكار .

٥ ــ الشعر الفكاهي : وقد اشارت الدراسة الى قلة اشعارهم في هذا الغرض ، وبينت سبب تلك القلة في موضعها من البحث .

٦ ــ بكاء الاطلال : وقد تميز شعراء ابولو في هذا الغرض بأن كتبوا قصائد كاملة فيه ، دون الاقتصار على بيت او عدة ابيات في المطلع على النحو الذي كان سائدا في الشعر المنهجي القديم ، كما كان لشعراء تلك المدرسة فلسفة خاصة في الوقوف على الاطلال وقـــد كانت تلك الفلسفة نابعة من اهتمامهم بموضوع الشكوى والالم على عادة كبار الرومانتيكيين المذهبيين .

٧ ــ شعر المجون : وقد كان شعرهم في هذا الغرض مشوبا ــ في الغالب ــ بروح الفكر والتأمل ، وقد انحدر بعضه الى مستوى الشعر الماجن عنـــد امريء القيس والنابغة من الجاهليين ، وابي نواس مـــن العباسيين وغيرهـــم .

٨ ــ ثم عقبت ذلك كله بالشعر العلمي ، مبينا ما بينه والشعر العلمي القديم من فروق مشيرا الى ان رائد تلك المدرسة كان يرى انه من السهل ان يستوعب الشعر من طرائف الطب والهندسة وشتى العلوم اذا وجد الشعراء الذين يتأثرون به على هذا النحو القائم ، ومزج نظريات تلك العلوم بالخيال ، والعاطفة والمعارف الانسانية .

وكان الفصل الثاني : عن الشعر القصصي والملحمي ، وقد ناقشت فيه قضية الملحمة في الشعر العربي مناقشة مركزة خاطفة ، ووضحت ان الملحمة في الادب العربي لا ينبغي ان تكـــون صورة مطابقة لمثيلاتها في آداب الامـــم الاخرى ، ذلك لان لكل شعب ظروفه ، ولكل بيئة ملابساتها التي تحدد طبيعة الاجناس الادبية التي يعمد اليها ادباؤه وشعراؤه ، وانطلاقا من ذلك بينت ان شعراء ابولو فوق انشائهم للقصص والاقاصيص الشعرية انشأوا الملاحم التاريخية والفلسفية والاجتماعية والرمزية والادبية .

وقد صححت زعم الدكتور محمد مندور القائل بأن الدكتور ابا شادي لم يجاره في اتجاهه القصصي احد من شعراء مدرسته ، اذ اكدت الدراسة خطأ هذا الزعم مدعومة في ذلك بالدليل .

وكان الفصل الثالث : عن الشعر المسرحي والاوبري : وفيه تعرضت الدراسة لفن جديد لم يكتب له البقاء طويلا هو فن الاوبرا ، فتحدثت عن مدارس الاوبرا في الغرب ، ومنزلة هذا الفن بين الادب والموسيقى ، والفرق بينه وبين « الاوبريت » وعوامل فشله واخفاقه حتى انه لم تقم له قائمة حتى الآن .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واما الباب الثالث : فكان عن الخصائص الفنية للقصيدة عند شعراء ابولو ، ويقع هذا الباب في ثلاثة فصول ايضا على النحو التالي :

الفصل الاول : عن الخصائص المتصلة بالموضوعات وطبيعة التجارب الشعرية ومن تلك الموضوعات التي عالجتها الدراسة :

١ ــ موضوع الحب والمراة : وقد كان حديثهم في هذا الموضوع تنفيسا عن رغباتهم المكبوتة ، وآمالهم المقيدة ، وتعويضا عن ظلم الدهر لهم ، وتحامله عليهم ، وتخفيفا من واقعهم الدامي ، ومرقى يسمون عليه فوق العالم الارضي ، وقد وصل اهتمامهم بهذا الموضوع الى حد التقديس والتهالك على عبادة البدن او عبادة الروح او البدن والروح معا .

٢ ــ النزعة الانسانية : فقد صوروا في اشعارهم مظاهر البؤس ، وابرزوا بعض الجوانب المظلمة في المجتمع من مثل شقاء الفلاح وضياع المشرد والبغي وغير ذلك .

٣ ــ الطبيعة : وقد تفردوا بشخصية متميزة في حديثهم عن الطبيعة ولقد بلغ اهتمامهم بها حد الاندماج فيها ، وابتعدوا عن الوصف الحسي لمشاهدها ومرائيها ، ويعد شعرهم في الطبيعة لوحة ناطقة بجمال الكون وجلاله ، ولا غرو فقد كانت الطبيعة لهم بردا وسلاما حينما يشتد عليهم لفح الحياة .

٤ ــ الحنين الى مواطن الذكريات : وكان ذلك نابعا من نظرتهم الانطوائية ، واحاسيسهم المفعمة بالالم ، الى درجة تغنيهم به على عادة الرومانتيكيين المذهبيين .

٥ ــ الشكوى والالم : وكان ذلك ناجما عن نزعتهم الرومانتيكية كذلك ، وهي من النزعات الغالبة عليهم ، وقد قررتها الدراسة على نحو علمي جاد .

واما الفصل الثاني : فقد كان عن خصائص الاسلوب والطريقة الفنية في الاداء وقد تناولت من تلك الخصائص في هذا الفصل :

١ ــ الاعتماد على معجم شعري خاص .

٢ ــ الميل الى استخدام الاساليب الرمزية .

٣ ــ التعاطف مع الاشياء ، والحلول الشعري فيها .

٤ ــ تجسيم المعنويات ، او تحويلها من المجال التجريدي المحض الى المجال الحسي الخالد ثم بث الحياة فيها في بعض الاحيان .

٥ ــ منح الحياة الانسانية لما ليس بانسان .

٦ ــ تجريد المحسوسات .

٧ ــ التعبير بالصورة .

٨ ــ استعمال الكلمات الموحية .

٩ ــ استخدام الالفاظ المتصلة بالطبيعة وبالجو الروحي .

١٠ ــ التكرار .

١١ ــ استخدام الالفاظ الرشيقة ، ذات الخفة على اللسان وحسن الوقع في الآذان .

١٢ ــ استخدام الكثير من الاسماء الشائعة في (الميثولوجيا) اليونانية ، وكذلك في التاريخ الفرعوني القديم.

وكان الفصل الثالث : عن خصائص الموسيقى الشعرية عند شعراء المدرسة . ويعد هذا الفصل من اصعب الفصول اذ وجدت فيه مشقة ورهقا ، وكان اعظم ما عوضني عن تلك المشقة وذلك الرهق ان الحديث في هذا الفصل امتد حتى شمل كثيرا من الامور التي التفت اليها شعراء ونقاد ابولو في تلك الناحية كما كان لاسهامي الكبير بالراي والتزجية والمناقشة والتقويم في جل ما تعرضت له بالدراسة في هذا الفصل خير عوض عما جوبهت به من صعوبات في هذا المجال .

وكان الباب الرابع : عن النزعات التجديدية الاخرى في القصيدة عند شعراء المدرسة ، وقد نهض هذا الباب على اربعة فصول على النحو التالي :

الفصل الاول : عن الاتجاه الرومانتيكي عندهم ، وقد قدمت لهذا الفصل والفصول التي تليه بتمهيد وضحت فيه الاسباب التي اثرت في انتاج هذه المدرسة ودفعت بشعرائها الى النهوض بالشعر ، والتجديد فيه .

ثم وازنت بين رومانسية هذه المدرسة ورومانسية الغرب من جهة ، ثم بينها وبين رومانسية شعراء « الديوان » من جهة ثانية .

وقد وضحت ان رومانسية هذه المدرسة كانت اقرب الى رومانسية شعراء المهجر وبخاصة في الاسلوب والالفاظ والصور والخيال .

واما الفصل الثاني : فكان عن الشعر الرمزي عند شعراء المدرسة ، وقد وضحت في معرض تلك الدراسة ان ابن وهب عقد للرمز بابا في كتاب نقد النثر ، بين فيه ان العرب استعملت الرمز كثيرا في الشعر ، وان القرآن مشتمل على كثير من تلك التعابير الرمزية كذلك .

ثم وضحت خصائص الرمزية من حيث الموضوعات ، ومن حيث الاسلوب ، واشرت الى ان الرمزية التي ذكرها ابن وهب وغيره من نقادنا القدماء تختلف عن الرمزية المذهبية في كثير من الاتجاهات .

ثم اشرت الى ان الرمزية ، كما تكون في اللغة ، تكون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الفلسفة وروح الغيب كما تكون في الصور والموسيقى والموضوع ، وقد عالج شعراء ابولو تلك الانماط جميعها في شعرهم .

ثم ان الرمزية اتجهت عندهم اتجاها نفسيا ، فالاحاسيس النفسية المتراكمة والمشاعر المتداخلة ، لا يمكن نقل العدوى بها الى القارىء او المستمع كما هي دون الاعتماد على ذلك الاتجاه النفسي الرمزي ، وقد برع شعراء المدرسة في تلك الناحية .

والفصل الثالث : عن الاتجاه العمودي الكلاسيكي وتجديدهم فيه ، وقد عرضت في هذا الفصل لنظرية عمود الشعر عند القدماء كالمرزوقي وغيرهم ، وانطلاقا من تلك النظرية قمت باجراء موازنة واسعة ، هادفا الى بيان ما ادخله عليها شعراء ابولو من تجديد والى ما كان لهم فيها من اصالة وابتكار .

ثم كان الفصل الاخير : عن شعر التصوير ، وهو ما لم يشر اليه باحث من قبل ، وقد توخيت في تلك الدراسة ان اكشف عن اعماق هذا اللون وابعاده وبينت انه وان امتد الى عصور الادب المتقدمة الا انه يوجد ثمة فروق بينه وبين نظيره عند الابوليين اذ كان شعراء تلك المدرسة وعلى راسهم ابو شادي يقدمون لنا مثلهم العليا في الجمال ، ثم يستوحونها القيثارة الشعرية المترجمة ، فاذا بنا نقرا ترجمة لنفوسنا وخواطرنا في الوقت الذي تستمتع فيه اعيننا بهذا السحر الفني .

وقد اشرت في تلك الدراسة الى كثير من النقاط التي تعطى لهذا اللون من الشعر حدوده الخاصة وابعاده الحقيقية ، من امثال الموازنة بينه وبين النحت والتصوير وغير ذلك .

ثم نأتي الى الباب الاخير ، وهو بعنوان : مدرسة ابولو في ضوء النقد الحديث وقد اشتمل على فصول ثلاثة ينتهي مطافنا عند الانتهاء من الفصل الثالث منها :

الفصل الاول : وفيه تعرضت بالدراسة الى المآخذ التي وجهت الى شعراء تلك المدرسة ، وقد ناقشت تلك المآخذ ، وما اتهمها خصومها به من تقصير على ضوء النقد الموضوعي الجاد .

وقد اوليت مصادر تلك المآخذ عناية خاصة ، اذ اعتمدت في عرض هذا الموضوع على مجلة ابولو الشعرية وعلى كثير من الصحف والمجلات والجرائد المعاصرة لها كالبلاغ والجهاد والسياسة الاسبوعية والوادي وغيرها .

وقد اتضح لي ان تلك المعارك قد بدات وكان رائدها الصدق ، ثم لم تلبث ان تحولت الى الاسفاف والمهاترات والمبالغة في النزاع الشخصي والمذهبي وغير ذلك .

وقارىء تلك الدراسة يدرك انني رتبت معارك المدرسة مع خصومها ترتيبا زمنيا قائما على التتبع المرحلي الدقيق لبوادر هذا النزاع ووصولا به الى غايته التي توقف عندها ، وبهذا تصبح تلك الدراسة صورة صادقة لكل ما كان بين ابولو وخصومها من نزاع .

وفي الفصل الثاني : حاولت تأصيل فكرة « المدرسة » في الادب ، معتمدا في ذلك على المعاجم اللغوية ، ومستأنسا بما اشار اليه علماء مصطلح الحديث من شروط لقيام المدارس في هذا العلم ، مراعيا ما بين علم مصطلح الحديث والادب من فروق ، مركزا على ما بين العرب والغربيين من اختلاف في الفهم والذوق ، والمناقشة والوعي ، وان الاصطلاحات التي توضع في الغرب لا ينبغي ان نطبقها بحذافيرها كما هي دون اصلاح او تقويم وبخاصة في مجال الدراسات الادبية التي هي محل للاختلاف نظرا لاختلاف الاذواق فيها .

وانطلاقا من هذا المنهج حكمت على جمعية ابولو الشعرية ومجلتها بأنها مدرسة شعرية جديدة في تاريخ الادب العربي الحديث .

وكانت نهاية المطاف عند الفصل الثالث : الذي اشرت فيه الى اثر شعراء ابولو في شعراء جيلهم وفي شعراء اليوم ، وكان من ابرز النقاط التي اشرت اليها في هذا الفصل ما يلي :

١ ــ خطأت من توهموا بأن من كتب او سطر شيئا على صفحات ابولو يعد من اعضائها اذ اثبتت الدراسة ان تيار ابولو الجارف قد احتوى مجموعة من شعراء تلك الفترة ، فتأثروا بهذا الزحف الادبي الجديد ، وكانت قصائدهم ودراساتهم وابحاثهم التي نشرتها المجلة تعبيرا صادقا عن تأثر هؤلاء بهذا الاتجاه الادبي الجديد .

٢ ــ اشرت الى ان تيار المدرسة على الرغم من شدته في الثلاثينات وبداية الاربعينات الا انه لا يزال يتأثر به الكثيرون من شعراء اليوم .

٣ ــ بينت ان هذا الزحف الادبي الجديد لم يقف عند حدود مصر الجغرافية بل تعداها حتى وصل الى كثير من بلدان العالم العربي ، ولعل ذلك الكشف يفتح ابواب الامل في المستقبل القريب بظهور دراسة اكثر شمولا واتساعا يكشف صاحبها عن مدى ما وصل اليه تيار ابولو الجارف من تأثير في شتى البلدان العربية ، ولتصبح تلك الدراسة حلقة في سلسلة تلك الدراسات التي تناولت تلك المدرسة ، وهي دراسات متصلة الحلقات ، وكلها من الركائز القوية ، والدعائم الثابتة التي ينهض عليها الادب في العصر الحديث .

ثم كانت الخاتمة التي ضمنتها تلخيصا وافيا للبحث ، مع العناية بابراز الجديد فيه ، واهم ما توصلت اليه من نتائج .

وترجع اهمية هذا البحث الى ما يلي :

١ ــ خلو المكتبة العربية حتى الآن من دراسة تجمع الخصائص الفنية والموضوعية للقصيدة عند شعراء مدرسة ابولو ، اذ ان تلك المدرسة لم تأخذ حظها من عناية الباحثين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على الرغم مما كتب عنها من دراسات .

٢ ــ تعد هذه الدراسة اول دراسة تصنف انتاج تلك المدرسة على نحو منهجي سليم .

٣ ــ كما تعد اول دراسة تلتزم بالمنهج العلمي الجاد من حيث قيامها على المنهج التكاملي الفني مخالفة في ذلك معظم الدراسات التي سبقت في هذا الموضوع ، والتي كانت تجنح الى المنهج التاريخي غالبا .

٤ ــ اشتمال الرسالة على العديد من مشكلات النقد وقضاياه ، مع الاسهام فيها بالراي والتوجيه والتقويم ، وما يترتب على ذلك من آثار في محيط الدراسات الادبية الحديثة .

٥ ــ الاهتمام الكبير الذي نالته مدارس الشعر في العصر الحديث ومن بينها مدرسة ابولو .

٦ ــ للقصيدة عند شعراء ابولو خصائص لا توجد عند غيرها من مدارس الشعر في العصر الحديث ، لذلك كانت هذه الزاوية جديرة بمزيد من الدراسة والبحث ، للكشف عن تلك الخصائص ، وبيان ما كان لها من اثر في الادب العربي الحديث .

والجديد في هذا البحث ما يلي :

١ ــ عرض الاعمال الكاملة تقريبا لمدرسة ابولو عرضا شاملا دقيقا ، وذلك لاول مرة في تاريخ الدراسات الادبية الحديثة .

٢ ــ دراسة المعجم الشعري ، ورصد ظواهر التجديد فيه منذ عصري الجاهلية وصدر الاسلام حتى العصر الحديث ، مع العناية بدراسته لدى شعراء تلك المدرسة .

٣ ــ استخدام مصطلحات لم يسبق لباحث او دارس استخدامها من امثال : المعجم الشعري المفتوح ، والمعجم الشعري المغلق وغير ذلك ، مع تحديد مفهومها وتطبيقه على انتاج شعراء ابولو .

٤ ــ ربط المعجم الشعري المغلق بحياة صاحبه ، واعتباره مقياسا صادقا للحكم على الشاعر وتحديد درجته ومنزلته .

٥ ــ تحقيق نظرية التحليق الشعري من خلال الدراسة المتأنية للمعجم الشعري المفتوح لدى شعراء المدرسة مع مناقشة الآراء السابقة في تلك النظرية وتوجيه القول فيها .

٦ ــ عرض مشكلة اللفظ والمعنى عند نقاد ابولو بأسلوب جديد مع الموازنة بين آرائهم في تلك القضية وآراء السابقين ، وانصاف تراثنا العربي فيما وجه اليه من اتهامات في التجديد في الالفاظ او في المعاني .

٧ ــ مناقشة مصطفى عبد اللطيف السحرتي في القول بحرية النظام داخل الفاظ القصيدة مراعيا ما بين قواعد لغتنا العربية وقواعد اللغات الاجنبية من فروق .

٨ ــ القول بعدم امكان تطبيق الوحدة العضوية بمفهومها الحديث على القصيدة الغنائية ، وقصر تطبيقها على الشعر الموضوعي ، مع الاشارة الى الاصول التي تحفظ للقصيدة الغنائية وحدتها ، وتفصيل القول في تلك الناحية .

٩ ــ بسط القول في اغراض المدرسة ونزعاتها الشعرية ، مع رصد الظواهر المحيطة بها على نحو غير مسبوق اليه .

١٠ ــ مخالفة بعض الباحثين في القول بنجاح ابي شادي في الشعر العلمي من حيث فشل غيره وتحقيق القول في تلك المسألة .

١١ ــ تخطئة بعض النقاد في القول بأن الشعر بغير علم اقرب الى الهراء والسخف منه الى الاعتدال والحق ، وان اجهل الشعراء بالعلوم اشدهم سخفا وهذرا .

١٢ ــ مخالفة بعض الباحثين في القول بعدم مجاراة واحد من شعراء ابولو لابي شادي في اتجاهه القصصي ، وبيان ما كان لشعراء المدرسة من آثار في تلك الناحية .

١٣ ــ القاء الضوء على فن لم يكتب له البقاء طويلا وهو فن الاوبرا مع تفصيل القول في نشأته ومدارسه وبيان درجته الفنية ومنزلته بين فني الادب والموسيقى وفشله واسباب ذلك .

١٤ ــ تفصيل القول في الخصائص الفنية للقصيدة عند شعراء المدرسة سواء ما يتصل منها بالموضوعات وطبيعة التجارب الشعرية ، او بالاسلوب والطريقة الفنية في الاداء الشعري او بالموسيقى الشعرية .

١٥ ــ الاشارة الى ما كان لشعراء المدرسة من تجديد في الاتجاه العمودي الكلاسيكي .

١٦ ــ عرض المعارك الادبية للمدرسة عرضا كاملا ، ومناقشتها في ضوء النقد الموضوعي .

١٧ ــ دراسة شعر التصوير عند ابي شادي ومدرسته، مع ذكر الفروق الفنية بينه وبين النحت والتصوير الزيتي ، وذلك لاول مرة في تاريخ الدراسات الادبية الحديثة .

١٨ ــ وضع مفهوم جديد للمدرسة الادبية وتطبيقه على جمعية ابولو ومجلتها ، مع مناقشة الآراء السابقة في تلك القضية ، وتوجيه القول فيها .

١٩ ــ حصر الرواد الاصليين للمدرسة مع بيان اثرهم في شعراء جيلهم وفي شعراء اليوم في مصر وفي غيرها من البلاد العربية .

وقد بلغت جملة المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في اعداد تلك الرسالة ثلاثمائة وخمسين ما بين مصدر ومرجع وديوان وقصة شعرية ، ومسرحية ودورية .

القاهرة **محمد قشوان**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



خليل ايوب الحتي

خليل ايوب الحتي
شيخ شعراء لبنان

بقلم فوزي عطوي

* * *

كنت فتى صغيرا ، بعد ، يوم نقلني والدي من مدرسة راهبات مار يوسف في حارة حريك ، احدى ضواحي بيروت ، الى مدرسة الفرير نوتردام ، في فرن الشباك ، فقد كان نظام مدارس الراهبات يسمح بقبول الطلاب الذكور حتى السابعة من عمرهم ، فاذا تجاوزوا ذلك العمر كان عليهم ان ينتقلوا الى مدرسة اخرى للذكور ، وهكذا كان ، فقد عمل والدي بنصيحة الراهبة الام التي اشارت عليه بنقلي الى احدى مدارس الفرير .

وفي مدرسة الفرير ، زاملت عددا من الرفاق الذين ينتمون الى مختلف المناطق اللبنانية ، لكن طالبا واحدا منهم استأثر بعاطفتي اكثر من سواه ، لانـــه ينتمي الى بلدة « الدامور » المجاورة لبلدتي « حارة الناعمة » .

وببراءة الطفل وصدقه ، اخبرت اهلي عن سروري العظيم بوجود هذا الطالب في صفي ، فلما عرفوا ان اسمه ايوب يوسف الحتي (وهو مدير معهد بيبلوس حاليا) ، ادركوا على الفور انه ابن الشاعر المرحوم يوسف الحتي مؤسس « ارزة لبنان » في المهجر ، وابن شقيق الشاعر خليل ايوب الحتي ، مؤسس « الشعر القومي » و « الزجل اللبناني » و « ارزة لبنان » ، بعد وفاة شقيقه يوسف .

وكانت المفاجأة عظيمة بالنسبة الي عندما قال لي والدي وجدي ان هذا الطالب هو من « ابناء خالنا » ، اذ لم استطع استيعاب معنى ان يكون ثمة نسب بيننا نحن المسلمين السنيين ، وعائلة هذا الطالب المسيحي الماروني ، حتى اذا شرح لي اهلي الروابط التاريخية القديمة التي تشد بعض عائلات الدامور الى بعض عائلات حارة الناعمة، فتآخوا في السراء والضراء ، وشاطر بعضهم بعضا كل ما يمر بهم من افراح واتراح ، احسست بسعادة قصوى ، اذ ادركت ، وانا فتي طري العود بعد ، هـــذا المعنى الانساني العظيم الذي يتجاوز التعصب الطائفي الى الايمان العميق بوحـــدة الانسان ، ووحدة الاديان في منطلقاتها واهدافها ، وكان ذلك هو اول درس حفظته من دروس الحياة ، ولم استطع ان احيد عنه ، بعد ذلك ، قيد شعرة واحـــدة .

ويبدو ان زميلي اخبر اهله بدوره عن الشعور المتبادل الذي يحمله نحوي ، وهكذا دعوته لزيارتنا مرة في بيتنا بحارة حريك ، ومرة ثانية في بستاننا في حدث بيروت ، حيث كان مسقط راسي ، كما دعاني الى زيارته في منزله مرة ، ومرة ثانية رتب لي زيارة لعمه الشاعر الكبير خليل ايوب الحتي الذي كان يصدر آنذاك مجلة شعرية لبنانية اسمها « الشعر القومي » ، ثم اضطر الى ابدالها باسم « ارزة لبنان » بعد ذلك ، مع الحفاظ على امتياز «الشعر القومي» .

اذكر من تلك الجلسة ما يذكره تلميذ صغير في المرحلة الابتدائية ، من عاطفة ابوية صادقة غمرني بها الشاعر الكبير ، ومن حديث طيب حول القرابة المكتسبة التي تجمع بين عائلته وعائلتنا ، وعن اجداده واجدادنا ، كما ذكر لي كيف ان والدي فاز ، ذات مرة ، بالجائزة الاولى في مسابقة شعرية زجلية نظمتها مجلته ، وكان عاتبا عليه لانه كان منصرفا عن النظم ، او مقلا فيه ، ولم ينس ان يذكرني كيف انه هنـــأ والدي ووالدتي بقصيدتين احداهما في مناسبة خطوبتهما والثانية في مناسبة زواجهما ، ونشرهما على التوالي في مجلته « الشعر القومي » .

اولى المحاولات

وتمر الايام ، ونقرأ في كتاب « المشوق » للاستاذ أ. الفتال وهو من طبع اليسوعيين ، قصائد رومانطيقية كثيرة لشعراء المهجر اللبنانيين ، فتدفعني مطامحي الطفولية الى محاكاة تلك القصائد ، حتى اثبت لمن يكتب الشعر في عائلتنا ، ولانسبائنا واصدقائنا من الشعراء ، انني قادر مثلهم على قرض الشعر ، ومن اولى محاولاتي « قصيدة » اذكر منها بيتا واحدا وهو :

مر النسيم على البلاد البعيدة فحطم ما حطم من بيوت واحجار

ورغم الوزن المحطم ، والمعنى الطفولي الساذج المتناقض ، فقد اصر رفاقي آنذاك على انني انتحل الشعر ، وان مثل هذه الابيات « الروائع » لا يمكن الا ان تكون لمثل ايليا ابي ماضي ، او جبران خليل جبران ... وكنت ادرى الناس بمدى صدقي .. فحسبت نفسي شاعرا .. واتكلت على الله !!

واستمر في محاولاتي ، رغم تأنيب اهلي لي ، لان النظم سيصرفني عن دراستي التي يحرصون فيها على ان احافظ دائما على المركز الاول في صفي ، حتى اذا انتقلت في المرحلة التكميلية الى الكلية العاملية في بيروت ، شعرت بمدى ضعفي في اللغة العربية ، اذا ما قيست معلوماتي فيها ، بما اعرفه من اللغة الفرنسية التي اتقنتها ، وانا صغير بعد ، كتابة ومحادثة .

ومن طريف محاولاتي في هذه الفترة ، انني في الاسابيع الاولى من التحاقي بالكلية العاملية ، تعرضت لاهانة من استاذ اللغة العربية ، لكنها لم تثبط همتي ، بل كانت ردة الفعل ، عندي ، اقبالا نهما على المطالعة ، حتى استقامت لي اللغة ، وشعرت بقدرتي على الكتابة والقراءة باللغة العربية ، مثل اتقاني للغة الفرنسية .

اولى التهنئات

وفي العام الدراسي ١٩٥٣ــ١٩٥٤ ، احصل على ثلاث شهادات بانهاء المرحلة التكميلية (البريفيه الفرنسية ، والبريفيه اللبنانية ، والبريفيه المدرسية) ، واذا بأولى التهنئات ، من خارج الاسرة ، تأتيني قصيدة طيبة من خليل ايوب الحتي نشرها في العدد رقم ٣٢٧ بتاريخ ١٥ تشرين الاول ١٩٥٤ من مجلته « ارزة لبنان » ، وفيها يقول :

نلت الشهادة وبعدك بعمر القمر وبالاربعة وعشرة القمر يبقى كمال
ويبقى القمر بشعاع نورو منفمر بنور الشهادة انت بتزيدو جمال

سموك فوزي وكان اسمك بالاصول حتى بميدان الذكا تقدر تجول
وحتى بحفلات العلوم تقدر تقول بشهادتي فوزي وكفى هالفوز عال

بهنيك يا فوزي وذكاك مشعشعك ويهديك انعامو ... والله معك
بشهادتك تهنايتي ، وفي مطلعك انشودة الارزة ، حكي عيه الدلال

بهنيك تهنية نسيب بتنحسب سآل بيك عن نسبنا المكتسب
من عصر ماضي بيننا بيوجد نسب خذها تهاني مقدمه من ابن خال

وبعد هذه القصيدة ، قال لي خليل ايوب الحتي ان ابواب « ارزة لبنان » اصبحت مفتوحة امامي ، انشر فيها ما اريد ، وهكذا بدأت انشر قصائد ، بعضها زجلي ، وبعضها الآخر منظوم ، ومعظمها لم يندرج في اي من الدواوين التي اصدرتها ، لكنني اكتفي هنا بالاشارة الى عناوين بعضها ، وتواريخ الاعداد التي صدرت فيها ، ومنها : الطائفية (كانون الثاني ١٩٥٥) ، ارزة لبنان (آذار ١٩٥٥) ، الفقير (ايار ١٩٥٥) ، وغيرها وغيرها مما يمكن الرجوع اليه في مجلدات « ارزة لبنان » .

التعاون الادبي

واستمرت صلتي الوثيقة بخليل ايوب الحتي ، ثم مارست الصحافة بعد نيلي شهادة البكالوريا ، محررا في جريدة « بيروت المساء » لصاحبها الوزير والنائب السابق الاستاذ عبدالله المشنوق ، ثم رئيسا للقسم الادبي فيها ، وبعدئذ اصدرت ديواني الاول « دمم وغم » في طبعتين : الاولى عام ١٩٥٨ والثانية عام ١٩٦٠ ، ثم توالت مؤلفاتي الشعرية والنثرية ، وترجماتي لروائع القصص العالمية ، كما تراست تحرير مجلة « رسالة التربية » ، وساهمت في تحرير عدد كبير من صحف البلاد العربية ومجلاتها ، وحنيني الاكبر كان متجها ابدا الى المجلة التي رعت اولى خطواتي ، مجلة « ارزة لبنان » والى خليل ايوب الحتي الذي عجم كنانة اصدقائه ، في اواخر ايامه ، فكانوا لا يتجاوزون اصابع اليد الواحدة ، وكان من المناظر المؤثرة ، في غرفة نومه التي لزمها في اواخر حياته ، انه كان يعلق صورة كبيرة للعذراء مريم ، عليها السلام ، وصورة اخرى لزوجته التي سبقته الى رحاب الله ، وصورا قلائل لاخوانه ، منها صورتي ، وصورة الصديق الكبير الاستاذ فاضل سعيد عقل .

مكارم لا تنتهي

وخليل ايوب الحتي الذي لا يكاد بيت في لبنان يخلو من اثر من آثاره الشعرية ، كان لسان الخير ، مجسدا في القوافي الشعرية الراقية الخلق ، واللطيفة المعنى والمبنى : فالى جانب القصائد التي كان ينشرها للشعراء اللبنانيين والمهجريين ، كان كل عدد من مجلته يحمل اعدادا لا تحصى من قصائده : فهو شريك اصدقائه ومعارفه في الخطوبة ، والزواج ، في الوفاة والهجران ، في نيل شهادة او الترفع في الوظيفة ، بل لا ابالغ في شيء اذا قلت انه كان القيثارة الرقيقة الحلوة التي سجلت التاريخ اللبناني الاجتماعي منذ الثلاثينات ، حين ترك سلك البوليس ، وانتقل الى المسرح الشعري ، والى تأسيس اول مجلة زجلية لبنانية ، فكانت تلك مغامرته العظيمة التي توالدت فيما بعد ، ونشأ بعدها عدد من المجلات الزجلية اللبنانية المتخصصة .

وكان لي ، شخصيا ، من مكارمه ، ما يدعوني الى المفاخرة بمحبته ورعايته التي اثقلت كاهلي بالمكارم ، فما استطعت ان أفي منها سوى القليل الاقل : فكلما كنت انال شهادة ، كان لي منه قصيدة ينشرها في ارزة لبنان ، واطرف قصائده تلك التي نشرها عام ١٩٦٤ عندما نلت الليسانس في الحقوق ، واجازة الدولة اللبنانية في الحقوق ، والى جانبها صورتي التي كان قد نشرها عام ١٩٥٤ ، عندما حزت على شهادة البريفيه .

ثم اعقد خطوبتي واتزوج من السيدة ليلى البيسار ، فينشر تهنئتين ، ويتوفى جدي المرحوم محمود عطوي ،

وبعد ذلك شقيقي الشاب المرحوم وفيق عطوي ، فيشارك بدموعه وقصائده ، كأقرب الانسباء الاحباء . ثم كان لبناتي نصيب من شعره ، عند ولادة كل منهن ، لا بل كنت اذا زرته وهو يعاني من وحدته ، ومن جحود اصحابه ، واولئك الذين كانوا مجهولين لا يعرفهم احد ، فأطلق لهم على صفحات « ارزة لبنان » شهرة جعلتهم من الشعراء المرموقين ، اراه شديد الفرح ، عظيم الاحتفاء بي ، وكثيرا ما كانت تلك الزيارات ، المرتقبة والمفاجئة على السواء ، توحي له بالشعر الاخواني اللطيف الطريف ، ومن آخر ما كتبه (ولم يتسن له ان ينشر لان المجلة كانت محتجبة يومذاك) قصيدة قدمها الي اثناء زيارة كان يرتقبها مني مع بعض الاصدقاء ، ومنها قوله :

اهلا وسهلا بكل ما الداعي علم ... شعشع ببيتي مثل نار على علم
سحر الجمال واللطف بيهز الشعور ... مش قدر ما بيهزني سحر القلم

ختيار شابت بالقوافي لمتي ... ومن علتي قلت وخفت همتي
من طلتك يا بدر ، مع « بن عمتي » ... من وهج نورك تاه عن قلبي الالم

ومنها قوله :

فوزي اجا ، وهيهات ... هالحظ بعد يمر
يا ابيض الرايات ... يا موج القف در
يا كاتب الآيات ... قدام فكر الحر
يا مبدع الكلمات ... فيها القلم بيصر
محامي وشاعر في شهاداتك ... ودكتوراه تلبقلك التيجان

وينهيها بقوله ، رحمه الله :

عطيه من الله وموهبه تبقى الفنون ... اصعب حروف الضاد في ذهنك تهون
بوصي يا فوزي حط خرزه بسترتك ... خايف على هالذهن صيبات العيون !

شاعر متعدد المواهب

وكانت مواهب خليل ايوب الحتي الشعرية اكثر من ان يحيط بها عدد : كان الرجل يكتب الشعر الوطني ، والغزلي ، والرثائي ، او يكتب المدح او الوصف او التهنئة ، وكأنه يكتب خبرا صحفيا عاديا ، حتى لتشعر كيف ان الاوزان والقوافي كلها اسلست له قيادها ، فلم يكن قيد من قيود الشعر ليعيقه عن الابداع الفني . وفي يقيني ان خليل ايوب الحتي ، لو اوتي من الثقافة اللغوية فوق ما اوتي ، ولو انه اتجه نحو النظم باللغة الفصحى ، لجاء بالعجب العجاب كمثل هذا الذي جاء به في مجال الشعر الزجلي اللبناني .

ومن يعرف ، كمعرفتي ، حرقة خليل ايوب الحتي ، وهو يرى المصاعب تحول دون طبع ديوانه الضخم ، ثم من يرجع ، كرجوعي ، الى مجلدات « ارزة لبنان » التي احتفظ بها ارثا ثمينا ، فضلا عن مخطوطات كثيرة ليس لدى احد نسخ عنها ، بل هي خاصة بي ، عهد الي بها خليل ايوب الحتي ، رحمه الله ، اقول : من يعرف ذلك كله ، يدرك ان كل استشهاد بشعر خليل الحتي يشكل ظلما لعبقريته الفنية لانه سيكون اجتزاء لا يوفيه حقه على الشعر والناس .

ومن نماذج شعره ، قوله عن لبنان :

يا حبيبي ، يا جبل لبنان ... يا عيشتي ، يا مهبط الايمان
يا نور عيني ، ويا امل روحي ... يا دم قلبي ونبضة الشريان

يا عز من رزق الدني والمال ... في اناشيد الصبا استهلال
فيك الوحي والانس والآمال ... انت الدني وقبلك دني ما كان

ومن غزلياته ، قوله :

قد مثل الغصن بمهب الرياح ... والسر غامض تحت لولحة الوشاح
ان مشيت ، على خطواتها تحني الغصون ... ولو تمايلت عا ردافها تغار الرماح

ومن اقواله الانتقادية التي تتناقلها الالسن :

بلادنا بتحليلها وتعليلها ... مثل اول جبل آخر جبلها
بلاد دنبة كلب لو قولبتها ... مثل ما بتحطها بتشيلها

ومنها ايضا :

في امريين عليهم جدل ... بيضيعوا القلب الحساس
تحصيل الحق من العدل ... وتحصيل المال من الناس

الحتي واحمد شوقي

ومن طرائف ما حدث له ان احمد شوقي كان كثير الترداد على لبنان ، وذات مرة التقى امير الشعراء في عيادة احد الاطباء الشاعر خليل ايوب الحتي ، وكان ذلك على الارجح بعد حادثة الاصطدام التي جرت لاحمد شوقي على طريق مصيف عاليه ، والى ذلك يشير الاخطل الصغير ، يوم رثى شوقي ، حيث يقول :

شوقي ، اتذكر اذ «عاليه» موعدنا ... نمنا وما نام دهر عن مقادره
سالتنيه رثاء ، خذه من كبدي ، ... لا يؤخذ الشيء الا من مصادره !

وفي ذلك اللقاء بين الحتي وشوقي ، يبدو ان كلا منهما قد اعد شيئا في الثناء على الطبيب ، فلما وصل خليل ايوب الحتي الى البيت التالي الموجه الى الطبيب :

السكين بتخطف ارواح ... وسكينك بترد الروح

هتف شوقي معجبا ، مثنيا على شاعرية شيخ شعراء لبنان .

ثلاث حرقات

ومن الحرقات التي نغصت على خليل ايوب الحتي بعض هناءته ، ثلاث :

اولاها : ذلك المخطط الذي كان ولا يزال مضروبا على بنايته المؤلفة من طابقين في منطقة مار نوهرا بفرن الشباك بدعوى شق الاوتوستراد ، الامر الذي اضطره ، رغم الملاحقات والمراجعات والعرائض الكثيرة التي قدمها مع سكان الحي ، شعرا ونثرا ، ومنذ ايام الشيخ بشارة الخوري ، الى بيع بنايته ، والاكتفاء بشقة جديدة في عين الرمانة .

وثانية الحرقات : انتظاره الطويل ، وبغير جدوى ، لقانون تقاعد الصحفيين ، وكنت شديد الحرص على عدم مجابهته بالواقع ، واعلامه بأن القانون ، حتى في حال صدوره ، لن ينطبق عليه ، لان الدولة تعتبره من اصحاب الصحف (على رغم كل الخسائر المادية والعقبات الكثيرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التي كانت تعانيها المجلة ، ناهيك بصاحبها) ، ولا تعتبره بالتالي من المحررين المشمولين بأحكام القانون العتيد .

اما الحرقة الثالثة : فكانت ديوانه الذي لم يكتب له ان يصدر ، في حياته ، رغم كل النوايا الطيبة التي ابداها اصدقاؤه ، في هذا السبيل . والمرجو ان يدفع الوفاء من تبقى من الندرة الطيبة من المعجبين بشعره وخدماته للتراث اللبناني ، ان يعمدوا الى طبع هذا الديوان ، فضلا عن كوننا لا نرى سببا لاحجام وزارة الاعلام اللبنانية عن تبني مثل هذا المشروع التراثي المفيد .

حكاية الاوسمة

ولقد كانت ثمة حرقة رابعة ، تهيأت الظروف بشكل متأخر لازالة بعض آثارها ، اذ كان خليل ايوب الحتي يرى الاوسمة التقديرية تعطى بمنة ويسرة ، فلا يناله منها رشاش او رذاذ . وكان من دواعي سروري ان يتاح لي ، ولجمع من اصدقائه الغيارى ، مشاركة الخليل فرحتيه في الحصول على وسامين تقديريين : الاول برتبة قومندور من المنظمة الانسانية السامية ، والثاني وسام الاستحقاق اللبناني من الحكومة اللبنانية .

وقبل حصوله على الوسامين ، كنا بذلنا من المساعي ما لا يوصف ، لكن الدولة آنذاك ادارت لنا اذنا صماء ، وعينا عمياء ، والى هذا اشرت في الكلمة المرتجلة التي مهدت بها لقصيدتي عنه ، يوم اقمنا له في بيروت مهرجانا تكريميا بعيد الصدى والاثر (١٩٦٤/١١/١٥) ، وقلت :

« لو قيل لهم ان صعلوكا من صعاليك الزمان استهتر بكل كرامة ، فأوصله استهتاره الى مقام الزعامة ، لعلقوا على صدره مئة وشاح والف وسام . اما ان يقال لهم ان خليل ايوب الحتي غنى خمسين عاما للبنان احلى القصائد ، فانهم يديرون للقائل اذنا صماء ، وعينا عمياء . ولكن ، لا الوسام تطاول الى مستواك ، ولا الوشاح ارتقى الى مقام شعرك العبقري الرفيع . وحسبك ان تكون انت وساما على صدر محبيك ، وعارفيك ، وقادري فضلك ونبلك ... » .

قصيدة التكريم

واما القصيدة التي جعلت عنوانها «اليوبيل الذهبي» ، والتي القيتها في ذلك المهرجان بمناسبة مرور خمسين عاما على نظم خليل ايوب الحتي الشعر ، وتأسيسه اول جريدة زجلية متخصصة ، فقد جاء فيها (يراجع ديواني « تحت الرماد » ص ٦٧) :

طوباك طوباك في يوبيلك الذهبي ... يا ساكب العطر في كاس من الذهب،
لله درك ، لم تزحف الى رتب ... الشعر اعلى من الالقاب والرتب !
لولا قصيدك لم نطرب الى وتر ... ولا تلهف صاد لابنة ...
بيوت شعرك في كل البيوت غنى ... فما تكافأ بالاشعار والخطب !

يا رب منتقد ان بيننا نسب ... أنعم وأكرم وبارك فيه من نسب
ان كنت باهيت فيك الناس قاطبة ... يا خير خل ، فقد باهيتهم باب ،
جاران نحن ، وهل للناعمي هوى ... الاك يا حامل « الدامور » بالهدب ؟
جاران نحن ، وجار النبل مثل اخي ... وفي القوافي كلانا اخوة الادب !
بيني وبينك قربى ، لست انكرها ... قربى التآخي،وقربى الفضل والحسب
قربى جدود تخلوا عن تعصبهم ... الله والارز عنـدي خـير معتصب
الدين يحيـي قلوب المؤمنين بـه ... كمـا تروى زهور الروض بالحبب
الدين توحيد شمل ، ليس تفرقة ... فكيف تختصم الدنيا بلا سبب ؟ !
دين الهلال لنا ، دين الصليب لنا ... ودين لبنان حب الارز والعرب !

واتوقف قليلا ، قبل ان استأنف اثبات ابيات القصيدة، لاشير الى ان هذه الابيات الاخيرة كانت في عداد ما استشهد به وزير الاعلام الاسبق الاستاذ هنري طربيه ، عندما القى كلمته باسم رئيس الجمهورية اللبنانية في حفلة تكريمي بوسام الارز الوطني بتاريخ الثالث من كانون الثاني ١٩٧٢ ، في الندوة اللبنانية .

وكان مما قاله الوزير ، في تلك الامسية التكريمية : « ذلك لبنان الشاعر ، وليس فوزي عطوي الذي نقرا في ملامحه وشمائله قصيدة لبنانية مرصودة الاوزان والقوافي ، غير طائر ذهبي الحنجرة ، يعزف اناشيده على وتر فريد ، في موكب الطير المغرد عندنا ، من اعالي الجبال الجرد ، الى مخضرة الوديان ولجينية الشطآن .

سلام على فوزي يتوشح بالارز الذي احب حبا لا مزيد عليه ، حب الوطن الذي نماه ، والافق الذي اطلعه ، فيقول :

بينـي وبينك قربـى لست انكرها ... قربى التآخي وقربى الفضل والحسب
قربى جدود تخلوا عن تعصبهم ... الله والارز عندي خـير معتصب
الدين توحيد شمل ليس تفرقة ... فكيـف تختصم الدنيا بـلا سبب
دين الهلال لنا ، دين الصليب لنا ... ودين لبنان حب الارز والعرب !

تلك آيات فوزي ، نطق بها في ابياته ، فاستهوت فؤاد اللبناني الكبير المؤتمن على مصائر هذا الوطن ، والمؤتمن على هياكل الفكر والعبقرية في ارضه ... فيما يرعاه من نهضة العلم والادب وما يوصي به من تكريم اهل القلم ، وافراد منازل العزة لهم . فهنيئا لفوزي عطوي هذا الوسام، وهنيئا للادب واهله تلك المنزلة في قلب لبنان ! »

بعد ذلك ، تستمر القصيدة على هذا النحو :

يا شاعر الارزة الخضراء،ما احتدمت ... للعرب حادثة في سالـف الحقب
الا وهب شباب الارز من غضب ... بالسيف حينا،وبعض الحين بالقضب!
لم يرهبوا طاغيا،في الشعب،مغتصبا ... الحق اكبر من طاغ ومغتصب !
الراس نحن، ولسنا في الوغى ذنبا، ... ومن يبدل رأس القوم بالذنب ؟ !
ونحن لبنان ، لا نسلو اخوتنا ، ... مهما لقينا من الاهوال والنوب ،
وللعروبة في هذي الجبال حمى ، ... فسائل الضاد عن ساداتها النجب !
ان العروبة من لبنان منبعها ، ... بهـا مقيم هفـا قدما لمغترب ،
وشعب لبنان لـم ينكـر عروبته ... ولا تنكر للمستقبل العربي !

يا شاعر الارزة الخضراء، صفت لها ... خمسين عاما قصيدا رائع الطرب
اذا زجلت ، فما شدو اليمام سوى ... رجع لشدوك في افواهه الزغب !
النبل شيمتك الغراء ، ان برزت ... نيوبخصم وضيع النفس،مضطرب،
وان لقيت من الاخوان بعض اذى ، ... وان جرحت ، ففغفار بلا عتب ،
وان رضيت،نظمت الشعر فيض رضى، ... وان غضبت ، فلا تنساق للغضب ،
وان فرحت ، مدحت الناس مبتهجا ، ... وان حزنت سكبت الدمع كالسحب ،
بوركت ممتدحا ، بوركت ممتدحا ، ... يا ملهما رصع الاشعار بالشهب !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وابيات مرتجلة

وفي اول آذار ١٩٦٥ ، اقيم مهرجان آخر لخليل ايوب الحتي في جمعية شبان الرحمة التي كنا وكوكبة من ادباء لبنان وشعرائه ، ننتظم في ندوتها الثقافية ، برعاية الصديقين الكبيرين المرحوم الشيخ شفيق الضاهر رئيس الجمعية ، والاستاذ جان كميد رئيس تحرير « الرحمة » و « اصداء » و « الرسالة » قبلهما .

وكانت مناسبة المهرجان بسبب نيل خليل ايوب الحتي وسام العلم والفضيلة من رتبة قومندور من المنظمة الاجتماعية السامية .

في ذلك المهرجان ، وككل احتفالات الجمعية ، كان لا بد من ان يكون الافتتاح بتلاوة فصل من الانجيل المقدس . وباصرار رائع ، واجماع اثار دموع التأثر في عيني ، طلب المحتفلون ان يقرأ المسلم الوحيد الذي كان مشاركا في المهرجان ، فصل الانجيل المقدس ، وكان ذلك المسلم الوحيد هو كاتب هذه السطور .

وكانت لي في المهرجان خطبة نثرية مرتجلة ، لكنني مهدت لها بأبيات شعرية مرتجلة هي الاخرى ، اذكر منها قولي مخاطبا خليل ايوب الحتي :

يـا بانيا للشعر مجدا	بالطيب والعطر الندى
خمسين عاما لـم تزل	فيها تعـير الخلد خلدا
تهدي الى لبنان احلى	ما الى لبنان يهدى :
زجلا ارق مـن النسيم	ومن ندي الحب اندى
خمسين عاما ، يا خليل ،	سلمت للوطن المفدى !

ملحمة لبنانية عن فلسطين

ولقد يجهل الكثيرون ان لخليل ايوب الحتي ملحمة شعرية لبنانية رائعة عن فلسطين ، يثير فيها كل ملامح التاريخ القديم ، في علاقة الصهيونيين مع غيرهم من اصحاب الديانات السماوية ، ومطامعهم التي انتهت بالاستيلاء على ارض الانبياء ، وتشريدهم لاهل البلاد واصحابها الشرعيين الذين نرجو ان تتضافر كل الجهود ، في العالم ، لكي يعودوا الى بلادهم ، فلا تضيق بهم او بسواهم حدود الارض ، ولا تتناوشهم ولا تتناوش سواهم سموم الرياح الاربع .

ولقد اساغ لي خليل ايوب الحتي ان اطلع على تلك الملحمة ، وان اجرى عليها بعض التنقيحات الضرورية ، ومن ثم ان اكتب مقدمتها ، وان اطبعها في مطابع جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت ، وكان ذلك عـام ١٩٦٧ .

آخر العهد بالخليل

وكان آخر عهدي بالخليل ، رحمه الله ، تلك الامسية الرائعة التي استدعيت اليها ، بالهاتف ، لحضور حفلة تعليق وسام الاستحقاق اللبناني على صدره ، في منزل ابن شقيقه الاستاذ سمير الحتي صاحب مدرسة العائلة اللبنانية ، وقد قام بتعليق الوسام الدكتور بطرس ديب المدير العام لرئاسة الجمهورية ، آنذاك ، ورئيس الجامعة اللبنانية حاليـا ، بحضور وزير التربية الوطنية السابق الكاتب المجيد الاستاذ ادوار حنين ، وعدد كبير من انسباء الشاعر واصدقائه ومحبيه .

اعترف الآن ان شعورا داخليا انتابني ، ليلتذاك ، بأن ذلك اللقاء بخليل ايوب الحتي قد يكون اللقاء الاخير . ولكن لقاء آخر حمل كل معاني الحزن والالم والتأثر المتبادل ، جرى بيننا هاتفيا ، بعد ان فشلت كل جهودنا في لجنة التهدئة الوطنية التي حاولنا فيها وقف العنف ، ولجـم التطرف ، وعلـى الاخص في الحوادث المحلية بساحـل الشوف ، بين الدامور والناعمة وحارة الناعمة ، حيث تبادل ابناء الخؤولة والعمومة المكتسبتين ، وبدافع مـن التعصب المريض الاعمى ، تحيات لا تمت الـى تحيات اجدادهم بشيء . . تبادلوها قذائف مدفعية مدمرة ، وخطفا متبادلا ، وحربا اهلية اسقطت كل النداءات اليائسة التي صعدناها بشرف ، وامانة ، ومحبة عظيمة ، وكانت نتيجتها سقوط الدامور ، وسقوط غيرها من المدن والقرى والاحياء اللبنانيـة .

في ذلك الوقت ، اتصل بي خليل ايوب الحتي هاتفيا ، وكانت الحوادث الدامية المؤلمة قد قطعت بين المنطقتين الشرقية والغربية مـن بيروت ، كـل امكانية للاتصال الشخصي ، وحدثني عن الدامور ، واحسست ان في ثنايا كلماته دموعا على البلدة اللبنانية العريقة ، قد تكون ممتزجة بدموع اخرى ، طالما خانت صمود الرجولة فينا ، سكبناها على الوطن الصغير الذي ذبحه التآمر من كل جانب !

واذكر من ان من بين النداءات السياسية اليائسة التي وجهتها على صفحات الجرائد اللبنانية ، باسم لجنة التهدئة ، نداء قلت فيه :

« لا نستطيع قبول التفريط بقطرة واحدة من دماء اهلنا واخواننا في حارة الناعمة والناعمة والدامور ، واننا لندعوهم الى الاستجابة لنداء الاخوة التاريخية التي لن تزعزعها الاحداث الاليمة العابرة ، راجين ان تختنق الفتنة نهائيا ، وان يسلم لنا ما بقي من معالم لبنان » . (النهار ــ ٢٢ ايلول ١٩٧٥) .

والآن ، انتقـل خليل ايوب الحتي ، الشاعـر ، والصحافي ، والانسان الوطني الخلوق ، الى رحاب ربه . غاب ، ونحن تائهون خارج لبنان ، بين الفنادق ، والمطارات العربية ، فلم تيسر لنا الظروف القاسية سبيلا الى تحيته تحية الوداع الاخير .

فهـل يجيء يوم قريب يعود فيـه المهجرون الى مواطنهم ؟

هل يستجيب اللبنانيون وغير اللبنانيين الى المبادىء الوطنية السمحاء التي تعلمناها باعتزاز في مدرسة خليل ايوب الحتي ، فيستجيبوا لنداء الاخوة التاريخية ، ويخنقوا الفتنة نهائيا ، فيسلم لنا ما بقي من معالم لبنان الحبيب ؟ !

فوزي عطوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المتنبي

تحية الى شاعر العربية الخالد (ابي الطيب المتنبي)
في مهرجانه الالفي الذي انعقد في بغداد

محمد جواد الغبان

*

هيهات يبلغ شأوك الاطراء ... ويزيد مجدك مدحة وثناء
مجد له تعنو الكواكب رفعة ... ويرف فوق ذرى الخلود لواء
طوفت في الدنيا فجاوزت المدى ... وبلغت ما لا تبلغ الشعراء
كم حاولوا ان يلحقوا بك فانثنوا ... يكبو بهم في شوطهم اعياء
فخلا لك الميدان حتى قد بدا ... وكأنه لك ما به اكفاء
أنا ذا هنا .. في المهرجان يخونني ... نطق ، ويعييني لديك أداء
غمرت بياني رهبة ومهابة ... فلقد وقفت وأحرفي خرساء

يا أيها البطل الذي شهدت له ... الخيل ثم الليل والبيداء
تتساءل الاجيال : من هذا الذي ... قد انجبته الكوفة الحمراء
من ذا الذي شغل الدنى في ذكره ... فتعطرت في ذكره الارجاء
من ذا الذي للآن من ألف ، وما ... زالت عليه تسلط الاضواء
من ذا الذي تشدو المحافل باسمه ... فتضاءلت في جنبه الاسماء
فأجابت الايام : هذا شاغل الدنيا الذي ملئت به الانحاء
هذا الذي للشعر أرسى دولة ... تنحط عن عليائها الجوزاء
هذا الذي لا تجسر الفصحاء ان ... تشدو لديه . فأفحم الفصحاء
ومسامع الدنيا لسحر بيانه ... تهفو اليه يشدها الاصغاء
مبهورة فيما أتى من معجز ... باق ، فالسنة الزمان ثناء

أبا الروائع خالدات لم يزل ... في مسمع الدنيا لها اصداء
تذكي العزائم في النفوس ، وطالما ... في الليل يسمر عندها الندماء
لما نزل نستافها فواحة ... بالعطر ، فهي حدائق غناء
ولكم بها انتشت القلوب فهزها ... طرب ، فقل لي : هل هي الصهباء
شيدت صرحا للقوافي شامخا ... يسمو له فوق النجوم بناء
الشعر : أي رسالة قدسية ... بسواك لم يرفع لها أعباء
قد صنت منه كرامة . كم باعها ... من همه البيضاء والصفراء

يا صاحب العقل العظيم : وطالما ... ذو العقل فيه قد أحاط شقاء
وأخو الجهالة هانىء في عيشه ... فتظله في عيشه النعماء
يكفي طموحك مفخرا ان لم يزل ... للآن فيه تضارب الآراء
المغريات .. وحسب نفسك رفعة ... ان لم يحط مقامها الاغراء
هل كنت تبغي المال ؟ لا . حاشاك ان ... تبغيه . تأبى الهمة القعساء
لو كنت تبغيه لفزت بطائل ... منه فتغمر عيشك السراء
ولكنت فيه مرفها ومنعما ... ولأينعت صحراؤك الجرداء
ما كان ذلك مبتغاك ، فكل ما ... تهفو اليه ، رفعة وعلاء
قد كان مطمحك النجوم مكانة ... وسوى النجوم تراه وهو هباء

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كم قد ظمئت ، وما أبل لك الصدى ... وعلى سواك تساقط الانواء
ماذا ؟ أهل ترجو المنى من معشر ... منهم لمثلك لا ينال رجاء
طوفت في شرق البلاد وغربها ... فاذا بكل الحاكمين سواء
أشجتك أمتك العروبة ساسها ... عجم ، وولي امرها الدخلاء
أشجتك ان اضحت ممزقة ، وان ... راحت بها تتلاعب الاهواء
وتحكمت فيها اناس .. لم تزل ... مثل الطبول بطونها جوفاء
ويرون ان الناس ملك اكفهم ... فكانما هم أعبد وإماء
ما نمت عنهم . كيف يغفو شاعر ... بطل ، ومل‌ء عيونه اقذاء
فثارت للشرف المهان تصونه ... من ان تكدر صفوه الفحشاء
« لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى » ... حتى تراق على ذراه دماء
قد زال ملكهم وملكك خالد ... باق فلا يمشي اليه فناء
ما كان (كافور) غداة قصدته ... كفؤا . وأين لمثلك الاكفاء
أمدحته ؟ لا . كنت تبغي كشفه ... وبأن قول الشعر فيه هراء
ورأيت فيه المضحكات ، وربما ... ضحك يحز النفس ، فهو بكاء
يكفيك ان تجد المنية عنده ... فيها المنى ، وبها يكون شفاء
واذا الحمام يهون عند ذوي النهى ... لعرفتم : ان كيف كان الداء
شخصت ادواء النفوس ، وحسبنا ... طبا ، بأن تتشخص الادواء

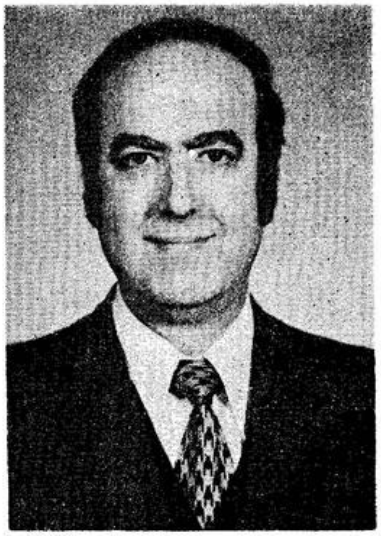
سل (سيف حمدان) وقد أبقت له ... ذكرا روائع شعرك العصماء
ايام في (حلب) صنعت ملاحما ... للشعر فيها تفخر (الشهباء)
كم من سيوف قبله او بعده ... فلت ، وفيك له يظل مظاء
باق يجلجل في العوالم ذكره ... ما دام منك مع الخلود بقاء
تعلي وتخفض من تشاء ، كأنما ... بيديك كان الخفض والاعلاء

أ (أبا المحسد) والنوابغ عرضة ... في ان تنال مقامها الدهماء
ان ناصبوك عداءهم قل لي : فما ... ذا انقصت من فضلك الاعداء
فالشمس من يستطع يحجبها .. ؟ اذا ... دلت على اشراقها الاضواء
والورد من يخفي تفتحه .. ؟ اذا ... نمت على نواره الاشذاء
فاذا هم لم يبصروك ، فعاذر ... (ان لا تراك المقلة العمياء)
فالعين ان عميت تساوى عندها ... فيما تراه النور والظلماء
ها أنت رغمهم خلدت ، فأحسنوا ... من حيث قد ظنوا اليك أساءوا
ها أنت تصمد شامخا متحديا ... تسمو بمجدك عزة وإباء
أيزحزحونك عن مقام راسخ ؟ ... أنى . وأنت الصخرة الصماء
مرت بك الارزاء عاصفة ، فما ... كانت تطأطىء رأسك الارزاء
واليوم تنشرك القرون ، فتنجلي ... لك في الخلود صحيفة بيضاء

(بغداد) يا أم العروبة .. طالما ... فيك تجل وتكرم الابناء
ان اجدبت ارض وغاض عطاؤها ... فلديك فيض دائم ، وعطاء
او تصبح الواحات قاعا صفصفا ... فلأنت ـ دوما ـ واحة خضراء
في كل حين تنجبين نوابغا ... ان مات غيرهم ، فهم احياء
من كل فذ من بنيك ومبدع ... في مجده تتفاخر الآباء
يا مصنع العظماء : ليس ببدعة ... في ان يكرم عندك العظماء
ويقام مجد (ابي المحسد) شامخا ... ويرف منه على رباك لواء
وفيته حقا عليك مقدسا ... يمليه نحو النابغين وفاء

بغداد ـ ص.ب ١٠٣٨ ... محمد جواد الغبان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور وليم الخازن

موضوعات الشعر القومي

بقلم الدكتور وليم الخازن

* * *

بعد ان تفتح العرب على المفاهيم السياسية الحديثة ، وعرفوا الاسس التي ترتكز عليها قوميات الشعوب بوجه عام ، اخذوا يتلمسون الموضوعات التي تثبت دعائم قوميتهم الخاصة ، وتغذيها ، وترسخها في النفوس على ضوء الاحداث المتفاعلة في مجتمعاتهم . وبالنظر الى ما قاساه العالم العربي من صراع ضد المؤامرات الخارجية والانقسامات الداخلية التي لظى اوارها الغربي الدخيل بمساعدة الجهل والتخلف اللذين لا يزالان كالربق في اعناق العرب . وكانت ابرز الموضوعات القومية التي تطرق اليها الشعراء في نهضتهم الحديثة : اللغة العربية ، واحياء التراث العربي ، والصراع ضد الطائفية والتعصب .

اللغة العربية الفصيحة

تعد اللغة من اهم عناصر القومية ان لم تكن اهمها على الاطلاق . فأنى نظرت في الكتب التي تتطرق للابحاث القومية رايت اللغة تحتل المنزلة الاولى في اشكال شتى من التقرير والتعليق والتأكيد . ففي الكتاب الذي نشرته منظمة الاونسكو عام ١٩٧١ حول الحركات الوطنية الاستقلالية ، كتب الزعيم السلوفاني اتبين كريستان : « لا تشتمل الامة على مجموعة الافراد الذين يعيشون على ارض واحدة ، وانما على مجموعة الافراد الذين يتكلمون لغة الام ، ويعترفون مختارين بأنهم ينتمون الى القومية نفسها » . وفي كتاب بول هنري « مسألة القوميات » يستبعد عن القومية كل ما يعتبر غير حتمي لنشوئها كالاطار الجغرافي والجنس والدين ووحدة المصالح ويقول : « تبقى الصفة الخارجية الاكثر تأثيرا : اللغة وفكرة اعتبار اللغة عنوان القومية نفسها ليست جديدة » . ثم يضيف : « ولقد كان لاثر العنصر اللغوي دور بارز في مناقشات فرساي التي استندت الى وحدة اللغة لدى الشعوب المطالبة بكيان وطني خاص للموافقة على مطلبها . وربما كان من ابرز ما يعبر عن اثر اللغة في الانتماء القومي الحديث النبوي الوارد في تاريخ ابن عساكر ، وقد جاء فيه : « يا ايها الناس ان الرب واحد ، والاب واحد ، ليست العربية بأحدكم من اب ولا ام ، وانما هي اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي » .

ولن ندخل هنا في مناقشة من يقلل من شأن اللغة متمثلا بعدد من الدول الحديثة المتعددة اللغات كسويسرا وبلجيكا وكندا ، فان هذه الدول عملت لتتفوق على هذا النقص ، وتعدت مرحلة القومية الى مرحلة الدولة الحديثة الراسخة في العلم ، والفلسفة ، والارادة الموحدة . وان تعدد اللغات في بلد ما يكسب شعبه وجها خاصا من العالمية ، والانسانية ، والاتجاه الفكري . ولقد اثبتت الفلسفة في ايامنا اثر اللغة وطرق تعبيرها الخاصة في التفكير والتفاعل مع الحياة والوجود ، ولطالما وصفت اللغة بأنها روح الامة تستوعب افكارها ، وامانيها ، وابعادها .

تنبه العرب الى اهمية هذا العنصر في بناء القومية وحاربوا الاتجاهات التي تحاول بعث اللغات العامية ، ولعلهم على كثير من الحق والوعي في ما يذهبون اليه . وقد رأينا اللهجات الخاصة تؤثر تأثيرا فعالا في استقلال الدول التي انتشرت بعد انفراط عقد الامبراطورية الرومانية . ولما جاء المهندس الانكليزي وليم ويلكوكس الى مصر في مطلع هذا القرن ، ودعا الى الكتابة بالعامية وجعلها لغة البلاد الرسمية ، ثارت عليه نقمة المثقفين ، واشار حافظ ابراهيم الى هذه الدعوة على لسان اللغة العربية عام ١٩٠٣ :

أيطربكم من جانب الغرب ناعب ينادي بوادي في ربيع حياتي

وكأن في واد اللغة اضعافا للاماني القومية ، ودكا للاسس التي تقوم عليها قوة الشعوب ومجدها ، ولا وحدة بغيرهما . وقد قال حافظ في هذا المعنى :

ارى لرجال الغرب عزا ومنعة وكم عز اقوام بعز لغات

ونجد مثل هذا المعنى في قصيدة بموضوع « اللغة العربية والشرق » للشاعر مصطفى صادق الرافعي (١٨٨٠ — ١٩٣٧) اذ يقول :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اذا اللغات ازدهت يوما فقد ضمنت للعرب اي فخار بينهـا الكتب

ووعي الاتحاديون الاتراك اثـر التعبير في كيـان الشعوب ، فحاولوا التشكيك باللغة العربية ونشر التركية علـى حسابها . فانبرى لهم المفكرون والشعراء العرب يسفهون اقوالهم ، ويدحضونها ، ويدافعون عن لغتهم ، واصفين جمالها ، وسحرها ، وبيانها الذي نزل به القرآن ، كلام الله . واعجب العرب بلغتهم ايما اعجاب ، وكانت لهم فيها المصنفات الكثيرة في تحليل مواضع الجمال بحروفها ، وصيغها ، وتركيبها ، وفنون تعبيرها ، حتى كادت الابحاث اللغوية تلهيهم عن تطور الموضوعات وتنويعها . انها لغة الضاد الفريدة وأم اللغات ، حتى راح بعضهم يناجي اللغة مناجاة عاطفية صوفية كما فعل انيس المقدسي في نشيد نظمه لاحدى الجمعيات العربية عام ١٩٠٦ وقال فيه :

لغة العرب اذكرينا ... واذكري مـا فـات
كيـف ننساك وفينا ... نفحـــة الحيـــاة

ونرى اثر اللغة في بعض المهاجرين الذين حرصوا على المحافظة عليها وتعليمها لاولادهم . ولم يأتوا بدعا في هذا الشأن ، فنحن نعلم في بلادنا ، مثلا ، كيف تحافظ الاقليات الغربية التي اتخذت جنسيتنا على لغاتها الام محافظة منها على كيانها وتراثها . اما الذين نسوا لغتهم واهملوها ، فقد كان غيابهم اظهر في المجتمعات الجديدة التي انتقلوا اليها . وقـد ساعدت غلبة اللغة العربية في بعض البلاد الافريقية على انصهار الشعوب التي كانت تتكلمها بالمجتمع العربي ، كما حدث عند حلول العربية محل القبطية في مصر ، والبربرية في شمال افريقيا ، والزنجية في السودان . واولاد المغتربين العرب واحفادهم الذين جهلوا لغة الام كان غيابهم اقوى واعمق في الامم الغربية التي حضنتهم . وقد تنبهت الدول العربية الى هذه الظاهرة ، وخاصة لبنان ، فراحت تستعمل التنظيمات المختلفة لمعالجتها والمحافظة على الطابع العربي في نفوس ابنائها المهاجرين . اما شعراء المهجر فقد كان لهم بعض الفضل في محاولتهم صيانة اللغة العربية واظهار دورها القومي . ويحتم علينا الواقع المجاهرة بأن هذه اللغة قد ضعفت شيئا فشيئا في المهجر مع الايام ، وانخفض معها الادب الذي ينبعث عنها ، مما دعا المغتربين الى تنبيه الدول العربية الى هذا الامر الخطير . وآخر نداء ، على ما نعلم ، وجهه الشاعر السوري الياس قنصل (١٩١٤ ــ) من الارجنتين الى الحكومات العربية يبلغها فيه ان « الادب العربي المغترب في حالة احتضار » مبينا بعض الاسباب ، ومقترحا بعض الحلول لمعالجة هـذا الوضع السيىء .

احياء التراث العربي

ان الالتفات الى التاريخ الماضي ، والتراث التليد ، من الموضوعات التي تستأثر باهتمام الشعوب في انتفاضاتها القومية . والعودة الى التراث تثير الشعور برسوخ الجذور التي تجمع الشعب وتوحد خصائصه على مدى العصور بحيث يشعر ان اتجاهه القومي الحديث امر طبيعي تنبه اليه بعد غفلة ، وانه مؤتمن بالوقت نفسه على ضمان تراث الجدود الذين ناضلوا في سبيل ترسيخ كيان الامة ، وانماء ملامحها الذاتية . ولعل هـذا الموضوع القومي اكثـر موضوعات القوميـة التصاقا بالنفوس ، وتغلغـلا في لاشعورها . فهو شبيه بما تحدثه الذكرى من عودة الى التجربة الاولى .

ولقد قال سوراتو في كتابه حول الفكرة القومية : « في الابعاد الاولى لاسس مبدأ القوميات ومنابعه النفسية ، تبرز ، في نظر بعضهم ، الذكرى » . انها ذكرى الماضي ، وما يثيره في النفس من تحفز جديد في الطريق القومي . ونرى المعنى نفسه عند يوسف ابراهيم يزبك (١٩٠١ ــ) في قوله : ان الشعور العربي هو تحسس الانسان العربي لكينونته ، وابتعاثه ذكرياتها ، في خاطره على الاقل .

ولم يشذ العرب في هذا الاتجاه ، بل ان نهضتهم الادبية والفكرية الحديثة التفتت الى الماضي البعيد تستوحيه القيم ، والمعاني ، وطرق التعبير . وزاد بريق التراث العربي في نفوس العرب ، واشتد دأبهم على بعثه بعد ان طالت هجعتهم في ظل الحكم العثماني الخانق ، فقويت ردة فعلهم في هذا المجال ، وتوسعت الآفاق التي ضربوا فيها . وربما كان ابراهيم باشا من اول الذين لفتوا العرب الى احياء مجدهم القديم ، وذلك في نداءاته للشعب العربي في سورية وفلسطين خلال ولايته عليهما .

ورأى بعض الشعراء ان يستعرضوا تاريخ العرب منذ عهد النبي العربي حتى ايامهم ، كما فعل الشاعر المصري احمد محرم (١٨٧٧ ــ ١٩٤٥) في « الالياذة الاسلامية » التي يصور فيهـا بطولة الرسول واصحابه في غزواتهم وجهادهم في سبيل الدين . والشاعر العراقي محمد حبيب العبيدي (١٨٨٠ ــ ١٩٦٣) في قصيدته « الواح الحقائق » التي انشدها في المنتدى الادبي العربي بالآستانة ، بعيد الحرب الطرابلسية عام ١٩١١ ، فلام فيها الشرق العربي على تقاعسه ، وحثه على تجديد مجده الماضي . وجرى هذا المجرى مواطنه الشاعر خيري الهنداوي (ــ ١٩٥٧) في قصيدته « ايها الشرق » و « فتاة سلانيك » . وعاد بعض الادباء الى العصر الجاهلي ، فحمل عـز ابطاله وفروسيتهم ، ونقلها رافدا لاماني العرب في بعث قوميتهم . وسارت على الالسن امجاد عهود سالفة ، واسماء اسر عربية رفعت الجباه وملأت النفوس اعتزازا وفخرا ، كذكر آل حفص في وصف مصيف « المرسى » التونسي على لسان الشاعر التونسي علي النيفر (١٩٠١ ــ) حيث يقول :

تخيرها قدمـا ملـوك غطارف ... فخارهم باق مدى الدهر مائل
فمن آل حفص كل اروع باسل ... سجيته حـزم وعـزم ونائـل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وشارك المغرب العربي عامة في هذا الموضوع داعيا الجيل الجديد الى بعث المآثر الماضية على لسان شعراء من امثال محمد غريط (١٨٨٠ —) ومحمد المختار السوسي (١٩٠١ —) ، ومحمد المهدي (١٩٠٤) . ولقد تعرض لموضوع احياء التراث العربي انيس المقدسي في كتابه : « التيارات الادبية في العالم العربي الحديث » تعرضا وافيا ، وحدد موضوعاته في ذكرى النوابغ الابطال ، وذكر المآثر من وقائع العرب واخبارهم في المشرق والمغرب ، وتفوقهم ، وذكرى امصارهم وحضارتهم ، ومثل على هذه الموضوعات من شعر احمد شوقي (١٨٦٨ — ١٩٣٢) ، ومحمد عبد المطلب (١٨٧٠ — ١٩٣١) ، وحافظ ابراهيم (١٨٧٢ — ١٩٣٢) ، وعبد الحليم المصري (١٨٨٧ — ١٩٢٢) ، وخير الدين الزركلي (١٨٩٣ — ١٩٧٦) وعمر ابو ريشة (١٩١٠ —) ، وغيرهم . وعالجت الموضوع نفسه عزيزة مريدن في كتابها : « القومية والانسانية في شعر المهجر الجنوبي » . وجملة الشعراء الذين مثلت بأقوالهم هم من اللبنانيين .

ويجدر بنا ان نشير الى بعض المزالق التي قد يكون الشعب العربي انزلق اليها في اطالة وقوفه عند امجاده الماضية في مرحلة كانت تتطلب منه مزيدا من الجهاد لتغيير اوضاعه والتخلص من براثن المستعمر الذي يضيق عليه الخناق ، وخاصة ان التراث العربي نفسه حافل بالمواقف الخطابية الرنانة التي ترتكز على ظاهر اللغة ، وموسيقاها ، وبيانها ، اكثر منها على حقيقة التوجيه والالتزام . وانما التغني بالامجاد الماضية واحياؤها هما لبلورة الشخصية ، ولكن الاكتفاء بهما وحدهما وسيلة مضمونة للانتحار القومي . وهذا التحفظ ، في كل حال ، لا ينفي اهمية تذكير العربي بما صنعه رواد حضارته وقوميته ، ليكون له بهم خير هداية ، واكبر برهان على ما يقدر عليه اذا اخلص القصد ، والتزم به .

الصراع ضد الطائفية والتعصب

وتصدى الشعر القومي للتمزق الطائفي وما ينجم عنه من تخلف ، وما يثيره من احقاد . وقام المفكرون والمصلحون والادباء يحاولون كسر هذا الطوق المحكم ، وتحرير النفوس مما رسب فيها من افكار لا تمت الى حقيقة الدين بصلة . ولم تكن مهمة العقلانيين سهلة ، اذ كثيرا ما كانوا يصيحون في واد كما جاء على لسان الشيخ عبد الرحمن الكواكبي (١٨٢٥ — ١٩٠٢) ، فالشعب الجاهل ليس تربة صالحة لجميل الغرس . وظهر في مطلع القرن الحالي بمصر جماعة من المفكرين تأثروا بأبحاث الغرب ونشروا آراءهم في الصحف والمجلات ، فتأثر بها الشباب الطالع تأثرا بالغا . ومن اشهرهم شبلي الشميل (١٨٦٠ — ١٩١٧) ، وفرح انطون (١٨٧٤ — ١٩٢٢) ، وسلامة موسى الذي ناهض الدعوات الوطنية المرتكزة على الطائفية . ومن ابرز مواقف الساسة العرب النابهين في نبذ الطائفية وصهرها في القومية العربية موقف الملك فيصل الاول (١٨٨٣ — ١٩٣٣) واقواله : « الدين لله والوطن للجميع — نحن عرب قبل موسى وعيسى ومحمد » .

واكثر الشعراء العرب نظموا في هذا الموضوع ، فدعوا مواطنيهم الى الوحدة الوطنية التي تتعدى اختلاف المذاهب ، كما فعل معروف الرصافي (١٨٧٥ — ١٩٤٥) . وحاربوا بعض رجال الدين عندما وجدوهم يشذون عن تأدية رسالتهم الحقيقية التي تجمع بين الناس ، فحرموا المحلل ، واباحوا المحرم ، وفقا لعصبيتهم واهوائهم ، كما رأينا عند الشاعر المصري علي الغاياتي (١٨٨٥ — ١٩٥٦) في قصيدته المنظومة عام ١٩٠٧ ومطلعها :

يا ويل من عبدوا القبور واشركوا بالله بين توسل وتضرع

ورأى فيهم الشاعر العراقي محمد رضا الشبيبي ، عام ١٩٢٠ ، عناصر تفرقة وشقاء ، وذكرهم في معرض كلام على تقسيم البلاد العربية على يد الاجنبي :

جارت علينا عصبة روحية شقيت بها الارواح والاجساد

وفي الفترة نفسها نعت خير الدين الزركلي ادعياء الدين « بحاملي علم الشقاق » الذين كبلوا الشرق بالاصفاد ، وحالوا بينه وبين التقدم :

يا حاملي علم الشقاق به لا تحملوا للشرق اصفده لا تبعثوها فتنة عمما تؤذي كنيسته ومسجده

وجاهر الشاعر المسيحي الياس قنصل (١٩١٤ —) بجراة وتحد بأنه شخصيا مستعد لان يتخلى عن دينه اذا وقف هذا الدين عائقا في سبيل تحرر وطنه . وجاراه عدد من الشعراء .

ونهج بعض الشعراء طريقة حذقة متفائلة تفوت على المستعمر والوصولي استغلاله للطائفية في تفرقة افراد الشعب الواحد ، بحيث اظهروا الطائفية بمظهر الفارق السطحي الذي يزول في الملمات ، وتتغلب عليه الوحدة الوطنية ، والتعاون بين الاخوان . ونرى هذا الموقف مثلا عند الشاعر السوري خليل مردم (١٨٩٥ — ١٩٥٩) ، حيث يقول :

الحمد لله اني في حمى وطن تحمي كنائسه فيه مساجده

وقد اوضح هذا الشاعر ان التعصب هوى شخصي ليس من الدين في شيء ، بل انه معدى الى الخلاف والانقسام الذي يجرف كل القيم البشرية .

والاقوال التي تبين مساوىء التعصب ، وتحارب الطائفية ، كثيرة في الشعر العربي القومي ومن الطبيعي ان نرى اكثرها لشعراء لبنانيين لكثرة الطوائف في موطنهم ، ولكثرة ما قاساه لبنان من هذه الآفة الاجتماعية البشعة .

وليم الخازن

هموم

بقلم سعيد ابو الحسن



حاولت ، ولكن بطريقة عصرية ، ان افرج همومي . وكنت دائما اعجب للخليفة هارون الرشيد الذي كان رجال حاشيته يجدون من الصعب ، ان لم يكن من المستحيل ، تفريج همومه بما يعرضونه عليه من حلول : « قم ، يا امير المؤمنين ، وانظر الى السماء كيف تتألق نجومها وتدور في اعجب نظام ، اخرج الى الحدائق الغناء الممتدة على جانبي دجلة ، تمتع بأريج الزهر وجماله ، وحلاوة الفاكهة وما تدخله على النفس من انتعاش ونشاط ، استعرض خيولك العربية الرائعة في اسطبلاتك الغنية واختر الجواد الذي تشاء واخترق به بغداد العظيمة و و ... » .

اما انا ، المواطن العربي في اواخر القرن العشرين ، فلا املك مثل هذا الترف — فكيف افرج الهموم التي ترزح فوق صدري ، وتؤرقني ، وتحيل الدنيا في عيني ظلاما فوقه ظلمات ؟ ومع ذلك قررت ان احاول ، وحاولت ...

غادرت منزلي باكرا . اول مشهد وقعت عليه عيناي حشد من المواطنين يتزاحمون على باب فرن — لم يكونوا يقفون في نظام كامل ، لكن في شبه نظام ، يعرف كل منهم ان دوره يجيء بعد دور الذي يتقدمه — اما اذا تسلل واحد او اثنان او اكثر ، او لوح عملاق او متعملق بيده من فوق الرؤوس وخاطب الفران بقوله : « يا ابو صطيف ، الله يرضى عليك ، كيلوين لاخيك ابو احمد » ، ونجح المتسللون والمتوسلون بالحصول على طلبهم قبل اصحاب الدور الآخرين ، فهذا لا يثير سوى تذمر مهموس ، او نفخة من اعماق الصدر ترافقها عبارة مثل : « لا حول ولا ... » او « استغفر الله العلي العظيم ... » واذا تشاجع احدهم وصرخ : « بالدور ام بالزور ، يا جماعة ! » ، فانه لا يلبث ان يتلقى الاجابة من الفران او اجيره : « شو اخي ! .. مو عاجبك ؟ اذا مو عاجبك مع السلامة ! » — فيصمت المحتج ومن كان ينوي الاحتجاج لانه لا بد من الحصول على الخبز بأي ثمن ...

واترك الفرن واتابع سيري وقد زادت همومي زيادة محسوسة — واقف امام مكتبة — الازدحام هنا ليس من اجل شراء الكتب ، ولكن من اجل قراءة العناوين التي ابرزها صاحب المكتبة في براعة واضحة ، كتب من كل البلاد، مؤلفة او مترجمة، والعناوين كلها تخاطب المراهقين سنا او نفسية ، والمارة يقرأون العناوين ويتأثرون بمضمونها ، وقلة قليلة منهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تشتري بعض المطبوعات وتذهب لتفرج همومها او لتزيدها ... واشتري صحيفة يومية وادخل حديقة عامة قريبة وابدأ مطالعتها على مقعد خشبي اصفر اللون ، لا بأس بنظافته .

وابدأ — كعادتي — بالصفحتين الاولى والاخيرة . على الاولى اطالع اهم العناوين السياسية ، وعلى الاخيرة اهم الاحداث العلمية والثقافية ، ومختلف الطرائف المأخوذة — ولا شك — عن الصحف الاخرى . ثم انتقل الى الصفحات الداخلية : فأغرق في خضم من المقالات المترجمة، واكثرها عن المسرح العالمي ، والفن العصري او المعاصر ، وعن المسلسلات التلفزيونية ، والافلام السينمائية ، وبعض المقالات المؤلفة ، واكثرها صيغ على عجل ، ما ان يقراها الانسان حتى يلفظ قسما منها كالقشور والنوى ، ويتحمل من الباقي بعض عسر الهضم وحتى المغص .

واغادر الحديقة وقد تنفست هواء نقيا — وهذا مفيد — ولكنني لم ابدد شيئا من همومي ، بل العكس هو الصحيح . ويخطر ببالي ان ازور صديقا لي ، وهو موظف كبير في احدى الادارات الحكومية .

ويستقبلني صديقي مرحبا . واجلس الى مكتبه لاتيح له البقاء وراء هذا المكتب ، وقلت له : تابع عملك ، وحدثني حين تستطيع ، فأنا لم آت لاعطلك عن العمل .

فأجابني :

لا عليك ! انا ما صدقت انك جئتني ، فأنا بحاجة الى بعض الراحة ، وانا بحاجة ، على وجه الخصوص ، الى بثك بعض شجوني .

— هات ما عندك ، فقد يصح هنا قول القائل : « وداوني بالتي كانت هي الداء » .

وانطلق صديقي على سجيته . وانا مصغ اليه في مشاركة كاملة .

— انظر الى هذا البريد المتراكم امامي . هل تصدق ان تسعة اعشار هذه المعاملات ، ما كانت لتصل الي لو كلف كل موظف مرت به نفسه عناء دراستها ، ووضع الحل ، او اقتراح الحل المناسب لها ؟ . خذ هذه مثلا : طلب توظيف مقدم من مواطن يحمل الشهادة الثانوية العامة . الجواب عليه سهل : لا تعيين بلا مسابقة . ولكن الموظفين المرؤوسين لا يجرؤون

على اعطاء الطالب الجواب الحاسم : فهم يحسبون الف حساب : ربما كان هذا المواطن احد معارف المسؤول الاول في الادارة ، او كان موصى به من شخص ما او جهة ما . والمسؤول الاول لا يعدم وسيلة لايجاد طريقة استثنائية لتلبية طلبات المعارف ، وتنفيذ توصيات الاصدقاء .

وهذه الثانية معاملة صرف قيمة مأدبة اقامها المسؤول في احد المقاصف الكبرى لاعضاء احد الوفود . وحين اتفحصها ، واعود الى التاريخ المفروض انه تاريخ المأدبة ، اجد نفسي امام فضيحة : فلم يكن في البلد اي وفد بذاك التاريخ . واستنتج ، بلا صعوبة ، ان قصة المأدبة اختراع بارع للحصول على مبلغ بطريقة تلبس مظاهر الشرعية، وانها مجرد اختلاس مموه ، والمبلغ سيدخل جيب المسؤول او جيوب افراد حاشيته .

وهذه الثالثة ...

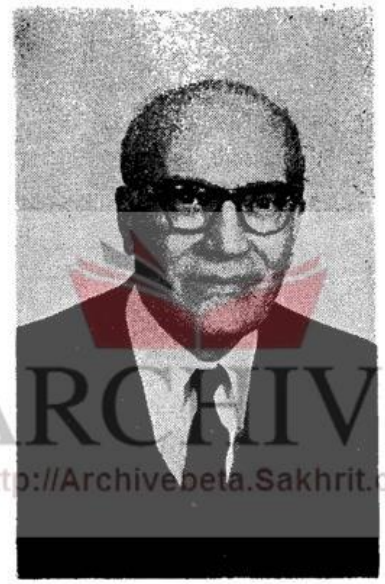
واجدني اصرخ في وجه صديقي وانا اقف كمن لدغته افعى :

ـ ارجو ان نكتفي بهذا ، فأعصابي لا تتحمل اكثر من ذلك .

واودع صديقي وانا ارثي لحاله ما دام يواجه كل يوم مثل هذه البشاعات ... واشعر بأنني بحاجة الى منشط فأدخل اول مقهى اصادفه، واطلب فنجانا من القهوة مغليا مركزا متوسط السكر . وتجيء القهوة . وحين ارشف اول رشفة احس طعم اشياء محمصة كثيرة ، مازجها قليل من البن . ولكني مضطر لاحتساء الفنجان حتى الثمالة لان لا بديل ... وفيما كنت اشرب هذه المصيبة ، كانت مصيبة اخرى تصل الى اذني من راديو المقهى . كانت احدى المطربات تغنى للمدينة التي (الجبل بيها ، والنهر خيها ..) ورواد المقهى يطربون لهذا الهذر ، لانهم بحاجة الى تقطيع الوقت ، وتفريج الهموم ...

واغادر المقهى وعلى كتفي جبل اثقل من الجبل الذي ولد المدينة ، على ذمة المطربة ، واسأل نفسي : الى اين ؟ ..

وكان الجواب : « لماذا لا اقوم بزيارة احد الاقارب في بيته ؟ فهو متقاعد ولا بد ان يكون في مثل هذه الساعة في احدى جلساته المحببة » ومضيت الى بيت قريبي ، فوجدته على شرفة شقته يلعب الشطرنج مع زميل له ، متقاعد مثله . وبعد عبارات الترحيب والمجاملة ، رجوت من اللاعبين ان يتابعا لعبهما ، فأنا اسر



سعيد ابو الحسن

*

بمراقبتهما ، ولعل متابعتي هذه المعركة الذهنية ان تنسيني بعض صور الواقع . وما لبثت ان رأيت زوجة قريبي تأتيني بفنجان من القهوة، وتنظر الى زوجها في شيء من الغضب الخجول ، فشعر بحدة النظرة وادرك مغزاها . واعلن انتهاء اللعب بحجة انه يريد ان يبادلني الحديث . وتنفس الصعداء وقال :

اف لهذه الحياة ـ تسلمك من فراغ الى فراغ ! باللعب نحاول ان ننسى . بالعمل ننسى فعلا ، ولا نتذكر حتى نتعب ونحتاج الى الراحة ـ بالقراءة نحاول ان نهرب ، وهو هرب لذيذ ، لكن ما ان ننتهي من المطالعة حتى نعود الى نقطة البداية ، حاملين كثيرا من المتعة الروحية ، ولكن احساسنا يزداد رهافة فنصبح اكثر استعدادا للشعور بأخف الآلام وادقها ، فالاحتكاك بعقول المؤلفين ومشاعرهم ينبه فينا كل موجات الالتقاط ، فلا تفوتنا نغمة فرح ، ولا نأمة حزن . والنهار طويل ، والليل اطول . والوحدة موحشة ، والاختلاط اشد وحشة اكثر الاحيان .

فقال شريك قريبي في اللعب :

الا تعفينا من فلسفتك المتشائمة ؟ اضحك يا اخي ، ما دمت لا تملك ان تسير حياتك كما تشاء ، فاقبلها كما هي ، على علاتها . كن متأهبا دائما لكل ما تجيء به الحياة ، فلن يفاجئك شيء ، ولن تشعر بفرق بين حلوها ومرها ...

الكلام سهل ـ قال قريبي ـ اما الواقع فأصعب مما نظن . اننا نحاول ان نعزي انفسنا ، وتكون النتيجة ان تعزيتنا تبقى سطحية ، مفتعلة ، فنكون كمن يسلي الحمى بقشور البطيخ ، كما يقول المثل العامي .

وحسبت ان علي ان اشارك في الحوار فقلت :

في موقف كل منكما الكثير من الحقيقة ، ولستما مختلفين الا من حيث الزاوية التي ينظر منها كل منكما . فما قاله قريبي يحدث فعلا ولا يجوز انكاره ـ فهو بمثابة تشخيص الداء ـ وما قاله الصديق هو بمثابة وصف العلاج ، او على الاصح وصف طريقة الوقاية . ولو سمحتما لي لقلت : ان الداء والدواء منا وفينا . وإلا اقول شيئا جديدا ، فاقرؤوا جيدا كل تراثنا الفكري ، تراث الانسانية كلها ، تجدوا هذه الحقيقة واضحة ومعبرا عنها بألف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطير

كلمـــا رفـــرف القلـــب يـــود الانفـــلات
طائـــر الفرحـــة ماتـــت وتلاشـــت في اللهـــاة
تمتمـــات ثـــم فـــر الطـــير مـــن كـــل الجهـــات
ايهـــا الطـــير المولـــي كيـــف القـــاك وايـــن
كلمـــا لحـــت ببالـــي قتلتنـــي الذكريـــات ...
احـــرام .. احـــرام ان تواصلنـــا قليـــلا
في زمـــان الوصـــل تصفو الآه ، تحلـــو الامنيات ..
ان بعض الصحب لاموا ، ان بعض الصحب قالوا ..
كيـــف تلقـــى طـــيرك المرتاع في هـــذي الحيـــاة
واصطـــراع الـــدرب آنـــا ، واشتهـــاء المغريـــات
يـــا صديقا كلم الطير كلاما جاء في بعض اللغات
ايهـــا الطير المولي .. هـــل لنـــا مـــن رفرفات
ان في قلبـــي نسيمـــا فـــاق كـــل النسمـــات
ان زادا منـــه تلقـــى لهـــو الـــزاد الحيـــاة ..
انـــه الحـــب حبيبـــي قدستـــه الملهمـــات ..
فـــاض ينبوعـــا وثـــرا كـــان حـــب الكائنـــات
لـــم يجب شيئـــا تـــوارى خلـــف اكوام الرفات
حشرجات ثـــم خـــر الطير مصعوقا ... ومـــات

حلب — مصطفى النجار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طريقة : لكل امر وجهان متضادان ظاهـــرا ، متحدان في الحقيقـــة ، تضادهما اتحاد ، واتحادهما تضاد . والا لما تكون منهما هذا الامر الواحد . فلماذا نضيق بالالم واللذة احد وجهيه، ولمـــاذا انتشي باللذة والالم احـــد وجهيها ؟ وجهازنا الجسدي والنفسي مكون ليشعر باللذة والالم ، فـــاذا حاولنا ان نحذف شعورنا بأحدهما فكأنما نحاول ان نعطل هذا الجهاز . فلو فقدنا حاسة الذوق ، او الشم ، او السمع ، او الرؤية ، فاننا لا نفقد طعم الاشياء الحلوة وحدها ولا طعم الاشياء المرة وحدها ، بل نفقدهما جميعا ، وكذلك الامـــر في بقيـــة الحواس . لذلك ارى ان علينا ان نقبل بالحياة كما هي ، ليس من قبيل الوقاية النفعية ، بل من قبيل الفهم العميق لهـــا حتى القبول الطوعي الكامل بالموت الذي هو الوجه الآخر لحقيقة الحياة .

ومضينا في هذا الحوار ، وتشعبت بنا دروبه . وتكشفت لنا آفاق جديدة، آفـــاق الحقائق وآفاق الهموم ... وحاولنا ان نجد تفسيرا لمـــا يعاني انسان العالم الثالث في دروب الحياة الصعبة التي تشبه المتاهة . هل هذا ناتج عـــن حركة الحياة ذاتها وهي تتطور ، فهي لا بد ان تتخلص من جلد وهيئة ، لازماها في احـــدى مراحل تطورها ، لتكسو جلدا وهيئة جديدين لمرحلة جديدة ؟

ام هو ناتج عن المشاركة الواسعة، في صنع الحيـــاة ، لجماهير غفيرة مستجدة لم تكن تشارك قبلا في عملية الحياة هذه ؟ اوصلها الى هذه المرحلة المتقدمـــة انتشار العلـــم والوعـــي وانكسار الجدران التي كانت تعزل الطبقات الاجتماعية بعضها عن بعض، وتحصر في واحدة منها دون سواها مهمة صنع الحياة للمجتمع كله ؟

وكان لا بد لتساؤلاتنا ان ترسو على حافة مجهول لا حدود له ، فيه كـــل الاجابات المحتملة ، واخطـــر الاجابات ، ان تكون همومنا من صنع قوة خفية ، تريد ان تلهينا بهمومنا اليومية ، عن الهم الاكبر الذي كان يجب ان نقف عليه كل مجاهيدنا ، وهو استكمال اسباب وحدتنا وبالتالي اسباب قوتنا ومنعتنا ، لننهي مهمة تحررنا ونستأنف اداء دورنا الكبير في حياة العالم ، اعنـــي اداء رسالة العدالة ، والمساواة، وتحقيق انسانية الانسان ...

دمشق — سعيد ابو الحسن

حليم دموس

١٨٨٨ — ١٩٥٧

بقلم عجاج نويهض

*

اول ما بدات اقرا له من الشعر ، هو « اغانيه الوطنية » وذلك بعد اعلان الدستور العثماني ١٩٠٨ وخلع عبد الحميد ١٩٠٩ ، وانا طالب ١٩١٢ و ١٩١٣ في مدرسة برمانا (لبنان) . فعند انبثاق الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ كان حليم دموس اصبح من الشعراء المعدودين وله مميزاته في حسن الذائقة الادبية لا في نطاق الشعر وحده ، بل في الادب العربي جملة وتفصيلا . واغانيه الوطنية اصابت من الذيوع حظا كبيرا في لبنان ، واظن ان اغانيه هذه وسعت عليه الآفاق .

واول ما لقيته عن كثب ، وربطت بيننا عرى الصداقة الواشجة ، كان في دمشق خريف ١٩١٨ وقد امتلك العرب ، وفيصل بن الحسين على راسهم ، داخلية سوريا من معان العقبة الى شمالي حلب . ومشت هذه الصداقة كل ايام الشام الحلوة ، حتى اواخر تموز ١٩٢٠ ثم احتلت فرنسا سوريا وتغيرت دواليب التاريخ مع فيصل والعرب ، ولو ان فرنسا كان عندها ديغول سنة ١٩٢٠ بدلا من غورو في سوريا ، لربما كان العرب احسن حالا واقوم سبيلا يومذاك واليوم .

• • •

وكان حليم دموس يعمل موظفا في « سكة حديد الحجاز » في دمشق ، ولا اعلم متى بدا عمله ، وقد يكون عمله هذا من حيث الوظيفة الرسمية اول عمل مارسه في حياته في سوريا ولبنان . ولما اسس اديب الشام الكبير الشاعر خليل مردم بك في اثناء الحكم الفيصلي في دمشق سنة ١٩١٩ جمعية « الرابطة الادبية » ، وانتظم فيها ارهاط من ادباء سوريا ولبنان والعراق وغير اقطار ، انضم حليم دموس ايضا ، وكان من البارزين ، ومن صدور هذه الجمعية التي كان لها شأن في انعاش الادب العربي بعد الحرب الاولى ، ودمشق وقتها الام الجامعة ومعقد الآمال القومية ، محمد الشريقي ، واحمد الكرمي ، وشفيق جبري ، وعبدالله النجار ، وسليم الجندي ، وابيفانوس ، وفخري البارودي ، ونجيب الريس ، وغيرهم . (راجع « الموسوعة الموجزة » للاستاذ حسان بدر الدين الكاتب ص ٢٤٤ من المجلد الثاني) . ولا بأس ان اوضح مجمل صلتي به الآن : اما في دمشق فكانت مليئة ، وكأسها المعنوي دهاقا ، نلتقي في الاسبوع مرة او اكثر ، ونجلس للحديث في الادب والسياسة والشعر والاجتماع ، ومد الرؤية الى ابعد مدى ، اذ كانت دمشق في خلال تلك المدة الذهبية الاحلام ، حتى في اليقظة ، تجتاز مرحلة ٢٢ شهرا راقصا صاخبا ، ثائرا غائرا ، وفيصل وصحبه والامة كلها يهزجون بالاناشيد الوطنية المستثيرة للشعور في سبيل احياء الدولة العربية الكبرى ، فكانت المدارس والمعاهد قائمة قاعدة ، والاناشيد القومية يستمع اليها حتى طيور الغوطة في وكناتها ، و « المؤتمر السوري » او البركان من شيوخ الشباب وشباب الشيوخ يصارعون ما زرعته بريطانيا والصهيونية وفرنسا في الطريق من اشواك وعثرات .

في سنة ١٩٢٠ ساقتني الاقدار من دمشق الى فلسطين مودعا اصحابي في العاصمة الاموية وفي مقدمتهم حليم دموس . وهو بقي في عمله في سكة حديد الحجاز مدة ثم انتهى عمله وبقيت البرد تروح وتغدو بيننا . ثم صرت اراه في بيروت يعمل في الصحافة ولكني ما عدت اجتمعت به الا اوائل سنة ١٩٣٢ في بيروت بضع ساعات لا اكثر ، اذ كنت رافقت وقتئذ الزعيم الهندي مولانا شوكت علي من فلسطين الى بيروت ودمشق ، اثر انعقاد المؤتمر الاسلامي العالمي في القدس وكانت مرافقتي لمولانا شوكت علي اولا لانه هو صديقي منذ ١٩٢٦ في مكة المكرمة ، وثانيا كنت مكلفا من الحاج محمد امين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ورئيس المؤتمر رحمه الله ، ان ارافق مولانا شوكت علي لاترجم له في بيروت ودمشق خطبه في الحفلات العامة التي تقام له في تلك الرحلة ، وكان رياض الصلح وقتها من مرتبي برامجها ، والفرنسيون حانقون في سرهم غير مرتاحين الى رحلة الزعيم الهندي بحال .

ولكن الوقت القليل الذي انفقته مع الصديق حليم دموس في بيروت كان ممتعا . ولم يكن بعد قد حام حول حمى الداهشية . وفي سنة ١٩٤٣ وانا اتولى القسم العربي من دار الاذاعة الفلسطينية في القدس ، جاء حليم فلسطين زائرا ، فدعوته لالقاء مختارات من شعره من المذياع العربي ففعل مسرورا ، وتكلمنا مليا ودخلت الداهشية في العباب . ثم زار بيت المقدس في السنة التالية ١٩٤٤ وكنت قد استقلت من عملي في دار الاذاعة قبل بضعة اشهر ، فكانت كل احاديثه لي عن الداهشية وهو وقتئذ مستغرق فيها وهي شاغلته عن كل شيء ، سوى الشعر الروحاني . ولم اره بعد ذلك قط ، وسنة ١٩٥٧ جئت من عمان الى دمشق، وكان في نيتي ان اسعى اليه اينما كان لالقاه ، وفي ثاني يوم وانا في دمشق قرأت نبأ وفاته والتحاقه بالرفيق الاعلى في لبنان . رحمه الله ، واكرم مقامه في فراديس الجنان .

وكل ما استطيع ان اكتبه الآن عن هذا الصديق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الراحل قبل عشرين سنة ، فأقدم جوانب من سيرته الى القراء الكرام ، في عالم الضاد ، عن طريق مجلة « الاديب » الحبيبة ، هو اشياء مختلفة باقة من هنا وباقة من هناك لا اكثر . واصدقاء حليم دموس كثر ، وان كان معظمهم ينتمي الى الجيل الذي اخذ يواجه ايام الشيخوخة ، ولكن منهم من لا يزال في ريان الشباب ، المربي القومي الاستاذ ماجد مهدي صاحب المعهد التعليمي الوطني في « علي النهري » قرب المعلقة في البقاع ، فانه نشر في جريدة « السفير » (تشرين الاول ١٩٧٧) يدعو الناس الا ينسوا حليم دموس ، فسيرته حرية بالحفظ . ولكني لست طامحا الآن في ان اتمكن من وضع سيرة كاملة لهذا الشاعر الغالي علي عهده ، والمرعية عندي مدى الحياة صداقته ، ولا سيما ما يتعلق بكيفية انتقاله الى الداهشية . فاقتصر على ما عندي من خبرة ، وربما غيرنا اولى منا واجدر بوضع السيرة الكاملة لحليم . والفضلاء اصدقاؤه اكثرهم في البلاد ولله الحمد .

ولد حليم دموس في زحلة (عروس البقاع) سنة ١٨٨٨ وتلقى دراساته وعلومه في « الكلية الشرقية » في زحلة . ومعرفة تاريخ ميلاده على وجه اليقين امر سهل ، فقد ذكر هو في آخر ديوانه الاول المسمى « ديوان حليم » ، وسنتكلم عنه عما قريب ، ما يلي : « انا اليوم واقف ـ ٢٠ تشرين الاول ١٩١٥ ـ على باب السابعة والعشرين من عمري ، لا هم لي الا التعرف بعلماء العصر ، ومجالستهم ومذاكرتهم ومباحثتهم ، ومطالعة كتب العلوم والآداب للاستزادة من هذه البضاعة الثمينة » . وقال في هذا الموطن ايضا : « ولي نزعة خاصة الى الشعر وقد نظمته في العاشرة من العمر قبل ان اتعلم اصوله وادرسه على استاذي الكبيرين جرجس همام وعيسى اسكندر المعلوف في الكلية الشرقية في وطني زحلة » . وقال ايضا : « وقد صرحت مرارا ان لوالدي الفضل الوافر في تنبيه خاطري الى الشعر وصرف طبعي اليه . فقد طالما اسمعني ، وانا دون العاشرة ، مقطعات وانا شيد لطيفة نظمها على نغم « المعنى » ، هو فن الزجل المشهور في سورية ولبنان ، وقد نظم كثيرا في هذا الفن وهو في ابان الشباب ومقتبل العمر لان مدارس ذلك العهد لم تؤهله لدرس اصول اللغة » .

وفي الصفحات الاربع الاخيرة من « ديوان حليم » تكلم عن كيفية نظمه الشعر ، وخلاصة ما قاله ان للظلام فضلا عليه لا ينساه : « فمتى شئت نظم قصيدة عمدت الى قلم رصاص وعدة ورقات بيضاء اضعها تحت وسادتي عند ذهابي الى النوم ، فاذا ساد السكون في غرفتي وتوافدت علي المعاني ، واطاعتني القوافي فأختار منها ما اريد وابعد ما اريد » .

عاش حليم دموس على الاقل عشرين سنة من حياته في العهد التركي العثماني الذي انقلب في اواخره الى العهد التركي الطوراني . وحليم في السابعة عشرة (او ١٩٠٥) هاجر الى البرازيل ، اذ الهجرة وقتئذ كانت قوية الرواج في لبنان ، ومكث هناك بضع سنين اذ نراه قد عاد الى عشه المحبوب زحلة سنة ١٩٠٨ ولكن لا علم لدينا ، أقبل اعلان الدستور رجع في تموز من تلك السنة ام بعيده ، وبقي في لبنان بقية حياته . ويلوح ان الغاية المادية من هجرته لم تنجح نجاحا يذكر بدليل قصر مدتها كهجرة فرح انطون وخليل السكاكيني الى اميركا في ذلك الوقت وعودتهما بعد برهة ما الى مصر وفلسطين . فحياة دموس ليست كثيرة الرحلة والسياحة لا في العالم الاكبر بل حتى في العالم العربي . واشك في انه زار مصر او العراق او حتى كل سوريا . وكانت وفاته بعد تسع سنين على انهيار فلسطين ، ولكنه شهد كل المعارك في منازلة الصهيونية والسياسة البريطانية في تهويد فلسطين ، فلما زار القدس لآخر مرة سنة ١٩٤٤ كانت فلسطين في المقلى الى ١٩٤٨ .

يمكننا ان نرى حياته قد اجتازت هذه المراحل :

الاولى : مرحلة شبابه الاول الى ان هاجر الى البرازيل سنة ١٩٠٥ وهو في السابعة عشرة .

الثانية : المرحلة المهجرية في البرازيل وهي عدة سنين وتمتد الى ١٩٠٩ ثم عاد الى زحلة في تلك السنة .

الثالثة : مرحلة ازدهاره الاول في الشعر ، بعد عودته من المهجر وامتد هذا الى الحرب العامة ثم الى ١٩١٨ فنراه في دمشق من المهللين للاماني العربية ، وظهر هذا في بعض شعره في دمشق .

الرابعة : مرحلة حياته الشعرية وانتاجه ونشاطه الاجتماعي وامتد هذا نحو ١٥ سنة اي الى ١٩٣٥ وفي هذا الاوان بدأ يتأثر بالدكتور داهش مذ انتقل الاخير من فلسطين الى لبنان . ونحن نضع تاريخ انتقال الدكتور داهش الى لبنان في حدود ١٩٣٥ .

الخامسة : مرحلة العقيدة الروحانية الداهشية ، وهذه الى آخر حياته ١٩٥٧ . ولكننا لا نتعرض هنا لبحث شيء يتعلق بالداهشية في لبنان . واني اذكر جيدا اني لما كنت اجتمع به في القدس ١٩٤٤ كان روحيا محضا وممارساته الروحية كانت بواسطة الشعر .

لا املك اليوم شيئا من دواوين دموس وكتبه وآثاره ، سوى نسخة من ديوانه الاول « ديوان حليم » ، ولكن الطبعة الاولى لهذا الديوان ليست هي من طبع مطبعة « دار الايتام السورية » في القدس سنة ١٩٢٠ ، كما جاء في كتاب « مصادر الدراسة الادبية » لداغر ، بل الطبعة الاولى من « ديوان حليم » اخرجتها (مطبعة ديوان الشورى الحربي بدمشق ١٩١٩) . ولما كنت لا املك نسخة ما من طبعة القدس ، فكل ما اذكره في هذا الفصل عن « ديوان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حليم » ، انما يعود الى طبعة دمشق ١٩١٩ .

وعلينا الآن ان نستوفي الكلام عن « ديوان حليم » هذا . فالديوان يقع في ٣٦٠ صفحة من الحجم الوسط والورق عادي جدا (لا يؤمل ان يكون الورق الجيد متوفرا للكتب الخاصة والبلاد خارجة من الحرب) ويقسم الى قسمين فالاول وسماه « من منظومات الوطن » يتضمن المقدمات البهيجة وشعر دموس الى ١٩٠٨ في ٨٦ صفحة ، والقسم الثاني وهو الاهم يتضمن شعر دموس من ١٩٠٩ ــ ١٩٢٠ وسمى هذا القسم « منظومات الوطن » ، وهذا يشغل معظم الديوان . واهدى هذا الديوان ببيت شعر في العربية والفرنسية :

الى كل نفس حرة وأبية وشاعرة اهدي عرائس افكاري

وابدع حليم في نوع المقدمات الفنية اتى بها على وجه فريد ، فالاولى « اقوال الافرنج والعرب » في تعريف الشعر والشاعر فبدأ بالاقوال العربية القديمة والحديثة . ثم بعد ذلك ٦ صفحات وهي آراء شعرية في الشعر ، ثم بعد ذلك ٩ صفحات تتضمن آراء الامم في الشعر ، من فرنسية ، وانكليزية ، ولاتينية رومانية ، وبرازيلية بورتغالية ، ويونانية واسبانية وروسية والمانية وتركية . ثم الكوكب الاكبر للمقدمات ، وهو مقالة « الشعر والشعراء » مأخوذة من مقالات عصرية لنحو ٧٥ شاعرا وكاتبا وكاتبة واديبا واديبة ، وكلهم من البارزين ، والاقتباس الذي اقتبسه دموس من اولئك السادة والسيدات هو انه اخذ عبارة من المقالة ، او فقرة ، والف من مجموع هذه العبارات والفقرات مقالة « الشعر والشعراء » ذلك بأن سبك معاني المقتبسات جميعها في سلك يجاور بعضه بعضا بحيث تنقلب المقالة ، وهي في ٢٤ صفحة كأنها منصبة من قريحة كاتب واحد .

واحسب انه لا بأس ان نورد هنا على سبيل عرض المثال الفقرة الاولى وهي في الديوان تسعة اسطر :

« ما هو الشعر ؟ لا يحد بكلمة ولا يحد بألف (الدكتور نقولا فياض) فهو كالحسن لا يوقف عند حد (معروف الرصافي) بل هو لغة القلوب وترجمان العواطف ، يختلف باختلاف الزمان والمكان ، ويرتقي بارتقاء الشعوب (احمد تقي الدين) يحرك قلب الشجاع العنيد فيجعله رحيما سموحا ولينا صفوحا ، وتستنفر به عاطفة الجبان فيصير شجاعا قاسيا ومحاربا جافيا (رفيق العظم) وهو كلام تؤدى بـه المعاني بتخيلات تؤثر في النفس تأثيرات مختلفة من ترغيب وترهيب ، وايقاد غضب وايقاظ من غفلة ، واثارة شجاعة الى غير ذلك من الانفعالات (ابراهيم الحوراني) وهو من اعلى طبقات الكلام وابعدها غاية لما يقتضيه من شرف الالفاظ ونباهة المعاني وسلامة الذوق والمبالغة في التنقيح والتهذيب (جرجي زيدان) » .

ولا نعلم شاعرا او اديبا آخر في العربية اتى بمثل هذا السلك الجديد النوع من حبات عقود تجاورت فتآخت فكان منها هذا المقال النفيس ، تقرأه فتحسبه لاديب ما وهو لخمسة وسبعين اديبا ، كل اديب له سهم فيه . كان الشعراء في القرن الماضي اذا تعالوا وتباهوا في فنون الشعر ، اتوا بأبيات على حساب الجمال يتضمن تاريخا . ونرى عمل حليم دموس هنا ابداعا ، فانه بهذه الطريقة المبتكرة ، سبق وغبر ، وجدد وغير . ومن اولئك الادباء والشعراء ، نحو عشرة تكرر الاقتباس منهم من مرة الى عشر مرات .

ومدة الحرب العالمية الاولى الجائحة ، وقد شهدها دموس وذاق مآسيها في لبنان ، لم المح في ديوانه هذا انه عني بوصف اشياء من ويلات تلك الحرب وكروبها الا القليل كظهور الجراد سنة ١٩١٥ . وفي شعره مقطعات كثيرة قالها شعرا في مناسبات تهنئة او تعزية وكل هذا في ٣٣ صفحة . وبعد ١٩٠٩ يغزر شعره . وممن ظهرت رسومهم في الديوان ، استاذاه جرجي همام وعيسى المعلوف .

كتاب « الرحلة الانورية الى الاصقاع الحجازية والشامية » يتضمن وصف رحلة انور باشا وزير الحربية الى الشام وفلسطين والحجاز سنة ١٩١٦ ومن ذلك القصائد التي قالها شعراء الشام ولبنان في استقباله ومدحه ، ومؤلف هذا الكتاب علامة العرب الاستاذ محمد كرد علي صاحب « المقتبس » وبعد ١٩١٩ صار رئيس المجمع العلمي في دمشق .

ومن يدقق النظر في دراسة قضايا عديدة تتعلق باشخاص كانت لهم صلة بأنور باشا وجمال باشا السفاح في خلال تلك الحرب ، يجد ان ظروف الحرب قضت بأن تقول الالسنة ما لم تأذن به القلوب وكل ذلك من قبيل المصانعة للترك ، وسيرة السفاح في سوريا ولبنان معروفة . من ذلك تأليف هذا الكتاب ومنه قصائد لعدد لا يقل عن ٢٥ شاعرا عربيا في سوريا ولبنان . ومن جملة تلك القصائد واحدة « لحليم ابراهيم دموس » . ولا اعتقد ان شاعرا او خطيبا قال ما قال ، الا من قبيل المداراة .

ولدموس قصيدة عنوانها في « سجن عاليه » تضمنها الديوان ، ولا يذكر سببا لمبيته ليلة في « سجن عاليه » حيث كان الشهداء يهيأون للاعواد . ونرجح ان وشاية من وغد رمي بها دموس ، فلما انجلت الحقيقة اطلق سراحه . وله قصيدة يحيي بها فيصلا بن الحسين بعيد احتلال الشام وهو في طريقه الى حلب لاول زيارة . ومن الذين لهم مراث في الديوان : الدكتور شبلي شميل ، وجرجي زيدان ، وابراهيم الحوراني ، ويوسف برديل ، ومحمد ابو عز الدين والشيخ اسكندر العازار وغيرهم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن جميل القصائد في الديوان ، نظم قصيدة لطاغور شاعر الهند ولهذه قصة : لما نال طاغور جائزة الآداب العالمية سنة ١٩١٤ طارت شهرته في المشرقين والمغربين ، وصارت الصحف العالمية تنشر من شعره الساحر ولا سيما شعره للاطفال الذي يفوق بـه شعر الشاعر كبلنـغ البريطاني . مـن ذلك ان جريدة فرنسية نشرت قصيدة لطاغور تتضمن حوارا بين الطفل وامه ، فترجمت جريدة « فلسطين » في يافا هذه القصيدة من الفرنسية الى العربية نثرا واقترحت على الشعراء العرب ردها الى شعر عربي ، فالبس دموس تلك الترجمة النثرية حلة من الشعر السلس الناعم ، فجاء بها من وراء الغاية حقا .

كيف استطاع دموس اخراج هذا الديوان في دمشق سنة ١٩١٩ ؟ انـه وضع خطة محكمة جند بها اريحيات الاصدقاء في الوطن والمهجر ، وفتح باب الاشتراك فجمع نحو الفي مشترك ، واهم من ساهم في ذلك ، بطريركية الروم الارثوذكس في دمشق ، وكان حليم صديقا للبطريرك غريغوريوس حداد الرابع ، اذ لمـا زار البطريرك زحلة سنة ١٩١١ واقيمت له الاستقبالات والاحتفالات ، القى حليم بين يديه قصيدة عصماء غراء ، هي في الديوان مع رسم البطريرك .

ولننتقل الى مناح اخرى :

في حدود السنة ١٩٣٠ قبيلها وبعيدها ، صار يتردد على فلسطين طبيب نفساني يتعاطى التنويم المغناطيسي اسمه الدكتور سلمون ولا اذكر عن شخصه غير هذا ، ولعله كان اول من وفد على فلسطين بهذا الفن المدهش المحير للالباب ولكن بعد قليل ظهر الدكتور داهش وجعل يتفنن بفنه وهو التنويم المغناطيسي وربما زاد على سلمون . والدكتور داهش على مـا اعلم فلسطيني المقام ، وربما المنشأ كله ، وهو من بيت لحم وجوارها . لا اعلم تفاصيل حياته وانما صرت اعرفه من الحكاية التي ارويها الآن . منـذ ايلول ١٩٣٢ اصدرت مجلتي الاسبوعية السياسية الادبية وهي « العرب » ولها مطبعتها . وكان فيها باب للفكاهة الوطنية السياسية وعنوان هذا الباب « برلمان بورتاتيف » اتناول به من يشذ عـن طريق القضية ، ولا تسمى الاشخاص المقصودة بأسمائها بـل بصفاتهـا ، والجمهور يعرف هؤلاء ويعرف الجالس من الاعوج . ولان هذا « البرلمان البورتاتيفي » فكاهي الاسلوب فقد كثـر قراؤه ولا ينشر الا على صفحتي الغلاف من الداخل . فجاءني الدكتور داهش مرة وطلب ان انشر له في المجلة مقالا حول التنويم المغناطيسي ، فاعتذرت اليـه اذ المجلة سياسية لا تبحث في غيرها خدمة لقضية البلاد . وحدث بعيد ذلك انـي انا في حديث « البرلمان » ادخلت داهشا يحضر بعض ارواح اولئك المعوجين ويسأل الارواح عن مسائل وطنية . كل هذا تشهيرا بضعاف النفوس .

فأتاني الدكتور داهش بعد ان قرا ذلك الحديث وقال لي : هيه !! رايتك تستعين بالتنويم المغناطيسي وبي فهل تنشر لـي الآن مقالا في « العرب » ، فأوضحت لـه ان « برلمان بورتاتيف » للفكاهة السياسية وما رضيت ان انشر له شيئا . ثـم جاءني بعد حين وانا في مكتبي في المجلة وكاشفني بأمر ، وهو ان اسمح له بأن يستعمل تلفوني الذي على طاولتي ، وعلى مسمع منـي ومشهد ، ينوم بالتلفون الآنسة التي في بيته ، وبعد ان تمسي منومة ، يسلمني التلفون فأحادثها بنفسي واستمع الى اجوبتها . وكان بيته لا يبعد عن محل ادارة « العرب » اكثر من ٢٠٠ متر . فسلمته التلفون وطلب الآنسة ماري وقال لها انه موجود عند فلان في ادارة « العرب » وانه سيطلب منها تلفونيا ان تتحدث معي وهي منومة ثم امرها بأن تنام وبعد لحظات ، سلمني التلفون وقال لي سلها ما تريد فجعلت اسألها عـن اشياء في المكتب اراها او اضع يدي عليها اسألها ما نوع الكتاب الذي امامي ، وكانت كل اجاباتها صحيحة فرددت التلفون الى الدكتور داهش وشكرته ، ولكن مع هذا ما وافقت على نشر المقال . لعل هذا سنة ١٩٣٣ وانما ذكرته هنا لاقول اني لما اجتمعت بحليم لآخر مرة سنة ١٩٤٤ في القدس قصدت ان احدثه بهذه القصة فلما استوعبها قال هذا لم يخرج عن فن التنويم كله ، اما روحانية داهش في بيروت فشيء آخر بالمرة .

كان حليم سنة ١٩٤٤ في القدس قـد تعرف بأحمد حلمي (باشا) مدير بنك الامة العربية في فلسطين ، وبعد ١٩٤٨ رئيس حكومة عموم فلسطين في غزة (ت ١٩٦٣ رحمه الله) وربط بينهما لا الداهشية بل الشعر : فحلمي (باشا) يقول الشعر الحكمي الاجتماعي ولكن لا للنشر . وحليم عنده الشعر الروحاني ، ويظهر ان كلا منهما اطلع الآخر على طائفة من شعره . وسمعت احمد حلمي بعدئذ يثني على شعر حليم ثناء واسعا ، وحليم صار ذا ثروة من الشعر الروحاني الاسلامي ، فلعل هذا ما ربط بين الاثنين .

كتب حليم دموس وآثاره المطبوعة والمخطوطة

يقول الاستاذ ماجد مهدي ان ايمان حليم بالداهشية كان سنة ١٩٤٢(١) . ونعلق على هذا اننا اذا اعتبرنا هذا هو الواقع ، فعلينا ان نميز في انتاج حليم شعرا ونثرا بين جميع انتاجه حتى ١٩٤٢ الخالي من الروحانية الداهشية وانتاجه بعد ١٩٤٢ الى آخر حياته وهي مدة ١٧ سنة . وفي اخريات حياته استغرقته الروحانية الداهشية المحض واستولت على تيارات تفكيره .

اما آثاره المطبوعة فقد وردت في « مصادر الدراسة

---

(١) وبعـد ان اكتمل تحول حليم الـى الداهشية صار يقول : « كنت ماديا محضا فاصبحت روحيا محضا » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عين الخريف

من يلوم الخريف ان هو اغفى ... بين زهر يزهو بدر نداه
وأظلته من هجير وريقات ... فغنى وند عنه رضاه
نعمة العمر ان يلاقي خريف ... عطف ورد ، جل الذي أنشاه
ينسج البرد من صنيع يديه ... ويواسي جروح من يرعاه
فاذا الكون ضاحك السن في ... عيني خريف يدعو لمن واساه
أقبلت في مثل اقبال دهري ... كندى الفجر او صبح يوم جديد
أرجعتني الى زمان تولى ... اغنياتي في ليله من نشيدي
كنت كالبلبل الذي هجر ... الاعشاش وغنى على غصنه الاملود
انني اليوم يا طبيبة روحي ... أتحدى الصبا ، فأنت رصيدي
ان للحب نشوة ايقظتني ... وهي اشهى من ابنة .....
ليت يا ساعة اللقاء تسيفين ... لقاء ، ان طال يخضر عودي
زوديني ، يا اطهر الناس نفسا ... بحديث عذب شهى سديد
ودعي العين بالصبا تتحلى ... أنا كهل أضناه نأي الوليد
كلما عب ناظري من محياك ... تشهى دوامه كالخلود
بت اخشى عليك نسمة صبح ... ومساء ، وعين كل حسود
يا منى العمر ، يا أثمن ما ... فيه من فجره الى منتهاه
أنا لولاك ما عرفت ... رحيق الحنان من مجتناه
من محياك هل نور طريقي ... فاستوى الخطو ، بارقا من سناه
فأريحي الذي تبقى من العمر ... وهاتي الرضى يعد لصباه
وأعيدي علي أحلى حديث ... عبقري أصبو الى رياه

القاهرة — احمد عبد المجيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الادبية » لداغر وهي « ديوان حليم » وقد تكلمنا عنه هنا والذي جاء في رسالة الاستاذ ماجد مهدي هو :

ما فيه الكفاية . وقاموس العوام . والمثلث والمثاني . وفي سبيل التاج . والاغاني الوطنية . ويقظة الروح او ترانيم حليم .

اما في آثاره المخطوطة فتختلف في مصادر « الدراسة الادبية » عن الذي في رسالة الاستاذ ماجد مهدي . ففي « مصادر الدراسة الادبية » ، هي :

الشجاعة الادبية . الشعر المنثور والنثر المنظوم . حكم شاعرين . اطوار وعادات . الى اولادنا .

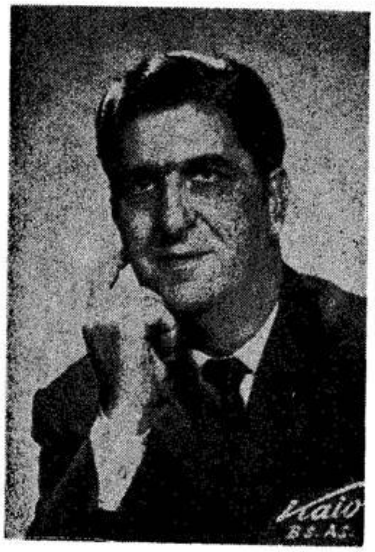
رباعيات وتأملات . كيف آمنت بالروحانية . الى اولادنا . من وحي الروح . نزوات قلب . الوقائع الداهشية الملحمة الالهية .

ويلمح القارىء انه لم يزل غامضا علينا ان نعلم على وجه اليقين ما هي آثار حليم المطبوعة والمخطوطة فيا ليت تنبري هيئة من اهل الفضل والادب تتطوع لتخليد ذكرى حليم دموس فتجمع كل آثاره مطبوعها ومخطوطها وتنقي ذلك كله وتصفيه ، وتنسقه تنسيقا يجعل المتشابه يضم بعضه الى بعض ، واذا ارتبط قديم بحديث — الى سنة ١٩٤٢ — كذلك يجمع في بابه . ويفصل بين انتاجه قبل اعتقاده الروحي الجديد ، وانتاجه بعد ذلك الاعتقاد . هذا على امل ان تطبع هذه الآثار كلها في مجلد او مجلدين ، وكذلك يصنع في شعره(٢) .

رأس المتن — لبنان — عجاج نويهض

رحم الله حليم ابراهيم دموس .

(٢) اما عمل حليم دموس في الصحافة فاول ما عمل في جريدة « المهذب » المشهورة في زحلة ، ويظهر انه كان يتركها ثم يعود اليها . ويؤخذ من كتاب « مصادر الدراسة الادبية » لداغر ان حليما اصدر جريدة « الايام » في بيروت وهي سياسية ادبية اسبوعية فعاشت ثلاث سنوات . وفي سنة ١٩٣٥ انضم الى جريدة « الاتحاد اللبناني » يتولى فيها صفحة ادبية ، قيمة منخولة . وعمل مدة في « الكلية العلمانية » يعلم العربية . وفي الواقع ان معرفة التواريخ المضبوطة لمختلف اعماله من صحافية وتعليمية يحتاج الى دراسة اوفر مما هو متيسر الآن . واما دمائة خلقه وبشاشة وجهه ووداعة محياه كل ذلك فيه مركوز في شمائله ، خلقة وفطرة.



زكي قنصل

في الشعر

بقلم زكي قنصل

* * *

تكاثرت الآراء وتعددت مذاهب القول في تعريف الشعر وتحديد رسالة الشاعر ، ولكني اعتقد ان الجدل لم ينته الى نتيجة حاسمة بعد ، والنظريات لم تستقر على وجه معلوم . ذلك ان الشعر كالمرأة يستعصي على الافهام ، ويشمس على المقاييس البشرية . وكلما ازداد المرء فيه امعانا ازداد غموضا وتوارى خلف الف حجاب وحجاب .

ومع ذلك فلو سئلت ان ادلي برايي ، لما ترددت في القول — وانا اعلم اني لن آتي بجديد — ان الشعر هو ما يعبر عن خلجات النفس ويستنطق هواجس الضمير ويغوص الى اعماق الوجدان بلغة خالية من الشوائب ، واداء سليم يحسن اختيار الالفاظ ، واسلوب اصيل لا تعقيد فيه ولا ابهام ، الا ما يقتضيه ترف الفن وشرف البيان .

واذا اردنا ان نختصر قلنا ان الشعر هو المعنى النبيل في اللفظ الجميل كالطائر لا ينهض الا بجناحين . ولن ازعم ان القوالب العروضية رجس من عمل الشيطان فلا يمكن للشعر ان يستغني عن الوزن والقافية ، ومن الجناية ان نشعل فيهما النار بحجة ان الموسيقى الداخلية اسطورة لا تثبت للامتحان ، وفي يقيني انها على طريق الافلاس ان لم تكن قد افلست وانتهى امرها .

وقد راينا ان كثيرين من الذين ثاروا على قواعد الخليل ودعوا الى الخروج على سنن الشعر وقوانينه قد عادوا آخر الامر الى ظل هذه المناهج وغسلوا ايديهم مما كانوا يصنعون .

والحفاظ على مقومات الشعر لا يمنع من تنويع القوافي والتنقل بين الاوزان ، ولكن على ان تراعى شروط الذوق السليم ويواعم بين الانغام وتربط الخيوط بلباقة . ولشعراء المهجر في هذا المجال اختراعات طريفة تقر بها العيون جرى على نهجها شعراء الوطن العربي ، ولعل ايليا ابو ماضي اذكى الرواد في تصريف القوافي والتلاعب بالاوزان .

صحيح ان الشعر شعر سواء انتمى الى هذه المدرسة او الى تلك ، وسواء جاء في الزي الحديث او الزي القديم ، ولكن هل يجوز ان نستنفد طاقات القارىء في الطلاسم والاحاجي ثم نزعم اننا نكتب للعامة ؟ الشعر لا يعيش في الكهوف المظلمة بل هو في حاجة الى النور والهواء ، وانا افهم ان يتبرقع بنقاب شفاف فذلك اوقع في النفس وانبه للذهن ، ولكني ضد « قبعات الاخفاء » وضد اساليب المشعوذين في استخراج الارانب من الاكمام .

واذا صح ان قليلا من ... يفرح قلب الانسان ، فان كثيرها يجعله موضع الهزء ويورده موارد الهلكة .

الغموض مستقبح اذن حين يكون مرادفا للتعمية ومقصودا لذاته ، وما اصدق من قال لو كان الغموض شعرا لكان الصمت اعلى مراتب الشعر .

ويخطىء من يسوم الشاعر ان يتقيد بالظروف الطارئة او يفرض عليه مواضيع معينة ويلبسه مسوح الواعظين والمصلحين ، فالشعر ليس بوقا للدعاية والتهريج او عربة تشدها خيول الاعراف والتقاليد ، او اداة لحل مشاكل السياسة والاجتماع والاقتصاد ، بل هو طفل غرير يبني النفوس فيما هو يبني بيوت الرمل على الشاطىء ، ويرود آفاق الفكر فيما هو يرسل طياراته الورقية في الفضاء .

انه نفحة تهب من القلب ونور يتدفق من الوجدان

(●) مقدمة ديوان ألوان والحان الذي يصدر للشاعر قريبا .

يضيء مسالك القلب والوجدان . انه رسالة روحية لا ترتبط بحواجز الزمان والمكان ، والشاعر الحق هو الذي يصدر عن ذات نفسه ويجري مع سجيته ويسمو بروحه وخياله عن ترهات التراب ، وسفاسف القيود والحدود .

ولا يعني ذلك ان عليه ان ينفصم عن هموم مجتمعه ويتحلل من واجباته القومية والانسانية ، ولكني ارى ان الالتزام بأية فكرة او قضية يجب ان ينبع من اعماق نفس الشاعر وينسجم مع رأيه وذوقه ومعتقده ، لا ان يأتيه قسرا من الخارج ، فالاجادة لا تتوفر الا على قدر ايمان المرء بالدور الذي يؤديه او الرسالة التي يحملها . وفي تاريخ الادب شواهد لا يحصرها العد على ان الحرية هي المناخ الطبيعي للشعر فهو لا يتنفس الا برئة سليمة . وليس من يجهل ان ما يسمى بأدب الانحطاط لم يفرخ الا في الاجواء المخفوقة . وهذه النظرة لا تقتصر على الشعر السياسي بل هي تنسحب على سائر فنون الشعر واغراضه .

بلى ، ليس مفروضا في الشعر ان يرتبط بمبادىء الفضيلة والاخلاق — وان كنت شخصيا من دعاة هذه المبادىء — فقد كان ابو نواس امام الفاسقين والمتهتكين ، ومع ذلك فهو شاعر عصره ونابغة زمانه ، وكان « كبلنغ » شاعر الاستعمار البريطاني ، والاستعمار — كما هو معلوم — عدو الفضيلة والاخلاق ، وظل « كبلنغ » من اعلام الشعر العالمي .

ومع العلم انني احب الادب القومي فأنا اعتقد ان الشعر غير مطالب بأن يشايع الحركات القومية سواء كانت على حق او على باطل فان الشعراء الشعوبيين — كما نوهنا — يملأون تاريخ الادب ولم يخطر لاحد ان يطردهم من ملكوت الشعر .

في مطلع كل شهر

اطلبوا

الاديب

من الباعة والمكتبات

ان الف شاعر وشاعر جلسوا على مائدة فلسطين يأكلون ويشربون ثم قاموا يضربون بسيفها ، بينهم عشرات وعشرات من قلب فلسطين بالذات ، ولكن كم هو عدد الذين نظموا فيها شعرا ؟ .. لن اتورط في احصاء الذين سقطوا في الامتحان فذلك امر يطول ، ولكني سأعد الذين نجحوا . واذا كان النقد — او معظمه — قد صفق للقافلة او وقف يتفرج بصمت ووجوم ، فاما لانه يرى ان طبيعة الموضوع تشفع بالمساوىء وتعلو على ما سواها من الاعتبارات الفنية ، واما لانه يتهيب الموقف ويخشى عواقب الصراحة . وهو في كلا الحالين قد خرج على وظيفته ، واساء الى الادب ، واسهم في افساد الذوق الشعري العام ، وهيأ الجو لهذه الفوضى الادبية التي ضاعت فيها المعالم واختلطت المفاهيم .

صفوة القول ان الشعر نشأ في الاصل للمتعة ، — بدليل ان الغناء لازمه منذ الازل وسوف يظل رفيقه الى الابد — ثم طرات عليه عوامل سياسية واجتماعية اضافت اليه عنصر الفائدة ، وقد يستطيع ان يستغني عنه متى اراد ، ولكنه ابدا لن يستغني عن وظيفته الاساسية . ومن قدر له ان يجمع بين هذه وتلك ويزاوج بين الغاية والواسطة كان فضله مزدوجا وضم المجد من طرفيه .

هكذا افهم الشعر حرا من كل قيد ترابي ، نظيفا من كل درن وراثي ، افهمه قيثارة مختلفة الاوتار ، متعددة الاصوات ، تتماوج بألحان السماء واهازيج الحياة ، يبكي اذا تألم ، ويضحك اذا فرح ، ويهدر اذا غضب ، ولا يرتبط بعجلة انسان او فكرة الا اذا كان هذا الارتباط من وحي عاطفة وبدافع خالص من شعور وايمان .

وقد يبدو هذا الراي غريبا للذين تتبعوا نتاجي الشعري وراوني اتفاعل مع احداث الوطن العربي واتلاحم مع تطلعاته ، ولكن لا مدعاة للغرابة فأنا لا اريد لغيري ما اكره لنفسي ، وليس اشد علي واضنى لقلبي من ان احمل على النظم في موضوع لا اومن به ، ولا اذكر اني قلت بيتا واحدا عن رهبة او رغبة او مسايرة ، واذا بدا شيء من التناقض الفكري في شعري فمرده الى ان ظروفا خاصة تطرا احيانا على بعض المفاهيم فتنقلها من حال الى حال او على بعض الوجوه فتغير في الملامح وتعبث بالسمات .

المهم في نظري ان يتحرك الشعر في اطار من الحرية والاصالة لا يشعر به وجل او خجل . ومتى اعرب الشاعر عن ذات نفسه باخلاص وصدق وامانة ، فقد احسن التعبير عن خواطر مجتمعه وخوالجه ، لان الشاعر هو البشرية مختصرة .

بوانس ايرس — الارجنتين **زكي قنصل**



محمد العدناني

عثرات الادباء

بقلم محمد العدناني

* * *

برطـــم

ويخطئون من يستعمل الفعل (برطم) ومشتقاته ، الذي يعني قطب (بتضعيف الطاء) ، او انتفخ غضبا ، او تكبر ، لان العامة تقول : برطم فلان ، وفلان مبرطم . والحقيقة هي ان هذا الفعل فصيح كما يقول الليث بن سعد ، وتهذيب الالفاظ لابن السكيت (في باب الغضب، والحدة، والعداوة) ، والصحاح ، والمحكم ، والحريري (في المقامة التبريزية) ، والنهاية الذي قـــال : في حديث مجاهد « في قوله تعالى (وانتم سامدون) قال : هي البرطمة » اي الانتفاخ من الغضب . ورجل مبرطم : متكبر . وقيل مقطب متغضب .

وكما يقول اللسان ، الذي استشهد بقول الشاعر :

مبرطم برطمة الغضبان بشفة ليست على اسنان

والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، ودوزي ، فأقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

ومن معاني برطم :

(١) برطم الليل : اسود (مجاز) ، عن الاصمعي .

(٢) برطم فلانا : غاظه (لازم متعد) .

(٣) البراطم (بضم الباء) والبراطم (بكسر الباء) : الضخم الشفة .

(٤) البرطمة : ضخامة الشفة ، والانتفاخ غضبا ، وعبوس الوجه .

(٥) البرطم : العيي اللسان .

(٦) تبرطم الرجل : تغضب من كلام .

(٧) جاء مبرنطما : متغضبا .

(٨) برطم الرجل : ادلى شفتيه من الغضب .

البـــرغش

ويخطئون من يطلق على البعوض اللساع اسم البرغش ، لان الصحاح ، والمختار واللسان ، والمصباح ، والمد لم تذكرهـــا .

ولكـــن :

ذكر البرغش كـــل من ابن فارس ، والدميري في « كتاب حياة الحيوان الكبرى » الـــذي استشهد ببيتين للحافظ ابي الحسن المقدسي :

ثـــلاث بـــاءات بلينـــا بهـــا البـــق والبرغـــوث والبـــرغش
ثلاثـــة اوحش مـــا في الورى يـــا ليت شعري ايها اوحش

وذكر البرغش ايضا : القاموس ، والتاج الـــذي استشهد بقول الشاعر :

لقـــد لقينا بالبلاد شرا وبرغشا يلسع لسعا مرا

ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .
وواحدة البرغش : برغشة .

وجـــاء في اللسان : ابرغش (بسكون الباء ثلاث فتحات مع تضعيف الشين) : قام من مرضه .

الجمة المركبة ، الشعر المصطنع ، الجمة المصنوعة لا الباروكة

ويطلقون علـــى الشعر المستعار للراس الاسم الفرنسي المعرب (الباروكة Perruque) . والصواب هو : الجمة (بضم فتضعيف) المركبة . جاء في كتاب الاغاني ، في كلامه عن عبيد بن سريج ، المغني المشهور ، انه « صلع فصار يلبس جمة مركبة » (بتضعيف الكاف المفتوحة) . وجاء في الهامش : الجمة : مجتمع شعر الراس ، والمراد انه كان يلبس شعرا مصطنعا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجاء في النهاية : « كان لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) جمة جعدة » . الجمة من شعر الراس : ما سقط على المنكبين .

عسى ان توافق مجامعنا على استعمال (الجمة المركبة) ، او (الشعر المصطنع) ، او (الجمة المصنوعة) كما جاء في الذخيرة العلمية .

ومما جاء في الوسيط :

(أ) الجمة من الانسان : مجتمع شعرنا صيته .

(ب) ما ترامى من شعر الراس على المنكبين .

وتجمع الجمة على : جمم (بضم ففتح) وجمام (بكسر الجيم) .

برم شاربيه

ويخطئون من يقول : برم فلان شاربيه ، ويقولون ان كلمة (برم) عامية ، ويرون ان الصواب هو : فتل شاربيه . والحقيقة هي ان كلا الفعلين برم وفتل فصيح .

ومعظم اللغة العامية فصيح ، او له صلة بالفصحى من قريب او بعيد .

وانا ارى ان نقبل على استعمال الكلمات الفصيحة التي تستعملها العامة اكثر من اقبالنا على استعمال مترادفاتها الفصيحة ، التي لم تتسرب في اللغة العامية ، لكي نجذب العامة الى الفصحى ، بدلا من ان تجذب العامية الفصحى اليها .

أبره ، برهن

ويخطئون من يقول : برهن رشاد على انه شجاع ، ويقولون ان الصواب هو : أبره (بفتح فسكون) رشاد انه شجاع .

والحقيقة هي ان كلا الفعلين ابره وبرهن صحيحان ، ومعناهما : أتى بالبرهان . فممن ذكر الفعل (أبره) : ابن الاعرابي ، والاساس ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وذكر ابن الاعرابي والمصباح ان الفعل (أبره) هو الفعل الصحيح .

وممن ذكر الفعل (برهن) : الليث بن سعد ، والتهذيب ، والحريري في المقامة الاسكندرانية ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، ودوزي ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وقال بعض هؤلاء ان الفعل (برهن) مولد : الليث بن سعد ، والتهذيب ، والاساس ، واللسان ، والمصباح ، والتاج ، والمتن .

وهنالك من اكتفى بذكر البرهان ، كقوله تعالى في الآية ١١١ من سورة البقرة : (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) . وقد ذكرت كلمة (برهان) سبع مرات اخرى في القرآن الكريم .

وممن ذكر (البرهان) ايضا ، واهمل ذكر الفعل (برهن) : معجم الفاظ القرآن الكريم ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والنهاية .

الاطار لا البرواز

جاء في معجم « الرائد » ، الذي صدر في بيروت عام ١٩٦٤ ، ذكر كلمة البرواز . والصواب هو : الاطار ، لان كلمة (برواز) عامية من اصل فارسي ، كما قال الامير مصطفى الشهابي، في الجزء الحادي عشر من «البحوث والمحاضرات» الذي اصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، عن الدورة الرابعة والثلاثين (١٩٦٧ — ١٩٦٨) ، في الصفحة ٦٨ .

ويبدو ان صاحب الرائد نقلها عن محيط المحيط ، الذي قال : « البرواز : ما يحيط بالشيء فيمسكه او يحسنه كبرواز الصورة والمرآة (فارسي) » .

ولم ار كلمة (البرواز) في المعجمات الكثيرة التي في متناول يدي الا في :

(١) المتن الذي قال انها دخيلة .

وخيل الي ان اقرب الموارد ، الذي يكاد يكون نسخة ثانية عن محيط المحيط ، لا بد له من ذكر (البرواز) ، ولكنني لم اجده فيه ، ولا في ذيله وفائت ذيله .

(٢) اما الوسيط فقال ايضا ان الكلمة من الدخيل ، وعربيتها : اطار .

وكان ابن الاثير قد ذكر في النهاية :

(أ) وفي حديث عمر بن عبد العزيز : « يقص (بضم ففتح) الشارب حتى يبدو الاطار » . يعني حرف الشفة الاعلى ، الذي يحول بين منابت الشعر والشفة . وكل شيء أحاط بشيء فهو اطار له .

(ب) ومنه صفة شعر علي « انما كان له اطار » . اي شعر محيط براسه ووسطه اصلع .

فلان خبير بالعرف السياسي لا البروتوكول

ويطلقون على الذي يلم بأصول تصرفات الحكام والسياسيين الرسمية اسم الخبير بالبروتوكول .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انت والقصائد

وحينما أسمع جدول القصائد
من ثغرك المنقوش بالسوسن
والازهار والكروم
أحس يا عزيزتي كأنما يسقط من
ثغرك عنقود النجوم
فتابعي قراءة القصائد
قراءة القصائد .

وجدة ــ المغرب **محمد علي الرباوي**

والصواب هو : الخبير بالعرف السياسي ، كما يرى محمود تيمور ، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في الجزء الثالث عشر من مجلة المجمع .

وانا أؤيد رأيه ، لان البروتوكول كلمة اغريقية ، نحن في غنى عنها ، ما دامت ضادنا الغنية قادرة على تزويدنا بما يحل محلها مما هو مألوف لدينا جميعا .

تجربة الطبع لا البروفا

ويقولون : انتهى فلان من تصحيح بروفات كتابه ، مستعملين الكلمة اللاتينية القديمة معربة . والصواب هو : انتهى من تصحيح تجارب طبع كتابه ، كما استعملها كثير من اعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في مجلة المجمع ، فأنقذونا بذلك من طي مئات السنين القهقرى للتفوه بكلمة اعجمية تستطيع الفصحى تزويدنا بما هو اكثر منها وضوحا والافا .

البزر قطوناء ، البزر قطونا

(بفتح الباء وكسرها وفتح القاف فيهما) بذور النبات العشبي الحولي ، من فصيلة لسان الحمل ، ينبت في الاراضي الرملية ، في مصر وبلاد حوض البحر المتوسط ، وتستعمل طبيا في حالة الامساك المستعصي ، يطلقون عليها اسم : بزر (بكسر فسكون) قطونة (بضم القاف) . والصواب :

(١) بزر (بكسر فسكون) قطونا (بفتح القاف) : مفردات ابن البيطار ، ومحيط المحيط ، وذيل اقرب الموارد ، والوسيط .

(٢) بزر قطونا او بزر قطوناء (بكسر الباء وفتح القاف فيهما) : اللسان ، والتاج ، وجاء في الجزء الثامن من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الصادر عام ١٩٥٥ ، ان مجلس المجمع ، في الدورة ١٧ المنعقدة بين ٢ تشرين الاول عام ١٩٥٠ و ٢٨ ايار عام ١٩٥١ ، في مصطلحات علم النبات ، اقر تسمية تلك البذور ب (بزر قطونا او بزر قطوناء) بفتح الباء فيهما . ثم وافق مؤتمر المجمع على تلك التسمية في دورته الثامنة عشرة ، المنعقدة بين اول تشرين الاول ١٩٥١ و ٢٤ ايار ١٩٥٢ .

وقال اللسان والتاج ان المد (بزر قطوناء) اكثر استعمالا من المقصور (بزر قطونا) .

(٣) اما الباء في (بزر قطونا) فجاء مكسورة في ذيل اقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط ، وجاء بها مفتوحة مجلس مجمع القاهرة في الدورة ١٧ ، ومؤتمره في الدورة ١٨ ، وجاء بها اللسان مكسورة ومفتوحة ، وقال ان الكسر افصح .

(٤) نجد هذه الكلمة في حرف الباء في مفردات ابن البيطار ، ومحيط المحيط ، والوسيط . ونجدها في فصل القاف في اللسان ومستدرك التاج ، وحرف القاف في ذيل اقرب الموارد ، والمتن ، ومجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

بزق

ويظنون ان الفعل (بزق) عامي ، لان العامة تستعمله بمعنى (بصق) . وكلا الفعلين فصيح : الصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والنهاية ، والمغرب ، والمختار ، واللسان ، والمصباح الذي قال ان (بزق) ابدال من (بصق) ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

ومما جاء في معجم مقاييس اللغة : « الباء والزاء والقاف اصل واحد ، وهو القاء الشيء ، يقال : بزق الانسان مثل بصق » .

وفعله هو : بزق (بفتح الزاي) يبزق (بضمها) بزقا (بفتح فسكون) ، وبزاقا (بضم الباء) .

ومن معاني بزق :

(أ) بزقت الشمس : بزغت .

(ب) بزق الارض : بذرها .

محمد العدناني



علي المصري

الطبيعة والغزل في شعر البحتري

بقلم علي المصري

* * *

ليس ينكر ما للبيئة والوراثة من اثر في النفس البشرية ، والبحتري له منهما اعظم معين على الشاعرية والتبريز فيها . فبيئته الطبيعية بلاد الشام ، وهي بلاد موصوفة منذ القدم بالحسن ورقة الهواء وصفاء السماء وعذوبة الماء ، فالفيحاء وحمص وحماة وحلب واللاذقية وعواصم الشام الاخرى ، تجلو مناظرها العين وتشحذ الذهن وتفسح الخيال . والشام معروفة من قديم الزمان بفضلها على شعرائها ، وانها جعلتهم اعذب الشعراء الفاظا وابدعهم خيالا ، حتى لقد كان الصاحب بن عباد يعجب بأشعار البحتري وليد الشام وربيب ديارها ، ويحرص على حفظها ، ويستملي الطارئين عليه ما يحفظونه منها ، حتى ملأ دفترا ضخما ، فكان لا يفارقه في مجلسه ولا يملأ احد منه عينه غيره ، وصار ما ضمنه هذا الدفتر على طرف لسانه وسنان قلمه يحاضر به في مخاطبته ، ويورده في مراسلاته .

وقد اجتمعت للبحتري هذه البيئة الخلابة الملهمة ، الى جانب تحدره من اصلاب عربية يعم فيها ويخول ، وتم له مع ذلك الاختلاف الى قبائل طيء الضاربين على شواطىء الفرات الى منبج ، فكان له من كل هذه الاسباب شاعرية ، موروثة ، ومكتسبة ، تم بها طبعه ، واتسع ذرعه . فبحق ما يقول عنه ابو الفرج الاصبهاني « شاعر فاضل ، فصيح ، حسن المذهب ، نقي الكلام ، مطبوع . وكان مشايخنا رحمهم الله يختمون به الشعراء » .

فمن هو البحتري ؟ ..

هو الوليد بن عبيد بن يحي الطائي بن بحتر بن عتود ، ومن هنا جاءت تسميته بالبحتري وغلبت عليه . وله كنيتان ، ابو عباده ، وابو الحسن . اما تكنيته بأبي الحسن فلأنه كان يتشيع ، وهم المكثرون من ذكر اسماء آل البيت . واما تكنيته بأبي عبادة فيلتمس له الروائيون مسوغا جديدا فيقولون : تكنى بأبي الحسن حين كان بالمدينة في الحاضرة ، ثم تكنى بأبي عبادة حين تبدى « ضرب في البادية » لكي يسبغ على فنه نوعا من المسوغات العربية المغرقة في عروبتها .

ولد البحتري بأرباض منبج سنة ٢٠٦ للهجرة ، ومنبج هذه تقع بين حلب والفرات حيث تعم الخضرة الزاهية وتخيم الظلال الوارفة ، ويرق النسيم ، وتجود الغيوم بزرقتها الصافية لتسطع في قبابها اشعة الشمس المذهبة . وكان الوليد يضرب على بطاحها وعلى امتداد شواطىء الفرات حيث تنتشر قبائل طيء الذين كان يختلف اليهم الشاعر لينشأ عربي اللهجة واللسن ، كما هو عربي الارومة والنسب .

ومنبج التي كانت منشأه ، وحلب التي كان يتردد عليها ، الصقع كله الذي كان مستراده ومذهبه ، ومراحه ومغداه ، كل ذلك كان له في نفسه منزلة كبيرة ، فلم يفتر عن ترديد ذكر هذه البلاد في شعره ، بعد ان صار الى العراق ومدح الخلفاء ونادمهم . وانك لتظفر بأسباب تعلقه بموطنه الاول الذي اختلبه وطبع كل احاسيسه بطوابعه ، وملأ عليه حياته وعمره ، في مرددات الشعرية عبر قصائد الحب والحنين والمدح والوصف وفي كل ما قال . ومرجع ذلك الى حسن الهواء وطيب الماء وفتنة الطبيعة ، وما كان له فيه من هوى يجذبه اليه ، اذ عشق علوة بنت زرعة الحلبية ، ولعلها كانت حبه الاول والاخير ، فانه لم يفتر عن ذكرها والنسيب بها في قصائده التي مدح بها المتوكل وغيره .

— ثم يظهر انه كان يعيش بمنبج في عزة من قومه ، وشرف قديم لبيته ، وتلك اسباب لا يعدل الوطن معها شيء . واما فتنته بجمال بلاده فيدل عليها قوله :

حنت ركابي بالعراق وشاقني في ناجر برد الشآم وزيفها

« وناجر كل شهر من شهور الصيف » .

وكذلك قوله :

ذكرتنا برد الشآم وعيشنا بين القباب البيض والهضبات

— واما ما يدل على ان الشآم مهوى فؤاده ومسكن هواه ، فقوله :

وقد حاولت ان تخد المطايا الى حنين على حلب حلول
ولو اني ملكت اليك عزمي وصلت النص فيها بالذميل

« الوخد : السريع من الابل . النص : اقصى السير . الذميل : السير اللين . حلول : جمع حال اي المقيمون » .

— واما ما يشير الى حبه وتعلق قلبه بعلوة الحلبية . فقوله :

جفوت الشام مرتبعي وانسي وعلوة خلتي وهوى فؤادي

« الخلة : الصديق للمذكر والمؤنث والمفرد والجمع » .

— واما كرم محتده وعراقة مجده فنلمسه في قوله :

جدى الذي رفع الاذان بحنبج واقام فيها قبلة الصلوات

ان حب الشاعر لمرابع صباه ، وافتتانه بطبيعة موطنه الاول ، على الرغم من تردده على مواطن كثيرة ، كان يأخذ عليه نفسه ، ويلهب خياله بألف لون ولون .

فان مدح خليفة تلامحت امام عينيه صورة مجده وقومه وعزتهم فذكرهم .

وان وصف بركة المتوكل تساحبت امام ناظريه مفاتن منبج ومباهجها ، ارسل اليها التحايا .

وان انشد صديقا تراءت له صداقاته في مسقط راسه ، فعززها .

وان نسب اطنب بذكر الاحبة معرجا على ديار علوة .

لقد ارانا صور بلاده ومفاتنها في كل قصيدة شدا بها ، وارانا انه كان في بلاده في ارغد عيش واكرم منزلة ، حتى لقد جعل ذلك مضرب المثل . كما في قوله لابي نهشل مادحا شاكرا :

لا تنسين زمنا لديك مهذبا وظلال عيش كان عندك سجسج
في نعمة اوطنتها فاقامت في افيائها فكانني في منبج

وكثيرا ما كان يعقد لنا المقارنات بين محال اقامته وبين موطنه الحبيب مهبط الهامه ومستقر حبه . ففي قصيدته المشهورة في وصف ايوان كسرى ، يعقد مثل تلك المقارنات ، قائلا :

واشترائي العراق خطة غبن بعد بيعي الشام بيعة وكس

اما الغزل في شعر البحتري فقد اظهر محاسنه حتى لقد ضرب المثل بغزله . ولعلنا اذا التمسنا وجه ابداعه في هذا الباب نجد ما نقوله من انه نشأ نشأة بدوية ، صفت فيها السماء واتسع الافق وسنحت الظباء ، وتراءت له فتيات الحي في خصورهن الهيف وقدودهن الميادة ، وعيونهن النجل . كما رأى في الحضر الذي تنقل فيه ، علوة الحلبية وقد شغف فؤاده حبها ، فلم ينسها بعد ذلك حتى في العراق في عاصمة تذهل مناظرها كل قلب ، وتسلب كل لب .

وكان له الى جانب هذه النشأة ، ما عرفنا من طبع فياض وسهولة تكاد تسيل . فكان من غزله ما قيد الاسماع ، وخالط النفوس ، فبكى الناس للوعته ، ورثوا لدائم عبرته ، ومتصاعد زفرته . اما هو ، فقد اشتاق والتاع ، وذكر اللقاء والوداع ، وارتاح لطيف الخيال ، وانحى باللوم على العذال ، ووصف القدود ، واسيل الخدود . ليس له في المعنى من فضل الا انه قرب بعيده ، وذلل ريضه « الصعب من الدواب » . ثم صبه في قالبه السحري من اللفظ الناصع السهل ، مبدعا ما شاء في الصوغ ، مجليا بما هداه اليه الطبع ، ويأبى طبعه الا الاحسان والخلو من الشوائب .

ومن سهولة الغزل عليه وموافقته لطبعه نراه قد اكثر منه والتزمه في بدء قصائده جريا على طريقة العرب في بناء القصيد على الغزل . كما نرى ذلك في داليته التي مدح بها المتوكل :

لي حبيب قد لج في الهجر جدا واعاد الصدود منه وابدا
ذو فنون يريبك في كل يوم خلقا من جفائه مستجدا
يتأبى منعما ، وينعم اسعا فا ، ويدنوا وصلا ، ويبعد صدا
اغتدي راضيا وقد بت غضبا ن ، وامسي مولى ، واصبح عبدا
وبنفسي افدي على كل حال شادنا لو يمس بالحسن اعدى
مر بي خاليا فأطمع في الوصـ ل ، وعرضت بالسلام فردا
وثنى خده الي على خو ف فقبلت جلنار ووردا
سيدي انت ! ما تعرضت ظلما فاجازى به ، ولا خنت عهدا
رق لي من مدامع ليس ترقا وارث لي من جوانح ليس تهدا
أتراني مستبد لابك ما عشـ ت بديلا ، وواجدا منك بدا
حاش لله انت افتر ألحا ظا ، واحلى شكلا واحسن قدا

ولرقة غزله وحسن مذهبه فيه يصعب على المتخير ان يختار منه شيئا ، لان في الاختيار اثرا للمفاضلة وليس في غزله فاضل ولا مفضول ، بل كل قطعة منه دمية فنية غنية بمحاسنها لا تزاحمها غيرها في جمالها ولا تبزها براعتها .

فلنستمع اليه حضريا في شملة اعرابي ، يتغزل على طريقة السابقين ، فيذكر الآرام ، ورمل عالج ، والغور من تهامة ، في قوله :

شغلان من عذل ومن تفنيد ورسيس حب طارف وتليد
وامـا وآرام الظبا لقد نأت بهواك آرام الظبا الغيد
طالعن غورا من تهامة واعتلى عنهن رملا ، عالج وزرود
لما مشين بذي الاراك تشابهت اعطاف قضبان به وقدود
في حلتي حبر وروض فالتقى وشيان ، وشي ربا ، ووشي برود
وسفرن ، فامتلأت عيون راقها ووردان ، ورد جنى ، وورد خدود
وضحكن فاغترف الاقاصي من ندى غض ، وسلسال الرضاب برود
ترجو مقاربة الحبيب ودونه وخد يبرح بالمهارى القود
ومتى يساعدنا الوصال ؟ ودهرنا يومان ، يوم ندى ، ويوم صدود

« الرسيس : الشيء الثابت . الآرام : جمع رئم وهو الظبي . الغيد : المائل العنق اللين الاعطاف . طالع المكان : دنا منه . الحبر : ضرب من برود اليمن . الوشي : زينة على الثوب . سفرن : كشفن وجوههن . الاقحوان : نبت تشبه به الاسنان . الرضاب : الريق . البرود : البارد . التبريح : الايلام . المهاري : جمع مهرية وهي الناقة الكريمة . القود : جمع اقود وهو الذلول من الابل » .

ثم لننظر اليه وقد اختار الاوزان القصيرة التي توافق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خفة الغزل ونشوة الحب ثم يتلاعب بالمعاني ، فيطالب المحبوب بالرقة وفاء لذل العاشق ، ويستحلفه بالوصل بعد الهجر ، والقرب بعد البعد ، وهو لا شك عند المحب خير ما في الدنيا ، فيقول :

لم لا ترق لذل عبدك ... وخضوعه ، فتفي بوعدك
اني لأسالك القليل ... واتقي ، من سوء ردك
واما ووصلك بعد هجرك ... واقترابك بعد بعدك
لا لمت نفسي في هواك ... ولا انحرفت لطول صدك
ولئن أسأت كما تسي ... ء ، ولما وددتك حق ودك

ولنسعد معه باللفظ الرشيق والسبك الانيق والاسلوب الخلاب يرينا وكأنه يتغزل بما لم يقله احد قبله ، وما في شعره لو فتشته الا تشبيه القد بالقضيب . والاسنان بالبرد والاقحوان . والا كون المحبوب قد استولى على الحسن وتفرد بالدلال ، وان الذرع قد ضاق بالمحبوب وان الشوق قد برح بالمحب . فصار مخرجه من الحب عسيرا ، قال :

مخلف في الذي وعد ... قيل وصلا ، فلم يجد
وهو بالحسن مستبد ... وبالدل منفرد
يتثنى على قضيب ... ويفتر عن برد
قد تطلب مخرجا ... من هواه فلم اجد
ضاق صدري بما أجن ... ن وقلبي بما وجد
وتغضب ان شكو ... ت جوى الحب والكمد

ومن اشعاره التي لا تنسى تلك التي قالها في هوى علوة فخلدها على مر العصور ، واشهرها النسيب الذي قاله في مقدمة مدحيته للمعتز بالله ، قال :

خيال يعترينى في المنام ... لسكرى اللحظ فاتنة القوام
لعلوة انها شجن لنفسي ... وبلبال لقلبي المستهام
اذا سفرت رأيت الظرف بحتا ... ونار الحسن ساطعة الضرام
تظن البرق معترضا اذا ... جلا عن ثغرها حسن ابتسام
كنور الاقحوان جلاه طل ... وسمط الدر فصل بالنظام
سلام الله كل صباح يوم ... عليك ، ومن يبلغ لي سلامي
لقد غادرت في قلبي سقاما ... بما في مقلتيك من السهام
لئن قل التواصل او تمادى ... بنا الهجران عاما بعد عام
فكم من نظرة لي من بعيد ... اليك وزورة لك في اكتتام
اتخذ العراق هوى ودارا ... ومن أهواه من ارض الشآم

والحق ان للخيال الشعري ، والدعاوى الكاذبة او المبالغ فيها من الشعراء اصحاب الخيالات المجنحة اثرا في بعض تلك الحقائق التي احب البحتري ان يلزمنا الاعتراف بها . فليس احد يعقل ان الوليد بن عبيد كان في منبج في ارفة من عيشه بالعراق قرب نخبة من الخلفاء والامراء والمتنفذين ، وقد اقتنى المال الكثير ، المتاع الوفير ، وصار يركب في جملة من عبيده ، وقد اتخذ « قهارمة » « القيم على متاع البيت » وكتابا ، وترك لابنائه ثروة جعلتهم الى زمن بعيد من الرؤساء والسادة المذكورين .

فما هو مبلغ الحقيقة في دعاوى البحتري ؟

وهل يعقل ان يكون شأن البحتري في منبج كما وصف ؟

فقد ذكر لنا الشاعر نفسه انه كان ينتقل في اسواق منبج يمدح باعة الباذنجان والبصل . فهب ان انطباعه على قول الشعر جعله يتحدر من فمه في كل مناسبة وفي كل موضوع ، ولكن الشرف وسمو المكانة كما يزعم ، كان جديرا ان يجعل موضوع شعره شيئا غير مدح الباعة . وهل يمدحهم الا من يطمع في شيء من دراهم او مما يبيعونه غالبا ؟ .

هذا قول صحيح ومقبول .

وهناك قول آخر ، وهو اذا قيس الغائب بالشاهد ، حكمنا بأن علوة الحلبية هذه ليست الا واحدة من عرائس الشعر ، لم يدع البحتري عشقها ، الا ليصبغ خياله بلون الحقيقة ، حتى يستطرفه سامعوه . ولعل صبابته بها وتمرقه عليها ، كانا كصبابته بغلامه نسيم ، الذي باعه يوما ، فاشتراه ابراهيم بن الحسين بن سهل ، فأكثر البحتري من الاسف عليه ، واظهار اللهفة والحسرة على فقده ، حتى رده اليه اشفاقا عليه .

على الرغم من قبول صحة هذه الاقوال ، تبقى الحقيقة التي لا مراء فيها ، وهي ان حب الشاعر البحتري لطبيعة موطنه الاول كانت ديدنه ومغترفه الشعري الذي ينهل ويعتل منه . يجوب الآفاق ويقطع الدنيا ، وتبقى احلامه وخيالاته واشواقه وروحه معلقة في منبج ، لا تبرحها الا لتغط جناح الشوق في سواقيها ، وتغمس ريشة الحب والوجد في اغيائها الوارفة . ولا يبتعد عنها الا ليزرعها اعلاما خفاقة في قصائده ومدحياته ، يقربها من قلبه وقلب سامعيه وقارئيه وممدوحيه ومن حوله .

هذا هو البحتري ، وهذه هي منبج صنوان معا لا يفترقان ، هي تلهمه الشاعرية وتلهب خياله بالاشواق ، وهو ينتف قلبه وفكره غناء حلوا على روابيها شآبيب وجد وحب فوق رياضها ومسارح ظبائها .

ان الحديث عن الشاعر وحبه وموطنه منبج واشواقه في شعره يطول ويطول ، وقبل ان نودع حديثنا عن منبج يحسن ان نذكر انها انبتت شاعرا آخر هو ابو فراس الحمداني ، وانجبت حديثا شاعرا لا يقل شاعرية عن سابقيه هو عمر ابو ريشة ، كما ويحسن ان نسجل ما قاله عنها بعض الرواة على لسان احد سكانها ، من انها «عذبة الماء ، باردة الهواء ، قليلة الادواء ، ليلها سحر كله» . مما ترتب عليه شيء كثير في حياة البحتري وطبع نتاجه بمسحة سحرية طيفية عذبة ، وغلفه بغلاله سديمية ندية تفوح رقة وعذوبة ، وتتفجر شاعرية من قرائح الشاعر ، فتتلامح ظلالها على شفاه حروف قصائده المتهادية على اتساع جزيرة العرب ، حبا وشوقا وجمالا ، وتكسي رمالها بألف غلالة شوق وعذوبة ندية .

كم انت جميلة يا بلاده ، يا بلادي ، وكم انت ملهمة يا ربوع وطني ، يا ملهمة الشعراء ويا مهبط الانبياء ، ويا مفتقة القرائح ، ويا مهد البطولات ، ويا صاحبة التشرينيات ، فسلام عليك والف الف سلام .

دمشق — علي المصري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دائرة اللحن الغامض

*

في صيف الوحدة والزمن المتقوقع
يقطفني الصمت
تشطرني اللحظات بأسياف القلق الهمجية
وتؤرجحني عاصفة الشوق الصادي
تمتد خيوط الحزن النادر تعتقل الاحساس
يتعملق في الوجدان جنين الخوف الفاغر
فاعلق عيني شراعات نداء وحنين
فوق نوافذك الوهمية
أحلم أن تمطر أوتارك اكوانا شفافة
ورفيف ثوان ضوئية
فتلملمني ، تجتث مراعي النار
ان تبحر عيناك دوما ..
فوق شراع في فلك الاعصار
وتنمي اذرع طوفان اسطوري الابعاد
تمنح روحي مئزر برق فياض الايقاع
فاثور أحطم اسوار الصمت
وافلاك الرجفة والترحال
تمطرني برذاذ ربيع يفعمني برفيف ساحر
نستلقي طفلين على صدر الليل
في همهمة الوجد المنساب
على صدر سحابات خجلى
نتحال ايقاعا .. ايقاعا
وشعاعات محبة

آه .. يطفو اللحن الغامض
فوق مرايا الجسد الحسية
عينـــاك
أيـــن .. ؟
اسقط في قبضة حزن مشحوذ
والنبض مرافيء جرح عاصف
أهتف .. فلتأتي
كي ننفذ من دائرة الصخب العاري
ونشد الى دمنا خاصرة البحر .. اغاني الصخر
.. ونغزل من جدران المنفى انفاسا خضراء
وطحالب أزمنة ولت
نتسلل عبر شفافية الامطار
نستدفيء في عمق الشفق المتحرر
ونغوص بأرحام النجمات
بمدى أسراب شعائر عطر مسترخي النبرات
وانتشري في شرفات النبض
فليأت طيفك كالغضب المتحفز
كصراخ النار بدائرة الصمت الناعم

آه ما عاد الزورق يسمع ألحانا في
ثغر شراع
صار الحب وليدا مغتربا في أخدود الموت

أعرف أني نجم مقهور
عبر الافلاك المحتدمة
فأدور دواما بشواطىء تجهل اغنيتي
تنثر في عمقي أسرابا غرقى
ترسم في الاعراق قصيدة حب دموية
ومسافات يسكنها جرح مستيقظ

آه عيناي ضريحا
ضوء ينزف رؤيا اشرعتي
قلبي اصداف يلفظها المد
يجذبها الجزر فتساقط
اغصان الاعماق
في بئر العدم الممتدة

القاهرة — احمد عباس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شـــارل قـــرم

١٨٩٤ ــ ١٩٦٣

بقلم فوزي سابا

* * *

يقول امين الريحاني : ان لبنان وشارل قرم وحدة معنوية ، وحدة روحية لا تتجزا . اجل ان حبه للبنان يتجسم في ارزه وجباله ، وان جبال لبنان تذوب وتستحيل نورا وبخورا في حبـــه .

وقد كان للبنان محبون في كل عهد من عهوده ، وان لم يسجل في الكتب حبهم . وقد كان له من ابنائه افراد من الصالحين ، من فضلوا الوطن على انفسهم وذهبوا ضحية تفضيلهم . واني اتخيل حب هؤلاء جميعا ، حبهم الصامت المكنون ، حبا واحدا ، حبا بارزا ناطقا في كلمات هذا الشاعر اللبناني .

ولد شارل قرم في بيروت سنة ١٨٩٤ وفيها توفي سنة ١٩٦٣ ، تلقـــى دروسه في جامعة القديس يوسف بعدما فاز منها بجائزة الشرف في الادب الفرنسي ، ثـــم هاجر الى اميركا سنة ١٩١١ طلبا للتجارة لكنه لم يلبث غير عام واحد عاد بعده الى لبنان ليفتح محلا تجاريا فريدا من نوعه في ذلك الحين ، للكتابة والتصوير واقلام الحبر ، وبقي يديره بنفسه حتى انتهاء الحرب العالمية الكبرى الاولى فأصدر « المجلة الفينيقية » ثم ندوة الصداقات اللبنانية .

وسنة ١٩٣٤ اصدر مجموعته الشعرية « الجبـــل الملهم » باللغة الفرنسية التي نال عليها جائزة ادغار بـــو العالمية ، التي قال فيها ادباء فرنسا وبعدهم ادباء العالم ، « لقد ولد لنا شاعر ، لكأن العالم كان في فراغ حتى ملأه شارل قرم بالجبل الملهم فأعاده الى الاستقرار الذهني » .

تربى على الجمال وعاش عليه ، ومن تكن هذه حياته لا بد له من ان يجعل وطنه مثاله ، فكيف به ، اذا كان هذا الوطن لبنان ؟

ويكون « الجبل الملهم » فاتحة لعصر شعري جمالي ، في نهج ملحمي تنسم منه ارواح البطولة في لبنان مطيبة بأعراف سمائه وانهاره واوديته وكل ما فيه من الروعة والجمال ، ومهما تضاربت حوله الآراء ، واختفت من حيث المدلول ، فانها ما اجتمعت على رائعة فنية مثل اجتماعها عليه ، فحتى الذين حملوا على مدلوله ، وقفوا مشدوهين امامه فعلقت هذه الروعة على نقدهم .

لبنان شارل قرم ليس رقعة ضائعة ، ولا هو مجرد فكرة غنائية او وشوشة ، اماليد خضر ، بل هو قبل كل شيء موطن الحب والمعرفة فنسمعه يقول :

عمد الجبروت تطلع للفن مثالا
من الجلال الضاحي
انت مرمى آمالنا يا خيالا
فيه كل الحقيقة المسماح
لا تهادت اجل منك رؤى السحر
واسمى مهابة في الفؤاد
تسفحين السنى عليك
جمالا ناجعا بالرواد والانفراد
واذا كان رفرف النوم والهالة
في صخرة من الفن حيه
تشهد الارض ايها الطلل الرمة
انا اعزها مدنية ،

لم يترك شارل قرم شيئا له علاقة بلبنان الا اطلع عليه او جمعه او بحث عنه ، ثم انصرف بعد ذلك الى تأدية رسالته ، التي لا تقوم الا بتعريف لبنان الى العالم ، فنسمعه يقول في المهاجرين :

وانتم ، يا مهاجرينا ، الشجعان
يا من تتابعون ، ذلك السمو
الى المجد الساطع اللمعان
الذي كان يدفع بجدودنا الى الاستمرار
بالرحلات للتنقيب في القارات .
... وانتم يا جميع المهاجرين
من بفضيلتهم
ينازعون ، لاجل مقامنا في العالم
جميع العالم
بدون سند ، ولا هاد ، ولا معين
فانكم تدخرون
الجراة الجبارة في الفؤاد
والخمير الفعال ، شدة البأس ،
من الاجداد
الذين وسعوا بعقولهم حدود الكون

لقـــد قسم شارل قرم ، الجبل الملهم ، الى ثلاثة اقسام : نشيد الحماسة ، نشيـــد الاحتضار ، ونشيـــد الذكريات . لكنه وحدها بالهدف الاسمى وهو العمل على استمرار الدفع اللبناني الذي لم يترك ناحية الا سلك اليها اخـــلالا للحضارة والعلم والجمال . فنسمعه في قصيدة بعلبـــك :

هباء من الشمس مثل الفراشات
يرفلن بالطهر والاحمر
ومثل الاهازيج من مرقص النحل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يملأن سمعك نثرا طري
جليلا بأسراره البكر
ومثل الطيور من الوهم زرق
تطوف ملء نشيد القيان
وبين الغمام وبين الجنان
ويا آية العين تنهد سكرى
على الورد من جسمك الخافق
فتمتنع مقرورة دون شيء
عميق بأسراره دافق
وتغنج ملء بياض الصباح
يخطبها طيبه ونداه
تخال شفاها برتها الشفاه

ما تبالين انت بالناس
يهددنك والحسن منك حسن الرجوله
وامانيك ماتني في هيام
منك بالناس منزل انجيله
في انفلات
تنهدين فيها مجنونة بالضياء
واندفاع مثل الاشعة من اعرافك
السمر في الزمان النائي .

اما وهو على الارز ، فالروعة انك وانت على الترجمة تأخذك المهابة ، فتحس لكأنما السماء كوى فتحت في وجهك فالارض موصولة بها :

ارز لبنان ارز بحراننا
وارز الذهول والخيلاء
قبس منك فوق راحة لو نجيب
ارتمى تدمرا على الصحراء
يا عطوفا بالظل من معطف
اخضر وارز من طيوب زكيه
بغنوج الحرير والدر يحمى
حقنا بالحياة والحريه
خاطب القبة الحنون
ولا تقطع مع الله من حديثك شيا
ضج باللحن فوق اعوارك الجهم
وبالصوت خافق النبض حيا

وبما انه عاش على الجمال واللون والنغم ، ولم تعكر نفسه المرادات بعدما عرف كيف له ان يقهرها ، فانه ، تعاطى الجمال كما الاقتدار ذاته ، فراى الى الارز :

كيف تبدو ، يا مزيجا من شعاف وضياء
جامعا في اجنح الاملاك في وهم الفضاء
بين ارض وسماء

ولانه رأى ان كل عمل متى اشتهر خسر مغزاه ، ذلك ان صاحبه يكون قد نال ثوابه من وراء هذه الشهرة لذلك غيب معظم اعماله ليبقى على الفرحة الكبرى .

اقول ان انسانية شارل قرم العظيمة هي التي جعلته يشرف من اعالي الجبل الملهم ، فيقف وعلى وجهه ما يتراءى على مياسم الملهمين متى الوعد على متناول ، ويذكر العالم بلبنان الرائد الاول للانسانية والعامل لاحلال الهدوء مكان القلق لانه موطن الحب ، بناء وعطاء : لبنان وطن حر شامخ ، يقول في مقتل ادونيس :

ان ما بكته فينوس وبكته نساؤنا في القدم
وما زال يسيل دمعنا الحار
هو انك كنت مقداما ،
فتناسيت نفسك دفاعا عن ارض الوطن
وشهرت السيف تقاوم الخنزير
ذاك اننا لا نرضى ان يجول في ارضنا
وحش يشرع اظفاره ويشمخ برأسه
اجل ،
لا نرضى ان يتراجع الجمال
وينزوي المثال الاعلى
وتخور الشجاعة
وتتضاءل الاحلام الشعرية
ليتسنى لمسخ مقيت
ان يبسط براثنه القاتمة
على نعيمنا الاخضر
ذاك ما بكته عذارى لبنان .

ان شارل قرم لم ينذر شعره فقط لخدمة لبنان ، بل نذر كذلك نثره وحياته ، فاذا هو في حكاياته وقصصه وابحاثه ومحاضراته ، رسول دائم يبلور مفهوم اللبنانية ويرافق تطور الجيل :

ارزنا اجمع يستهويه
غفران الذنوب
والتفات للقريب
فهو حب وجهاد .

هكذا عاش شارل قرم ، للحب والجهاد للمثل اللبنانية الماجدة ...

يقول الياس ابو شبكة من مقال في « الجبل الملهم » :
« ولعل الشاعر لم يشأ ان ينقض القلم من ملحمته « الجبل الملهم » قبل ان ينطلق نشيده امام الشمس فأطلقه نشيدا رحبا كالشمس نقيا طاهرا كأشعتها » .

اجل ان « الجبل الملهم » هو الملحمة اللبنانية التي تشيد بمآثر الجبابرة رجال لبنان :

هو الله خص سعاف السماء
بشم النسور وجهم الغيوم وحلم القدر
ومملكة الخالدين البشر

فوزي سابا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابن النحاس

بقلم لطفية الشهابي

* * *

هو احد شعراء الفترة الاخيرة من عصر الانحطاط . وهو كما تقول المراجع عنه من اعيان القرن الحادي عشر الهجري ومن مشاهير شعراء عصره . والذي نريد ان نعرفه الآن هو بعض الملامح عن حياته وشخصيته من خلال ديوانه .

اسم شاعرنا فتح‌الله وهو حلبي الاصل وقد عرف بابن النحاس ، وكان جميل المنظر رشيقا في صباه — كما تذكر مقدمة الديوان — اكثر من التنقل في الفترة الاخيرة من حياته فذهب الى دمشق والقاهرة والحرمين ، واستقر اخيرا في المدينة المنورة . ونستطيع ان نجد اشارات كثيرة لهذه التنقلات واثرا للانطباعات التي تركتها في نفسه من خلال بعض اشعاره . ويمكننا ايضا ان نعرف شيئا عن صفاته الخلقية من بين اسطر ديوانه .

فديوانه مطبوع سنة ١٣١٣ هـ في المطبعة الانسية في بيروت ، وقد عني بطباعته السيد محمد علي ابن الشيخ حسن الانسي البيروتي كما هو مبين في الصفحة الاخيرة منه .

يتألف هذا الديوان من (١١٢) صفحة من القطع الصغير ، ويحتوي على اغراض متنوعة من مديح وفخر وغزل وشكوى ورثاء وحكمة وارشاد وتهنئة ... والشاعر في القصيدة الواحدة يجمع بين عدة اغراض ، ولا يسير على قاعدة مضطردة ، فهو قد يبدأ بالغزل وينتقل منه الى المديح ، وقد يجعل المديح اسبق من الغزل او يقصر قصيدته على الفخر والمديح ويراوح بين الموضوعين في ابياته .

اضافة الى ما تذكره كتب التراجم عن رحلة الشاعر الى دمشق ومصر والمدينة المنورة ، فان ديوانه يؤكد لنا هذه الاخبار ويوضحها . فقد رحل شاعرنا الى مصر ولكن يبدو ان الحياة قست عليه هناك فأحس بالغربة وضنك العيش فقال :

يا مصر ما للغريب من نزل ... عندك الا الهموم والكرب
دار اغترابي التي عنيت بها ... انت وداري ، وحبذا حلب
دار تميت الهموم نغمتها ... وتغتذي من عبيرها الكتب
لا قربها للكرام مضيعة ... ولا حماها للضيم منقلب
صافح ثراها اذا نزلت بها ... فمن ثراها الاعزة النجب

فهو في مصر مهموم مكروب ، وهو متشوق الى حلب حيث تموت همومه ولا يحس بضيم .

وذلك يؤكد لنا ان ابن النحاس لم يكن في حالة مرضية في ارض الكنانة والا لما اعلن تضجره في مصر وشوقه الى حلب . فقد قال الشاعر قديما :

وكل امريء يولي الجميل محبب ... وكل مكان ينبت العز طيب

ويعرفنا ديوانه كذلك ان اسرته كانت معه في مصر ، فهو يقول في القصيدة ذاتها :

آه ومن للغريب في بلد ... ان سغب مسه وان لغب
اضحك في اسرتي وتشرقني ... اذا خلوا عبرتي فانتحب

اما في دمشق فقد لقي خيرا ونعيما :

فمن لدمشق الشام انك لم تزل ... على يدك الارزاق فيها تقسم
تقول لي الاصحاب عيد مبارك ... عليك وكيف الحال قلت منعم

ولكنه بصورة عامة دائم الحنين والشوق الى الشهباء ولا سيما اثناء اقامته في مصر :

علاقة لي بالشهباء ما ذكرت ... الا استفاضت دما من مقلتي الكبد
دار عرفت بها اللذات عن كثب ... وانت يا سند العلياء لي سند
ما قلت في مصر لي عيد اسر به ... لو لم اجد من صلاح الدين ما اجد

ذلك فيما يتعلق بحنينه ورحلاته ، وقد كانت رحلته الاخيرة الى المدينة المنورة ، وهناك كان الانطباع الاساسي الذي خلفته هذه الرحلة ، وهو الانصراف الى مديح الرسول عليه السلام وبعض الصالحين . وان لم يكن هذا النوع كثيرا في الديوان .

وحين نريد ان نعرف شيئا عن حياته الشخصية فان ذلك بامكاننا ولكن الى حد . فمثلا نستطيع ان ندرك ان شاعرنا كان يدمن التدخين لينفس عن همومه :

وارى التولع بالدخان وشربه ... عونا لكامن لوعة الاحشاء
فاديم ذلك خوف اظهار الجوى ... فاشوبه بتنفس الصعداء

ونعرف من خلال شعره كذلك انه كان يكتب نثرا ، وقد وردت بعض الاسطر النثرية له في الديوان :

انا امرؤ صنعتي التغزل والمد ... ح وفني الانشاء والخطب

اما حياته العاطفية فاننا نراها متموجة على صفحات ديوانه . ففي حبه الوصال والنعيم والهناء ، وفيه الظمأ والحرمان . وقد نجد لديه الاعاجيب فنراه يجد في الظمأ والحرمان سعادة او شقاء . فمن آثار حبه الهاني الوادع قوله :

عصف الغصن الرطيب ... وتلافانا الحبيب
اضمر الدهر لنا الصد ... ح فلم يبق غضوب
زار والعرف له من ... نفس الصبح هبوب

ومن شعوره بلذة الحرمان قوله :

الذ الهوى ما طال فيه التجنب ... واحلاه ما فيه الاحبة تعتب
وما بعد دار من حبيب مذمما ... اذا لم يجد فيه مناه المؤنب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اغبية حب

الى الشاعر انور الجندي ، في مدينتي العطشى ، وصديق خطواتي على درب الادب ..

يا صديقي
يا ملاذي كلما جن الظلام
أو ثوى بالعمر .. عام
هدني الشوق وأغواني الشراع
واستوى العمر .. تباريح انتظار
يا رفيق الشعر والحرف العتيق
يا نجي ... السوداء في عرس الحنان
يا نداء .. ند في صحراء ذاتي
عادني يوم الهجير
عادني ، نهر حنان
دافقا عبر السنين
ينشر الدفء بقلبي والنهار
كفتار الراقصين .. الحالمين
كالاماني ..
في عيون العاشقين
يا صديقي ..

هذه الايام تمضي
وسحاب الصيف يترى
دون ان افتح
في الارض الشعاب
قبل ان ارسم للشعر كتاب
وبقلبي من سنين الفتح ..
أبعاد عظيمة
ضاع بالوهم طريقي
عند اسواق المدينه
آه .. لو تدرك ما بي
آه .. لو تعلم حالي
لكفاني عبء اوجاع الزمان
يا ملاذي كلما عم الظلام
او مضى في العمر .. عام

دمشق — عبد الكريم دندي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اما الحب الظامىء المتألم ففيه يقول :

ان هـذا الليل فظفـل مقلتي ببيـت بالنزيف غـير هـادي
ومن بكى من النوى فقد راى بعينـه تقطـع الاكبـاد
حمر الخدود ان تغب فشكلها بناظـري داخـل السـواد
لاجـل ذا الدمع جرى بشوقها ونظـم الياقـوت في بجـادي

ولكنه كثيرا ما يفخر بصموده وعدم انهياره في بحار الحب والهيام :

وما انـا ممن قلبه عنـد غيره فتبكي عليـه الشامتون وتندب
ويعمى عن الامر الذي فيه رشده ويجهد في عقبى الامور وينصب
ولكن لـي نفس الوقور وعفة الـ قدير وقلبي في المهمات قلـب

ويقول :

فما كان معسول اللحى يستفزني ولا كـل مطلوب لـدي محبب

ونستطيع ان نحس في ديوانه معنى العفة ، فليس فيه الغزل الفاحش ولا الهجاء المر ولا الاستجداء في الطلب . ومن تعففه عن الهجاء قوله :

اذا مـا اقتضاني للمذمة فعلهم نهاني عفـافي والحجا والتأدب

من تعففه عن الاستجداء قوله في مدحة قدمها لاحد ممدوحيه :

في منعة عـن ان تماشي ظلها الاطماع او يقتادهـا التطفـل

اي ان مدحته بعيدة عن التطفل والطمع والرغبة في العطاء .

ولكن صعوبة الحياة كانت تجعله في بعض الاحيان يصور الجدب الذي كان يصادفه الشعراء لقاء ما ينظمون من شعر :

والشعر اخلـف نوؤه وتقشعت في الجو سحبه
مـا زال تلفحه سمو م البخل حتى جف عشبه
كم ترتجي صنما سوا ء فيـه مدحته وثلبـه
مستنكر الاحساب جعـد الكف جعـد الوجه صلبه
أأخي مـن يك شاعرا فالخالق الـرزاق حسبه
والمرأس رأس المـال ان يسلم فليس يقل كسبه
وكفى فتى العرفان خلا نـا فضائلـه وكتبـه

فهو ان عف عن الهجاء في بعض ابياته فانه لم يطق صبرا على السكوت فيما يتصل بحالة الشعراء . فلقد جفت اعشاب الشعر بسبب سموم البخل ، وغدا الممدوحون كالاصنام لا يفرقون بين المديح والهجاء ، فليس للشاعر الا ان يجعل الله حسبه ، وتفكيره مصدرا لكسبه ، ويحتفظ بكتبه وفضائله فهي خير الاصدقاء .

تلك ملامح استطعت ان استشفها من خلال صفحات الديوان عن حياة شاعرنا ابن النحاس وبعض صفاته .

دمشق — لطفية الشهابي

لم يتجاوز عمره اربعين عاما — ولكن عينيه الغائرتين ، وعظام وجنتيه البارزتين ، وذلك الشعر الابيض المبعثر في فوضى .. في وسط راسه ، وعلى الجانبين .. بالاضافة الى ملابسه القديمة الرثة ، المترهلة على جسده الهزيل — توحي لمن يراه انه تجاوز الخمسين .

وقف مترددا امام احدى الحانات الرخيصة ، التي اعتاد التردد عليها ، واختلس نظرة الى من فيها ، ثم دلف الى الداخل متجها الى البار — وقبل ان يجلس نظر اليه الساقي في ضيق وقال له :

— الدفع مقدما يا سيد ..

— وهل يدفع كل الناس مقدما ؟

— ولكن بعضهم يشرب ، ثم لا يجد في جيبه ثمن ما شرب .

— ولكني ...

واحس بيد تربت على كتفه ، ثم تجذبه من ذراعه ... والتفت خلفه ليجد صاحب الحانة .. وكان رجلا قصير القامة ، ممتلىء الجسم ، حاد النظرات قال وهو يجره نحو الباب جرا :

— لقد حذرتك من الدخول هنا من قبل ..

— ولماذا تجذبني هكذا .. ؟

— في المرة القادمة سأسلمك للشرطة ..

وكانا قد وصلا الى الباب فدفعه الرجل دفعة قوية ابعدته عدة امتار حتى كاد ينكفىء على وجهه ، بينما تعالت اصوات الناس داخل الحانة بالنكات والضحك — واتجهت اليه انظار المارة في الطريق .. فمنهم من مصمص شفتيه شفقة به .. ومنهم من هز راسه رثاء له .. ومنهم من نظر اليه بازدراء .. ثم ما لبثوا ان تفرقوا ، ومضى كل منهم الى سبيله .

وقف مترددا ونظر خلفه .. ولكن الرجل كان قد دخل الحانة .. فمشى ببطء في الاتجاه الذي امامه دون قصد او ارادة ..

بعد بضع دقائق من السير بلا هدف ، وجد نفسه في ميدان العتبة استطاع ان يحدد مكانه ... ولكنه لم يستطع ان يحدد مصيره ..

حاول ان يسترد شتات نفسه دون جدوى .. لا زالت خطواته ثقيلة ، ولكنها منتظمة .. انحرف يسارا على هامش ميدان باب الشعرية ..

التقطت اذنه صوت المذياع يذيع نشرة الاخبار .. ما زال الوقت فسيحا

الزجاجة والمئذنة

بقلم السيد عبد العزيز الجندي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اما ان تكون العاشرة والنصف ، او الحادية عشرة على الاكثر .. ولا يمكن ان تكون الواحدة او الواحدة والنصف .

ارتبكت خطواته ، ثم توقف لحظة .. ولكنه عاود السير .. جذب انتباهه لافتة على يساره تشع نورا قويا (الشرطة في خدمة الشعب) ولطم اذنه صدى صوت يقول (في المرة القادمة سأسلمك للشرطة) .. نظر الى الشارع الفسيح على يمينه ، ثم اجتازه الى الناحية الاخرى .

وتاهت معالمه في شارع ضيق ..



واخيرا ذاب في الظلمة ...

ملأت خياشيمه رائحة طين مخمور بمياه عطنة .. اخذ يتشممها بتلذذ . وبعد خطوات دلف الى بيته ، وتعثرت قدماه باحدى السلالم المكسورة ، فأكمل صعوده في حذر .

جال ببصره في ارجاء الحجرة ، حيث كان الطفلان نائمين في ركن منها يحتضن كل منهما الآخر ، على حشية بالية ، مل حشوها طول الرقاد فنفر وثار .. وفتح كثيرا من الثغرات في ذلك السور القماشي ، وتسلل منها في غير انتظام .

واستقرت نظراته الطائشة على شبه منضدة ينزوي تحتها كثير من الكراكيب وفوقها بعض الكتب والكراسات ، ويطل من داخلها درجان ممتلئان بعلب الكرتون ، فاتجه الى المنضدة يحاول معالجة ما اطل من ادراجها دون جدوى .

واسترعى انتباهه علبة لامعة من الصفيح ، فأفسح لها طريقا بين علب الكرتون الاخرى ووضعها فوق المنضدة ، وفتحها .. واخذ يقلب باصابعه محتوياتها من مسامير وزراير وبقايا اقلام واموال صدئة . واسفل هذه المخلفات قطعة من القماش معصوبة بخيط اسود . التقطتها اصابعه وبسطها في يده .. فاذا بشيء لامع يبهر بصره ، فرفعه من مكانه واغمض عينيه وفتحهما عدة مرات ... اسرع الى لمبة الغاز المعلقة في مسمار على الجدار الآخر ، ووضعها على المنضدة واخذ يتفرس فيها من جديد ويدقق النظر في ذلك الوشم الصغير الذي يسمونه (التمغة) .

وعندما تأكد من انه دبوس من الذهب لرباط عنق ، جلس على حافة الفراش ونظر امامه ، فاذا بصورة زوجته المعلقة تبتسم .. وخيل اليه انها تقول له (انسيت الهدايا التي كنت اقدمها لك بين وقت وآخر .. ؟

عندما كنت رجلا ... تعرف واجباتك، وتقدس حقوق بيتك واولادك .. ؟ انسيت بعد ان انحرفت وعرفت الصهباء ، ورفاق السوء ؟ انسيت كل ما بعته من هذه الهدايا بأبخث الاثمان ؟ لقد خبأت عنك هذا الدبوس .. لانه اول هدية مني لك بعد زواجنا .. و ..) .

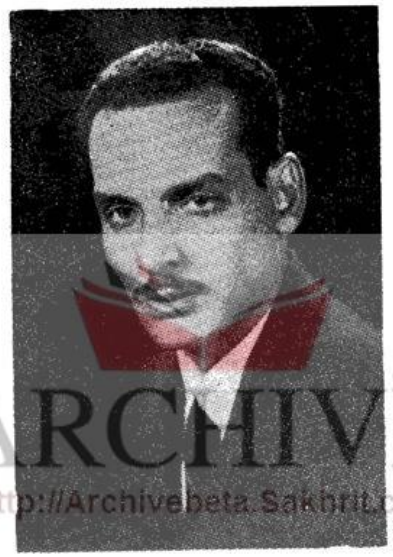
اغرورقت عيناه بالدموع فقام من مكانه ، ووضع الدبوس في درج المنضدة واتجه الى النافذة مسرعا لكي لا يرى اطفاله دموعه ونظر عبر الفضاء الكبير وسقطت من عينيه دمعة ... تلتها دموع . وغامت الرؤيا امامه خلال ذلك الليل البهيم .

ورفع يده يتحسس بها وجهه ، ويمسح بها دموعه ... في الوقت الذي احس فيه بشيء لين يمسح على فخذيه من الخلف ، ونزلت يده الاخرى المسندة على اطار النافذة تتحسس ذلك الشيء .. واحس برعشة .. ثم شعر بشيء من الراحة عندما استقرت يد الطفل الصغيرة واستكانت في يده .

وكأن الطفل قد احس هو الآخر بشيء من الطمأنينة لم يعهدها منذ تركته امه ولم تعد .. فأسند رأسه على ابيه ، واستقر جانب وجهه على ظهر يده واخذ يضغط يد ابيه بين يده الصغيرة ووجهه الصغير .

وبحركة لا ارادية ، استدار الاب ورفع ابنه بيديه وضمه الى صدره وبيد رقيقة حانية جعل يمسح على ظهره في نعومة... واغرقته الخواطر متضاربة متصارعة كأنها موجات جارفة تتقاذفه وتتلاعب به ..

ظل على هذا الحال فترة من الزمن لم يدر اذا كانت دقائق قصيرة ... ام ساعات طويلة ولكن .. عندما احس بالراس الصغيرة تتزحلق من على كتفه الى صدره في تراخ عاد الى نفسه .. او عادت اليه نفسه .. فاستدار الى داخل الحجرة حيث انام الطفل بجوار اخته برفق ، وجذب عليهما غطاء ادركه البلى . ثم وقف في وسط الحجرة حائرا . ولم تطل وقفته ولكنه اتجه نحو المنضدة ، وكان الدرج ما زال مفتوحا ، فمد يده وامسك الدبوس واخذ يتحسسه بأصابعه ثم رفعه امام عينيه واخذ ينظر اليه دون ان تتوقف اصابعه عن ملمسه .. ثم تحولت عيناه الى الجدار فراى الصورة امامه .. رآها تبتسم على غير عادة فابتسم لها ،



السيد عبد العزيز الجندي

*

واخذ يتمتم بكلمات غير مسموعة . وسمع صوتا من ورائه فنظر خلفه حيث كانت ابنته الكبرى جالسة على حافة الفراش تفرك عينيها بيديها .. فذهب النها وجلس بجانبها واخذ يربت على ظهرها دون ان ينبس ببنت شفة وعندما افاقت من نومها وتنبهت قالت :

ـ أتريد ان تأكل ؟

وفاجأه سؤالها ، واخذ يفكر للحظات قبل ان يجيب ـ تذكر انه لم يأكل .. واجابت معدته على السؤال بحشرجات وتقلصات ـ ووضع يده في جيبه واخرجها ، بعد ان افرغ بها كل ما يملك ـ وبسطها امامه فوجد بها سبعة قروش ـ ونظر الى ابنته ولكنها قالت قبل ان يجيب على سؤالها ...

ـ سأحضر لك عشاءا طيبا ..

وقامت من فورها واتجهت نحو المنضدة ، وازاحت قطعة من القماش البالي ورفعت من تحتها طبقا من الصاج وضعته امامه على طبلية صغيرة وكان به بعض من الخضار تتوسطه قطعة لحم صغيرة .. ثم وضعت امامه رغيفا جافا وقالت وهي تربت على ظهره باحدى يديها الهزيلتين :

ـ كل ..

ونظر الى الاكل الذي امامه ، ثم نظر اليها وهز راسه في تساؤل فقالت :

ـ ارسلت لنا الست قدرية هذا الطبق ، وكانت به قطعتان من اللحم اكل اخي واحدة منها ..

قال لها :

ـ وانت .. ؟

ولم ترد .. ولكنها قامت واحضرت كوبا من الماء وضعته امامه فعاود عليها السؤال ...

ـ وانت ماذا اكلت .. ؟

ـ اكلت ما تبقى من فول الصباح ..

وصفعه الرد صفعة قوية ، جعلته يتلوى من الالم ويعاني شدة ينتهي عندها الوصف ، وحانت منه التفاتة الى الصورة المعلقة مرة اخرى فوجدها تبكي في صمت .. وكأن دموعها استحالت الى سائل ناري اخترق شرايينه واخذ يتدفق فيها .. وتحركت يده تبحث عن ابنته بجواره دون ان يلتفت اليها ... وادناها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

منه ، واخذ يضغط عليها برفق الى ان التصق جسدها بجسده .. ولم يلبث ان شعر برزاز بارد يهطل على جسمه ليطفىء الجحيم المستعر في داخله ويخفف الحزن الدامي الذي تغلغل في فؤاده الكسير .. وشد انتباههما تململ الطفل الصغير في ركن الحجرة .. ثم اتاهما صوته الهزيل يعلن عن عطشه ويطلب ماء .. وكان هذا الطلب .. الماء .. هو المطلب الوحيد الذي يتجرأ الطفلان على طلبه بعد موت امهما بسبب قسوة ابيهما وزجره لهما .. فقد اعتادا على الصمت .. اذا اعطاهما شيئا اخذاه .. واذا ارادا شيئا لم يطلباه .. وكثيرا ما تعرضت الابنة الكبرى للايذاء والسخرية من (الابلة) ومن زميلاتها التلميذات بالمدرسة الابتدائية لعدم شراء لوازم الدراسة من كراسات واقلام وخلافه .. بيد انها كانت من المجتهدات الذكيات .. ذلك الذكاء الذي يبدو على وجهها ممزوجا بمسحة من حزن متجسما في الرضوخ والاستكانة مرئيا في شحوب وجهها .. وهزال بنيانها ، وقد احاط بذلك الهيكل اطار من ... ثياب رثة ، تعلن عما بداخلها من بؤس وحرمان .

قامت الابنة واحضرت لاخيها كوب ماء .. شربه .. ثم قام متثاقلا تتعثر قدماه من خدر النوم .. وعندما التقط بصره (الطبلية) وفوقها طبق الخضار فرك عينيه ونظر اليها مليا ، ثم انتقل بصره الى ابيه واخته فرأى ابتسامة شاحبة على وجه ابيه ، فتوجه اليهما على مهل .. واخذه ابوه من يده واجلسه بجواره ، وربت على كتفه ، ثم اخذ يمسح ظهره بيده .. وعندما رآه ينظر الى الطبلية وما فوقها في صمت قال لابنه :

ـ هل تعشيت ؟

ونظر اليه الطفل وتعثرت الكلمات في فمه ، فقد ظن ان اباه سيحاسبه حسابا عسيرا على ما اكله في الغذاء من تلك الوجبة الشهية .. فتحول بصره الى شقيقته وفي عينيه سؤال حائر ، وعتاب خفي .. فقد ظن انها وشت به لأبيه ، واخبرته كاذبة بأنه اي الطفل قد تجرأ على اكل ما اكله دون علمها فسألها في تحد :

ـ الم تأتيني بهذا الطبق وتعطيني قطعة اللحم .. وانا لم اطلب منك ذلك ..

ثم اتجه الى ابيه قائلا :

ـ والله العظيم يا ابي .. هي التي قالت لي .. كل .. وهي التي اعطتني بيدها قطعة لحم صغيرة هكذا ..

ورفع يمناه ، ضاما اصابعه الا عن فرجة متناهية الصغر .. فاتسعت الابتسامة الحزينة على شفتي الرجل ، ورفع الطفل بيديه ، واجلسه على فخذه الايسر ثم التفت الى يمينه ورفع ابنته ، واجلسها على فخذه الايمن .. واحاطهما بذراعيه وضمهما اليه برفق .. ومال برأسه ناحية اليسار واخذ يمسح بوجهه وجه ابنه ثم رفع رأسه ومال بها ناحية اليمين واخذ يمسح وجه ابنته وبعد فترة لم يدر حساب زمنها استطاع فيها ان يحبس دموعه المكبوتة ويجفف ما ثار منها وأفلت وغشى عينيه .

استدار الى اليسار ورفع يده المحيطة بالطفل ضاما اصابعه الا من فرجة صغيرة كما فعل ابنه .. وقال له وعلى شفتيه ابتسامة نادمة ، توحي بالعفو والطمأنينة :

ـ الم تأكل حقا الا قطعة لحم صغيرة .. هكذا .. ؟

وسرت الطمأنينة في اوصال الطفل .. وابتسم هو الآخر وقال في مرح :

ـ آه ... والله ...

وارتاح الرجل عندما استطاع ان يبدد الخوف الذي استولى على كيان ابنه .. وجذب (الطبلية) وقربها من اولاده قائلا :

ـ كلا ..

ورفع الطفل يديه واخذ يأكل بينما قالت اخته لابيها :

ـ وانت .. الن تأكل ..

فربت على ظهرها وقال :

ـ كلي انت يا حبيبتي ..

وترددت .. ولكنه قربها بيده من (الطبلية) فأخذت تأكل ..

ووضع الدبوس صيده الثمين في جيبه ، ونزل الى الشارع مسرعا .. وفي دقائق معدودة وصل الى ميدان العتبة ..

وعندما صادف اول محل صائغ وجده مقفلا ، اسقط في يده .. واحس بأن كل آماله تحطمت على باب المحل الموصد في وجهه . وواصل سيره .. وبينما كان غارقا في افكاره لمح احد الصاغة واقفا امام متجره .. فاتجه نحوه مسرعا .. وعندما وصل اليه كانت الانوار قد اطفئت ، ووقف الصائغ وفي يده قفل كبير .

وعندما عرض القادم عليه الدبوس قال له بعدم مبالاة :

ـ آسف تعال غدا ..

ولكن الرجل اخبره بصوت مبحوح ، فيه ذلة .. انه في حاجة ماسة لثمنه ـ فنظر اليه الصائغ ، ثم دخل متجره واضاءه .. واعاد النظر الى الرجل متفحصا في منظره ، واخذ الدبوس ونظر اليه ثم سأل حامله :

ـ من اين اتيت به .. ؟

فأجاب الرجل متعجبا :

ـ من اين .. ؟ ! انه لي .. احتفظت به من عدة سنوات ، خذ اسمي ورقم بطاقتي ان شئت .

نظر الصائغ في ساعته ، ثم نظر الى الدبوس .. وتردد .. واخيرا اخرج حافظة نقوده من جيبه ، والتقطت اصابعه جنيها قدمه للرجل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تردد... وحاول ان يقول شيئا .. تحركت شفتاه ، ولكن الكلمات لم تكمل ، ولم تسمع .

واذا بكلمات الصائغ .. التاجر .. المجرب، تخرج من بين شفتي صاحبها كاملة .. واضحة .. مدوية ..

ـ لن ادفع اكثر من ذلك .. خذ دبوسك اذا اردت .

اخذ الجنيه ، واحكمت اصابعه حصاره.. واتخذ طريقه الى البيت.. وبعد خطوات تثاءبت اللعينة في رأسه وتمطت .. ثم فتحت عينيها وبحلقت ، وتطايرت شرورها في اشعاعات مجنونة ، صبت جام غضبها في كيانه ، ولفح لهيبها عقله واتزانه .. وسرى خدرها في اوصاله .

وسرعان ما ضعف الحصار وتهاوى .. وانهال الصرح وداعى.. فتحركت اصابعه واخذت تفرك الجنيه المحصور في حركات مذعورة ...

وفجأة .. توقفت قدماه ، ولوى رقبته ، ونظر خلفه ، واخترقت نظراته كل الحواجز .. حيث استقرت داخل البار .. هناك .. حيث اخرجه صاحبه مذموما مدحورا .. وتراءى على شفته شبح ابتسامة . والتمعت عيناه ، وسرت في جسده بادرة من حيوية وانتعاش .. ثم قطب جبينه فجأة واختفت الابتسامة الواهنة وحل محلها عبوس صارم ، ممزوج برغبة عارمة في الانتقام من ذلك الدب اللعين صاحب البار .

وحانت منه التفاتة نحو حانوت تتلألأ انواره ، ووقع بصره على ثلاجة مرطبات امام الحانوت ، وعلى منضدة بجوارها رصت بعض زجاجات من البيرة .. فتباطأت خطواته ، وتطايرت كل ما ازدحم برأسه من تخيلات .. واخذ يفكر من جديد ..

« كيف يتسنى له الانتقام من صاحب البار .. ؟ وهل يكفي جنيه واحد يتيم لا رفيق له لمثل هذا الانتقام .. ؟ ان الساقي لن يعطيه شيئا من رواء ، وربما طرده الدب مرة ثانية .. وحتى لو اتيح له ان يجلس ويطلب ما يريد بعد ان يلوح بالجنيه في وجه الساقي وسيده .. فهل يكفي هذا الجنيه لاكثر من عدة كؤوس معدودة تكاد لا تروي ظمأه .. ؟ » .

وفجأة ... خمدت النار المستعرة في داخله ، وصفت نفسه ، وهدأ فكره وتذكر طفليه ، ولاحقته الصورة المعلقة على الجدار ، وخيل اليه انه يسمع صوتها واضحا جليا وهي تقول له « هل اخذت الدبوس لتبيعه ، وتنفق ثمنه على الخمر .. واولادك يتضورون جوعا .. ؟ » .

واحس بانتفاضة قوية تهز كيانه ، وهم بالعودة الى بيته واولاده .. ولكنه سمع في داخله هاتفا يقول له في تحد :

ـ « تستطيع ان تبتاع زجاجة او اثنتين من البيرة ، ولن يتعدى ثمنها خمسين قرشا .. كما تستطيع ان تبتاع لاولادك عشاءا طيبا وبعض الفاكهة » .

ولم يتردد .. ووجد نفسه يتجه الى الحانوت بخطوات سريعة وابتاع زجاجتين كما ابتاع قطعة من الجبن ، وقطعة من الحلوى ، وخمسة ارغفة وعلبة تبغ .. ورجع الى بيته محملا في خطوات لاهثة .

كانت الساعة تقترب من الواحدة صباحا عندما وصل الى بيته .. تسلل الى حجرته ووضع ما يحمله من طعام وشراب ، وخلع ملابسه على عجل وارتدى منامته ، واشعل لفافة تبغ ، وامسك باحدى الزجاجتين واخذ يمسح عليها في نشوة .. ونظر الى ولديه ، وهما يغطان في نوم هادىء .. تخرج انفاسهما في اصوات رتيبة رخيمة .. وعندما هم بايقاظهما تردد، ثم تراجع وسار في خطوات حائرة .. ونظر الى الزجاجتين ، ثم مد يده وامسك بواحدة .. وجال ببصره في انحاء الغرفة يبحث عن شيء ينزع به غطاءها .

ووقع بصره على يد ممدودة اليه ، ممسكة (بفتاحة) الزجاجات . وانتابته رعشة ، وحملق في اليد الممدودة اليه .. ثم زاغ عنها بصره وازور .. ولكن الصورة المعلقة امامه كانت تناديه باصرار وعناد . وعندما نظر اليها مرة اخرى .. رأى احدى يديها ما زالت ممدودة اليه (بالفتاحة) .. بينما اليد الاخرى تشير الى الطفلين النائمين باسطة كفها .. وخيل اليه ان الصورة التي امامه قد استحالت امراة حية من لحم ودم .. رأى الدموع تتدحرج على خديها ، ثم خيل اليه ان شفتيها تتحركان .. وصفع اذنيه صوت من مكان سحيق يقول له « خذ ما تبحث عنه ، وافعل ما شئت .. ولكني سآخذ ابنائي ولن اتركهم لك بعد اليوم » .

وفي تلك اللحظة تململ احد الطفلين في مرقده ، وفرد ذراعيه يتمطى وفي لحظة لا تكاد تحسب بحساب الزمن قفز الرجل ، وجثى على ركبتيه بجوار ابنائه ، واحاطهما بذراعيه في خوف . ونظر الى الصورة قائلا بصوت مسموع « لا » .. وفي نفس اللحظة.. كانت الزجاجة قد سقطت من يده واستقر حطامها على ارض الحجرة ، وانطلق منها سائل يرغي ويزبد .

استيقظ الطفلان على صوت الزجاجة ، فوجدا اباهما جالسا بينهما ، تحوطهما ذراعاه ... بينما كانت عيناه شاخصتين في شرود تجاه ارض الحجرة حيث يرقد حطام الزجاجة المكسورة في بقعة مبللة بدمائها المغبرة الباهتة .

وعندما رأت ابنته الزجاج المتناثر ، قامت واحضرت المكنسة من ركن الحجرة واخذت تكنسه وتجمعه فوق بعضه ، ثم نقلته في وعاء القمامة بردهة البيت ثم جلست بجوار اخيها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بيروت الثكلى

بـيروت يـا انشودة العليـاء ... بفـم الزمان ومعزف الشعراء
بعبيرك الهامي استحمت غنوتي ... وبطلـك المفـروق الاشـذاء
يـا مهبط النغم المجنح بالهوى ... أغرقتنـي ببهـارج الافيـاء
واليـوم مزقني العذاب فهدهدي ... طيفـا طوتـه صواعق الارزاء
والجرح نغـار بقلبـي اننـي ... أحيـا بـروح للهوى ظميـاء
وبرى فؤادي القيد وانهلت دمـا ... عيني ، وشب الحزن في احشائي
بـيروت باتت للفظائع مسرحا ... وضحيـة للنـزوة الحمقـاء
وغـدت لاهوال المجازر مغنما ... وفريسـة لسياسـة خرقـاء
وتحولت فيهـا القصور خرائبا ... لـم تحو غير جماجم الشهداء
وربوعها الثكلـى اذا ابصرتها ... لـم تلق غير الدمع والاشلاء
ومشاهد الاطلال تشخص بينها ... لنواظـري كالصورة العجفـاء
لمـا غدت هدفا لابشع هجمة ... مصحوبـة بجرائـم نكـراء
ومشاعري الكلمى اذا ترجمتها ... شعرا تلظى الشجو في ايحائي
فلذ القلوب تئن تحت حطامها ... وتضج من اوضاعها الشوهاء
أولئك الاطفال ماذا قـد جنوا ... ففـدوا ضحايا فعلـة شنعاء
وهناك كم من صبية تستامها ... خسفا فلـول الطغمة الغوغاء
سفرت لنـا قمرا طغى لألاؤه ... وأزاح كـل غمامـة سـوداء
لـم تقترف ذنبا ولكن روحها ... قـد أزهقت بقذائف هوجـاء
واليوم قد حل السلام بأرضها ... وتحررت مـن زمـرة رعنـاء

بغداد — خضر عباس الصالحي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في صمت . واخذا يختلسان النظر من وقت لآخر الى ابيهما في تساؤل يشوبه الخـوف .

وفجأة .. دوى في الفضاء صوت مزق سكون الليل ، وحطم اغلالا رانت على صدره .. وفك قيودا ادمت قلبه قبل قدميه .. وانقشعت غشاوة على بصيرته قبل عينيه .

وعندما شعر الرجل بتحطم قيوده، نهض واقفا .. وعندما احس بانقشاع الغشاوة ، فزك عينيه بيديه .

وهاله منظر الطفلين وهما ينظران اليه في دهشة ممزوجة بالخوف .. ابتسم لهما ، وربت على خديهما ، وتذكر ما اشتراه لهما من الطعام فقام مسرعا ووضعه بينهما .. وترددا .. ولكنه قال :

ـ كلا .. كل هذا لكما ..

ـ وأنـت ..

ـ لقد اكلت .. كلا انتما ثـم ناما .. وسأخرج الآن ثم اعود بعد قليـل ..

ـ الى اين ... ؟

ـ الى المسجد .. لاصلي الفجر ، الم تسمعا الاذان .. ؟

وعندما هم بالخروج لمح زجاجة البيرة الثانية ، فوقف مترددا ، ثم امسكها بيده واتجه الى النافذة قائلا لنفسه « سأحطمها هي الاخرى » .

وعندما هم بالقائها من النافذة .. احس بيد خفية تدفعه بعيدا عـن النافذة وعاوده التردد مرة اخرى .. ولكنه سمع نداء ابنته ، فنظر اليها واذا بها تشير الى النافذة المفتوحة قائلـة :

ـ الدنيا برد ..

وفي حزم .. وبلا تردد ، وضع الزجاجة بجوار الحائط ، واغلـق النافذة وكأنه وجد حلا سريعا عندما سمع صوتا في داخله يقول له :

ـ « وما ذنب هذه الزجاجة .. ؟ دعها للصباح .. ويمكنك ان تردها الـى صاحبها وتسترد ثمنها ، او تستبدله بشيء آخر » .

وارتاحت نفسه لذلك الخاطر ... وغادر حجرته متجها الـى المسجد واخـذ يقـول بصوت مسمـوع : « يا رب » ..

وعندما تجاوز الدرب الضيق .. ووصل الى الشارع الرئيسي تراءت له من بعيد مئذنة شامخة .. واخذت الصورتان تتراقصان امام عينيه .. صورة المئذنة ... وصورة الزجاجة.

القاهرة — السيد عبد العزيز الجندي



حمزة شحاتة : قمة عرفت ولم تكتشف

تاليف عزيز ضياء ــ ١٠٤ صفحات ــ منشورات سلسلة «المكتبة الصغيرة»
مطابع اليمامة بالرياض ١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧ م

في كلمته حول الكاتب والكتاب ، يقول صديقنا الكاتب الكبير الاستاذ عبد العزيز الرفاعي ، صاحب « المكتبة الصغيرة » :

« يعتقد استاذنا الكبير عزيز ضياء ، ان الشاعر العبقري حمزة شحاتة قمة لم تكتشف بعد . وهو في ذلك على حق . وانا اعتقد شيئا آخر ايضا ، هو ان استاذنا عزيز ضياء ذاته قمة لم تكتشف بعد . ان الاستاذ عزيز ضياء نفسه ، رغم صولاته الكثيرة الشاسعة في ساحة الادب السعودي ، يظل بارزا في ميدانين اثنين لا يكاد يتخطاهما ، وهما : الصحافة والاذاعة . لذلك ارجو ان لا اكون مخطئا ان قلت : ان هذا الكتاب يعد اول كتاب يصدره استاذنا الكبير ، وبه يعيننا ــ معشر القراء ــ على التعرف لا على حمزة شحاتة القمة فحسب ، بل ايضا على القمة الاخرى ، اعني : عزيز ضياء .

الكتاب اذن يمثل قمتين ، احداهما تتحدث عن الاخرى .. قد لا اغلو اذا قلت : ان الاستاذ عزيز يبلغ حقا الذروة في النثر السائغ السلس القوي الآسر ، تماما كما يبلغها حقا الاستاذ شحاتة في الشعر المتدفق ، حيوية وحركة ونصاعة وعبقرية .

ان هذا الكتاب محاولة لاكتشاف القمتين معا » .

وأعود الى شخصيتي الكتاب : المؤلف ، والشاعر موضوع الدراسة ، ملبيا دعوة صديقنا الاستاذ عبد العزيز الرفاعي ، في محاولة مني لاكتشاف القمتين اللتين تحدث عنهما في كلمته القصيرة لكتابه ، فادرك ، منذ السطور الاولى في المقدمة التي مهد بها المؤلف لكتابه ، انني امام كاتب ناثر مجيد ، يتعامل مع الكلمة بكثير من الثقة بالنفس ، ويتخير من العبارات ما ينساب رقة ، وسلاسة ، وأدبا آسرا ساحرا .

ولست احب ان اطلق الاحكام جزافا ، بل استعير من ادب الاستاذ عزيز ضياء نماذج ، لكي اقيم الدليل امام من لم يتسن له الاطلاع على شيء من نثره الفني الراقي ، على صحة ما انا ذاهب اليه ، بل ما انا مكتشف اياه من رقة اسلوب ، وجمال الفاظه وعباراته :

يقول المؤلف ، في ايضاح ما يعنيه بالقمة التي لم تكتشف بعد : « انها القمة التي اخذت العيون بشموخها ، وكأنها ولدت قمة منذ درجت على تراب هذه الارض ، او منذ تفتحت هذه العيون على الادب ، ومنذ تعلقت قلوب الذين عرفوها ، سحر الاشعاع في الحرف ، وتعشقت حنان موسيقاه ، وسرحت مع اطيافه ورؤاه ، وانساحت في ألوانه وظلاله . ورصفائي من الشيوخ هم اصحاب تلك العيون التي اخذتها القمة بشموخها .. وهؤلاء الرصفاء رغم ما طال من الزمن معاشرة لها ، وتفاعلا مع ما يشبه تفجر الينبوع الثر من عطائها ، ليس في الشعر ، فنا آسرا أخاذا ، وليس في النثر ، درا ولآلي فحسب ، وانما في الفكر غواصا في الاعماق ، ومحلقا في ابعد الآفاق ، ومتمردا على المألوف والتقليدي والمتبع ، الى حد ، كثيرا ما وصفه محبوه قبل شانئيه بانه لا يطاق » .

وبعد ان يشير المؤلف الى الهزة التي سرت في نفوس الكتاب والادباء ، عند سماعهم نبأ وفاة حمزة شحاتة ، وما دبجته اقلامهم دون ان يكونوا قد عرفوه او ربما دون ان يكونوا قد قرأوا له شيئا يذكر ، يحاول ان يبرر او بتعبير اصح ، يحاول ان يفسر هذه الظاهرة بقوله :

« ان اقل القليل من هذا الذي نشر له وعنه ، كان له من الاثر في النفوس ، والايفال في المشاعر ، والرسوخ في الاذهان ما لم ولا يتوفر لغير حمزة شحاتة ، الا بالكثير المتوالي من عطاء منشور ، وعلاقة موصولة . وهذا يؤكد مرة اخرى ان حمزة شحاتة في حياتنا الادبية كان وما يزال القمة التي عرفت ، ولكنها لم تكتشف ، فهؤلاء الشداة الناشئون الذين صالوا وجالوا بأقلامهم على اختلافها قوة وضعفا وسطحية وعمقا ، لا يختلفون عن اولئك الذين يشهدون احدى قمم الهيملايا ، ويؤخذون بشموخها ، ولكنهم يلتزمون الصمت اذا ما سئلوا عن هذه القمة تكوينا يتعقد ، ومسالك تتوعر او تسهل ، ومداخل تتجهم او تهش ، وانواعا من المعادن النادرة ، والاحجار الثمينة ، تظهر على السطح ، فتنالها الايدي ، او تتستر وتتوارى في الاعماق ، فلا يصل اليها الا المختصون في التنقيب عن المعادن ، الى جانب انواع من الدوح ، وصنوف من الحشائش والاعشاب ، لها من ألوان الزهر ، وغرائب الشكول ، ما لا يعرف خصائصه ، وفصائل انتمائه ، الا كبار الاخصائيين في النبات من علم الاحياء » .

لعلي ، بعد هذا ، اطلت في الاستشهاد بما كتبه الاستاذ عزيز ضياء في مقدمته ، لكنها اطالة مقصودة ، لا محيد لي عنها ، ان انا رغبت رغبة صادقة في استشفاف ملامح القمة الادبية وسماتها البارزة التي يمثلها قلم الاستاذ عزيز ضياء بالذات . وأحسبني صادق الاستنتاج ، بل صائب النظرة الفنية ان انا قررت ، منذ البداية ، ان البروز الذي اشار اليه الاستاذ عبد العزيز الرفاعي في ميداني الصحافة والاذاعة ، لم يستطع ان يسلب مؤلف الكتاب دبياجته الادبية الناصعة الراقية ، او يوقعه في تلك الاساليب التي لا نجد وصفا يلائمها ، اذ تهيمن على صحف البلاد العربية واذاعاتها ، بكثير من الركاكة ، والضعف ، والانحطاط الفني الظاهر .

واما القمة الثانية التي يجسدها حمزة شحاتة ، فان مؤلف الكتاب يكفينا مؤونة البحث الطويل عن معالمها ، بل تراه منذ صفحات الكتاب الاولى يأخذ بيدنا ، فيوضح لنا كيف عرف حمزة شحاتة او ابا عرب ، وكيف كان معجبا كل الاعجاب بالمثال الذي بدا له رائعا للاناقة في هندام حمزة وملابسه : « كان له ذلك المظهر السري الذي يذكرك باحساسه المرهف ببواعث الشباب ونوازعه وما يستتبعانه من تعلق بالترف ، وحرص على التانق ، في اطار من صرامة الرجولة ، ودفقة عنفوانها ، واعتزاز بالشخصية واحساس بالوزن الفكري تحلق به مشاعر النبل ، وليس التنبل ، والرفعة ، وليس الترفع ، وصدق العاطفة فيما يفضي به عن ذات نفسه ، وخلوصها ، وليس افتعالها او التظاهر بهما » .

ولا ينسى المؤلف ان يشير الى مطالعاته الاولى ، والى مطالعات رصفائه الذين كانوا يتسابقون الى كتاب جديد تخرجه مطابع القاهرة ودور نشرها ، وعلى الاخص تلك الكتب التراثية التي كانوا شديدي اللهفة للنهل من مواردها الاصيلة .

بعدئذ ، يشير المؤلف الى المعركة الادبية التي نشبت بين حمزة شحاتة ومحمد حسن عواد (الذي كان مديرا لجريدة صوت الحجاز) ، كما يتوقف عند مسيرته الثقافية ، متحدثا عن مولده بمكة المكرمة ، وتلقيه الدراسة في مدرسة الفلاح بجدة ، ثم ارساله في بعثة علمية الى الهند حيث تسنى لحمزة ان ينظم بعض شعره ، ومنه قصيدة يعارض فيها قصيدة لاحمد شوقي ، يقول فيها :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سلام النيل ، يا غندي ... وهذا الزهر من عندي
ولو ساعفني الدهر ... لقابلتك في الهند
ولكني ، كما تدري ... فقير عاثر الجد ،
اضعت البيت والقر ... شين في التهليس والجرد
وبعت العنزة الكبرى ... على صاحبنا السندي ،
واما سائر العفش ... فقد صادره « وجدي »

والشاعر ، في هذه الابيات الخفيفة ، يشير الى شخصية حقيقية ، شخصية وجدي احد ضباط الشرطة في جدة !!

وينتقل الاستاذ عزيز ضياء الى الكلام على حمزة شحاتة ، كاتبا وخطيبا وفنانا ، وفارسا للحوار ، ومترسلا ، ثم يشير الى محاضرته الشهيرة التي القاها في جمعية الاسعاف في شهر ذي الحجة عام ١٣٥٩ هـ. بعنوان « الرجولة عماد الخلق الفاضل » ، وكان العنوان الاصلي الذي اقترح عليه هو : « الخلق الكامل عنوان الرجولة » ، وبعد ذلك يتحدث عن شعره ، لكنه يقصر ذلك الحديث على قصيدة كان قد نظمها في جدة ، ووافق على تسجيلها واذاعتها ، ومن اقواله فيها :

يا شعاعا يلوح في ظلمة اليأس ... ويخفي ، ماذا يطيق البصيص
لست الا وهما يراود عيني ... ويعيا بكشفه التشخيص
او شراعا أعيته ثائرة الموج ... فصدر يطفو ، وعجز يغوص
يا لنا طائرين ريعا عن الوكر ... فهاما ، والليل داج عويص
فهما في الظلام داع مهيض ، ... لسليم جناحه مقصوص

يا جمال الافكار ضقت بها خطوا ... وئيدا ، فكيف كيف النكوص
اي دنيا تلك التي غلبت فيها ... على الحق سفلة ولصوص
قال قوم : زماننا دون ازمان ... نقضت ، وأعوز التمحيص
انما الناس منذ كانوا : ضعيف ... لقوي ، وقانص وقنيص

الى ان يقول :

ايها المرتجي مكونا على الارض ... تهيأ ، فقد دعاك الشخوص

ويختم الاستاذ عزيز ضياء كتابه بمقتطفات من محاضرة حمزة شحاتة ، ويثبت قبلها شوارد من حكمه ، ومنها ، على سبيل المثال :

ـ الفاقة تقتل اشرف الدواعي في النفس .

ـ الهوان يصبح سهلا بالممارسة ، ككل شيء آخر .. وما اصدق المتنبي في قوله :

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت ايلام

ـ ما نفع الحرية لمن ليست له رغائب .

ـ عندما تتلامح عينان متفاهمتان ، يكون هناك لحن موسيقي مشترك.

ـ لا حد لبواعث الالم عند من يحس ويدرك .

ـ ليس في الدنيا تجارة يكثر فيها التغابن كالزواج .

ـ المعركة الابدية بين الرجل والمرأة غير متكافئة ، ينتصر فيها الرجل باستمرار ، ولكنه الضحية دائما .

واما محاضرته التي اشرنا اليها ، قبل قليل ، فمن مقتطفاتها ، قوله :

ـ الركود في تاريخ امة تتطلع الى ما وراء حدودها الجامدة ، شر من الخطأ .

ـ ادمان النظر الى الصورة الجميلة يفقدها شيئا من تأثيرها القوي ، كلما تجدد اليها النظر المشغوف وارتوى منها الحس المنهوم ، حتى تفقد مقدرتها على التأثير والاداء .

ـ ان كان الانسان المتحضر اليوم لا يعيش كما كان يعيش سلفه ، فان قلبه لا يزال ذلك القلب ، وقريحته الشعرية ما تزال تلك القريحة ، وما تزال اسباب الحب ومشاكله او ابتعاثاته واوهامه في نفس شاعر اليوم ، هي ذاتها في شاعر الامس .

وبعد ، فهذه قطوف دانية ، اخترتها من الروضة الغناء التي قدمها لنا الاستاذ الكبير عزيز ضياء ، ودلنا عليها صديقنا العزيز الاستاذ عبد العزيز الرفاعي . انها تدعونا دعوتين لا سبيل الى تسفيههما :

اولى الدعوتين : ضرورة المضي في الكشف عن جوانب غير معروفة من ادب حمزة شحاتة .

وثانية الدعوتين : مطالبة الاستاذ عزيز ضياء بالمزيد من التأليف ، واقترح عليه خصوصا الاتجاه نحو الكتابة الذاتية ، نظرا لكونه مهيأ بأسلوبه الآسر السلس للاجادة في هذا النوع من الكتابة .

فعسى ان تستجاب هاتان الدعوتان في وقت قريب ، فان في الاستجابة لهما خدمة كبرى لمسيرتنا الادبية الزاهرة .

فوزي عطوي

* * *

التعريف بالادب التونسي

تأليف رضوان ابراهيم ـ ٢٦٦ صفحة ـ الدار العربية للكتاب بتونس

عن الدار العربية للكتاب صدر اخيرا كتاب هام يحمل عنوان : « التعريف بالادب التونسي » تأليف الكاتب المصري المعروف المرحوم رضوان ابراهيم ، الذي سبق للتونسيين ان عرفوه من خلال دراساته النقافية والادبية طيلة ربع قرن في كل من « الصباح » ومجلتي : « الندوة » و « الفكر » التونسيتين .

والاديب رضوان ابراهيم من الكتاب المصريين العصاميين .. شق طريقه بنفسه رغم الاشواك والصعاب والدسائس والمناورات في عهد خلافات الاحزاب وتأزم الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في مصر قبيل ثورة ٢٣ يوليو ، التي اطاحت بالنظام الحاكم وقضت على البيروقراطية والفساد فيها .

ومع مرور الايام استطاع رضوان ابراهيم ان يفرض وجوده على الساحة الثقافية العربية وذلك بدمائة خلقه ، وقلبه الطيب ، واستقامته ، وايثاره لغيره ، وغيرته على الحق وعلى الشرفاء والمتعبين .

وواكب رضوان ابراهيم المسيرة تدفعه الرجولة الحق ويحدوه الامل في الانتصار والفوز وفي الزحف المملاق ، لان هذا الكاتب ظل دائما بعيدا عن الاضواء وعن التزلف المقيت ، فقد آمن منذ صغره بشرف الكلمة الحرة ، وبمجد الادب .

وأذكر انه قال لي ذات يوم في منزله بالقاهرة بصوت جهوري ينم عن جدية وتعلق بالمثل « لا بد ان يتحمل الادباء مسؤولية توعية الجماهير وان يسعوا في خلق عقلية الصمود والجلد والصبر ، فالعدل الاجتماعي والحرية مطمحان عزيزان، لكن من اولى من الادباء من الارشاد والتوجيه ؟ »

وادركت من قوله هذا ان الرجل يحمل هموم امته وواقعها المقهور ، وهو واع كل الوعي بمسؤوليته تجاه عصره ومشكلات جيله .

هذه المامة سريعة عن صاحب كتاب « التعريف بالادب التونسي » الصادر اخيرا عن الدار العربية للكتاب ، ونشر هذا الكتاب في هذه الآونة بالذات يعد مفخرة من مفاخر هذه الدار .. فالمفكر رضوان ابراهيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يستحق ان نجد نضاله الشريف ، وقلمه الحر ، ومواقفه الشجاعة الصلبة في مواجهة الاراجيف والزيف والتحديات .

صحيح ان كتابه « التعريف بالادب التونسي » قد حصلت فيه بعض الاخطاء التاريخية .. من ذلك ان المؤلف اشار الى ان البشير صفر كان من خريجي الزيتونة ومن اساتذتها الكبار . وذكر ايضا ان عبد العزيز الثعالبي يعد من شعراء تونس وانه من جيل الادباء الذين ظهروا بعد الشابي وانه طالب في كتابه « تونس الشهيدة » باعادة دستور ١٨٦١ ، وان على الدوعاجي رفض شروط الناشرين ، وان « البربر » اقلية مثل اليهود نزحوا الى تونس الخ ... (صفحات ٨٧ ــ ٩٥) .

نعم ! فمن الغريب ان ترد مثل هذه الاخطاء في كتاب رضوان ابراهيم في حين ان الحقيقة بعيدة كل البعد عن كل هذا ..

وقد وجدنا في ملاحظات وتعليقات الاستاذ ابو القاسم كرو ما فيه الكفاية في الرد على هذه الافتراضات .

فالبشير صفر المؤرخ لم يدرس بالزيتونة ولم يكن من اساتذتها ، والثعالبي لم يكن من الشعراء قط ولا من المتاثرين بالشابي لان ولادته كانت اسبق من الشابي .. الثعالبي ولد عام ١٨٧٤ والشابي في سنة ١٩٠٩ وهو من رجال الصحافة والاصلاح والوطنية وبرو كان منذ حركة علي باش حانبة (١٨٧٩ ــ ١٩١٨) في عام ١٩٠٤ . ومناداته باعادة دستور ١٨٦١ ليس بصحيح فالصواب هــو ايجاد نظــام دبمقراطي دستوري حر .

اما رفض الدوعاجي لشروط الناشرين فهذا ليس موجودا بالمرة ، لان قطاع النشر لم يدخله المحترفون كما اشار الى ذلك الاستاذ كرو في صفحة ٩٣ من الكتاب .

اما « البربر » كاقلية ، فهذا خطا ايضا ، فهم اغلبية سكان المغرب العربي .

وعلى كل فكتاب « التعريف بالادب التونسي » لرضوان ابراهيم الذي يقع في ٢٦٦ صفحة وقدم له الاستاذ ابو القاسم محمد كرو يعد وثيقة هامة عن ادبنا التونسي منذ ظهور الطباعة (١٨٧٠) الى اليوم .

وقد قسمه مؤلفه الى ثلاثة ابواب رئيسية :

(أ) ما تم ترجمته عن ادبنا في اللغة الروسية : (بعض قصص لمحمود طرشونة ، ومحمد المرزوقي ، والطيب التريكي ، وناجية ثامر ، ومحمد فرج الشاذلي ، ومحمود طرشونة ، ومحمود بولعيد ، ومحمد الصاحبي الحاج ، والعروسي المطوي ، ورشاد الحمزاوي) .

(ب) ما كتبه المؤلف عن مؤلفات الشابي او كتب عنه (اغاني الحياة ــ رسائل الشابي للحليوي ــ مذكرات الشابي ــ محاضرة العروسي المطوي عن الشابي ــ كفاح الشابي ، والشابي حياته وشعره لكرو) .

(ج) ما كتبه رضوان ابراهيم عن الكتب التونسية التالية واغلبها نشر في « الفكر » و « الصباح » و « الصدى » و « الاديب » واذاع بعضها في حصته الادبية باذاعة الكويت الشقيق ، وهذه الكتب هــي : « حصاد القلم » و « عبد الرزاق كرباكة » : تاليف ابو القاسم محمد كرو و « الحركة الادبية والفكرية في تونس » و « تراجم الاعلام » لمحمد الفاضل ابن عاشور و « في الادب التونسي » لمحمد الحليوي و « اعلام من بنزرت » و « رواد الاصلاح » لرشيد الذوادي .

ان رضوان ابراهيم بوضعه لهذا الكتاب يكون قد ادى جميلا نحو التونسيين ومن حقه علينا ان نكرمه بعد موته فننشر ما ترجمه عن الادب التونسي في اللغة الروسية وهو كتاب هام جدا عهد بنشره الى الدار التونسية للنشر منذ عام ١٩٧١ وطالما حدثني عنه في رسائله او جلساته في القاهرة .

فهل نقف مكتوفي الايدي امام هذه الامنية السهلة خصوصا ورضوان ابراهيم قضى ربع قرن في خدمة ادبنا عن طريق مجلات الشرق العربي واذاعاتــه !

بنزرت ــ تونس — رشيد الذوادي

* * *

الفأس الذهبية

قصص وحكايات .. للاطفال

ترجمة عيسى فتوح ــ ١٢٠ صفحة ــ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ــ مطبعة وزارة الثقافة بدمشق

في سلسلة الكتب التي اصدرتها وزارة الثقافة السورية عام ١٩٧٧ الكتاب الذي نحن في صدده وهو يضم قصصا مترجمة للاطفال .. ومن الملحوظ ان وزارة الثقافة بدأت تولي اهتماما زائدا بأدب الاطفال الذي نحن بأمس الحاجة اليه بالنسبة لجيلنا الناشىء المتعطش للثقافة والفكر فكما ان هناك ادبا للكبار فكذلك لا بــد من وجود ادب للاطفال وهو يساير احاسيسهم ومفاهيمهم ويعالج قضاياهم .. اذ ان للطفل عالما فسيح الارجاء يجب تغطيته في القصة والشعر والنثر .

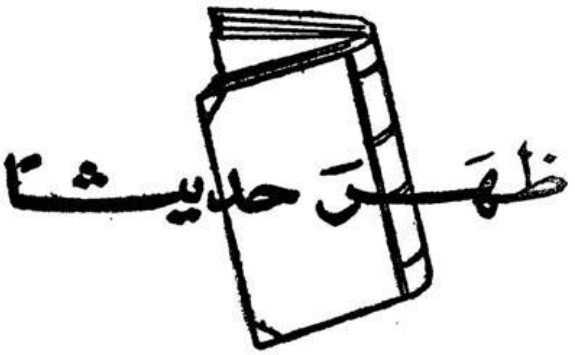
ومن ألمع الذين انبروا لهذا الادب في القطر العربي السوري سليمان العيسى وزكريا تامر وعادل ابو شنب ومصطفى عكرمة وفاضل السباعي ومحمد قرانيا وعيسى فتوح وحسيب كيالي واسكندر لوقا وغيرهم كثير ونستطيع ان نقول ان كل كاتب او شاعر سوري حاول ان يدلي بدلوه في هذا الميدان .. وهذه بادرة طيبة من الاخوة الادباء لان ميدان ادب الاطفال بحاجة الى اقلام هؤلاء الكتاب والى اعمال فكرهم في سبيل هذا الجيل الناشىء المتفتح .

وقد استطاع الاستاذ عيسى فتوح الذي نحن بصدد كتابه « الفأس الذهبية » ان يترجم مجموعة قصائد شعرية للشاعرة البلغارية ليدا ميلفا ومجموعتين قصصيتين وهذا اسهام جيد من اديب واحد في مجال ادب الاطفال ولو حاول كــل اديب في سورية ، ان يسهم بدوره في الكتابة للاطفال لاصبح رصيد هذا الادب يعتز به امام الآداب الاخرى في العالم .

ومن خلال استعراضنا للقصص المترجمة في الكتاب تبين لنا انها تضم (١٦) قصة منتقاة من قصص الشعوب الصينية والرومانية والاستونية واللاتفية والليتوانية والاوكرانية ... الخ . وهــي ذات طابع تربــوي هادف ينمي حس الشعور بالواجب والجد والسعي للاحسن والافضل كما انها الى جانب كل ذلك تنمي خيال الطفل العربي وهي بهذا الشكل تسد ثغرة في مجال ادب الاطفال الذي نحن بأمس الحاجة للعناية به وتشجيعه .

دمشق ــ الجسر الابيض — حسان بدر الدين الكاتب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



● امطار الربيع الدافئة ـ مجموعة شعرية ـ محمد منذر لطفي ـ لوحة الغلاف لمحي الدين اللباد ـ الخطوط الداخلية لفايز قباني ـ ١٦٤ صفحة ـ منشورات دار الثقافة ـ مطبعة الثبات بدمشق .

● الراعية ـ مجموعة قصص ـ تأليف جميلة العلايلي ـ ٢٣٨ صفحة ـ منشورات مجمع الادب العربي ـ مطبعة عابدين (القاهرة) .

● الموسوعة الموجزة ـ تأليف حسان بدر الدين الكاتب ـ المجلد ٢ الجزء ٧ حرف خ ـ ٨٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع ألف باء ـ الاديب بدمشق .

● حوار الابعاد الثلاثة ـ شعر ـ حسين علي محمد ومحمد سعيد بيومي ومصطفى النجار ـ الرسوم ليوسف غراب ـ ١٨ صفحة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● نظرات آسرة ـ شعر ـ وليد حجار ـ ٥٢ صفحة ـ المطبعة الحديثة في حماه سورية .

● الطائران والعلم الابيض ـ شعر ـ مصطفى النجار وعلي الرباوي ـ ٤٨ صفحة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) ـ (صدر في حلب) .

● الاحزاب السياسية ـ تأليف موريس ديفرجيه ـ ترجمة علي مقلد وعبد الحسن سعد ـ الطبعة الثانية ـ ٤٢٤ صفحة ـ منشورات دار النهار للنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الحركة العربية : المرحلة الاولى للنهضة العربية الحديثة (١٩٠٨ ـ ١٩٢٤) ـ تأليف سليمان موسى ـ الطبعة الثانية ـ ٦٨٠ صفحة ـ منشورات دار النهار للنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨ ـ ١٩٣٩ ـ تأليف ألبرت حوراني ـ ترجمة كريم عزقول ـ الطبعة الثالثة ـ ٤٨٠ صفحة ـ منشورات دار النهار للنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الموسوعة الموجزة ـ تأليف حسان بدر الدين الكاتب ـ المجلد ٢ الجزء ٨ حرف د ـ ١٥٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع ألف باء ـ الاديب بدمشق .

● خليل جرجس خليل .. شاعرا وباقة حب اليه ـ تأليف حسني سيد لبيب وحسين علي محمد ـ الرسوم ليوسف غراب ـ ٤٢ صفحة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) ـ (صدر في القاهرة) .

● مدرسة اللقلق ـ قصص وحكايات للاطفال ـ ترجمة عيسى فتوح ـ صممت الغلاف بتول ملاطيه لي ـ ٨٨ صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ مطبعة وزارة الثقافة بدمشق .

● الفاس الذهبية ـ قصص وحكايات للاطفال ـ ترجمة عيسى فتوح ـ صممت الغلاف بتول ملاطيه لي ـ ١٢٠ صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ مطبعة وزارة الثقافة بدمشق .

● حمزة شحاتة ، قمة عرفت ولم تكتشف ـ تأليف عزيز ضياء ـ العناوين لمحمد كليب الحارثي ـ ١٠٤ صفحات ـ منشورات المكتبة الصغيرة رقم ٢١ ـ مطابع اليمامة بالرياض .

● الملخص لكتاب العرب واليهود في التاريخ ـ تلخيص وتبسيط جعفر الخليلي ـ تقديم طارق عزيز وزير الاعلام ـ تصميم الغلاف والداخل نضال الآغا ـ الخطوط ارضا الخطاط ـ ١٤٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات وزارة الاعلام العراقية ، سلسلة دراسات رقم ١٢١ ـ دار الحرية للطباعة ببغداد .

● مع ادب الرسائل ـ تأليف ناجي جواد ـ الجزء الاول ـ ٢٩٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● المقدمة ـ القسم الاول ـ الآثار العربية الكاملة ـ تأليف شارل مالك ـ ٥٠٦ صفحات ـ منشورات دار النهار للنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الصراع الدولي في الشرق الاوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ـ تأليف زين نور الدين ـ الطبعة الثانية ـ ٣٢٨ صفحة ـ منشورات دار النهار للنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● دراسات في الفكر العربي ـ تأليف ماجد فخري رئيس دائرة الفلسفة في الجامعة الاميركية في بيروت ـ طبعة ثانية منقحة وموسعة ـ ٣١٢ صفحة ـ منشورات دار النهار للنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الحب الكبير ـ الاعمال الشعرية الكاملة للشاعر ـ صفاء الحيدري ـ ٥٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الاديب البغدادية بغداد .

● الشعراء الشاميون ـ تأليف خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق ـ حقق المخطوطة وقد لهـا : عدنان مردم بك ـ ٣٠٤ صفحات ـ منشورات دار صادر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الدكتور احمد سوسه ، مؤلفاته ، آثاره ـ اعداد طارق الخالصي ـ ٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الاديب البغدادية .

● اذكر ، كنت نقطة ، كنت دائرة ـ قصيدة نثرية مطولة ـ هدى النعماني ـ الرسوم لغياث الاخرس ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات دار النهار للنشر ببيروت ـ مؤسسة خليفة للطباعة ، البوشرية بيروت .

● دير ياسين ـ مسرحية شعرية ـ عدنان مردم بك ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات مؤسسة الرسالة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية : شمال المملكة : امارات حايل والجوف وتبوك وعرعر والقريات ـ تأليف حمد الجاسر ـ القسم الاول (أ ـ ح) ـ ٤٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة نصوص وابحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب رقم ١٩ ـ منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض ـ المطبعة العربية الحديثة بالقاهرة .

اشتركوا في مجلـة

الاديـب

تساهموا في نشر الثقافة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مولانا محمد علي الزعيم الهندي

١٨٧٨ — ١٩٣١

بقلم عجاج نويهض

* * *

هو والشاعر الفيلسوف محمد اقبال (١٨٧٣ — ١٩٣٨) او الفيلسوف الشاعر ، كفتا ميزان في الغاية التي يرميان اليها وهي النهج بالاسلام نهجا حرا نقيا ، والمسلمون بيضا وسمرا وسودا ، اسيويا وافريقيا ، متحررون من الاجنبي . وانما يختلفان في الطرق والوسائل . فمولانا محمد علي منهاجه ان يعمل توا في تحريك العضو المسلم في جسم السوسيولجيا الاسلامية ، ليكون مجرى التاثر والانفعال يمشي في شرايين المسلمين جميعا ، وتعزيب المسلم من ارتضاع المثل الاسلامية العليا ، وتغذيته بثمار الاخوة الاسلامية فيقلبه . اما صنوه محمد اقبال ، فهو آخذ بهذا ، ولكن المحرك عنده ان تعود روح الاسلام كالنفحات العلوية مقتبسة من عصر النبوة والسعادة ، عصر الراشدين والتابعين ، فيزهر الاسلام بأبطال جدد على غرار الاولين ، فتصطلح الامة وتستمسك بالصراط المستقيم . محمد اقبال اعظم شاعر مسلم صوفي في الزمن الحديث(١) .

وكأني بهما في الفرق بينهما وسائل وطرقا واساليب ، كالفرق على ما يرى بين السيد جمال الدين وتلميذه الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، رضي الله عنهم اجمعين : السيد جمال الدين كان لشدة شوقه ، ونار ايمانه والمتانة في رباطة جاشه ، يعتقد ان البدء بتغيير الدساتير المقيدة للمسلمين ، وخلع الجالسين على كراسي الحكم هما مفاتيح البداية . اما تلميذه فخر العقول ومشرق النبوغ الاستاذ الامام ، فبعد تجاربه الحلوة والمرة مع استاذه السيد جمال الدين ، وبعد عودته الى القاهرة بعد المنفى اثر حركة عرابي ، وبعد انتقال جمال الدين من لندن وهو هناك طليق « الى القفص الذهبي » عند عبد الحميد ، فأمسى هنا مقيدا حبيسا ، تفرد الاستاذ الامام بأسلوبه الذي فطره الله عليه وهو ان يكون معلما مهذبا مدرسا ، يتعاطى وعقول الناس ، الناس جميعا ، على اختلاف طبقاتهم ، ما يتعلق باصلاح نفوسهم بان يفهموا كتابهم الكريم فهما صحيحا لا عوج فيه ولا امت . لخيرهم في دنياهم واخراهم . هذا بكلام آخر يدخل في ان الاستاذ الامام يعتقد بالتربية واصولها ، والتربية هي للنفوس كالغذاء للاجسام ، وكلاهما ، الاستاذ وتلميذه — جمال الدين ومحمد عبده ، الى « طاحونة » واحدة والفرق بين الرجلين في الاصلاح ظاهر لا يحتاج الى شرح .

اما السيد عبد الرحمن الكواكبي فاخذ من الرجلين او الاسلوبين ، ولكن طرائقه عملية لا نظرية ، وليس بوسعنا هنا الاستطراد الواسع في هذه النقاط التي تمثل اصفى عقول رجال الاصلاح في العالمين العربي والاسلامي في العصر الحديث . وانما الشيء الجديد الذي طرأ على روح الحضارة السائرة اليوم ، هو جبروت التكنولوجيا ، مما لم يخطر على بال البشر من قبل .

ذكرنا في مطلع هذا الفصل المشابهة في المثل الاسلامية بين مولانا محمد علي والفيلسوف الشاعر محمد اقبال . وها نحن عائدون الى مولانا محمد علي ونقول ان كليهما ، عليهما رحمات الله ورضوانه ، توفيا قبل الحرب العالمية الثانية ، فمحمد علي كانت وفاته سنة ١٩٣١ ومحمد اقبال ١٩٣٨ وكان قد اشترك في المؤتمر الاسلامي في القدس آخر ١٩٣١ واوائل ١٩٣٢ .

والاسباب الداعية لوضع هذا الفصل في مولانا محمد علي ، ويشاركه فيه الى حد اخوه مولانا شوكت علي ، هو ما كان لهما من الصلة الوثيقة الواشجة بفلسطين والعمل النضالي في الهند من اجلها ، وكيف نشأت تلك الصلة ونمت وامتدت . ثم ان مولانا محمد علي واخاه من شخصيات العالم الاسلامي البارزة وقد عرفناهما رحمهما الله خبطا خيطا ، منزعا منزعا ، ولا يتسنى لاحد ان يعلم عظمة النفوس الكبيرة في هذه الدنيا الا بالمجاورة وعن كثب . وهذا كله لعمري يؤلف جانبا من تاريخ فلسطين ، وانا الى اليوم لا اصدق ان فلسطين كلها يبتلعها اليهود واميركا والدنيا تظل قائمة : فاما ان يستيقظ العرب استيقاظة حقيقية فعالة قبل فوات الاوان ، واما لا سمح الله ان يغلب اليهود والعرب بين النوم والتثاؤب ، وهناك الذل وليس للعرب المعاصرين بل لعرب المستقبل وللاجنة التي لا تزال في ارحام امهاتها .

علينا ان نعرف اولا (بتشديد الراء) بالاخوين شوكت علي ومحمد علي ، تعريفا عاما ، وهذا يشملهما معا لانهما كانا في قرن واحد (بفتح الراء) في اشواط التعلم والدراسة في الهند وبريطانيا . فقد كان تخرجهما معا من جامعة (عليكره) الشهيرة في الهند ثم درسا في اكسفورد الدراسات العالية . فهما في نهاية القرن الماضي وبداية الحاضر كانا من ابرز متثقفة الهند المسلمين ، وكانا على غاية الاناقة في المظهر واللباس على غرار مقلدة الافرنج ، ثم انقلبا ونبذا اللباس الافرنجي واستمسكا باللباس الوطني الهندي الى

---

(١) شعراء الاسلام في هذا الزمن الحديث — احمد شوقي ، ومحمد اقبال ، ومحمد عاكف (في الامة التركية) وثلاثتهم كانت وفياتهم في العقد الرابع من هذا القرن .

آخر حياتيما . واتفق ان ظهور الاخوين على المسرح السياسي الهندي وطنيا ، كان مصاحبا لنهضة الهند الاسلامية . فاخذا بالعنانين معا . ومعلوم ان نهضة الهنادك ، جماعة المهاتما غاندي سبقت نهضة المسلمين .

والدولة الاسلامية التي جعل مسلمو الهند في نهضتهم يعلقون عليها الآمال ويساندونها في سياستها الاسلامية والعالمية هي الدولة العثمانية فكان مسلمو الهند مع الدولة في حرب طرابلس الغرب (١٩١١ — ١٢) وحربي البلقان الاولى والثانية والحرب العالمية الاولى ، حتى كانوا معارضين للملك حسين بن علي في ثورته على الاتراك ١٩١٦ محالفا الانكليز ضدهم .

ان مولانا محمد علي دخل في اول ادوارته في خدمة حكومة الهند ولكن لم يلبث طويلا حتى استقال وانقطع الى الصحافة الهندية الاسلامية وانغمس هو واخوه في الحركة الوطنية الهندية ، فلما وقعت الحرب العامة الاولى ١٩١٤ ودخلتها تركيا الى جانب المانيا تعقدت الامور في الهند من جهة المسلمين نحو بريطانيا ، ومن جهة السياسة البريطانية نحو مسلمي الهند والعالم الاسلامي ، وخاصة لما اعلن الحسين بن علي سنة ١٩١٦ الثورة ، ومسلمو الهند ضد هذا . ولما هزمت تركيا في نهاية الحرب زاد ذلك في الم مسلمي الهند ، وهم كانوا لا يزالون معتصمين بأهدابها لاعتقادهم انها دولة الاسلام . فماذا صنع مسلمو الهند ، وقد لاحت مخططات تقسيم تركيا ؟ انهم الفوا وفدا سموه « وفد الخلافة » برياسة مولانا محمد علي وبعثوه الى لندن وباريس ليحتج على تقسيم تركيا . وكانوا يجمعون الاموال الطائلة باسم « الهلال » عونا لتركيا — الدولة الاسلامية . وهذا الوفد الاسلامي الهندي تابع في مجرى سياسته الى « لجنة الخلافة » في الهند جمعاء ، فهي رأس الهرم ، ومعقد الرابطة العليا وبقيت سنين بهذا الاسم ، حتى وبعد صيرورة دولة الخلافة جمهورية علمانية على يد مصطفى كمال ، بعد انتصاره على فنزيلوس واليونان ، وبعد اقتباس القوانين السويسرية المدنية وتبديل الحروف العربية باللاتينية ومدابرة العالم الاسلامي والثقافة العربية .

وامتلاك السيطرة والنفوذ من « لجنة الخلافة » — وهي رأس الهرم — على مسلمي الهند كان شيئا عظيما . اذ كانت ممثلة في المدن والحواضر بالفروع والمنظمات والمكاتب والصحف في طول البلاد وعرضها . هذا دور من ادوار الكفاح الوطني في الهند . وفي هذا كله برزت شخصيتا مولانا شوكت علي ومولانا محمد علي البروز كله ، وفي نهاية الحرب الاولى الى عقد الصلح مع تركيا في سويسره سنة ١٩٢٣ كانت الصحف والشركات(٢) العالمية البرقية اذا ما اشارت اليهما تالت على الطريقة الإنكليزية « اخوان علي » او « علي اخوان » ، ومن شدة الرغبة في اتخاذ الشعارات الاسلامية انهم جعلوا نظارات العيون زجاجها او بلورها على شكل هلالي . وبقي مولانا محمد علي على هذا الى آخر حياته . وفي خوض الحركة الوطنية سجن شوكت علي ومحمد علي سنتين في الهند(٣) .

فلما جاءت سنوات ما بعد الحرب الاولى ، وقسمت تركيا نظريا ثم حررها مصطفى كمال ، وجزئت الاقطار العربية وفرضت عليها « الانتدابات » لمصلحة الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، واشتعلت الثورات في العراق ومصر وسوريا ، كانت الهند الاسلامية كأنها في مقلى على النار . في هذه الآونة التاريخية ، ولا من صلة من قبل بين فلسطين والهند الاسلامية ، او في هذه اللحظة السيكولوجية كما يقولون ، انبثقت الصلة انبثاثا غزيرا وهاجا ، وربطت بين المجلس الاسلامي الاعلى بفلسطين ورئيسه السيد الحلاحل محمد امين الحسيني(٤) ، وبين مسلمي الهند ، وعلى رأسهم مولانا شوكت علي ومولانا محمد علي ربطا دام الى النهاية ، وهذا ما نحن باسطوه هنا بسطا وافيا خدمة لتاريخ فلسطين ، وزرعا لهذه الحقائق في اذهان العرب الناشئين ، وبالله نستعين .

في تلك الفصول الستة المنشورة في « الاديب » سنة ١٩٧٥ (من ابريل الى سبتمبر) وفيها مجمل سيرة السيد الحسيني ووصف كبريات مآثره في فلسطين وفي مؤتمر مكة الاسلامي ١٩٢٦ ، مما نشرناه هناك ، وصف مشروع عمارة المسجد الاقصى المبارك (الاديب عدد يونيو ١٩٧٥) وصفا يغنينا عن اعادته هنا ولو مجملا .

ونقول انه بعد الشروع في تنفيذ مشروع العمارة ١٩٢٣ شرع المجلس الاسلامي الاعلى ، وروحه المحركة السيد الحسيني نفسه ، يبعث الوفود الى العالمين العربي والاسلامي (والحسيني نفسه كان رئيس وفد مصر ورئيس وفد العراق والخليج العربي وفي هذا الوفد الاخير كان من اعضائه محمد علي علوبة باشا وزير الاوقاف المصرية سابقا) لجمع الاعانات والتبرعات ، وكان وفد الهند مؤلفا من الشيخ محمد مراد مفتي حيفا وعضو المجلس الاسلامي ، والشيخ ابراهيم الانصاري من سدنة الحرم الشريف والاستاذ جمال الحسيني سكرتير المؤتمرات الفلسطينية

---

(٢) الى نهاية الحرب الاولى لم يكن في المملكة العثمانية من شركات اخبار برقية سوى « روتر » الانكليزية و « هافاس » الفرنسية .

(٣) راجع ص ١٢٣ من الجزء الرابع المجلد الثاني من « حاضر العالم الاسلامي » — الطبعة الرابعة في بيروت ١٩٧٣ — تجد تفصيلا عن هذا كله وعن الاشارة الى « وفد الخلافة » ١٩١٩ برياسة مولانا محمد علي الى لندن ومؤتمر الصلح ليحتج على تقسيم تركيا . ولجنة الخلافة في الهند عاشت زمنا طويلا كما عاشت كلمة « الوفد المصري » وسعد زغلول ، في مصر ثم « الوفد » و « الوفديين » .

(٤) راجع « الاديب » عدد اغسطس ١٩٧٥ وهذا من فصولنا الستة التي تنطوي على سيرة سماحة السيد الحسيني رضي الله عنه .

الوطنية ، فتلقت الهند هذا الوفد برا وترحيبا ، وكان مولانا شوكت علي ومولانا محمد علي معربين عمليا عن الاخوة الاسلامية اعرابا جعل الوفد يعود موفقاً ، وقد توطدت الصلات بين الهند وفلسطين ، ولكن هذا كله كأنه قذى في عيون الصهيونية . ولما رجع الوفد ظافرا هللت له فلسطين(٥) .

وبينما عمارة المسجد الاقصى المبارك سائرة سيرها الموفق حتى الانتهاء سنة ١٩٢٩ حصل في ١٩٢٦ ان دعا جلالة الملك عبد العزيز الفيصل آل سعود الى مؤتمر عالم اسلامي في مكة المكرمة للبحث في شؤون المصالح الاسلامية العليا في الحجاز ، ودعي سماحة السيد الحسيني بصفته الشخصية وبصفته رئيس المجلس الاسلامي الاعلى عن فلسطين فلبى الدعوة بوفد(٦) واشترك في اعمال المؤتمر ومقرراته اشتراكا تاما ، ولقي وفد الخلافة الهندي(٧) وعليه مولانا محمد علي ومولانا شوكت والسيد شعيب قرشي والعلامة الشيخ سليمان الندوي وغيرهم من كبار الشخصيات الاسلامية المليئة . ووفق المؤتمر في اعماله ومقرراته وكان من جملة ذلك ان يعقد كل سنتين او ثلاث سنتين مرة ، ولكنه لم يعقد بعد ذلك قط ، بل عقدت مؤتمرات شتى منذ ذلك الحين تداوي اوجاع العالم الاسلامي من نواح مختلفة (راجع مقالنا في « الاديب » عدد اغسطس ١٩٧٥) .

واما الصهاينة في فلسطين فقد راحوا يحرقون الارم على كل ما اتبعته حركة اصلاح الاقصى المبارك من نوامي الروابط الاسلامية حول فلسطين ، وكانت صحفهم تنفث السم جهارا وبلا حياء ، كأن فلسطين باتت لهم . ويؤخذ من مذكرات الكولونل كيش اليهودي البريطاني(٨) رئيس مكتب اللجنة التنفيذية الصهيونية ان ذلك الشعور الخبيث صارت اللجنة الصهيونية تبسطه لحكومة فلسطين في القدس ولحكومة لندن الام . وسنرى عواقب هذا عما قريب . والسيد الحسيني قافلته ماضية قدما في داخل فلسطين والعالمين العربي والاسلامي . اما مشروع عمارة المسجد الاقصى فقد انجز بتوفيق الله وغيرة المسلمين . واستمر مشروع العمارة ست سنوات متواليات الى ١٩٢٩ وهنا دعا السيد الحسيني شخصيات عربية اسلامية من مصر ولبنان وسوريا والعراق والاردن للاحتفال بانجاز المشروع العظيم ، ووفودا من اقطار اخرى ، ووضعت برامج سخية لمدة اسبوع . فأمت الشخصيات والوفود القدس واستقبلت خير استقبال وبقيت الحفلات والخطب والمهرجانات طول الاسبوع ، وميادين الحرم وساحاته تعج بآلاف الناس ، فاعتز الشعور وطغى المظهر الروحي الخلاب على جميع الناس كأنهم اسرة واحدة وهذا الاسبوع لا ينسى في تاريخ الحاج محمد امين الحسيني وتاريخ فلسطين وقد مضى عليه نصف قرن تقريبا .

سنة ١٩٣٠ قام مولانا محمد علي بسياحة في الشرق الاوسط وغايته منها دراسة احوال المسلمين عن كثب . ولما وصل الى سوريا لم يجد مضايقة من الفرنسيين كما كان يتوقع ، وخاصة لما علموا انه يريد زيارة فلسطين ؛ ووقتها كان التهويد في فلسطين طاغيا والبلاد تستصرخ من يسرع لنجدتها . وكأن الفرنسيين احبوا ان يرى الزعيم الهندي العظيم ما هو حال بفلسطين من الويل . وقابل مولانا محمد علي المفوض السامي الفرنسي واعوانه مقابلة مجاملة مع حديث موجز ، لبابه موقف فرنسا من العالم الاسلامي .

ابرق السيد الحسيني الى مولانا محمد علي يدعوه

---

(٥) زيادة في توثيق هذه الصلات ، ارسلت لجنة الخلافة مع الوفد الفلسطيني الشيخ حسن الانصاري الهندي (انصاري الهند غير انصاري القدس) ليكون متوليا على زاوية حجاج الهند في القدس مسؤولا ماليا الى المجلس الاسلامي الاعلى ، فاقام الشيخ حسن بمهمته قياما حسنا ومعلوماتنا عنه تنتهي ١٩٤٨ . وفي القدس زوايا اسلامية كثيرة وبعضها يرجع الى عهد صلاح الدين ، ومن تلك الزوايا العامرة زاوية « ابي مذين الغوث » المجاورة لمكان « البراق الشريف » في الناحية الغربية من جدار المسجد الاقصى المبارك . وهذا الجدار يعتقد اليهود ان مداميكه السفلى باقية من الهيكل الذي بناه لهم الملك هيرودس ، (وهيرودس ليس يهوديا بل ادومي من جهة بئر السبع ٣٧ ق.ب — بعد المسيح) . ولكن هنا « مربط البراق الشريف » فاتخذ اليهود المداميك السفلى مبكى لهم وسنة ١٩٢٩ كانت الثورة العربية الفلسطينية المسماة « بثورة البراق » لعدوان اليهود على هذا المكان .

(٦) كان مؤلفا من سماحة السيد الحسيني رئيس المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى والشيخ اسماعيل الحافظ (من اعلم علماء العصر) مفتش المحاكم الشرعية ورئيس الكلية الاسلامية في القدس ، وكاتب هذه السطور . والشيخ الحافظ هو والد الاستاذ امين الحافظ من ابرز ساسة لبنان ورئيس وزارة سابقا .

(٧) الصحيح ان كان للهند الاسلامية الى المؤتمر ثلاثة وفود : وفد لجنة الخلافة هذا ، ووفد علماء الهند ، ووفد الدعوة السلفية ، والدعوة السلفية هذه تمت بصلة كبيرة الى الحركة الاصلاحية التي قام بها محمد بن عبد الوهاب . وعرفت « بالوهابية » بوقتها . وفي «التصويت» على المقررات كان كل وفد وشأنه حسب مجراه الاسلامي .

(٨) هو بالعربية « قيس » وهذا الاسم ورد عند اليهود في التوراة قليلا ، وشاول وهو اول من جعلوه ملكا فيهم اسم ابيه « قيس » . وكيش هذا كان في الحرب الاولى في الفرقة الهندسية في العراق . وبعد الحرب في مؤتمر الصلح كان من اللاصقين بالرئيس الدكتور ولسون الاميركي في باريس ، لصوق العلقة بالجسم لتشربه المخطط الصهيوني ، فكان كيش من الذين عملوا في هندسة معاهدات الصلح هو ونفر صهيوني ارتدوا اوشحة الخفاء ، او اتخذوا اسماء غير اسمائهم الحقيقية ، وراحوا ينثرون الرقى والتعاويذ الصهيونية حول الرئيس ويلسون الاميركي ولويد جورج البريطاني . ومن سنة ١٩٢٢ — ١٩٣١ كان رئيس المكتب التنفيذي للوكالة اليهودية في القدس وله قصص غريبة تتعلق « ببروتوكولات حكماء صهيون » . وله مذكرات اسمها « يوميات فلسطين » فيها كثير من الخلط والاكاذيب وقد اطلعنا عليها . وهو كان في عمله لما وقعت ثورة البراق سنة ١٩٢٩ وهنا ارتكب افحش الكذب في يومياته . وفي الحرب الثانية كان في الفرقة الهندسية البريطانية في تونس ١٩٤٣ فقتل بحادث .

بالحاح لزيارة فلسطين . فاجاب باستعداده للتلبية ليحلي في اولى القبلتين وثالث الحرمين ، وبينما يستعد الحسيني والمجلس الاسلامي والبلاد لاستقبال الضيف الكبير . وبعد يومين او ثلاثة ، والظن ان لا عتبة من جهة الانكليز المتهودين في القدس ، علمنا ان مولانا محمد علي وصل بسيارته الى الحدود قرب طبريا فمنعه الضابط المسؤول عن الدخول مع انه معه « فيزا » من القنصل البريطاني في دمشق . وعبثا حاول مولانا محمد علي اقناع الضابط ، وظهر انه يهودي . فرجع الى دمشق وهو متحرق ، وارسل الى السيد الحسيني برقية يوجز فيها قصته المؤلمة .

وهنا لا بد من موقف لا تراجع عنه ، حتى ولو ادى الى استعمال العنف مع السلطة المسلحة . والسيد الحسيني من اخص صفاته مواجهة الطوارىء ، بحزم وحكمة وروية ، وسرعة التنفيذ . هذا الخلق فيه بدا يتجلى منذ كان صغيرا في حي آل الحسيني في القدس ، واليهود وقتئذ حثالات متناثرة . فقامت المشكلة مع الحكومة البريطانية اسما اليهودية فعلا في القدس . فعقد السيد الحسيني اجتماعا خاصا جدا ، ومقرراته : اولا — الطلب من الحكومة المركزية في القدس باسم المجلس الاسلامي الاعلى الا تعارض مولانا محمد علي الزعيم المسلم الهندي في دخوله فلسطين بلا اي عائق على الحدود . ثانيا — ان عرب فلسطين مسلمين ومسيحيين لا يمجزهم ان يدخلوا هذا القادم الضيف الى فلسطين على اية حال اذا وجب الحال . ثالثا — يجتمع المجلس الاسلامي الاعلى على تصرف حكومة فلسطين في هذه القضية فتمنع مولانا محمد علي من زيارة المسجد الاقصى بينما تدخل الى فلسطين كل شهر من شذاذ اليهود تحت اسم الهجرة اليهودية عدة آلاف . رابعا — ان ينتدب رسول من قبل المجلس وسماحة رئيسه واعضائه يذهب الى دمشق لاحضار مولانا محمد علي . خامسا — يذهب وفد الى طبرية على رأسه الشيخ محمد مراد عضو المجلس ورئيس وفد فلسطين الى الهند قبل ٧ سنين وصديق مولانا محمد علي لاستقبال الضيف . واتخذت في القدس وطبريا الاحتياطات اللازمة .

اني لما وصلت دمشق كنت فارقتها في ايلول ١٩٢٠ وما عدت رأيتها قط ، فعجبت من مرض السل في « الاستعمار » الفرنسي . نزلت في فندق متواضع ، واطلقت على نفسي اسم « جورج اللبناني » اذ خشيت ان يخترع لي الامن الفرنسي قصة من اسمي الحقيقي ، واشتريت قبعة اعتمرتها ، وفي الليل عرفت اسم الفندق الذي ينزل فيه مولانا محمد علي ، فاذا به « دامسكوس بلاس » اعرفه جيدا اذ كان نازلا فيه الامير عادل ارسلان وهو « معاون الحاكم العسكري العام » لسوريا علي رضا الركابي زمن الحكومة العربية (١٩١٨ — ١٩٢٠) وما اكثر ما كنا نجعل زيارتنا للامير عادل في مسكنه في فندق « دامسكوس بلاس » في صباح كل يوم تقريبا انا وصديقي الاديب السياسي السفير عبدالله النجار رحمه الله .

فجئت الفندق في نحو العاشرة صباحا ، وسالت اين ينزل عندكم الضيف الهندي الكبير مولانا محمد علي ، فدللت على الطابق والشقة ورقم الغرفة ، ولكنني خشيت ان يكون مني تصرف ما ، يخلق الشبهة بي لما صرت الح تغيرا في اوضاع الفندق . فلما وصلت امام الشقة المقصودة وجدت شابا يظهر انه غريب ، واذا قلت غريبا فمعنى ذلك انه « جاسوس » على مولانا محمد علي . وعلى كل سألته بصفتي « جورج وقبعة » : اهذه غرفة الضيف الهندي ؟ فقال نعم . ففتحت الباب واغلقته ورائي بسرعة كي لا يلاحظ « الغريب » الجالس في الكرسي حرارة السلام والقبل ورقص الايدي .

فلما وقع نظر مولانا محمد علي علي ، فاذا به يصيح من عمق قلبه يا حبيبي فلان كيف الله ارسلك الي وانا في مشكلتي مع الحكومة اليهودية في فلسطين . وتعانقنا ، وكان ضم الى الصدر ، وحركات كثيرة كلها من حرارة البهجة . فقلت له علي في نصف ساعة ان استمع الى « القصة » من جهتك ، ثم تستمع الى « القصة » التي انا حاملها لك من القدس . فكان كل هذا ، ثم رجوت منه اننا نيمم وجوهنا شطر فلسطين صباح غد ان شاء الله ، وما عليه الا ان يهيىء حقيبته . فسألني اين تمضي الوقت انت ؟ فاجبت (وكنت اخبرته عن اسمي المنتقل الى «جورج» وان القبعة بدلا من الطربوش) اني سأقبع في الفندق ولا اخرج ، وفي المساء اهيء طعاما للطريق وماء . فقال كل هذا حسن وحتى لا يطول مقامك عندي الآن ، فهذا الشاب الذي في الممشى جاسوس السلطة الفرنسية علي ، فانتبه .

فما كدت انهض لاودعه الى صباح اليوم التالي ، حتى فتح الباب ، فتحه الشاب الجاسوس ، ودخل فورا ضابط فرنسي كبير ويظهر من شاراته العسكرية انه عالي الرتبة ، فتنحى عني جملة مولانا محمد علي وسلم على هذا الفرنسي العسكري الكبير سلام الاحترام وهو في السرير ورجا منه الجلوس في المقعد الافضل عنده ، ثم قال لهذا الضابط الكبير : هذا الشاب « جورج » من لبنان ولقيني في بيروت يطلب مني مساعدته في تعليمه ، وجاءني اليوم من بيروت ولا ادري ماذا جد في امره . ثم التفت الي وقال : انتظر يا جورج في الممشى حتى ادعوك ، وقال هذا بلهجة السيد لخادمه ، فاظهرت الطاعة ونهضت وخرجت وجلست الى جانب الجاسوس الذي فتح الباب للضابط الكبير . جلست وما حدثته بشيء . وانا قبعتي على رأسي ، جالس رهن ما يصدر لي من اشارة بعد . فسألني الجاسوس : وما علاقتك بمولانا محمد علي ؟ فقلت من حسن حظي اني عرفته في بيروت لامر يتعلق بي فقصدته اليوم ليتممه لي . فمشى

الحال بجورج والقبعة . وبقي الضابط الكبير عند مولانا زهاء نصف ساعة ثم خرج ، فهب الجاسوس لخدمته اذا كان هناك من خدمة ، ومضى الضابط الكبير . وعاد الجاسوس يجلس في كرسيه المجاورة لكرسي . واذا بجرس من غرفة مولانا يرن فأسرع اليه ، فقال له مولانا : قل للشاب جورج ان يدخل علي ، فبلغني هذا ، فقمت ودخلت واغلقت الباب بسرعة .

فقال : هذا مدير الامن العام الفرنسي ، يزورني كل يوم تقريبا ، وهو يعلم بقصة عودتي من الحدود ، وانتقد السلطة البريطانية على ذلك ، وسألني ماذا انا فاعل ، فقلت له ان وردتني برقية من صديقي المفتي رئيس المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين (والضابط هذا وهو مدير الامن العام لا شك انه يعلم بورود هذه البرقية من المفتي يعلم ذلك من المخابرات التي هو يرئسها) يقول لي فيها ان اتوجه الى فلسطين ، فقد حلت مسألتي مع الحكومة حلا ايجابيا لمصلحتي . وذاهب غدا صباحا ومعي هذا الشاب « جورج » الذي سأساعده في تدبير عمل له في فلسطين فهو فقير يتيم .

الى هنا ، لم ينكشف اسمي الحقيقي بعد ، ان بادعائي « الجورجية اللبنانية » واعتماري القبعة ، لم تقع حاجة لاسائل اين جواز سفرك . وانا لست اريد التجول في المدينة . فشكرت مولانا محمد علي على ذلك وودعته الى الصباح واخبرني اننا ونحن في الطريق يفصل لي ما جرى له على الحدود . ورتبت الامر مع سائق السيارة التي اتت بي من القدس وبها نعود صباح غد مع مولانا الضيف العظيم ، وبالله التوفيق . ولكنني في الليل ارسلت برقية الى السيد الحسيني بتوقيع مستعار اننا غدا قادمون .

ركبنا السيارة صباحا متوكلين عليه تعالى . قصة الحدود : قال مولانا محمد علي ونحن في السيارة ، وهو يظن نفسه كأنه على منبر نهر الاردن وامامه الوف المسلمين، منذ يومين : ولا بد ان يكون ضابط الحدود يهوديا ، فلما وصلت « النقطة » ابرزت له جواز سفري وظننت اني من الذين لا يتوقفون في ذلك المحل غير ما هو لازم للنظر في جواز السفر « والفيزا » ، فاذا به لما فتحه وقرأ اسمي ، انبرى الى لائحة عنده فنظر فيها ، ثم اغلق جواز سفري ورده الي معتذرا عن عدم السماح لي بالدخول لاني ممنوع بتعليمات من الامن العام المركزي في القدس ، فعجبت منه ودخلت معه في مناقشة حادة . وصعدت صخرة الى جانب النهر وخطبت مخاطبا النهر ، ومما قلته ، اني سأدخل فلسطيني انا محمد علي المسلم واصلي في المسجد الاقصى .

وكان هناك شرطي فلسطيني مسلم من شرطة « النقطة » سمع مولانا محمد علي وهو يخطب على صخرة النهر . فلما وصلنا هذه النقطة جاء هذا الشرطي وراح يقبل يدي مولانا محمد علي ويبكي من شدة تأثره ، وقال لي : اول امس هنا كدت اطلق النار على ضابط النقطة واغر ، فكان موقف مستثير للكرامة العربية كل الاستثارة . فهذا مولانا محمد علي زعيم الهند يمنع من دخول فلسطين ؟

في طبريا ، وجدنا الجموع المتراصة بالانتظار على راسها الشيخ محمد مراد عضو المجلس الاسلامي الاعلى من قبل السيد الحسيني والمجلس ، وهو صديق مولانا الضيف كما تقدم غير مرة ، ومن طبرية الى القدس المسافة ١٧٥ كم كان اهل المدن والقرى يقفون في الطرق ليحيوا رتل السيارات ومولانا الضيف في مدى نحو اربع ساعات حتى الوصول الى القدس وهو يرد تحيات الجماهير وسلامهم ويقرأ في وجوههم البشاشات رجالا ونساء وحتى اطفالا . فلما وصلنا الى بيت سماحة المفتي السيد الحسيني الذي بجوار المسجد الاقصى ، وهو من الابنية الضخمة القديمة من عهد دولة المماليك المصرية ، وجدنا جمهورا عظيما بالانتظار ، فكان لقاء اخوي صميمي حار بين « الاخين » ، الحسيني ومولانا ، ولم يجتمعا منذ ١٩٢٦ منذ مؤتمر مكة المكرمة ، وامتلأت ردهات المنزل كلها بوفود المسلمين المرحبين من الشعب . وخطب مولانا محمد علي في هذه الجماهير ، في بيت سماحة المفتي ، خطبة تدعو الى الوحدة في الاخوة الاسلامية قال فيها ما معناه بالحرف تقريبا :

« لو علا الانسان في الجو كثيرا وصار ينظر الى يابسة الكرة الارضية ، لرأى خيوطا اشبه بدروب النمل ، شادة رحالها من مختلف المواطن والبلدان المعمورة نحو نقطة معينة مقصودة لذاتها ، ووجد ان تلك الدروب كلما طال بها السير جعلت تتقارب وتتدانى كأنها تبتغي ان تحيط بتلك النقطة المركزية المعينة . تلك الدروب والطرق هي لعمري طرق الحج وقوافله الى مكة المكرمة . فالمسلمون خلقوا ليتآخوا ، وفي مكة ملتقى جامعتهم ورابطتهم . وبيت المقدس بعد مكة في القداسة ، وفلسطين قضيتها قضية المسلمين جميعا ، ولكن علينا ان ننقل خططنا من حيز القوة الى حيز الفعل وما جئت الى هنا الا لبحث هذه الوسائل مع اخي وحبيبي سماحة المفتي » .

بقي مولانا محمد علي في القدس ضيفا على سماحة السيد الحسيني بضعة ايام تداولا فيها في عدة امور اهمها عقد المؤتمر الاسلامي العالمي في اولى القبلتين وثالث الحرمين ، وكان قد بدأ التفاهم بينهما حول هذا وهما في مؤتمر مكة سنة ١٩٢٦ . وكان من المقرر ان يشهد المؤتمر ويشترك فيه مولانا محمد علي واخوه وغيرهما من زعماء مسلمي الهند . وفي ذلك الوقت كان اقتراح عقد مؤتمر المائدة المستديرة لقضية الهند في لندن ، اخذ يروح ويجيء في الاندية السياسية البريطانية والهندية ، وفكرة التقسيم وانشاء دولة باكستان كانت وقتها في عالم القوة ، او عالم الفكر والاماني .

وصلى مولانا محمد علي في المسجد الاقصى ومسجد

ديبـــــانـــــا

ديانا يـــا أحب الناس وجها ... والطف ما رأت عين البصير
ذكرتك والربيع الحلو تلهـــو ... زنابقه علـــى هـــزج الغدير
فما حفلت بغير شذاك روحي ... ومـــا ارتقبت سنا أفق منير
كـــان الله صاغك مـــن أريج ... ومن ألـــق الكواكب والبدور
جفونك مـــا فراشات الروابي ... فطيري للروابي الخضر طيري

وديع ديب

الصخرة ، وراقه جدا الى ما فوق الاعجاب عدة امور : فأولا عمارة المسجد الأقصى ، وثانيا فنـــون الفسيفســـاء الخلابة في مسجد الصخرة ، وكلاهما داخل الحرم القدسي الشريف بساحاته الرحبة . وثالثا نهضة المسلمين في بيت المقدس وفلسطين جمعاء . ورابعا استعداد اهل فلسطين لمواصلة الجهاد في سبيل بلادهم لتنجو من اخطار اليهود والصهيونية . ووعد باعتباره زعيما مسلما هنديا العمل في هذا كله .

وكانت هذه الزيارة جليلة ، وشرع السيد الحسيني في الاعداد للمؤتمر الاسلامي العالمي في القدس (راجع مقالنا الوافي حول هذا المؤتمر في « الاديب » عدد سبتمبر ١٩٧٥).

واننا في الفصل التالي سنأتي على ما جرت به التقادير من ذهاب مولانا محمد علي الى لندن ليشارك في مؤتمر المائدة المستديرة هو واخوه مولانا شوكت علي وزعماء آخرون ، فتوفي هناك كما اننا سنذكر كيف الهم سماحة الحسيني ان يقترح على مولانا شوكت علي نقل جثمان فقيد الاسلام العظيم الى فلسطين ليدفن بجوار المسجد الاقصى المبارك ، وهو ثاني مسلم يدفن بجوار المسجد الاقصى اذ كان قبله بقليل دفن هناك الملك حسين بن علي رحمه الله . وكما سبقت منا الاشارة الى ان هذا كله من تاريخ فلسطين الحبيبة الغالية ، وقـــد تكشف الشمس لتحيط الظلماء بالارض ويختل توازن الكائنات قبل ان يستطيع الصهاينة ابتلاع فلسطين .

ملحق بهذا الفصل : ذكرنا مرارا ان مشروع عمارة المسجد الاقصى المبارك ، كان عظيما ، ونقول ان هـــذه العظمة هي « فنية » وتمثل عبقرية المهندس الذي قام على ست سنين من ١٩٢٣ — ١٩٢٩ بتنفيذها المهندس كمال الدين من اخواننا الاتراك ، ومعه لجنة هندسية من فحول المهندسين فيهم المهندس رشدي الامام الحسيني . والمشروع موضوعه قبة المسجد الاقصى التـــي صلى تحتها الفاتح صلاح الدين هو وانصاره واتباعه بعد الفتح ، فقد ثبت ان الوهن قد تطرق الى اسس الزوايا الاربع التي عليها القبة الكبرى . وهذا الوهن الناشىء عن طول الزمن والزلازل اذا لم يتدارك فيصل الوهن الى القبة نفسها فتختل قليلا او كثيرا . فخطط المهندس كمال الدين ان يبتدىء من موضع الاساس ، فينزع منه حجرا ليركب محله حجرا جديدا ، وهكذا وهكذا حجرا بعد حجر في اسس كل ركيزة مـــن الركائز الاربع حتى يتناهى هذا التبديل والتغيير عند قواعد القبة ، العالية ، دون ان يلحقها اي ضرر في ثباتها علـــى الركائز . فلما كان سماحة المفتي يشرح هذا لمولانا محمد علي قال : الله اكبر ! ما اروع هذا وكرره . والمهندسون البريطانيون في فلسطين كانوا يرفعون قبعاتهم اعجابا بهذه العبقرية ، ولا سيمـــا المهندس مستر ريتشموند مساعد السكرتير العام لحكومة فلسطين وله كتاب عـــن مسجد الصخرة وقبته عنوانه « قبة الصخرة »
«The Dome of the Rock»

رأس المتن ــ لبنان — عجاج نويهض



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

* * *

ذكرى عزيزة

في حياة الناس ذكريات ..

ومن الذكريات البارزة في تاريخ امتنا العربية ذكرى (مولد الرسول الكريم) ، التي تهل علينا كلما قارب الشهر الثالث على الانتصاف من كل عام هجري .

انها ذكرى اليوم الاغر ، يوم الثاني عشر من ربيع الاول من كل عام ، تعيد الى النفس ذكريات ، كما تعيد الى الاذهان صورا اخاذة من تاريخ هذا الرجل العظيم .

وان هذه الصور تتوالى في مواقف عديدة من حياته ..

فها هوذا يستقبل ولده ابراهيم باللحب واللهفة والحنان ، وقد اخذ يدرج مع الحياة ، وهو يرى فيه امتدادا لوجوده ، وتكرارا لماضيه . فيشعر بالسعادة غامرة فياضة ، كلما قبل وجنتيه وضمه الى صدره ..

ويشاء الله ان يصيبه المرض ..

ثم تشتد عليه العلة ، حتى لتزداد يوما بعد يوم ، وما هي الا ايام معدودات من بعد ، حتى يوافيه الاجل .

فيتجلد الاب المحزون امام ذلك المصاب . ويصبر لمشيئة الله وقدره .

ويحدث ما لم يكن في الحسبان ..

فقد كسفت الشمس في ذلك اليوم كسوفا ظاهرا . تنبه اليه الناس واسترعى اهتمامهم ، ودار بينهم همس لم يلبث ان استحال الى كلام ، واذا بقائل يقول : انما كان كسوف الشمس حزنا على الصغير الحبيب الراحل .. ابراهيم !!

وينتهي ذلك الكلام الى الاب المفجوع ..

فاذا هو يتخلى عن مصابه ، ويسارع الى القوم ليجلو لهم الحقيقة ، فقد كانت الحقيقة احب شيء الى نفسه . ويقول لهم بالصوت الجهير بما معناه : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا يخسفان لموت احد ولا لحياته ، فاذا رايتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله بالصلاة .. ».

وها هوذا يخرج مع قومه مجاهدا في سبيل الله ..

وينفد منهم الماء ، وتضيق عليهم السبل ان يجدوا موردا ، ثم يشتد بهم الظما دون ان تلوح لهم بارقة من رجاء ، وكاد يستولي عليهم اليأس حين انعقد الضباب ، وهطل المطر غزيرا وكأنما هو ينصب من افواه القرب . فشرب القوم ، وسقوا دوابهم ، وملأوا اوعيتهم وقال قائلهم : « انما هي معجزة .. » !

وسمع القائد المظفر بما قالوا ..

فلم يتوان عن الرد على اولئك القائلين ، دون ان يسكت على ما يأباه العقل ويرفضه المنطق ، وهو حليف العقل والمنطق في كل ما جاء به وصدر عنه ، فاذا هو يقول : « انما هي سحابة مارة .. » !

ذلك هو النبي الصادق ، الذي كانت دعوته تقوم على الحجة البالغة ، ولا يطمئن بها لغير ذلك ، مما يلجأ اليه المبطلون من دجل ، او تضليل ، او نفاق ..

انه رسول الله صلوات الله عليه ..

الذي عبرنا بذكرى مولده من قريب ، والذي استطاع في سنين معدودات ان يصنع من الخلاف والفرقة جماعة متماسكة ، تقف صفا واحدا كأنه البنيان المرصوص .

كما استطاع ان يوجد من الضعف والخذلان قوة جبارة ، تتحطم في وجهها جميع قوى الباطل والجبروت ، وتلك كانت معجزته ، وحسبه بهذه المعجزة فخرا .

هل يطول الانتظار ؟!

كانت تستعرض بين يديها مجموعة صور ..

واخذت تمعن النظر في كل واحدة منها . وتقلبها بين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يديها . وهي تتجاوز الواحدة منها الى الاخرى . انهن ابناؤها وبناتها ، تتحدث صورهم عنهم يوم كانوا صغارا . وهم اليوم غتيان وفتيات ، يملأون البيت عليها كتبا وضجيجا ومرحا .

وتصل يدها الى صورة كادت تمحو ملامحها الايام ..

ويطل من الصورة وجه ضاحك ، لطفلة بريئة ما تزال في ايامها الاولى ، ثم تطالعها على ظهر الصورة ابيات من الشعر ، طالما اعادت قراءتها المرة تلو المرة ، ومع ذلك فهي تمضي ترددها بصوت خافت :

برزت في قبة الافق الفسيحة ... وتعالت تظهر السخط مشيحة
سالوها : ايها الشمس قفي ... خبرينا ، قد عهدناك صريحة
فاجابت : ويحكم من مشر ... قد جهلتم علة الامر الصحيحة
كيف لا يغضبني اني ارى ... بينكم شمسا بدت تدعى سميحة

لقد كانت هي سميحة تلك الطفلة البريئة ..

وطالما حدثها ابوها انهم احتفلوا بميلادها يوم ولدت في مدينة الرملة والزمن ضاحك ريان ، والناس هناك اعزاء في اوطانهم ، تفيض عليهم الارض بخيراتها ، ويعطر الآفاق من حولهم زهر البرتقال في البيارات ..

بل طالما رددوا على مسامعها :

ان الاصدقاء من حولهم شاركوهم الفرحة بميلادها ، وكان بين هؤلاء الاصدقاء شاعر ، ابى الا ان يسجل فرحته شعرا قاله ابن ساعته ، وكانت منه هذه الابيات .

ثم عادت اليها الصورة ذكريات طافحة بالمرارة ..

انها ذكريات التشرد والغربة والضياع ، ذكريات الخروج من الوطن ، وتركه للغاصبين يعيثون فسادا في ارجائه ، ويمحون فيه كل اثر من آثار اهله الذين اسلموه ، وخرجوا يهيمون على وجوههم في الآفاق .

وتذرف المرأة دمعة لم تستطع امساكها ..

انها لوعة الحنين الى الوطن ، وقد اصبحت احلام العودة اليه ، يكتنفها من ضباب اليأس الذي لا حدود له ، ما يجعلها تغيب في ثناياه حتى لا تبدو لها معالم !

ويدخل على المرأة ولداها ..

ويلمحان في يدها تلك الصورة ، التي اثارت في نفسها الشجون ، وانهما ليعرفان من قصتها مثل الذي تعرف ، ويعرفان كذلك ما تردده عصابة الارهاب هناك صباح مساء .. !

فيقول احدهما :

لا تيأسي يا امي ، ولا تصدقي مزاعمهم ، انهم سوف يذهبون الى غير رجعة ، حين ينهض اليهم من ابناء امتنا ذلك الرهط المؤمن ، الذين يرددون بملء افواههم :

« ان الذي يؤخذ بالقوة ، لا يسترد بغير القوة .. !! »

وتنظر اليه امه ولسان حالها يقول :

ترى هل يطول بنا الانتظار ، حتى يأتي هؤلاء الابناء من امتنا ؟!

تحيات غالية جدا !

انه معلم .. عرفته معرفة الصديق ..

وقد افنى جانبا كبيرا من عمره في مهنة التدريس ، وكان من طلابه — على تطاول الايام — التاجر ، والنائب ، ورجل السياسة ، وصاحب المهنة في مختلف مجالات المهنة .. وكان بين طلابه من بلغ مرتبة الوزارة والسفارة . وهو يذكرهم جميعا ، وكثيرا ما لقيته يحدثني عن غرائب ما يصادفه معهم ..

وذات يوم :

استوقفني — وعلى وجهه طيف ابتسامة — وهو يقول لي :

هذه المرة سوف احدثك بالعجب العجاب !

فقلت : ارجو ان يكون خيرا ، فما هو ؟!

قال : لقيني واحد من طلابي بعد غيبة طويلة ، وسلم علي سلاما حارا ليس بعده ولا قبله من مثله ، وسألني عن صحتي ، وعن احوالي .. ثم عن ابنائي . وعرف في نهاية ذلك ، ان واحدا منهم يدرس في الخارج ، وقد ذكرت له مكان دراسته ..

وهنا ، شد على يدي ليقول لي :

انني اعمل سفيرا حيث يدرس ولدك .. !

ومر بي حين من الدهر ..

واذا بوزارة الخارجية تسألني عن عنوان ولدي واضحا حيث يدرس ، فقد طلبته سفارتنا هناك . وقدمته اليهم دون ان يخامرني شك بانه تدبير حكيم ، لضمان ابنائنا والعناية بشؤونهم ..

وتلقى ولدي — بعدها — في مركز دراسته البعيد جدا عن العاصمة مكالمة من السفارة ، تطلب منه ان يكون عندهم في تمام الساعة العاشرة من صباح يوم كذا ..

وتصارعت في ظنه الاحتمالات ..

اتراهم قد عرفوا عن تفوقه في كليته مع نهاية العام الفائت ، فهم يريدون ان يشجعوه — او ربما يكافئوه ! — على تفوقه .. ؟!

من يدري ..

ربما كانوا كذلك !! اذن فهم الساهرون علينا

الى الآتين بعدي

اذكروني ايها الآتون بعدي ... اذكروني شعلة للسائرين
كلما نادني مناد يبتغي ... سدرة الحق وهدي العابرين
كلما هب بشير داعيا ... يشرع العدل بدرب الظالمين
انني حرف ندي فاغم ... آمل أن يستثير الحائرين

اذكروني ايها الآتون بعدي ... اذكروني صبوة للمنشدين
اذكروني نغمة لا تنتهي ... تفدق السلوى على القلب الحزين
كلما رف نسيم عابث ... ينقل النجوى وآهات الحنين
كلما غنى مغن للهوى ... اذكروا اني رفيق المتعبين

اذكروني ايها الآتون ؛ اني ... للجمال الشر مهوى الحالمين
اذكروني نفحة للخير تبقى ... عبوة تشفي نفوس العابثين
اسكب الفن حروفا ، ضوعها ... آهة ، ترجيع آه الآخرين
كم أمني النفس ان تبقى هوى ... دافئا ، مثوى قلوب العالمين

دمشق — سلافة العامري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— نحن الطلاب — من حيث لا نعلم !

واعد نفسه للامر بكل ما يستطيعه من جهد ..

فقد مضى الى السوق ، ليشتري — وبكل ما بقي معه من نفقة ذلك الشهر — ملابس جديدة ، تليق بتلك المقابلة الهامة ، ثم مضى الى الحلاق يهذب من شعره — والحلاق عندهم شيء غير الذي نعرفه !! — ويتحمل ما يكلفه ذلك عن طواعية ورضى ترقبا لذلك اللقاء ..

وقبل موعده المترقب بيوم :

عطل دراسته في الكلية ، وركب القطار الى العاصمة. ووصلها بعد رحلة طويلة ، وحين ادركه المساء ، كان قد نزل في احد الفنادق هناك ، ونام ليلته الوادعة ، تداعبه الاحلام الضاحكة .

وفي صباح يومه التالي :

تذكر انه يعطل الدراسة في كليته لليوم الثاني ، ولكنه استهان بذلك حيال ما كان يتوقعه هناك .. !!

وخرج من الفندق ملهوفا ..

وقد امتلأت نفسه بالاماني الضاحكة ، التي صحبته اياما ، ثم استأجر سيارة تحمله الى حيث الهدف الذي جاء من اجله ، مستهينا بكل ما تحمله من جهد .

وفي تمام الساعة العاشرة :

فتح باب السفير ، فاذا هو يستقبله مرحبا ، ثم اذا هو — من بعد — يهش له متوددا وهو يقول :

« انني من طلاب ابيك .. ارجو ان تبلغه تحياتي .. !! » .

واعتبر ذلك مقدمة لما سوف يأتي ..

وجلس بعدها ينتظر المفاجأة ، ولكنه طال به الانتظار دون ان تكون هناك مفاجأة ، فلم يجد بعدها بدا من الانصراف ، لكي يعود ادراجه من حيث اتى .. !!

والتفت الي ذلك الصديق ليقول لي اخيرا :

ارايت اعجب من هذا ؟!

انها تحيات .. ولكنها تحيات غالية جدا ..!!

عمان — الاردن — محمد سليم رشدان
ص.ب ١٧٥٥



الدكتور احمد زكي ابو شادي

مع ابي شادي في ديوانه من السماء

بمناسبة ذكراه الثالثة والعشرين

بقلم سالم علوان الجلبي

* * *

كل ما علاك فاظلك فهو سماء . هذا بعض التفسير اللغوي لهذه اللفظة « السماء » ولكن صاحب الديوان اراد بهذه التسمية سماء الروح ، لان السماء مسكن ارواح الابرار كما يفسرها البعض . والانسان من هنا ، ابن السماء ؛ كما هو ابن الارض . فهو قد يسمو حتى يكاد يكون ملاكا ؛ وقد يسفل حتى يكاد يكون شيطانا .

وابو شادي حين التجا الى السماء كان هاربا ، ظنا منه ان الملجأ هناك هادىء نقي وامين :

ما عشقت السماء الا هروبا ... من حياة تعج بالآثام

ولكن امه الارض لم تمهله ، بل سرعان ما عاتبته :

قالت الارض اي عطر لديك ... سكبته السماء في راحتيك
اي شعر لها غنت به الا ... ن ، ولم اعطه سخيا اليك
ما جمال السماء الا جمالي ... انا اودعته قديما لديك

ويقر شاعرنا بهذه الحقيقة ، ولكنه يبرر فعلته بقوله :

ما عشقت السماء الا هروبا ... من حياة تعج بالآثام
انت من انت رحمة بالبرايا ... وهمو من همو بهذا الخصام
الدماء التي اباحوا دمائي ... والسلام الذي اراقوا سلامي

ولكنه حين لم يجد في السماء سلاما ، وحين وجد الملجأ الذي ظن انه هادىء طاهر وامين ، ضاجا صاخبا ، هو الآخر . اذ كان النضال فيها يزري بذاك النضال الذي فر منه هربا ... عاد مثخنا بالجروح :

فتغنيت عائدا بالمآسي ... وكاني اعود عود المسيح
ولثمت الارض التي باركتني ... وانطوينا على فؤادي الجريح

هذه هي خلاصة هذه القصيدة ، وهي اولى قصائد الديوان وعنوانها هو عنوان الديوان نفسه . لان الشعر على اي حال طبع وموهبة ، كما يقول ابو شادي في مقدمة ديوانه ، لا بهرج وصناعة . بل عقيدة فنية يسعدني ان اقدم هذا الديوان المتواضع احد قرابيني لها .

ولكن الشاعر لم يلبث ، حين عاد الى امه الارض ، ان عمد مرة اخرى الى الهربان . فهكذا الشاعر دائما ، ما ان يعود من تيه بعيد حتى يعاود الرحيل الى تيه ابعد .. اما تراهم في كل واد يهيمون !

غير انه لم يهرب في هذه المرة الى السماء ، كما فعل في المرة السابقة . فقد خيبت السماء ظنه . بل كان المهرب في هذه المرة البحر ، ليهيم على سطحه يسرح بصره هناك وهنا حيثما يدغدغ شاعره نشيده الساحر ، وتشجيه امواجه الراوية تقص الحياة لساكن ولعابر ، فيصغي الى لحن الخلود دون ما كلل او ملل ، ويتقاسم الاحلام هو ونجيه البحر ملء الخيال ويتبادلان الاحساس بين المشاعر ، الى ان يثور الشاعر . وابو شادي نادرا ما يثور ثورة عارمة ، كما يقولون ، ولكنه ثار في هذه المرة فأبدع :

لغة الجمال طلاقة بل ثورة ... والفن يعبد في الجمال الثائر

ولا ادري لم وضع تنوين بفتحتين على لفظة « ثورة » فحقها هنا الضم ، وذلك بالتأكيد من اخطاء الطباعة .

(. . . . .)

وحين يفلسف ابو شادي الزمن ، يذهب معه في رحلة طويلة بعيدة الى السماء . واذ يرجعان بعدها عبر عصور طويلة ، من خلق وابداع ولذة وشقاء وراحة وعناء . يراجع ابو شادي حساب هذه الرحلة الشاقة الطويلة مع صاحبه :

من السماء رجعنا بعد رحلتنا ... وبينها من عصور الخلق نظار
فقلت للزمن المرموق يا زمني ... الم تشبك كشيبي اليوم اسفار
اما سئمت من الاجرام عابثة ... ومن شموس لها قصف واسمار
ومن تجاريب في الابداع طائشة ... رهن الملايين لا تخبو لها النار

فهو يعجب للزمان ، كيف يصبر فيحتمل كل ما يراه في سيره عبر هذه الحياة من امور تشيب الراس وتطيش عقل الحكيم . فكما على الارض ، كم ضرب اناس باقدامهم الوقحة سطح هذه الارض البسيطة بخيلاء وكبر . ولكن

الارض تضمهم ، مع ذلك بحب وحنان . يا ويحهم ذهبوا . فاين هم الآن ؟! كما يحدث هذا على سطح الارض ، يحدث على سطح البحر مثله . فكم جذف الوقاح على سطحه بمجاذيفهم يضرب بها شاب قوي الساعد مفتول العضل سطحه الهادىء بضربة قوية تشق سطحه شقا . ولكن البحر مسامح كريم سرعان ما يلأم جرحه فيعاود سيره . وكأن امرا لم يكن . وما كان الانسان كذلك ولا يمكن ان يكون ، على الرغم من وصايا انبيائه . فقد قال السيد المسيح : «من ضربك على خدك الايمن فاعطه خدك الايسر» وقال النبي محمد صلى الله عليه وسلم : « اللهم اجعلني مظلوما ، لا ظالما » . ولكن ايمكن لانسان ان يكون اليوم كذلك ؟ وهبه صار كذلك ، اتراه يقدر على العيش بسلام بين الذئاب من اخوته ؟!

لم تضرب الموج بالمجداف معتبطا الا وفي الموج للمجداف آثار
وكم تجاريب من طيش ومن نزق مال الكواكب قبل الموج تنهار

وفي الحساب مع الزمن يتلهف الانسان على ماضيه ويزداد اليه حنينه ، فمذكراه قد تجعل من ذلك الامس القاتم ، يوما مضيئا مشرقا ، وكأنه يفاخر به حاضرة ، وان كان الحاضر ، هو الآخر ، مضيئا مشرقا .

قد مجدتها جميعا وهي فانية كذلك الامس ، مهما ساء ، يختار

الى هنا ، ونحن في القصيدة الثالثة من الديوان . فبعد رحلته في قصيدته الاولى الى السماء ، ورحلته في قصيدته الثانية مع البحر . زحل في هذه المرة رحلة طويلة وشاقة مع الزمان . وقد يطول بنا الامر لو اتبعنا الرتابة في القراءة قصيدة بعد قصيدة . وعليه فلننتقل الآن من هذا الشعر التأملي ، الى الشعر الواقعي اللاصق بالارض كهذه القصيدة مثلا التي ، وان كانت غير مستساغة اليوم ، فقد كانت على التأكيد مستساغة ، بل مما يجب ان يقال في ايام مضت . وهذه القصيدة تحت عنوان « تحية المليك » نظمت بمناسبة اهداء الدكتوراه الفخرية الى الملك فاروق الاول من جامعة الاسكندرية اثر افتتاح كلية الطب فيها يقول في مطلعها :

مولاي رحبت الثقافة وانتشت بالمهرجان مدينة الاسكندر
وتالق اليوم السعيد بشمسه فكأنها سارت بموكب قيصر
وتردد الانفاس من انفاسنا بحفاوة لم تجتمع في منظر
بالفاتح الملك الابي وحسبه بين الملوك حفاوة لا تمتري
وشمائل في البر بين رعية عشقته واستوحته للآتي السري
واضفت انت الى جلالتها غنى بجلالك الحر النبيل الخير

ولا اقصد من الاشارة الى هذه القصيدة سوى الذكرى التاريخية للموضوع ، بمناسبة رحلته مع الزمان ، وكيف ان ابا شادي قد خانته حتى فراسته في تقلب الزمن . فاين هو الآتي السري الذي استوحته له رعيته العاشقة ؟!

وللغرض نفسه اشير الى قصيدة اخرى مرفوعة الى الملك كذلك وعنوانها « الموتى المشردون » دافع فيها ابو شادي بحماس بالغ عن ابناء الشعب العاملين بداب جاد مهلك من اجل لقمة العيش » في حين ان الاقطاعيين يملكون على قلتهم ، كما يقول الشاعر ، معظم ثروة الامة حينما الاغلبية الساحقة منها في حكم الموتى المشردين » :

مولاي حب الشعب اعظم ثروة لك من كنوز التاج والسلطان
كن انت رائده ووزع ارضه لبنيه كالفاروق في الاحسان
ما شان آلاف الفدادين التي هي كالمقابر للسواد العاني
ذهبوا بارجاء البلاد تشردا وتكفنوا بمذلة وهوان

ولا ادري ، مرة ثانية ، لم استعمل تنوين بفتحتين على لفظة « ثروة » في حين ان حقها هنا هو « الكسر » وهذا على التأكيد من اخطاء الطباعة كذلك .

ويحيي الشاعر في قصيدته الموسومة بـ «نجوى العيد» حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا في حفلة الغداء التي اقامها رفعته تكريما لاعضاء المؤتمر الطبي العربي الخامس جاء فيها :

يغضي ويطرق كالارباب معتكفا وذهنه عالم هيهات يقتحم

وهذا البيت يذكرنا حتما ببيت الفرزدق :

يغضي حياء ويغضى من مهابته فلا يكلم الا حين يبتسم

وان كان شاعرنا مال الى تغيير بعض المعنى فيه . فكلا البيتين قيلا في « علي » لان الفرزدق كان يشير في بيته الى الامام علي زين العابدين بن الحسين ، وابو شادي اشار في بيته هذا الى الدكتور علي ابراهيم باشا رئيس المؤتمر الطبي الذي قدم باقة زهر للنحاس باشا حينذاك . ثم ان قصيدة شاعرنا هي قصيدة الفرزدق ذاتها وزنا وقافية وايحاءا . يقول الفرزدق :

فليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من انكرت والعجم

ويقول ابو شادي :

هذي العروبة في ناديك سامقة وان يرجى حجاك العرب والعجم

ويعرج ابو شادي في القصيدة نفسها الى الملك فاروق ايضا فيقول :

انا امنا بظل من رعايته ففي رعايته عدل لمن ظلموا
والعدل ليس بعدل في جلالته ان لم يعم ، وهذا عدله عمم
عمر مديد من الابداع رنقه اجدادك الغر من شادوا ومن فهموا
وزدته انت تدعيما وتزكية فمن مبادئك الدولات تدعم

وان كان للمرء ان يعلق اليوم على ذلك ، فليس غريبا ان يتذكر قول المتنبي :

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى عدوا له ما من صداقته بد

ولو ان لفظة الصداقة هنا قلقة في هذا الموضع ، لان الصداقة بين المرء وعدوه شيء ، والاضطراد الى مجاملة العدو ومداراته ، شيء آخر . واذا ما جازت في الغزل ، مثلا ، مقولتهم « اعذب الشعر اكذبه » فهي غير جائزة ، على ما ارى ، فيما نحن فيه . فللشاعر مندوحة ، في موقفه هذا على الاقل ، عن ذلك . وهو غير مضطر اليه ولا مجبر عليه . ما دام الشعر « عقيدة » فنية ، كما يقول ابو شادي . فاين هي العقيدة والفنية فيما مر معنا ؟! وفي سبقه الشعراء جميعا قبل النجوم ليفوز بأسماع جلالته مدحه اياه :

فسبقتهم كيما افوز بسمعكم قبل النجوم ولست بالمستغفر

ومع تقديري العميق لابي شادي ومودتي الصادقة له، يحز في نفسي عدم اتفاقي معه في هذا مضطرا . فالتجرد عن الصلات الشخصية في النقد الادبي امر حتمي لكي يتعامل الناقد مع النص وليس مع قائله ، بروح المتجرد عن كل صلة شخصية . فيمدح حيثما يجب ان يكون المدح ، ويذم حيثما يجب ان يكون الذم .

ومما يلفت النظر هنا انه قد بدا قصائده كلها بلفظة « مولاي » وكرر في كل منها تشبيه موكبه بـ « موكب قيصر » واعاد فيها جميعا قوله « ان الرعية قد عشقته » فهل كان كل ذلك حقا ؟ وهل كان ابو شادي نفسه يعتقد ذلك ، على قاعدة ان الشعر عقيدة فنية ، كما يقول ؟

ولا ادري كيف يمكن ان نوفق بين اسراعه ليسبق غيره من الشعراء قبل النجوم ليفوز بأسماع جلالته المدح ، وبين استباق السجود للطاغوت في قوله :

وللتهريج سلطان يرجى وللطاغوت يستبق السجود

في قصيدته الرائعة « استقبال امريكا » التي حوت الكثير من الرجولة والكرامة ، استمع اليه كيف يقول :

ولو ان الرجال بها استرقوا وفيك تحرر السود العبيد
اردنا ان نقومها فأبت وعوقبنا وصال المستفيد
وضحينا لعزتها فنالت كرامتنا وبش لها الحسود
وعاث بها الدخيل فبجلته وفداها ابنها وهو الطريد
يحال العلم جهلا في رباها وللظلام قد زف القصيد

ونضطر الى ان نعود فنتساءل عمن يعني بـ « الظلام الذين يزف لهم القصيد » أفيهم ذلك الظالم الذي اسرع اليه الشاعر ليسبق غيره من الشعراء كيما يزف له ما هيأ لمقامه السامي من ارق القصيد ؟!

ولكن ما لنا ولكل هذا فأبو شادي هو نفسه الذي يقول :

اذا استشرى الفساد فكل خير يذم ، وكل مذموم حميد

وعلى كل حال ، فهذه القصيدة بمجموعها من الشعر الجيد ، فنحن لا نقرأ القلوب ، ولكننا نقرأ المكتوب . ومثلها اجادة قصيدته « وداع مصر » التي اهداها الى استاذه « خليل مطران بك » فأنت ، ولا شك ، تحس فيها ما يعتمل في نفسه من شديد الالم وقسوة اللوعة لفراقه ، بل لفراق مصر كلها بلده الحبيب . فهو يقول :

اودع النيل في توديع شاعره وقد اودع نفسي في مشاعره
تبا لدنيا تديم الحر مغتربا فيها ، واخرى تنادت عن سرائره
لن يعرف المرء الا من ارومته وليس يعرف تبر من ظواهره
وغربة الفكر في دار يمجدها اقسى على الحر من فقدان ناظره
وهل اراك بيوم مسعد نفر مضمخ بزكي من مجامره
تحررت فيه الاذهان مكبلة وحطم الشعب فيه عجل قاهره
وعانني حينما القاك ثانية اراك باعث شعب من مقابره
ولن ابدل من عزمي وان شقيت نفسي بمنفاي في اقسى مخاطره

وما كان في قرارته يود ان يهاجر الى هذا المنفى الذي قد يلاقي فيه من المخاطر اقساها ، فهو لم يعتبره السكن المختار بل اعتبره منفى فيه من المخاطر ما فيه .

القصيدة رائعة كل الروعة لصدق المشاعر فيها ، ولتأثر الشاعر العميق بالشعور الجياش في داخله . وهذا بالطبع مما يثير في القارىء شعورا متجاوبا مع الشاعر ، فلا يثير العاطفة الا العاطفة . فالشعر ليس مجرد فكرة صائبة ، كما في اغلب شعر ابي شادي ، وان قال عنه صاحبه انه مزيج جيد من فكر وعاطفة . والشاعر كلما جمح خيالا كان شعره ابدع واروع . فالابداع في الخيال كالابداع في الفكرة ، وشبوب العاطفة يزيد من رقة الاسلوب . واكمل الشعر ما واءم بين هذه العناصر الاربعة .

طرق ابو شادي في ديوانه هذا مواضيع شتى قومية وانسانية فلسفية واجتماعية وما الى ذلك . فقد رثى زوجته بقصيدة طويلة بلغت ابياتها (١٠٣) ابيات فيها الكثير من الحرقة واللوعة كان مطلعها قوله :

ماذا تفيدك لوعتي وبكائي هذا فناؤك مؤذن بفنائي

وانهاها بقوله :

تمضي الحوادث والسنون وتنقضي امم على امم صباح ومساء
ويظل قلبي هيكلا لك خالدا ابدا يرتل لوعتي ورثائي

ويلفت النظر هنا وضع « فتحة » على آخر كلمة « صباح » حين وضعت « كسرة » تحت آخر كلمة « مساء » فان جرت لفظة مساء على الاضافة ، لم يستقم المعنى . وان نصبت لم يستقم المبنى ، فالقافية مجرورة ، علما بان الجزأين « صباح مساء » مبنيان على الفتح .

ثم هو حين رثى الشاعر « مطران » لم ينس ان يرثي المطربة « اسمهان » . وحين ذكر الاسكندرية ذكر نيويورك كذلك . وكما ذكر الصيف ، ذكر الربيع وعيد النيروز . وتوجع لما يلاقي اللاجئون وشكا مأساتهم المؤلمة :

خرس فمن عن ويلهم يتكلم ومعذبون لهم تقام جهنم
والناس ، ما للناس لم يتأثروا والاهل ، ما للاهل لم يتندموا

ما للناس لم يتأثروا ؟! سؤال لعمر الواقع جد غريب ، فالناس لا تحترم الا القوي وهم يسحقون الضعيف ليسيروا في ركابه انى سار . والى ان يتأثروا ، يكون الضعيف قد مات ! اما الاهل ، فما زالوا في ضلالتهم يعمهون .

وتوجه في الختام الى نبي المحبة والسلام « عيسى » حيث اتخذ من اسمه الطاهر عنوان قصيدة اختتم به ديوانه او كاد . ثم عرج الى السماء مرة اخرى في آخر قصيدة بالديوان جعل عنوانها « الصعود » حيث بقي رحمه الله رحمة واسعة . فاليه في علياء السماء اقدم ، مرة اخرى ، خالص الشكر وعميق التقدير على هديته القيمة .

البصره ــ العراق سالم علوان الجلبي



فتنتني عبقر يوما

القصيدة التي القاها الاستاذ محمد عبد الغني حسن في حفل استقباله بمجمع اللغة العربية بمصر حيث فاز بالعضوية فيه خلفا لسلفه المرحوم المؤرخ الكبير الاستاذ محمد رفعت وزير التربية والتعليم سابقا

لشاعر الاهرام محمد عبد الغني حسن

* * *

عدت من عمري بآلاف السنين ... حينما صرت بكم في الخالدين
لو يسمى الفوز يوما صفقة ... كنت في الصفقة خير الرابحين
أنا مذ آوي الى قمتكم ... فانا آوي الى ركن ركين
قد تلقيتم جهادي بيد ... كل ما فيها على الحق أمين
خفت أني لم أكن أهلا لكم ... فاراني فضلكم كيف أكون
همت بين الشعر والنثر ... كما ... راح في التهيام بعض العاشقين
فتنتني ((عبقر)) يوما ... وهل ... بعد وادي ((عبقر)) كان فتون
وتنقلت على أعرافه ... سادرا ما بين شك ويقين
تارة أدنو ، وطورا أرتقي ... بخيالي في متاهات الظنون
وتوجهت الى النثر على ... ما به من مركب صعب حرون
المطايا لم تعد لي ذللا ... والاماني اصبحت وهي شجون
فحططت الرحل فيما بينكم ... واستقرت بي على الشط السفين

مذ طرقت الباب من نحوكمو ... لم يجب صوت ولا امتدت يمين(١)
هكذا قيل لنا عن شانكم ... في لقاء الطامحين الطارقين
أيها الاشياخ من علمكم ... ان تصدوا الاسد عن باب العرين
عرب أنتم كرام ... انما ... تتحدون الرجال القاصدين
ليس في الباب لديكم مسرب ... لضعيف ، أو مجال لظنين
فليدق الباب مثنى وثلا ... ث ، ولا باس بصبر الطائفين
هذه الكعبة من يممها ... فليطف في بابها بضع سنين
شهد الله ... لقد رشحني ... عندكم خير الكرام الشاهدين
راح ((علام))(٢) يزكي ادبي ... وهو في معروفه غير ضنين
لم يزل يغمرني من حبه ... الذي يعيي لساني ان يبين
وانثنى ((الحوفي))(٣) يحصي ادبي ... وهو في الاحكام خير المنصفين
أحسنا ظنهما في ناهض ... بجناح هو صنع المحسنين
لم يزالا بي في السعي الى ... أن أتاني منكم النصر المبين

مضيا يلتمسان الاذن لي ... عند اهل الرأي خير الآذنين
وافاءا بي الى محرابكم ... في خطا الواثق ذي العزم المكين
وهما كانا اليكم سببي ... وعلى أيديهما اجتزت الحصون
فالتقى عزمهما في عرفكم ... انما الفضل الى الفضل قرين

اغفروا لي ان تخطيت الى ... بابكم اعرافكم في القائلين(٤)
لم يضق بي النثر عن تحديثكم ... فتخيرت لسان الشاعرين
ليتني ابلغ من مرضاتكم ... كل ما أرجوه من شعر رصين
لم تخني لغة النثر ... ولا ... عزني فيها بيان مستبين
كيف يعيى الشعر أن يبلغكم ... بالذي في النفس من معنى دفين
وهنا احببت أن أطرفكم ... بالذي في الشعر من يسر ولين
وقفة في ظل تفتننا ... كيف لو كانت بباب الاربعين

سنة الدهر لدينا اجتمعت ... والتقت فينا عظات الواعظين
الكراسي التي نشغلها ... لم تزل تشغر من حين لحين
فاسال ((المجمع)) عمن أمه ... ثم امسى في سجل الراحلين
صور تاتي ، وتمضي صور ... ولبانات لنا ما ينقضين
لا تقل إنا تجاوزنا المدى ... لا تقل انا تخطينا السنين
هون الله بما فات ... فهل ... نحسن الظن بأيام بقين
لا تقل شيئا ... فما شاب الذي ... يقطع الليل عناقا للمتون
نحن ما زلنا شبابا ناهضا ... رغم ما في الشيب من غمز العيون(٥)
فاذا اعطيت قلبا نابضا ... كل شيء بعده سوف يهون

صاحب الكرسي قد خلفه ... سلفا ، أو قدوة للمقتدين
الفراغ الضخم من يملؤه ؟ ... كم عروس اتخمت بالخاطبين
(رفعت) كان لمصر رفعة ... ومنارا واضحا للسالكين
جمع الفضلين في أعطافه : ... شرف العلم ، وخلق العالمين
شهدت ((اسيوط)) منه مولدا ... لم تهيئه قصور المترفين
كان للتاريخ تاريخا ، حوى ... بالعصامية قدر المعرقين
ليتني أظفر من كرسيه ... بالذي أوليتموني من ظنون
ظنكم ــ والله ــ لن اخلفه ... فلقد صممت والله المعين

أيها المجمع شكرا حينما ... كنت فينا اكرم المستقبلين
هكذا الزراع رفقا بالجنى ... وكذا الآباء لطفا بالبنين

---

(١) يشير الشاعر الى انه لم يظفر بالفوز بالعضوية من اول مرة كما هي عادة المجمع . (٢) هو الدكتور مهدي علام امين المجمع وعميد كلية آداب عين شمس سابقا وعضو المجلس الاعلى للفنون والآداب . (٣) هو الدكتور أحمد الحوفي عضو المجمع والاستاذ بجامعة القاهرة . ومن عادة العضو المرشح ان يزكيه عضوان . (٤) ألقى الشاعر كلمة استقباله بالمجمع قصيدة على غير ما جرت به تقاليد المجمعيين ، وهي السابقة الاولى بالمجمع . (٥) يرد الشاعر على من قال ان المجمع يختار اعضاءه من كبار السن ...

القاهرة — محمد عبد الغني حسن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



فوزي عطوي

كتبت اليك

بقلم فوزي عطوي

* * *

لم تكن هذه الرسائل مرشحة للنشر ، ففيها من البوح الوجداني الموجع ما يحمل صاحبها على التورع والتهيب ازاء تعميمها على الناس ، اذ يبقى صحيحا ، على الدوام ، ان الكاتب يملك الكلمة ما لم تخرج من ثنايا قلمه ، حتى اذا عممها بالنشر اصبحت هي المالكة له .

لقد كتبت هذه الرسائل خلال فترات زمنية متقطعة ، بعضها قريب ، وبعضها الآخر يعود الى مراحل بعد بها العهد ، واندرجت في عداد الذكريات ، بمراراتها وحلاواتها سواء بسواء .

واني مذعن « للاديب » في المنطق القائل بعدم جدوى الاحتفاظ برسائل تتسم بلمحات ادبية ووجدانية بارزة . مجيزا لنفسي التصرف في ترقيمها ، وفقا لتسلسل عشوائي غير زمني ، لاسباب احتفظ بها لنفسي ، فاذا لقي هذا النهج من الكتابة قبولا ، فالفضل فيه لهذا القلم المتلفع ببقايا الحياء الادبي ، رغم كل شيء ، اما اذا لقي انتقادا فالغرم فيه يتحمله وحده استاذنا الكبير منشيء « الاديب » الاستاذ البير اديب .

الرسالة ــ المقدمة

حبيبتي ،

كتبت اليك ، وكتبت عنك . فلك وحدك الفضل فيما كتبت عنك اليك !

كتبت عن بعض حبي . ومن بعض احزاني ، ومشاغلي ، وهمومي تخففت .

وظلمتك ، فحملتك كثيرا مما اثقلني ، فكان قلبك افسح من ان يضيق بظلمي ، وكانت روحك انبل من ان تحرجني بثقل ما حملت عني !

ولقد شاطرتني من العمر سعادته وشقاءه ، وبلوت كما بلوت حلوه ومره ، والهمتني الحلو المنمنم من بياني ، ودفعتني مشجعة فاستهنت بالعثرات ، واستسهلت العقبات ، وكنت كما احببتك ، حبيبتي وصديقتي ورفيقة دربي ، فبات سري لائذا بصدرك ، وانست مطامحي الى فيء نفسك !

فاذا صدق الناس او لم يصدقوا ان ما بين ايديهم هو بعض ما كتبت اليك ، فحسبي انك تجدين ذاتك ، عبر السطور ، وتتنسمين منها عبيرك الذي تنسمت .

ولسوف يظل ما كتبت اليك نموذجا نبيلا لحب كبير ، يتهاداه الاحبة ، ويومئون الينا من بعيد ، فلا تزيدنا الايام الا القا ، ولا يصوح لنا عطر ، ولا يذبل لنا زهر . واسلمي لي .

الوعد السماوي

بعد الذي كان ،

سأظل احلم بيوم ارتقي فيه الى عالمك الروحاني السعيد بعناق الحق ، وسأحفظ عنك ، مستغفرا لهنيهات من الضعف عبرت بي عالم التجربة ، ان في البشر اناسا يشاركون ارباب المثل بعض همومهم ، فينكرون ذواتهم لاجل بني البشر ، ويخنقون خفقات قلوبهم من اجل وعد سماوي يزرع الضوء في عيونهم ، ويحيي الرجاء في نفوسهم . ويجسدهم اطهارا ابرارا في عالم الملائكة !

وثقي انك في القلب ، الى الابد !!

الجفون المكحولة بالحب والحزن

عجيب حالنا ، يا امراة دخلت الى محراب عمري بغير استئذان ، واذنت لي بالدخول الى محراب عمرها ، لاتلو ترانيم ايماني بعظمة الانسان المخلوق على المثال الاسمى ، ولاخشع الخشوع كله ، امام الجمال الماسح بيده العبقرية على جفون تكحلت بالحب والحزن وبقايا الوسن . ولاستلهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطهر كله من روح حبيبة مطيبة بالسماح ؛ فانسى ما كان من شقوة الامس ، واشعر ان الغد الموعود كفيل بأن يبرئني من تفاهات ضيعت ايام امسي ، متسكعا على دروبها .

عجيب حالنا ، اذ نتشاكى الهموم ، ونتناجي في مثل وجد الصوفيين ، ثم لا ننفك في غفلة من هناءتنا المشبوبة ؛ نكابر حينا بلا مكابرة ، ونعتب بغير عتب ، ونخاف من مجهول يلم بحبنا ، فنكتب النهاية كما لم نكتب البداية ؛ وننتهي على غير ما نشتهي .

لكن ارق ما فينا ، اجمل ما بيننا ، اطهر ما لنا ، اننا سرعان ما نتخطى وهم المجهول ، ونعود سيرتنا الاولى ، فنتحدى كل عثرة ، ونجتاح كل عقبة ، واثقين ان احدنا يكمل شطره الآخر كمالا روحانيا لطيفا ، واننا على غير استعداد للتيه في فراغ او للسير في عالم الضياع !

ويا اغلى الاحبة !

تعبت من طول السرى حتى وجدتك ، فلن تضيعي مني بعد اليوم . لن تضيعي !

جدت علي بالنعميين

ايتها الغناء الوارفة الظلال !

اني الحدائق المخضوضرة ، بعد ، انت ؟ أم استحلت الى مثل ما ارى امامي الآن ، وعلى مرمى النظر ، رمال الصحارى والسراب ، لا يمدها الخليج الساجي الى جوارها بقطرة عذبة من مياه ، ولا تخبيء واحة اشجار النخيل قبالتها ما اعترى كثبانها من الظمأ والهجير ؟!

ابعد ، في جفون براعمك ، يترقرق دمع الندى السكوب ، وعلى ثغر ازاهيرك ، تتألق ابتسامة الفرح القديم ؟!

وهل عصارة حلوة ، بعد ، تختلج في عروق الدوالي ، وتضج في ضمير العناقيد ؟!

اتلك انت ، بعد ؟ أم آلت حالك الى غير حال ؟!

كنت لي نيسانية الهوى ؛ فاعدت الى قلبي خفقات الربيع الدائم ، وحملتك في يدي . حملتك في اهدابي . حملتك لحنا شجيا في قوافي ، فعرفت من جديد كيف احيا بك ، وكيف احيا لك !

وتوالت علينا الفصول !

وبقيت أنت انت . بقيت نداوة الربيع في جفاف الصيف ، وابتسامة الربيع في شحوب الخريف ، وهداة الربيع في عواصف الشتاء ، وفي كل ربيع كنا نعانق معا اناشيد الحياة !

ثم دار الزمن دورة رفضت ، يوما ، ان تكون في حسبان هوانا الابدي .

مر بنا الربيع ، ذات يوم ، فذكرتك . ولم تذكري انني انا ايضا وليد الربيع الاثير !

وتناءت بيننا المسافات . وتنافر الود ، وطوح بي الجفاء في كل ارض ، وتحت كل كوكب ، وما نسيت يوما حكمة الشاعر القديم :

ان القلوب اذا تنافر ودها مثل الزجاجة ، كسرها لا يجبر !

وغلبتنا يد الزمن القاسي ، فلم تكن خطوطها كآثار اقدام عابرة على جبين الرمال ، بل تشبثت بتاريخنا ، وتعمقت كما تتعمق الغضون فوق الجبين المتعب من تراكم السنين !

لعلك الآن تبحثين مثلي عن علة لانقطاع الوداد !

لعلي ، مثلك ، ابحث عن علة تسيغ لي قبول ما انهيت الي من مبررات خجلى ، حسبها وهي لا تقنع نفسها ، انها لا تطمح الى اقناع سواها !!

ان الحديقة الغناء التي لا ترتوي مما يرفد ثراها بالسلسبيل العذب ، تبحث عن الري عبثا في الخلجان والمستنقعات !

ولربما حجبت غيمة مسافرة عابثة وجه الشمس عن عيون البشر ، لكن الشمس تبقى ام الضياء ، وتسافر الغيمة العابرة الى حيث تعبث من جديد !

ويا حبا قديما لا يموت !

ربما حق لك ان تنعتي بالوهم ما انطق به عن قناعة حميمة ! لكني التفت من حولي الى براعم كنت اراها تترقرق بالندى ، والى ازاهير كانت تتألق بالفرح ، والى ثمار كانت تضج في ضميرها عصارة حلوة سمحاء ، فلا ارى الظلال الوارفة الاصيلة ، بل تصدعني الحديقة الغناء وهي تعيش في ظل اوهامها ، ضائعة بين حب قديم وصداقة محدثة ، نابية ان القلب لا يستطيع ان يشرك في الهوى احدا ، فأحس ان ما كان قد كان ، وان الدوام لن يكون لغير وجه الله ووجدانه !

اكثر علي ، بعد ، ان احرر على رصيف احزاني رقيق الذكريات ، فيما ارى رياح شراعي توجه مجاذيف سفينة الايام نحو الوراء البعيد ؟!

يوم اعدت لي حريتي ، جدت علي بالنعميين : نعمى الخلاص من اسارك ، ونعمى الحنين اليك .

فباسم ما اعطيت ، اتركك بحرية ، وآتيك ساعة يبرح بي الحنين ، بحرية ايضا ، لا لان لك شيئا عندي ، بل لانك ، رغم كل شيء ، لم تستطيعي ان تخنقي في اعماق اعماقي نداء الوفاء !!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على ارصفة الزمان

سواء تلطف السائلون ، فكتبوا الى هذا الانسان الدائم الاغتراب ام لم يسألوا ، فهو يعرف ان الابتسامات العائدة الى العمر ، بعد سفر طويل ، اصبحت هي الاخرى دائمة الاغتراب .

ولطالما اعتاد هذا الانسان ان يقتات من ذكرياته ، غير لائم ، ولا عاتب ، ولا منفعل ، بعد ان استقطر وجدانه كل احزان الجراح القديمة والجديدة .

فلعله ، وهو يجرر ايام العمر المتعب ، على ارصفة الزمان ، يتعلم بعد الآن كيف لا يتعب الآخرين بتفاهاته وشؤونه الصغيرة ، لانه اصبح مقتنعا ، اكثر مما مضى ، ان الواقع لا يبدل ، وان الحقيقة يجب ان تقبل ، ولو مرة المذاق .

ماذا تراه ، هذا الانسان ، يستطيع ان يقول ، بعد ؟

صدقا ، لا يعرف ماذا يقول ؟

لا يعرف ماذا يقول ؟

العتاب المنسكب

كرقة حبك ونجاواك ، ينسكب عتابك في مسمعي ، فأحس هوانا يكبر ويكبر ، حتى ليشمل الدنيا بمن فيها وما فيها ، واشعر ان عتابك هو بعض ما يبوح به دلالك ، وغنجك اللعوب الطروب ، فتورق الاماليد ، بعد يباس ، وترق الحياة ، فلا تنتهي حلاوتها في نفسي وفي نفسك .

ولقد عهدنا المحبين ، قبلنا ، يرفعون الكلفة فيما بينهم ، كلما اوغلوا في ارتشاف كؤوس اللذاذات . لكننا نحن ، والذ لذاذاتنا هذا الانسكاب الابدي من نفس في نفس ، ومن جسد في جسد ، نستمر ونستمر ، سعداء بما بيننا . وأسعد سعادتنا ان ما بيننا سر لا يعرفه احد سوانا . وأرق ما بيننا ان كلا منا شغل الآخر بنفسه ، فاغمض الناظرين عن كل ما حوله ، لئلا يرى غير الوان الجمال . في كل مرمى بصر .

فان تفلت ، من شفتي ، ذات يوم حرف مما يقوله الناس ، فاغفري لي بشفاعة ما تعرفين من حبي الفريد الوحيد ، وثقي ان كل مقاييس البشر ، وكل اسمائهم وتسمياتهم ، وكل اضاليلهم التي يلبسونها ثوب الفضيلة الزائفة ، لا تعدل عندي ابتسامة تحيل نار الشمس الى ضياء ، وتحرك في مكامن النفس احلى امنياتها : واسلمي لي .

تعطلت كلماتي

انتهيت الآن من تلاوة سطورك الحلوة المنمنمة المغموسة في طهارة نفسك . المنسولة من نبل اخلاقك ، فسألت نفسي : احقا يستطيع مثلي ان يكون ظالما الى هذا الحد ، وعن غير قصد ، لانسانة مثلك تستطيع ان تحب بمثل هذا الحب العظيم .

وصدقيني ، تعطلت كل كلماتي امام بوحك الساحر . امام نقائك الموجعة ، واحسست كم كنت كبيرة ، كم انت كبيرة ، كم ستظلين في عيني ، وفي قلبي ، وفي روحي : كبيرة كبيرة !

كل البلاغة التي تحاولين احياء ذكراها في نفسي ، اصبحت خرساء لانني شعرت بلغة القلوب تتدفق من قلبك الطاهر ليسجلها قلمك الواله الحبيب .

هل تسمحين لقلبي وحده ان يخفق بحبك ، ولقلمي ان يستمع ، بدل ان يتكلم ؟ فان في كلماتك العذبة كالنهار ، الساطعة كالشمس ، القوية كايمان العابدين المتصوفين ، فعل السحر في عمري .

بصراحة وصدق وحب اقول لك : ان الانسان الذي احببته كل هذا الحب ، يتمنى ان يكون مستحقا لما بذلته في سبيله من حرقة وعذاب ، وما ذقته كرمى له من مرارة الالم الوجداني العميق .

وصدقيني ، بعد هذا ، انك بكلماتك الحلوة الرقيقة ، بموقفك الرائع الشجاع ، انتشلتني من عالم الضياع ، جعلت لهذا العمر المتعب من كل شيء ، معنى جميلا طيبا ، كأن يد العناية الالهية اعادتك الى احضان نفسي في الوقت المناسب .

فاذا قلت : احبك ! كان قولي ادنى من حقيقة مشاعري نحوك .

واذا قلت : اقدسك ! لم اعطك سوى ذرة مما اعطيتني بسخاء .

واذا قلت : احترمك ! لم أبح لك بغير الحقيقة التي لا تتبدل .

يا نجية عمري ،

كادت خطواتي تتيه بي في المعارج والمنزلقات .. فلا تعتبي على ايام لا نحصيها في حساب عمرنا .

ان لنا الغد المشترك . ان لنا حبنا الرائع . وانا لك قدر ما تشتهين !

كنت قصيدة القصائد

ولقد حاولت رسمك ، فتعثر اللون على اطراف ريشتي : وابى علي الفن المبدع ان اجمع بين الرسم والشعر ، حتى لا اشرك في وحدانية الجمال ، ولا اشوه الوجه الذي احببت حتى الجنون !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحاولت ان انظمك قصيدة ، فتالقت رقة في ثنايا القافية ، ووزعت سطوة الاميرات بين معارج الحروف ، وكنت كمهدي بـــك ، قصيدة القصائد ، وكنت الحـــب النيساني المورد الذي ما احببت مثله انسانا !

وما انت وحدك ، يا حبيبتي ، في توغلك عبر نفسي ، لتكتشفي ما فيها من كنوز ، او ما يشوبها من حماقات .. فأنا الى جانبك ، اريدك رقيبا علـــى ذاتي ، ادلك على خطاياي ، واكشف لك عن اخطائي .

لقد برئت مما حملتني الايام من تفاهات التسكع ، في اودية الرغائب ، ورحت احلم بالعالم النوراني الذي يحملني اليك ، الى قممك المشرئبة كنفسك البريئة حتى من تهمة جمع الطوابع !

وان تتغلغلي بين اوراقي ، فقليل قليل عليك ، ايتها المقيمة في دمي ووجداني ، والماثلة على شفتي صلاة ، وفي قلبي تقى وتعبدا .

وطمئني مزهريتك ،

ان التي ترش السحر والجمال والحب ، لا تذبل ازاهيرها ! لا تذبل .

عرائس الاساطير في الجزر القديمة

الاهداب الحيية المتكسرة على وقع بوحنا المهموس ، واللفتات الحلوة المغناج ، وهذا الانسكاب الوجودي الكلي مـــا بين ذاتينا ، في احاديث الملائكة ، وفي بعض اعمال الشياطين ، تؤكد لنا كلينا ان ما بيننا قد تجاوز نطاق ما نصر على تسميته اعجابا واستلطافا ، وبلغ حدا جعـــل العيون تتعب من الوسن ، فلا تنطبق في الليالي الحالمات الا على صورة احدنا ، كأنما عشنا طويلا في عوالم الضياع ، ثم اهتدينا الى الضالة المنشودة ، ولو بعد زمان طويل !

ويا ارق النساء !

اسائل نفسي ، وانا بريء من كل قناع يزيف حقيقتي ، عن معنى الايام الخوالي التي مرت بنا ، ولم ينعقد لنا فيها تعارف او لقاء ؟ افتحسب تلك الايام لنا ، ام تحصى علينا ، لان يد الاقدار لم تشأ ، منذ ان ابدعتنا يد الله على صفحة هذا الوجود ، ان تجعل الروح تنسكب في الروح ، والجسد يذوب في حنايا الجسد !

ولكن ، لا عليك يا غالية !

الآن ، في هذا الاتحاد الروحاني النبيل الذي نحس بفضله اننا نخلق بأجنحة الطيور الجميلة ، ونغرد بحناجرها ، وننظر بعينها الى عين الشمس ، كأننا نتحدى لهيبها بما يجتاحنا ، وجودا وكيانا ، من لهيب الشوق الذي لا ينطفيء ، ننسى الكون من حولنا ، ننفض عنا غبار الزمن المسافر ، تضج في اعماقنا تهتهات السعادة النشوى ، لان عناقنا الروحاني سيكون عناقنا الابدي الذي لا ينتهي .

لقد كدت اضيع الخطى على ارصفة عمر تائه ضليل ، كان القلب يتنقل فيه تنقل البلبل الزئبقي الهوى ما بين غصن ظليل وغصن ظليل . فها قلبي يبحث عن حبه في اعماق كيانك ، فهل تفتحين له هذا الصدر الرقيق المنمنم ، لكي يستظل في فيء قلبك الحبيب ، ايتها الحبيبة الحلوة النبيلة التي تذكرني كل حين بعرائس الاساطير في الجزر القديمة ، واميراتها الحالمات ؟

التمس العذر لنفسي وللآخرين

يمر بي نيسان هذا العام ، وانا الهارب الدائم من نفسي ، البي كل دعوة تأتيني من اربع جهات الارض ، معللا مبررا هذا الضياع الذي اعتدت فيه التشرد المستمر بين مقاعد المطارات ، ومقاعد الطائرات ، ومقاعـــد الفنادق وأسرتها ، ان ثمة انطلاقة فكرية واسعة تطلق خطواتي الى ما وراء حدود الوطن ، ناسيا او متناسيا انني كنت ، ذات يوم ، لا اطيق مبارحة ارض بلادي ، احساسا مني بالانتماء والولاء للانسان فيها ، ولكل ذرة تراب في ثراها .

على ان ثمة شعورا عميقا غريبا ينتابني منذ فترة طويلة : الانسان الذي ملأ كياني حبا ، وبث في وجودي كل معاني الكبرياء والطموح ، هو الذي تسبب من حيث يريد او من حيث لا يريد ، بنفوري من كل شيء ، حتى من انجازاتي التي يصفها الناس بالرائعة ، حيثما حللت ، لكنها اصبحت بكل صدق واخلاص ، لا تعني شيئا بالنسبة الي ، عدا انها مجرد سلوى واضاعة وقت احب ان اسيطر عليه ، لئلا يزيدني مضغه بغير طائل الما على الم ، وحزنا فوق حـــزن .

وبنزاهة وحب كبير اقول : لقد تركت لنفسي بعض حريتها ، ورايت الا اصدها عن الناس ، والا اصد الناس ، وحسبت ان تجربة جديدة مع انسان جديد ، ربما تنسيني ما كان من حرقة التجربة الاولى .

وربما ظلمت نفسي ، آنذاك ، بل ربما احتقرت نفسي ، فكنت اضحك في اعماقي من هذه اللعبة الطفولية التي لم تبدأ ، ولم تثمر بطبيعة الحال شيئا .

لقد اصبحت واثقا انني لن اشهد في بهاء تجربتي مع انسان وطني ، تجربة اخرى . ويؤلمني ان اقـــول ايضا بنزاهة وحب كبير : انني لم ارتكب في حق انسان وطني ادنى اذية حتى اكافأ بمثل المكافأة التي لا احب ان انبش دفاترها . وفي يقيني ان الحب الذي حملته لانسان وطني لن يستطيع ان يحمله انسان يحب انسانا ، ولـــو زعم وادعى . فعبثا ، بعد هذا ، ان اخوض التجارب مع اناس اخر ، وبذلك استغني عن جرح كرامتي ، او جرح كرامة الآخريـــن .

ولقد حاولت ، بما في طبعي من شيم الوفاء - ان اعود الى انسان وطني ، وان استعيده الى مكانته الاولى من نفسي . ومن سخرية الاقدار ان اقسو فاعلن انني لا استطيع المخادعة ، فلا انا عدت بمثل لهفتي المعهودة الى انسان الوطن ، ولا احسست انسان الوطن قادرا على استرجاع مكانته الاولى من نفسي .

وهذه خسارة كبرى ، ولا ريب ، اذ انها ستجعلني اقطع عهدي بتغريد البلابل ، سواء شئت او ابيت ، وهذه ادلة الصمت المبرح لا تحتاج الى اقامة الدليل . ومن اسف ان يضطر العازف على الوتر الى الانتقال ، ربما ، للنقر على الطبول ، فلا الغناء غناؤه الاصيل ، ولا الالحان الحانه المشبوبة المشتعلة شوقا وحنانا وحنينا .

أفيكون لي ان اصارح انسان وطني ، بعد هذا ، بأن من اوجع التجارب الوجدانية ، في اعمار الخلصاء الاوفياء ، ان ينتقلوا من مواقع الاحباء الذين يشاطرون بعضهم بعضا هنيهات حياتهم ، بكل ما فيها من امل والم ، الى مواقع الاصدقاء الذين يثقل التكلف احاديثهم ، ويحيلها الى مثل برودة ثلوج قمم افرست ؟

اني ارى ، بكل اخلاص ومودة ، ان اقطع صلتي الملهوفة السابقة بانسان الوطن ، لانني آبى على نفسي ، وعلى هذا الانسان بالذات ، ان ننتقل من مواقع الاحباء الاوفياء الى مواقع الاصدقاء المتكلفين . فاذا تسنى لنا ، بسبب من الاسباب ، ان ينعقد بيننا لقاء ، باي شكل وفي اي مكان ، كان لقاء الاحباء القدامى الذين لم يضيعوا ذكرى عزيزة غالية .

لقد خلصت من تجربتي مع انسان الوطن الى لون من التصوف ، بل الى التصوف الفكري والعاطفي معا . فليس من حقي بعد اليوم ان ألتفت الى شؤون نفسي ، وانما علي ان اعيش واعمل واجاهد من اجل اسعاد الآخرين ، حتى ولو شقيت لاجلهم . وفي هذا ذروة الثورة على النفس ، بل ذروة التغلب على النفس .

وفيما احس ان هذه العبارات الهادئة الحزينة قد تؤلمنا معا ، فاني واثق من انها العبارات التي ينبغي ان تقال ، فما انا بالمخادع ، ولا انا بالمتسكع على ارصفة الزمان ، لكنني انسان حبدق نفسه فصدق سواه ، وحسبي انني لا التمس العذر لنفسي بأكثر مما اجد العذر في نفسي لغيري . فلعل للانسان ، اي انسان ، منطقا لا يبلغه منطق الآخرين .

اني ليؤسفني حقا ان يكون قد آذاك ما تطاير من رشاش هذه الكلمة او ما تساقط من رذاذها ، لكنني اعرف على الدوام ان الصراحة هي اقصر السبل الى قلوب الناس ، وان صدقي وكرامتي هما كل ما تبقى لي : في التعامل مع الانسان ، فوق كل ارض ، مع محبتي وتحيتي !

عند آثار المدينة

اراك تعجبين كيف تنقاد خطانا ، في قلب المدينة الحية ، والى بقايا آثار التاريخ ، حيث الصمت ، والموت ، وبقايا انفاس الذين مروا من هناك !

لكنك لو ذكرت ، كما اذكر ، ان العمر حلم جميل . واننا في هذا الحلم لا نعرف سوى البداية بالولادة ، والنهاية بالموت ، لادركت ان الآثار وحدها قادرة على ان تكون قبل البداية ، وعلى ان تستمر بعد النهاية ، لتعبر عما بين بداية حلم العمر ونهايته ، ولعرفت مثلي اننا في الغد ، سنصبح اثرا قد يمر به انسان ليرى كيف يكون الحب البهي الندي حكاية الحكايات !

وغدا ، يا حبيبتي ، حين يلف الصمت عمرنا ، فيكتب القدر سطور الحلم الاخيرة ، ويعانق جسدنا الموت الهانيء الهادىء ، ستكون ارواحنا مصفقة بأجنحتها النورانية في آفاقها القدسية ، حيث لا فراق هناك ، ولا موت ، ولا حزن على شيء يضيع .

فان صح تقمص الارواح فيما بعد الموت ، فان روحينا ستتقمصان انسانين متحابين يجددان ما بيننا ، وتنقاد خطاهما في الدروب التي انقادت فيها خطانا ، باحثين عن آثار تاريخنا المطرز بعبق الزنابق !

آمنت بحكايات العجائز

كما الاميرات الحالمات ، لمحتك في العشية تخطرين في معاطف الطيب والحب والجمال ، وتنثرين البسمة الشاعرة ، فتتشقين بها العتمة الدجية ، من حولك !

واذا الحلم يكذب الحقيقة التي لمحت ،

واذا العتمة تحيط بك ، مسجاة على فراش الموت ، وأنت ترفلين في ثياب العرائس ؛

واذا الحلم ثقيل ثقيل ، والهاجس مرهق مرهق !

وفي الحلم رفضت ان اصدق ، اذ ما تخيلت الموت بلا قلب ، ولا ظننته يمد يدا من بعيد الى غافلة وتلهم الخاطر نفثات الخلود .

ما زال يهزني حلم الموت ، وهو يطوف بك ، فانساق مع التوهم بأن وصالا ما بيننا قد انقطع ، فلا ادري اي طعم للغناء احس به ، اذ تحسين به ، ولا افهم كيف يمكن ان تنتهي بنا مواسم اللقاء والعطاء !

ويا حبيبتي ! حدثتني العجائز من زمان ان الموت في الحلم يبشر بحياة تكتب للميت ، من جديد !

الآن ، يا حبيبتي . آمنت بحكايات العجائز !

ابتسمي للحياة

رثيت لك ، امس ، اذ رايتك زهرة ناضرة ، في يدها زهرة صغيرة ذابلة ، لا ينعشها المطر المحيط بكما ، كانما المطر كان لكما صقيعا يجمد شرايين القلب ،

وانتما كنتما تحبانه لو يكون المطر الذي يحيي موات ارضكما ،

ولكن ، لا عليك يا موجعة الشوق والكبرياء !

قد يرغمك القدر على ان تتحملي لوعة الذبول ،

وقد تخيط بك ليالي الظلم بالشقاء المحزن المضني ،

وقد يظل المطر ، كما رايته ، صقيعا لا يحيي موات ارضك ، فلا تنبت الارض بذوره ، ولا تزهر ولا تثمر ، ولا تنبت لـه حتى الشوك والعوسج ، الى جانب الزهرة الصغيرة الذابلة .

على انك مدعوة الى بطولة عصماء ،

فليكن الذبول القا على جبينك ، وليكن الحزن فرحا مكابرا في قلبك .

ولا تنكري المطر ، اذ ساقتك اليه يد القدر ، فانبت في ارضك ، زهرتك الصغيرة الذابلة ،

وابتسمي للحياة !

ان الحياة تقسو على الغارقين في بحار الدموع !

بقينا صغارا ، ولم نكبر

اتدركين كيف نكبر عاما بعد عام ، على اننا نبقى في مثل طهارة الصغار ، وفي براءتهم البيضاء كقلب النهار ؟

فان سالوك ، غدا ، لماذا لم تكبري ؟ اجيبهم كما اجيبهم لو سئلت : لقد رشفنا الهوى من اصفى ينابيعه ، فلم نلتفت الى زمان يعدو كالملهوف ، ولـم نكترث بمكان يجمد كالابله !

قولي لهم : اننا حيث حللنا ، حركنا المكان الذي لا يتحرك ، واوقفنا الزمان الذي لا يقف !

لذلك ، قولي لهم ، نسينا ان نكبر ،

ونسينا الا احلام الطفولة ،

ونسينا ان نكره ، ونسينا ان نفكر بشر ، كما يفكر البشر !

لذلك ، قولي لهـم ، بقينا صغارا ، في مثل براءة النهـار !

اما اذا ابيض شعر فوق هام ،

واذا زحف شحوب الى وجه ،

واذا ارتسمت علامات التعب تحت الجفون ، فذلك حساب مع الايام ، لا شأن لنا فيه !

حسبنا اننا نحب في ذاتنا ما نحبه من براءة الطفولة !

خبز بطعم ايام السماء

هذا عرس شهي لتعانق الارواح ، يا اغلى الغوالي ، وموسم من اطيب المواسم ، لذ فيه الجنى وطاب القطاف !

كنت في رحابك ولم اكن !

شعرت انني احملك ، اطير بك ، ابحث عن المجهول في اشياء واشياء ، فلا اصحو من غيبوبتي الا وقد افلت من يدي ، وبعدت الى حين ، كما تفلت الهنيهة الشاردة في ثنايا الزمان ، ثم اذا انا اضيع معك في غيبوبة نشوى ، من جديد !

شعرت انني اتخفف ، امام قدسية جمالك ، من كل احزان الدنيا الغارقة في عيني ، فانتقل عن اهدابك الظماى الى حبي سطورا من السحر الحلال ، واسرق من ضفاف شفتيك الحلوتين بعض اسرار اللهيب ، واتكيء على خد خجول آنا ، وآنا علىّ عنق ، وحده يعرف طعم العناق !

وعدت من رحابك الى رحاب هذه الدنيا ، فما ابشع ما رايتها اذ قارنتها بدنياك الندية السمحاء ، الغنية بقلبك النابض بحب الخير ، والخافق بأطهر الامنيات !

ويا حبيبتي ،

سواء تعانقنـا بالروح ، او تواصلنـا بالجسد ، فستظلين عندي ، في الحضور والغياب ، نورا يزف إلى نور ، في موكب روحاني يحف السماح بجانبيه ، ويوزع على الكون خبزا بطعم ايام السماء .

في عرسنا الموصول

احس اذ اغرق في بحر عينيك ، بشاطىء من اللازورد العسلي الداكن ، ارتاح اذ القي بنفسي فـوق ضفافه ، فتنسيني موجة السحر التي في عينيك الحبيبتين ما انا فيه من مشاغل الايام !

اغرق عيني في العينين الحلوتين ، فاحس الجمال يذوب في الدنيا من حولي ، ليتقطر صفاء ، وينساب كبرياء لا يعرفها غير من ذاق كبرياء الجمال !

واغرق ذاتي ، اغرق كياني في ذاتك ، في كيانك ، فاشعر ان كنوز الروح التي اكتشفت تضاهيها روعة ورقة ولذة كنوز الجسد المعجون بالنار والندى ، فاذا انت بين يدي لهيب مشبوب ، واذا قطرات الندى تنسكب من عالمي ، وتتسرب الى عالمك ، فتشعرنا معا اي رائعين يتعانقان ويتواصلان !

ويا حلوة الحلوات !

كذب الذين قالوا : ان حب الروح يفتر ، اذا شاركه حب الجسد !

ها نحن ، في عرسنا الموصول ، نائتلق روحا ، ونائتلق جسدا ، فلا يزيدنا الائتلاق الا هوى مشبوبا ، ولا يزيدنا الائتلاق الا شوقا الى الكنوز المخبوءة ، ان كان بيننا ، بعد ، من كنوز لم تكتشف !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الالم مطهر النفوس

وكنت بقربي ، تشهدين لاول مرة ، ربما ، ما تنفطر عليه الجبلة البشرية من ضعف جسدي . فلا مقاومة ، ولا مكابرة ، ولا قوة اعصاب تزيح من امامك ما تشهدين من فصول الالم الصامت ، وما تدركينه بالحدس من تمزق يكاد يتفجر عذابا يضني ، فلا اعترف به .

ولن انسى ما حييت انني تسببت لك بالم نفسي يجاوز الي الجسدي ، اذ دعوتك الي ، قبل ان تبرح بي الاوجاع ، فجئتني بأثواب الملائكة ، لا لتقابلك مني ابتسامتي المعهودة ، وانما لتقفي ببابي هنيهات طوالا ، وانا لا احس بالوتقة الملتاعة ، واذا كلانا في مهرجان للعذاب !

ولقد شعرت ، اذ ذاك ، رغم ما بي ، انك قلت لي ذات يوم ، مقالة صدق لا ترتقي اليها ريبة ، ولا تداخلها فطنة .

قلت لي : « جميل احيانا ان يكون المرء ضعيفا لانه يكون اذ ذاك في ذروة انسانيته » .

وحقا لست ادري تحت اي صفة كان يمكن ان يندرج الكائن البشري ، لو كان لا يعرف طعم الالم ، ولم يلون وجنتيه السقم .

ان الالم مطهر النفوس البشرية ، ومنهل الانسان ، في ائتلاق روحه ، وصفاء وجدانه !

انثر البسمات ، وانا اتمزق

لكنني وانا في مثل حرقة الناذم على ما تسببت به من الالم النفسي المضّ، اقابلك بابتسامة المكابر من جديد، واظهر انني استنقذت نفسي من كل السم ، فالحمية والحيوية دافقتان ، كما لو لم يكن بي شيء من وجيع المرض ، وكما لو كنت شفيت كاهنا ما يكون الشفاء !

على انك لو تعلمين ما انا فيه من صراع داخلي ، ومن حرص على ان انثر البسمات ، وانا اتمزق ، تكثيرا عن آلامك بالامس ، لكنت هتفت في وجهي :

« ايها الجاني بحق نفسك ، لذ بسريرك ، وبعدها قم الي سليما معافى ! »

لكنك ، وانت في جانبي ، كنت تمدينني بحنانك الحلو الحبيب ، وتسكبين بين اجفاني المتعبة ما اراه اهنأ من الهناءة، وامتع من لذة الشفاء !

كنت احس لذة المحروم ، وقد اذن الله له بوصال طالما تمناه ، بعد طول النوى ،

كنت احس انك اعدت روحي الى جسدي ،

وشكرت للمرض انه جعلك الى جانبي ، تشاطرينني حتى ادويتي المرتجلة التي لموها لي من كل جانب !

دفء انفاسك الولهى

لحظة احتوانا المطر المؤتلق ، في حرارة اللقيا ، بعد طول اشتياق ، وتهاوينا على وصال دافيء نشوان . كدت في لحظة من لحظات جنوني ان تضعفي ، وان تقولي لي اشياء ما احببت سماع شيء منها .

ولقد حرصت على استنقاذ نفسك من براثن الضعف ، وعلى محو كل سبب يثير شقاءك اليوم ، او كان آثاره في الماضي ، فما احب لك ، حتى في لحظة الضعف ، ان تشوهي صورتك الحلوة في خاطري .

وكم اكبرت فيك المعية الذكاء ، اذ رحت تدافعين عني ، وانت انهم نفسي بالضعف امام جمالك الاخاذ ، وسحرك الفاتن الذي يدير الرؤوس ، وتختصرين الاجابة بالفاظ قلائل !

ويا احب النابس عندي ،

تكبرين في ضميري ، كل يوم ، وكل يوم اكتنه عبر ذاتك كنوزا وفضائل ، فاعيش كما تحبين لي ، مبرا من الرذائل ، بعيدا عن المفاسد والشرور !

وتعمقين في نفسي حب الحياة ، وحرصي على اداء الخير لبني البشر ، ولو قابلوني بشر لا تطيب به نفسي !

ولانت ، في الضعف والقوة ، تعرفين انني لا اطلب منك المزيد ، الا لان حبي لك لا مزيد عليه ،

وانت تعرفين ان المزيد مما اطلب هو ان تكوني لي ، بجانبي ، تبثين في وجودي دفء انفاسك الولهى !

عودة الموسم الاخضر

وعاد الموسم الاخضر ،

وها نحن بين يدي هوانا ، نترع كؤوسا ، وننهلها صافيات رائعات !

ها نحن نغفو الاغفاءة النشوى ، في عناق لا ينتهي ، ونزرع الدنيا حولنا حياة حلوة غناء !

ان الغياب الذي اضنى ،
والشوق الذي برح ،
والانتظار الممل الذي كاد يقتل ،
كل ذلك يا حلوتي المغناج ، عاد حضورا لا غياب بعده ،

وعناق يلهبه شوقنا ، ولا يضيمه ،
ولقاء يطيح بملل الانتظار .
ان تكسر اهدابك الظماى الى لهيب شفتي ،
وارتعاشة شفتيك التائقتين لجنون قبلاتي ،
وانثناء خصرك ، واضطراب صدرك بين يدي ،
ان كل ما في ذاتك من ثورة الروح والجسد ، لاغلى عندي من كل ما في الارض من كنوز !
عاد الموسم الاخضر ،
وعدنا نغني كما كنا نغني !
نغني حبنا الغالي ،
فتقف الاطيار عند شباكنا ، تسترق السمع الى بعض

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التراتيل ، وتغض الطرف عما ترى من جنون اللقاء !!

احرص على شرف صداقاتي

احس ، وانا اخط اليك هذه السطور المتعبة ، ان الكلمات تختنق في فمي ، وانها تحترق بين اصابعي . فلقد انتابني من التردد في كتابتها اليك ما اقتضى مني ليالي وايام كانت ، على ما عانيت فيها من صعوبة الموقف ، اجمل الاوقات التي سوف تظل الى الابد ملونة باحلى الذكريات .

واذا كان لي وحدي ان اعرف صدى ما يتالق في اعماق ذاتك من روح طيبة نبيلة ، ومن حس رهيف رقيق ، وقلب صادق طاهر ، فانا وحدي ايضا اعرف مدى صلابة ارادتك ، ومدى قوة شخصيتك ، وقدرتك على مجابهة الواقع كيفما كان ، سواء انسجم مع احلامنا ومطامحنا ، ام صفعنا بالحقيقة المرة التي لن تقوى على محو ما بيننا من التعاطف الرائع ، والمحبة الابدية .

انت تعرفين ، يا غزيزتي وصديقتي وصفية وجداني ، ان العاطفة العاطرة الطيبة التي ربطت بيننا ، لا يمكن ان تسمو عليها عاطفة ، في هذه الدنيا ، وان طهارة النفس التي حرصنا عليها في مودتنا المتبادلة ستبقى مدى عمرنا دليلا على ان الانسان الكبير الخلوق ما يزال موجودا فوق هذه الارض .

واجمل ما في حكايتنا انها بدات واستمرت وتعمقت وسيطرت على كياننا ، من حيث لم نكن نقصد . وتلك آية الله في الناس ، تتجسد في المحبة العفيفة السامية التي تجمع قلوب الاصفياء ، وتجعل لعمرهم معنى ، ولحياتهم طعما مكونا بالسعادة والفرح .

صديقيني ، ان وجودك في هذا البلد ، جعلني احن الى كل ذرة تراب فيه ، وحول رمال صحاريه في نظري الى جنائن وارفة الظلال ، وصير لنحات شمسه المحرقة نسائم محمولة على اجنحة الضوء والعطر والجمال . وما احسبني في حاجة الى تاكيد ثقتي بان هذا هو شعورك ايضا ، حين اكون هنا ، فلا تضطرني مهام الحياة الى السفر بعيدا عنك ، في عواصم الدنيا ، وفتا لاهواء الرياح الاربع !

ولقد كان صوتك الدافيء الساحر ، وسيبقى الى الابد ، اروع سيمفونية سمعتها او اشتهي سماعها في حياتي . وانت تعرفين مثلما اعرف ان الساعات الطوال التي كانت تنعقد بيننا ، عبر الهاتف الحبي ، كانت تمضي كالثواني الهاربة ، ولا عجب ، فان هنيهات السعادة في عمرنا لا تطول .

لكنني ، وقد رايت من اندفاعك العاطفي الحبيب ما اسعد قلبي وجعلني اخاف عليك من نفسي ، في آن معا ، احس بانني اخادع ضميرك واخادع ضميري ، ان لم اقف الى جانبك لكي اوقظ عينيك على الحقيقة التي لا تحتمل جدالا او مغالطة : فانت تعلمين كل ظروفي ، بل تعلمين ان كل ظرف منها كاف وحده للحيلولة دون اندفاعك نحو انسان يحبك ، لكنه لا يستطيع ان يعطيك شيئا غير نبل الصداقة ، ولا يقبل ان ينال منك شيئا اكثر من نبل الصداقة .

وثقي انني ، لولا هذه الظروف ، لما كنت امني النفس بانسانة اطيب منك معدنا ، او انبل خلقا ، او اطهر روحا وجسدا ، فان ما انت عليه من القيم المثلى ، ومن المزايا الحميدة ، لما يجعلني افتخر بك ، واعتز بصداقتك ، واحمد الله على انه لم يحرمني فرصة اللقاء بك ، ومبادلتك مودة بمودة ، وعاطفة بعاطفة .

على ضوء هذه الحقيقة ، اريدك شجاعة في مجابهة الواقع ، وقوية في اتخاذ قرار تسمحين لي ان ارسم لك خطوطه : ان الفرصة الآن متاحة امامك لربط مصيرك بمصير الانسان الطيب العصامي النبيل الذي نعرفه كلانا ، فهو يحبك حبا كبيرا ، وذلك وحده كاف لتلوين حياتك المقبلة بالسعادة التي اتمناها لك من اعماق القلب .

هذا هو القرار الوحيد الذي احب ان تتخذيه بشجاعة وجراة ، وان تتحملي نتائجه بقوة ورضى ، واعلمي انني الى جانبك ، حاضرا وغائبا ، آخذ بيدك ، واقدم لك كل مؤازرة استطيع اليها سبيلا . وهذا القرار الحكيم هو لاجلك انت اولا ، ولاجل الانسان الرقيق الذي يحبك ثانيا ، وهو اخيرا لاجل راحة ضميري كي اطمئن الى ان الانسانة الرائعة التي دخلت قلبي دون ما استئذان ، لم تبعد بها احلامها عن طريق الحياة المستقيم . وثقي ان لي من خبرتي في هذه الحياة ، ومن كرامة نفسي ، وحرصي على شرف صداقاتي ، ما جعلني اتخذ عنك هذا القرار الذي يحفظ لنا الى الابد ما تتبادله من معاني الحب والاحترام ، ولا يسبب الما يضاف الى آلامنا الكثيرة ، ولا ندما على يوم كان لنا فيه لقاء حميم .

ويا احلى احبتي ،

ابارح هذا البلد ، وانا لا اعلم ان كانت ظروفي ستتيح لي زيارته مرة جديدة . ولهذا اكرر لك القول بانني احس الكلمات تختنق في فمي ، وتحترق بين اصابعي . لكنني وانا القي عليك تحية وداع يمني النفس بلقاء جديد ، اصدقك القول انني اترك عندك بعض نفسي ، فان ما احمله لك من الحب لا يستطيع ان يحمله رجل لامراة . ولسوف تظلين الشعلة الوضيئة التي تنير ظلمات ايامي ، والزهرة العاطرة التي تملأ حنايا قلبي بطهارة العبير .

ولعلك تعذرين ما قد تسببه هذه السطور المتعبة لك ، بل لنا معا ، من حرقة الحنين الدائم ، فهي ان عذبتنا الآن ، اسعدتنا في الغد .

فمن اعماق هذا القلب الذي احبك بصدق وشرف وكبرياء ، ابارك لك بالحياة السعيدة القادمة ، مؤكدا لك ان كل مشاغل الزمن الآتي لن تنسيني ، يوما ، وجهك الحلو الحبيب ، وان حبك الطاهر سيظل اجمل ذكريات عمري !

فوزي عطوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تقعد في شلالات الضوء . الشعر اسود طويل متموج . البشرة بيضاء ناعمة . العينان شاردتان . اليدان ـ يداها ـ تمران على الجسد البض . تغتسل في الضوء . حزم الضوء تتساقط تباعا ، تستضيء بها مكامن خفية . ذراعاها ترتفعان في انتشاء ، وتتراقصان فرحا وطربا لكن الضوء غامر فياض . والشوق يستكن في المهجة ، يسبر الاغوار . ما لليل وتوق الانسان الى المجهول ؟ . ما للاحلام وكيف تكون ؟ . بودها لو تمزق قماط الليل ، لو تشق صدر الفضاء ، لو ...

تقعد في شلالات الضوء . تغزل منه ثوبا ابيض . تضمه بين راحتيها جنينا كالسنا ، بهي الطلعة ، وضاء الجبين . تنهض . تخطو خطوات في الرقعة الضيقة . لا تريد ان تفارق الضوء ، لا تريد ان تبارح المكان . الضوء ساطع ، ويوحي بالنقاء ، كأنها تغتسل ، تتطهر ، تتعطر . تمشط شعرها بأناملها ، تتخلل طيات الشعر ، فيتسرب الضوء . تبتسم فرحة بالفيض الغامر .

القمر يغازل الوجه الصبيح . والنجوم ترشقها بسهام نارية . وصوت آمر من جوف الليل ، أن تعالي ، تعالي ... تتأبى . تظل منتشية بالضوء . الضوء نهر قدسي . يغويها الصوت الآمر . تشد يدها بقسوة ، ان تعالي ، تعالي ... سآخذك الى حيث الامان . هنا الضوء يحرق ، هنا الضوء يشعل .. يصير نارا ، يصير بركانا . تعالي يا امراة ، ادخلي الى رحمي ، الى حضني ، حيث الامان والسكينة .

عيناها مذعورتان . تقاوم . ترفع يديها الى السماء . تدعو . تستنجد . ترى الحب في الضوء . تراه في سناه . تكاد .. تكاد ان .. تكاد ان ترى الابداع ! . تتلوى . تتعذب . تطلب الرحمة ، المغفرة . تقاوم . تظل تقاوم .

الصوت الآمر يدوي . يوجع الاذن . الشمس تحرق . تعالي يا ابنة الليل .

قيدت القدمان واليدان واللسان . مس الشعر الهفهاف . عصبت العينان . وتلونت المرئيات بالاحمر القاني والاسود القاتم . بدات رحلة العذاب . لكنها لم تستسلم القلب لم يزل يقاوم . لم يزل يشرئب لشعاع ضوء . تجتد . تلطم الخد . تندب الحظ . تقتات الصمت . تأنف الحياة . تتأبى . تقاوم . مزقوا ثوبها الابيض ، صبغوا الوجه بالاصباغ والالوان . ذاقت كل صنوف الهوان . تتمتم خاشعة :

عاشقة الضوء

بقلم حسني سيد لبيب

الضوء مسافر مغترب .

وحين يعود ..

سيلقاني عذراء .

وازف النور في رحابه .

تنتظر . ابدا لا تمل الانتظار . لم يزل ماء الحياة متدفقا في عروقها . برغم الظلمة الحالكة ، وبرغم كاذبات الاماني ، وبرغم ما حولنا من سراب . لم يزل قلبها نابضا آملا . تغزل ثوب العفة بيديها المنعبتين . تقرب الثوب من انفها فيتعطر ، وتتساقط من عينيها حزم ضوء اخضر ، فيتطهر .

المعاناة قدر الانسان .

لا بد ان تكابدى ، وتكابري .

لا بد ان تصمتي ، وتصمدي .

هي طبيعة الاشياء والموجودات .

الصوت الآمر يقهقه ، يهزأ ، يصخب ضجيجه في وديان الصمت .

تهب واقفة . تتمطى . تفيق . اغنيات الليل زائفة . الثوب المغزول يشع ضوءا خافتا . تفرح . تضمه في حنان ، فاذا بالثوب يشخص قبالتها ، رجلا شهما عريض المنكبين .

اهلا حبيبي .

حللت سهلا .

ونعمت مقاما .

كان ومضة أمل ، كالبرق الخاطف . واذا بها تواجه جبروت الليل الحالك ، وحيدة ترتجف . وفي يدها تكوم الثوب المغزول . ترتق ما تهتك منه .

خفق قلبها فجأة . تراءت قبالتها حمامتان بيضاوان . عجبت . امن جوف الليل تأتي الحمامات البيضاء ؟ . كان سرابا . وظلت واقفة متحفزة

تتطلع الى جبهة الغيب . علها تعانق حبيبها المسافر . هي لم تره ، لكنها تحبه ! . رسمت صورته في قلبها بخيوط حريرية . لونت شفتيه بقبلات الحب السكرى . كحلت عينيه باشواقها المعربدة . ضمخت اهابه بانفاسها الحرى . شكلت قسماته بأناملها الدقيقة الحانية . حتما سيعود . هو قبس من النور القدسي . وعليها ان تتحمل ، وتنتظر ...

الليل العملاق ، المارد ، يضيق الخناق حولها . يقيد الجسد . لكن شيئا سرمديا يعربد داخلها ، هازئا ساخرا من مقدرات الايام . يعزف في غربته سيمفونية حالمة شجية

طاب نفسا

لا تلمه ان شكا من دهره ... فهو بين الناس منبوذ غريب
رحب الكون ولكن لم يسع ... بعض ما في صدره الكون الرحيب
يتحداه غراب ناعب ... ويجاهيه بعيد وقريب
ذهب الارض تراب عنده ... كيف يغرى بالتراب العندليب
خلصت من حسد نظرته ... وتعالت يده عما يريب
طاب نفسا ولسانا ماذا ... سالوا عنه فقل هذا الاديب

بوانس ايرس ــ الارجنتين — زكي قنصل

النغمات .

تتوق الى النور . تدعو . تستصرخ السماء .

وتغسل الدموع وجهها النوراني .

الصوت الآمر اعيته الحيل . . ما كان يظن انه سينهزم . غازل المراة واغواها . اسكنها صاحب الصوت في قصر منيف ، وبدل حالها من شظف العيش الى النعيم . المراة شاردة ذاهلة . الصوت الآمر يصرخ : يا امراة . . .

تتطاول الى عنان السماء . قص الشعر ، لكن انفها لم يجدع .

يا انت ، يا ظالم . .

ما عدت آبه بصرخاتك . .

ولست عابئة باوامرك . .

الصوت الآمر يخنق خفقات الضوء المتسللة في خلسة من شقوق ضيقة بالقصر المحاصر .

ترقص هي في ردهات القصر رقصة الخلاص . تتطلع الى النور ، ولا تزال ممسكة بالثوب المغزول . حين يأتي ، سالبسه الثوب . سيغدو فتى يافعا بهيا .

! ! الحبيب . اقدم . .

تعال . .

من جوف الليالي الحالكات . .
تعال . .

هاك ثوبي ، عفافي ، عذريتي . .

فتعال . اقدم . .

لم تزل ترقص رقصة الخلاص ، تواقة الى النور . يتراءى لها القصر معبدا وثنيا . ستحل عليه اللعنة ، وتتقوض اركانه ، ويصير حطاما زائلا ، ثم يأتي الضوء . . ومن سناه يشرق نور الحبيب .

تظل ترقص . للنور ترقص . للحبيب ترقص . يتلاشى القصر كالغيم . تعاني ألما بالغا . تصرخ بكل ما لديها من قوة . تصرخ وتستصرخ . تتلوى . تكابد آلاما مبرحة . لكنها تظل ترقص للغد الآتي ، وللفجر الطالع ، وللنور . . .

تتمطى . ويتقهقر الليل مهزوما . تسجد . تركع . تدعو . تستغفر . تستعفف . تستدني الضوء الابدي . تفك القيد من اليدين والقدمين ، تقيل عثرة اللسان . يستطيل الشعر الهفهاف . ويغمر الضوء جسدها كله . وتتراقص ذراعاها في الضوء الساطع . تغتسل . تتطهر . ولم يزل الثوب المغزول في قبضة يديها . .

ويهتف الفؤاد :

في موكب الضياء . . اقدم حبيبي . .

وتزهو بالنور . تعب منه اقبالا في راحتيها ، وتصبه على جسدها الاملس الناعم . قد تقهقر الصوت الآمر ، تحشرج ، ومات صداه ، ثم تلاشى .

وفي غمرة الفرح ، شيء دفين يتمرد عليها . تود ان تسبر اغوار الضوء القادم .

اتاها الحبيب ، فتطلعت اليه عيناها المشتاقتان . احتوته بين ذراعيها . ودت لو تغيب في غيبوبة مع نشوة اللقاء . ودت لو تفنى نفسها فيه ! . ودت لو تغوص في قلب الاشياء . آه ، ايتها الاقدار . . . تنهدت . . آه لو ألمس قلب الاشياء ! .

وكان الحبيب يئن من هول ما لاقاه في غربته . . ! .

وصوته الضعيف الواهن ، لا تكاد تسمعه . .

« رحلة العمر قضيتها في عناء ومشقات ، واوشك نهاري ان يغيب ! » .

القاهرة — حسني سيد لبيب



محمد العدناني

عثرات الادباء

بقلم محمد العدناني

* * *

البس لا البس

ويطلقون على الهرة الاهلية اسم (البس) بكسر الباء ؛ والصواب هو البس (بفتحها) كما قال ابن عباد ؛ والزمخشري ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ؛ واقرب الموارد ، والمتن الذي قال انها حجازية ، والوسيط .

وذكر القاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، والمتن ان العامة تكسر الباء وتقول : (بس) .

ويجمع البس على بساس (بكسر الباء في الجمع) .

البسط

ويخطئون من يستعمل البسط بمعنى السرور ، ويقولون انها من اقوال العامة . ولكن : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « فاطمة بضعة مني يبسطني (بضم السين) ما يبسطها ، ويقبضني (بكسر الباء) ما يقبضها » . وروى الخفاجي انه جاء في المشارق : « معناه يسرني ما يسرها . ويسوءني ما يسوءها ، لان الانسان اذا سر انبسط وجهه واستبشر ، ولذا يقال : انبسط اليه : اذا هش واظهر البشر (بكسر الباء) . وفي ضده يقال : انقبض » .

وذكر البسط بمعنى السرور ايضا كل من المحكم ، ومجاز الاساس ، والنهاية ، واللسان ، والقاموس ، والخفاجي ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن (مجاز) ، والوسيط .

وفعله : بسطه يبسطه بسطا . ومن معاني بسط : بسط الشيء : نشره . بسط يده او ذراعه : فرشها . بسط كفه : نشر اصابعها . بسط يده في الانفاق : جاوز القصد (مجاز) . بسط يده اليه بما يحب ويكره : مدها . بسط لسانه اليه بالخير او الشر : اوصله اليه (مجاز) . بسط الله الرزق لعباده : كثره ووسعه (بتضعيف الثاء والسين) مجاز . بسط المكان القوم ، او الفراش النائم : وسعه (بكسر السين) مجاز . بسط فلانا على فلان : (أ) سلطه . (ب) فضله (بتضعيف ثانيهما) . بسط العذر : قبله . بسط من فلان : ازال احتشامه (مجاز) . بسط عليه : ضربه (مجاز) . .

البث الاذاعي المباشر

ويقولون : البث الاذاعي المباشر (بكسر السين) ، والصواب : المباشر (بفتحها) ، لان الفعل هو : باشر . الامر يباشره مباشرة وبشارا ، يعني : تولاه بنفسه .

ونحن نباشر البث الاذاعي ، اي نتولاه بأنفسنا ، فنحن مباشرون (بكسر الشين) ، والبث الاذاعي مباشر (بفتحها) من قبل (بكسر فتح) المذيع ، الذي يكون للبث مباشرا (بكسر الشين) .

ومن معاني الفعل باشر : باشر الفعل : فعله من غير وساطة . باشر التعليم فلانا : بدا عليه اثره . باشر الشيء بالشيء مباشرة (بفتح الشين) : جعله ملاصقا له .

وفي الحديث : « اللهم اني اسالك ايمانا تباشر (بكسر الشين) به قلبي » .

بششت بالضيفان أبش بهم

ويقولون : بششت (بفتح الشين الاولى) بالضيفان ابش (بضم الباء) . والصواب بششت بالضيفان (بكسر الضاد) أبش بهم (من باب علم يعلم) : ادب الكاتب ، والصحاح ، والنهاية ، والمختار الذي اكتفى بذكر يبش (بفتح الباء) دون ان يذكر بابه ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وروى اللسان والتاج بيتا لذي الرمة ، وردت فيه باء (نبش) مكسورة :

الم تعلما انا نبش اذا دنت ... باهلك منا طية وحلول

(طية : بكسر فتضعيف) وقالا : ربما كان مما جاء على فعل يفعل (بكسر العين فيهما) .

وذكر المد ان هناك بيتا لرؤبة بن العجاج ، وردت فيه الباء مكسورة في المضارع ، ولكنه لم يذكره .

وفعله بش يبش (من باب علم يعلم) بشا وبشاشة ، فهو بش (بفتح فتضعيف) : الصحاح ، والمختار ، واللسان ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط . وبشاش (بفتح وتضعيف) : اللسان ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط. وباش (بتضعيف الشين) : محيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن . وبشوش (محيط المحيط واقرب الموارد) .

ارجح ان عدم ذكر كل المعاجم (التي لدي) ، لاسم الفاعل (باش) هو لانه قياسي ، مثل : فر فهو فار ، وعم فهو عام ، وشذ فهو شاذ .

اما (بشوش) فأرجح ان محيط المحيط اخطأ في ايراده اياه ، لانني لم اجده في سوى اقرب الموارد ، الذي نقله عن محيط المحيط — كعادته — دون تمحيص .

لذا انصح بالاكتفاء باستعمال : بشّ (بفتح فتضعيف) ؛ وبشاش (بفتح فتضعيف) ، وباش (بتضعيف الشين) .

الباشق (بفتح الشين وكسرها)

هنالك نوع من جنس البازي ، من فصيلة العقاب النسرية ، وهو من الجوارح ، يشبه الصقر ، ويتميز بجسم طويل ، ومنقار قصير بادي التقوس ، يخطئون من يطلق عليه اسم الباشق (بكسر الشين) ، ويقولون ان الصواب هو : الباشق (بفتح الشين) ، كما جاء في جامع الكرماني (نقلا عن المد) ، وفي اللسان ، والقاموس ، ومحيط المحيط الذي قال ان الباشق (بكسر الشين) عامية ، واقرب الموارد ، والمتن .

ولكن : اجاز فتح الشين وكسرها كليهما : المصباح ، وكتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري ، والتاج ، والمد ، والوسيط .

وروى المد ان السيوطي اكتفى في ديوان الحيوان بذكر الباشق (بكسر الشين) . ويقول الدميري ان كنيته هي ابو الآخذ . ويقال ايضا ان اصل كلمة باشق فارسي ، وهو معرب باشه .

بصبص

ويقولون : حرك الكلب ذنبه طمعا او ملقا ، وهي جملة لا عيب فيها سوى طولها ، ويمكننا ان نستعيض عنها بكلمة واحدة ، هي : بصبص .

وممن ذكر الفعل بصبص : الصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، وابن سيده ، ومجاز الاساس ، والمختار : واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط . وذكر التاج قول الشاعر :

ويدل ضيفي في الظلام على القرى اشراق ناري ، وارتياح كلابي
حتى اذا ابصرنه وعلمنه حينه يبصابص الاذناب

قال : هو جمع بصبصة ، كأن كل كلب منها له بصبصة .

اما (ارتاح للشيء) فمعناه : مال اليه واحبه .

ويجوز ان نقول : تبصبص الكلب ايضا ، كما قال الصحاح ، والمختار ، واللسان ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

بصري (بكسر الباء وفتحها)

ويخطئون من ينسب الى مدينة البصرة (بفتح الباء) العربية العراقية ، بقوله : بصري (بفتح الباء) ويقولون ان الصواب هو بصري (بكسر الباء) ، كما جاء في معجم البلدان ، وهمع الهوامع ، ومحيط المحيط .

وذكر البصري (بفتح الباء) والبصري (بكسرها) كليهما : اللسان ، والمصباح ، والتاج ، والمتن .

واستشهد اللسان بقول عذافر :

بصرية تزوجت بصريا يطعمها المالح والطريا

(فاتحا الباء فيهما) .

وذكر محيط المحيط ان هذه المدينة تسمى بصرة (بفتح الباء وكسرها) ، وبصرة (بفتح فتح) ، وبصرة (بفتح فكسر) .

واكتفى الوسيط بفتح الباء بقوله : البصرة (بفتح الباء) مدينة الخ ... ، ونحاة البصرة (بفتح الباء) .

بضع وثلاثون غرفة

ويخطئون من يقول : في المدرسة بضع وثلاثون غرفة ، معتمدين على قول الصحاح : « بضع في العدد بكسر الباء ، وبعض العرب يفتحها ، وهو ما بين الثلاث الى التسع : تقول : بضع سنين ، وبضعة عشر رجلا ، وبضع عشرة امرأة ، فاذا جاوزت لفظ العشر ذهب البضع ، فلا تقول : بضع وعشرون » . ولكن :

كان الكرماني قد اجاز ذلك في الجامع ، وقال : « ان افصح الفصحاء ، الذي هو النبي (صلى الله عليه وسلم) تكلم به » .

وجاء في الحديث : « صلاة الجماعة تفضل صلاة الواحد ببضع وعشرين درجة » . وجاء في حديث آخر : « بضعا وثلاثين ملكا » بكسر باء (بضع) في الحديثين .

وقال الفراء : « ان البضع (بكسر الباء) لا يذكر الا مع العشرة والعشرين الى التسعين ، ولا يقال فيما بعد ذلك » . يعني انه يقال : مئة ونيف (بفتح فياء مضعفة مكسورة) ، ولا يقال : بضع ومئة ، ولا بضع والف .

وقال ابو تمام :

اقول حين ارى كعبا ولحيته لا بارك الله في بضع وستين
من السنين تملاها بلا حسب ، ولا حياء ، ولا قدر ، ولا دين

(بكسر باء بضع) .

وخطأ الصاغاني ما قاله الجوهري في الصحاح . وايد الخفاجي الكرماني في رأيه . وذكر التاج أن فتح الباء في (بضع وبضعة) أفصح .

وانا ارى ان كسرها افصح ، لانها وردت في القرآن الكريم مكسورة الباء مرتين . ولان الراغب الاصفهاني في مفرداته ، والمغرب ، والوسيط اوردوا الباء مكسورة ايضا . وروى اللسان عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

والفراء ، وابي عبيدة . وابي زيد الانصاري . وابي نمام كلمة (بضع) مكسورة الباء . وقال الصحاح . والمختار . والمصباح : تكسر الباء ، وبعض العرب يفتحها . وهذا يعني ان كسر باء (بضع) اعلى .

البطريـــق

ويطلقون على القائد من قواد الروم اسم البطريق (بفتح الباء) ، اعتمادا على قول محيط المحيط والمتن ، اللذين عثرا ، لان الصواب هو : البطريق (بكسر الباء) . قال امية بن ابي الصلت :

من كل بطريق لبط ربق نقي الوجه واضح

(بكسر الباء فيهما) .

وممن ذكر البطريق (بكسر الباء) ايضا : الصحاح ، وابن سيده ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، وعثرات الاقلام في اللغة للمغربي ، والوسيط .

ويقولون ان كلمة (البطريق) كلمة لاتينية معربة . وجاء في مستدرك التاج : « ويقال انه عربي ، وهي لغة اهل الحجاز » ، واستشهد ببيت امية بن ابي الصلت .

ومما يرجح ان الكلمة عربية هو اطلاق لقب (البطريق) على امرىء القيس بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الازد .

ويجمع البطريق على :

(١) بطارقة : جاء في النهاية : [في حديث هرقل : « فدخلنا عليه ، وعنده بطارقته من الروم » . وانشد ابن بري :

فلا تنكروني ان قومي اعزة بطارقة ، بيض الوجوه كرام

(٢) وبطارق . قال ابو ذؤيب :

هم رجعوا بالعرج ، والقوم شهد هوازن تحدوها حماة بطارق

(٣) وبطاريق .

ومن معاني البطريق : (ا) المختال المزهو ، (ب) والسمين من الطير ، (ج) والحاذق بالحرب ، (د) ورئيس رؤساء الاساقفة ، (هـ) والعالم عند اليهود ، (و) وجنس من طير الماء ، قصير الجناحين سمين ، وهو كثير في الاصقاع الجنوبية .

هذه البطة انثى ، هذه البطة ذكر

ويظنون ان كلمة (البطة) لا تطلق الا على انثى هذا الحيوان، والحقيقة هي انها تطلق على الانثى والذكر كليهما : ادب الكاتب (باب ما يذكر ويؤنث) ، والصحاح ، واللسان ، والمصباح ، وحياة الحيوان الكبرى للدميري ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط.

ومما جاء في الصحاح ، واللسان ، والتاج : « يقال بطة انثى وبطة ذكر » .

وليست التاء المربوطة في (البطة) للتانيث ، بل هي لواحد من الجنس كالحمامة والنعامة ، فيقال : هذه بطة للانثى والذكر .

والبط كلمة اعجمية معربة ، كما يقول معجم مقاييس اللغة ، واللسان . وحياة الحيوان الكبرى للدميري ، والتاج ، والمد .

اما صوت البط فهو البطبطة (بفتح فسكون وفتح فسكون) . وتجمع البطة على :

(١) بط : الصحاح ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

(٢) وبطط (بكسر ففتح) : مستدرك التاج والوسيط .

(٣) وبطوط (بضم الباء) : محيط المحيط واقرب الموارد .

(٤) وبطاط (بكسر الباء) : المد وذيل اقرب الموارد .

البطالة (بفتح الباء وكسرها وضمها)

يقول الشيخ عبد القادر المغربي في كتابه « عثرات الاقلام في اللغة » : صاحب بطالة (بكسر الباء) اي عاطل من العمل . ويعثرون فيفتحون الباء .

والحقيقة هي اننا نستطيع ان نقول : (ا) البطالة (بفتح الباء) : الصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والمد ، ومعجم كنز اللغة لابن معروف (عربي فارسي) ، ودوزي ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط. (ب) والبطالة (بكسر الباء) : اللسان ، والمصباح (افصحها) ، ومستدرك التاج ، والمد ، واقرب الموارد ، والمتن ، والمغربي ، والوسيط . (ج) والبطالة (بضم الباء) : المصباح ، والمد ، والمتن ، والوسيط .

وفعله بطل (بفتح الطاء) يبطل (بضمها) بطالة (بكسر الباء وفتحها وضمها) فهو بطال (بتضعيف الطاء) .

البعكوكـــة

ويظنون ان كلمة بعكوكة ، التي يطلقونها على مجتمع الناس ، هي من اقوال العامة ، وهي فصيحة بضم بائها وفتحها .

فممن ذكرها بضم الباء : ابن دريد ، وابن سيده في المخصص ، وتذكرة علي راتب ، والوسيط .

وممن ذكر الضم والفتح كليهما : اللحياني ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والصاغاني ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن .

وذكر اللحياني ، واللسان ، والتاج ان فتح باء البعكوكة نادر .

وذكر الصحاح في الهامش ان اللحياني هو الذي حكى فتح الباء . وذكر القاموس ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ان الباء قد تفتح . وهذا يدلنا على ان ضم باء (البعكوكة) اعلى من فتحها .

وتجمع البعكوكة على : بعاكيك ، وبعكوكات (بضم الباء) ، وبعكوكات (بفتح الباء) .

محمد العدناني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دار المرضى

الدكتور محمد رجب البيومي

المنصورة ــ مصر

أسير لها سامان منقبض الصدر ... وان كنت لا أمضي لها غير مصدر
أسير لنفسي أو لغيري ساعيا ... اليها ، وفي الحالين يغلبني صبري
أحس شقاء الناس قبل لقائهم ... بها ، فاداري غصتي مسلما أمري
وأسمع من قبل الدنو أنينهم ... يرن بأعماقي فارجف في سيري
وأعرف أن الموت أقرب ما يرى ... بهذا الحمى ، اذ قام منه على شبر
الاقي ازدحام الوافدين طوائفا ... وكل له في جسمه ألم يغري
فأعلم أن الشر يفتك بالورى ... وليس بمسطاع مقاومة الشر
وأشفق من مرأى الابرة فوقها ... تماثيل أشباح تصايح في ذعر
كان ارتفاع الحلق بالآه مدية ... مدية حمراء توغل في نحري
هنا الطفل ملتاعا يكابد داءه ... ويسأل عما قد جناه فلا يدري
تجاوره أم تكابد شجوها ... وتحقي هدوءا شف عن لاهب الجمر
هنا اللص مذهولا يحس كأنما ... يد فوقه تقتص منه على الفور
فيرسل للرحمن صرخة تائب ... ويقطع عهدا أن يعود الى الطهر
هنا المكثر المثري يهون ثراؤه ... عليه ، ولم ينقذه في ساعة العسر
لقد ظن أن المال يمنع داءه ... فما باله يشكو الضنى كذوي الفقر
هنا تذهب الاحقاد لا خافق غلى ... بسوء ، ولا نفس تتوق الى الغدر
ترى خصمك العاني طريحا بدائه ... فتنظر محزونا ، وتغضي عن الثار
أيشمت ذو لب بعان وما له ... بأن يتوقى الداء عهد على الدهر
رأيت بلايا الناس تقضي لخيرهم ... كما يسلم الليل البهيم الى الفجر
كذا يتصافى اللد في ساحة الردى ... فما أحد يبغي النزال لدى القبر
هنا الغادة المفتان تشكو ذبولها ... كظامئة في الزهر تشكو نوى القطر
تثيران معنى الشجو في كل مهجة ... وتستقطران الدمع من مقلة الصخر
وبي ذكريات لا تزال تليني ... كما ذاب تحت النار صاف من التبر
لطاهرة غيداء البسها الضنى ... كسا شاحبات من غلائله الصفر
نزلت بها دار السقام مؤملا ... شفاء لها أعتده أيسر اليسر
ولم أدر أن الارض بعد دقائق ... سترتج بي كالراسيات لدى الحشر
وأن كياني سوف ينهار طائرا ... كما فعلت هوج العواصف بالذر
وانني ساختص الطبيب بلعنتي ... والقي عليه وحده أفدح الوزر
تجاهل هول الخطب اذ واجه الردى ... وأسرع نحو الباب في خفة الطير
قد اعتاد أن تلقي المنايا بوصفها ... ظواهر كون كالصباح وكالظهر
فلا دمعة تنهل منه لدى الاسى ... ولا زفرة توحي بمعتلج الصدر
أهذا الذي أسلمته نور مقلتي ... لأصبح أعمى العين مضطرب السير
يخاصمه الوجدان مني منددا ... فاما أدمت الفكر أو ليته عذرى
أتاني الى نجد لتلقى مصيرها ... وقد تركت خير الاطباء في مصر
بنت أملا كالصرح فانهار فوقها ... وفوقي فاردانا ولما نكن ندري
أزورك يا دار السقام وخاطري ... باشجانه الحري كملتطم البحر
أزورك حران الفؤاد وانثني ... كما جئت ملتاث الخطى شارد الفكر
ويصحبني شجوني طويلا فان أرد ... مجافاته استشرى وأمعن في قهري
لي الله ، ياتيني السرور هنيهة ... فاجفوه حتى لست منه على ذكر
فان حل شجو لابس النفس موغلا ... باحشائها مستبطنا أعمق الغور
يلازمني كالظل أنشد هجره ... فيسري ورائي ملحفا حيثما أسري
اذا كانت الدنيا تلاقي رفاقها ... بأوصابها الجلى وأوجاعها النكر
فاجدر أن تطوى العداوة بينهم ... كفاهم شقاء الداء ينذر بالشر
أتصلى مع الداء العداء كأنما ... نفضل أن نزداد وقرا على وقر
ونعتد بطن الارض مهد رقادنا ... ونسرف في جلب الشقاء على الظهر

شاعرات معاصرات من الاقطار العربية

بقلم روز غريب .

معهد الدراسات النسائية في العالم العربي
كلية بيروت الجامعية

* * *

عـدد الشاعرات المعاصرات في الاقطار العربية يناهـز الخمسين ، كمـا يدل الاحصاء الذي استطعت الحصول عليه . ولا ريب ان هناك اسماء لـم تصلني ولا استطيع التكهن بعددها . الا ان اسمـاء شاعرات اليوم كأسماء شاعرات الامس ، لا تكفي للحصول على انتاجهن . وكما ضاع اكثر الشعر النسائي عند العرب القدامى ، يبقى كثير من شعر نساء اليوم مجهولا لضعف وسائل التوزيع والاعلام وصعوبة الوصول الى الدواوين المنشورة منه او المخطوطة .

هناك شاعرات وقفن على الشعر معظم اوقاتهن . استهوتهن المعاناة وسلوك الدروب الشائكة ، حتى شارفن القمم ، واستوى لديهن انتاج يمتاز بالجودة والشعبية . منهن فدوى طوقان شاعرة الاردن — فلسطين ، ونازك الملائكة شاعرة العراق .

اما في لبنان حيث يزيد عدد الشاعرات على العشرين ، فـان اللواتي يكتبن شعرهن بالفرنسية يكاد يزيد علـى اللواتي يكتبن بالعربية . كما انه في مجال المفاضلة ترجع كفـة الشاعرات باللغة الاولى . وتبرز بينهن اثنتان او اكثر . اندريه شديد (صعب) ، اللبنانية الاصل ، التي تثقفت في مصر وامضت شطرا من شبابها في لبنان ، ثـم استقرت في باريس حيث وضعت اكثر مؤلفاتها واستوحت فيها لبنان والشرق العربي ، لا سيما في انتاجها القصصي والمسرحي . وفينوس خوري الشاعرة والقاصة التي تثقفت وكتبت معظم انتاجها في لبنان وهي الآن في باريس تمارس الكتابة والصحافة . وسأعود في نهاية هذا المقال الـى موضوع اللغة الفرنسية في الشعر النسائي اللبناني .

شعر المعاصرات في الاقطار العربية ينتمي في كثرته المطلقة الى الشعر الحديث المنعتق من نظام الشطرين — قسم كبير منه يندرج في باب الموشحات الحديثة المتطورة . التي اشتهر بها المهجريون وتكثر في شعـر فدوى طوقان وشعر ملك عبد العزيز (مصر) ونازك الملائكة في بواكير شعرها . بعضه من صنف الشعر الحر المبني على التفضيلة مكان البيت ، الذي شقت طريقه نازك الملائكة ونظمت بـه قسما غير قليل من شعرها في مرحلته الثانية . والباقي ينتسب الى النثر الشعري او الشعر المنثور المتفاوت قوة وضعفا ووضوحا وغموضا .

يمتاز هـذا الشعر اجمالا بتنوع اغراضه وتعـدد موضوعاته ، بخلاف شعر النساء العربيات القدامى اللواتي اقتصر شعرهن على الرثاء والشكوى والغزل . فشعر نساء اليوم ارحب افقا رغم محدودية الاعمال التي يمارسنها وضيق المجال الذي يتحركن فيه .

في حديثي عن الشعر النسائي المعاصر اود التنبيه الى نقطتين : اولا : ان الشعر يتألف عادة من لمحات موجزة تتركز كل منها على فكرة ميتافيزيقية او صورة عاطفية ولا تتسع للتحليل الذي تتسع له القصة او الرواية . في الشعر تركيز على القالب الذي تعرض به الفكرة ، على روعة اللفظ والايقاع ، وطرافة الصورة وغرابتها ، في حين ان القصة مع تركيزها على فكرة او فكر انسانية تعنى بالحبكة التي تربط بين الحوادث وتوغل في تحليل نفسيات الابطال . فهي اغنى مادة واكثر تعقدا من الشعر .

النقطة الثانية : ان عرض دراسة تجاوز الاربع مئة صفحة في بضع صفحات يبدو امرا مستحيلا . لذلك سيكون التركيز في هذا العرض على ابرز مضامين الشعر النسائي المعاصر مع لفتة تتناول بشيء من التفصيل موضوعا عالجته اكثرهن معالجة محدودة او مستفيضة . هو موضوع الحب والغزل الذي مـا زال يستهوي الشعراء رجالا كانوا ام نساء ، لان الذوق العام يستسيغ موضوع الحب وان جاء مبتذلا او كان اقرب الى الوهم والتعليل منه الى الواقع والحقيقة . ولكن اليست الحياة كلها تعلات وامنيات لا تنتهي حتى بنهاية العمر ؟

في مجموعة تضم شعر النساء الانكليزيات بين القرن الخامس عشر والقرن الحالي ، يبدو ان شاعرات القرون الاولى عالجن في شعرهن هموما شخصية واحيانا النقد الاجتماعي الذي ذاع في الادب الانكليزي في القرن السابع عشر . وان واحدة منهن شكت ظلم الرجل للمرأة وطالبت بانصافها مستشهدة بآيات من الكتاب المقدس .

اما في القرن التاسع عشر فقد ذاع عند النساء كما عند الرجال موضوع الدعوة الى الاصلاح والعمل الانساني . نظير منـع تشغيل الاولاد ، تحسين احـوال العمـال والعاملات ، الغـاء العبودية . كذلك الحب الرومنطيقي استأثر بموضوعات القصص والشعر ، ونبغت فيه اليزابت براوننغ حين نشرت « قصائد من البرتغالية » . وفي عصرنا تستمر عندهن الدعوة الـى تحرير المرأة ، الـى العمل الاجتماعي ، والسعي لاجـل السلم ، وتحرير الزنوج .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويكثر شعر الاعترافات والتحرر الجنسي . ويلتقى الاسلوب الشعري الحديث شعبية شاملة .

ولو عمدنا الى المقارنة بين هؤلاء الشاعرات وشاعراتنا المعاصرات ، لظهر لنا ان التحسس الاجتماعي سيطر في مطلع هذا القرن على الشاعرات والكاتبات كما على الشعراء والكتاب . فنساء تلك الحقبة طالبن بتحرير المراة ، تحرير الوطن ، تطوير التربية ، كفاح الجهل ، والبؤس . حملن راية النضال الاجتماعي وغلبت عندهن الرغبة في اسعاد الآخرين ، على الرغبة في اسعاد ذواتهن .

اما المعاصرات فتغلب على ادبهن الصبغة الذاتية والرغبة في التحرر بجميع وجوهه . التحرر الفكري والعاطفي واللغوي والعروضي . الثورة على الواقع وعلى التقليد . النقمة على التربية النسائية التقليدية وعلى عادة التمييز بين الجنسين . الرغبة في الهرب من الواقع الى عالم خيالي ، عالم الاحلام الذي ينشدن فيه تعويضا وعزاء .

لا يخلو هذا الشعر من قصائد في وصف الطبيعة . واثرها في النفس على طريقة الرومنطيقيين ، مثلا شعر ملك عبد العزيز ، ومن قصائد وطنية ، قومية ، اجتماعية ، انسانية عند نازك الملائكة ، فدوى طوقان ، ثريا ملحس ، روحية القليني ، كلثوم عرابي ، سلمى الجيوسي وسواهن . لكن الطابع الذاتي غالب على الاكثرية .

ولا يخلو كذلك من ومضات فلسفية عند نازك الملائكة . وبالاخص عند اندريه شديد التي تؤلف اشعارها وقصصها ومسرحياتها وحدة فكرية او فلسفية منسجمة . ولعلها الوحيدة بينهن التي يتخذ انتاجها من شعر ونثر طابعا انسانيا لا نلمح فيه اثر المراة ومشاكلها الذاتية .

سبق القول ان شاعرات العرب في القليل الذي وصلنا من شعرهن ، عالجن موضوعين رئيسيين : الرثاء والغزل . وكان غزلهن على الغالب تقليديا يردد معاني مالوفة في الغزل العربي . وصف لواعج الحب والتحرق للقاء الحبيب والتغني بمحاسنه . وكان في تعضه دلائل صراحة وتحرر خلقي ، كما نرى في هذين البيتين المنسوبين الى ولادة بنت المستكفي الاندلسية ، ولعلهما موضوعان :

انا والله اصلح للمعالي ... وامشي مشيتي وأتيه تيها
امكن عاشقي من صحن خدي ... واضع قبلتي من يشتهيها

ان الغزل النسائي المعاصر يحتفظ ببعض تأثيرات الغزل التقليدي الذي شاع في القرن الماضي وقبله . ونجد له امثلة في ديوان عائشة التيمورية ، شاعرة القرن التاسع عشر ، الذي يضم عددا كبيرا من القصائد الغزلية مما قالته الشاعرة « غير متغزلة بانسان ولكن لتمرين اللسان ! » .

في كثير من دواوين الشاعرات المعاصرات قصائد من صنف الاحلام الحبية واللقاءات الوهمية والذكريات والاشواق والمناجيات الموجهة الى حبيب يرجح انه من نسج الخيال . نظمتها صاحباتها في سن المراهقة التي يتفتح فيها القلب للحب ويتلذذ بنظم معاني الشوق والعتاب والتعبد والوفاء ووصف آلام الهجر والصدود وجمال الانفة والشموخ ورفض الخضوع الذليل وايثار الكبرياء على التبذل . معان غزلية مألوفة تضعها الشاعرة في قالب عصري على نحو ما نراه في غزل الشعراء المخضرمين بين القرن التاسع عشر والقرن العشرين .

من هذا النوع اشعار نازك الملائكة في ديوانها الاول : « عاشقة الليل » . ففي هذه المجموعة تجديد عروضي وصور لا تخلو من جدة لكن شعر الحب يكرر معاني واحدة : ندب الماضي الذي ضاع ، النقمة على حبيب غادر واليأس من بعث الحب الذي انطفأ .

من هذا النوع التقليدي غزل عاتكة الخزرجي في « لالاء القمر » وروحية القليني في « لك انت » وسلافة العامري في ديوانها الاول « شراع بلا مرسى » : في حين يتطور شعر سلافة في مجموعتها الثانية .

اما فدوى طوقان التي تقف على الحب قسما كبيرا من شعرها ، فتحرص على تنويع صوره وتبديل ملامحه بحيث تترجح قصائدها الحبية بين الخيال والواقع ، بين الاحلام والذكريات ، بين التصوف بالطبيعة والتصوف بالله . ان فدوى شاعرة الحب بلا منازع . تتعبد له تعبد الرومنطيقيين . تتصاعد نفحاته من صدرها كالعطر من الزهر وتستوحيه اروع قصائدها . في « وحدي مع الايام » احلام حب صوفي توحدها بالطبيعة والكون . في « وجدتها » انطلاقة فرح ونشوة على دروب الحب والحرية . فرح التي نفضت عنها قيود الكآبة والخوف وخاضت تجربة الانبعاث او الولادة الجديدة . في « اعطنا حبا » صرخة امل وابتهال ، تودعها ما في قلبها من ايمان بقوة الحب وكونيته ورجاء بان يغمر قلوب البشر وتجد فيه البشرية شفاء من ادوائها :

اعطنا حبا فبالحب كنوز الخير فينا تتفجر
واغانينا ستخضر على الحب وتزهر
وستنهل عطاء وثراء وخصوبة
اعطنا حبا فنبني العالم المنهار فينا
من جديد ، ونعيد
فرحة الخصب لدنيانا الجديبه

في « بوح » و « شوق » ، مجموعتا نثر شعري لادفيك شيبوب ، تبعث الشاعرة ذكريات حب راحل . فيها حنين وانسجام في الصورة كما في الالفاظ . تعبر بهدوء وسلاسة عن خوالج نفس تلتقط صور الحب من منابعه العديدة وتتجاوب معها . الحب المتبرعم في نفوس الاطفال . حب العصفور لأليفه . حب الصنوبرة لجارتها ، والفنان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تغنه . حب الام للولد والنحل للزهرة . انها الطبيعة السمحة التي تدربت على وعي الجمال واختزان رعشاته في القلب نضرة لا يعتريها ذبول .

شعر مي مر في الحب (في الفرنسية) أغرودة فرح تنطلق كزغاريد الاعراس . يتمازج فيهـا الواقع بالخيال واحاسيس الجسد بسبحات الروح . تعيد الى الذهن انغام « نشيد الاناشيد » في نضارة صـورة الرعوية ودفقاتـه العاطفيـة .

تلك اشارات موجزة الى ذوات الموقف الايجابي من الحب . اما ذوات الموقف السلبي فهن اللواتي ينظرن اليه نظرة تشاؤم وسخرية . او يتفن موقف رفض من الحب المزيف الذي ينخدع بـه اكثر الناس او يرفعـن اصوات الاحتجاج والنقمة على تقييد الحب وتحطيمه .

من هذه الفئة قصائد فينوس خوري (بالفرنسية) التي تجعل الحب مصدر يأس وانتحار وتزعم ان الطحالب البحرية الخضراء انما هي شعور منتحرات لاجل الحب . في قصيدة « رماد » تريد دفن الماضي في هوة العدم اذ تحس لبقايا القبلات في فمها طعم الرماد . « الماضي الضائع » هو الحب الميت الـذي يمثل اصحابه دور السعداء ستـرا للمظاهر . « النسيان » حكاية لؤلؤة كانت في الاصل عاشقا يائسا لجأ الى البحر لينسى وجها حبيبا . « الرجال الذين مروا في حياتي » استعراض ساخر لعشاقها القدماء الذين كرروا امامها كلمات واحدة ، مثلوا تمثيلية واحدة ورقصوا رقصة واحدة ، فهم جميعا شخوص بلا شخصية :

رحماكم ! اوقفوا هذه الرقصة .
لقد سئمت البحث عن عيون الواحد
في محاجر الآخر .
عن عبوس الواحد في تبسم الآخر ...
لا . لا توقفوا الرقصة !
انكم تثيرون شفقتي ، ضحكي ،
حول هذا الجمر المنطفىء .
واذا عادت ناري الى الاشتعال
ونراقصت السنتها
فذلك لانها تتهته ضاحكة !

منهن ايضا سامية توتنجي في ديوانهـا الفرنسي : « حضور متعدد » ، حيث تهاجم الاضاليل التي زرعوها في راسها عن الحب والرجولة والانوثة والواجبات الزوجية فتقـول :

اريد الذهاب الى البحر ؛ الى السـاقية ؛
الى القديس سرنان
اخلع ما لدي من امتعة الامس
اطرح سيوري الجلدية
أعطيها للمبشرين .
ولكن ... اذهبي
ايتها المراة الخفرة الحميية
المدفونة وراء اهدابي
اذهبي يا ربيبة الداخلية
اريد ان اكسر صندوقي السلحفاني
الحلى والمصاغ نوع من الموت ...

ومثلها هدى اديب التي تثور في مجموعتها الفرنسية ثورة عارمة على التقاليد التي تكبل البشر فتقول في وصف أغلال الحب :

في ملعب الاسف حبستهم
تفقد كرة الحب . تضيع
اصبحت انا الكرة
الملعب مقفل
لا احد يخرج .
الافكار شبكة معلقة
يرمى فيها الانتظار
كعداء يركض
من غير ان يطلق كرته .

وفي نفس المعنى :

امراة ورجل ربطا من مفصليهما
يؤرجحونهما كجرسين
يتوئمـان
أجساد تبرم على دولاب التعذيب
يحرقون المرضى لكيلا ينتشر
مرض الحب ...

بين المتغنيات بحب الرجل والناقمات الشاكيات من الحب المقتول او المزيف ، تقف هدى نعماني نسيج وحدها . تتغنى بحب الله وتجد سعادتها في سبحات الروح . شعرها سجود وصلاة . معاناة وغناء . شوق العودة الى الاصل ، الى الروح ، الى الله :

نفسي على سراج الحب
تسعى اليك ...
في قلبي من محبتك
نيل وفرات
تملأ محيطا
تملأ محيطات
لما على مواويلنا شجرة الزقوم
على جروحنا ترقص العفاريت
وفي بيوتنا يجثم الخوف .
ربيعنا انت
دفؤنا انت .

وعلى مثال الصوفيين : يحلو لها العذاب لاجل الله :

لنتعذب ، لنحترق

الامنا تجلو الارض . تطفىء النار .
تاكل الكبرياء
لولا رياح ظالمة . لما انزلت آية
لما ارتجف ضمير
لما ثار سقراط
لظل رب الكهف في كهفه .

ان هدى نعماني تجد في اللجوء الى الله أمنا وطمانينة . وشاعرات اخر يجدن السعادة في الهرب الى عوالم اخرى . مي ريحاني تجدها في رحلة الى عالم البراءة والحرية . عالم الطفولة الذي يحتفظ سكانه بمزايا الاطفال . لا يكبرون . الشمس عندهم لا تغرب . الوقت لا يمر . الناس لا يمرضون . النار لا تحرق . الرياح لا تقلع الاشجار ، والامواج لا تغرق البواخر . (مجموعة « اسمي سواي ») .

اما نهاد سلامه ، التي تدل مجموعتاها الفرنسيتان على موهبة شعرية اصيلة ، فترى السعادة في نسيان الذات ، نسيان الماضي والغرق في حب الآخرين ، والغوص في دنيا العطاء ، على مثال مارتن لوثر كنغ وامثاله من المتصوفين بحب البشرية .

ومنى السعودي (اردنية) ، في رسومها واشعارها التجريدية ، تحلم بعالم جديد ، بهي ، مناقض لعالم الصمت والعقم .

تبقى شاعرات القلق والضياع والالم . نظير سنية صالح وثريا ملحس . وشاعرات الرؤى الفلسفية : نازك الملائكة التي تعالج في احد دواوينها الاولى موضوع السعادة الهاربة . وفي الدواوين التالية يجتذبها موضوع الصراع مع الزمن ، هذا الموضوع الذي استهوى قبلها توفيق الحكيم في « اهل الكهف » ، فتتناوله في نحو ثلاثين قصيدة مختلفة الاسلوب ، موحدة الغرض ، تتعلل فيها باحياء الماضي وبعث الحب الذي مات . لكنها تمنى بالاخفاق لان الزمن الجبار يقف في وجهها ويخنق محاولتها .

ومن قصائدها الموفقة في هذا الموضوع : « لعنة الزمن » و « يحكى ان حفارين » . الا ان نازك في خاتمة تأملاتها الفلسفية تنتهي الى اصطلاح الاضداد وانسجام المتناقضات في نفسها . يصطلح الماضي مع الحاضر والخيال مع الواقع في وحدة صوفية . فترى السعادة في الالم . وترى الموت والفراغ في قتل الحب . ويبدو لها الخيال اروع من الحقيقة ، و « الزائر الذي لم يجىء » اروع من الذي جاء . والامنية التي لم تتحقق اجمل من التي تحققت ، فتحن الى الامنية المستحيلة والى المكان الذي :

نظل اليه نسير
ولا نستطيع الوصول ... (« طريق العودة »)

اما اندريه شديد فاشعارها المنشورة في اثنتي عشرة مجموعة وكتبها القصصية والمسرحية التي تبلغ العشرة . تزدحم بالنظريات الفلسفية التي يحتاج درسها الى كتاب ضخم . تتناول فيها الحرية والقدر ، الانسان والمجتمع . الطموح والتحدي ، الحياة والموت ، ملاحقة المجهول وكشف جوهر الذات .

ولو اردنا اختصار هذه الفلسفة بكلمات قليلة لقلنا انها تدعو الى الطموح الذي لا يعرف حدودا ، والسعي الذي لا نهاية لـه . والتفاؤل الذي لا يمازجه تشاؤم . التفاؤل بالارض ، بالحب ، بالواقع ، بالحلم ، بالانسان . بالشعر ، بالكلمة ، بكل ما في عالمنا من قوى جبارة يمكن استخدامها لاقرار الخير والسعادة ومجابهة الموت بصدر رحب وابتسامة هادئة . انها فلسفة غوته الذي يقول في احد مؤلفاته انه لا يريد السماء اذا لم يجد فيها مشكلة يسعى لحلها او غرضا يكافح لاجله . او هي فلسفة اوروبا الحديثة التي جمعت بين حضارات مختلفة ووفقت بين الفكر اليوناني وفلسفات شرقية غربية .

تحت عنوان « اصغ الى حياتك » ، تدعو القارىء في قصيدة نثرية ، الى الاصغاء العميق الذي يكشف لصاحبه اسرار المجهول :

هجيء الوردة العاصية .
ارسم هذا المدار الذي يصل بيننا .
انعش شاطىء الوعود .
طوع الكلمة المتجبرة ،
كرس الصوت المشترك .
اصغ الى حياتك .
انها فم لا حدود له !
اصغ اليها !

تلك لمحات خاطفة من هذا الشعر المعاصر . اردت بها الدلالة على مقدار التنوع في الاغراض والموضوعات . ضمن الاطار المحدود الذي يطوق حياة المراة المعاصرة . وربما كان التنويع والتجديد اكثر وضوحا عند الشاعرات باللغة الفرنسية ، اللواتي يبرز عندهن كذلك الاقتنان في الاسلوب وتغوص بعضهن في مجاهل السوريالية فيوفقن حينا ويخفقن حينا آخر .

ان كثرتهن في لبنان تثير التساؤل : لم هذه الكثرة ؟ ونجيب ان احد الاسباب هو ان بعضهن تثقفن خارج لبنان وخصوصا في مصر ، يوم كانت مصر مركزا هاما من مراكز الثقافة الاجنبية . ثم انتقلن الى لبنان فانضممن الى حلقة زميلاتهن اللبنانيات ، على غرار فنانات من الاقطار العربية قصدن لبنان قبل الحرب الاخيرة للاستفادة من الحرية الفكرية والانفتاح الثقافي الذي وفره هذا القطر لادبائه وفنانيه .

وسبب آخر هو نجاح المعاهد الاجنبية في لبنان في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بنت الفجر

وسط روض في سمـا لبنان قرب الرابيه
قمـت صبحا وفؤادي في الكروم الزاهيه
سرت والنفـح طهـور في رياض ناميـه
ونسيـم الصبح رهـو مائـج في الناحيه
يبعـث اليقظة فجـرا في العيون الغافيه

في ظلال الدوح بين العشب قرب الساقيه
لمحت عيني خيالا قلت مـن ذي الجاثيه
واذا صـوت تهـادى نغمـا كالعافيـه
انـا بنت الفجر بنت الروض بنت الفانيه
سئمت نفسي الحياة الدجل عهـر الزانيه
جئت كـي المح ربي في السماء الصافيه
ارفـع الفكر صـلاة في الحقول الهاديه
واخلي صخب الانسان في اطماعه المتعاميه
ايهـا النافـح بوقـا في الحيـاة الغاليه
لا تظـن الدهـر وقفـا باسما كالغانيه
سوف تمضي سوف تفنـى كهشيم الرابيه
انمـا الخلـد لاعمـال الصلاح الباقيـه

عيسى ميخائيل سابا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تعليم لغاتها . لا سيما اللغة الفرنسية ، التي استطاعت ان تغري خمس مئة من اللبنانيين واللبنانيات بالكتابة فيها . كما جاء في مقدمة موريس صقر لمجموعة « مختارات الادباء اللبنانيين باللغة الفرنسية » ، الصادرة سنـة ١٩٤٨ . « ان اللغة الفرنسية تفعل في نفسي فعل الافيون » . هذا ما سمعت شاعرا لبنانيا باللغتين يصرح به في جلسة شعرية . ولا ريب ان من عوامل انتشار اللغة الفرنسية في العالم هذا السحر الذي تمتاز به ثم تفاني ابنائها في تجويد طرق تعليمهـا .

الى هذا نضيف سببا آخر وجيها . هـو ان الذين يكتبون بالفرنسية او سواها من لغات الغرب يقرا انتاجهم الملايين ، بينما قـراء العربية لا يجاوزون بضعة آلاف . والذين يكتبون بالفرنسية او الانكليزية يحتكون بزمـلاء يجيدون النقد ويثيرون فيهـم رغبة في التطور والارتقاء . ويواجهون مجتمعا اكثر انعتاقا مـن التقليد وأقل تزمتا وضيقـا .

ان عددا غير قليل مـن شاعرات لبنان آثرن الوفاء للغة البلاد . اما اللواتي اخترن الفرنسية او سواها فلم يفعلن ذلك كرها للعربية وانما خضعن للمغريات التـي وضعتها امامهن اللغة الاخرى .

روز غريب

الله في اشعار حلوة

بقلم الدكتور جورج ديمتري سليم

* * *

(١)

جميل بطرس حلوة (١٨٨٣ ــ ١٩٤٦) شاعر ممتاز مغمور من شعراء المهجر الشمالي . عاش بجسده مندمجا في عالم مادي قاس ، وبفكره وروحه متوحدا في صوامع النساك . قال ــ وهي ابيات من قصائد نظمها في مناسبات متفرقة :

لولا التحذر من عجز اذم به
جعلت عيشي مع النساك والقسس
تناسى الخلائق ذكر الردى
ولله ما عاد من يذكر
ذروني ونفسي في خلوة
لناجي الاله واستغفر
افضل الجلمودا على بني حواء
فعشت عنهم بعيدا مستانسا بانزوائي
فشكت لله نفسي وابى الجسم احتمالي
فدعيني ، يا سليمى ، مستريحا في انعزالي
ساكبا روحي بشعر فاض بالسحر الحلال
بكنوز الروح ، لا المادة ، في الدنيا انشغالي
ضاق ذرعي ، يا سليمى ، ما لعذالي وما لي
انني روح واهوى روء هاتيك المجالي
انما نفسي لا تحفل الا بمآلي
مرت في الارض ولكن سكنت روح الاعالي
ما اتيت الحمى ، وربك ، طوعا
فغرامي بالروح لا الجثمان
وما ارتهن الدهر بالمال روحي
فليست لغير الاله رهينة
ويؤنسني في غربتي قول من مضى :
« الا كل شيء ما خلا الله باطل »

ولعله ليس من السهل التحديد بوضوح عوامل هذه النزعة الروحية الواضحة عند جميلنا هذا ، وسبب انفراده بها بشكل لا نجده عند زملائه المهجريين الآخرين ، المعروفين والمجهولين .

أكان مرجعها الشعور الفطري ، او خبرات شخصية ، او اعمال فكر ؟ هذا ما لا اقدر على الاجابة عليه برغم كمول ــ او قرب كمول ــ نتاجه الادبي الذي بين يدي . لقد ظل جميل يذكر الله ذكرا كثيرا في اشعاره ، في كل مراحل عمره . لنصغ اليه يناجي ربه ــ وكان شابا بلغ الثالثة والعشرين :

محط اعتقادي عليك اعتمادي
فروحي وعقلي وجسمي وزادي
أتوا من علاكا

اطلت الرويه بحكم البريه
ففي كل سر أمور جليه
تريني علاكا

عجيب ورودي لهذا الوجود
فعيشي وموتي وأمر الخلود
يريني علاكا

فاصلي كريه(١) و بالجاذبيه
نمت واستقامت فيا لقضيه
تريني علاكا

وقضيت حينا اغذى جنينا
بأحشاء امي الست ترينا
بذاك علاكا

وخلفت ديري لنشأة غيري
ومثلت عيشي ففي كل دوري
بدا لي علاكا

فطفلا لعوبا ومرءا بؤوبا
وكهلا وشيخا يدب دبيبا
بدا لي علاكا

فكم من هموم وخطب جسيم
عراني ، ولكن أبيدت غيومي
بشمس علاكا

فخذ في يميني مدار السنين
وعند ركوبي جواد المنون
فقصدي علاكا

وفي الخامسة والعشرين ينتابه الشك ، فيتزعزع ايمانه ، لكنه يستدرك الامر بسرعة ، ويستغفر الله :

يا رب ، عفوك ، ما كفرت تعمدا
رحماك ، فاغفر ، ما بفي ترددا
فمقال كفري ليس عن قلت صدى
لكن مذ حلت بنا نوب الردى
ضاق النهى ، وتشتت افكاري

وفي السادسة والعشرين يفقد فجأة زميلا حميما ، فيتحسر عليه ، ويستسلم لامر الله هاتفا :

رباه : فليك ما تشاء فلا مرد ولا نجاة

وفي السن نفسها . نسمعه يكبر في « الزوبعة والنفس » : ثم يسبح بلسان ما في السماء وما في الارض :

الله اكبر ! هذا الكون ممتنع
ادراكه عن نهانا — اي ممتنع
عوالم سابحات في دوائرها
ان يطلب العقل عنها الفحص ينخدع
وابحر هاتفات من مغاورها :
سبحانك الله من رب ومبتدع
وانهر وبراكين واودية
تشدو الحياة عليها آية البدع

وفي الثامنة والعشرين نسمعه يتضرع الى الله اثناء تلاوته « صلاة الصبح » :

ضل رشدي في مذهبي ، يا الهي :
فاهد نفسي الى الصراط الصحيح

وفي السن ذاتها — بعد وفاة امه ، على ما يظهر — تضيق به الدنيا ، ويتملكه انهيار ويأس شديدان ، فيصرخ مبتجرا طالبا الخلاص :

خالقي ! والدهر لم يبق امرا
في الورى الا ونادى : خالقي
ان هذا العمر لا يصلح للحر
كن ، يا رب ، منه عاتقي

فاذا ما بلغ الخامسة والثلاثين سمعناه يناجي الله هكذا :

برايا للبصائر رائعات
فاعجب بالذي صنعت يداكا
يتيه بريشه الطاووس عجبا
وهاتيك الضلالة من هداكا
ويبتهج الحشيش بما تردى
وتهتز الازاهر من نداكا
ايقنط في المعيشة آدمي
ودب النمل يأمل من جداكا

لقد ناجتك نفسي فوق تل
وعند النهر قد ناجتك نفسي
وقد حاكيت أرواح البرايا
وسطرت النتيجة فوق طرسي
فكنهك فوق فكري ليس الا
وأحني ، يا اله ، لديك راسي
سألت الشمس ، لم تعلم لماذا
تصبح فوق كرتنا وتمسي

فلا عقل يعيك ، ولا فؤاد
ولا طرس يفيك . ولا كتاب
لقد كسرت اقلامي عياء
وحطمت الدواة فلا ملاب
واين فصاحتي . وبلوغ علمي ؟
واين بلاغتي ، وانا تراب ؟
فجودك في الوجود كفى ووفى
وحكمتك العلية لا تعاب

وقصيدة جميل هذه تتشابه ، بلا شك ، في شكلها وموضوعها ، بقصيدة « الله » لمسعود سماحة (١٨٨٢ — ١٩٤٥) ، زميل جميل في مهجره ، والتي منها :

الملك ملكك ، والبهاء بهاكا
والارض ارضك ، والسماء سماكا
الكون مع ما فيه من متحرك
او ساكن قد كونته يداكا
نظمت امكنة النجوم وسيرها
والارض والقمرين والافلاكا
لا مستغف الاك . لا متساهل
الاك . لا متسلط الاكا

تهوي العروش وعرش مجدك ثابت
وسوى ملكك كل ملك فان
سلطان مجدك انت فيه أول
لا راي فيما ترتئيه لثان
من بعض حسنك كل حسن في الورى
والنور بعض بهاك والقمران
لا العقل يدرك كنه سرك ، لا ولا
تلقى جمالك مقلتا انسان

والملحدون — وكلهم متجاهل
او جاهل لا يقبل البرهانا —
قالوا : الزمان هو الرقي . وقولهم
يوهي الجحود ويدعم الايمانا
من أوجد الاسماك في ابحارها ؟
من كون الاجسام والانسانا ؟
من قيد الابحار في قيعانها ؟
من نظم الافلاك والاكوانا ؟

لك رحمة فيها الرجاء مقصر
وبيان ارباب الفصاحة اعجم
لو رمت عدلا في الخليقة ما بقي
في الارض مخلوق به يجري الدم
. . . . . .
حاشا لرحمتك العجيبة ان ترى
نفسا ، وانت صنعتها ، تتألم

ويتبع جميل مناجاته السابقة بمناجاة اخرى ابلغ . يحف فيها الله . لتنصت له وهو يخاطب المولى — عز وجل — بهذه الكلمات السهلة ، في عبارات بسيطة :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انت في الشمس نورها اللألاء
انت في الليل بدره الوضاء
ولزهر النجوم انت السماء
ولزهر الرياض منك الشذاء
ولمر النسيم انت الفضاء
ولموج البحار أنت الماء
ولأنت الظهور ، انت الخفاء
ولأنت المنى ، انت الرجاء

انت ديني ومنتهى ايماني
انت مهد الحياة في وجداني
انت عقلي ومنطقي وبياني
انت سمعي العزيز في آذاني
انت عزمي ، وانت حزمي وثباتي
انت شغلي ومركزي وزماني
انت روحي وراح جسمي الفاني
انت لولاك لم اكن انساني

كيفما ملت اجتليك امامي
في شرودي ويقظتي ومنامي
انت وعدي وعهدتي وذمامي
وتعودي وضجعتي وقيامي
انت ترسي وساعدي وحسامي
انت عوني على العدى في الصدام
لك حبي اخلصته وغرامي
في حياتي وبعد لقا حمامي

كيف أزري بالقبر او أخشاه ؟
هل ترى بعد ظلمة تغشاه ؟
بعد ان قد رفعت عنه غشاه
خرقت الظلام في احشاه
انما الخلد في الردى منشاه
وفؤادي هناك يبغي رشاه

وفي التاسعة والاربعين ، يتأمل في « التمدن » الذي حوله ، فاذا :

الناس ، واعجبا ، قد ازدحوا على طلب الهباء
يتصارعون كأنهم عدموا الفطانة والذكاء

ويتساءل :

أين الديانة ؟ اين فلسفة الهداة الانبياء
لا المال محمي ، ولا الاطفال او عرض النساء

وينتهي من هول ما يراه الى ان يرفع صوته مستغيثا :

الله ، لطفك ، ايها الرحمان ، يا رب السماء
اوليست الارواح من نفحات صدرك في العلاء
لم تستقم هذي الضمائر ، طال فيها الالتواء

(٢)

كانت المناجاة سبيلا من ثلاثة سبل سلكها جميل عند ذكر الله في اشعاره . اما السبيلان الآخران فكانا تذكير النفس ووعظ الغير .

كم من مرة ، في خلواته الروحية ، اخذ جميل يذكر نفسه بالله ، ساكبا هذه الذكرى في ابيات جميلة حلوة تملأ سامعها راحة ورضا . قال — وهو في الرابعة والعشرين بعدما فقد اخته « ماري » ، وكان فقدها من اهول خبراته :

اذا ما دهتني صروف الليالي
وادمت فؤادي بسهم النكال
فربي رحيم يرق لحالي
ومنها يقيني

فما امر فقري وما هجر صحبي
وما غدر دهري وما كل خطب
اذا مد ايدي المعونات ربي
لكيما يقيني

فيا عين ، كفي ويا يأس ، ول
ويا قلب ، صبرا لفقري وذلي
ويا روح ، صومي لربي وصلي
فحقا يقيني

ونسمعه بعد اربع سنوات يقول متشددا بـ « الامل والثبات » ، عتب فقد الام على ما اظن :

اغامر في دياجير الحياة لعل الله بالتوفيق ياتي
تصبر ، ايها القلب المعنى ، ولا تحفل بفعل النائبات
فعين الله ترقب كل حر وعند الله لي خير الصلات

ويقول في الفترة نفسها :

للاله القدير بين الخلائق
حكم تدهش اللبيب الحاذق
ركب الارض من عناصر شتى
ولكل عما سواه فارق
واقام الافلاك في واسع الجو
واعلى بنا الجبال الشواهق
ولقد جمع الخضم — الذي لا
حد يحصيه — من صغار الدقائق
حار عقلي لدى الوجود ، وقلبي
قد غدا من فخامة الكون خافق
ويح نفسي ، ألست حرا طليقا ؟
كيف كالعبد قيدتني الطوارق ؟
يا « ابن حوا » ، لا ترفع الراس تيها
فنفوذ القضاء في الكل صادق
يا لهذا الوجود ، كم من عجيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قد حواه ، وكم به من خوارق
ما دماغي : ما فؤادي - وما حد
ري لا يقوى على افتهام الحقائق

والتفت الى نفسه يوما فرأى نفسه قد تطلع ٢٨ سنة في تيه الحياة الملتهب ، ذي الريح العاتية ، فبدا يحدو :

طال سيري في الصحاري وسط رمضاوات نار
ليس لي غير اصطباري ما به اطفي اواري
وعقيب الضير راحه

قد عدت ريح السموم واعتلى رمل التخوم
في الفضا مثل الغيوم انما ، يا نوق ، دومي
عل في الصحراء واحه

انما ، يا نوق ، سيري واستجيري بالقدير
من تباريح الدهور انه مولى الامور
جل ، ما اسمى صلاحه

وفي السن نفسها خاطب نفسه مرة ثانية وقال :

يا قلب ، قدك تلهبا لتروع
برد لظاك ، ان استطعت ، بادمعي
عقل ابن آدم قاصر عما يعي
عدل الاله بشأننا ، فليصنع
ما شاء ، فهو يحيط بالاسرار

ويفقد « روزا » شقيقته ، فيقف لدى ضريحها ، وكله « عبرات وحسرات » ، ليقول — وكان في الخامسة والاربعين :

اقام الاسى في فؤادي حماه
اذا راح خطب فخطب تلاه
وقد ألف الدهر مني آه
فيا نفس ، قومي بفرض الصلاه
وايمانك استجمعي والرجاء

(٣)

لنأت الآن الى ذكر الله في وعظ جميل . سنجد انه غالبا ما كان موصولا بذكر الروح وخلودها . قال — وكان في الخامسة والخمسين :

قدح الله شعلة الروح لما
حك كفيه في دجى الظلماء
خالعا في الوجود ثوبا عليها
يدهش العقل ، من تراب وماء
أتراها كما اراد لها الله
تجلت بروعة وبهاء
لم عليها غشاوة حجبتها
بالدنايا ، فلم تزل في خفاء

وقال قبل ذلك بعشرين عاما - في رثاء اخته مريم :

الا ، لا تقولوا بعكس الخلود
فان فؤادي يذوب ارتياعا
ولست على الجسم اخشى ضياعا
ولكن على الروح اخشى الضياعا
وكم من حبيب علي عزيز
تولى ، وما نلت منه وداعا
فهل هم الا بدار الاعالي ؟
وهل بسوى ذاك ابغي اقتناعا ؟
وهل هم الا بظل ابي النور
يخلع منه عليهم شعاعا ؟

ونظم في رثائها ايضا :

ليس الانين معيدا من لقد بانا
هيهات ان ترجع الدنيا احبانا
سبحان من هكذا شاءت ارادته
بين اللاخلق منذ البدء ، سبحانا
للصابرين أعد الله جنته ،
ما كان لولا خلود النفس اشتانا

وقال مخاطبا الاموات ليسمع الاحياء :

ايها الساكنون ظلام القبـ
ـر ، وكنتم اقمارا
انما تلك سنة الله فينا
والى الترب انما الترب صارا
غير ان الارواح — وهي ضيا
ء الجسم — حلت من السعادة دارا

وقال مرة ، بعد ان مثل بحبة النبات التي ستصحو من عميق سباتها لتقيم اغصانا وارفة وارقة ، وبعد ان حاول التدليل على ان القبر ليس نهاية البداية وانما بداية اللانهاية :

ايها الجاحدون ، من منبر القلب
علينا يلقي الضمير خطابا
فهو من لن وعاه وسلوى
وهو نار لمن طغى وارتابا
كيف نقضي — والروح من نفخة الله —
بأن الارواح تمسي ترابا
اين «هيغو» واين «موسى» و «افلاطون»
هل هم يمائلون السرابا(٢)
لا تضلوا ، لا تجعلوا العيش بطلا ،
لا تزيدوا على العذاب عذابا
لا تقولوا : ما الدين الا اختلاق
وعلينا ان نحفظ الآدابا
من نفى قوة المهيمن لا يرجو

ثوابـــا ، ولا يهـــاب عقابـــا
ليـــس ســـر الخلـــود راي عقيـــم
ان يكـــن باعتناقـــه الحس خابـــا
فاملئـــوا الصدر بهجـــة بالاماني
وانزعـــوا مـــا يسبـــب الاضطرابا
عللونـــي — بربكـــم — عللونـــي ،
واذكـــروا لـــي خلودنـــا والمآبـــا
واذا مـــت فاعلمـــوا ان روحـــي
بالاعالـــي ، فـــلا تريـــد انتحابـــا
وخـــذوا حبـــة النبـــات مثـــالا
فتزيـــل الشكـــوك والارتيابـــا

والتقى بأحد الذين كثر علمهم بالماديات ، وقصر فهمهم عن الروحانيات ، فصوره وتصور مصيره قائلا :

حاد بالعلم عـــن ســـواء السبيل
وتباهـــي بالغـــي والتضليـــل
ولكـــم بالعلـــوم ضـــل فتـــي
حين منها لـــم يلق غـــير القليل
ختـــم الصرف جيـــدا ، وبعلـــم
النحو يروي ما جاء بـ« ابن عقيل »
ولديـــه خريطة ، فهـــو ينبيـــك
بـــارض الهنـــود والمنغـــول(٣)
وهو بالكيمياء عـــن خبرة يشرح
ســـر التركيـــب والتحليـــل
ويعلـــم الافلاك لا شـــك يـــدري
مركز « الدب » او مقر « الفيل »
وبنظـــم التريـــض ينشـــد « ليلا
ه » ، ويبكي على الربى والطلول
كـــل هذا نحوى ، اما ذاك بالكافي
لدحـــض التـــوراة والانجيـــل

غشي الجهـــل قلبـــه فاعـــذروه
فسيصحو من ضغط ذاك المقيل
ما على الطفل ، والحليب غذاه ،
مـــن مـــلام لعسر هضم البقول
فاتركوه علـــى الطبيعة ، فالدنيا
تريـــه مـــا كـــان بالمجهـــول
وبعيـــد الجحود والكفـــر يحنـــو
رأســـه العاتي بالرضى والقبول
سوف يدري الخلود حـــين تراه
بحبيـــب يصـــاب او بخليـــل
سيرى ضعف رايـــه عندما في الـ
ـعيش يحتـــك عقلـــه بالعقـــول
سيرى الله مـــن خـــلال الرزايا
ولديـــه يجثـــو كعبـــد ذليـــل
الا ان جميلا ، الـــذي كانت محـــاور الناس شغله

شاغل . لم يرض بترك هذا الشخص وشأنه — كما اشار علينا ان نفعل — بل نراه وقد رجع اليه ليذكره بالله ، مؤكدا خلود النفس ، ناصحا اياه بالتقوى ، داعيا له بالهداية :

ان ابهى مـــا في الوجود واشهى
مـــا بـــه الله اصل كـــل جميل
وخلـــود النفـــوس اثمـــن ارث
قـــد نمنا جيلا بـــه بعد جيل
فاتـــق الله ايهـــا الغر ، واذكر
، دومـــا بالحمـــد والتبجيـــل
ان شمس الحياة مهمـــا أضاءت
فاخـــيرا تميـــل نحـــو الافـــول
هـــل بجرف التراب ترضى مقرا
ليس فيـــه غـــير الظلام الطويل
ليس حـــظ الكفـــار الا شتـــاء
وذهـــاب الرجـــاء والتأميـــل
فهداك الاله عـــن كـــل غـــي
وضلال ، الـــى ســـواء السبيل

والتقى برجل آخر « اضلته الليالي مثلما اضلت غيره » فبادره جميل بكلام ، منه :

عجبا ، قلبـــك مـــل . عجبا ، لا تتسلى
وجمال الكون ، يا صاح ، حواليك تجلى
هل على الضلصال تأسى ان تلاشى واضمحلا
هذه الدنيا هي الجنة ، لو حكمت عقلا
ان روح الله في اكوانهـــا بعضـــا وكـــلا

وعظ جميل الغير كلهم : الاقربين والابعدين ، ووعظهم في الافراح والاتراح .

زفت شقيقة له ، فخاطبها وزوجها بـ :

الا فاربطا الروحين في سنة الهوى
وسيرا باخلاص في كـــل منجع
وفي منهج الحسنى اسلكا وتباريا
وبالله لوذا مـــن رؤوف ومبـــدع

وتوفيت « ماري » اخته ، فالتفت الى امه معزيا :

اماه ، كفي دمـــوع العين ، اماه
مـــا مـــن مرد لمـــا شاءه الله
يـــا ام ، ان هذه كانت ارادته
على الرؤوس ، فمن للقلب الاه ؟

واندلعت الحرب العالمية الاولى ، وانقلبت الى حرب ضروس ، حامية الوطيس ، ذهل لهولها . فلما خمدت اخذ يردد :

فظائع حرب عـــم دنياك شرها
ولـــم تتخايل قط في راس واهم
تلاشت تلاشي الريح الا اقلـــه
فقل : ليس الا الله ربـــي بدائم

وقال ــ وكان شابا يومها :

في دجى الليل ضللنا ... ولقد حار الدليل
كلنا للموت نسعى ... ما الى الخلد سبيل
ويسمعي طارق صو ... ت خفي ، ويقول :
حاذك الله من التر ... ب ؛ وللترب تؤول

ورأى أحدهم يستغنم ، فوقف يذكره بالآتي لعله يتفكر :

فاجمع من الاموال ما شئته ،
وارقد على الحرائر الفاخره
وكل من الالوان ما تشتهي ،
والبس كما تستحسن الباصره
لكنما اذكر ان مولى الورى
له عينان ابدا ناظره
فان بغي المرء يودي به
لا بد ان تنقلب الدائره

وكتب مرة : « اذكروا كم شيء اتيناه وليتنا ما اتيناه ، وحسن قضيناه وليتنا استزدناه ، وعثور عابنا على حين كان يجب الانتباه. اذكروا سوابغ النعم من الله فنشكرها» .

ومن وعظه الرائع ما قاله في « صبحة وعشية » :

عندما تترك المبيت صباحا
ويحييك بالهبوب النسيم
وذكاء ترنو اليك ارتياحا
كرؤوم منها تدانى الغطيم
وترى الورد باسما فواحا
وكأن الندى عليه النجوم
ولك الطير يعتلي مصداحا
في رؤوس الاشجار حيث يقيم
فاذكر الله ربك الفتاحا
انه الخالق القدير الرحيم
واذكر الام والاب استنصاحا
ولو ان بات وهو عظم رميم
واكشف الراس هاتفا هذين :
يا رضى الله ! يا رضى الوالدين !

لا تغر جهد الحياة كفاحا
لا تقل بالنزاع يحيا الهموم
ما برى الله خلقه سفاحا
بل طغاهم ابليس ذاك الرجيم
أفسدوا في سبيله الارواحا
وعداهم يوم النشور العظيم
انما العقل لم يزل مفتاحا
ونعيم في فتحه او جحيم
فتحذر ، يا صاح ، من ان يزاحا
عن سراط هو السراط القويم
ومن الحق فاتخذ مصباحا
للسرى ؛ ان دها الظلام البهيم
وتشجع مرددا هذين :
يا رضى الله ! يا رضى الوالدين

وله من « حديث مع الطيور » :

بالصفا فلتدم عيوني تراك ،
اطربي مسمعي ، طيور الاراك
واقرئي في صحف الكون الا
حانا ، وحاها اليك من انشاك
ليت اني في الروض قد كنت طيرا
اتغنى ، وانتحب منحاك
فتهنى بما الطبيعة اعطتك ، وتيهي بما الاله حباك

وله من حديث ثان :

من ذا الذي استهواك ، يا بلبل ،
ورد الربى ، ام ترى الجدول
تجود ممتازا بلحون الهوى
منذ اقتناها جدك الاول
وقمها الله بقيثارة
وانت عنه وارثا تنقل
نبهتني ــ واسوء جهلي ــ على
ما كنت في علم الهوى اجهل
على جمال الكون ايقظتني
وراعني مبدعه الاجمل
والناس ــ يا لله ــ ما بينهم
قد ساد هول النار والمنصل
ما بالهم صال القنوط بهم !
ما بالهم من ذعرهم ولولوا !
فليس كالايمان من معقل
وكالرجاء الحلو لو نعقل
الله ، ان الله في عرشه
لا ارحم منه ، ولا اعدل
بعرفه فاحت زهور الربى
وصاح في تمجيده البلبل

(٤)

آمن جميل بالله ايمانا وطيدا ، وآمن ايضا بقضاء الله وقدره . يظهر هذا جليا في اشعاره حيث يقول :

صبرت ، وقد ضج اصطباري من النوى
ولا بد يقضي الله ما كان قاضيا
على انها الاقدار حلت ، وهكذا
لقد حكم المولى ، وهل من مدافع ؟

على انه المولى بذلك قد قضى
وهل من مرد للذي كان قاضيا ؟
فسبحان من قد هكذا شاء للورى
وما شاء الاه على الارض باقيا
هكذا الله قد قضى باغترابي
فليكن ما يشاء رب العباد
لا خير في الارض ، ان الارض فانية
والكون لله في احكامه دانيا
لا تيأسي ، واصبري ، فالنائبات بها
تزداد لله اخلاصا وايمانا
وانا لأمر الله — لا العبد — ننحني

على ان ايمان جميل بالقضاء والقدر لا يعني التواكل والتخاذل في الحياة الدنيا ، بل يعني السعي والمجاهدة فيها . اسمعه يقول — بعد ان قضى ربع قرن في « الهيجاء والرجاء » :

كلمنا الدهر بالمضرة جاء
حاربنه ، ولا تبنت الرجاء
كتب الله هاك أن نتلقى
في الحياة السراء والضراء
انما العيش مثل حرب عوان
فاسلل السيف ، واستزد مضاء
واستعن بالاله ، واجهد ، وجاهد
كلما الدهر بالمضرة جاء

(٥)

آمن جميل بالله لانه آمن بالدين . فـ « الدين الذي هبط على عواطف الشرقيين من الارفع ، هو اسمى ما اتصلت اليه المقدرة البشرية ، وادعى شيء الى ترقية النفوس وتعلية الرؤوس ... اعبدوا ربكم كيف شئتم وما شئتم ، فما الدين الا واسطة التفاهم بين الخالق والمخلوق ، وخير الدين ما كان عن ورع وفهم ، لا فزع ووهم ... هذه نصائح حر مخلص لاناس يعقلون » .

هذا ما كتبه جميل ، في « منشور اصلاحي وبحث فلسفي » طويل ، وله من العمر خمسة وعشرون عاما . اما في الخمسين من عمره ، فقد نظم « ترنيمة العيد » ، وفيها قال :

دقت الاجراس تدعو للصلاة المؤمنين
آمنوا ، يا ايها الخلق ، وما احلى اليقين
طالما تهنا غرورا في الدياجي ساكمين
ليس في المادة للروح عزاء او معين
فعزاء الروح دين ، وهي تشقى دون دين

جلس يوما ، والقطار به يجري ، وسرح فكره في سلوك البشر ، فرآهم :

قد قسموا الله باديانهم
عجبا ، وكل دينه الطاهر
ودينهم في المال لا غيره
فهو الاله الصمد القاهر
قد طاطأوا الارؤس تدامه
ومن عصاه فهو الكافر
والصدق ، أواه على صحبه
فهل له ما بينهم ذاكر ؟
كأن « يوضاسا »(٤) امام الورى
وجمعهم تابعه الناصر
حضارة تزهو بانتاجها
والعقل فيها السيد الآمر
والروح الا في قليل الورى
مكبل منكمش صاغر
ما قلت ما قد قلت عن ظنة
سلني ، فاني العارك الخابر
ان شئت تدري دين اي امرىء
فان وفى الدين فذا الفاخر
وان اراد الهضم عن خسة
فاحذر عوحشن فاتك غادر

(٦)

حاولت في هذا المقال — على ما يسمح به المكان — ان ابين ظاهرة ذكر الله التي لاحظتها اثناء قراآتي لنتاج جميل بطرس حلوة الادبي . غير اني رايت انه لا يصح انهاء المقال بدون الاستشهاد ايضا باشعار ترجمها جميل عن الادبين الامريكي والبريطاني . ذلك لان هذه الترجمات ما هي ، في الحقيقة ، الا اصداء لافكاره هو ومشاعره هو التي اودعها شعره الشخصي غير المترجم . سأورد هنا اذن ما يهمنا من ترجمات جميل لموضوع هذا المقال ، وبدون تعليق ، مكتفيا بذكر عناوين القصائد الاصلية واسماء ناظميها .

زهرة في الجدار المشقوق(٥)

يا زهرة قلعتها من شق ذياك الجدار
وفي يدي قلبتها معمقا في الافتكار
لو كنت أدري كيف ذا ك الحسن في الزهرة صار
لكنت أدري من هو الا له العظيم الاقتدار

الصدى(٦)

بربك ، اي صوت قد تعالى
فصيحا نستطيب له مقالا
عميقا صافيا ، يجري وحيدا
يجاوبنا ، ولم يسال سؤالا !؟
يردد هاتفا صوتا بصوت

وحجب الذات اكسبه جلالا
صدى صوت الاله بكل نفس
فسمعا للصدى ، اما تعالى !

ليس لنا بل لها ، يا رب(٧)

ليس — يا رب — لنا ، ليس لنا
مأمن الليل ، ولا انس النهار
لا ، ولا الوحي السماوي الذي
يوقظ النفس بنور وبنار
او فؤاد الحزم او صوت العلى
او مآتي الجد تولينا الفخار
كلها منك ، اذا شئت همت
واذا شئت تلاشت كالبخار

البساطة الخلابة(٨)

تحت اصطناعك من درى ماذا اختفى وتعطلا ؟
ما كل ذلك صالح ما كل ذلك قد حلا
اهوى المحاسن مثلما شاء الاله وشكلا

يا وطني(٩)

ايا وطني ، ما دامت فيك منازل
تعود وتحميها الرجال النواسل
وما دامت الانوار ليلا تضيئها
وما دام فيها الدين والحق ماثل
فلا خطر يخشى عليك كأمة
ولو ناب مكروه وحلت نوازل
مغانيك ، عين الله تحرس اهلها
وانك باسم الله للمجد نائل

مزمور الحياة(١٠)

لا تردد بقنوط : انما الدنيا منام
فخنوع الروح — لو تدري — هو الموت الزؤام
ضل من يزعم ان القبر للعيش ختام
كتب الخلد على الروح ولو تبلى العظام

ليس شأن الله خلق نعيم واغتنام
بل صلاح كل يوم بعد يوم باعتزام
وادفن الماضي بما فيه ولا تحفل بما سوف يقام
واعتمد ربك في الحاضر ، واجهد للمرام

وبعد ، هذا بعض ما جاء عن الله في شعر جميل ، وجميل ما كان شاعرا محترفا بل هاويا ، وما كان شاعرا مضلا بل هاديا ، و « لسان حاله » كان دائما :

صاح ، ما لي وسوايا ، انا بالشعر هوايا
انه للنفس نور ، انه نار نهايا
هذه الاكوان اعطاها لي الله عطايا
انما عدت بجود الروح اهديها هدايا

لقد سمع جميل ، في شبابه ، هاتفا ينناديه :

وان كان اهداء النضار معسرا
اتعصى القوافي ، وهي كالسيل تقبل
عليك بنظم الدر ، وانثر عقوده
عسى نوره يهدي الضليل فيعدل

فلبى جميل النداء ، وداب على قول الشعر الحلو طول حياته ، ولا عجب ان قال :

فللشعراء منزلة ..... في الحشر
فمن ارواحهم ملأوا فسيح الكون بالبشر

واشنطن — جورج ديمتري سليم

---

(١) الربة (بكسر الراء وتشديد الياء المفتوحة) : حيوان هلامي .

(٢) هيغو : Victor Marie Hugo (١٨٠٢ — ١٨٨٥) ، اديب فرنسي .

افلاطون : Plato (٤٢٩ — ٣٤٧ ق.م.) ، فيلسوف يوناني .

(٣) المنغول : هم المغول سكان منغوليا بآسيا .

(٤) يوضاس : Judas هو يهوذا الاسخريوطي تلميذ المسيح . وهو الذي باع معلمه .

(5) «Flower in the crannied wall» by Alfred Tennyson (1809-1892).

(6) «The echo» by William Wordsworth (1770-1850).

(7) Anonymous.

(8) «Simplex munditiis» by Ben Jonson (1573-1637).

(9) «There are homes» by Mrs. Grace Noll Crowell (1877-1969).

(10) «A psalm of life» by Henry Wasdworth Longfellow (1807-1882).

في مطلع كل شهر

اطلبوا

الاديب

من الباعة والمكتبات

الشعلة المقدس

عند الشاعر جورج صيدح

بقلم عدنان الداعوق

* * *

« جورج صيدح » . واحد من كبار شعراء العرب في المهجر، وهو كما يقول عنه الشاعر الاستاذ « محمد عبد الغني حسن » : .

« وتر من ذلك العود الرقيق الحنون الذي تثيره الذكريات الى ارض الوطن ، فيهفو اليها في شعر جميل رقيق » .

ولد « صيدح » في دمشق عام ١٨٩٣ ، وتعلم فيها ، ثم اكمل تعليمه في مدرسة « عينطورا » بلبنان ، وكان الاخطل الصغير « بشارة الخوري » ينشر له شعره في جريدة « البرق » وهو طالب في العقد الثاني من العمر .

هاجر الى القارة الجديدة عام ١٩٢٧ ، فكان نصيب « فنزويلا » من صيدح عشرين عاما قضاها في التجارة والبيع والشراء ، كما كان نصيب « الارجنتين » منه خمسة اعوام ، كان آخرها عام ١٩٥٢ ، ومنذ ذلك الحين ظل يتنقل بين الشرق والغرب ، والقديم والجديد ، حتى القى عصا التسيار بمدينة بيروت عام ١٩٥٤ .

عندئذ احس المغترب الحنون انه قد آن الاوان لكي يستقر على ارض الوطن بعد طول اغتراب ، فحمل معه كل حصيلة اغترابه من مال التجارة واودعها في بنك «انترا» ببيروت ، وما كادت تستقر امواله في صندوق البنك حتى اعلن البنك افلاسه ، فخسر المغترب نصف الثروة التي جمعها بعرق الجبين وقرر الهجرة الثانية ، فكانت باريس هذه المرة نصيبه ، مغتربا جديدا تقف على اعتابه الشيخوخة فارضة على العائد استئناف النزوح .

لم يصمت لسان الشاعر « جورج صيدح » طوال فترة هجرته عن ذكر الوطن والتغني بالعروبة والقومية ، وما كادت تصيب الوطن نائبة من النوائب حتى يرتفع صوته عاليا منددا بالنائبات ، مذكرا بالامجاد ، ولعل من اروع قصائده تلك التي قالها في احلك ساعات النكبة عام ١٩٤٨ ، فاذا هو من « بونس ايرس » يقول :

وطني ، مطلع انوار الهدى بلدي ، ما انت للذل بلد
او تغدو وتدا للمعتدي اين شان العرب من شان الوتد ؟
لا تطل عمري الى يوم به تحكم الجرذان في غاب الاسد

وكانما كان عام النكبة هذا ، النكبة الكبرى التي ارتفعت في قلب الشاعر ، فوق الخاص والعام عنده ، ولم يعد يرى الا سواها ، الآلام تعصر قلبه وتدمي عيونه ، حتى البسمة المشرقة لم تعد تعرف طريقها الى شفتيه :

الحسن يفسك في الربى وانا متجهم ، وسواي يبتسم
جزعي على الاوطان يصحبني هل في فلسطين انطوى العلم ؟

في كل نقطة دم يسري حب الشاعر للوطن في روح تتاجج حسا دفاقا وارقا متوهجا ، ونقدا يصل حدود المرارة ، لعل الهمم تستفيق ويتعملق العنفوان من جديد :

لم يبق فيكم من عروبتكم الا لسان مفصح وفم
ان العروبة — يا بلابلها — روح على كف الفتى ودم !

وفكرة العروبة والقومية نمت نموا بارزا في ادب وشعر المهجر حتى اصبحت فوق وقبل كل شيء فكيف تمكن هؤلاء الادباء والشعراء — وصيدح في مقدمة هذه الكوكبة — ان يستوعبوا مصائب الامة والنكبات المتلاحقة التي حلت باوطانهم ؟

لا شك ان الاغتراب والهجرة كان ولا يزال من العوامل الاولى التي اججت في نفوس المغتربين تجاوبهم مع مصائب الامة ، فحب الوطن لا فكاك منه على من اغترب ، تزيده الايام عمقا ويشتد مع الاعوام صفاء وتولها يكاد يصل الى حدود التصوف .

ففي عام ١٩٦٧ ، عام الحزن العربي ونكسة حزيران، فقدنا في حمص احد اولئك العمالقة من الادباء المهجريين وهو « نظير زيتون » ، وكنا قد عزمنا على اقامة حفلة تأبينية له ، فكتبت الى الشاعر « جورج صيدح » رسالة ارجوه فيها ان يشاركنا بحفلة التأبين لعلمي ان بين الاثنين علاقة طويلة وعميقة من الصلات الروحية والقلمية ، فوردتني رسالته من « فيشي » بفرنسا بتاريخ ١٩٦٧/٨/٢٢ ، يقول فيها :

« لقد تبعتني رسالتك الكريمة الى مغتربي الصيفي ، فطال طريقها وتأخر وصولها ، اما مضمونها فقد طيب نفسي بعطر وفائكم لذكرى اخ احبه واجله ، واديب نابه عم فضله ، آجركم المولى على مسعاكم النبيل .

اما اشتراكي معكم فواجب علي ومحبب الي ، ولولا نكبة الامة التي قصمت ظهري وشلت فكري منذ الخامس من حزيران لسمعتم صوتي نائحا عليه قبل حفلة التأبين ، اني اليوم لا اصلح للتفكير والتحرير او لقول الشعر ، ولن اعود بشرا سويا واعيا الا متى عادت فلسطين الى اهلها والكرامة الى العرب .

ورغم ذلك ، جلست الى مكتبي ساعة استوحي عواطفي الحزينة ، واجمع النثرات الخاطفة في وريقة ارسلها اليك طي كتابي ، طامعا فيك عن قصوري بشفاعة ظروفي . ان القليل الهزيل من الكلام خير من الصمت او الغياب عن هذا المقام » .

وكانت قصيدة « صيدح » الرائعة بعنوان « نحن

قلبان توأمان » جاء فيها :

عقدت حمص للفقيد الكبير ... ماتما قد عقدته في ضميري
ودعتني الى رثاء فتاها ... افارثي مصيره ام مصيري
نحن قلبان توأمان وقانا ... من جفاء النوى عناق الشعور
كنت احيا على رجاء لقاه ... صرت احيا على نداء الحفير
حبه كان واحة ظللتني ... وشفتني من الظما في الهجير
وارتني كيف اليراع يصلي ... ويجلي على بيان العصور
ثكلته ام اللغات فسالت ... ادمع الضاد من جفون العشير
كان خلف البحار سيف الجوالي ... من غدا في الديار ضيف القبور
لن اعزي به ولن اتعزى ... الم الخطب فوق صبر الصبور
يا نظيري في غربتي ومآبي ... ما امر الحياة دون « نظير »

قد يندهش القارىء العربي من بكاء « صيدح » على صديقه « نظير زيتون » حينما سمع نبأ وفاته ، وقد كان بين الاثنين حملات نقدية شديدة بدأها « نظير زيتون » يوم اصدر « صيدح » ديوانه الاول « النوافل » عام ١٩٤٧ في « بونس ايرس » .

وتنطفيء الدهشة في عين القارىء حين يعلم ان هذا النقد لم يكن الا على الورق ، اما قلب صيدح الكبير فما كان اوسع منه واصدق حين بكى صديق اغترابه .

فحينما سألت صيدح عن اصعب نقد وجه اليه .. وممن . !

اجاب :

ـ اشد نقد بليت به كان منصبا على ديواني الاول « النوافل » الصادر في « بونس ايرس » عام ١٩٤٧ ، هذا النقد الذي نشر في مجلة « العصبة » ـ الاندلسية ـ في « سان باولو » في ٣٠ صفحة موزعة على ثلاثة اعداد متوالية صدرت عام ١٩٤٨ ، وكاتب هذا النقد او بالاحرى ـ القدح ـ كان المأسوف عليه « نظير زيتون » ـ امين سر العصبة وقتئذ ـ ولا تندهش امام هذا الاسم العزيز على قلبك وقلبي ، فالرجل لم يكن يعرفني ولا سمع باسمي ، كما اني ما عرفت عنه ما عرفت الا بسبب هذه الحملة الجائرة وتلك السهام المسمومة التى رمي بها صاحب الديوان ، كأن بين الاثنين عداوة وثارا ، او كأنه يتصيد رزقا او يطلب وجاهة من الاسترسال في التقريع والتشنيع والسخرية .

تناسى ـ غفر الله له ـ ان الاخطاء المطبعية لا يخلو منها كتاب ، ولا يحمل المؤلف وزرها ، وتناسى ان الكتاب وسيلة لاغاثة المشردين من فلسطين ، وان حوله وفي كل عاصمة من عواصم امريكا ادباء كراما يطوفون على المنازل والاسواق لبيعه على ابناء العرب ، ولا يجوز له تثبيط همتهم او تزهيد القراء بمطالعة الكتاب .

ذلك ان الصفحات الاولى من ذلك النقد الجارح كانت اعتراضا ساخرا على تسمية الديوان « النوافل » . وقد فسرها (العطايا) ؛ لم احرك ساكنا تجاه هذا الهجوم العنيف . ولكني ارسلت الى مجلة (العصبة) قصيدة بعنوان (القلم المداد) مهداة الى كاتب تحامل على الديوان .

فحاول « نظير زيتون » منع نشرها فلم يستطع . بل ظلت في المجلة بعد انتهاء مقالاته وادت الى « حرده » وانقطاعه عن « العصبة » شهورا ، الى ان دبرت الاقدار سبيلا للتفاهم بيننا ، اذ زارنا الصديق (عبد المسيح حداد ، صاحب جريدة (السائح) النيويوركية وحضر ندوتنا . ثم توجه الى سان باولو واجتمع بصديقه الحميم (نظير ، وجرى بينهما حديث عن صاحب (النوافل) كانت النتيجة ان نظيرا عاد الى « العصبة » ثم كتب الي رسالة مودة واعتذار .

وكرت الايام فاذا (نظير زيتون) في « حمص » وانا في « دمشق » عام ١٩٥١ ، اتلقى منه التحيات برقيا ، ثم يحضر للتسليم علي . ويحضر حفلة تكريم اقامتها ادارة النادي العربي بدمشق ، فيلازمنا اياما وتتوثق بيننا روابط المحبة والاخوة والتقدير المتبادل .. وقد صعقت ـ كما تعلم يا صديقي ـ يوم فجعت بوفاته ، ونزل علي خبر وفاته نزولا مروعا .

نحن امام هذه الاجابة العفوية والمباشرة نتعرف على الانسانية الرفيعة عند الشاعر « جورج صيدح » هذه الانسانية التي طالما كانت ممزوجة لديه بجانب الروح القومية العالية .

فعلى الرغم من ان الشاعر كان كبساط الريح يضرب في اركان الارض مشرقا ومغربا ، يعيش في رحلاته وتنقلاته ومن قبل في اغترابه ، مع اعاجم الفكر واللسان ، الا انه كان لا يفتأ في كل آن ان يتحدث عن قضية العروبة ، شغله الشاغل ، ويوسع هذه القضية بحثا ومعالجة ومعايشة وشرحا لكل من حوله .

وعلى الرغم من الشيخوخة التي يعيشها صيدح في مغتربه الثاني ، فرنسا ، فانه يناصب العداء لاعداء الامة العربية جهارا وبلا دبلوماسية ، انما بعفوية الشاعر الصادقة ، فها هوذا يكتب الي رسالة مؤرخة في ١٩٦٧/٩/١٦ يقول :

« انني عائد اليوم من جنيف ، هذه المدينة الموبوءة بانفاس اليهود ، المدلهة بحب اسرائيل ، ولولا اضطراري لتسفير حفيدي من مطارها ما وطأت ارضها » .

ويسترسل الشاعر الوطني في هذه الرسالة باجترار آلامه ، فقد كان متعبا وجائعا في وقت معا حينما دخل احد مطاعم جنيف فقرأ لوحة عند مدخل المطعم تقول :

« ممنوع دخول الكلاب والعرب » . فتألم من ذلك كل الالم ، ونسي الجوع الذي يمزق امعاءه ، وخرج من المطعم بعد ان لقن صاحبه درسا لا ينساه ، واقسم الا يأكل في هذه المدينة اللعينة ، وقفل راجعا الى باريس وهو يحمل آلام القلب والمعدة ، وما كاد يصلها حتى ساءت حاله ، فدخل الى المستشفى للعلاج ، وما كدت اعلم بالنبأ حتى ارسلت اليه رسالة وسدتها قلبي الذي هو معه في مرضه كما في شفائه .

وظل فترة غير قصيرة يعالج في المستشفى ، وقد وجد لديه الهم والوقت معا ، فراح يبعث الي برسائله الطويلة فيها الشكوى وفيها المرارة وفيها امنيات صادقة للموت .

وفي رسالة بعث بها الي بتاريخ ١٩٦٧/١١/١٢ ، كتب يقول :

« قرات كتبك التي ارسلتها الي لتسعفني في وقت انا فيه بحاجة الى الراحة والارتياح ، فوجدت في هذه الكتب بعض العزاء ، وان كان عزاء مؤقتا ، وهنا في المستشفى لا املك مؤلفا واحدا اهديه لك ، ولكنني وجدت في محفظتي نسخة من آخر قصيدة باكية كتبتها — وربما كانت سبب مرضي وبلوتي — ارسلها اليك للذكر لا للنشر .. »

كانت القصيدة بعنوان « متى نلتقي » ، وحسب امانته فقد حرمت على كتم هذه القصيدة وعدم نشرها ، ولولا انها صدرت مؤخرا في ديوانه « شظايا حزيران » لما اعلنت عنها ، لكنني اليوم في حل من هذه الامانة بعدما نشرت :

والقصيدة صرخة مميتة ، يزفرها الشاعر مدمع العين والقلب ، الحسرة تاكل وتعشعش في ثناياه ، والامل يكاد يكون ضربا من المستحيل .

كتب الشاعر هذه القصيدة يوم السادس عشر من حزيران سنة ١٩٦٧ ، وجرح النكسة ما يزال ينز دما راعفا ، وهي في نفس الوقت نقد ذاتي يبلغ منتهى حدود الايلام لواقع الامة العربية بعد يوم الشؤم العربي :

متى نلتقي ؟ لا بد للطير من وكر ... ولا بد للاحرار من منزل حر
بعيدا عن الاوطان ، مقبرة المنى ... بعيدا عن السكان ، مهزلة العصر
ديار العبيد البيض ليست ديارنا ... ولا قومنا من قامة الحمر والصفر
تعال معي فالغرب يستر عارنا ... اما عجز الشر المهيض عن الستر
تعال معي فجلاد العروبة سامح ... بان نلفظ الانفاس في جوه الشعري

واذا كان الشاعر يعتبر نفسه انه ضمير الامة ، فلا بد لهذا الضمير من ان يكون صاحيا وبالتالي لان يكون صادقا حتى ولو كان في هذا الصدق جرح جديد ، فلا بد ان تستيقظ النفس ويتنبه العقل ازاء الكلمة الصادقة الموجعة :

طغت روح ابليس الرجيم على الورى ... فلم يتق الرحمن فينا سوى النزر
بحقرنا نسل الحقارة والخنى ... ويمرغ في اعراضنا حين يستشري
ولو اصلح الاعراب ما في نفوسهم ... لما روعت فرانهم غارة المهر
اساي على الشعب القطيع مسيرا ... من الوعر معصوب العيون الى الوعر
غزتهم كلاب الجار في عقر دارهم ... فباضت ديوك الدار من شدة الذعر

كانت جريدة « الحياة » اللبنانية قد نشرت مقالا طويلا بعنوان « واشكياه » احتجاجا على تدنيس اليهود للمساجد الاسلامية والاقصى ، قالت في ختامه :

(اين شكيب ارسلان يطلق الصرخات من جنيف ؛ نتتالب على صوته الشعوب الاسلامية في جميع الاقطار ؟) .

فقرأ « صيدح » هذا المقال ، وتالم لهذه الصيحة المرهومة ، فمن ادرى من الشاعر بجنيف التي سوف تقف في موقف المنصف . وهو قد رأى فيها ما لم يره غيره ؛ فاطلق صرخة مدوية كانت كانفجار اكبر قنبلة عرفتها الدنيا ؛ فاستطاعت هذه الصرخة ان تهز وتصفع كل انسان عربي ؛ لعل الهزة او الصفعة على شدة المها تعيد الصواب الى الاذهان الحالمة ؛ فها هو يقول :

رمم نحن . دع (شكيبا) وهمه ... قاصف الرعد لا يحرك رمه
حشرجات الابباء ضاع صداها ... في كهوف المطامع المدلهمه
رحم الله عهده . كان فيه ... قولة الحق لا تشكل تهمه
اصبح اليوم اصدق الشعر يخشى ... من حواه الكلام نقدا ونقمه
فضح الخطب علة الضن والجبن ... وعرى الدعي من ثوب صمه
فشكا القادرون غدر الليالي ... وبكى السارقون سالف نعمه
ما تمطى على المساجد علج ... يوم كنا على صراط الائمة
يوم طعنا لسنة الله فينا ... فاستطعنا ما ليس تستطيع امة
ذلك الحظ خاننا يوم خنا ... وخفرنا لارضنا الام ذمه
ولادهى من صدمة هشمتنا ... ما دهانا من غفلة بعد صدمه
اترانا من الملمة ننجو ... كيف ننجو ونحن نحن الملمه ؟
قد هزلنا امام جد الاعادي ... فانتهينا قبل ابتداء المهمه
واسترحنا على الحضيض كصخر ... حطه السيل من مشارف قمه
لم نجد في الشعوب شعبا سوانا ... خذلته ارحامه دون رحمه

وينتهي « صيدح » بقصيدته هذه بأبلغ النقد واقسى الاتهام ، مذكرا الفرقة التي كانت تعم الوطن العربي والشقاق الذي كان بين الاخوة ، فمن مرارة الاحزان يصبح ويمعن في الصياح :

غيرة الدين البست كاشحبا ... لم تؤلب جموعنا ، وهي جمه
يا (حقوق الانسان) لا تشملينا ... نحن قوم نبيع حقا بلقمه !

ولا بد اننا نذكر بمرارة حالة الامة العربية بعد نكسة الخامس من حزيران ، وقبلها .. هذه الحالة التي حققت لاعداء الامة ما رسم لها بالعمل والعمل الطويل ، وها هوذا الشاعر الملتاع يأخذ على الامة :

ان الكلام بلا عمل ... اخلى مذاقا من عسل
قول قديم سار في ... اسماعنا سير المثل
اخذت به دول العروبة ... دون مختلف الدول
فاستكملت عدد الكتابة ... والخطابة والجدل
حتى اذا حم الكفاح ... نبا السلاح المبتذل
وتكسرت فوق الصخور ... قرون اكباش الدجل
لم يبق من حمم البيان ... سوى الدخان على المقل

وكنت قد اخذت على « جورج صيدح » مسحة التشاؤم وجوانب اليأس ، فكتبت اليه رسالة طويلة انتقد فيها اقواله واشعاره ، واذكره بأن تاريخ الامة العربية مليء بالنكسات ، لكن كل هذه النكسات لم تزعزع في جذورها الاصيلة ، فقد قامت بعد كل نكسة قومة قوية جبارة وحطمت آمال العدو وعزيمته ، فاذا هي تعود اقوى مما كانت .. وتنتصر .

لكن الشاعر ، كان يستعجل النصر ، متلهفا لعمل تقوم به الامة العربية فترد على خصمها ردة تسكت عنجهيته ، وتخرس فيه عظمة النصر التي ينتشي بها : فكتب يرد على رسالتي برسالة مطولة يقول فيها :

« اصطحبت رسالتك الثمينة عند مغادرتي باريس

منذ اسبوعين الى المشتى الجبلي . حيث اطارد شمس الالب عروس الشتاء ، بغية الاستجمام والاستشفاء .

لنقف عند تفاؤلك في مجرى الاحداث وفي مصير الاوطان ، انا لا ارى مبررا لهذا التفاؤل ولا مخرجا من المازق الحالي .

وكاننا لم نتعلم شيئا من مصائب تتوالى على امتنا تهدد بانهيار الاوطان وزوال الكيان . على ان اسعد يوم في حياتي هو يوم يتضح فيه ضلالي وغبائي ، ويرجح فيه راي المتفائلين الراسخين في العلم .

سيكون ذلك اليوم عيدي الاخير قبل عبور الجسر الخطير الى الضفة الثانية التي ادنو منها واتبين ملامحها بخيالي .

وانا اليوم اروض شيخوختي على الخوض في الثلوج ، وعلى النهوض الى المرتفعات ، لعلي اشرف على المقام الذي ينتظرني عن كثب ، او لعلي اتقرب من عرش الله العظيم متى بلغت القمة ، ان تسمع اذن الرحمن الرحيم دعوتي ، بأن ينقذ امتي ويقيل عثرتي .. انه السميع المجيب عليه اعتمد واليه انيب .

ها قد مضى العام على النكسة ، وكل ما اخشاه ان تضيع الجهود في ندوات تعتد هنا او هناك في عواصم الوطن الحبيب حول دور المثقفين العرب من قضية فلسطين ، العدو في الباب يتربص بسكان البيت ، ونحن نبحث في الذهنيات والشكليات ومبادىء الدراسات مما ذكرني بالمناقشات البيزنطية في التاريخ ، حين دخل الفاتحون العرب القسطنطينية ، فوجدوا اولياء امرها في جدل عنيف آخذ بالبابهم موضوعه : جنس الملائكة في السماء ، اذكور هم ام اناث ؟ .

آمل ان اسمع منك اطيب الاخبار ، وان تكون على خير حال من الرضا فيما تكتب وفي العافية . ودمت لجورج صيدح ... » .

كنت قد توجهت بالسؤال التالي للشاعر « جورج صيدح » عقب نشر ديوانه « شظايا حزيران » الذي طبع في بيروت في ١٩٦٩/١٠/٣٠ بعشرات الآلاف من النسخ :

في مجموعة شعركم الاخير (شظايا حزيران) كلام موجع ، على الرغم من انه نابع من صميم القلب ، فهل عنف المأساة العربية التي نعيشها الآن هي التي طبعت شعركم الاخير بهذا الطابع .. ؟

فكتب مجيباً :

نعم . هي الفجيعة العربية التي حولت الكلمات الى سهام ، وجعلت من الشاعر الرقيق جلادا قاسي القلب .

يقول اجدادنا العرب :

(الشعر شيء يجيش في صدورنا فنقذفه على السنتنا بينما اكبادنا تحترق) . والكلام الموجع الذي تشير اليه هو (الكي) الذي لا بد منه لأمة كامتنا اصابها المرض بجسمها وروحها .

فالشاعر المخلص هو الذي ينذر امته بالخطر المداهم ، ويلومها على التغافل عنه ، وليس بمخلص لها من يمجدها على موقفها راضيا عن خمولها ، مرددا بطولات السلف الصالح ومعللا بنصر من الله وفتح قريب .. دون جهاد ولا عناء ولا تضحيات .. انها خدعة مشينة ، بل جناية على الاحياء منا والاموات !

عند هذه الاجابة الصريحة والصادقة تنمحي صورة التشاؤم واليأس التي قد تصيب العقول والنفوس ، لتصبح هذه الصورة مبعثا حقيقيا على تغيير ما هو قائم لما هو افضل وانبل واشد نصاعة من اي يوم كان في تاريخ العروبة .

وتسلل ديوان « جورج صيدح » ـ شظايا حزيران ـ الى ايذي كل العرب في كل بقعة من ارضهم ، حتى كادت قصائده تتناقل في كل مناسبة وتذكرة ، تتناقل لا شماتة وتخاذلا وانما لاستثارة الهمة وبعث التمرد على الواقع المؤلم ، ولعل « شظايا حزيران » ساهم الى حد كبير جدا في محو عار حزيران الى كرامة وشهامة تشرين ـ اكتوبر ، العظيم .

ولا مشاحة بأن (الشاعر المخلص هو الذي ينذر امته بالخطر المداهم ، ويلومها على التغافل عنه ، وليس بمخلص لها من يمجدها على موقفها راضيا عن خمولها) .

هذا هو الشاعر العربي الكبير « جورج صيدح » ، العاشق المتيم للارض والعروبة وتراب الوطن ، والذي يعتبر احدى المنارات الهادية في الغرب ، لحب الوطن .. ساعيا على الرغم من شيخوخته للدفاع عن حق الامة العربية في مجدها وخلودها ، كما انه سفير هذه الامة في الغرب ، مدافعا عن الحق في حماس لا يعرف التقاعس او الملل .

وهو الشاعر المصامي النبيل الذي وصفه الشاعر الكبير « ايليا ابو ماضي » فقال عنه :

يا شاعرا غنى فرد لي الصبا فاذا مواكبه تسير امامي
انا التقينا في الشباب وفي الهوى في حومتين : الشعر والالهام
وسنلتقي وان افترقنا في غد في حب لبنان وحب الشام
وسنلتقي روحي وروحك بعدما تفنى الهياكل في الاله السامي
الصبح الفريد في انغامه عبق الورود ونضرة الاكمام
هو ان ذكرت الشعر من امراته واذا ذكرت المجد فهو عصامي

اجل . ان « جورج صيدح » واحد من امراء الشعر بلا تردد . نذر قلبه وروحه لعشق واحد لا يتبدل او يتغير مع الزمن ، هذا العشق الذي تراه منذ اول بيت كتبه في حياته حتى آخر حرف يخطه الآن « العشق الواحد للعروبة » والعرب ، والوطن وترابه المقدس .

حمص ـ سورية

عدنان الداعوق

الحوار في شعر عمر بن ابي ربيعة

بقلم الدكتور محمود الشهابي

* * *

شاعر يهيم بالجمال اينما كان ، وهب حياته للحب والهوى ، قصر شعره على وصف النساء والتشبيب بهن ، لقب بزعيم الغزلين . تناوله النقاد من نواح كثيرة ، ولم يزل شعره جديرا بالدراسة والبحث : — فقد تنوعت خصائصه ، وتعددت مزاياه . ومن الظواهر التي اراها جديرة بالتأمل لدى شاعرنا « عمر بن ابي ربيعة » ظاهرة الحوار ، فقلما تخلو قصيدة له من محاورة وأخذ ورد . ويبدو ان غرامه بالنساء جعله مولعا باسترجاع اقاصيصه معهن ، وكأنه يتلذذ بذكر هذا القصص .

فهو يضمن القصيدة خلاصة الموقف الذي كان بينه وبين محبوبته من خلال الحوار ، وقد يأتي هذا في صورة قصة محبوكة الاطراف ، حافلة بالتفاصيل ، لها مقومات القصة الناجحة ، من حيث كونها وسيلة لوصف المجتمع ، وتصوير الحياة . ومن الامثلة على ذلك قصيدته التي مطلعها :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد ام رائح فمهجر

فهو يسرد من خلالها ما كان بينه وبين محبوبته ، كيف الوصول اليها وآلها يحيطون بها من كل جانب وتدور الاحداث التي تموج بالحيوية والانفعال . شعوره المتدفق يدفعه لان يغامر ويتسلل اليها ليلا على غير توقع :

فجيئت اذ فاجأتها فتولهت وكادت بمكنون التحية تجهر
وقالت وعضت بالبنان فضحتني وأنت امرؤ ميسور امرك أعسر
فوالله ما ادري أتعجيل حاجة سرت بك ام قد نام من كنت تحذر
فقلت لها بل قادني الشوق والهوى اليك وما نفس من الناس تشعر
فقالت وقد لانت وافرخ روعها كلاك بحفظ ربك المتكبر
فانت ابا الخطاب غير مدافع علي امير ما مكنت مؤمر

وتتوالى الاحداث ، وتكون عقدة القصة : لقد لاح ضوء الفجر ، واستيقظ بعض القوم فيتباحثان معا . ويقلبان اوجه الرأي ، كيف يكون المخرج ؟

فلما رات من قد تنبه منهم وايقاظهم قالت : اشر كيف نأمر
فقلت اباديهم فاما افوتهم واما ينال السيف ثارا فيثأر
فقالت أتحقيقا لما قال كاشح علينا وتصديقا لما كان يؤثر

ثم لا ترى مخرجا سوى الاستعانة ببنات جنسها . ليكن عونا لها ، ويساعدنها على التخلص من هذا المأزق :

فان كان ما لا بد منه فغيره من الامر ادنى للخفاء واستر
اقص على أختي بدء حديثنا وما لي ان تعلما متأخر
لعلهما ان تطلبا لك مخرجا وان ترجعا سرا بما كنت احصر

ويتشاور النسوة معا ، ويستقر الراي على ان يلبسنه ملابس النساء ، ويمشي بينهن حتى يخرج من الحي :

فقالت لأختيها اعينا على فتى اتى زائرا ، والامر للامر يقدر
فاقبلتا فارتاعتا ثم قالتا اقلي عليك اللوم فالخطب ايسر
فقالت لها الصغرى ساعطيه مطرفي ودرعي وهذا البرد ان كان يحذر
يقوم فيمشي بيننا متنكرا فلا سرنا ينفشو ولا هو يظهر

ومن المنطق ان تنتهي الاحداث عند هذا ، غير ان رغبة الشاعر في الحوار جعلته يرسم صورة لاحقة بالموقف لتزيد من طرافته ، فالنسوة يلمنه على فعله ، ويوبخنه بعبارات قاسية ، ولكنهن اعرف بنفسيته ، لسوف يعود الى الحي نهازا ليختلس النظر الى من يهوى ، فان كان ولا بد فليكن حذرا حتى لا يثير الشكوك حولها :

فلما اجزنا ساحة الحي قلن لي اما تتقي الاعداء والليل مقمر
وقلت أهذا دابك الدهر سادرا اما تستحي او ترعوي او تفكر
اذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا لكي يحسبوا ان الهوى حيث تنظر

وللحوار في شعر ابن ابي ربيعة مدلولات متنوعة : فهو ان خلا من العنصر القصصي قد يكون لتسجيل الاحداث وتدوينها ، ويبدع شاعرنا حينما يجري الحوار منسقا مع الصورة التي يرسمها للمشهد . فهناك الفتاة التي لا عهد لها بالرجال تنقاد له دون مقاومة ، ولا يكون منها الا ما يلهج به لسانها : ذلك ما لم افعله من قبل . وفي غمرة المناجاة معه ينبيء حديثها عن شخصية قلقة ، تنقسم ارادتها بين الخشية من هذا الفعل والرغبة فيه :

وناهدة الثديين قلت لها اتكي على الرمل من جبانة لم توسد
فقالت : على اسم الله امرك طاعة وان كنت قد كلفت ما لم اعود
فلما دنا الاصباح قالت فضحتني فقم غير مطرود وان شئت فازدد
فما ازددت منها غير مص لثاتها وتقبيل فاها والحديث المردد

واذا كانت صاحبته متأبية عليه ، غير عابئة به ، فهي لا تطيل الحديث معه تلقي قولها في حدة وعنف ، ثم تتركه يتحدث محاولا استرضاءها دون ان تلتفت اليه :

يا ربة البغلة الشهباء هل لكم ان ترحمي عمرا لا ترهقي حرجا
قالت بدائك مت او عش تعالجه فما نرى لك فيما عندنا فرجا
فقلت لا والذي حج الحجيج له ما مج حبك من قلبي وما نهجا
ضنت بنائلها عنا فقد تركت عن غير ذنب ابا الخطاب مختلجا

وتتنوع معطيات الحوار في شعر ابن ابي ربيعة فمرة يكون خلاصة لفكرة معينة .

من رأيه ان شدة الهوى تؤدي الى الغفلة والحمق ، وما املح ان يأتي هذا الحكم بعد تساؤل من صاحبته :

يا ليت ما عرفتها

يا ليت مـا عرفتها سرعان مـا اضعتها
أيـن تراهـا ذهبت أبحث .. ما وجدتها
ويحي : لعلي باللهوى المذيف قـد قتلتهـا
أحسست اذ أنشدتها شعري قـد اشعلتها
فربمـا اكـون في لهيبـه احرقتهـا
والله لـم أكذب عليها انني صدقتهـا
لأنني مـن أعمـق الاعمـاق قـد احببتهـا
اغلى مشاعر الهوى والحب قـد وهبتهـا
وفي شغاف قلبـي الولهـان قـد رسمتهـا
مـا العيش الا لحظات معهـا قـد عشتهـا
يـا ليت مـا عرفتها لأنني .. اضعتهـا

بغداد ـ ص.ب ١٠٣٨ محمد جواد الفبان

ما الذي حدا به الى المجاهرة وهو الذي اعتاد التخفي ؟

قالت وابثتها سري وبحت بـه قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي فقلت لهـا غطى هواك وما القى على بصري

واحيانا يوحي الحوار بالمقدرة الفنية للشاعر على الصنعة فكأنه يأتي به باديء ذي بدء ليصل الى صورة شعرية لها من الطرافة نصيب وافر .

تبدأ المحاورة مع ليلاه : تطالبه بالاقامة وعدم الرحيل ، عليه ان يتجنب لقاءها فقـط حتى لا تتأكد الشبهات التي اثيرت حولهما . ولكن كيف السبيل الى ذلك ونظراته تفيض وجدا وهياما ، اذن فليصارع النظر محولا اياه الى اخرى ، ونتيجة الصراع محتومة حيث يميـل مرغما اليها فتصبح العين حولاء :

لقد ارسلت في السر ليلى بان أقم ولا تنانـا ان التجنب امثـل
لعـل العيون الرامقات لودنا تكذب عنـا او تنـام فتغفـل
أنـاس امناهم فبثـوا حديثنا فلما قصرنا السر عنهم تقولوا
فقلت وقـد ضاقت علي برحبها بلادي بما قـد قيل فالعين تهمل
ساجتنب الدار التي أنتم بهـا ولكن طرفي نحوكم سوف يعدل
الم تعلمي أني فهل ذاك نافع لديك وما أخفي من الوجد افضل
أرى مستقيم الطرف ما أم نحوكم فـان أم طرفي غيركم فهو احول

وهكذا كان البيت الاخير حافلا بالطرافة الناتجة عن المقدرة الفذة في الصنعة الشعرية . ويخيل الي ان الشاعر ساق الابيات الاولى من اجل انهائه الموقف بهذه الصورة البديعـة .

ومن معطيات الحوار من شعر عمر بن ابي ربيعة ان يوحي من خلاله بصورة لموقف نفسي دقيق . فها هي فتاته تزهو بجمالها على اترابها ، ولا تقف غريزتها الانثوية عند هذا ، نتريد ان تسمع منهن اطراء لها ، وهنا يبدع شاعرنا في التعبير عـن نفسية المراة ، فالنسوة يصبن بالغيرة ، ويمنعهن الخبث من ان يقلن لا ، فيأتي الجواب غامضا ، فلا هن انكرن جمالها ، ولا هن اقررن به :

ليت هندا انجزتنا ما تعد وشفت انفسنا ممـا نجد
واستبدت مـرة واحـدة انما العاجز مـن لا يستبد
زعموهـا سالـت جاراتها وتعرت ذات يـوم تبترد
أكمـا يفعتنـي تبصرنني عمركن الله أم لا يقتصد
فتضاحكن وقـد قلن لهـا حسن في كل عين من تود
حسدا حملنه مـن اجلها وقديما كان في الناس الحسد

واذا كان انتاج الشاعر صورة لنفسيته ، فان الحوار في شعر ابن ابي ربيعة اكثر دلالة على هذا ، فهو يعين الناقد على فهمه دون حاجة الى التعمق في التحليل .

لقد اسن شاعرنا ، وهدات حدة الشباب عنده ، وهجر قول الشعر ، ولكن مثله لا بد وان يحن الى صبابته ، فأي شيء يذكره بذلك العهد . وها هي الذكريات تموج بها نفسـه ، فيعيش بخياله معها ، وتراه جاريته على تلك الحال فيدور الحوار :

تقـول وليدتـي لمـا رانـي طربت وكنت قد اقصرت حينا
اراك اليوم قـد احدثت شوقا وهاج لـك الهوى داء دفينا
وكنت زعمت انـك ذو عزاء اذا مـا شئت فارقت القرينا
بربك هـل اتاك لهـا رسول فشاقك أم لقيت لهـا خدينا
فقلت : شكا الـي اخ محب كبعـض زماننـا اذ تعلمينـا
فقص علـى مـا يلقى بهنـد فذكر بعض مـا كنـا نسينا
وذو الشوق القديم وان تعزى بشوق حـين يلقى العاشقينا

وفي ختام حديثنا ينبغي القول : ان ظاهرة الحوار من شـعر ابن ابي ربيعة في حاجة الى وقفة اطول .

لندن محمود الشهابي

ثارت عليها انوثتها ، واحست بجرح كبريائها . وقررت ان تفتح عينيه ، وتوقظه من غفوته ، وتحرك فيه رجولته ، التي غفت على صدر زوجته واولاده الخمسة ، وهو لم يتخط الاربعين بعد .

وكانت تعجب كل العجب ... من تلك الزوجة التي ملكت قلبه وعقله... حتى صار عابدا في محراب جمالها ، وما هي بجميلة ...

فهي تذكرها جيدا يوم شاركتهم بأولادها الخمسة ... نزهة القناطر الخيرية ... فكانت وسط الحدائق مثل عود جاف سقطت عنه اوراقه ... كانت بوجهها المخرب الضاوي مثل وجوه المصابين بداء السل ... تسحب اولادها في ذيلها ، وكأنها خرجت بهم تسأل الناس ... فهي تفتقر الى الذوق في كل شيء ... في اختيار ملابسها ، وهندام اولادها ، مثلما كانت مع زوجها دائما ...

وباتت (شادية عبد السلام) تحلم بيوم انتصارها على رئيس مكتبها (رفيق عزمي) ، وراحت تنصب له الشباك ، وتنازله بأسلحتها النسائية المدمرة ، بالصوت الساحر ، والساق الناعمة ، وصدر عار يكاد يسقط امامه من حين لآخر ، وهو ليس هنا .

واكتشفت لاول مرة ... ان اسلحتها فاسدة ، ولم تؤت غير الفشل والهزيمة ، وما رفيق الا رجلا ، مثل كل الرجال ، الذين تعودت منهم دائما ... عيون جائعة ، ونظرات ثاقبة ، تكاد تنفذ خلال ملابسها ، وتلمس ... بل تنهش جسدها في جراة وشهوة .

وصاحبنا .. لم يعرها اهتماما ، وكان بينهما حاجز منيع ، حاولت هي تخطيه ، حتى تصل الى غايتها ؛ وراحت في غايتها تلك ، تركب كل وسيلة توصلها الى رفيق .

ساد مكان العمل بعض الهدوء ... هدوء ما قبل العاصفة .

ولم يكن لاحد ان يتصور تلك العلاقة التي نشأت بين «شادية عبد السلام» ورئيس مكتبها « رفيق عزمي » ، وقد وقع اخير في شباكها الحريرية ، ولم تشأ تجهز عليه ، الا والايام تأبى ان تسير على هدوئها ، وتهب العاصفة.

ذات صباح هادىء ، والعمل يسير على احسن ما يكون ، دلف من الباب رجل قصير ، تغطي راسه عمامة بيضاء في لون جلبابه الفضفاض ، بيده ورقة مطوية ، يمسك بها في حرص شديد ...

كان الرجل ثائرا ، وكأنه جاء بصحبة الشيطان ، جاء يطلب المدير العام ، يريد مقابلته في امر هام ، وامام المدير العام وصاحب الشركة ،



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم محمد امام

تقدم الرجل بشكواه المكتوبة ، مشفوعة بكلمات الشرف والامانة ، وانه لا يطلب اكثر من حقه ، من السيدة شادية عبد السلام ، باقي اتعابه عن اعادة زوجها المدعو رفيق عزمي .

استمع المدير لكلمات الرجل ، ومر ببصره بكلمات شكواه ، ومرت لحظة صمت ، طرق فيها باب ذاكرته ... ذلك المشهد الذي مر به منذ ايام شاعة انصراف العاملين بالشركة .. حيث كانت شادية عبد السلام بصحبة رفيق ، ويومئذ مرق بسيارته دون



اهتمام ، واعتبر ان الامر لا يخرج عن صحبة طريق .

ولكنه اليوم وفي هذه الدقائق القليلة ، وقد كشف ذلك الرجل النقاب عن سر تلك العلاقة ، وها هو يطلب عشرة جنيهات باقي اتعابه عن اعادة زوجها ، وما هو بزوجها ، اذن فالامر خطير للغاية ، وحرصا على سمعة الشركة ، قرر المدير ابعاد الرجل عن مسرح العمل ، فاخرج حافظة نقوده ، وسحب منها ورقة نقدية فئة العشرة جنيهات ، وقدمها له ، واخذها صاحبنا ، وقد تبدلت اساريره ، وانصرف شاكرا .

اشار عصمت بك المدير العام الى شادية بالجلوس ، تدم اليها شكوى الرجل ، واذا ببصرها قد شخص مثل الموتى ، وبقيت صامتة لحظة ، ولم تجرؤ على ان ترفع عينيها نحوه ، فاخفت رأسها بين يديها واجهشت باكية .

وعندما رفعت راسها في بطء ، تلألأ الدمع بعينيها اللتين لمعتا تحت شعاع الشمس الساقط من النافذة ، فكانتا جميلتين ، وخفق معهما قلب الرجل ، وقرات في عينيه ما يعتمل في نفسه ، فبدات تزحف نحو قلبه بأسلوب نسائي لا يخيب .

هي تعرف انه زوج ، واب لثلاثة اطفال ، وتعرف ايضا انه زير نساء ، يقضي ايامه بين ينابيع الحب ، يتنقل هنا وهناك ، وخاصة في تلك الايام ، بينما زوجه واولاده يقضون شهور الصيف على شاطىء المعمورة .

بقيت شادية في صمت ساحر ، فهي امراة ... ذات موهبة لا مثيل لها في التعبير عن مشاعرها ، دون استخدام اقوال عالية الرنين ، فقد القت الى الرجل باحدى نظراتها الدقيقة التي تقول بها كل افكارها .

وموعد في المساء ، ولقاء على شاطىء النيل ، وتوافق بين همس المياه ونقاوة الهواء ؛ وبين افكار

خطرت مزدحمة في راسها ... فهو يفكر في الحصول على رغباته . واقصر الطرق للفوز بصيده الجديد ، وهي ايضا تفكر في اقتناصه ، فهو بالنسبة اليها يمثل ثروة طائلة ، طالما حلمت بهـا ، ويجب الا تضيع من يدها الفرصة ، فكم حلمت بالسيارة التي تسابق الريح ، وتهرب بعيدا بعيدا ، تهرب من الفقر الذي ظل يطاردها منذ طفولتها ، كم تمنت الخلاص من ابيها وامها ، اب جاهل عاطل ، يسيطر عليه (المورفين) ، وام تجلب المار بجلستها خلف قطع الحلوى الموشاة بالذباب ... بيت في مهب الريح ، اب يسب ويلعن ويضرب ، ليحصل على المال عنوة منها ومن امهـا ، التي تصرخ وتولول تحت ضرباته ، والجيران تتجمع كل ليلة في حجرتهم الضيقة ... بين صاحب مروءة ، وصاحب عينان تنهش كل قطعة من جسدها ، عارية وغير عارية ، وفي الصباح .. تذهب الى عملها .. تضحك وتلهو وتمرح ، وكأن شيئا لم يكن ، كأسعد امراة على وجه الارض ، فهي تعودت التمثيل منذ الصغر ، وكم كانت تحسدها الاخريات ، وهن في جهل من امرها .

نعم هي حرمت الثراء ، ولكن الله حباها بمسحة من جمال ، هي ثراؤها وسلاحها في الحياة ، وهي تعرف كيف ومتى تشهره في وجه الرجال .

وها هي تراوض عصمت وتراوغه ، تعطيه الامل فيقترب ، حتى يخيل اليه انه مدركها لا محالة ، وعندما يتهيأ للفتك بها ، تنسل هاربة من بين يديه ، ولا يظفر بغير عطرها .

وبات يحلم بتلك الساعة التي يطفيء بها ظماه ، بعد ان ظل يلهث كل يوم خلفها ، ولا يحظى بغير اللوعة والعذاب ، فهي تزيد لهيبه وشوقه ، وتزيد جذوة الرغبة اشتعالا .

وذات صباح ... جاء على غير ثوم ، وقد قرر الزواج من شادية عبد السلام وفي مساء ذلك اليوم .. كانت شادية هي الزوجة الثانية له . وسبعة ايام بعيدا عن العالم ، الا من صوت (التليفون) يدق من حين لآخر . وحديث عمل بين السكرتير الخاص وبين عصمت ، الذي غمرته السعادة مع عروسه الشابة .

وكانت شادية وقد نعمت بكل ما تشتهيه نفسها من ثراء ، بعد ان تنازل لها زوجها عن الشقة كاملة ، وعن احدى سياراته الثلاث ، غير ما قدم لهـا من ضمانات شرعية وغير شرعية ... كانت قد وافقته الراي



محمد امام

*

في ان تترك عملها . والى الابد : فهي ليست بحاجة اليه ، ولا يصح تواجدها بعد اليوم في الشركة ، ولكنها طلبت ان يكون ذهابها اليوم واحد فقط ، حتى تاخذ بعض اشيائها الخاصة من مكتبها ، وتنهي امرا مع احدى زميلاتها ، ولم يشا ليرفض طلبها ، ووافق على مضض .

وقفت السيارة امام الباب الكبير ، لتهبط منها شادية ... السيدة شادية التي تعلقت بذراع زوجها : بطريقة غير مرغوب فيها من عصمت . الذي حاول التخلص من ذراعها دون جدوى ، وكانت قسمات وجهه تنطق بعدم الارتياح لمصاحبتها ، وبدا نادما على صحبتها .. اما هي فكانت ترتسم على وجهها اقواس النصر .

عيناها تتنقلان بسرعة غريبة بين الواقفين في الطريق الى المصعد ، ولسان حالها يقول :

ـ ها انا شادية عبد السلام .. زوجة المدير العام .. هـا هو الا ترونه ، لنـه هنا الـى جواري ، والسيارة في الخارج ، اما سيارتي فهناك في الكاراج ... ليتكم ترونها ، وترون شقتي الواسعة ..

وكانت تتبادل النظرات مع عصمت ، وكانها تؤكد خواطرها ، وتخشى ان تفقده وتتاكد من وجوده الى جوارها .

وكان رفيق عزمي بين الواقفين امـام المصعد .. احس بغصة في حلقه ، وخيبة امل في المراة التي خفق لها قلبه ، قبل ان يهنأ بحبه الوليد ؛ أتى الرجل الكبير ليقتله في مهده ، وها هي ترى سعيدة به ، وراح يقول لنفسه في تهكم ومرارة :

ـ اين انت يا رفيق من عصمت بك المليونير ، ثم راح يتأمل شادية لحظة ، وهي لم تزل الى جوار زوجها في انتظار المصعد ، يرنو اليهـا في تعجب قائلا لنفسه :

يـا الهي ، من يصدق ان تلك المراة .. شامخة الراس .. زوجة المدير كانت يوما لي ؟ ! وسوف ينظر لها الناس جميعا ... من الآن فصاعدا ... انهـا مثـال للشرف والعفة .. الم تخجل من نفسها .. من قبلة ! .. بل قبلات ... من تلك الليلة الساخنة .. تلـك الاحضان الدافئة ... ليتني قضيت على انوثتها الم يبق لبصماتي اثر ... هل تضيع مثل تلك البصمات ، وان ضاعت من فوق الجسد ، فهـل تضيع من النفس .. الم تعدني بالزواج منها ..

الم اطلق زوجتي من اجلها .. لسوف انتقم ... نعم لسوف انتقم .

نظرة اخيرة يلقيها عصمت على الاوراق المتناثرة فوق مكتبه ، والساعة تقترب من الثانية بعد الظهر ، انفرج الباب عن وجه العروس الشابة بعد دقات تشبه الهمس على الباب ، دلفت يسبقها عطر الليمون المفضل عند عصمت ؛ الذي استقبلها في شوق بالغ ، فقد نهض من مقعده مادا ذراعيه ليأخذ يدي شادية .. اقتربت منه اكثر مما يجب ، لفحت انفاسها الساخنة وجهه البارد من اثر هواء الحجرة المكيف ، كادت تلتصق به ، وهنا ، وفي تلك اللحظة ... كانت الزوجة (ناهد) تفتح الباب بهدوء شديد ، ودون صوت او سابق انذار .. فكانت وجها لوجه زوجها وعزوبته .

تجمد عصمت في مكانه ، كانما نزلت به نازلة ، لم يستطع ان يصدق عينيه ، كاد يسقط سقطة الاموات .. لم يكن ليتصور ان تقع مثل هذه المفاجأة ... انفرجت شفتاه عن ابتسامة بلهاء لا معنى لها ، بينما يتراجع الى الخلف ، محاولا التخلص من شادية ...

كانت شادية تعرف ناهد جيدا ، تراجعت الى الخلف مشدوهة ، تراجعت الى الباب ، بينما تتقدم ناهد الى قلب الحجرة ، وشادية تنسحب حتى اصبحت في منتصف الباب المفتوح .. استندت بيديها خشية السقوط ، فقد احست بالحجرة تدور بمن فيها ، والارض تميد من تحتها .

وكان عادل شوقي السكرتير الخاص خلفها ، وكأنه على موعد مع الاحداث وكأنه في انتظارها ، استندت على ساعده الايمن ، فسحبها الى الخارج ، وجذب الباب بيده الاخرى ، والحجرة من الداخل تغلي ... حتى كادت تنفجر بمن فيها .

جلست ناهد دون كلمة .. لحظة .. غاب فيها الكلام ، لحظة صمت اقوى من الكلام ، بدا عصمت يتنفس بعدها بصعوبة .. اخذ يبحث في راسه عن كلمة .. بدا يجمع الحروف ليكون منها كلمة ، ولكن هيهات ... فقد ابت ان تستجيب له الكلمات ... فكان مثل غريق فقد الامل في كل نجاة .

وبطرف العين اراد ان يلاحظ ناهد ، فالتقت نظرتاهما ، كانت نظرتها المشتعلة تهم بأن تسحقه سحقا ... فأصابه شيء يشبه ان يكون رعشة ...

وبينما الحال هكذا ، نهضت من مكانها ، وهي تقول بصوت قاس ظاهره الهدوء :

— هيا بنا .

وانساق خلفها مثل ظلها ، وكانه يمشي وهو نائم ، حتى انه لم ير احدا من الواقفين في الطرقات ، ولم يسمع همساتهم :

— يا للمصيبة .!

— يا له من ابله .!

— وغد شقي يجري خلف نزواته .

عالج السيارة بطريقة آلية ، ولم يلق بالا باشارات المرور ، وسلمت السيارة من عدة حوادث في طريقها الى البيت ، وكان الصمت يخيم على جو السيارة ... صمت مفعم بانفعالات شتى .. انفعالات ناهد مع نفسها ، وانفعالات عصمت مع ذاته .

هي مع ذكرى زواجها من عصمت .. زواج تقليدي .. ابن المرحوم عبد الحميد باشا ، الوريث الوحيد لتركة ابيه ، وامه تسعى لزواجه قبل موتها ، والخاطبة والوساطة ، والعائلات الكبيرة والحسب والنسب ، وامه ترغب ؛ وامي كلها امل ، وابي احيل الى المعاش المبكر بسبب مرضه ، وكاد يتوسل لي يومئذ الا ارفضه ، وجعلني اقبل شرط عصمت الوحيد : وهو ان اترك عملي فورا ، وقبلت ...

وقضينا شهرا على شاطىء بحر العسل ، انها الذكرى الجميلة في حياتي ، وبعدها رايت النجوم ظهرا — كما يقولون — .. فكاد يهجرني ويهجر البيت .. جريا خلف النساء .. مجرد احساس ولكنه صادق ، فما من امراة يخونها زوجها ، الا ويدركها ذلك الاحساس .

وعندما يشعر عصمت بأني اشير اليه بأصابع الاتهام ، يسرع فيغدق علي بالهدايا ، وكأنه يصحح المسار ، ويعود لي يوما او بعض يوم بكلمات اقبلها في مرارة ، ثم يعود من جديد الى سيرته الاولى ، ومع هذا فانا لم انكر حبي له .

اما عصمت فكان صمته رهيبا ، وكانت بعض قطرات العرق البارد تخطط جبهته العريضة ، الصفراء ، وكانت عيناه محتدتين ثابتتين جافتين ، كأنه يتأمل صراعا في قلب الظلام ، ومرت فوق جبهته افكار عاصفة سريعة ... هل علمت ناهد بزواجي من شادية ؟ وكيف أعلل تواجدها في مكتبي على هذا النحو ، وبتلك الصورة ؟ ، وما سبب قدوم ناهد المفاجيء الى القاهرة ، وحضورها الى الشركة ؟، وماذا ، ولماذا وكيف ؟، وهكذا دون اجابة .

دلفت ناهد الى حجرة النوم ، واتجه عصمت صوب الشرفة الكبيرة، التي تطل على حديقة الاسماك ، وبينما هو حائر يبحث عن مخرج ، راح يبحث في سترته عن علبة التبغ ، ليشعل واحدة ، قد ينفث مع دخانها بعض همومه ، او تساعده على التفكير في الخروج من تلك الكارثة التي حلت به .

وبدات ناهد تتحرر من ثيابها قطعة بعد قطعة ، حتى اصبحت شبه عارية ، وتناولت غلالة رقيقة لتضعها فوق جسدها ، ولكنها لاحت امام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عينيها صورتها الشبه عارية في المرآة . فأحست بخجل طارىء . سرعان ما ذهب وراحت عيناها تشارك اصابعها الرقيقة في المرور على جسدها ، من اعلى شعرها الناعم ، حتى ما بعد ركبتيها ..

وضعت غلالتها الحريرية فوق جسدها الساخن ، فبدا يهدأ وبدت هي كعذراء مستعدة الى الاستسلام لنشوات الحب ، وسحبت خيوط النافذة ، التي كشفت عن سحر المكان ، وقد امتلأ برائحة الزهور ، وملامسة الهواء الرقيقة ، مما جعل روحها كسولا عاشقة .. رغم ما وقع لها طوال يومها .

في هذه اللحظة سمعت صرير الباب ، لم تلتفت ، بل ظلت ترنو من النافذة ، فهي تعرف القادم ، فلا أحد غيره ، واولادها الثلاثة في النادي ولن يعودوا قبل غروب الشمس ..

استنشقت ناهد الهواء بطريقة من نفذ صبره ، وهي ترفع رأسها ، وتلقي الى عصمت .. الذي اقترب منها . باحدى نظراتها الدقيقة التي نقلت بها كل ما يدور بخلدها ..

وكلما اقترب عصمت ، زاد اضطرابه ، مثل صبي صغير ، فعل فعلة نكراء ، يستحق عليها عقاب أمه ، فيتقدم ويتأخر خشية ان يقع في يدها ، فتوسعه ضربا .

ولما كانت غير راغبة في سماع شيء ، بل سماع صوته بالمرة ، فلم تشأ له ان يتكلم ، فوضعت اصابعها على فمه ، تمنع كلمات جوفاء بلهاء . كثيرا ما سمعتها من قبل ، واشعرتها غريزتها كامراة ، بانه من الضروري في تلك اللحظة الخطرة ان تدفن حبها في قاع قلبها ، وبقيت بعض الوقت في صمت مطبق .

ولم يعش الصمت طويلا ، فقالت فجأة وهي تزمجر مثل عاصفة عاتية :

ـ لقد حسبت عدة مرات وسائل قتلك :

وجل عصمت برهة . وابتعد خطوة للوراء ماخوذا . وهو يقول في صوت خفيض ، وكأنه قادم من بعيد :

ـ ماذا تقولين ؟

ـ اقول ما سمعت !

ثم اضافت في نبرة كلها عتاب . فقد احست ان عبارتها السابقة كانت شديدة اللهجة ، قاسية الوقع عليه :

ـ لن احدثك عن حبي ، فروحانا تفهم احداهما الاخرى اكثر مما يلزم ، اما انا فاحس هذا الحب واعرفه واراه ، وبعد ان تيمت قلبي من اجلك ، اراك اليوم تبخل بالوصل علي ، وبدلا من ان احصل منك على دليل حبك لي واستمراره ، اجدك تتزوج بأخرى ، ماذا تراني صانعة بك ؟ وما عساي ان افعل بامراة خطفت زوجي ؟ ..

لم يجد عصمت افضل من الصمت ، ليجيب به على اسئلتها ، وهي تستطرد في حرص شديد ، وحتى لا يفلت من يدها الزمام .

ـ هل اقتلها ؟ ليس حلا ، فسوف اعدم ، وتجري انت خلف ملذاتك

اذن اقتلك انت ؟

وهنا تراجع عصمت الى الخلف خطوة اخرى ، بينما تكمل ناهد في افتعال مصطنع .

ـ لقد خطرت في ذهني فكرة القتل ، ولكن من اقتل ؟ فلم احدد بعد ، قد اقتلكما معا ، نعم ... اقتلكما معا ... فانا الخاسرة في كلتا الحالتين .

وكان صوتها قد انخفض قليلا وقد بدأت ثورتها تهدأ ، وهي تقول بصوت خفيض :

ـ وبعدئذ .. اقتل نفسي بيدي ، وتكون النهاية التي بدأتها انت (تشير اليه) ، ولكنني ما زلت افكر ، ولم اعرف بعد ، بمن ابدأ ؟ ومتى ؟ .

وراودته كلمة ، ولكنها توقفت عندما قالت ناهد في سخرية :

ـ يقولون مجنونة ! . لا بأس . فلا ضير ان اكون مجنونة في نظرهم . ولكنه عين العقل ان اقتل ـ تومئ براسها مرددة ـ هو ذاك . . هو ذاك .

لم يزل العرق يتساقط من جبهته الصفراء ، بل كاد ينحب كالطفل . وقد استدار للخلف دون ان يجرؤ على الكلام ، خوفا من التهديد والوعيد . فهو يرى ناهد اليوم ، بصورة لم يعهدها من قبل ، وعند الباب استدار نحوها قائلا بصوت مرتعش كله اسف وندم :

ـ لم يكن من السهل ان اقف امامك على هذا النحو ، لك ما تشائين ، القتل ... الطلاق ... ما تشائين ، ولكنني اعدك صادقا لاول مرة ، اذا ما كتب لنا ان نعيش سويا ، اعدك بأن اكون زوجا مخلصا .

وقبل ان يبرح مكانه اكمل قائلا :

ـ اما ما وقع اخيرا فسوف اصلحه ، واعيد الامور الى نصابها ، ففي الصباح سوف ينتهي كل شيء ، نعم ... سوف اتخلص منها ..

ومع نهاية كلماته دق جرس الباب ، وذهب عصمت ليستطلع القادم ، وكانوا اولاده الثلاثة ، تسبقهم اصواتهم المختلطة مثل زقزقة العصافير المرحة التي زادت مع لقائهم بأبيهم بعد غيبة طويلة ، منذ آخر لقاء بالاسكندرية .

ويبدو ان ناهد كانت تدبر امرا خفيا ، اذ تظاهرت بأنها مريضة ، وجلست من ركن قصي في نهاية الصالة الفسيحة ، ترقب زوجها واولادها الثلاثة .

وعندما حاول الصغار اقحامها في حديث مشترك مع ابيهم ، ابت وتعللت بمرضها قائلة :

ـ ابوكم معكم الليلة ، اما انا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشخصية والموقف

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

ان موضوع الشخصية من أدق موضوعات علم النفس العام ، وان السبيل الى تحديده من اكثر السبل وعورة(١) . وذلك ان (الشخصية) شيء من الذات ، والحياة ، والطبيعة ، وتدرك بجماع العوامل الجسمية ، والاجتماعية ، والفكرية ، والنفسية ..

انها المجموعة المتكاملة من الصفات الخلقية ، والفكرية التي يتصف بها ، انسان ما ، وتميزه عن غيره في سلوكه ، وطباعه ، وتفكيره ...او هي الصورة المنظمة المتكاملة لسلوكه ، واخلاقه ، في تلاؤمه مع الحياة ..

ان (الشخصية) هي شعور الشخص بهويته ، اي بانه هو هو ، رغم التغيرات التي تطرا عليه في الحياة ، وهي وحدة تتحقق في تنظيم الشخص لعلاقاته بالعالم الخارجي ، والآخرين ، عبر العمليات النفسية المتعاقبة في تاريخ هذا الشخص ..

وسبق ان درست الشخصية ، والصراع المأساوي(٢) ، في طلائع المسرح الشعري العربي ، احمد شوقي ، وعزيز اباظه ، وعدنان مردم بك ، حيث اعتمدت آراء استاذنا المرحوم (يوسف مراد) ، ونظرتها التكاملية ، والتي كنت اقارنها بآراء (فاخر عاقل) ، وهي سلوكية :.

وعندما درست الرواية العربية السورية(٣) عدت فاعتمدت التكاملية في علم النفس العام ، مع بعض اجتهادات في التحليل النفسي ، او علم نفس الموقف ، وخاصة تصنيف كارل يونج لنماذج الشخصية ، النموذج المنبسط ، والنموذج المنطوي ؛ ولونياتهما بالنسبة لوظائف الفكر ، والاحساس : والحدس ، والعاطفة ..

ولا انسى في هذه المناسبة ان اسجل ما كان للصديق المرحوم (سامي الدروبي) من خدمات جليلة لعلم النفس ؛ اذ الف فيه ، وترجم ، وساهم في تأسيس مختبر له في جامعة دمشق ، وكان موضوع الشخصية ، والطباع موضوعا اثيرا لديه ، وتجد في ما كتبه الصديق عبد الكريم زهور عدي تعريفا بها(٤) ..

الشخصية الموضوعية

يرى — كورت ليفن — (١٨٩١ — ١٩٤٧) ان عمل العالم النفسي ؛ بالنسبة لبحث الشخصية الانسانية ؛ هو مثل عمل الروائي في تسوية رواياته ؛ ورسم ملامح ابطالها ..

ان كلا منهما يقدم لنا صورة حية عن سلوك الانسان في حوادث معينة ؛ او لنقل ازاء حوادث معينة في بيئات معينة ، ولكن بينما يقدم الروائي هذه الصورة اعتمادا على الوسائل الادبية ، يصطنع العالم النفسي المناهج العلمية ، والرياضية لذلك ..

يرسم الروائي اشخاصه في مواقف متنوعة ؛ تتوحد فيما بينها ازاء موقف كلي رئيسي يخص عادة البطل الرئيسي ؛ والذي يصبغه الروائي في مواقف حياتية يجلل عواملها ، ويكشف عن دخائلها ، والقوى المؤثرة فيها .. وكذلك العالم النفسي ، فهو يعالج مجال الحياة ؛ ومواقف الاشخاص فيه(٥) ..

وفي نظر — كورت ليفن — ان على العالم النفسي ان يكون موضوعيا ، كي يستطيع تحديد معنى الشخصية .. و (الموضوعية) في نظره هي في تجرده عن الافكار السابقة ، وتخليه عن ميوله وعواطفه ، من اجل ان يضع نفسه موضع الآخرين ، تماما كما الفنانون ، ورواد الادب ، ومنهم الروائيون يضعون انفسهم موضع الآخرين ؛ في رصد سلوكهم ، او رسم طباعهم ..

والتفرقة المنهجية اذن هي بين الموقف كما يبدو للمجرب ، والموقف كما يبدو في نظر الشخص الذي نجري عليه التجربة ، والموضوعية في ذلك هي تصوير الموقف كما في نظر الشخص الذي ندرسه .. اي كما قلنا في ان نضع انفسنا موضع الشخص الذي ندرسه ..

هذا الامر يترتب عليه الفارق الذي بين الموقف من الوجهة النفسية ، والموقف من الوجهة الاجتماعية .. لان العوامل الاجتماعية من بيئية ، ووراثية ، وما شابهها عوامل حاجزية ، وتظل لها اسبقية عامة ، بفعل انها من

---

(١) — هذه الدراسة كتبتها برا بوعدي للاديب الفراء ، راجع دراستي لازاهير تشرين المدماة ، الاديب ، فبراير ١٩٧٨ .

(٢) — الشخصية والصراع المأساوي ، لعدنان بن ذريل ، دمشق ١٩٧٢ ، حبث الفصول المستفيضة .

(٣) — الرواية العربية السورية ، للمؤلف المذكور ، دمشق ١٩٧٣ .

(٤) — المعرفة ، الاعداد ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥ ، تموز وآب وايلول ١٩٧٦ .

(٥) — هذه الامثلة من مقالة كورت ليفن عن (السلوك والنمو كوظيفة للموقف الكلي) ، وقد اعتمدناها على امالي استاذنا المرحوم (يوسف مراد) في الجامعة المصرية .

طبيعتها تحـد المجال النفسي . الذي تحاصر تجربته ، وايضا تحيط بها ..

تكوين الشخصية

وقد اختلف الدارسون في تكوين الشخصية ، هل هو تكوين طبيعي ، فطري ؟ . بحيث تولد الشخصية مع ولادة الشخص ؟ . ام هو مكتسب يظل يخضع للعوامل الخارجية ، التي للبيئة ، والظروف ؟ ! .

ان الشخص في واقع الحياة دائم التغير ، والنمو ، دائم الحركة ، والتقدم .. والصعوبة في بحث الشخصية ، او تحديد معناها ، ان هذا الجانب الحركي الذي لتازر قدراته ، وعملياته النفسية ، ومواقفه ، وسلوكه ، يتكشف هو نفسه عن اشكال من الادراك ، والبراعة ، وايضا الصراعات ، والازمات .. بحيث أن ما نسميه بشخصية ، هو بالاحرى هذا (المظهر الفعلي) للوحدة الكلية للانسان ، او هو ، كما يقول (كورت ليفن) — (الالق النفسي) الذي يتبدى في مفرق الطرق حيث سلسلة المواقف المتنازعة ..

كانت النظرة القديمة تعتبر السلوك ارتباطا بين منبه ، واحساس ، و (وِدورث) اعتبر الجسم وسيطا يجب ان يحسب حسابه في معادلة السلوك ، و (تولمان) ادخل في تفسير السلوك الدوافع والاهداف ، اي الاستعدادات الوراثية ، والمكتسبة عند الشخص(٦) ..

ومن هنا اعتبار السلوك مظهرا للشخصية ، في موقف معين . وانه لا بد في دراسته من مراعاة كل من الشخصية ، والموقف .. لان الموقف يخص الشخص ، ومن الضروري تفسير سلوك معين بالطريقة التي يواجه بها الشخص موقفا معينا ..

كان علم نفس الصيغة وتتها يحاول تفسير الادراك من اساس فعالية حركية راهنة ، اي تقوم بعملها في نفس وقت حصول المدركات .. فوسع (كورت ليفن) هذه النظرة حتى جعلها تشمل ميدان الرغبة ، والوجدان عامة ، وقال بمبدأ العيانية ، اي ان الوقائع القائمة هي وحدها التي تستطيع ان تؤثر في السلوك(٧) ..

ولذلك اعطى الاهمية في البحث النفسي للعلاقات الحركية التي بين الكائن الحي ، ومجاله الراهن .. واعتبرها من طبيعة عضوية ، وتقوم مقام تلك الآليات الغائية التي لعلم النفس الارتباطي ، او البنائي ، او سواهما ..

وقد اعتبر الصيغيون ، وخاصة (فرتهايمر) العلاقة السلوكية ، ليس بين منبه ، واحساس ، وانما بين ما يعتري المجال في واقعه الراهن ، وبين الموقف ، واستجاباته ..

وفي نظر (فرتهايمر) ان الموقف ، واستجابة الشخص شرطان اساسيان للمجال الكلي ؛ وجميع التجارب التي اجريت بعد عام ١٩٢٤ هي من وحي هذا التوجيه ، سواء في دراسة الحركة ، او الاشكال ، او الالوان ، او العلاقات النفسية والاجتماعية(٨) ..

المجال عند كورت ليفن

اهتم كورت ليفن بدراسة المجال النفسي ، وصلته بالمجال الحيوي او الحياة ، وصار يحدده من منطلق تكاملي حركي ، يوفق بين السلوكية ، وعلم الصيغة ، بين السلوك وصيغته ..

لقد اعتبر (السلوك) نشاطا داخل مجال ، بحيث تكون العلاقة السلوكية مظهرا لوظيفة الشخص وبيئته ، وليس ثمرة التفاعل بين الشخص ، وبيئته ، كما يقول السلوكيون ..

ان السلوك جزء من المجال ، لانه نتيجة تركيبه في زمن معين ، وهو ايضا عامل من عوامل تغييره .. و (الأنا) في ذلك جزء وظيفي داخل مجال اوسع ، ولم تكن في البدء ، وانما تكونت مع نمو الشخصية ..

المجال وسط ، او حقل ، ولكن يجب تمثله رياضيا(٩) . اي توبولوجيا كمكان رياضي للفعالية ، والسلوك معا . هو محل التنافر والتجاذب بين قوى النفس في ظهورها ، وانحسارها ..

ان المجال لا يتجزأ في الواقع ، وان كنا نحلله في الدراسة التوبولوجية الى ما يتضمنه من فيزيائي ، وجغرافي ، وسلوكي ، واجتماعي ، ونفسي في موقف معين ..

وذلك ان (كورت ليفن) لم يقنع بالعلاقة التي لتتابع المؤثرات والاستجابات ، وانما اخذ يحلل السلوك في كلية ارتباطاته ، سائلا عن الحوادث السابقة مباشرة عليه ، او الحوادث المعاصرة له ..

وقد وجد ان هذه الحوادث السابقة لمباشرته : او المعاصرة له واقعة داخل الشخص ، وانها تؤلف مجالا

---

(٦) — انظر المعرفة ، العدد ١٧٢ ، السابق الذكر .

(٧) — علم النفس في مائة عام ، لفلوجيل ، ترجمة لطفي فهيم ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٢٧٤ وما بعدها .

(٨) — من أمالي استاذنا المرحوم يوسف مراد ، في الجامعة المصرية .

(٩) — هناك نوعان من القياس في الهندسة ، ففي هندسة الابعاد تقاس الابعاد بالنسبة لوحدة ، او قاعدة ، وفي الهندسة التوبولوجية تقاس بالنسب بين التغيرات .. والمكان توبولوجيا يقصد المكان كعلاقة رياضية ، وليس كحشامين من ارضية ، او مركز ، او محيط .

حيويا ؛ هو الحياة .. ولذلك اعتبر المجال الحيوي كيفية لوجود الشخص في وقت معين(١٠) ..

ان المجال الحيوي ، في نظر كورت ليفن ، هو تلك العمليات المادية ، والاجتماعية التي تؤثر في السلوك .. بحيث ان ما يفعله الشخص يتوقف على مجاله الحيوي الموقت ، اي الحوادث المركزية التي له ، كشخصية لها تاريخية ما ..

واذا كان هناك في داخل الشخص حوادث لا يتوقف عليها السلوك ، فيمكن اعتبارها في حالة سكونية ، او لاشعورية ، حتى تظهر آثارها في المجال الحيوي الراهن ..

ان كورت ليفن جعل استنتاجاته تقوم على السلوك الذي يدور في موقف معين ؛ وفي نظره ان ما هو حقيقي هو ما له اثر .. وهذا منهجيا يعني انه بعد حدوث السلوك، يمكن الاستدلال استرجاعيا على طبيعة المجال الحيوي ..

وقائع الموقف الراهن

واما ــ المجال النفسي ــ فان كورت ليفن يقصد منه ما له وجود نفسي بالنسبة للشخص في وقت معين ، اي الاشياء الموجودة في ميدان نشاطه ، وتصرفاته ، ولها اثر على سلوكه ، وافعاله ..

والسؤال يصير : هل يعتبر الشعور الفردي محكا لما يوجد لدى الشخص من عوامل مؤثرة ؟ . وفي الحقيقة لا بد ان نحسب دائما حساب الاشياء الطبيعية ، والاجتماعية ؛ وذلك لان المجال الطبيعي ، والاجتماعي له وجود نفسي ، طالما ان الشخص يشعر به ، ويتحمل وطأته .. ناهيك بأن العديد من الاشياء المادية ، او الروابط الاجتماعية ذات طابع حاجزي ، يحد الفعالية الانسانية ، ونشاطها ..

واهمية الوقائع في المجال النفسي تصبح لما لها تاثير في الموقف الراهن ، والطريقة التي تؤثر(١١) ، وذلك ان نفس البيئة الطبيعية ، و الاجتماعية تختلف بالنسبة للشخص من موقف الى آخر ، كالفرق الذي بين حاله جوعان ، او شبعان ، او حاله سعيدا ، او حزينا .. او الفرق الذي بين روابط القوانين التي تخضع لها افراد امة ، وبين شعور الافراد بها ، او مدى تاثيرها عليهم .. هذه العلاقة ذات قيمة كبرى ، ويتوقف عليها تعديل الوقائع النفسية ، والاجتماعية نفسها ..

وفي مصطلح كورت ليفن ــ القوة النفسية ــ هي الميل الى عمل في اتجاه ما .. فهي عنصر موجه ، وفي الوقت نفسه ذو اتجاه ، وتأخذ اشكالا مختلفة حسب مجالها الحيوي ، والنفسي .. ومن حيث ان المجال الحيوي هو الحياة ، او هو نظام المنبهات ، او لنقل ايضا هو الارضية التي تنبعث عليها الاستجابات وانماط السلوك . والمظاهر النفسية المختلفة . فان (المجال النفسي) يصبح هو الموقف الكلي في وقت معين .. وان كورت ليفن يربطه بالمجال الراهن ، بحيث يجب ان تستقط الميول ، والرغبات ، والآمال ، والارادات في المجال الراهن ..

وحقا ان علماء النفس التاثلين بالمجال ، والعلاقات المواتفية يقللون من اهمية الابعاد الزمانية ، او يكادون يهملون الماضي ، واثره ، ولكن كورت ليفن يستوجب ان يسقط الماضي ، والحاضر ، والمستقبل في المجال الراهن ، بفعل انها مجموعة وقائع مرتبطة بعضها ببعض ، تؤثر في السلوك ، وايضا تفسره كما راينا ، وهذا معناه ان كورت ليفن يعترف باللاشعور ، واثره في السلوك ، والشخصية على السواء ..

الموقف وامكانياته

نستطيع ان نفهم اي موقف ، بواسطة المجال النفسي للحياة العامة ، اي تاريخ حياة الفرد .. ان مجال الحياة هو بمثابة ارضية بالنسبة للموقف الراهن ، والذي يمكن دراسته اذا نحن راعينا الاعتبارات المتعلقة بالوقائع الطبيعية ، او الاجتماعية ، او الفكرية ، وميزناها عما يشتبه بها ، او تقترن به ، مما سبق شرحه ..

ان علم النفس الحركي ، الذي عمل له كورت ليفن من وجهة تكاملية ، صيغية ، ومواقفية ، هو العلم الذي يبحث في طرق السلوك التي يحتمل ان تحدث ، او لا تحدث ، بناء على موقف معين .. هذه النظرة الحركية تعتبر (الموقف) عبارة عن مجموعة من العوامل المؤثرة في الشخص في وقت معين ..

ولذلك ينبغي ان ينظر الى (الموقف) على انه مجموعة امكانيات ، لما يحتمل حدوثه ، او عدم حدوثه من سلوك ، وتصرفات ، بناء على وقائع المجال الراهن .. و (الامكانية) في نظر كورت ليفن ، هي الاختيار في المواقف المتداخلة ، كما هي الحال في صراع القوى النفسية ، او عند انتماء الشخص الى جماعتين ، وهكذا دواليك ..

(الموقف) هو وجود فعلي ، يترجمه وجود المؤثر ، ذلك انه ليس كل واقعة مادية ، او معنوية ذات اثر في المجال النفسي الراهن .. ان الفرغة ، والبستان ، والنهر ،

---

(١٠) ــ راجع ميادين علم النفس ، دراسات باشراف جيلفورد ، وترجم الى العربية باشراف يوسف مراد ، المجلد الثاني ، ص ٩٩٩ ، وما بعدها .

(١١) ــ ان انطباعات الشكل واللون والحجم تختلف من انسان الى اخر ، وعند الشخص الواحد ، بحسب الظروف ، وكذلك القدرات النفسية ، ومستوى الذكاء تختلف في جو من التماطف ، والاطمئنان عنها في جو من الارهاب ، والتوتر .

آخر قصيدة

عذه آخر قصيدة نظمها نقيد التربية والشعر نسيم نصر ،
من وحي جراحة طبية مرت باربعة ادوار

مع الغصن ، في آذار ، حاولت أورق ... ومن فوحة الانسام نداياء انشق
وفي جـدة الدنيا وبعث حياتهـا ... رأيت زوايا العمر بالنور تشرق
فروحي ، وان عـز الغنى بسرابها ... لهـا من يناع المرء روض منمق
كاني علـى سـر الزمان ممتـع ... بنشـوة ... للصفـا تترقـرق
تراودني للرشف منهـا خصاصة ... مـن الدهر ان ناء البقا تتالق
فعندي ، على السبعين ، مرة خاطر ... لهـا في حنايا الصدر بـرج محلق
أعود اليهـا في الملمات ، مثلما ... يعود شذا نيسان بالطيب يعبق
يمر فيسري في الحشائشة منعشا ... يرد الى قلبي هوى كان يخفق
فترتاد ذاتـي في معارج ضيمها ... نـوازع تاتـي بالعزاء وترفـق
عزائـي بدائـي انني متحمـل ... تـروي قـواه عزمـة تتدفـق
ترى مبضع الجراح آلـة رحمة ... وفي حنوة التمريض بالسر تنطق
وفي وجمـة الآسي حرارة مؤمن ... لهـا في حنايا النفس أفق ومشرق
فكان اذا مـا عادني ذو مودة ... رأيـت بلقيـاه انعطافـا يوثـق
فما سرحة الدنيا سوى مسرح الرؤى ... عليه مطاوي المرء بالبعث تالق

نسيم نصر

والوضع العائلي ، والوظيفة ، والتجمع وغيرها ليست كلها ذات اثر واحد ، في اللحظة الراهنة ..

وكما يمكن فهم الموقف بواسطة المجال الحيوي ، والنفسي ، اللذين للشخص .. فـان الآثار الآنية ، في اللحظات الراهنة هي ما يجب دراسته في بحث الشخصية ، ونموها(١٢) ..

الشخصية عند ليفن

ان (الموقف الكلي) ، كمجال راهن ، لم يعد موقفا شعوريا كله ، وانما صار يسمح بافتكار عوامل لا شعورية ، تسربت الى الشخصية ، وتركت اثرها فيها ، يظهرها السلوك ..

ويجب اذن دراسة المواقف الكلية ، عن طريق تحليل الآثار الآنية في تجارب الاشخاص ، في الحياة اليومية .. ان الشعور ليس المحك الوحيد للمجال النفسي ، ولكن ثمة عوامل اخرى لا شعورية تظل تتحكم بالمجالين الحيوي ، والنفسي ، وتعطـي السلوك اتجاهاتـه ، والشخصية خصائصها ..

لقد جعل كورت ليفن دراسة شخص معين دراسة علاقات توبولوجية ، بين مجالين ، او اكثر .. وقد اظهر بذلك علاقات الاجزاء بالكل ، وعلاقات العوامل ، والمؤثرات بالموقف الكلي الراهن ، مع توضيح التغيرات كافة ..

ان (الشخصية) في نظر كورت ليفن ، هي نظام طبقات ، لها تركيب متميز المناطق ، تظهر فيها التغيرات .. هذه المناطق (كيفيات) ، ولهـا حدود تميزها ، ويمكن دراستها ابتداء من مظاهر السلوك في نظام المنبهات ، والذي يظل مرتبطا بالشخص ، وتاريخه ..

ان (الأنا) غير موجودة في البداية ، كما قلنا ، وذلك لان الاجزاء الاولية غـير موجودة ، وانما الموجود صيغ حركية .. بخلاف راي السلوكيين ، والارتباطيين الذين يرون ان الاجزاء الاولية منفصلة ، فيقررون خبرات اولية من احساسات ، وردود فعل ، ثم يصلون الى القدرات النفسية .. ولكن عندما تتكون الأنا تصبح جزءا وظيفيا داخل الموقف الكلي ، او المجال .. والى لقاء ..

---

(١٢) ـ درس كورت ليفن حجم الواقع والخيال عند الاشخاص ، منذ طفولتهم ، خاصة في المخاوف من الحاضر ، او المستقبل ، كما درس شعور الاطفال بذاتهم ، وبالعالم ، في الشعور بالزمان في اللعب وتنظيمه ، مع مقارنتهم بالفنانين ، واحوالهم .

(١٣) ـ الامالي السابقة الذكر ، وغيرها ، ونامل ان نتابع البحث في الاعداد القادمة ، وشكرا .

دمشق — عدنان بن ذريل

يوميات تبحث عن هوية

اما زلت تذكر اول يوم لقيتك فيه
وذاك الشعور .. وما قد عرانا
وكيف تكشف ما في الصدور
ورحنا نصيخ لصوت المطر
وبيروت كانت على عهدها بين حين وآخر
تشد الرحال .. إلى موعد مستحيل
تودع فيه انسياب العطور
ودفء القصور وعبء الضجر
ومرت شهور الشتاء ومر الربيع
وبيروت تبحر نحو الرماد
على زورق من حديد ونار
ومجذافها بين جزر ومد
ودمع العيون وعصف الرصاص وخفق الشرر
وجاء الخريف .. وايلول يرمي اصفرار الوشاح
على كل قلب .. يلم الوقود

*

يعبيء كل النفوس
يعبد للموت الف طريق
واحتال حتى أراك
أجوس جميع الحواجز .. احلم بالموعد المنتظر

وتوقفني عشرات الحواجز :
من انت .. كيف وصلت ؟
وأي سبيل الينا سلكت ؟!
واختار فيما أجيب .. انا من جميع البيوت
وخلف جميع الحواجز أمضي
وللموت صوت .. وللحقد صوت
لكل القضايا يجلجل صوت
واترك كل القضايا
واحمل وزر الخطايا

*

واسعى مع الحب في كل درب
به .. قد رسمت ملامح وجهي
به .. قد رفعت دعائم قصري
به .. قد نحت حجارة كوخي
به .. سأواجه كل سلاح
واحمل جرحه بين الحنايا
اعمد بالجرح كل البشر
وعاد الشتاء وعاد يخيم صمت المساء
ولا زلت أركض بين الحواجز يسكنني حلم باللقاء
اذا يا صديقي قضيت قبيل الوصول
وكان سقوطي على اي حاجز
فاني أموت لأجل قضيه
تظل مدى الدهر فوق القضايا
وفوق مرامي جميع البرايا
بها يبلغون جماع الوطز

سلافة العامري

دمشـــــق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حديث صحفي

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

الاستاذ بكلية اللغة العربية بالقاهرة

* * *

نقلت بعد التخرج بشهور قليلة الى مدرسة ثانوية نائية ، وكنا — معشر المدرسين — جميعا حديثي العهد بالوظيفة ، لا نعرف شيئا عن الادارة والاداريين ، وكان ناظر المدرسة ينتظر الاحالة للمعاش بعد قليل ، فلم يكن يكترث بأعبائه ، بل كان يأتي اسبوعا ويتمارض اسبوعا آخر ، فاذا حضر كان معنا كأحدنا ، يجلس في حجرة المدرسين ، ويشترك معنا في طعام الغذاء ، ويقضي السهرات في نادي المدرسة يحادث المدرس وولي الامر والطالب والفراش ، وقد يجلس احدنا في مجلسه بحجرة النظارة فلا نشعر الا ان الامر طبيعي بين اخ كبير واخوة يسيرون في طريقه ، ثم انتهى العام وأحيل الرجل الى الراحة الهادئة ، وجاء في مطلع العام الجديد ناظر جديد .

ذهبنا لتهنئة الرجل في مكتبه اذ كان مرقى من المدارس الاعدادية للمدرسة الثانوية ، وجلسنا نتحدث ، ولكن السيد الناظر قد تجهم وجهه واربد ، واخذ يرد التحية بامتعاض كريه ، حتى خيل الى المجتمعين انهم يعزون في مصيبة ، ولا يهنئون بترقية ، وكان احسنهم ظنا يتوهم ان الرجل يعاني مأساة خاصة لا يستطيع الخلاص منها ، ثم رأينا ان ننصرف عن مجلسه ونحن حائرون .

وفي المساء ذهبنا كالمعتاد الى نادي المدرسة ، فرأينا وكيلها — وهو صديق ودود — يتصدر المجلس ليعلن ان السيد الناظر اخبره عن استيائه الشديد لمظهر المدرسين ، فقد جلسوا في حجرته دون استئذان ، وقد تحدث كل منهم الى رفيقه كأنه ليس في حجرة مسؤول ، كما دارت النكات التي توحي بارتفاع الكلفة بين الرئيس والمرءوس ، وهذا ما يفسد شؤون الدراسة ان استمر على وجهه المتسامح ، فلا بد ان تراعى مكانة الحجرة الاولى في المدرسة ، ولا بد ان يجتمع المدرسون في غيرها ، ولهم حجرتهم الخاصة ، وابتسم الوكيل وهو يقول : لقد كلفني ان ابلغكم الامر ، وأنا معكم ، وسأنقل مكتبي لحجرة المدرسين اذا قبلتم !

عرفنا كل شيء عن ازمة الرجل النفسية ، فقد هاله ان يكون صديقا لا رئيسا ! ولا تسل عما انهمر من التعليقات البريئة والخبيثة معا ! وقد تم الاتفاق على مقاطعة الرجل ومجافاته ، وان يكون الاتصال مع الوكيل وحده ، ولكن الرجل مع ذلك قد وضع فوق النار واخذ يستعد للغليان عن قريب .

مضى اسبوعان ، وحان اول الثالث ، وهو موعد ابتداء الدراسة اذ كنا في ايام التأهب والاستعداد فرأينا ساعي المكتب ، وهو فراش اختاره الناظر ليقف امام حجرته دون عمل ، يمر علينا بمنشور يطلب اجتماع المدرسين للاستماع الى مطالب السيد الناظر ، ويحدد الزمان والمكان في اقتضاب عاجل ، واذن فلا بد من اللقاء .

تقابلنا في تطلع لنتواصى بالكياسة والهدوء ، وطبيعي ان تختلف الامزجة فيكون منا المسالم والمشاغب ، والمتسرع والمتحفظ ، الا ان احدنا وهو الاستاذ رشاد كان ابن المدينة ولاسرته مكان القيادة ، وله حدة وشجاعة ، وفي تاريخه وقفات قاسية مع الرؤساء ، ولن يصبر على ضيم ، وقد بدا من ملامحه انه متأزم غير مستريح .

حان الموعد ، وبدا السيد الناظر متجهما دون ما داع ! فأعلن انه قضى اسبوعين مليئين بالصعاب حتى ما كان يفرغ دقيقة واحدة في النهار ، كان يعد الجدول ، ويوزع النشاط ، ويقف على تنظيم المقاعد في الفصول ووضع الكشوف على الجدران ، ويختار المدرسين للسنوات وفق اعتبارات دقيقة ترجع الى التقارير وزمان التخرج ونتائج الامتحان ! وانه لم يكن يلعب في اعتكافه ، ولولاه لهجم العام الدراسي دون استعداد .

وكان من المنتظر ان تمر المقدمة دون تعقيب ، فليس فيها ما يغضب ، ولكن زميلنا الاستاذ رشاد قد قال في اعتداد :

— يا حضرة الناظر ، هذه مسائل عادية كنا نقوم بها في العام الماضي بمنتهى السهولة ! لان سيادة الناظر السابق لم يكن يحضر قبل ابتداء الدراسة ، ولم نشعر بصعوبة ما ، في عمل آلي يعرفه كل مدرس دون مباهاة !

فتطلع الناظر في غضب وسأل محتدا :

أواثق انت مما تقول ؟ فأجاب الاستاذ رشاد في تهكم :

لو ان سيادتك تأخرت اسبوعين وجئت الآن لوجدت الامر على ما يرام !

فاحمر وجه الناظر ، وسأل في غيظ : لماذا تقاطعني دون ان تستأذن في الكلام ؟

فصاح الاستاذ رشاد : هذا اجتماع يا استاذ ، ولم نحضر لنسمع خطبة دون نقاش وسأناقشك في كل اتجاه اذا بدا ما يستحق النقاش .

قام الناظر غاضبا ، وخرج المدرسون مسرورين ! وقد حاول الوكيل ان يتوسط كي يتم الاجتماع ، ولكنها محاولة ظاهرية باءت بالاخفاق .

ابتدأ العام الدراسي ، ولم يخرج الناظر عن عزلته فليس له اتصال بغير الوكيل والبكرتير وحارسه المنتصب امام الباب ، وكان الوكيل داهية حصيفا ، فافهم صاحبه ان الاستاذ رشاد ذو تاريخ سيىء مع الرؤساء وقد اعتدى في قسوة على بعض المسؤولين ، واسرته كبيرة محترمة تحميه في كل معركة ، ولها اساليب منها الظاهر والخفي ، واهون شيء لديها ان تسلط مجرما يعتدي بالليل على مسؤول دون ان يجد شاهدا يشهد ، ثم تقيد الحادثة ضد مجهول ! وكان الوكيل في اعماقه غير مستريح لعنجهية الناظر ، فبالغ واغرق حتى ارهق الرجل وشغل باله فاخذ يفكر ويدبر ، حتى اهتدى الى ان يسالم الاستاذ رشاد وحده ، فأرسل يستدعيه .

فوجيء الاستاذ بالدعوة فتقدم في وثوق يعهد فيه ، واعتداد لا يفارقه عند الازمات ولم يكد يرى الناظر حتى شاهد ترحيبا وابتساما وملاطفة ، ثم رآه يغادر مكتب الرئاسة ليجلس جواره على المقعد ثم يقول له في استرضاء :

يا رشاد انت من اسرة كريمة ، والمدرسة مدرستكم ، مدرسة اسرتك واقربائك واخوانك فهي في حاجة الى معونتك القوية ونشاطك الكبير .

فقال رشاد في ادب : وهل تأخرت يا حضرة الناظر ؟

فتعجل الرجل يقول : لن يستقيم الامر لي الا اذا كنت معي ، المدرسون مهملون ولا يؤدون الواجب في الفصول كما احب ، وكلنا نحب مصلحة التلاميذ ! وساختارك مراقبا للدراسة ، تتفرغ من الحصص المدرسية لترى انتظام الطلاب ، وتراقب سير المدرسين ، وتكون معي امام كل متباطىء .

فقال رشاد : ولكني مدرس بالمدرسة واعرف ان اخواني المدرسين يؤدون واجبهم كاملا دون تقصير ، وهم مثال الكفاءة والاجتهاد .

فقال الناظر : اريد ان تكون معي لا معهم يا اخي ، انت من الآن مسؤول !

فرد رشاد في حدة :

انا معهم يا حضرة الناظر لانك سيىء الظن ، ولن احارب زميلا . فتاريخي يشهد انني احارب الرؤساء المنحرفين .

فأطرق الرئيس متخاذلا ! وانصرف الاستاذ .

لم يعد الناظر ذا شان بالمدرسة ، فقد ترك الاداريات للوكيل ، واحتجب في مكتبه الذي لا يزوره غير مفتش يشرب القهوة ، او ولي امر يرى الناظر لذة في استدعائه لسؤاله عن غياب ولده يوما او يومين ، وتعرضه للفصل الحاسم بأمر الناظر نفسه !! وحارس المكتب منتصب طول اليوم يفتح الباب ثم يوصده لغير ضرورة . وقد رأى الرجل ان يخرج من عزلته فاختار ناظر المدرسة التجارية الثانوية بالمدينة لصداقته واخذا يتزاوران اثناء العمل اليومي ، ثم يقضيان اكثر الليل في الزيارات المتبادلة ، وقد يخرجان بعد الاصيل لنزهة في شوارع المدينة ، او لقاء على مستوى رئاسي مع المسؤولين ! وقد ارتاح الرجل لصداقة زميله ، فكلاهما ناظر رئيس ، وكلاهما من كبار رجال التربية والتعليم بالاقليم !

ومع هذا التحفظ المترفع فقد شاهدنا ذات يوم طالبا ازهريا ضريرا يقوده زميله يتوجهان لمكتب السيد الناظر ، فيقابلان بالترحيب والبشاشة ويسرع الحاجب لاحضار الشاي ، ويوصد الباب قرابة ساعتين ، ثم يخرج الطالبان في مظهر احترام لافت ، وقد صافحهما السيد الناظر على باب الحجرة في ود واضح ! ثم نراه على غير المعتاد يحضر الى حجرة المدرسين فنقوم للقائه مرحبين ، ويأخذ مكانه في شموخ ثم يتفرس الوجوه ليقول في ابتسام :

ـ ما شاء الله ! هذا الطالب الازهري الضرير سيكون مثل طه حسين ! لقد وجه الي اسئلة ذكية جدا اجبت عليها وكأني امام صحفي كبير .

فقال احدنا في ادب :

ولماذا يسأل وما شأنه ؟

فرد الناظر على الفور ، انه مندوب المعهد الديني بالمدينة ، وهو المشرف على تحرير صحيفة المعهد وقد رأى ان يأخذ مني حديثا صحفيا فرحبت بطلبه ، ووجه الي اسئلة كثيرة واستغرق الحديث ساعتين ، وكان يسأل وكنت اجيب ، اما رفيقه المبجر فكان آلة كاتبة فقط ، يدون السؤال والجواب !

قلت ـ ولاول مرة اسأل الرجل ـ وفيم دار السؤال والجواب ؟

فقال الناظر الكبير : سألني عن تاريخ حياتي ، فحدثته بكل صدق عن امتيازي بالدراسة الابتدائية اذ كنت من الاوائل العشرة ثم حافظت على المستوى في الشهادة الثانوية ، ونجحت بامتياز في الليسانس وكدت ابعث الى انجلترا ، لولا ان بعض المحاسيب قد اخذ مكاني دون حق ، اما عملي في وزارة التربية فينطق به الملف ، كانت التقارير ممتازة وكان زملائي يأخذون كراسة الاعداد لينقلوا ما كتبت ، وكان التلاميذ يتقاتلون على فصولي فاولياء الامور يحرجون النظار بطلباتهم من اجلي ! وكنت بعد ذلك ناظرا للمدرسة الاعدادية فقمت بمشروعات حية ، تحدثت عنها بوضوح لمندوب المجلة ! وقد حرص على ان يأخذ صورتي لتكون في مقدمة الحديث !

ثم سكت الرجل قليلا ليقول :

معا سنمضي

تألقـــي ، تألقـــي ... على جبـين المشرق
يـؤوب عمـر تائـه ... ان تغربي او تشرقي
روح كما الله ، حبت ... عينيك سحـر الالق
يـا حلم حب مطلق ... يرنـو لحب مطلـق
زهوت ، حتى لا شذى ... يغدق ، ان لم تغدقي
ان نحن رحنا في غد ... نزهـو بعمـر مـورق
فكـل حـب ، بعدنا ... كحبنا ، لـم يخلـق
رقعت ، فاليم نـدى ... علـى جناح الزورق
ان تقلقـي ، فموجه ... يحزنـه ان تقلقـي
معـا سنمضي ، فانا ... وانـت طهـر الشفق

فوزي عطوي

اخبرني مندوب المجلة ان المعهد يطبع الفين او ثلاثة آلاف ، وان المسؤولين يقراون المجلة اذ ترسل للقاهرة اعداد كثيرة ، وقد اوصيت ان ترسل بعض النسخ لوزارة التربية فرحب الطالب واخذ العنوانات !

قال احدنا : ومتى يظهر العدد ؟

فأجاب السيد الناظر : بعد شهرين على الاكثر ! اذ لا بد ان توزع قبل منتصف العام الدراسي فقد علمت انهم سيصدرون عددا آخر قبل نهاية العام ! هذا الطالب الازهري ذو حيوية جبارة ، وعلى حداثة سنه يصلح ان يكون مندوبا للاهرام ! فكيف يصير أمره لو تقدمت به الدراسة ونال الشهادة النهائية بالجامعة لا بد انه سيخلف طه حسين !

كان حديث المجلة مبدأ اتصال الناظر بنا ، فقد اخذ يمر على الحجرة في زيارات متقطعة ولكنه كان يشكو من ازمة نفسية تلوح دلائلها في سلوكه دون ان يهتدي الى حلها ، لقد كان في حاجة الى من يمدحه ويطريه ، ولكنه ابتدأ العام منفعلا ، فلم يستطع ان يجد ما يريد من التوتير ثم اضطر الى ان يخفف من غلوائه اذ عدم النصير ! فأخذ يتودد يوما ، وينقبض اياما ! وما نعرف سببا للود ، او داعيا للانقباض ، ولكنه على كل حال قد ترك شؤون المدرسة للوكيل فأراح ، واخاله في اعماقه ما استراح !

ثم فوجئنا بعد زمن ما بدخول الناظر هائجا غاضبا يصيح :

اهذا جزائي ؟ لقد استقبلت هؤلاء الصغار بمكتبي ، وقابلتهم مقابلة الكبار ، رحمة بهم وشفقة عليهم ، ثم اقابل بهذا النكران ؟

فسألنا في دهشة من هؤلاء ؟

فصاح الرجل في غيظ : مندوب مجلة المعهد ! الطالب الازهري الاعمى وزميله ! لقد ظهرت المجلة ، وفي الصفحات الاولى حديث طويل لناظر المدرسة الثانوية التجارية يستغرق اربع صفحات ، اما حديثي ففي النصف الاخير ، وفي صفحتين اثنتين ! هذه اهانة ! اهانة لا تغتفر بحال ! من انا ؟ ومن ناظر الثانوية التجارية !؟

قال احدنا : الرجل صديقك ولا ينقضي يوم دون لقاء وتزاور ! فأجاب منفعلا :

امر متعمد ! ووضع مقصود !

قال وكيل المدرسة في ملاطفة : يا اخي ، ليست هذه مجلات ، انها نشرات مدرسية توزع على الطلاب ولا تصل الى مسؤول !

فسكت الناظر قليلا كمن اقتنع ، ثم قال في أسف : لن اسمح لهذا الغبي بحديث بعد الآن ! انه تلميذ فاشل لا يعرف الاقدار !

وقد اخذت العدد ، لأقرأ فوجدت حديث الناظر التجاري يتعلق بالمدرسة وفروع نشاطها ومزايا التعليم التجاري وفائدته في الاقاليم النائية ، وطرق الدراسة العملية للطلاب وزيارة الاسواق القريبة ، وتدوين ملاحظات الزائرين كما يتحدث عن جماعة مسك الدفاتر وجماعة الآلة الكاتبة وجماعة المعرض المدرسي ! في نسق موضوعي مفيد ، اما حديث الناظر الحصيف فذاتي شخصي يتحدث عن تفوقه البارز طالبا ومدرسا وناظرا ، وعن تقريراته وامتيازاته ثم لا شيء !

ولم نعد نرى صاحبنا يزور زميله ناظر مدرسة التجارة ، او يسير معه في طريق ، وكان ظهور العدد كان شجارا عنيفا ادى الى الخصام البغيض .

ثم مضى العام الدراسي فسعى صاحبنا كي ينتقل الى مدرسة اخرى ، فأجيب الى ما طلب ، وحل ناظر جديد .

القاهرة — محمد رجب البيومي



الدكتور وليم الخازن

التيار الانساني في الشعر العربي الحديث

بقلم الدكتور وليم الخازن

* * *

من النتائج الناجمة عن تفاعل البواعث الخارجية والداخلية ، انتشار غرض جديد من اغراض الشعر يتصدى للانسان في صميم حاجاته ، وفي كل ما يؤول الى سعادته وتعزيز امكاناته وتحسين مصيره . واذا توسعنا بمفهوم الانسانية شمل الشعر كله ، وهو يظهر عادة مع التحضر والثقافة والنضج الفكري . والتيار الانساني يقصد البشر جميعا ويتحسس اوضاعهم وتضاياهم ، فيتوحدون تحت لوائه اينما وجدوا . وقول تيرانس مشهور في هذا المعنى : « انا انسان وكل ما هو انساني ليس غريبا عني » . والانسان هنا هو الهدف وليس الوسيلة ، ولهذا عظمت اهمية هذا التيار وبرز دوره الحضاري الخطير . وقديما قال بروتاغوراس « الانسان هو مقياس كل شيء » . ولكن ، هل يكون التيار الانساني من صميم التيارات الوطنية ؟ ربما خالف هذه التيارات بمعناها السياسي : فالسياسة تحاول ابدا تغيير الانسان ولا ترضى عن واقعه . اما الانسانية التي نحن بصددها : فهي تنظر بشيء من المثالية الى الانسان . وتصرف النظر عن سيئاته . وتأثر العرب بالغرب واضح في هذا المجال بعد ان انتشرت بينهم آثار الانسانيين الكبار ، او هم اطلعوا عليها في اسفارهم . واي مثقف عربي جهل : منذ اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن ، امثال روسو (١٧١٢ — ١٧٧٨) ؛ وهيغو (١٨٠٢ — ١٨٨٥) ، وكارلايل (١٧٩٥ — ١٨٨١) ؛ وتولستوي (١٨٢٨ — ١٩١٠) ؟ وقد وجدت اهم موضوعات التيار الانساني في الشعر العربي تندرج تحت عنوانات بارزة اهمها :

الانسان قيمة القيم

« الانسان قيمة القيم » شعار يكثر الكلام فيه ، ويقل العمل به في المجتمع البشري الذي ما زال يسعى الى السيطرة والجاه . ومن البساطة والسذاجة ان يقال : اليس من الاوفق للانسان ان يبادل امثاله الحب والتضحية والمنفعة من ان يبادلهم البغض والاثرة والشر ؟ كل الناس يعرفون ذلك ، ولكن الميول ، وتنازع البقاء ، والقوة الغاشمة ، ما زالت ابرز القيم في العالم . والشعر ، بما فيه من مثالية ، يدعو الى اعادة الاعتبار الى الانسان ووضعه فوق كل هدف وغاية لكونه اسمى الموجودات . ومع تعقد الحياة انحصر اهتمام الانسان بسبل معيشته ، واتسع نشاطه ، واعرض عن اخيه الانسان ، لاجئا الى المنافسة والاعتداد بالنفس ، وانما التكبر والعقوق آفة الآفات . ولماذا يتكبر الانسان ويحتال ويظلم ومصيره الى التراب ؟ ومثل هذه النزعة وجدناها في شعر اسماعيل صبري (١٨٥٤ — ١٩٢٣) حيث يقول مثلا :

غاض ماء الحياة من كل وجه فغدا كالح الجوانب قفرا
وتفشى العقوق في الناس حتى كاد رد السلام يحسب برا
اغدا تستوى الانوف فلا ينظر قوم قوما على الارض شزرا
اغدا كلنا تراب ولا ملك خلاف التراب برا وبحرا
اغدا يصبح الصراع عناقا في الهيولى ويصبح العبد حرا

وفي قصيدة اخرى يقول :

أيها الناشد المدل علينا ويك ؟ قل لي: من انت ؟ اني نسيت

واكثر ما برزت النزعة الانسانية في شعر المهجريين ، وعلى الاخص في شعر جبران (١٨٨٣ — ١٩٣١) ونعيمه (١٨٨٩ —) وابي ماضي (١٨٩٤ — ١٩٥٧) وعريضه . وابدى بعض الشعراء ردة فعل على المجتمع الشرقي المتخلف الذي يتآكله الاهمال ، ويخيم عليه التقاعس والكسل . واننا نجد تمثيلا واضحا لهذا الموقف في قصيدة نظمها الشاعر المهجري السوري جورج صيدح (١٨٩٣ —) عام ١٩٢٥ في مدينة نيس بفرنسا بعنوان « العيد في المنفى » يقول فيها :

ايقظي يا شمس قوما يطلبون رزقهم من حيث يعطيه العمل
ودعي الخامل مثلي والفقير يجرع الغم ويقتات الضجر
لا تظنيه بمرآك جبير هو لو كان جديرا لانتحر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحين كان العرب يدعون الى التجمع القومي جاهر ميخائيل نعيمه بعض سائليه بقوله : « ما هو العالم العربي ؟ انه نقطة في بحر الانسانية ، نقطة في بحر الكون » . وجاء مثل هذا التعبير على لسان جبران عام ١٩٢٦ اذ قال : « الارض كلها وطني والعائلة البشرية عشيرتي » . ومبعث قوله هذا شدة احساسه الذي جعله يشعر مع الناس ويعاني همومهم . وربما ارتبطت انسانية الانسان بعذابه ، وانسانية المهجريين بغربتهم وتشردهم ، فالم النفس يكشف الجوهر كما يقول روجيه مونييه . والهم يقيم الانسان من جديد في كيانه اي يجعله اكثر انسانية . وقد اهتم الشعراء بالانسانية المعذبة ، ودعوا الى مساعدتها . ومن اجمل هذه الدعوات ما جادت به قريحة ابي القاسم الشابي ، عام ١٩٢٨ ، في قصيدته « يا رفيقي » ، كما اننا نجد في نسيب عريضة صوتا معزيا يهيب بالقادرين ان ينهضوا الى نجدة المنكوبين والمعذبين ليظل جبين الانسان مرفوعا ، فالشقاء مهانة للانسانية جمعاء ، ودليل على نواقصها وعيوبها . ويبين الشاعر ، في الوقت نفسه ، مشاركته احاسيس الناس وبلاياهم .

وتميزت « جمعية ابولو » في مصر بنزعتها الانسانية العامة ، فقال مؤسسها احمد زكي ابو شادي (١٨٩٢ — ١٩٥٥) : « والى ولز وجبران اهديت روايتي الشعرية « اخناتون » نظرا لنزعتها الانسانية التي اتعشقها » . واظهر الشاعر نفسه في قصيدة « مذهبي » من ديوان « الشفق الباكي » الصادر عام ١٩٢٦ ، احتقاره للمال وعمله في سبيل الانسانية . وفي قصيدة « الصعلوك » بين فضل الفلاح ، واشتراك البشرية جمعاء في اجرامه اذا ما هوى الى الإجرام لانها مسؤولة عن جرمانه . وقصيدته « عيد العمال » ، تذكرنا بقصيدة « حلم » للشاعر الفرنسي سولي برودوم (١٨٣٩ — ١٩٠٧) اذ ان كلتا القصيدتين تظهران فضل العامل وضرورته لتوفير وسائل العيش والحياة الكريمة لبني البشر . وتتنوع النزعة الانسانية في شعر احمد زكي ابي شادي ، فلا تتوقف عند حسن المعاملة المادية ، وانما تتعداها الى صيانة الكرامة والفكر الانساني ، اذ ان خسارتهما اصعب من الموت . ولما كانت قيمة العامل والفلاح كبيرة الى هذا الحد كيف يرضى الناس بمذلتهما وبؤسهما ؟ فينبري الشاعر عبد الحميد الديب (١٨٩٩ — ١٩٤٣) من جماعة ابولو يصف ما يقاسيه الفلاح في مجتمع عاق ويقول :

يا ذلة العيش بين البؤس والشرف عيش هو الموت في الحرمان والتلف

وكان الشاعر علي محمود طه قد دافع عام ١٩٣٠ عن الانسان المضطهد الطريد ، ودعا الناس الى التزام الحق والعدل والمحافظة على القيم الانسانية ، وبشر الشاعر صالح جودت « بالهدى والسلام وقيمة نشرهما في العالم » . وتطرقت جماعة ابولو باحساسها المرهف الى آلمة « البغاء » ، فوصف صالح جودت مأساة البغي في قصيدته « الهيكل المستباح » ، وصورها مظلومة ، منتهكة ، يتناوشها اللصوص البغاة ، ويعاملونها معاملة السلعة المبتذلة ، فيرجو خلاصها في الآخرة .

وشاركه في هذه النظرة الانسانية الى البغاء زميله الشاعر محمود حسن اسماعيل في قصيدته « دمعة بغي » . ودعت هذه الجماعة الى العلم الذي يرفع قيمة الانسان ، والى السلام والتسامح والحب الذي يغفر كل اساءة . واجمل ابو شادي زعيم جماعة ابولو « نزعتها الانسانية » بقوله ان الشاعر الحق هو « الشاعر الانساني » في قصيدة بهذا العنوان جاء فيها :

لا ارى غيره قمينا بعرش لنظيم يعيش في الاجيال

ولم يكن المجتمع العربي اكثر الشعوب تأخرا في هذا الميدان ، فما زالت المجتمعات المتقدمة في العالم ، حتى اليوم ، تسعى وتجاهد في سبيل وضع القيمة الانسانية فوق كل الاعتبارات الزمنية .

الصراع بين القومية والانسانية

ترسخت خلال القرن التاسع عشر في بعض صفوف الشعب ، لدى مختلف الامم ، فكرة قيادية نشطت الى جانب العقائد القومية . وهذه الفكرة هي الدولانية ، وهي لا تقل قدما عن فكرة القومية ، وقد دعيت ايضا الفوق الدولية ، او الدولية ، او العالمية . وظلت هذه الافكار الانسانية العامة الخط الاكبر الذي يهدد مبدأ القوميات خلال اواخر القرن الماضي ، ومطلع هذا القرن . والغايات مختلفة بينهما ، فالانسانية لا تبحث الا عن ذاتها ، اما القومية ، فتأخذ كيانها من الخارج (اللغة — التاريخ — الارض — العنصر الخ ...) . وقد غلبت الانسانية على شعراء المهجر الشمالي ، كما غلبت القومية على شعراء المهجر الجنوبي . وسمع العرب هذه الدعوة الانسانية العامة خلال فترة من الزمن تناوشت ارضهم فيها قوى استعمارية فرضت عليهم الجهاد ، والمقاومة ، والتجمع القومي ، فقام بعض شعرائهم يرفضون الدعوة الانسانية التي تتخطى الدعوة القومية ، لا لضلالها ، ولكن لتسللها الى المجتمع العربي في وقت غير مناسب اذ انها برايهم ، تثبط الهمم ، وتحمل العرب على القبول بمشاركة سائر الامم لهم في حكم بلادهم ، بينما هم في الواقع بأشد الحاجة الى الافكار التي تحثهم على النضال والجهاد لتحرير بلادهم .

وبهذا المعنى علينا ان نفهم الشاعر القروي (١٨٨٧ —) حينما راح يدعو السوريين والعرب عام ١٩٣٣ الى الاثرة والعصبية وبغض الشعوب . ويتبلور موقف الشاعر القروي ازاء موقف الياس قنصل (١٩١٤ —) الذي راح يسوغ تعصبه لوطنه ، وحبه له دون سائر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاوطان بانه شقي وغير مستقل . ولو تعمق هؤلاء الشعراء في النظر الى العلاقة بين القومية والانسانية لاختلفت اقوالهم في هذا المجال اذ انه لا تناقض ولا نزاع بين القومية والانسانية ، فيما قيمتان متفاعلتان متلازمتان . والانسانية هي الغاية السامية للقومية الواقعية التي تنطلق من اسس تناسب نموها وتطورها . وما زال الصراع بين القومية والانسانية يتنازع اتجاه العرب الذين اعطوا الانسانية حضارة تليدة ، وكان عليهم ، في الوقت نفسه ، ان ينموا الحقد في نفوس ابنائهم على الدول التي سلبتهم حقوقهم ، واغتصبت بعض بلادهم .

حرية الانسان

لا انسانية بلا حرية . وان تكون انسانا هو ان تقرر بغير رجوع ان الحرية هي قانون الفكر . لذلك راينا الثورة الفرنسية ، مثلا ، تضع الحرية على رابس شعاراتها حينما ارادت ان تعيد للانسان اعتباره . وقد تحرك المجتمع العربي يطلب التحرر في اواخر القرن الماضي ومطلع هذا القرن خاصة ، وكانت وقفة رائدة للشاعر الياس صالح (١٨٧٠ — ١٨٩٥) عام ١٨٨٨ في الجامعة الاميركية ببيروت اذ هتف على الملا ابان العهد الحميدي المستبد ان الناس سواسية في انسانيتهم وحريتهم . ونشر عبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٩ — ١٩٠٢) ، عام ١٩٠١ بمصر ، كتابه : « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد » ، بعد نشره مفرقا في صحيفة المؤيد عام ١٨٩٩ . وراح مصطفى كامل ، واتباعه من الكتاب والشعراء ، يطالبون الانكليز والخديوي بدستور وبرلمان للبلاد عام ١٩٠٧ .

وعند انتهاء الحرب العالمية الاولى ، وضع الرئيس الاميركي ولسون (١٨٥٦ — ١٩٢٤) مبادئه المشهورة ، ومن ابرزها حق تقرير المصير ، فهلل لها العرب ، واخذ شعراؤهم يذكرون الرئيس ولسون في شعرهم ويثنون على مبادئه واعماله ، كما فعل الشاعر عبد المحسن الكاظمي (١٨٦٥ — ١٩٣٥) في قصيدة القاها عام ١٩١٩ بعنوان « تحية لرسول السلم » . والشاعر التونسي ابو الحسن بن شعبان (١٨٩٧ —) في قصيدته : « رثاء زعيم السلم العام ولسون » ومطلعها :

بلغت من الدنيا اجل مقام وفارقتها من قبل نيل مرام

غير ان حرية الامم بتقرير مصيرها بقي حبرا على ورق بالنسبة الى الدول العربية ، مما حدا شعراءهم على اظهار خيبة الامل من الحرية التي وعد بها الغرب ثم اخلف بوعده ، فحرر الاسير ليستعبد الامم كما جاء على لسان معروف الرصافي (١٨٧٥ — ١٩٤٥) عام ١٩٢٠ . وكان للشاعر التونسي ابي القاسم الشابي وقفات شديدة هاجم فيها الطغاة ، وبشرهم بانهم سيكونون الضحية الاولى لطغيانهم .

ولم تكن حرية الانسان في المجتمع العربي مرهونة بحريته السياسية ، فقد كان المجتمع يعاني من قيود تنبع منه بالذات ، وتنطلق من تخلفه ومما يسوده من خرافات وعادات مبعثها الجهل والانحطاط . ولم يغفل الشعراء العرب هذه الآفات ، بل فندوها ، ودعوا الى نبذها ، كما صاح الشابي عام ١٩٢٥ صيحته التي يقول في مطلعها :

يا قوم ! عيني شامت للجهل في الجو نارا
تتلو سحابا ركامـا يتلو قتامـا مثـارا

وقد قال الدكتور عز الدين اسماعيل في مقدمته لديوان الشابي : « كانت الدعوة الى تحرير الانسان من قيوده التقليدية البالية هي في الوقت نفسه دعوة الى تحرير الانسان من الظلم السياسي والاجتماعي الواقع به » .

حقوق الانسان

شكل اعلان حقوق الانسان ، على اثر الثورة الفرنسية (١٧٨٩) ، انطلاقة جديدة في جهاد الشعوب لكسب حقوقها . ولم يكن وضع البلاد العربية في ظل الاستبداد التركي مؤاتيا للتوصل الى مكاسب انسانية حضارية . فالعدل يترجح بين يدي الحاكم والسلطان كالسيف المصلت فوق الرؤوس ، فلا حقوق تعطى ولا من يجرؤ على المطالبة بها ، الا ان الاديب المخلص لا يخنق صوت الحق معرضا مصالحه للضرر وحياته للخطر . فلم تمنع ولي الدين يكن (١٨٧٣ — ١٩٢١) التركي الاصل ، العربي المنشأ ، اية اعتبارات من وصف جور الاتراك والتائهم الابرياء في مياه البسفور لمجرد تهمة او وشاية ، مؤرثا في الناس بغضا وثورة دفينة على الاتراك . وازعج الناس ان يروا الشعوب الصغيرة لعبة في يد الشعوب الكبيرة ، وجاهلهم الحق الماثل حيث تميل القوة ، والجيوش تتفانى في سبيل نزوات طائشة ، والكبير منهـا يغلب الصغير . فقال الشاعر اسماعيل صبري عام ١٩١٠ من قصيدة :

والورى طارد ازاء طريـد وعقاب تمسي تطـارد صقـرا
وجيوش يغل من بعضها البعض وهضب كبرى تناطح صخرا

وانبرى الشاعر التونسي ابو الحسن بن شعبان (١٨٩٧ —) يصف اهوال الحرب العالمية الاولى سنة فسنة ، ويستقبل العالم الجديد بما يليق به من تأهيل ، معددا ويلاته ، او مستبشرا بـه ختاما لشرور الحرب الطاحنة . ولا غرو ان يتوقف عند مظالم الخرب المؤثرة عدد كبير من الشعراء ، كما نرى في قصيدتي « البائسة » و « السلم » لخير الدين الزركلي عامي ١٩١٧ و ١٩١٨ . ووقف الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي ، قبيل عام ١٩٢٣ يدافع عن حق الفقير المستضعف ويشجعه ويبشره بفجر منير ، ويصف طمع الغني القادر ، ويحث الحكام على خدمة الشعب بصدق واخلاص لئلا يثور عليهم وينتقم منهم ، حتى انه تبنى الآراء الاشتراكية ، وراح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ينشرها بين مواطنيه ، ومنها :

ان من كدوا يزرعون البقاعا اشبعوا غيرهم وماتوا جياعا
ومن العدل ان يكون نتاج الارض بين المستعمرين مشاعا

ومن ابيات اخرى :

يا ايها الفقراء لا تستيئسوا ، من عيشة يا ايها الفقراء

وحلل الشابي عام ١٩٢٨ ، في قصيدته « بقايا الخريف » ، سبب الحروب ، ومغبتها . فهي نتيجة صراع اهل القصور وجشعهم ، واغتصاب القوي لحق الضعيف ، وتربص الضعيف بالقوي ، وحقده عليه . ونتيجتها ويلات ، ودموع ، وفقر ، ويتم ، وترمل . وكل ذلك يضفي على القصيدة جوا من الحزن والاسى يخيم على مصرع الحق وبسيادة البغض في العالم . ويبين الشاعر نفسه ، في قصيدة اخرى عام ١٩٣٣ ، سخطه على الناس الذين لا ينصفون ، ويبشرهم بالويل من اهوائهم . وحوالي هذا التاريخ وصف الشاعر السوري محمد الفراتي مخلفات الحروب بقوله :

نظرت اذا بجيش هنالك زاحف ... على مثله والجو اغبر اقتم
وفي ساحة « الرين » الجيوش محفة ... بساقي الردى والارض يغمرها الدم
فلله اشلاء هناك تمزقت ... ولله اطفال هناك تيتموا
على مثل هذا يسكب الشيخ دمعه ... ومن مثل هذا يخجل المتعلم

وفي مجال حقوق الانسان تطرق الشعراء الى حق الفقير في ذمة الغني ، والى وجوب العمل على اشاعة المساواة والعدل بين الناس ، وحاربوا التسلط والاستعباد . كما نبد الشاعر المهجري جورج صوايا بالذين يسوغون للاغنياء هضم حقوق الفقراء ، ووصف ما يثيره هذا التصرف من حقد في نفس الفقير ومن توق الى هلاك الغني .

تحرير المراة

لما انفتح العالم العربي على الغرب في القرن الماضي ، اذهلته حرية المراة ، ومشاركتها للرجل في الحياة الثقافية والاجتماعية ، فاخذ يتبنى الآراء التي تتماشى والمجتمع الشرقي المتطور . وقد اجمع الادباء اللبنانيون على ان المعلم بطرس البستاني (١٨١٩ — ١٨٨٣) كان اول صوت يدوي بتحرير المراة وتعليمها ، وذلك بالقائه خطابا في « تعلم المراة » عام ١٨٤٩ . اما الادباء العرب عامة ، فيستحوذ على اذهانهم ان اول من دعا الى تحرير المراة العربية هو رفاعة الطهطاوي (١٨٠١ — ١٨٧٣) ، ثم قاسم امين (١٨٦٥ — ١٩٠٨) ، غير ان تعاليم الطهطاوي ومواقفه الداعية الى تعليم المراة انتشرت في عهد اسماعيل (١٨٦٣ — ١٨٧٩) . وقد اصدر قاسم امين كتابيه « تحرير المراة » و « المراة الجديدة » تباعا في عامي ١٨٩٩ و ١٩٠٠ ، مما يرجح الريادة في الموضوع لاديبنا المعلم بطرس البستاني .

واذا التفتنا الى الشعر العربي في نظرته الى المراة : وتعليمها ، وتبيين دورها الاجتماعي ، ملأت نواظرنا ابيات حافظ ابراهيم (١٨٧٢؟ — ١٩٣٢) في قصيدته « كم ذا يكابد عاشق ويلاقي » التي يقول فيها :

من لي بتربية النساء فانها ... في الشرق علة ذلك الاخفاق
الام مدرسة اذا اعددتها ... اعددت شعبا طيب الاعراق

وان ظل هذا الشاعر متحفظا في دعوته الى تحرير المراة ، فوافق على تحجيبها دون الاسراف في التضييق عليها . واكتفى معروف الرصافي عام ١٩٣١ بالدعوة الى تعليم المراة ، ورفع مستواها ، وهاجم المتعصبين الذين يضيقون عليها ، ونديد بالطلاق من غير ان يتطرق الى الحجاب الذي ثار عليه مواطنه جميل الزهاوي (١٨٦٣ — ١٩٣٦) ، حوالي عام ١٩٣٢ ، بابيات حماسية ثائرة . وكان للشعر العربي ، من بعد ، دور فعال فيما وصلت اليه المراة العربية الحديثة من تقدم ، ورقي ، ومشاركة للرجل في مختلف المجالات .

الطبقيـــة

عالج الشعر العربي وضع الفقراء ، وتحدث عن العدالة الاجتماعية ، كما نرى مثلا شعرا انسانيا ودفاعا عن الفقير لدى نسيب عريضة المولود عام ١٨٨٧ ، وقد قرض الشعر وهو في الخامسة عشرة من عمره . ونرى وصفا لحال الفقراء وحثا على مساعدتهم في قصيدة للامير نسيب ارسلان (١٨٦٧ — ١٩٦٧) عام ١٩١٢ ، ذكر فيها بالثورات والفتن التي اشعلتها الطبقات المحتاجة في وجه مستغليها . كما دعا الشاعر المغربي احمد سكيرج (١٨٧٨ —) الاغنياء الى الاخذ بايدي الفقراء والاهتمام برفع مستواهم من التاحيتين الانسانية والتعليمية في قصيدته : « الى الاغنياء » ، حيث قال :

خذوا بالايادي ايدي الفقراء في ... سلوك طريق العلم تستكملوا القمم

وفي مقدمة الشعراء الداعين الى العدالة الاجتماعية محمد رضا الشبيبي الذي قابل في بعض قصائده بين حالتي الفقير والغني قبل الحرب العالمية الاولى مستثيرا الشفقة والرحمة على الفقير . وانتشرت النظريات الانسانية الاجتماعية في الغرب بعد الثورة الروسية ، واخذ الفلاسفة الاجتماعيون يبثون آراءهم كما فعل الفيلسوف اوغست كونت الذي عرفت مبادئه الانسانية في اميركا الجنوبية على يد تلاميذه ومناصريه من رجال الفكر والادب بعد عام ١٨٢٢ ، ومنها الغاء الطبقية ، وتحرير العبيد ، والتعاون بين الناس .

ولا شك في ان شعراء المهجر في اميركا الجنوبية خاصة افادوا الكثير من نظرياته بعد ان طالعوها في كتابات الادباء المحليين ، فرفضوا التفريق بين الناس بالنسبة لوضعهم الاجتماعي او لونهم او اصلهم . وبشر الشاعر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القروي بانقضاء عصر النخاسة اذ كان العبد يشقى ليسعد السيد ، وراح يبث الثورة في نفوس العمال . وحنن الشاعر توفيق بربر تلوب الناس على حالة البؤساء والفقراء ، ودعا الى اعانتهم محرضا الفقير على الغني الذي لا يستطيع ان يستغني عنه . ونظم الشاعر التونسي سعيد ابو بكر (١٨٩٩ —) قصيدة يدعو فيها جمعية انشأها بعض الاجانب في تونس للرفق بالحيوان ، الى الرفق بالانسان . ونبه بعض شعراء المهجر الجنوبي الى شرف المهن والى انها ليست مدعاة للتمييز بين البشر . فكل المهن ضرورية وشريفة ، والعمل ، مهما كان نوعه ، يرفع قيمة الانسان ويزيد انسانيته . انما الذي يفرق بين عامل وآخر ، فهو الاتقان والامانة والاخلاص في العمل .

ومثل هذه التعاليم دخلت الشرق العربي لتقوي نزعته الانسانية الهادفة الى الحد من تباعد الطبقات (مع العلم ان هذه النزعة لم تكن جديدة كل الجدة على المجتمع العربي ، فقد عرفها مثلا في الزكاة وغيرها) ، فدعا حافظ ابراهيم بين عامي ١٩١٠ و ١٩١٩ الى رعاية الطفل ومساعدة البائس المعذب ، وايواء اليتيم ، ونادى المصلحين للعمل على توزيع ثروة البلاد توزيعا عادلا ، ولمكافحة الغلاء ، فقال من قصيدة :

ايها المصلحون ضاق بنا العيش ... ولم تحسنوا عليه القياما
عزت السلعة الذليلة حتى ... بات مسح الحذاء خطبا جساما
وغدا القوت في يد الناس كاليا ... قوت حتى نسوى الفقر الصياما
وبخال الرغيف في العيد بدرا ... ويظن اللحوم لحما حراما

ورأينا مثلا علي الجارم (١٨٨١ — ١٩٤٩) في العشرينات يسأل الاغنياء عما اذا كانوا قد ادوا واجبهم في مساعدة الفقراء ، ومصطفى الرافعي (١٨٨٠ — ١٩٣٧) يطلب منهم الشفقة على المعولين ، فلا تلهيهم طراوة العيش عن اغاثة بني جنسهم . وما زالت الطبقية مدار صراع عالمي تتنازع في معالجتها المذاهب الفلسفية ، وتدور حولها العقائد السياسية .

تدهور الحضارة الجديدة

يتخذ هذا الموضوع الانساني خطورة خاصة عند العرب الذين نظر تاريخهم الى الغرب نظرة اعجاب ، وتضاءلوا امام منجزاته العظام ، ذلك الغرب الذي ، ما كادوا يفيدون من تقدمه ، ويقتبسون منه ، حتى اطلعوا على نكوصه . ودل ذلك على زوال العقدة الغربية من نفوسهم ، وعلى مواكبتها للحضارة الجديدة . وكان المدنية بلغت في الغرب مبلغا يذكرنا بنظرية العالم العربي ابن خلدون الذي رأى في الحضارة نذير انحطاط وهرم . وكان تدهور الحضارة الغربية ، التي سيطرت عليها الآلة والمادة ، مدار ابحاث مهمة في الغرب من ابرزها كتاب العالم الالماني اسوالد اشبنغلر « تدهور الحضارة الغربية » وكتاب ريمون آرون الجديد « دفاع عن اوروبة المتدهورة » . وربما نتج هذا الوضع عن طغيان التفكير العلمي الذي ينظر الى الخارج متعديا التفكير الانساني الذي يرتد الى داخل الانسان او جوهره . فرفاهية الحضارة الحديثة غير السعادة الداخلية التي يهنأ بها الانسان اذا راعى المجتمع اوضاعه وظروف معيشته . والمظاهر البراقة لا تغني عن الجوهر اذ يخفي الانسان المتمدن حقيقة اهدافه وراء وجهه الانيس الضاحك . وقد التفت ابو القاسم الشابي الى هذا المعنى عام ١٩٢٧ في قوله من قصيدة « الدموع » :

لا يغرنك ابتسام بني الارض ... فخلف الشعاع لذع اللهيب

وهو يذكرنا بقول المتنبي (٩١٥ — ٩٦٥) قبل الف عام :

اذا نظرت نيوب الليث بارزة ... فلا تظنن ان الليث مبتسم

وازاء التدليس الاجتماعي ، يقف الشابي مبتهجا امام الطفولة الحالمة السعيدة عام ١٩٢٨ . وحوالي عام ١٩٣٠ ندد الشاعر العراقي رضا الشبيبي بالمدنية الحديثة ، ونعتها بالخداع ، والكذب ، والقسوة ، والظلم . اما العصر فحري به ان يدعى عصر ضلالات لا عصر هداية . وقد وافقه على ذلك عام ١٩٣١ الشاعر اللبناني امين ناصر الدين الذي رأى ابناء هذا العصر يخبطون في الغياهب ، ويحسبون رقيا ما يجدر به ان يسمى زيغا وشرا .

وقد وعى العربي المثقف خطر العلوم المادية على المجتمع اذا لم ترافقها اخلاق قويمة ، وفلسفة انسانية متطورة . ويمكننا ان نضع ردة فعل العرب هذه في اطار المقاومة العالمية التي تلقاها الحضارة الحديثة من قبل النشء ، والفلاسفة ، ورجال الفكر ، والمتصوفين الذين يعودون بالانسانية الى منابعها الاصيلة .

وليم الخازن

في مطلع كل شهر

اطلبوا

الاديب

من الباعة والمكتبات

اللحن الحزين

الدكتور ابو فراس النطافي

الكويت

لا تذكر البعد واذكر طيب لقيانا ... فبين ذاك وذا شتان شتانا
دع الفؤاد مع الاحباب منطلقا ... يلهو ويمرح نشوانا وجذلانا
يشارك الصحب والاهلين فرحتهم ... ويملأ الكون انغاما والحانا
فبهجة العمر ايام لها عدد ... تمضي سراعا ، وليل البؤس يغشانا
فمن طباع الليالي انها جعلت ... بين التداني وبين الناي شريانا
فما تجمعنا الا لفرقتنا ... وما مسرتنا الا لشكوانا
فقد خبرت الليالي في تقلبها ... تفرق الناس ارواحا وابدانا
فلم أذق حلوها الا تجرعني ... كاس المرارة بالآلام ملآنا
ولم أزل وصروف الدهر تتبعني ... ظلما وبعدا وتشريدا وحرمانا
حتى فقدت أعز الناس منزلة ... عندي ، وأكثرهم فضلا واحسانا
شربت من وده الصافي وراحته ... لي شهيا ، واخلاصا ، وايمانا
فما الجمال — وان لاقيت — ينقصه ... ولا الفضائل ما زين انسانا
كل المحاسن فيه ، انه ملك ... يغاير الناس تكوينا ووجدانا
فقدته وضحا ، والنفس حائمة ... عليه ، تلثمه شوقا وتحنانا
تمجد الروح في بلور خالقها ... وتعشق الجسم بالانداء ريانا
فغاب نجمي ، ودار السعد مختفيا ... عني ، وخلفني في الحزن غرقانا
وجف عودي ، وأوراق الندى يبست ... على الغصون بآذار ونيسانا
والطير صامتة حولي ، فما هزجت ... لحنا ، ولا الفت روضا وبستانا
والدار باكية ، في كل زاوية ... منها ، أحس مناحات واشجانا
أسائل المنزل المهجور أين غدت ... أين التي ملأت دنياي ريحانا
ما بال (نادية) شبطت مرابعها ... وأبقت الدار اشباحا واكفانا
اشم رائحة الازهار في وله ... لعل فيها بقايا من بقايانا
واحضن الشال والمنديل محترقا ... بالشوق يوقد في الاحشاء نيرانا
وكلما نظرت عيني لصورتها ... أغالب الدمع في العينين هتانا
واترك الدار مذعورا على عجل ... كأن في الدار عفريتا وشيطانا
هذا الزمان ، وهذي جل صنعته ... يفرق الاهل والاحباب مذكانا
ويترك الدار بعد الانس موحشة ... والروض بعد الشذا شوكا وعيدانا
وذا التلاقي — وان جاد الزمان به — ... يعود هجرا وسلوانا ونسيانا
فيا ربيع فؤادي اينما نزلت ، ... أنت الربيع الذي قد زان دنيايا
حسب الهوى أنني أحيا على أمل ... فربما جادت الدنيا بلقيانا
وربما عطفت بالود غائبة ... على اليف لها بالعهد ما خانا
فانت في القلب رغم البعد نازلة ... لن تبرحي القلب مهما شط مرسانا
حبيبة الروح لن انساك ما خفقت ... في الحياة وظل القلب يقظانا
ولن اقول وداعا لست احمله ... فدونه الموت بل في الموت سلوانا
فالعيش بعدكم شحت موارده ... والحظ عاكسنا ، والدهر عادانا
فانكم كنتم للروح بهجتها ... وللفؤاد هناء منذ لقيانا
نهون عندكم ، لكن حبكم ... في القلب باق — وحق الله — ماهانا
لن يستطيع اليف بعدكم ابدا ... ان يشغل القلب او ينسيه ذكرانا
ولا التقائي مع الاصحاب يشغلني ... عمن أحب وينسيني الذي كانا
وكيف انسى ونار الشوق تحرقني ... وتصهر الروح آلاما واحزانا
فلا تظني بنات الشعر موهبة ... على الطروس جرت معنى وأوزانا
او انها قبس من فيض معرفة ... جادت بها خبرة الايام عقيانا
هذي عصارة قلب ذاب من كمد ... سالت على الطرس انغاما والحانا
فانني حين انشدو فيك قافية ... أذوب فيها أحاسيسا ووجدانا
ويعلم الله اني في مكابدتي ... ذقت العذاب تلاوينا والوانا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد العدناني

عثرات الادباء

بقلم محمد العدناني

* * *

تبقي عندي مال ، تبقيت عندي مالا

ويخطئون من يقول : تبقى (بفتح ففتح فتضعيف) عندي مال ، وتبقيت عندي مالا ، ويقولون ان الصواب هو : بقي عندي مال ، وابقيت عندي مالا .

ولكن :

(ا) اجاز لنا المصباح ان نستعمل الفعل (تبقى) لازما ، حين قال : تبقى من الدية كذا .

(ب) واجاز لنا استعمال الفعل (تبقى) متعديا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، حين قال : « تبقه (بفتح ففتح مضعف فسكون) وتوقه (مثل تبقه) » اي : استبق النفس ولا تعرضها للهلاك ، وتحرز من الآفات . أما الهاء في الفعلين فهي للسكت .

وممن استعمل الفعل (تبقى) متعديا ايضا : الصحاح ، والنهاية ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، وقولي في احدى قصائدي :

ان تبقيت يا زماني سهما ... لم يضرج بدمع قلبي فهاته

(ج) واجاز لنا استعمال الفعل (تبقى) لازما ومتعديا : المد والوسيط .

البكـرة (بفتح الباء وتسكين الكاف وفتحها)

الاسطوانة المصنوعة من الخشب ونحوه ، والتي تلف عليها الحبال ، يخطئون (بتضعيف الطاء) من يسميها بكرة (بفتح ففتح) ، ويقولون ان الصواب هو البكرة (بفتح فسكون) ، لان الصحاح ، وابن مكي الصقلي في « تثقيف اللسان » ، وابن الجوزي في « تقويم اللسان » ، والنهاية ، والمختار اكتفت بذكر البكرة (بفتح فسكون) ، ولان الصقلي وابن الجوزي حذرا من استعمال البكرة (بفتح ففتح) .

ولكن :

اجاز لنا استعمال البكرة (بتسكين الكاف) والبكرة (بفتحها) كلتيهما كل من الليث بن سعد ، والتهذيب ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمحكم ، والصاغاني ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وتجمع البكرة (بفتح فسكون) على بكر (بفتح ففتح) ، وهو من شواذ الجمع ، لان فعلة (بفتح فسكون) لا تجمع على فعل (بفتح ففتح) ، الا احرفا (كلمات) ، مثل : حلقة وحلق ، وحماة وحما ، وبكرة وبكر كما يقول كثير من المعاجم . اما البكرة (بفتح ففتح) فتجمع على بكرات (بفتح ففتح) . وتسكين الكاف اعلى من فتحها .

البكـر (بكسر فسكون)

ويخطئون من يسمي المراة ، بعد ان يدخل بها الرجل بكرا (بكسر فسكون) . ويقولون ان البكر هي المراة قبل ان يدخل بها الرجل (نقلها الازهري عن الليث بن سعد) ، وتسمى ثيبا (بفتح فياء مضعفة مكسورة) بعد ان يدخل بها الرجل (نقلها الازهري عن الحراني عن ابن السكيت) .

ويخطئون ايضا من يسمي الرجل ، الذي لم يتزوج ، بكرا (بكسر فسكون) ، ويرون ان الصواب هو : عزب (بفتح الزاي) ، وعازب ، وعزيب (بفتح فكسر) ، واعزب ، ومعزابة (راجع معجم الاخطاء الشائعة للعدناني) .

وهم مخطئون في الحالين ، اذ :

(ا) جاء في الاضداد لابن الانباري : يقال : امراة بكر (بكسر فسكون) ، قبل ان يدخل بها الرجل ، ويقال لها بكر بعد ان يدخل بها . ويقال للولد الاول بكر (بكسر فسكون) ، ولأبيه بكر ، ولأمه بكر . وروى ابو عبيد عن الكسائي : هذا بكر ابويه ، وهذه بكر ابويها : اول ولد يولد لهما .

(٢) وجاء في المغرب والمصباح : والبكر خلاف الثيب ، رجلا كان او امراة ، وهو الذي لم يتزوج .

(٣) وقال المتن : البكر :

(ا) العذراء لم تفتض . والمصدر : البكارة (بفتح الباء) .

(ب) الرجل لم يقرب امراة بعد .

(ج) اول ولد ابويه ؛ جارية كان او غلاما .

(د) التي تلد بطنا واحدا ؛ امراة كانت او ناقة .

والجمع : ابكار وبكار (بكسر الباء في الجمع الثاني) .

(هـ) البكر من كل شيء : اوله (مجاز) . والجمع : ابكار .

(٤) وقال الوسيط : البكر (بكسر فسكون) :

(أ) العذراء .

(ب) الرجل لم يتزوج .

(٥) وروى التضاد عن ابي الطيب اللغوي ، انه قال : « البكر من النساء : التي لم تفتض ، والبكر : التي ولدت اول بطن » . وهو ما قاله معجم مقاييس اللغة ايضا .

ومع ذلك :

لا انصح باستعمال كلمة بكر (بكسر فسكون) الا للعذراء ، لان هذا هو المعنى المعروف ، ولا حاجة بنا الى استعمال المعنى الثاني (ب) ، الذي ذكره الوسيط . وفي الحديث : « عليكم بالابكار ، فانهن اعذب افواها ، وانتق ارحاما » . اي : اكثر اولادا .

بكم وبكمان وأبكام

ويخطئون من يجمع الابكم على بكمان (بضم فسكون) ، ويقولون ان الصواب هو : بكم (بضم فسكون) ، لان القياس هو ان نجمع افعل فعلاء على فعل (بضم فسكون) . ومؤنث الابكم هو البكماء .

ولكن :

شذت كلمة ابكم ، فجمعت على :

(١) بكم (بضم فسكون) : وردت في القرآن الكريم في الآية ٩٧ من سورة الاسراء ، وذكر البكم ايضا : معجم الفاظ القرآن الكريم ، والازهري ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

(٢) وبكمان (بضم فسكون) : الازهري ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط الذي قال انها جمع بكيم ، والحقيقة هي ان البكم والبكمان هما جمع الابكم .

اما البكيم (بفتح فكسر) الذي يحمل معنى الابكم فجمعه :

(٣) ابكام (بفتح فسكون) : ابن دريد ، ومعجم مقاييس اللغة ، ومستدرك التاج ، والمد ، وذيل اقرب الموارد .

اما المتن فقال ان الجمع (ابكام) هو جمع الجمع .

وممن ذكر ان معنى البكيم كالابكم : الصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمختار ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وانشد الجوهري :

غلبت لساني كان نصفين منهما بكيم ، ونصف عند مجرى الكواكب

واهمل النهاية ذكر البكيم ، واكتفى بذكر الابكم .

اما فعله فهو :

(أ) بكم (بفتح فكسر) يبكم (بفتح الكاف) بكما (بفتح فتح) .

(ب) بكم (بفتح فضم) يبكم (بضم الكاف) بكامة (بفتح الباء) : انقطع عن الكلام جهلا ، او تعمدا فهو : بكيم (بفتح فكسر) .

بلصه (بفتح فتضعيف) من ماله

يقولون : بلص (بفتح فتح) فلانا ماله (بفتح اللام) ، وبلص فلانا من ماله ، ولم اعثر على الجملة الاولى في المعاجم ، وعثرت على الجملة الثانية في محيط المحيط الذي اخطأ ، ولجأ اليه الوسيط — كما ارجح — فأخطأ مثله ، لانني لم اجد جملة (بلصه من ماله) في المعجمات الاخرى .

والصواب هو : بلصه (بفتح فتضعيف) من ماله : سلبه اياه ، كما يقول ابن عباد ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، وعبد القادر المغربي في « عثرات الاقلام في اللغة » ، والوسيط .

وقد اهمل ذكر الفعل بلصه (بفتح فتضعيف) : التهذيب ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والمد ، ودوزي .

البلوعة (بتضعيف اللام) ، البالوعة ، البلاعة (بتضعيف اللام) ، البليعة (بضم فتضعيف اللام المفتوحة)

ويظنون ان البلوعة (بتضعيف اللام المضمومة) ، وهي الثقب المعد لتحريف الماء ، هي كلمة عامية . ولكنها فصيحة : ابن درستويه ، والصحاح ، وهامش معجم مقاييس اللغة ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، ومحمد علي النجار ، والوسيط .

ومثلها البالوعة : ادب الكاتب ، وابن درستويه ، والتهذيب ، والصحاح ، وهامش معجم مقاييس اللغة ، والبطليوسي ، وابن الجوزي في «تقويم اللسان» ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

والبلاعة (بتضعيف اللام) كالبلوعة (بتضعيف اللام) والبالوعة : ادب الكاتب ؛ وابن درستويه ، وهماش معجم مقاييس اللغة ، والبطليوسي ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط . ودوزي ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وينفرد معجم مقاييس اللغة بذكر البالوع .

ويزيد التاج ، والمد ، والمتن اسما رابعا هو : البليعة (بضم ، فتضعيف اللام المفتوحة فسكون) .

ويقول اللسان ان البالوعة هي لغة اهل البصرة .

وتجمع البلوعة (بتضعيف اللام المضمومة) ، والبلاعة ، والبالوعة على : بواليع وبلاليع .

اما البليعة (بضم فتضعيف اللام المفتوحة ، فسكون) فجمعها : بليعات .

سعد بلع (بضم ففتح)

سعد بلع هو احد منازل القمر من سعود النجوم ، وهي عشرة ، اربعة منها من منازل القمر ، وتسميه العامة سعد بلع (بفتح ففتح) ، والصواب : سعد بلع (بضم ففتح) كما قال الليث بن سعد ، وحمزة الاصفهاني في كتابه « التنبيه على حدوث التصحيف » ، وابن القوطية ، والازهري ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

اما البلع (بضم ففتح) من الناس فهو الاكول .

بلال (بكسر الباء)

ويطلقون على ابنائهم اسم مؤذن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وخازنه على بيت ماله ، بلال بن رباح (بفتح الراء) الحبشي ، ويفتحون باء (بلال) ، والصواب : كسرها .

ابل من دائه ، بل منه

ويخطئون من يقول : بل (بفتح فتضعيف) فلان من دائه ، ويقولون ان الصواب هو : ابل (بفتح ففتح فتضعيف) من دائه : اي : حسنت حاله بعد الهزال وصح . وقد اكتفى الثعالبي في باب الامراض والادواء من كتابه « فقه اللغة » بقوله : « اذا تكامل برء المريض فهو مبل (بضم فكسر فتضعيف) ولم يقل هو بال (بتضعيف اللام) » .

ولكن :

يجيز استعمال الجملتين : (ابل من دائه) و (بل منه) كلتيهما : تهذيب الالفاظ لابن السكيت في (باب المرض) ومعجم مقاييس اللغة ، اللذان استشهدا بقول الشاعر : اذا بل من داء به ، ظن انه نجا ، وبه الداء الذي هو قاتله (يعني البرء) . ويجيز استعمال الجملتين ايضا : ادب الكاتب (في باب ابنية الافعال) ، والالفاظ الكتابية لعبد الرحمن البرقوقي (في باب القيام من الامراض) ، والصحاح الذي استشهد بقول الشاعر يصف عجوزا :

ممحمحة لا تشتكي الدهر راسها وتسو نكزتها حبة لابلت

(الممحمحة : الجلعاء) ، والمحكم ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

والافعال : استبل (بتضعيف اللام) من مرضه . وابتل ، وتبلل تحمل معنى الفعل : ابل من دائه وبل .

وفعله : بل يبل (بكسر الباء) بلا (بفتح الباء) وبللا (بفتح اللام الاولى) ، وبلولا .

التابل ، التابل (بفتح الباء وكسرها فيهما)

التابل ، التوبل ، التوابل

ابزار الطعام ، اي ما يطيب به الغذاء من الاشياء اليابسة كالفلفل والكمون وامثالهما ، ينسمونها البهارات (بفتح الباء وضمها) . والصواب هو التوابل ، ومفردها :

(١) التابل (بفتح الباء) التهذيب ، والصحاح ، وابو عبيد البكري ، وابن الجواليقي ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط (اقرها مجمع القاهرة) .

(٢) والتابل (بكسر الباء) : الصحاح ، والمختار ، واللسان ، والمصباح (قد تكسر الباء) ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط (اقرها مجمع القاهرة) .

(٣) والتابل (بفتح الباء) : ابن جني ، والمحكم ، واللسان ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن .

(٤) والتوبل (بفتح التاء وتسكين الواو وفتح الباء) : ابن الاعرابي ، والتهذيب ، وهامش الصحاح ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، والمتن ، والوسيط .

وجاء في المصباح : يقال ان التابل معرب .

ويقال منه : توبلت (بفتح فسكون ففتح) التدر ، وتبلتها (بفتح ففتح فسكون) ، وتبلتها (بفتح فتضعيف) ؛ اذا القيت فيها التوابل .

اما بائع التوابل فيسمى التبال (بفتح فتضعيف) .

بيروت : شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني رقم ٣

محمد العدناني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نعمت عامر

شواعر.. يبكين ازواجهن

بقلم نعمت عامر

* * *

احسست لاعج الحسرة بفقد القرين ، ونظمت من دموع الرثاء ما نظمت . وكنت حينما استشعر التجربة المريرة ، واحاول التعبير عنها ، اشعر بالمرارة في حلقي ، والشجى في صدري ، فكنت انقطع عن الصياغة لأهدىء من توتري المشتعل ، حتى اذا سكنت بعض الشيء ، عاودت النظم ، لأستشعر الغصة من جديد ..

وكنت أسائل نفسي :

انا الايم الوحيدة .. تلقى ... تبعات الاسى على كتفيا ؟!

مع الاعتذار للاخطل الصغير عما احدثته في بيته البليغ من تعديل .. ليوافق مقتضى الحال ...

فمذ ودعته ما لي كأني ... عميت ، فلا ارى .. الا ضياه
وانظر : اينما يممت طرفي ... فطرفي ، لا يرى احدا سواه
يصور لي من الظلمات وجها ... فيجلوها .. ويبدو لي سناه
تلاشى النور عما كان حولي ... وفارق كل ما حولي بهاه
وهاذا ، وآمالي : دموع ... غزار ، لا تفوه بها شفاه

وقد علقت هذه الابيات بالذاكرة ، ولا ادري من هو تناولها . وهي ترجمان ما اعاني بعد فقد الزوج الحبيب .. واظنها لشاعر الماني ، ترجمت عنه .

وقد كنت استكثر من قبل قول المرحوم الدكتور زكي مبارك في (العشاق الثلاثة) :

« اين الرجل الذي لا يروعه دخول ارمان في قبر مرجريت ؟

اين الرجل الذي لا يهوله ما حدث ابن حزم عن العقيلة التي قضت الليل في حضن زوجها الميت ، لتذوق مرارة الالم لآخر العهد بالوصال ! » .

وعندما اصبحت يدي في النار ، علمت كيف تكون الفجيعة ..

وقلت : أطالع صفحات الادب العربي ، لأستمع الى زميلات شواعر ، ووجهن بما ووجهت به من فقد القرين .. ووا حر قلبي حين رايت المأساة عامة ، والمحنة مشتركة : اشهد لقد كنت اقطع القراءة لأهدىء من لوعة نفسي ، كما كنت اقطع النظم لأسكن من عواصف انفعالاتي .

ان الاحساس الصادق اذا صادف من مرت بتجربة من هذا النوع يشتعل كأعنف الاعاصير .. رباه ! هل قدر على ان استجير من الرمضاء بالنار ؟!

على ان الباكيات — فيما قرات — صنوف والوان : فمنهن الذاهلة التي ترصد مشاعرها الهائجة تحت وقدة الحزن ، دون اكتراث .. ومنهن التي تحاول التعقل لتبدو هادئة رزينة .. ولعل لها حواسد ، ترى الا تبعث ثناتتهن باظهار الشجن المذيب .

ومنهن ذات التحليل الدقيق ، التي تبدأ بالخاطرة العابرة ، لتتجاوزها الى ما يلي السطح من الثوران ! ليس ذلك فقط في رثاء المراة لزوجها الحبيب ، بل في اكثر ما قراته من دموع ذرفتها حواء على الاب والابن والاخ ! وليس المجال مجال استيعاب وتمحيص لجميع ما قيل ؛ بل المجال مقصور على مراثي الازواج ! واي عزيز هو الزوج !

لقد وقفت عند الشاعرة (صفية الباهلية) طويلا . في رثائها الدامع لزوجها ، فماذا وجدت ؟

لقد وجدت الشاعرة التي لا تسجل خواطرها سافرة كما تجيء ، بل تختار لها ابهى حلل الجمال ، من صور الخيال ! لقد وجدت نفسها وحيدة بعد قرينها الذي اخنى عليه ريب المنون ! فانتقل خاطرها الى مشهدين رائعين ؛ مشهد غصنين ناضرين جميلين في دوحة زاهية فينانة : بسقا وامتدا واستنضرا الثمر ، وزها الورق ، حتى اذا ملآ العيون جمالا ومتعة وبهجة ، سقط غصن منهما مفارقا اخاه ! ويا لوحشة الباقي بعد فراق الماضي !

اما المشهد الآخر ، فمشهد الاسرة برمتها حين غاب عائلها !

اتدري كيف صورت الشاعرة هذا المشهد ؟ لقد صورته بمشهد ليل يزدهي بقمره ونجومه ! ثم هوى القمر فجأة ، تاركا اسداف الظلام عن شمال ويمين !

اذا عرفت ذلك كله ، فاستمع الى (صفية الباهلية) ، في رثائها زوجها الحبيب :

عشنا جميعا ، كغصني بانة سمعا ... حينا على خير ما تنمو به الشجر
حتى اذا قيل قد طابت فروعهما ... وطال قنواهما واستنضر الثمر
اخنى على واحدي ريب الزمان وما ... يبقي الزمان على شيء ولا يذر
كنا كتاجم ليل ، بيننا قمر ... يجلو الدجى ، فهوى من بيننا القمر
فاذهب وحيدا على ما كان من اثر ... فقد ذهبت ، وانت السمع والبصر

اما الصراع المدمر الذي يزلزل اعلى الجبال . فهو ما تعرضت له (جليلة بنت مرة) حين اغتال اخوها (جساس) زوجها الحبيب (كليبا) سيد بني ربيعة ، واي زوج كان كليب ؟ كان زين الشباب في جرأته وبسالته ، وكرمه وشبابه ؟ وكان سيد العرب في مجده ، وجليلة الزوجة المفتان صاحبة امره ، ومثوى هواه وموضع نجواه ! لقد خطفه الموت اغتيالا على يد شقيقها جساس !

لقد صارت النكبة نكبتين ! ثم ها هي تلتفت في اسرة زوجها فتجد الحاقدات الشامتات يكلن لها السباب ، وكأنها عدوة الراحل الصريع ، وما اصيبت واحدة منهن بأفجع مما اصيبت وحدها به ! وتمد عينها للمستقبل القريب فتشهد صورة جساس وقد لقي مصرعه انتقاما وتشفيا ، وهو ملاذ العائلة الاخرى التي ستنتقل اليها مكرهة ! . . اي امواج من الحسرة تعصف بكيانها الرقيق ! وقد وجدت اللائمات يسلقنها بألسنة حداد ، ورأت بيتها العريق الماضي يهدم ! لينهدم بعده بيتها الجديد ، حين يصرع جساس !

لاظن انثى وقفت هذا الموقف من قبل الا في ابعاد مترامية من السنين ! فقد يموت الزوج وتثكله الزوجة ، اما ان يموت الزوج بيد الاخ ، ثم يموت الاخ قصاصا لما اجرم ، فمن افجع ما يرمي به الزمن على راس حواء !

ولم تكن جليلة في حاجة الى صورة فنية تصور اشجانها في ظلال الاستعارة والتشبيه ، لان الواقع اقوى من كل خيال ، فلتكتف حينئذ بالواقع حين تقول :

جل عندي فعل جساس فيا ... حسرتي عما انجلى او ينجلي
يا قتيلا قوض الدهر به ... سعف بيتي جميعا ، من عل
هدم البيت الذي استحدثته ... وانثنى .. في هدم بيتي الاول
يا نسائي دونكن اليوم قد ... خصني الدهر برزء معضل
خصني قتل كليب بلظى ... من ورائي ، ولظى مستقبل
يشتفي المدرك بالثار ولي ... دركي ثاري تكل المنكل
انني قاتلة مقتولة ... ولعل الله ان يرتاح لي

اي لعل الله يختارها لجواره . .

ونترك جليلة ذات المصيبتين الى اخرى ذات مصيبة واحدة ، وهي فتاة انصارية تزوجت مالك بن عمر الغساني ، ثم مات فجأة في معركة خسرها ؛ وذهلت لدى الفاجعة ذهول التي لا تحس ولا ترى ، وكأنها شبح يتحرك ، لا عقل لها يفكر ، ورأى اهلها بعد ان تطاول عليها الامد تُرابة عامين ، ان تتزوج بسيد آخر ، فقد تسلو ويرجع صوابها ، وكأنها ليلة الزفاف قد استرجعت رشادها فجأة . . فصرخت في العرس صرخات مفزعة ، وصاحت وهي كأنها تولول لاطمة نادبة :

يقول رجال زوجوها لعلها ... تفيق وترضى بعده بحليل
فاضمرت في النفس الذي ليس بعده ... رجاء لها ، والصدق اشرف قيل
ابعد ابن عمرو سيد القوم مالك ... ازف لبعض الناس ؟ ضل سبيلي
وخير في اصحابه ان مالكا ... جواد بما في الرحل غير بخيل
وخير في اصحابه ان مالكا ... ثوى وتنادى صحبه برحيل
وما كان يثريني خليلي بخلة ... وما كنت اثري مالكا .. بخليل

فقام الزوج الجديد راحلا ، وترك كل ما حمل من المهر والكساء !

لقد رحل الرجل حين سمع الولولة الصارخة في تكرار قولها « وخير في اصحابه ان مالكا » وهل يطيق ان يسمع من جعلوها زوجته تعدد مآثر هذا السيد الشجاع ! فهو جواد بما في الرحل ، وهو وفي لا يشرك صاحبته بأخرى ! كان الزوج الجديد كريما حقا ، ولكن صاحبتنا كانت اكرم واوفى !

وهذا العلاج الذي اقترحه الاهل ، واعني به زفاف الارملة الى زوج جديد ، نجد نظيرا له في الشعر الاوربي الحديث ، اذ يقول الشاعر الارميني « هوفان تومانين » المعاصر في قصيدته (سنة الحياة) ، ما ترجمته :

انثرقين بدمع جد منهمر ... يا حلوتي .. بدروب الشجو والذكر
وتصبحين مع الاشجان ممسية ... وترتعين بواد .. غير ذي ثمر
.. خذي القضاء كما قد حم وامتثلي ... فكل شيء جرى .. يجري على قدر

ان كان زهر سلو ، عز مطلبه ... ما تنشدين ؟ .. ربيع هل ، فابتدري
او كان فرط حنين للحبيب وقد ... شط المزار، بجوف القبر، فاصطبري
فلا النحيب بمجد .. ان يرد لنا ... عهد الاحبة في ماض من العمر
وما انتفاع عيون غاض رونقها ... بما تبدد من سحر ومن حور
وهل بسكب دموع فوق مقبرة ... بعث لعهد الهوى..والانس والسمر

هيهات ! هيهات ما قد راح ندركه ... ما راح ادبر .. لا يلوي على اثر
هيا الى الحب في احياء ايكته ... قبل المشيب .. فهذي سنة البشر
نديل دولة حب آفل غده ... نعم التداوي بحب غيره .. نضر
فاستقبلي العيش والآمال صابرة ... اذ لا بطاق دوام الحزن والكمد

وقد ينفع ما ورد في هذه القصيدة لدى المتصبرات المستسلمات ! وكم قد رأينا من مفجوعة بحبيبها بكت ما بكت ، ومضى الليل يعقبه النهار ، حتى اندمل الجرح ، وتاقت للجديد .. ولا الومها ، فلكل ظروفها الضاغطة : وازماتها المكرهة ، ووحدتها المرغمة ، كما قد رأينا في

عروسة الحاصبي

تيهي على الايام والحقب ... صداحة يا درة العرب
صوت يجدد بالهوى نغما ... ينسي المتيم غصة الكرب
آيات فن لم تزل علما ... في صفحة التاريخ ـ والادب
دنيا من الانغام راقصة ... ومفاتن تدعو الى الريب
اهدى الزمان اليك عزته ... وترنح العاصي من الطرب
حتى تلوى بعد قسوته ... وحنا اليك بقلبه الجدب
« تاغورتي » يا روح خاطرتي ... وسطور تاريخي ومهد أبي

تجلو الهموم فلا يعاودني ... من ذكرها شبح من الوصب
اشكو اليها كل لاعجة ... فتبوح (انتها) بكل خبي
أبقى مع الذكرى أعانقها ... فتزيل صفرة لوني الشحب
للفن لوح عبر دورتها ... والشعر بعض نشيدها العذب
بين الضلوع صدى مسامعها ... وبصوتها الهادي مدى العجب
هني .... الالهام ساكنة ... في مهجة الشعراء والكتب
تمشي مع النسيان سابحة ... ويضيع في دورانها عجبي
قعد الزمان بحصنها ففغا ... في سكرة من صدرها الرحب
خلعت ستور عفافها ومضت ... تهفو الى العاصي بلا سبب
ان جف شعري انت رافده ... او جاد ، منك خواطر الادب

حماه ـ سورية ... وليد حجار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الناحية المقابلة من تحدت الظروف وصارعت الازمات ، وظلت وحيدة يرافقها الحزن ، ويلازمها التذكر حتى الممات !

قال الهيثم بن عدي : كان في بني عامر بن صعصعة امراة توفي عنها زوجها ، ومضى وقت فتساءل الناس عنها ؟ وقالها ابنا عم من احسن الشباب ، فقالا لابيها :

ابنتك وحيدة شابة ، والقول في مثلها يسهل وينتشر ، ونريد ان تختار احدنا ..

فأطرق والدها ، ثم استدعاها ، واخبرها بما قالا ..

فسكتت ، ثم التفتت الى ابني عمها تقول :

فان تسالاني عن هواي فانه ... مضى ، وانقضى يا ايها الفتيان
واني لاستحييه ، والموت بيننا ... كما كنت استحييه حين يراني
اهابك اجلالا .. وان كنت في الثرى ... لوجهك يوما .. ان يسؤك مكاني

ثم انصرفت ، فيئسنا منها ! وذهبا وتركاها ..

ان استعراض هذه الزفرات ، ينفس عن بخار هائج يغلي به الصدر ، فالدنيا مسرح للشجى ، وما بها الا حزين يتأسى بحزين ، اليوم او غدا ..

و لاكذب حين اقول ان للرجال في زوجاتهن الفقيدات شعرا نائحا ملتاعا ، مثل النابغين : عزيز اباظة في (انات حائرة) وعبد الرحمن صدقي في (من وحي المراة) .. ولكن شعر المراة في هذا المجال افجع وادمع ، لان الرجل كثيرا ما تلتئم جراحه ، اذ يستجيب سريعا الى منطق الواقع ، اما حواء .. اما حواء فذات احلام عريضة ممتدة ، وقد تعيش في احلامها الماضية ، وكانها في واقع مشهود !

واني لاستشعر برد الراحة اذ اقرا ما كتبت الزوجات عن اعزائهن ، وفي تراثنا الادبي نظائر رائعة لما قدمت ، وما اريد ان احصي ، فحسبي ان اختار ، على اني اذا تركت فلن اترك قول فاطمة الخزاعية في رثاء زوجها ، ويا له من تصوير بليغ ، ذي لوعة وانكسار :

قد كنت ذات حمية ما عشت لي ... امشي البراز ، وكنت انت جناحي
فاليوم اخضع للذليل واتقي ... منه ، وادفع ظالمي بالراح

مصر الجديدة ... نعمت عامر

هـوت صفعته على خـدي .. ارتعبت .. تساءلت : ماذا فعلت ؟.. هذه اول مرة يضربني ابي دون سابق انذار .. لـم افعل شيئا يستحق العقاب .. لم يحدث شيء منذ جئنا بيتنا الجديد .. نبدو كأسرة سعيدة فرحة بتملك بيت .. ماذا اذن ؟ .. هل لاني لعبت بالامس مـع بعض الصبية مـن جيراننا الجدد ؟ لـم انشاجر ليشكوني احدهم .. اذهب الـى مدرستي كالمعتاد .. علاقتي بأخوي الصغيرين على ما يرام .. لـم اغضب امي طيلة الايام التي قضيناها في بيتنا الجديد ...

كانت صفعة ابي قوية ابكتني ، وكانت النذير لاخي فاتكمش .. ثم هرول الى امه .. امه امي ، وابوه ابي ، والبيت بيتنا .. شيده ابي ليتركه ميراثا لنا .. كان ابي يقول في الميراث قبـل ذلك « اكبـد واكدح لاعلمكم ، بعد حصولكم على الشهادات تنقضي مأموريتي في الحياة » .. اليوم يقول « سـاترك لكم بيتا » ..

كنت حريصا منذ سنواتي الاولى على العلم .. ادرس جيدا .. انجح دوما .. هـل كانت صفعته لان الامتحان اقترب ويريد ان يذكرني؟ .. انني لم اقصر في القيام بواجبي ..

تركني ، تركت راسي تسقط امامي ، ابتل صدر جلبابي بدموعي .. ربت اخي على ظهري وقال :

ـــ لعله رآنا ..

قلت :

ـــ وماذا فعلنا ؟

قال :

ـــ الم تضع القلم داخل زجاجة الفانوس .. كاد يحترق ..

قلت :

ـــ لكنه لم يحترق ..

يبدو ان امي كانت تستمع الى حوارنا .. جاءت وامسكت باذني قائلة :

ـــ سيحترق في المرة القادمة ان فعلت ذلك ثانية ..

تحسست خـدي بيدي .. ثـم مسحت على اذني .. ثم قمت تلبية لدعوة امي للعشـاء ..

* * *

كانت تريزا تسكن بجوارنا .. عرفتها دون افراد اسرتها .. هممت بها ، وبشعرها الطويـل المنسدل خلـف ظهرها كذيل الحصان الاصيل ... كل مسـاء ، قبل حلول الظلام تقف بباب

اشياء في الذاكرة

بقلم جمعه محمد جمعه

بيتها واقف بباب بيتنـا .. تشق الابتسامة الهواء كالشهاب .. قبول حسن ، وايجاب احسن .. كـان اكتشافي رائعا انهـا تلـم بالقراءة والكتابة .. لعلها كانت تكبرني لانني لم ارها يوما في ذهاب او في اياب من والى المدرسـة .. حلمت بلقائها في اي طريق .. صعب علي تدبير امر هذا اللقاء .. كانت تريزا اشبه بزهرة متألقة وسط حديقة جـرداء يعيش الفقر آمنا في ربوعها .. لم يكن بالحي كله مدرسـة واحدة ، كانت مدرستي تبعد كثيرا عن البيت .. كانت امي تقول لابي : « كنا هناك داخـل المدينة امـا الآن فنحن في اطرافها .. » ويقول ابي ردا عليها : « كنا نستاجر سكنا اما الآن فالبيت ملكنا .. » ..

اشعر كـل مسـاء بخفقان الطير الذبيح بين جوانحي .. ما ان ارى تريزا ينشد قلبي اغنية شائعة تقول « يا امه القمر ع الباب » .. رائعة تريزا .. يبدو انها الوحيدة المدللة في بيت اسرتها .. دائما نظيفة متألقة دون اخواتها .. يبدو انها لا تقوم بعمل ما في البيت .. آه .. متى يتحقق الحلم !

كلمـات سـاذجـة مـلأت بهـا السـطور .. قلت : احبك .. اتمنى ان اراك بعيـدا .. هـل تحددين الموعد ؟ .. متى واين ؟ .. لو امكن فليكن يوم عطلة المدرسة .. اخذت اطوي ، واطوي في الورقة حتـى صارت في حجم قطعة « اللبان » ..

وقفت بباب البيت وكانت هناك .. اشارت بيدها .. هللت بيدي ، وفي يدي الاخرى قطعة « اللبان » فهمت من اشاراتها ان اتبعها .. دخلت البيت .. ارتديت مسرعا ملابسي .. هرولت خارجا الـى الاتجاه الذي انطلقت فيه .. تملكني الهوى .. رقص الطير في جنبات صدري .. لجقت بها .. هتفت قائلا :

ـــ تريزا ..

نظرت الـي مندهشة .. غطت فمها بيدها تمنـع الهواء مـن نقل ضحكتها المجلجلة الى آذان المارة .. مستحيل ان اكون امامها وتحدثني بالاشارة .. ليست خرساء .. تلفت ابحث عمن جذب منهـا عينيها .. رأيته يقترب .. يكبرني بأعوام .. يدنو مني .. يصفعني على خدي .. يمسك بيدها ويسيران .. القى في فمي بقطعة « اللبان » .. اعود الى البيت مطأطىء الراس ..

* * *

كنت اخافه واخشاه .. اتجنب السير

حبيبتي أنت

من اين جئت بها يـا أيها .... تكـاد رقتهـا في الكاس تعتصر
وأين عـن ناظري كانت مخباة كمـا تخبأ خلـف الغيمة القمر
حتـى أطلت علـى قلبي بفتنتها لا .... يسليه عنها لا ولا الوتر
فكان لي من هواها وهو يلهمني شعرا تراقص في لوحاته الصور
ميلاد حب جديد قد سعدت به في عالم الغيب قبل الآن مستتر
ما زلت أذكر والذكرى تؤرقني ما مر ، في كل ذراتي له أثر
الليل يعلم كم من حبها سهرت عيناي اذ في هواها لذ لي السهر
وكـم تحرقت مـن شوق يقلبني فوق السرير على جمر فاستعر
اذا المسافات عن عيني تبعدها فالحب يدنو بها والشوق والفكر

يا حلوتي ، حلوة الحلوات يا عمري يـا من لها أتمنى يفتدى العمر
عهد لعينيك مـن عيني احفظه ما عشت، أنت الهوى الموعود والسمر
وانـت ملهمتي شعـرا انمقـه يفار من لطف ما نمقته الزهر
حبيبتي انـت ، والايام شاهدة وانت لـي قدر يـا حبذا القدر

بغداد ــ ص.ب ٦٣٤

باقر سماكة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

امام بيت اسرته .. دائما اراه وحوله الغلمان يأتمرون بأمره .. امام بيت اسرته ينام كلبه الضخم .. الكلب ينفذ ما يطلب منه .. يبدو انه احس بخوفي فأخذ يضطهدني .. اذا كانت معي كرة اخذها مني ، او اي لعبة اخرى .. كنت اخاف ابي لانه امرني بعدم اللعب مع ابناء الحي .. لو شكوت اليه نصيبي غلظة ساخنة .. وغريمي لن يناله شيء .. احتملت الكثير من ايذائه ..

عقدت العزم على تحين فرصة .. اريده وحده دون الغلمان ، ودون الكلب المتوحش .. رغم جسده الذي يفوق جسدي ، وقوته البادية التي جعلت منه زعيما للغلمان .. كان عزمي اكيدا فقـد احتملت الكثير ، ولتكن معركة بيني وبينه .. ثم بين اسرتي واسرتنه .. والنتيجة ..

سيكف حتما عن التحرش بـي ، واضطهادي ، وايذائي ..

يبدو ان اعداء الكلب كثرة .. لقد دس مجهول له السم فمات .. انزاح عـن كاهلي نصف المهمة .. بـدا الغلمان ينفضون عنه ، وجاء اليوم الذي تمنيته ..

كنت اسير غير هياب امام بيت اسرته .. رايته جالسا .. اخذت اضرب كرتـي بالارض : واتلقاها بيدي .. نهض واقفا ، وضع يديه متشابكتين فوق راسه .. اسقطها ثانية واشار الي باحداها ان امثل أمامه كالمعتاد .. دنوت منه وكلي تأهب .. اما غالب واما مغلوب .. طلب مني الكرة .. اجتمعت قوة ضغطي في يدي .. طرقعت الصفعة في الهواء بعد اصطدامها بوجهه ..

صرخ وهو يخر على الارض :

ــ عيني يا ابن ... عيني آه يا عيني ..

هرولت الى البيت .. قذفت بالكرة فـوق الدولاب .. امسكت بكتاب وجلست متصنعا الاستذكار ..

قالت امي مستغربة :

ــ هل جاء ابوك ؟

قلت :

ــ لا ادري ..

اختفيت بالبيت عدة ايام .. ثم خرجت اتشمـم الاخبار .. التـف الغلمان حولي واحتفوا بي .. وتهيأ لي مكان الزعامة عليهم ..

القاهرة

جمعه محمد جمعه

التجوال في الضباب

*

عبر رياح الرعب ودوامات الصور السوداء
الشيء الهادىء يسترخي في الظل
فوق بقايا مرعى
العسل البري يسيل
احجار القبر تطير
شاحبة تحت عيون القمر الوحشيه
والطير يصيح
اليوم حصاد تم

آه عبر ضباب العقل وموسيقى الخوف
عبر خطوط غائبة الشكل كعش الغرباء
جاء شتاء همجي
والزائر لحن ممتد

ارواح دون غلاف
تمتزج الاشباح مع الاجساد
يتمزق لون الازهار
اربا اربا
ويصير الوحل الابدي
فاكون النغم المرتد

الموج زجاج يعكس صمت ظلال ..
وامان نامت
عبر خسوف الكون
كالزمن .. الحب .. الكلمات
انفاس المطر المكسور
ومرايا الاعين
حلقات حصار

تنزلق اللوحة والالوان
قلبي .. نجم يتسامى
عبر شعاع يمتلك الاكوان
عبر نوافذه اطيار تنزف

لست وحيدا
روحي تتشابه بي
نتعرى في ضوضاء الشمس المرتقبة
نسطع فوق الازهار وخارج هاوية الانسان
في شط الذاكرة المحسوسة والافق الراهب
يتضاعف ضوئي

آه يا وحش الليل وعش البللور
عطشى أسراب طيور تتعالى
لا أيك يعرف أيكا
شجرات منفردة
عبر مساء ممتد فوق حراب النار
بيعدنا كون يتخضب في الدم
نتارجح في ايقاع الشذرات
وتكبلنا الانداء المحمومة
وشذى يتسلل في الجرح يعذب
آه نلقي بكياننا في بحر لامتناهي

أمشي في قاع البحر
اتوارى عن اشباح ضباب
اشباح في داخل اشباح
البحر ضباب
السر هو السر
الرؤية برهة
آه اغرق منذ بعيد
عبر سلام ملعون

في لحظة ضوء
النحات الاعظم
ينحت تمثالين لنا تحت الارض
نتكلل بالصدق وعمق الرؤية
نتطهر في ثوبين شفيفين
يتوحد عمقانا
ونعود ملاكين
آه انتظر اللحظة
دون اللحظة لا شيء

القاهرة — عبد الشافي داود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عيسى فتوح

المعلم داود قسطنطين الخوري

١٨٦٠ ــ ١٩٣٩

بقلم عيسى فتوح

* * *

لن اتحدث عن داود قسطنطين الخوري معلما ، تخرج على يديه عدد كبير من ابناء حمص وشعرائها في الوطن والمهجر ، ولن اتحدث عنه شاعرا نظم كثيرا من القصائد الحكمية والقصصية ، وعالما بالرياضيات والطبيعيات ، ولن اتحدث عنه وطنيا حرا ناهض الاستبداد التركي ، وكانت له علاقات وثيقة بجمعية « الاصلاح العربي » التي كان من زعمائها عبد الحميد الزهرواي ، ورفيق رزق سلوم ، ونجا من مشانق جمال باشا بفضل ما كان يتحلى به من رزانة وحكمة وبعد نظر ، ولن اتحدث عنه صحفيا اذار جريدة « حمص » وحرر فيها منذ تأسيسها عام ١٩٠٩ الى ان توقفت موقتا سنة ١٩١٤ بسبب دخول تركيا الحرب العالمية الاولى ، ولن اتحدث عنه مترجما اجاد اليونانية والتركية والم بالفارسية ، بل ساتحدث عنه مؤلفا مسرحيا وفنانا ذا اذن موسيقية مرهفة ، اذا سمع لحنا عمد الى تصويره في منظومة رقيقة ، وواحدا من ابرز تلامذة(١) الشيخ احمد ابي خليل القباني ، الرائد المسرحي الاول في سورية ومصر .

تعرف داود قسطنطين الخوري بأبي خليل القباني يوم كان موظفا في حكومة دمشق ، عن طريق الوالي مدحت باشا الذي دعا الى اقامة نهضة مسرحية ، بعدما رأى كثرة المقاهي التي تمثل فيها حكايات (قره كوز) فانتقد وجهاء دمشق على هذا المستوى المنحط ، ولامهم لاقبالهم على مشاهدة مناظر مخجلة ، واستماع الفاظ بذيئة ، ولما سألهم الا يوجد من يستطيع اقامة مسرح تمثل فيه الروايات الادبية ، دلوه على ابي خليل القباني الذي كان يقوم يومئذ بتمثيل بعض الروايات في سهرات خاصة مع فريق من اصحابه في بيوت دمشق .

منذ ذلك اليوم صار داود قسطنطين الخوري لا يفارق ابا خليل ، يلازمه كظله ، يؤلف الاشعار ويلحنها لرواياته ، بما أوتي من موهبة موسيقية لا تقل عن موهبة ابي خليل ، وصوت رخيم عذب ، وحنجرة صافية ، واحساس دقيق بالنغم ، فكتب خلال وجوده موظفا في دمشق عدة مسرحيات نالت اعجاب الجمهور بمغزاها ومعناها ، كما اشترك مع المعلم يوسف شاهين بتاليف مسرحيتين اخريين هما « يهوديت » و « سميراميس » ، وكانت اناشيدهما والحانهما من وضع داود الخوري وتلحينه .

لم يصلنا من تراث الخوري الا خمس مسرحيات عثر عليها الاستاذ شاكر مصطفى عند ابنائه في البرازيل ، وهي : « مثال العفاف في رواية الاميرة جنفياف » و « الصدف المدهشة » و « اليتيمة المنكوبية » و « عمر بن الخطاب والعجوز » و « الابن الضال » وطبعها ضمن آثاره الكاملة ، اما مسرحياته « جابر عثرات الكرام » و « السامري الشفيق » و « العذارى العشر » فلم نقف على اثر لها ، ويبدو انها ضاعت في جملة ما ضاع من آثاره ، اثناء تنقلاته بين دمشق وحمص والبرازيل ، ويذكر المؤرخ ادهم الجندي(٢) انه لحن اناشيد رواية « كورش » وهي المسرحية الوحيدة التي الفها زميله يوسف شاهين .

لم يفارق داود الخوري صديقه ابا خليل الا بعد ان قامت عليه ثورة رجال الدين اذ انكروا عليه فن (الكوميضه) الذي « تعافه النفوس الابية ، وتراه على الناس خطبا جليلا ، ورزءا ثقيلا لاستلزامه وجود القيان ، ينشدن البديع من الالحان ، بأصوات توقظ اعين اللذات ، في افئدة من خضر من الفتيان والفتيات ، فيمثل على مرأى من الناظرين، ومسمع من المتفرجين ، احوال العشاق ، فتطبع في الذهن سطور الصبابة والجنون ، وتميل بالنفس الى انواع الغرام والشجون ، والتشبه بأهل الخلاعة والمجون ، فكم بسببه قامت حرب الغيرة بين العواذل والعشاق ، وكم سلب قلب عابد ، وفتن عقل ناسك ، وحل عقد زاهد » ثم هدموا واحرقوا مسرحه(٣) الذي كان قد انشأه وانفق عليه من

---

(١) كان منهم ايضا نقولا شاهين ، وعطا الايوبي ، وعزت الاستاذ .

(٢) اعلام الادب والفن ــ الجزء الاول ــ صفحة ٤ .

(٣) استخدم ابو خليل كازينو الطليان في حي باب الجابية ، فمثل عليه مسرحيته « الشيخ وضاح ومصباح وقوت القلوب » التي اقتبسها من الف ليلة وليلة ، فادهش الجمهور ، ثم استاجر « جنينة الافندي » في حي باب توما حيث قدم للجمهور مسرحيتي «عائدة» و «الشاه محمود» ، واخيرا باع بعض املاكه واستاجر « خان الجمرك » في حي باب البريد ، وهكذا قام اول مسرح دمشقي كامل الشروط .

ماله الخاص . وباع في سبيله حصته من اراضي « جديدة عرطوز » ، وحصة من املاكه بدمشق ، مع القبان الذي كان يملكه ... فرحل الى مصر(٤) في حين عاد داود قسطنطين الخوري الى حمص ليتابع العمل بمفرده ، فمثل فيها اوبريت « مثال العفاف في رواية الاميرة جنفياف » عام ١٨٩٠ ، ثم مثلها هواة ومحترفون في جميع الاقطار العربية عشرات المرات ، حيث لقيت استحسانا كبيرا واقبالا منقطع النظير ، حتى نقلها تلامذته الى البرازيل ، ومثلوها عام ١٩٠٠ ، وكانت مسرحياته بالاجمال غنائية من نوع الاوبريت ، وهو اللون الذي كان شائعا في بداية عصر النهضة المسرحية ، في كل من سورية ومصر .

وبالرغم من تشتت الصديقين وافتراقهما ، فقد بقيت اواصر الود تربط بينهما ، فما ان عاد القباني الى دمشق بعد غياب ثماني سنوات تقريبا في مصر ، حتى قصد حمص مع عائلته عام ١٨٩٠ وحل فيها ضيفا كريما على اصدقائه : داود الخوري ، وعبد الهادي الوفائي ، ومحمد خالد الشلبي ، وكلهم من هواة الفن المسرحي ، فأقاموا له معملا لصنع النشاء ليقيه شر العوز ، ويبعد عنه شبح الفاقة ، فمكث عندهم سنة واحدة ، ثم قفل راجعا الى مصر ، بينما بقيت زوجته واولاده يديرون بعده معمل النشاء حتى سنة ١٨٩١ .

هجرته الى البرازيل

هاجر داود قسطنين الخوري الى البرازيل عام ١٩٢٦ مع باقي افراد اسرته بدعوة من ولديه الكبيرين توفيق والبرتو ، فاحتفلت الجالية السورية بقدومه احتفالا عظيما ، وانهالت عليه الطلبات من المؤسسات الخيرية والادبية في ساوباولو لاقامة الحفلات والروايات التمثيلية ، فلبى طلباتها ، ومثل روايته « اليتيمة المسكوبية » لكنه لاقى صعوبات جمة في انتقاء الممثلات وتلقينهن الادوار والالحان ، لندرة الفتيات اللواتي يتقن اللفظ العربي ، ومع ذلك فقد لقيت هذه المسرحية وغيرها من الروايات التي مثلت له هناك نجاحا كبيرا ، وتحدثت عنها الصحف العربية في المهجر باسهاب ، مثنية على جهود واضعها وبراعته في التاليف والتلحين والاخراج .

عندما رحل المعلم داود قسطنطين الخوري الى البرازيل ، حمل معه تراثه المسرحي ، وقصائده التي استطاع ان يجمعها ، فظل هذا التراث بعيدا عن انظار مؤرخي الادب ونقاده الذين كانوا يبحثون بأظافرهم عن اي مادة يضعونها اساسا لدراساتهم عن بدايات القصة والمسرح في سورية قبل قرن من الزمن . فيوم وضع الاستاذ شاكر مصطفى كتابه عن القصة في سورية لملم مادته على السحت والضياع — كما يقول — وانفق الساعات بين السلالم والرفوف المترتبة في المكتبات العتيقة ، ودور الكتب ، يبحث عن قصة ، خبر ، كلمة تمس موضوعه فلا يظفر الا بالقليل القليل ، ولا سيما عن داود قسطنطين الخوري ، الى ان اصبح متصلا لسورية في البرازيل ، وتعرف بأبنائه — وهم قمة شامخة ، ومفخرة من مفاخر الجالية السورية في المهجر — فاذا به يضع يده على هذا التراث النفيس ، ويحمله عائدا الى سورية ليطبعه ، وهو على يقين انه ظفر بغنم عظيم ... وفعلا تم له ما اراد ، وطبع هذا التراث — وان لم يكن كاملا — بالتعاون مع ابناء الخوري ووزارة الثقافة سنة ١٩٦٤ ، فجاء في خمسمائة صفحة من القطع الكبير ، وبذلك صانه من التشتت والضياع ، وكان مقدرا له — لولاه — ان يبقى مخطوطا ومدفونا في تلك الارض البعيدة عن الساحة العربية .

لقد فتح داود قسطنطين الخوري عينيه على الحياة ، فلم يجد حوله من آثار الثقافة الا ما في بعض الكتب الصفر ، ولا من التشخيص الا خيمة « قره كوز » ، ولا من الشعر الا ما يصنفه الفقهاء(٥) ، ولا من الغناء الا ما يمتد بين فرح وفرح من موال مكرور ، ولا من الرواية الا ما يذكره الحكواتي في غبش المقهى عن ابي زيد الهلالي ، وعنتر ، والزناتي ... .

من هنا اذا تتكشف قيمة آثار قسطنطين الخوري التي كتبها وظل يكتبها اكثر من خمسين عاما ، فكان من الرواد الماهرين الذين عبدوا الطريق لهذه النهضة المسرحية التي نقطف ثمارها اليوم .

كتب الكثيرون عن ابي خليل القباني ، لكن فاتهم ان يتحدثوا عن مدرسته وتلامذته ، او يقفوا عند هذا التلميذ النابغة الذي عرفه الناس شاعرا يجيد القافية لمسرحيات القباني ويعين عليها ، ويحسن الموسيقى والالحان ، وتهتز لهاته بالغناء وللغناء .

في مسرح القباني بدمشق تذوق داود فن صاحبه القباني ، وفتحه الجديد في عالم المسرحية الغنائية التي تجمع — الشعر والغناء والرقص والقصة ، وتصفع جليد الحياة الرتيبة في ذلك المجتمع الحميدي المغلق .

ان اي دارس لفن ابي خليل القباني لا يمكنه ان يتجاهل الدور الهام الذي قام به تلميذه ورفيق جهاده المعلم داود قسطنطين الخوري ، والجهود الطيبة الصادقة التي بذلها في سبيل خلق تلك النهضة المسرحية ، رغم ما لقيه الاثنان من الاحباط والمناهضة الفكرية والاجتماعية في تلك الحقبة المظلمة من اواخر القرن التاسع عشر .

دمشق — ٤٨ قصور — كزبري

عيسى فتوح

(٤) وصل ابو خليل القباني الى الاسكندرية في ٢٤ تموز سنة ١٨٨٤ بدعوة من صديقه سعدالله حلابو ، التاجر السوري الغني المقيم هناك ، بعد ان شكا اليه سوء حاله ، وما آل اليه وضعه على اثر تهديم مسرحه وحرقه ، لذلك سافر حلابو الى القاهرة لمقابلة الخديوي توفيق بشانه ، فاستدعاه على الفور ، واعطاه دار الاوبرا ليمثل فيها رواياته لمدة سنة ، كما وهبه ارضا في حي « العتبة الخضراء » لاقامة مسرح عليها ، وكانت اول مسرحية مثلها وحضرها الخديوي هي (الحاكم بامر الله) .

(٥) مقدمة شاكر مصطفى لتراث داود قسطنطين الخوري صفحة (ب) .

من رواد الاندلس

مصطفى فروخ

١٩٠٢ — ١٩٥٧

بقلم الدكتور محسن جمال الدين

* * *

بعد ان قدمنا رائدا من (رواد الاندلس) من سلسلة دراساتنا عن (الفردوس المفقود) ، في الاديب ، العدد (١ — ١٠) — (يناير — اكتوبر ١٩٧٧) . نعود اليوم الى دراسة رائد آخر .

وهو الفنان الاديب المرحوم الاستاذ (مصطفى فروخ) ١٩٠٢ — ١٩٥٧ . الذي كان تلميذا نجيبا في مدرسة الطبيعة اللبنانية الجميلة . يوم ان كان لبنان يومذاك كل ما فيه جميل . قبل أن تمر عليه مصائب السياسة ، واحداث الحياة .

عرفته يوما ، وهو يدلف الى احدى المكتبات في ساحة المعرض ، خلال الحرب العالمية الثانية . اسمرا ، ضعيفا ، متوسط القامة ، اميل الى القصر منه الى الطول . متجعد الشعر ، له عينان كبيرتان ، يشع نور العبقرية منهما . وصوت خفيض . وقد رجوته ان يلتفت بفنه الى عالم البلاد العربية . ومنها (العراق) لما فيه من تاريخ حافل بالامجاد . فوعدني خيرا .

ولما سافرت الى (اسبانيا) بقيت اتابع ما يقال عنه ، وما ينشر حوله ، وما كان يخطه بريشته من روائع .

عاش يتيما ، وتعلم في مدرسة الايتام الاسلامية التابعة للمقاصد . ودرس الرسم على يد الفنان اللبناني الاستاذ (حبيب سرور) . وتابع دراسته في معاهد الفن في روما ، وباريس ، ومدريد . والقى محاضرات بفنه على طلبة الجامعة الامريكية في بيروت . وبعض المعاهد الرسمية اللبنانية .

ما دخلت يوما دارا للفن ، او خزانة كتب بلبنان عامة ، الا ووجدت له لوحة فنية مدهشة رائعة ! ومن هذه اللوحات لوحة مشهورة وهي (معاوية يركب البحر) . كما صور الكثير من الرسوم الفنية والتعليمية ، في كتب التاريخ ، والقراءة ، والادب ، في سلاسل دار المقاصد الاسلامية . امثال (القراءة المصورة) وغيرها .

وزين دار الكتب الوطنية اللبنانية ببعض لوحاته ، التي رسمها للاعلام اللبنانيين ، في العلم ، واللغة ، والفلسفة ، والادب ، والشعر ، والصحافة .

ولقد طاب لي ان استعرض بعض رسومه الفنية ، التي كان يغذي بها افكار المدرسين والطلبة في مدارسهم ومعاهدهم . فوجدت بأنه كان يسبغ على المواضيع العلمية ، والثقافية ، والادبية ، من آيات فنه ، وجمال فكره ، ما يقرب فيه الموضوع الى اذهانهم ، ويحبب فيه الدراسة الى نفوسهم .

قال عنه الاستاذ البحاثة الدكتور يوسف اسعد داغر : « امتاز فنه بنقاء الالوان ودقتها ، وقوة الرسم والتاليف بين الموضوعات التاريخية ، والقومية . له عناية خاصة بدراسة رسوم الطبيعة ، ونفسية الناس » .

اني لأعتبر ان له مدرسة خاصة به ، تأثر بها من بعده بعض فناني لبنان ، منهم الفنان الاستاذ الماهر (رضوان الشهال) . وسار عليها في اغلب لوحاته الفنية .

وقد كان الفنان مصطفى فروخ — رحمه الله — يهتم بابناء الشعب البائس في لوحاته ، ويرجع الى القرية الشامخة في اعالي الجبال ، ومنحدرات السهول في رسومه . فها انت تطالع موضوع (الثروة في يد العاملين) وهي تتحدث اليك واضحة صارخة عن حياة (الفلاح) اللبناني . ثم تذهب الى لوحة (الثعلب والعنب) فتعود بذاكرتك الى الاساطير والحكايات الحيوانية المستمدة من كتاب (كليلة ودمنة) وامثال (لا فونتين) . فتضحك مسرورا كأنك تشاهد المنظر المسرحي امامك .

عاش المرحوم مصطفى فروخ بين اسرة علمية كريمة عرفنا منها الاستاذ الجليل الدكتور عمر فروخ عضو المجامع العربية . والاستاذ الشاعر حسن فروخ وغيرهما .

عاش (فروخ) زاهدا في المظاهر ، وقانعا بالقليل ، في صومعة فنه ، وفي زاوية عبقريته . في حين ان بعض لوحاته قد زينت بها بعض المتاحف الاوروبية . وقد جمع فيها بين روح الفن الشرقي ، والوان الطبيعة البسيطة ، وابعاد الهندسة المتكاملة في مدارس الرسم للفن الاوربي الغربي .

وهو لما عاد الى وطنه لبنان بعد دراسته باوروبا ، استطاع ان يشد اليه اهل الفن ، واصحاب القلم ، وناشري الكتب . وقلما تجد كتابا يصدر في بيروت ، او مجلة تخرج في محيطه وايامه ، الا وتتزين بعض دراساتها ، او صفحاتها ، او غلفتها بريشة (فروخ) . ذلك الفنان المبدع البارع ، الذي يقرب اليك الفكرة الضاحكة او الباكية ، احسن تقريب . ويجعلك تنبهر بالوانه واصباغه الزاهية . حتى كأنك تقرأ اللوحة التي رسمها ، وتنزل الى اعماق اسرارها ، دون حاجة الى الرجوع لقراءة الدراسة ، او

المقالة . او القصة . او القصيدة . التي نشرت بين يديك .

وكان (فروخ) مع زميليه (قيصر الجميل) و (رافت البحيري) فرسانا ثلاثة ، في ساحة الفن العربي اللبناني . وكل واحد منهم يختلف في اهدافه ، واتجاهاته الفكرية ، والفنية .

رحلته الى (بلاد المجد المفقود) : صدر له في سنة ١٩٣٣ بدار مطبعة (الكشاف) ببيروت ، كتاب صغير الحجم ، مزين بالتصاوير الرائعة ، مع مقدمة للاستاذ المرحوم عمر فاخوري جاء فيها :

« قد امحت تلك المدنية الزاهرة ، وتلاشى ما كان فيها من عز وسلطان ، وجيوش لجبة ، ولم يبق منها سوى آثار صاغها الفن ؛ فجعل منها خطباء تشيد دوما بعزها التليد » .

ومنها :

« ان الفن مع لطفه لجبار ، لانه خالد ، والخلود من شان الجبابرة والعظماء ، والامة التي تترك فنا باهرا هي امة خالدة لا تموت » .

محتويات الرحلة : نجمل الآن محتويات (رحلته) ثم ناتي بنماذج منها :

١ ــ تكلم فيها عن الاندلس ــ بلاد الوحي والفن والجمال .

٢ ــ قيام الفن العربي ــ الاسلامي في الاندلس وروعته .

٣ ــ اقسام هذا الفن ، وادواره الثلاثة :

أ ــ دور النهضة .

ب ــ دور الانتقال .

ج ــ دور السقوط .

ومن مظاهر دور النهضة ــ بناء (جامع قرطبة) الذي اشاده الامير (عبد الرحمن الداخل) .

ومن مظاهر دور الانتقال ــ بناء قصر (الزهراء) في قرطبة ، و (القصر) في اشبيلية .

ومن مظاهر دور السقوط ــ تظهر لنا قصور الحمراء في غرناطة ، وتخلي العرب عنها سنة ١٤٩٢ م.

٤ ــ حديثه عن بداية رحلته في القطار من (مدريد) الى (الاندلس) . وابتهاره بما رآه من سهول ، وجبال ، واودية ، وتربة ، وزروع ، ذكرته بالشرق عامة ، وببلاده خاصة .

٥ ــ سماعه عن العادات العربية الاسلامية في اسبانيا . وهي من بقايا العرب هناك . حتى في القيام بمراسيم الصلاة .

٦ ــ استشهاده بقول الكاتب الفرنسي الاديب ، (كلود فاريير) عن الاندلس ، وحضارة العرب فيها .

٧ ــ حديثه عن منازل العرب المشارقة في الاندلس واماكن وجودهم ، من سوريين ، ومصريين ، وفلسطينيين ، ويمانيين ، وعراقيين .

٨ ــ حديثه عن البيوت والقصور ذات الازاهير والرياحين .

٩ــ حديثه عن النساء الاندلسيات وجمالهن الساحر ، وسمرتهن المحببة ، ومراوحهن المنشورة ، وزينتهن المعطرة .

١٠ ــ حديثه وهو مبهور امام جامع قرطبة ، وايام العز في عصر عبد الرحمن الناصر ، وتسميته باسم (ميسين) الروماني ، حامي الآداب والفنون في عصره .

١١ ــ وصفه للمسجد الجامع في قرطبة ، وحسرته على ما وصل اليه ايام زيارته لاسبانيا .

١٢ ــ حديثه بلغة (الفن) لا بلغة (التاريخ) لما شاهده ولمسه بيده .

١٣ ــ وصفه للشعب الاسباني اثناء زيارته لبلاده ، وكيف ان الفقر والكسل ، قد غلب عليه ، مع طيبة قلبه ، وشهامة رجاله ، مع كثرة الشحاذين والمتسولين والمغنين فيه .

١٤ ــ حب الشعب الاسباني للفن والغناء ، الذي يشبه اللحن (البغدادي) و (الغناء الشامي) .

١٥ ــ زيارته لآثار (الزهراء) المخربة ، واطلالها المندثرة . وعدم عثوره على بقاياها . وكيف ان احد الرهبان قد عثر على آثار نفيسة جدا منها ، من تماثيل ، وطيور ، واشخاص .

١٦ ــ زيارته الى (اشبلية) مدينة الطرب ، ووصفه لجمال المدينة ، وطابعها العربي القديم ، وحديثه عن حسن الاشبليات ودلالهن ، وحب سكانها للهو والطرب والموسيقى .

١٧ ــ زيارته الى كنيسة المدينة العظمى ، وحديثه عن (الخيرالدا) التي بناها المنصور الموحدي عام ١١٩٥ م. وقيام تمثال (الايمان) في اعلاها . ورؤياه لمدفن العظماء في (اشبلية) . الذين جاءوا بالنصر ، والمال ، والشهرة ، لاسبانيا .

١٨ ــ زيارته (لدار العذارى) في اشبلية ، تلك الدار التي كان يقال بان الملوك فيها كانوا يستعرضون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كل عام مائة عذراء تقدم هدية لهم .

١٩ ــ حديثه عن طبيعة الشعب الاسباني الاجتماعية ، في حبه للغرباء ، واكرامه للنزلاء ، وملاطفته للزوار الوافدين لبلاده .

٢٠ ــ حسراته ، وآلامه ، على حالة الآثار العربية الاسلامية ، وما آلت اليه يوم ان زار الاندلس في جولته الفنية الرائعة .

٢١ ــ العودة الى التاريخ لوصف الاندلس . وما قاله (طارق بن زياد) للخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك ، بعد الفتح العربي سنة ٧١٢ م .

٢٢ ــ حديث الفنان (فروخ) عن الحمراء في (غرناطة) وسورها ، وقصورها ، وجنة العريف فيها .

٢٣ ــ رؤياه للجرس الكبير عند مدخل (قصور الحمراء) .. وما ارخ تحته لليوم الثاني من كانون الثاني لعام الف واربعمائة واثنين وتسعين (٢ كانون الثاني ١٤٩٢ م) . وكيف ان هذا الجرس ظل معلقا ، وفي كل عام يدق بذلك التاريخ اربعا وعشرين ساعة ، متوالية ، ليدل على ذكرى افتتاح الاسبان لغرناطة ، واسقاطهم للحكم العربي هناك .

٢٤ ــ حديثه بالم عن ذكريات الاندلس وآثارها : ورؤياه للسهول المنبسطة ، والهضبة المعروفة باسم (زفرة المغربي) التي تشير الى وداع غرناطة . يوم تركها مستسلما حزينا آخر سلاطينها (ابو عبدالله الصغير) .

هذا اهم ما جاء في هذه الرحلة المتعة التي نعيد اليوم ذكرى صاحبها . اما اسلوبها فهو اسلوب الفنان الرسام المصور ، الذي يبهره الفن ، ويقف امامه بخشوع ، متدلها بحبه ، غارقا بأفكاره ، وسابحا في تأملاته .

نماذج من كتابات الرحلة : هذه بعض النماذج من كتابات الرحلة المسماة (رحلة الى بلاد المجد المفقود) للاستاذ المرحوم مصطفى فروخ . وقد جعلنا لهذه المقتطفات عناوين جديدة .

جمال الاندلس : هي بلاد الوحي والفن والجمال . نزل بها العرب فأوحت اليهم ، ماؤها ، وارضها ، وسماؤها . فنونا عالية مهرها الخلود بخاتمه ، والبسها منذ ظهورها حلة من الروعة والجمال لا تبلى . من شعر كانه قطع الوشي ، او اغاني الملائك ، او ترديد المنشدين ، وبناء جمع الضخامة والدقة والتناسق . فجاء آية من آيات الفن وفتنة للناظرين . وتصوير تخال الحياة تدب فيه دبيبا . ونقش كأنما الاصابع التي اشتغلت به لم تكن اصابع بشر ، بل اصابع مبدعين .

جلاء العرب وآثارهم الناطقة : ان العرب قد جلوا عن اسبانيا ، غير انهم خلفوا فيها مدينة زاهرة . وآثارا ناطقة على مر السنين ، ومدينة واضحة كنور الشمس قوة ، وبهاء ، فتنشر شعاعها دوما على العالمين .

من مدريد الى الاندلس : في عيد السرور سار القطار ، يشق حجب الظلام ، سار تحيطه افراحي ، وتطوف به مسراتي ، وترقص امامه نفسي ، وقد سبقته احلامي نحو الاندلس .

عادات اسلامية عربية : ومن اغرب ما سمعته هناك ان العادات الاسلامية آثرت في نفوس اهل تلك البلاد لدرجة انه توجد للآن طائفة منهم تمارس صلاتها في احدى الكنائس بشكل صلاة المسلمين تماما منهم يسجدون على الارض ويرفعون ايديهم نحو السماء ، الى ما هنالك من العادات الاسلامية .

بلاد الاندلس مدفن المدنية: اتجهت نحو النافذة متنشقا نسيم (قرطبة) وبلاد الاندلس مدفن المدنية . اجل انني ازور ارض المجد المندثر فلعل في زيارة الاموات عبرة للاحياء . بل ربما كان سكون الاموات ادعى للعبرة والتفكير من كلام الاحياء الاموات ورب نظرة حكيمة خير من حديث طنان الى بلاد الاندلس ، الى بلاد المجد المفقود .

رحيل العرب ، رحيل النعم : لقد اتفق اعظم المؤرخين ومعهم اهل الاندلس على القول انه منذ رحل العرب عن بلادهم رحلت معهم النعم والازدهار ، وحل مكانها البؤس والدمار . واستشهد بقول الكاتب الفرنسي (كلود فارير) القائل :

« اننا نأسف لحضارة العرب الضائعة ، وان رجال الاسبان الذين بلغوا من البطش اكثر مما بلغ العرب من الحكمة والادارة حالوا دون تلك الحضارة الحقيقية واوربا ودفعوها بعيدا عنها قياس ما فعلوا » .

نساء اندلسيات جميلات : ولكن ننظر قليلا الى تلك النساء الجميلات ذوات البشرة السمراء ، وقد جلسن امام باب الدار ينظرن الى المارة بعيونهن الكحلاء ، وقد هذبن شعرهن الفاحم كعيونهن الناعسة ، وزينه بباقة من الياسمين ملأ عبيره جو البلد ، وعلى راسهن مشط كبير ثم ارسلن فوقه وشاحا ابيض مزركشا تدلى على الاكتاف . اما على الصدر على مقربة من النهد فقد برزت غلة فياحة ، وفي اليد مروحة عظيمة تطرد بها الحر بكسل ودلال .

وصف جامع قرطبة : دخلت الجامع فاذا انا في غابة من المرمر ضمت ما يربو على الف عمود من مختلف الالوان والاجناس علتها حنايا مزدوجة ، ونهضت فوقها قباب فيحاء واسعة الارجاء .

روعة المحراب : وهذا المحراب اليس هو تحفة وفتنة ؟ رسوم وازهار لطيفة ، واغصان رقيقة ناعمة ،

ونماذج مبتكرة غشيت بالذهب ، واكتست حواشيها بالاحجار الكريمة : والالوان الحية النيرة ، فاذا هي رائعة مدهشة .

ظلام وشموع : اظلمت جوانبه ، وخبت انواره . واقفرت نواحيه ، وهناك في بعض زواياه الحالكة بدت بعض الشموع شاحبة كنفس امضها الداء فهي في حشرجة الموت ، هي كنزاع الفن الجميل النائس في قلب هذا المكان . وقد سالت من تلك الشموع بعض فضلات هي اشبه بعبرات الثكلى . وانتشر دخان امتزج مع زفرات الشموع . وبدت هناك بعيدا بعض اشباح قاتمة ، فتكون من ذلك منظر رعب كله حزن وكآبة . قتل كل ما كان فيه من الوان وانوار وجمال .

شارلكان والجامع : قال (شارلكان) يوم ان هدموا قسما من جامع قرطبة ، وبنوا محله : لقد بنيتم اشياء عادية مبتذلة . ملات كل مكان ، وهدمتم تحفة بل عجيبة من عجائب الدنيا التي لم يسمح بمثلها الزمن .

احتجاج بلدية قرطبة : ولا يزال احتجاج بلدية قرطبة الذي قدمته يومئذ دفاعا عن الجامع محفوظا لليوم ، ولكن الجهل قوة عمياء .

المراة الاشبلية : والاشبلية اكثر دلالا واناقة من سواها من النساء الاندلسيات . كذلك اهل اشبلية امتازوا بحبهم حياة اللهو والسرور ولهم ولع بالطرب والضرب على الالات الموسيقية ويظهر ان هذا الميل متاصل فيهم منذ القدم .

الفن في المدن الاندلسية : ولا شك انه فن يمثل التطور الاخلاقي عند العرب في الاندلس . بينما نرى فن (قرطبة) ينم عن رصانة وكثير من الورع والحذر بخطوطه الجامدة ، واقواسه الضخمة ، ونقوشه الهادئة . دليل حياة الجد والعمل . نرى فن (اشبلية) يميل الى الرقة والشعر والترف بما تبديه لنا خطوطه المتعرجة فوق الاقواس والابواب فانها تظهر متحركة ضاحكة يكاد لا يوجد بينها خط مستقيم ، وجدرانها كانها مخرمة او مكسوة بدقيق النقش !

بدائع الحمراء : ان (الحمراء) اروع تحفة فنية بنيت في اجمل موقع نجمعت الجمال والكمال ، ولذلك فهي فريدة نادرة ، تمركزت على قمة الهضبة فاشرفت على غرناطة وسهولها الشاسعة . تظهر للناظر كانها تاج ذهبي على مفرق حسناء . تنتهي قمته بزرقة السماء ، ويغوص ، اسفله بخضرة خضبة بالغة . الحمراء هي : سور ، وقلعة ، وقصر !

وهكذا يستمر الفنان الاديب مصطفى فروخ . في تاملاته ، كانها تاملات العابد في محراب الفن ، والزاهد في صومعة الوحي .

وقد ابدى التفاتات فنية رائعة لم يستطع غيره ممن سبقه من اصحاب الرحلات العربية الى الاندلس ، او الذين جاءوا بعده ان يتغلغلوا مثله في اعماق الفن الاندلسي المتمثل في الصور ، والرسوم ، والبناء ، والهندسة ، والدور ، والقصور ، والمساجد ، والمعابد ، والقلاع . وابقى مع وصفه الادبي لوحات بريشته عن مشاهداته ، ورؤياه للفن العربي وآثاره في تلك البلاد الخالدة التي اسماها ببلاد المجد المفقود ، قياسا على كلمة (شيخ العروبة) القائلة عن الاندلس باسم الفردوس المفقود !

وكم لهاتين الجملتين من معان سامية ، وذكريات مثيرة ، واحلام جميلة ، وعبر نافعة . لو كنا نتعض بها ، او نستفيد منها ، او نعمل لعدم نسيانها ، او اعادة ماساتها .

اما الملاحظ على هذه الرحلة ، فهو ان مؤلفها — لم ير من الاندلس — كما يبدو الا بعض مدنها الكبيرة ، قرطبة ، اشبلية ، غرناطة . ولم يذهب الى قرى تلك البلاد ، ومدنها الجنوبية الاخرى ذات الآثار العربية والاسلامية .

كما يبدو على قلمه جانب الاندفاع العاطفي ، والاحكام العابرة احيانا . وذلك طبيعي لقصر المدة الزمنية التي قضاها في (اسبانيا) لمعايشة القوم في (الاندلس) . ولما يشعر به الشرقي العربي من مشاعر لاهبة عند رؤياه لتلك المعالم والآثار العظيمة الشامخة ، التي خلفها العرب وراءهم يوم ان غادروا فردوسهم المفقود .

اهم المصادر :

١ — رحلة الى بلاد المجد المفقود — لمصطفى فروخ — مطبعة الكشاف — بيروت ١٩٣٢ .

٢ — مصادر الدراسة الادبية — ليوسف اسعد داغر — ج/٢ — بيروت ١٩٧٢ .

٣ — الآثار الاندلسية الباقية — لمحمد عبدالله عنان — القاهرة ١٩٥٦ .

٤ — معجم المؤلفين — لعمر رضا كحالة — دمشق ١٩٥٨ .

٥ — القراءة المصورة — لجماعة من الاساتذة — ج/٢ بيروت ١٩٣٥ .

جامعة بغداد — كلية الآداب محسن جمال الدين

اشتركوا في مجلة

الاديب

تساهموا في نشر الثقافة

احبتك ... لست فتى يلهو
ـ يا ذات العينين اللاهيتين
باسرار الشجن المزهر في الجنة
فوق جباه الحور العين ـ

لك في عيد النور

بالامس ...
نظمت عقودا
وقصائد من زهر اللوز
فزهر اللوز قناديل الحب
تنير مساء العشاق
ودرب العين بضيعتنا
يشتاق اليك الحب بضيعتنا ... وانا .

بالامس ...
وقلت اعلقها في جيد حبيبتي....
عفوا ، اقسم :
قبلك ما احببت .
وبعدك .. ، لا اعلم ،
بعدك هل سيظل الحب ؟
انت اذن ،
لك صنعت عقودا وقصائد
من زهر اللوز
يا من في شفتيك البسمة اندى
وورود العمر الطفل بخديك
تضج وتزهو

محمد نيب

احبتك ...
فوق جبينك افق سنابل ،
ـ ها اني اصبح عرافا
في حبك اصبح عرافا
ما اسعد عراف الحب ! ـ
فوق جبينك افق سنابل
احداها مثلك فاتنة
تبدو ما قبل العشرين
قد يهجم موسم خطبتها
وتظل تعيش العشرين !
ما اجهل من خال العمر مراحل
او شيبا وركام سنين !
يا ذات العينين اللاهيتين
باسرار الشجن المزهر في الجنة
فوق جباه الحور العين
احبتك ... لست فتى يلهو ...

ياطر ـ لبنان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النوروز عيد الحرية

بقلم زياد الاحدب

* * *

في اليوم العشرين من شهر آذار (مارس) من كل عام ، يبدو على ابناء عدد من شعوب الشرق نشاط دائب وهم يتهيأون ويعدون كل ما يلزم للخروج مع صبح اليوم التالي الى ظواهر المدن حيث يفضون بياض النهار في احضان الطبيعة .

انه نوروز وهذه لفظة فارسية تعني (اليوم الجديد) اي عيد راس السنة ويلفظه الاكراد « نيروز » وكذلك ورد في شعر العرب ، قال البحتري :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا ... من الحسن حتى كاد ان يتكلما
وقد نبه النيروز في غسق الدجى ... اوائل ورد كن بالامس نوما

النوروز عند العرب

عندما دكت جموع الفاتحين اسوار الاستقلال الحضاري التي كانت لا تزال قائمة بين العرب والامم المجاورة اصبح من المألوف ان نجد العربي يقبس من الفارسي والفارسي من العربي ، سواء كان ذلك اسلوب حرب او عادة معاش او نظام ادارة او براعة فن .

وبالرغم من ان الامويين لم يتعمدوا التأثر بالاعياد الفارسية ، فانها اخذت تتسرب الى العرب دون استئذان ، واتباعا لسنن التبادل الحضاري كان الامر بطيئا في البداية لكنه في العصر العباسي اصبح ظاهرا لا يدع اي مجال للتغاضي او الانكار .

يحكى ان بعضهم قدم لسيدنا علي كرم الله وجهه طعاما فارسيا ، فأحبه وسأل : ما هذا ؟ قال . هو النوروز فقال : نوروزونا كل يوم .

ويحكى ان الحجاج اول من رسم هدايا النوروز وابطل ذلك عمر بن عبد العزيز من بعد . والجدير بالاشارة ان اهم امر في هذا العيد عند الفرس القدماء ان تقدم الهدايا من الالبسة والاطعمة الى الشعب . ولم يغفل ادباء العربية ذكر النوروز في اشعارهم وقد سبق فيما تقدم قول البحتري: كما ورد في مديح المتنبي لابن العميد قوله :

جاء نوروزنا وانت مراده ... وورت بالذي اراد زناده
عظمته ممالك الفرس حتى ... كل ايام عامه حساده

وثمة عيد آخر للفرس هو « المهرجان » اول الخريف في اليوم الثالث والعشرين من شهر ايلول وقد ذكر ابن الرومي هذا العيد حينما هنأ به عبدالله بن عبيد الله فقال :

ما رأت مثل مهرجانك عينا ... اردشير ولا انو شروان
مهرجان كأنما صورته ... كيف شاءت مخيرات الاماني

الاصل التاريخي للنوروز

لعل قدم احتفال الشعوب الآرية بهذا العيد قد حرمنا من معرفة بداياته معرفة علمية دقيقة لان خبره قد اختلط بالقصص الشعبي الخيالي حتى دخل ميدان الاسطورة والخرافة والاعجب من هذا ان نراه يمثل مجدا متشابها يفخر به شعبان آريان في الشرق هما الفرس والاكراد وكل منهما يزعم انه صاحبه وانه رمز متجدد لحبه الحرية ، وسعيه من اجلها ...

لا تكاد تذكر النيروز امام كردي ، ولو كان متعلما ، حتى ترى بسمة السعادة والاعتزاز تزين وجهه الشرقي الأليف وانت تسمع روايات مختلفة للقصة لكنها جميعا تترجم التطلع نحو حياة خالية من العسف والطغيان .

يقولون : ان ملكا جبارا في امبراطوريتهم القديمة كانت نفسه تغلي بسعار الشهوة ، وكان لا يكبح جماحها بل يشبعها على حساب شعبه .. ومن اجل ان يظهر عمله مسوغا امام شعبه فقد ادعى ان النهر المقدس له في رقبة شعبه الحق في ان يختاروا اجمل فتاة تهدى اليه قربانا ...

وكان الملك هو المستفيد الوحيد من هذا القربان لانه يعتدي على اثمن ما تملكه الفتاة ثم يذبحها بيده وتلقى الى النهر ... ولما ضاق الشعب بهذا العسف ثار عليه وقتله وصار يوم قتله عيدا سموه النيروز اي اليوم الجديد ...

وثمة رواية اخرى تزعم ان ملكا طاغية كان يشعر بشهوة القتل كلما صادفت عينه شابا واضح الفتوة فيأمر باحضاره وقتله .. وذات يوم شاهد رجلا احتفظ برونق شبابه وفتوته رغم تقدمه في العمر فاستحضره وطلب منه ان يتمنى قبل ان يموت ...

فرغب اليه في ان يرى زوجته واولاده الصغار فسمح له على ان يعود في اليوم الثاني ... في اليوم الثاني وفي الموعد المحدد كان هذا الرجل قد حضر ووقف بين يدي الملك، وعندما صدر امر قتله اخرج من ثيابه سلاحا كان قد اخفاه ورمى به الملك فهوى صريعا ؛ فنجا الرجل واخذ ثار اولاده الشباب الثلاثة الذين قتلوا من قبل ... وقد عمت الفرحة ابناء الشعب فخرجت الجموع الى الجبال تشعل النيران

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فؤادي

فؤادي مطبوع على الحب مفطور ... فغضبته مزح ونقمته زور
تعود ان يمسي ويصبح ضاحكا ... وان هو لم يضحك على افقه نور
تساوى خمول عنده ونباهة ... فلا يزه مشهور ولا يأس مغمور
اذا ساءه غدر الصديق فعفوه ... على كل آفات الصداقة منثور
هم الناس ، مهما شطت الدور ، اسرة ... فقاهرهم في واقع الامر مقهور
افضل ان اقضي ضحية طيبتي ... على ان يضحى في سبيلي عصفور

بوانس ايريس — الارجنتين ... زكي قنصل

ابتهاجا بموت الطاغية وصار هذا اليوم عيدا يرمز للحياة الجديدة الخالية من العسف والظلم .

اما الفرس فلديهم قصة تشبه ما مضى ، وهي ما ذكره ابن الاثير في الكامل عن الملك (بيوراسب) الذي استولى على ملك (جم بن اوشهنق الاكبر) وحكم مدة ستمائة سنة سار فيها بين الشعب بالفساد والجور وبسط يده في القتل وهو اول من سن الصلب والقطع واول من وضع العشور (الضرائب) وضرب الدراهم ، واول من تغنى وغني له ...

كل الذي مضى من اعمال بيوراسب — على ما يبدو — هو السبب الذي اعطاه صورة مخيفة عند شعبه مما جعل الالسنة تدور في الخفاء تختلق الحوادث وتركبها تركيبا اسطوريا عجيبا فالملك بيوراسب كان ساحرا مخيفا وقد هول على شعبه بحيتين كانتا على منكبيه وقال للناس : انهما تطلبان الطعام وتتحركان اذا جاعتا ، وقد ذبح الصبيان ليسكن الحيتين ويوقف اضطرابهما وهما لن تتوقفا حتى يطليهما بدماغ انسان ...

لقد ازدادت آلام المواطنين باستمرار القتل وغلى دم الشعب وهو ينتظر مخلصا ، فمن يكون هذا المخلص ؟ :

ان احد مواطني مدينة اصبهان يدعى (كابي) ، قد قتل طفلاه ، وقدم دماغاهما للحيتين فحمل هذا الرجل عصا ورفع عليها جرابا فصارت راية ثورة ضد السفاح وسرعان ما اندفع الآباء وراء الرجل فما كان من الملك الا ان يفر تاركا قصره طالبا للنجاة ..

ومع مرور الايام ، ازداد الناس وفاء لراية الاب الثائر ، فاتخذوها علمهم الاكبر وتبركوا بها وسموها (درفشي كابيان) بالفارسية وتعني (علم كابي) ولم ينج الملك بيوراسب بالفرار لان سليمان بن داود (عليهما السلام) صادفه في الشام فالقى القبض عليه وقيده بالاغلال وعندما علم انه فر بقيوده الى خراسان وجه امره الى فاوثقوه وعملوا عليه (طلسما) كرجلين يدقان باب الغار .

وتذهب رواية اخرى الى قول اقرب من هذا حين تجعل الملك الجديد افريدون الذي نصبته ثورة كابي يستمر في مطاردته حتى اسره ثم قتله فيما بعد فقال الفرس عند ذلك (امروز نوروز) اي هذا اليوم يوم جديد فاتخذه الفرس عيدا يتذكرون فيه قتل عدو الحرية بيوراسب واما اليوم الذي اسر فيه فهو الآخر غدا عيدا ويسمونه (المهرجان) اما الثائر كابي وهو الرجل المثالي الذي ضحى وثار فلا يليق به ان يطمع بالحكم فقد رفض ان يولى وطلب من (افريدون) سليل الملوك القدماء ان يتولى السلطة ...

عبرة في الاسطورة

مهما يكن شأن القصة وما سبقها في ميزان التحقيق التاريخي فان المغزى واضح ومقبول . ان غريزة البقاء وغريزة التملك لدى الشعب ، عندما تهددان من قبل اي حاكم في التاريخ فلا بد ان يبحث الشعب عن طريق للخلاص ، وهم ان لم يجدوه على الواقع فسوف يستوحونه في اقاصيص واساطير تحفظها الذاكرة لتتحرك السنة الاجيال وهي تلعن الظالمين .

ولن تعدم الشعوب مخلصين من امثال كابي يرفعون عصا وجرابا ثم تأتي عصي ورماح وسيوف ويتحول الجراب راية تراثية مبجلة .

ومع ازدياد شعور الرعية بالظلم تختفي كل ايجابيات الحاكم وتتحول الى نقاط مظلمة تدون هي الاخرى في قائمة السلبيات .

ولنعد الى الاعمال السيئة التي عددها المؤرخون على بيوراسب كي نرى فيها اعمالا عظيمة في تلك الحقبة البدائية من التاريخ فهو الذي كان اول من ضرب الدراهم واول من تغنى وغني له وهذان عملان لهما شأنهما في ميزان التمدن الانساني ولكنهما يذكران مع سيئات هذا الظالم .

قطنا — سورية — ثانوية البنين ... زياد الاحدب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نقولا يوسف

نقولا يوسف : ذكريات ورسائل

بقلم احمد حسين الطماوي

* * *

تعتبر الرسائل الادبية صفحات من الادب والتاريخ والترجمة الذاتية والاعترافات .

وقد نشر في العصر الحديث عديد من الرسائل المتبادلة بين الادباء ، فنشر محمود ابو رية رسائل الرافعي اليه ؛ وبسط طاهر الطناحي على صفحات الهلال خطابات مي الى جبران والعقاد ولطفي السيد وغيرهم . وبين طيات كتاب « لمحات من حياة العقاد المجهولة » والذي وضعه عامر العقاد نجد رسائل عبد الرحمن شكري واحمد امين ومحمود تيمور وصوفي عبدالله والسنهوري الى العقاد ، ونشر محمد سيد كيلاني رسائل احمد عزابي في مجلة « آخر ساعة » القاهرية . وفي اعداد مختلفة من مجلة الادب نجد رسائل عبد الرحمن شكري الى نقولا يوسف ، كما اصدرت وزارة الاعلام العراقية كتابا يحمل عنوان « الرسائل المتبادلة بين الكرملي وتيمور » وقام بتحقيق هذه الرسائل كوركيس عواد ، وميخائيل عواد . وجليل العطية . اما مجلة الاديب الغراء فقد حفلت في الكثير من اعدادها بالرسائل الادبية ونبهت على قيمتها فأصبحت رائدة في هذا المجال .

وهذه المراسلات الادبية بين الادباء الاصدقاء تكشف عن قسط وافر من حيواتهم ، وتفسر بعض الغوامض من آدابهم ، وتحلل آثارهم ، وتلقي ضوءا ساطعا على الدوافع التي دفعتهم الى تأليف بعض كتاباتهم او تدبيج مقالاتهم .

ولا ريب ان شخصية الاديب تكون اكثر وضوحا وجلاء من خلال رسائله ، لان هذه المكاتبات تتناول التفاصيل والجزئيات لمعان كلية او امور اجملها الكاتب في مؤلفاته ، او قد تحدد تصوره ، وتعين مقاصده من عمل ادبي لم يستطع القارىء ان يفطن اليه او يدركه . فتكون الرسائل والحالة هذه هادية الى الفهم راشدة الى المعرفة .

ويراعي كاتب الرسالة ان تكون رسالته مشبعة لانها في الغالب تجيب على اسئلة خاصة عن سيرته الذاتية او عن مضمون فكري في ادبه ، وعلى هذا فقيمة الرسائل موكولة بقدر ما فيها ، وبما تشتمل عليه من معارف مفيدة ، واجابات صحيحة .

وتتميز الرسائل الادبية في الغالب بعدم التنميق والتوشية والصياغة العالية ، والحذاقة اللافتة ، واهم ما يحرص عليه الكاتب هو الموضوع وعلينا في هذه الحالة تفهم الجو الروحي للرسالة .

وقد اثرت الرسائل في البحوث الادبية فكثيرا ما يستعين الدارسون بها ويستشهدون ببعض منها في دراستهم .

وعلى اي حال فالرسائل الادبية بناءة للصداقة والالفة ، بما تشيعه من جو الوداد والثقة .

في منتصف الستينات كنت بصدد تأليف كتاب عن الشاعر المصري عبد الرحمن شكري ولم يكن « شكري » حتى ذلك الوقت قد الفت عنه الكتب الكثيرة كما هو الحال الآن(١) ، ولن كانت هناك مقالات كتبها الكاتبون عنه تجدها بين ثنايا الدوريات المختلفة وتعطي صورة ما عنه ، وكان اعتمادي الرئيسي في دراستي على ديوان « شكري » الذي جمعه وقدم له بدراسة وافية الاستاذ نقولا يوسف ؛ وما كنت اعرف شيئا عن الرجل الذي جمع هذا الديوان وصدره بهذه المقدمة الضافية المبينة .

وذات يوم وقع في يدي عدة اعداد من مجلة « الادب » التي كان يصدرها الشيخ امين الخولي واول ما لفت نظري رسائل « شكري » الى نقولا يوسف والتي كان ينشرها تباعا في هذه المجلة ، ولا شك ان الدارس يستعظم اي شيء يمت بصلة الى الموضوع الذي يدرسه .

---

(١) من هذه الكتب « عبد الرحمن شكري . نظرات في شعره » للدكتور انس داود ، و « عبد الرحمن شكري شاعر الوجدان » ليسري محمد سلامه ، و « عبد الرحمن شكري » للدكتور احمد عبد الحميد غراب .

وكان الاستاذ امين الخولي يعقد ندوة ادبية كل يوم احد يقصدها تلاميذه ومريدوه والذين يطلق عليهم « الأمناء » وقد كنت من المترددين على هذه الحلقة الادبية . وذات ليلة توجهت الى الشيخ امين بسؤال عن هذا الرجل الذي ينشر رسائل « شكري » فأجابني رحمه الله وافادني وأملى علي عنوانه . .

وقد كنت تواقا الى مقابلة اي رجل يكون قد عرف شكريا عن قرب ، فوجدت في نقولا يوسف ضالتي وعلى الفور كتبت اليه رسالة ضمنتها عدة اسئلة واستفسارات عن شكري ليجيبني عليها ، وبعد قرابة اسبوعين ، فوجئت برسالة منه مؤرخة في ١٩٦٦/٢/١٨ يخبرني فيها انه على استعداد للقائي ثم تفضل بالاجابة على اسئلتي وهذه هي الرسالة الاولى التي تلقيتها منه ، ولحسن الحظ لم تضع :

اخي الاديب الاستاذ احمد حسين الطماوي :

تحية واجلالا . تلقيت رسالتكم المؤرخة في ١/٣٠ — تأخرت في الوصول كما تأخرت في الرد وحلولت خلال المشاغل الخاصة ان اجيب على ما ورد في رسالتكم من اسئلة عن حياة استاذنا المرحوم عبد الرحمن شكري في شيء من الاسهاب ولكن نظرا لمرور الوقت دون تحقيق هذه الامنية ، رايت ان ابعث اليكم بهذه الاجوبة الموجزة الموقتة ريثما تسنح فرصة قريبة نلتقي فيها ، فقد ذكرتم في رسالتكم ان لا مانع من تحديد موعد للمقابلة بالاسكندرية ، فاذا كان هذا ميسورا فعنواني املاه تحت تصرفكم في اي وقت تشاءون شاكرا لكم هذا الظن الحسن بي ، والشعور الطيب نحو استاذنا الراحل ، ومهنئا اياكم بالمجهود الذي تبذلون في وضع كتاب عنه .

١ — لم يحدد شكري التاريخ الذي هاجرت فيه اسرة عياد من المغرب الى مصر — كعادته في اهمال التفاصيل والجزئيات الخاصة بحياته واقتصاره على الصور النفسية والادبية (كما ترى في : « الاعترافات » — وذكرياته في « المقتطف » و « الرسالة ») والارجح ان هذه الاسرة جاءت من المغرب في القرن الثامن عشر سعيا وراء الرزق .

٢ — هل كان في بور سعيد عام ١٩٠٠ مدرسة ثانوية مصرية ؟(٢) — ثم نقل والده الموظف من بور سعيد اذكر اننا عام ١٩١٧ عقب حصولنا على الشهادة الابتدائية من « مدرسة دمياط الاميرية » ولم يكن في هذه المدينة عامذاك مدرسة ثانوية او صناعية — حولتنا وزارة التعليم الى مدرسة راس التين الثانوية بالاسكندرية (داخلية) وكانت المدارس الثانوية « الحكومية » قليلة جدا والالتحاق بها خاضعا لتصرفات الوزارة وقوانينها .

٣ — لم يتزوج شكري (وكذلك لم يتزوج عباس العقاد — وفكري اباظه — وتوفيق حبيب (الصحفي العجوز) والفنان ادهم وائلي والاديب نقولا فياض ومي زيادة وخليل مطران الخ . . . ، ولكل منهم سببه الخاص .

٤ — لشكري قصيدة بعنوان : « ثورة ١٩١٩ » وغيرها وكان ينشر في جرائد : السفور ، وعكاظ ، والاهرام والمقطم ، وبعدها في المقتطف والرسالة والمجلة الجديدة — الخ . ولـه شعر ومقالات بتوقيع ع. ش. او غيرها (وانظر ملاحظات في آخر ديوان شكري الاخير) .

٥ — فصل شكري من مدرسة الحقوق بعد ان قضى بها سنتين (١٩٠٤ — ١٩٠٦) بسبب القصيدة اما المرحوم زميله عبد الرحمن بدوي فلم يفصل مثله نهائيا لتدخل بعض العوامل (وانظر صورة تلك الفترة وموقف مدرسة الحقوق في كتاب : « مصطفى كامل لعبد الرحمن الرافعي » باب اضرابات مدرسة الحقوق عام ١٩٠٦ .

والى اللقاء مع خالص مودتي — « نقولا يوسف » .

وعلى اثر هذه الرسالة توجهت الى مدينة الاسكندرية ولم اكن قد رايتها قبل ذلك ، وقابلني الرجل في منزله وكانه يعرفني منذ سنين طويلة ، ورحنا في احاديث شيقة عن شكري وعن الادب في عصره وعن فلان . . . وفلان والشيء بالشيء يذكر .

وعندما عرف مني ان هذه هي المرة الاولى التي ارى فيها الاسكندرية صحبني في اليوم التالي في سياحة جميلة عرفني فيها بعض معالم المدينة ، وقضينا ساعات جميلة في قصر « المنتزه » وشاهدت البحر الابيض المتوسط لاول مرة ، هذا البحر الذي ظللت لسنين طويلة ارسم خرائطه واذكر الثغور التي تطل عليه في امتحانات المدارس .

وفي يوم ثالث صحبته الى كازينو « المعلمين » حيث التقينا بالمستشار تادرس ميخائيل تادرس الذي اهداه نسخة من كتاب « ذكريات من عالم المحاماة والقضاء » . وطلب لي نقولا يوسف من المستشار نسخة من هذا الكتاب لاقرظه فاعتذر الرجل لعدم توفر ذلك ولكنه عندما عرف انني اقيم في القاهرة وجه الي الدعوة لزيارته وقد زرته واهداني الكتاب ولما قرأته اشفقت على نفسي ان اخوض في مواد قانونية وقد لا احسن الحديث عنها والحكم فيها فاستمتعت بما جاء فيها واثرت السكوت ، اما الاستاذ نقولا فقد كتب مقالا عن الكتاب في جريدة « وطني » وقد علقت على هذا المقال في رسالة فرد عليه برسالة في ١٩٦٦/٥/٨ .

واثناء زيارتي له اعطاني قصاصات من ورق الجرائد والمجلات وعندما طلبت منه مجلة « الابحاث » لعام ١٩٦٠ والتي نشرت رسائل شكري الى فؤاد صروف ، احالني الى الاستاذ وديع فلسطين وقد تعرفت عليه ونشأت بيننا صداقة اعتز بها ، وقد ساعدني كثيرا والرجل صاحب فضل وقد وصفت لنقولا اثر لقاء هذا الرجل الكريم في نفسي . وقبل ان نعرض خطابه في ١٩٦٦/٥/٨ يحسن ان نبسط هنا خطابه في ١٩٦٦/٣/٢١ حيث يقول :

اخي الاستاذ الجليل . . .

تحيات طيبات . . . وتمنيات . . . ودعوات . . .

(٢) هكذا من اصل الخطاب .

تلقيت رسالتك المؤرخة في ٣/٤ وفيها كلمتك القيمة عن « جبران » اما الكلمة فقد ارسلت الى مجلة « الاديب » البيروتية « وما على الرسول الا البلاغ » .. واما رسالتك الكريمة فاشكرك على ما جاء بها من ثناء انت جدير به لانك السابق الى الفضل ، الساعي الى الخير .. وارجو الا تعذلني على هذا التقصير في الكتابة وهذا التسويف في المراسلة « وقد وقد قلت حقا ولكن ليس ينفعه » لعلة اقتران برد الجو ببرودة الشيخوخة ما ينتج احيانا هذا « التقاعس » عن ادراك المطالب ، وهذا الفتور في الهمة ورحم الله القائل « وما نيل المطالب بالتمني ! » .

وبعد فارجو ان اوفق في ارسال كل ما شئت عن استاذنا المرحوم عبد الرحمن شكري فانت ولا شك تنشد الحق والانصاف والنقد النزيه وكلها صفات كانت تضل طريقها في ايامنا وسط اعاصير الحزبيات والعصبيات وما زال لها بعض الرواسب .

واما ما ذكرت عن رسائل شكري للعقاد التي سمح لك عامر العقاد بقراءتها دون نقلها فلعلك ترسل لي مشكورا كل ما تذكره منها لانها تتفق مع ما رواه لي شكري قبل وفاته .

اما كلمة « استاذي » في رسائل شكري فغير مقصورة على رسائله للعقاد وسوف تراها في رسائله الاخرى لفظة لا تعني شيئا .

حزنت لوفاة الباحث الاديب امين الخولي وهممت بالكتابة عنه وما زلت اهم ... وكلما شرعت في الكتابة عن صديق اديب راحل ، طالعني نعي اديب آخر (وانا اليه راجعون) ...

اكتب اليك على شاطىء البحر والامواج امامي تصطخب والعاصفة تزار وكأننا عدنا الى الشتاء وقد بدا الربيع فلكيا ...

والى لقاء مع خالص المودة واللقاء ودمت لاخيك « نقولا يوسف » .

اما خطابه المؤرخ في ١٩٦٦/٥/٨ فهذا نصه :

اخي الاستاذ الجليل

تحية وسلاما ؛ تلقيت رسالتك المؤرخة في ٥/٦ كما وصلتني سالمة رسائلك السابقة والمؤرخة في ٢/٢٤ ، ٣/٢٤ ، ٣/٢٥ ، ٤/٨ ولعلي كتبت اليك ثلاث رسائل او اربع فالحمد لله لم يضع من رسائلنا في الطريق شيئا . ولي مع مصلحة البريد قصص وحكايات في ضياع المراسلات ! واما الصحف والمجلات التي ارسلها اليك احيانا اذا شئت ؟ فللفرجة والالمام ، على طريقة « تفرج يا سلام » : . ووصلتني مقالك عن « جبران » وقصيدتك : « في موكب الربيع » وقد ارسلت الاولى الى « الاديب » والثانية الى « وطني » والارسال الى الصحف يا صديقي لا يكلف شيئا ، ولا يتعب احدا ؛ ولكن المهم هو رضاء محرري الصحف ومواءمتهم على النشر ، ولا علاقة لقيمة المقالة او لجمال القصيدة في هذا وذاك .. وما علينا الآن وسوف اواتيك بالنتيجة ... فهي امور مشهورة .. واما مقالتي عن كتاب الاستاذ تادرس « ذكريات » المنشورة في « وطني » فكما قلت تماما تهتم بالمؤلف اكثر من موضوع الكتاب ، فقد قصدت بها تحية صديق قديم جدير بالتعريف والتقديم على ان يلي ذلك النقد والتحليل والتقييم . ونويت كما قلت للمؤلف ان استكمل الموضوع في مجلة تحتمل الاسهاب ... وامامي عشرة كتب ودواوين جديدة اهداها الي اصحابها الاعزاء وفي نيتي الكتابة جميعا قياما بالواجب .. ولكني كما كتبت الى الاخ النبيل وديع فلسطين اشعر بداء عجيب فقد بلغت الستين ! فاني استطيع قراءة الصحف والمجلات، والكتب ، والمقالات كل يوم عدة ساعات .. ولكني لا اصبر على كتابة بضع كلمات !؟ وتتراكم امامي المؤلفات والخطابات والبطاقات وانتهز فرصة الاعياد فابعث الى الاصدقاء بعشرات المعايدات في بطاقات موجزات ، ويصل منها ما يصل ويضيع ما يضيع والله اعلم بمصير الباقيات !؟ والمسألة يا اخي ليست كما تقول في تفسير التأخير « تهاونا في امر الخطابات » ولكنها بوادر الشيخوخة بعد جهاد اربعين عاما في ميدان التعليم وميدان القلم وميدان الخدمة العامة والخروج منها جميعا صفر اليدين ولكنهما يدان نقيتان ، لم تعرفا غير الاحسان .

واما ما ذكرته في خطابك الاخير عن الصديق وديع فلسطين فحقيقي فهو كما عرفته منذ ربع قرن الانسان الفاضل المخلص النزيه والمؤمن كما يقولون مصاب !

ومع انه لا يملك في هذه الدنيا (مثلي) غير مرتبه الشهري ، فهو غني بخلقه ونبله . وقد سررت بما ذكرت عن تاليفك كتابا عن عبد الرحمن شكري ، وكان جديرا بأن يكتب عنه عشرة كتب كما حدث مع تلاميذه ، فخيرا فعلت والى اللقاء مع خالص المودة والوفاء « نقولا يوسف » .

واستمرت المراسلات بيننا وحمل الي ساعي البريد رسالته المؤرخة في ١٩٦٦/٧/٦ وفيها يقول :

اخي الجليل الاستاذ

تحية طيبة — تلقيت رسالتك الاخيرة من زمن ... وكلما هممت بالكتابة اليك والى سائر الاصدقاء او الى ارباب الصحف والمجلات — حالت دون ذلك اشكال والوان من المشاغل العائلية والمشاكل الدنيوية .

ومنذ ان اهل الصيف اخذ الاصدقاء الادباء يردون الى الشاطىء وقد اتخذنا ركنا من (كازينو كليوباتره الحمامات) المسمى اليوم بكازينو الغزال ، نعقد فيه جلساتنا الصباحية على شاطىء البحر — وكان اول القادمين في هذا الصيف الاستاذ ابراهيم المصري ، فاذا نزلت بشاطئنا قريبا وجدتنا في انتظارك — لمتابعة الحديث عن استاذنا عبد الرحمن شكري رحمه الله .. وعمن تحب من الادباء الراحلين والمعاصرين وكلنا في شوق الى رؤياك ..

ويبدو ان الصيف يدعو الى الكلام والحديث اكثر مما يدعو الى الكتابة والتحرير او هكذا يخيل الي ..

والى اللقاء ايها الاخ العزيز على شاطىء البحر .

مع خالص مودتي « نقولا يوسف » .

وفي عدد يوليه ١٩٦٦ من مجلة الكتاب العربي نشرت مقالا عن كتاب الاستاذ الفاضل علي ادهم (صقر قريش) نعلق عليه في هذه الرسالة المؤرخة في ١٩٦٦/٨/١٧ .

(كازينو لاكويرتا)

اخي الاستاذ ...

تحية وسلاما ... تلقيت يوم ٨/١٤ المظروف المسجل وبه رسالتك الكريمة المؤرخة في ١٩٦٦/٨/٨ وكلمتك النقدية لكتاب عبد الحي دياب ... الاقصوصة الرمزية المعنونة : (المجنونان) وهي قصة جيدة تصلح للنشر .. ثم قصيدتك العاطفية : (انا والسمراء) ..

وما زلت متحفظا بأصلي مقالة (جبران) وقصيدة (في موكب الربيع) اللتين ارسلتهما الي من قبل وارسلتا الى الصحف ..

ورجائي ان تحتفظ بصورة من كل قطعة ترسلها الي للنشر — فقد تضيع في البريد او في ادارات الصحف وسوف ترسل هذه القطع جميعا — كما اتفقنا — الى مختلف الصحف والمجلات بالرغم من الهرج والمرج الذي يعم الشاطىء في شهر اغسطس وقضاء النهار مع الضيوف والزائرين من الصحاب والمصطافين ..

واتصلت امس بفندق فلوريدا بحثا عن الصديق فوزي سليمان (جريدة المساء) لاسلمه مقالتك النقدية للنشر فعلمت من اسرته انه في بعثة او رحلة الى اوروبا ، وسيعود بعد ايام — ولهذا سأرسل مقالتك الى صديق آخر في « المساء » واطلعت بمجلة (الكتاب العربي) على مقالتك النقدية عن كتاب (صقر قريش) وهي مقالة ممتازة بمجلة ممتازة تدل على موهبة واستعداد في النقد .. ويا حبذا لو اقتصرت الآن على النقد الادبي الذي برزت فيه واجلت نشر القصائد الشعرية الى فرص قادمة حتى لا يتوزع المجهود الفني في عدة ميادين ..

ثم اني اشكرك على سعيك في الحصول على نسخة من كتاب شكري الذي وضعه الاديب يسري محمد سلامه وطبعه مجلس الآداب والفنون .. وارسال قصيدة شكري (القافلة) والسطور التي دبجها براعة اخينا دياب عني في كتابه المذكور . وعقب سفرك الى القاهرة زارني الاستاذ محمد السعدي فرهود الذي يعد رسالة دكتوراه من الازهر عن « شكري » وقضى معنا ثلاثة ايام وعاد الى القاهرة وقد ارسل الي انه اتصل بك بالبريد . ازكى تحياتي اليه والى صديقه الاستاذ محمد رجب البيومي والى اخي الاستاذ علي احمد باكثير (اذا التقيت به) والاستاذ ابراهيم المصري والاستاذ عبد العزيز الدسوقي والاستاذ اسعد حسني بجريدة الجمهورية والشاعر عبد اللطيف النشار بمجلة صوت الشرق والدكتور كمال نشأت بالمجلس الاعلى وسائر الصحاب ، والى اللقاء في اسعد الاوقات ودمت للمخلص « نقولا يوسف » .

وفي اغسطس عام ١٩٦٦ ذهبت الى الاسكندرية مصطافا والتقيت به عدة مرات في بيته وفي كازينو (لاكورتا) على شاطىء البحر ودار حديثنا عن الادب وعن « شكري » وعن الناس والحياة ، وزرنا المتحف الروماني الاغريقي وقام بالشرح والتعليق على كثير من التماثيل تجلت فيها مقدرته على الحديث في الفنون الجميلة ؛ ثم ارسل الي رسالة مؤرخة في ١٩٦٦/٩/٢ جاء فيها :

عزيزي الاستاذ

تحية واعزازا واجلالا .. تلقيت رسالتك الاخيرة — ومعها قصيدة « شكري » (القافلة) المنشورة في عكاظ ... فلك شكري الجزيل ..

وقد كتبت الى الاستاذ محمد السعدي فرهود — الذي يعد رسالة دكتوراه من الازهر عن عبد الرحمن شكري ، انه ارسل اليك خطابا تمهيدا للمقابلة وتبادل الراي في الشاعر وشعره ... واعتقد ان السيد فرهود رجل كريم الخلق . وزارني ايضا في الاسبوع الماضي الاستاذ بهجت العطار المدرس بمعهد المعلمات بالزقازيق واخبرني انه يعد رسالة ماجستير (دار العلوم) عن « شكري » باشراف الاستاذ محمد خلف الله وكيل جامعة القاهرة (ولعله في المعاش الآن) — وطلب الاطلاع على رسائل « شكري » ومجلة ... الادب ... وما اشبه ... ثم عاد الى القاهرة .. فالزقازيق ليكمل البحث .

واطلعت اليوم على مقاله بمجلة (الفكر المعاصر) عدد سبتمبر ١٩٦٦ عن عبد الرحمن شكري بقلم محمد عبد الغني حسن — ولم اطلع بعد على كتاب يسري سلامة عن « شكري » الذي طبعه له المجلس الاعلى لرعاية الفنون — لعلي اراه اذا حضرت قريبا الى القاهرة ..

وتأخرت في الكتابة اليك لاني كنت مزمعا على السفر الى القاهرة مع زوجتي (لان ابنتي وضعت طفلة — هناك في ١٩٦٦/٨/٢٢) وارجو ان اكون في (المعادي) هذا الاسبوع باذن الله لقضاء بضعة ايام مع ابنتي — وساكتب اليك لنتقابل في القاهرة ...

وتلقيت في هذا الاسبوع من الاستاذ محمد سيد كيلاني كتابه عن (الادب القبطي) وساكتب اليه اليوم شاكرا وقد عاد الاستاذ فوزي سليمان (جريدة المساء) من اوروبا وسأرسل اليه مقالك النقدي كما سارسل ما تبقى من المقطوعات الى الصحف والمجلات .

لك ايها الاديب العزيز خالص شكري ومودتي والى اللقاء . المخلص « نقولا يوسف » .

وعندما زار كريمته في المعادي في سبتمبر ١٩٦٦

التقيت به وفي هذا الخطاب المؤرخ في ١٩٦٦/١٠/٧ يشير الى ذلك قائلا :

اخي الاستاذ الجليل ...

تحيات طيبة وتمنيات ودعوات .. عدت الى قواعدي سالما بكليوباتره الحمامات يوم ٢١ من شهر سبتمبر (اللي فات) بعد ان قضيت اسبوعين في المعادي بين الحقول والقراءات والرقاد ... ومع الاهل والادباء والاحفاد ... وكان من حظي السعيد ، ان حظيت برؤيتك هناك من جديد ، ونعمت في هذه الرحلة بمجلس ادباء من القاهرة ، والصعيد ولكني عدت في هذه المرة منحرف الصحة والمزاج مما اقعدني عن الكتابة الى الصحاب والاحباب ... ولم تزل زوجتي تقيم مع ابنتي في المعادي وانا اهيم بين كازينوهات البحر وفي كل واد ... وليس لي اليوم عمل غير المطالعات في صحف الطبيعة وشتى المطبوعات ... ومنذ زمن مللت النقش على الورق بالاقلام فرحت اكتب في الهواء ما تمليه الاخيلة والاوهام ... هذه اخباري — فما وراءك يا عصام ؟ عساك قد شرعت في طبع كتابك عن « شكري » في احدى دور الطباعة والنشر .. وارجو ان تكون في صحة وعافية ... وان تكون قد ارسلت عددا من المقالات الى مختلف الصحف والمجلات ، وقد سلمت قصتك الى مجلة (السفير) السكندرية ، كما طلبت .. وارسلت غيرها الى صحف اخرى وسأفيدك في حالة نشرها — وكل آت قريب .. وكنت قد كلفت بوضع كتاب كبير عن (اعلام الاسكندرية) وفرغت من تأليفه منذ سنتين ولكني اعدت كتابته — وما زلت مشغولا بأمره اطالع من اجله عشرات المراجع في لغات ثلاث — يحيق بي الملل والكسل وفتور الهمة .. كما كلفت بوضع كتاب آخر عن (الادب اليوناني الحديث) منذ القيت في مهرجان الشعر السادس بالاسكندرية محاضرة عن (الادباء الاوروبيين السكندريين) ثم ركنته بعد ان بلغت نهايته ... وغير هذا وذاك كثير ... لا افهم سببا لهذا الفتور وهذا التقصير ...

ارجو ان اراك بخير وسلام في زيارتي القادمة للمعادي (ان شاء الله) وساكتب اليك لدى حضوري .. وازكى تحياتي الى الاستاذ الجليل علي ادهم والى اللقاء في رسائل قادمة قريبة ...

مع خالص شكري ومعذرتي ومدتي وسلامي . دمت لاخيك المخلص « نقولا يوسف » .

وحينما انهيت مؤلفي عن عبد الرحمن شكري دفعت به الى المطبعة لنشره على نفقتي في شهر سبتمبر عام ١٩٦٦ ، ولكن حدثت كارثة عطلت النشر وفي غير هذه المناسبة نفصل هذا الامر وقد ارسلت اليه اخبره ببعض ما حدث فجاءني كتابه المؤرخ في ١٩٦٦/١٠/٣٠ والذي يقول فيه :

عزيزي الاستاذ

تحية وسلاما ... تلقيت رسالتك الكريمة منذ بضعة ايام ... وبها تقول انك شرعت في طبع كتابك عن (عبد الرحمن شكري) على نفقتك وانجزت منه ملزمتين مطبوعتين ثم حدث ما عطل الطبع — وانت لذاك حزين الى آخر ما قلت .. ولكنك يا اخي لم تفسر لي هذه الالغاز ، وعساك ان تستشير الصديق الكبير علي ادهم ، فان له خبرة عريقة في ميادين التاليف والطبع والنشر ، وكان من رايه ومن رايي كما تذكر في جلستنا معه بمصر الجديدة ان طبع الكتب على نفقة مؤلفيها مجازفة مالية ابستغني عنها اليوم بالاكثار والتنظيم في دور النشر العامة والخاصة ، وعلى رأسها الدار القومية للطبع والنشر التي يخرج منها كل صباح كتاب مطبوع ، فهل يا ترى جربت حظك مع بعض هذه الدور قبل الاقدام على طبعه (من الجيب الخاص) ومع ذلك اظن ان امامك الفرصة في الاتصال باحدى دور النشر بالقاهرة لتكمل طبع الكتاب على نفقتها مع التباهل في الشروط ... وتكون هذه تجربتك الاولى في هذا الميدان الفسيح . ارجو ان تكون في صحة طيبة متمتعا بالسلام النفسي اما انا ففي صحة وعافية ولا جديد عندي — ولم ابرح الاسكندرية منذ عدت اليها من المعادي يوم ٦٦/٩/٢١ وهانذا اكتب اليك هذه السطور في كازينو كليوباتره على شاطىء البحر ، والصيف ما زال سائدا والبحر هادئا والشاطىء خاليا والقلب متعبا والقلم متقاعسا ، ولله الحمد الذي ادام نعمته فاستطيع القراءة والكتابة ولله الحمد في هذه السن ، ولا عمل لي اليوم غيرهما — في حدود الطاقة وقيود الشيخوخة — ثم ارجو ان تطمئنني على حكاية كتابك وعن حصولك على نسخة من كتاب يسري سلامة عن « شكري » ... وعن صحة الاستاذ علي ادهم .. وعن مشروعاتك القلمية الجديدة ومراسلة المجلات الادبية .

والى اللقاء في رسائل اخرى ...

ولك خالص مودتي وسلامي. المخلص «نقولا يوسف»

ويبدو ان الكريم الفاضل وديع فلسطين قد احاط نقولا بما حدث لكتابي فأرسل لي الرسالة التالية المؤرخة في ١٩٦٦/١٢/٦ ليسري عني :

اخي الاديب الجليل

تحيات طيبات ... وامنيات .... ودعوات ... راجيا لك وافر الصحة والعافية .. تلقيت رسالتك شاكرا وعلمت من رسالة للاستاذ وديع ما حدث لكتابك عن المرحوم عبد الرحمن شكري بعد ان طبعت منه ملزمتين ، والمسألة في رأيي سوء حظ طارىء ادى الى توقف مؤقت عن طبع الكتاب — ولا داعي للحزن او اليأس وقد قالوا : (كل تأخيره فيها خيره) — و (في التاني السلامة) — وتستطيع في هذه الفترة ان تضيف الى الكتاب جديدا وتبحث في دار الكتب عن مراجع نائمة ... وارجو اذا زرت يوما دار الصحف في القلعة ونبشت في مجلدات (السفور)

القديمة منذ عام ١٩١٥ ، وعثرت على قصيدة او مقالة « لشكري » في السفور ان تتكرم بافادتي مشكورا عن عنوانها وتاريخها — فقد نشرت مرة مقالة عن جريدة السفور بمجلة الادب لصاحبها امين الخولي رحمه الله — وكتبتها بالاسكندرية ، ولم اوفق الى العثور على هذه القصائد او المقالات — وقد دلت مقالاتك المنشورة اخيرا في (الكتاب العربي) عن كتاب الاستاذ علي ادهم (صقر قريش) وفي (الطالبة) عن علي ادهم ... وفي (السفير) اقصوصة — على مستقبل ادبي باهر — وفي مقدورك متابعة الكتابة في الصحف والمجلات في مصر والاقطار العربية — غير مهتم بتلكؤ بعض الصحف في النشر .

نحن هنا بخير وعافية ... ولم ار القاهرة منذ عودتي منها يوم ١٩٦٦/٩/٢١ وارجو ان اراك قريبا في صحة وسلام اذا زرتنا المعادي في اواخر هذا الشهر ان شاء الله لقضاء اعياد الميلاد وراس السنة مع ابنتي هناك وكل عام وانتم بخير ...

نالى اللقاء مع خالص المودة والوفاء . المخلص « نقولا يوسف » .

وفي ١٩٦٧/٤/٢٥ ارسل الي الرسالة التالية :

اخي الاستاذ

تحيات خالصات .. وامنيات ودعوات .. تلقيت اليوم رسالتك المؤرخة في ٦٧/٤/٢١ وكنا قد تبادلنا المعايدة في عيد الاضحى المبارك — ثم مضت ايام شغلت فيها بانهاء الكتاب الذي ورد ذكره في حديث جريدة (السفير) الاسكندرية — اعني كتاب (اعلام الاسكندرية في مختلف العصور) الذي كلفت بوضعه منذ شهور وكتبته مرة ومرات وانفقت فيه خير الاوقات واجلت من اجله اعز المراسلات وكان هذا سبب التقصير في المكاتبات — ثم انتهى الامر وفات .. وانقضى العمر في التافهات — لك ايها الاخ العزيز وافر التحيات وخالص التهاني على ما قرات من مقالات ونقدات وصادق الدعوات بالعمر السعيد والعمل المجيد بالثمرات ولك في (شم النسيم) عطر التمنيات ...

والى اللقاء في اسعد الاوقات . دمت للمخلص « نقولا يوسف » .

وفي اغسطس ١٩٦٧ توجهت الى الاسكندرية محطاما وتقابلنا كثيرا واطلعني الرجل على بعض مؤلفاته المخطوطة وكنا قد بيتنا النية على زيارة ضريح عبد الرحمن شكري الا انه لظروف ما لم تتم هذه الزيارة ، وقد التقطت لنا عدة صور على شاطىء البحر وما زلت احتفظ ببعضها واستمرت المراسلات بيننا ولكن اعترف باهمالي فقد ضاعت رسائل كثيرة مني وذات يوم تسلمت من ساعي البريد كارت مؤرخ في ١٩٦٨/٥/١١ مرسل من المعادي يقول فيه :

عزيزي الاستاذ الجليل

تحية طيبة — ارجو ان تكون في صحة وعافية — اكتب اليك من المعادي حيث ازور كريمتي وقرينها بمنزلهما الذي شرفتنا فيه مرة — واكون سعيدا لو مررت بنا لرؤيتك — وان شئت احضرت معك كتاب الشرقاوي لاتم منه بحثي عن سلامة موسى — ولنتحدث بما شئنا — لك خالص الشكر والمودة والتحية . دمت للمخلص « نقولا يوسف » .

وقد زرته للمرة الثانية في المعادي في منزل كريمته وكنا قد اتفقنا في هذه المرة على زيارة الكاتب الالمعي علي ادهم وتمت بالاعداد اللازم لاتمامها وقد تمت الزيارة فعلا واستقبلنا الاستاذ علي ادهم استقبالا كريما وتبادل الصديقان (ادهم ونقولا) ذكرياتهما عن عبد الرحمن شكري فقد كان كلاهما تلميذا له في مدرسة راس التين بالاسكندرية في العقد الثاني من هذا القرن .

وفي ربيع عام ١٩٦٩ زرته في بيته بمدينة الاسكندرية واستقبلني في مكتبته لاول مرة وراح يوضح لي اقسامها المختلفة واشار على مجموعة من قصص جالزورثي ، وقال انها هدية من عبد الرحمن شكري ، وتبادلنا الحديث على ما اذكر في فن القصة وكانت امسية جميلة طويلة تبادلنا فيها وجهات النظر في مختلف الموضوعات .

وفي اغسطس من نفس العام التقينا مرات في الاسكندرية — ولا اذكر اني زايت الرجل بعد ذلك وان كنا تبادلنا خطابات التهنئة في الاعياد المسيحية والاسلامية واعترف بتقصيري فقد شغلتني الحياة .. وعندما علمت بنبأ موته انتابتني كآبة نفسية شملتني لايام طويلة وادركت انني فقدت استاذا وصديقا ناذرا في علمه واخلاقه .

والاستاذ نقولا يوسف كغيره من ادباء جيله متعدد الجوانب فهو اديب وقصاص ومؤرخ وكاتب اجتماعي ومترجم ، ويجيد اللغة الانجليزية والفرنسية وله الماما واسعا باللغة اليونانية ، وله مؤلفات عديدة نذكر فيها (الفردوس) (تسعات وزوابع) ، (الحياة الجديدة) ، (الهام) ، (دنيا الناس) ، (مواكب الناس) ، (هم وهن) ، (تاريخ دمياط منذ اقدم العصور) وقام بجمع وتحقيق وتقديم ديوان شكري هذا غير ما ترجمه من الآداب العالمية الى العربية من امثال كتاب (اليابان) ، (ملخص الاوديسة) و (من الاغماق) لاوسكار وايلد (توت عنخ آمون) ومسرحية (العدالة) لجالزورثي . وسنطلع القراء في اعداد قادمة على ما تضمنته هذه الكتابات الجيدة من آراء عالية : ونقدات صحيحة ، وافكار صائبة .

ونختم الحديث عن اديبنا الراحل بكلمة للمنفلوطي جاءت في رسالة منه للاستاذ نقولا يوسف بتاريخ ٧ يناير ١٩٢٣ « ومن رزقه الله روحا قوية حساسة كروحكم وذهنا خصبا نديا كذهنكم فهو قمين ان يكون ذخيرة الامة في مستقبل حياتها فليكن هذا رايكم في نفسكم وما اعان على بلوغ ذروة العظمة مثل الثقة بالنفس » .

القاهرة — احمد حسين الطماوي

محاولات غير شهريارية

البحث عن شهرزاد

احمـد زرزور

المنوفية ـ مصر

أنا ... أنت ،
... ومصطرعان ضد الرجم ،
: كانت أول الاسفار
قريتنا السماوية
تظللنا ونحن هباءة الابنوين بالافياء
ذموهـا ...
ولم نك نتقن التمحيص ... ،
فانتشرت أمام الجمر
(نيساناتنا المهداة) ..
ضيعنا قصائدها بدغوى العهر ،
ثم تفحمت في الليل شعلتنا ..
بكائيتين ـ انحينا ـ على الديجور بالتجهيل ..
يا لغبائنا في النور !

أنا ... أنت .. ،
سحلنا العطر في الساحات
وارتحنا الى الاحجار ..
وحين تناوشتنا الريح والامطار ..
كنا طعمة للموت في القلوات
(عريانين أطمرنا)
فمنذا يشعل القلبين بالاعياد
... نبحث عنك يا ناموسنا المغمور ...
نجار منك يا قاموسنا الموشوم
بالصحف « العلائية »
ونخرق حائط الفولاذ
هذا السامق الممتد
بين الحلم والآني
نشمك في نتوء البحر
بالسفن البدائية
(رفضنا أن نجوب الكون باليخت
الذي دهنوه بالنهدين والانياب)

أنا .. أنت ..
وما زلنا
نشق الماء !



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

* * *

سؤال ينتظر جوابا

في مختلف انحاء العالم ..

يتكاثر اولئك الذين يحرصون على الحقوق المهدورة الضائعة لبني الانسان ، ويبكون على ذويها بالدموع السخينة ، وهم يتوجعون ويتفجعون ، ويرفعون الصوت جهيرا من اجل ان يرتفع ذلك الجور الماحق ، عن اولئك الذين نزل بهم .

ثم : من اجل ان يقوم التحقيق العادل النزيه ، في تحري الاسباب المفتعلة ، التي تم خلالها الاعتداء على حياة بعض الابرياء من بني الانسان ..

انهم يبكون على الحقوق الضائعة ..

ثم انهم يتساءلون باللهفة والتوجع :

كيف تضيع هذه الحقوق ؟! ولماذا تضيع .. ؟! ولماذا لا ينتصر لها الاحرار جميعا في (العالم الحر) ؟!

والى جانب ذلك :

تسمع التصريحات العنيفة . وهي تطالب بحزم وعزم وشدة ، بالافراج عن المعتقلين . والمعتقلين في سجون بعض الدول بعينها ..

بل نقرأ في كثير من الصحف العالمية :

البيانات المطولة ، وهي تطالب بانصاف ذلك النفر من المعتقلين والافراج عنهم فورا من تلك السجون الرهيبة ، والا فان الاحرار — وفي العالم الحر طبعا ! — لن يسكتوا على امتهان تلك الحقوق المهدورة .

فيا للفرحة اذن ..

انها بوادر الخير ، الم تر ان الغيث يبدأ قطرا ثم ينهمر ؟! الم تر انه يكون كذلك ، فاذا هو يعم الارجاء ، واذا هي تسيل به الاودية في كل مكان ؟!

فيا اخواننا المعذبين ..

ويا اخواننا في سجون الارض المحتلة بالذات ، وفي معتقلاتها الموحشة الرهيبة ، لكم البشرى ، فها هي ذي تهب عليكم نسائم الانسانية الرحيمة ، ولن تبعد بكم الايام ، حتى ترتفع من اجلكم الاصوات جهيرة عالية ، وهي تدوي في الدفاع عن حقوقكم المهدورة ..

الستم من بني الانسان ؟!

ان الدعوة التي نسمعها هي في الدفاع عن حقوق بني الانسان ، التي هدرها الهادرون ، وتجاوز عليها المعتدون .

ولقد اصابكم من العدوان ما يفوق الوصف ، فعذب منكم من عذب ، وابعد منكم من ابعد ، واخرج منكم الكثيرون من ديارهم ، وطردوا من ارضهم ، وفي ذلك كله ما يثير الضمير العالمي ويؤرقه ، ويستنزف الدمع من مآقيه ، على نحو ما رأينا منه ، وسمعنا عنه ، حيال ما اصاب المعتقلين في بعض الدول وفي بعض جهات من العالم .. !!

ويظل هناك سؤال ينتظر جوابا :

ترى ، هل يعتبركم اصحاب هذه الضمائر المستيقظة من بني الانسان حقا ؟!

ارجو ان تكونوا كذلك ، لكي تتجه نحوكم الابصار !!

صورة من اخلاقنا

في بث الاذاعة المباشر في الاردن :

ينقلونك — فجأة — وانت مسترسل في سماع اغنية او معزوفة ، الى واقع الحياة من حولك ، فاذا انت مع مسؤول في التربية — مثلا — يحدثك عن التعليم والمعلمين ؛

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وما يحيط ذلك من مشاكل ، وما يترتبه من حلول وتطلعات . او اذا انت مع مسؤول في إمانة العاصمة ، يحدثك عما تبذله الامانة من جهد ، في سبيل خدمة الآخرين من ابناء الجمهور ، وما يقابلها به هؤلاء الآخرون من اهمال وتفريط وقلة تعاون ، او اذا انت مع مسؤول في دائرة السير ، يتحدث اليك عن الاخطاء المميتة ، التي يصر على ارتكابها الكثيرون ممن يمارسون قيادة السيارات ، فيعاني منها جمهور المواطنين ما تتحدث عنه الصحف كل يوم ..

اجل ، انهم في البث المباشر في الاردن :

ينقلونك فجاة — كما قلت لك — الى مثل هذا ، فاذا هم يتحولون بك من الخيال الى الواقع ، بكل ما في هذا الواقع من حقيقة ، كثيرا ما تضيق الخناق على من يفرط فيها ، او يتعمد تجاهلها ، فاذا هي تجرحه وتؤذيه .. !

وفي هذا البث المباشر منذ ايام :

كانوا ينتقلون بالمستمعين الى دائرة الاحوال المدنية ، واذا مدير الدائرة هناك هو الذي يجيب على ما توجهه الاذاعة من الاسئلة ، فيرشد به المستمعين الى ايسر الطرق للحصول على دفتر العائلة ، ويبين الحلول لكثير من المشاكل التي تعترض المواطن ، عند اثبات الزواج والميلاد ، حين يتمان بعيدا عن القيود الرسمية في القرى النائية ، وفي الارياف والبوادي .

حدثهم عن ذلك كله ، وكان يجيب به على الاسئلة التي توجهها الاذاعة ، وكله في حدود المالوف ، الذي لا يثير عجبا ولا يستدعي تساؤلا .

وفجاة سمعت موظف الاذاعة يسأل :

« يقولون — يا سيدي المدير — ان الموظفين عندكم يضيقون ذرعا بالمواطنين ويردون عليهم بنزق ونفاد صبر ، وينتهرونهم على نحو يثير الاستغراب ، ويدعو الى الدهشة والاشفاق ..

يقولون هذا وشيئا من مثله ، فما قولك فيه هل تؤيده او تنفيه ؟! » .

وهنا قال المدير مجيبا :

لست مع الموظفين في مكاتبهم ، حتى اجيب عن يقين ومعرفة ومشاهدة ، ولكن ما دام الامر قد تحدث به الناس حتى وصل اليكم ، فهو اذن شيء لا استطيع نفيه ، كما انني لا استطيع انتزاعه من نفوس هؤلاء الموظفين ، ما دمت لا اقف شاهدا عليهم ، وهم يمارسون اعمالهم مع الجمهور ..

ولكن بقي ان اسالك انا في هذه المرة :

اليست هذه الصفات هي بعض اخلاق بلدنا التي يتصف بها الكثيرون من المواطنين في البيت والشارع والمجتمع ؟ ثم اليس هؤلاء الموظفون هم بعض النسخ الحية من هذه الاخلاق ؟! فما حيلتي بهم اذن ؟!

لو عرفوا منذ نعومة اظفارهم :

ان خدمة المواطنين باخلاص هي الواجب الذي يحتمه المجتمع على المواطن الصالح ، وان تقديم العون للآخرين عند الاستطاعة ، هو الضريبة التي تحتمها الانسانية على ابنائها جميعا .

لو عرفوا ذلك واستوعبوه في بيوتهم منذ نشاتهم الاولى ، لقاموا بادائه للآخرين دون ان ينبههم اليه احد ، وهم يتربعون في كراسي الوظيفة يقضون للناس مصالحهم .

هكذا قال مدير دائرة الاحوال المدنية ...

قال ذلك — او ما هو بمعناه — وكان صادقا فيه كل الصدق ، وبقي ان يعرفه الآباء والامهات عندنا في الوطن العربي الكبير ، لكي ينشئوا ابناءهم وبناتهم عليه منذ الصغر ..

وحبذا لو يفعلون ..

كتاب من المانيا

المستشرق الالماني المعروف بروكلمان ..

الف كتابا قيما في الادب العربي ، واعتبره الباحثون اهم واكمل مرجع لهذا الادب في غير العربية ، واعتمده الكثيرون منهم في ابحاثهم وفي دراساتهم ، وكان جديرا بمثل هذا التقدير .

ولقد اراد اديب من ابناء العربية ان يرد هذا الدين ، فالف كتابا قيما في العربية عن تاريخ الادب الالماني ، وذلك من اجل ان يكون مرجعا للدارسين من ابناء العربية ، وقدم منه نسخة للجامعة الاردنية ، ليكون في متناول طلابها واساتذتها ، وارجو ان يكون قد فعل مثل ذلك ، وقدمه لجامعات : بغداد ، ودمشق ، والقاهرة ، وتونس ، باعتبارها من الجامعات العريقة في الوطن العربي .

ان مؤلف هذا الكتاب هو الدكتور حمدي الخياط ..

ولقد سد كتابه فراغا في المكتبة العربية ، فما احوجنا الى ان نطلع على تراث غيرنا من الامم ، وفي لغتنا العربية ، وبخاصة تلك الامم العريقة ، من مثل الامة الالمانية .

ويتالف الكتاب من خمسة فصول ، الفصل الاول منها يتحدث عن العهد الجرماني القديم ، وعن اللغة الالمانية الفصحى ، وفي هذا الفصل يتحدث عن الشعر الجرماني قبل ميلاد السيد المسيح ، ثم يتحدث عن الشعر الجرماني قبل هجرة الشعوب ، ثم يتحدث عن الشعر الجرماني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المدفع المدموم

طلـع الفجر فهيـا نرشف الطـل النمير
ونروي القلب مـن نبع علـى دفق الخرير
غـرد العصفور صبحا يشكر الرب القدير
كل مـا في الكون حلو يدهش العقل الكبير
هل سمعنا او وعينا الحب يا اهل الضمير
هـذه الدنيا هبـاء زائـل ضمن الحفـير
فعلى م الجـور والقتـل ونهب المستجير
ادوي المدفع المحموم يروي ظمـا القلب الحقير
ودمـاء سفكهـا ذم وقـدح وزفـير
يا رصاص الغدر اصمت وضواريخ الضرير
كلنـا نبغي حيـاة الحب في اليوم المنير
حبـذا لبنان عيـد اخضر الغـود نضـير
يالي السعد عـودي في هنـا خـير وفير
واسمعي لحنـا جميلا انـه لحـن مثـير

عيسى ميخائيل سابا

تحت تأثير المسيحية الاولى ، واخيرا يتحدث عن الشعر في نهاية عهد اللغة الالمانية الفصحى القديم .

ويتحدث الفصل الثاني عـن عهد اللغـة الالمانية الفصحى المتوسط ، وعن شعر الزهد في عهد الاصلاح ، ثم عن ملاحم شعر الفرسان ، ثم عن عصر ازدهار اللغة الالمانية الفصحى في العهد المتوسط ، ثم عن ملاحم الابطال ، ثم عن ملحمة البلاط ، ثم عن شعراء الغزل ، ثم عن الشعر البطولي في قصور الملوك والامراء ، ثم عن انحطاط شعر الفرسان الغزلي ، ثم عن شعر الدراما التمثيلي ، ثم عن الاناشيد الشعبية .

ويتحدث في الفصل الثالث عن عهد الالمانية الفصحى الجديد ، ثم عن الشعر في عهد الاصلاح الديني ، ثم عن نقد الشعر ، ثم عن الكتب الشعبية في عهد الاصلاح ، ثم عن الفرق التمثيلية في المانيا ، ثم عن الجمعيات اللغوية ، ثم عن المدارس الشعرية ، ثم عن الشعر في عهد الوعي ، ثم عن ادباء الحماسة ، ثم يتحدث عن جوته ومؤلفاته ، وعن شيللر ومؤلفاته ، ثم يتحدث عن العهد الرومانتيكي ، والقصة والحكاية ، واخيرا يتحدث عن شعر العمال والشعر الاقليمي .

ويتحدث في الفصل الرابع : عن الشعر الالماني في القرن الحالي ، ثم عن الشعر الوجداني ، ثم عن الرواية والقصة ، ثم يتحدث عن عدد كبير من الشعراء والادباء والقصاصين ، ويترجم لهم ، ويأتي على ذكر مؤلفاتهم المختلفة في مواضيعها المتعددة .

ويتحدث في الفصل الخامس : عن الادب الالماني خلال النصف الاخير من هذا القرن ، ويترجم لعدد كبير من الادباء والشعراء الذين برزوا فيه ، ثم يتحدث عـن الدراما ، ويترجم لعدد مـن الادباء الذين لمعوا في هذا المجال . ثم يتحدث عن الرواية والقصة ، ويترجم للبارزين ممن كانت لهم آثار معروفة فيهما ، ويتحدث عما تركوه من آثار مطبوعة .

ذلك هو كتاب : « تاريخ الادب الالماني » .

ولقد وضعته للقارىء في تعريف خاطف ، وان مثل هـذا التعريف لا ينصف الجهد الكبير الذي بذله مؤلفه الدكتور حمدي الخياط ، استاذ اللغة العربية وآدابها في (جامعة كولونيا) العريقة .

والكتاب جدير بأن يقرأ لما فيه من حقائق لها قيمتها . وهو يقع في نحو اربع مئة صفحة كبيرة . وفي هوامشه الكثير من التعليقات التي توضح وتعلل وتبين الاسباب لكل غامض فيه .

عمان ــ الاردن

محمد سليم رشدان

ص.ب (١٧٥٥)

مولانا محمد علي الزعيم الهندي

١٨٧٨ — ١٩٣١

بقلم عجاج نويهض

* * *

علمنا من الفصل السابق في « الاديب » الشهر الماضي ، شيئا مقتضبا عن كيفية نشوء الصلة الاسلامية ، سياسيا واجتماعيا ، بين الهند وفلسطين في سني العقد الثالث من هذا القرن ، بسبب مشروع عمارة المسجد الاقصى المبارك ، وارسال زعيم فلسطين الحاج محمد امين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى رحمه الله ، وفدا اسلاميا فلسطينيا الى الهند لجمع الاعانات المالية للمشروع ، وهو اسلامي عالمي ، وكانت الزعامة الاسلامية في الهند وقتها معقودة اللواء لرهط مجرب يسمى « لجنة الخلافة » يتقدمهم مولانا محمد علي الذي كان قبل ٤ سنين « رئيسا لوفد لجنة الخلافة ١٩١٩ » وهو الوفد الذي ذهب الى لندن محتجا باسم مسلمي الهند على تقسيم تركيا وذلك قبل ان يظهر مصطفى كمال .

وعلمنا ايضا من الفصل السابق ، ان اللقاء الاول بين السيد الحسيني وزعماء الهند قد تم في المؤتمر الاسلامي العالمي في مكة المكرمة سنة ١٩٢٦ وعلمنا ايضا قصة زيارة مولانا محمد علي لفلسطين سنة ١٩٣١ الزيارة التي تمت عن طريق طبريا وانف الانكليز راغم على ما سبق بيانه . ولعل القارىء الكريم يذكر الخطبة التي خطبها محمد علي في منزل سماحة السيد الحسيني على جماهير جمة ، تناول فيها عرى الاخوة الاسلامية حول فلسطين . ومن جملة ما وقع الاتفاق عليه بين الحسيني ومحمد علي في خلوات الابحاث بينهما ، ما يتعلق بعقد مؤتمر اسلامي عالمي في القدس ، بجوار الحرم في تلك ١٩٣١ على ان يحضره مولانا محمد علي ومعه وفد اسلامي هندي يمثل مسلمي الهند اجمع . وهذا المؤتمر المفكر فيه في القدس الآن ١٩٣١ كان قد بحث فيه بين الحسيني ووفد لجنة الخلافة في مؤتمر مكة ١٩٢٦ . والاثنان كانا رحمهما الله يرميان عن قوى واحدة لغرض واحد هو فلسطين الغالية .

وكانت الحكومة البريطانية في ذلك الوقت تعالج قضية الهند كلها ، وتطرح طريقة «مؤتمر المائدة المستديرة» جمعاء لزعماء الهنادك والمسلمين وغيرهم . فاتفق الاخوان الحبيبان الحسيني ومحمد علي على ان يكون عقد المؤتمر الاسلامي العالمي في القدس لا يتعارض مع « مؤتمر المائدة المستديرة » في لندن من حيث الزمان والاوان(١) .

في نوفمبر ١٩٣٠ وردت برقية من مولانا محمد علي في الهند الى السيد الحسيني مآلها انه سيلبي دعوة الحكومة البريطانية الى مؤتمر المائدة المستديرة ، ولذلك لن يكون بوسعه أن يجتمع بالسيد الحسيني لضيق الوقت ، فاذا كان هناك امور تحتاج الى مزيد من التفاهم حولها بشأن المؤتمر الاسلامي المقبل ، فليتفضل بسماحته بايفاد مندوب من قبله يوافيه الى مصر ويلاقيه في اثناء عبور الباخرة ترعة السويس والباخرة متجهة الى لندن .

فندبني سماحة الحسيني الى هذا وزودني بتعليمات كافية . وكان العالم كله وقتها جعل يتطلع الى لندن ، وكان غندي في ازدهار زعامته ونفوذه ، والهنادك يطيعونه حتى الموت . وكانت فكرة مستقبل مسلمي الهند تجول في خواطر القادة المسلمين جولانا ذهبيا وهاجا ، فهم يعلمون ان السير والهنادك في قافلة واحدة ، في المستقبل امر عسير لما بين الثقافتين وينابيعهما من فروق عميقة . ومن ذلك الحين كانت فكرة الدولة الاسلامية في الهند ، منفصلة عن الهنادك (جماعات غندي) تراود اذهان القادة المسلمين ، وهي الدولة التي كانت بعد عقدين من السنين باكستان (الارض الطاهرة) .

لما وصلت السويس ، وانا مدرك قيمة الوقت في المهمة التي انا ذاهب من اجلها ، ذهبت مساء الى الفندق الذي نزلنا فيه سنة ١٩٢٦ لما كنا ذاهبين للحج ولحضور المؤتمر الاسلامي العالمي الذي دعا اليه الملك عبد العزيز الفيصل بعيد استيلائه على الحجاز ، وكان الحج والمؤتمر سنة ١٩٢٦ واتفقت مع مدير الفندق ، على ان يذهب معي بنفسه الى الدائرة المختصة لأنال رخصة او اذنا بدخول الباخرة فكتوريا التي ستكون في الصباح راسية في المرفأ او باب المعبر الى الترعة ، وافهمت مدير الفندق اني اذا لم انل الرخصة لدخول الباخرة او الصعود اليها فتكون مهمتي قد اخفقت . وكان هذا الرجل قد عرف سماحة الحسيني المفتي في طريقنا الى الحجاز قبلا ، وانا ايضا كنت قد عرفته جيدا ، فخروجه معي في الصباح الباكر ، نحو السادسة ، كان نعم العون حقا . ولكن كنت انتظر

---

(١) لا بأس ان نلاحظ ان « مؤتمر المائدة المستديرة » في لندن بين نوفمبر ١٩٣٠ وديسمبر ١٩٣٢ عقد ثلاث مرات هذه تواريخها :

الاول — نوفمبر ١٩٣٠ — يناير ١٩٣١

الثاني — اوكتوبر — ديسمبر ١٩٣١

الثالث — نوفمبر — ديسمبر ١٩٣٢

ووفاة مولانا محمد علي في « مؤتمر المائدة المستديرة » في لندن كان في اثناء المؤتمر الاول وفي آخر ١٩٣١ عقد المؤتمر الاسلامي العالمي في القدس .

العون ايضا من صديق طبيب لبناني يعمل في دائرة الصحة في القسم المتعلق بالميناء او المرفأ هو الدكتور سعيد طليع : وهو صديقي من ايام حكومة فيصل بن الحسين في دمشق من خريف ١٩١٨ — آخر تموز ١٩٢٠ ولكن الدكتور طليع لا فائدة منه قبل الوصول اليه ، وما كنت لقيته منذ انحلال حكومة فيصل في دمشق ، سوى مرة زار فيها القدس سنة ١٩٢٥ ليكون بقرب قريبه المريض ، رشيد طليع احد وزراء فيصل ووالي حلب لما هاجم غورو سوريا وصديقه الحميم ابراهيم هنانو وكان يعمل معه في ولاية حلب ، ورشيد طليع كان رئيس حزب الاستقلال المنبثق من « العربية الفتاة » ، وهو اول من الف اول حكومة عربية في عمان سنة ١٩٢١ بعيد مقدم الملك (الامير وقتئذ) عبدالله من مكة .

فلما انتهت مهمة مدير الفندق معي وسمح لنا بدخول تلك السراي المستطيلة تركني عند المدخل الاول ورجع فشكرته . والآن قاربت الساعة السابعة فاجتزت اول نطاق من الحرس وسألتهم عن الدكتور طليع فقالوا في الطابق الاعلى ، فجئت النطاق الثاني وهو على درج اعلى من الاول فاجتزته وسألت الحرس عن رئيس الاطباء الدكتور طليع (يلقبونه باشا طبيب) فقالوا في الطابق الثاني الاعلى فجئت هذا الطابق الاعلى فوجدته واسعا مستطيلا على هندسة المستشفيات الضخمة الكبيرة . لم يبق حرس امامي اجتازه ، فهذا الذي اجتازه الآن هو الثالث والاخير ، فقلت لهذا الحرس : هنا الدكتور طليع ؟ قالوا نعم ، وهناك هناك الى هذا الجانب غرفته وهو نائم ، فرجوت من الحرس ان يتفضل احدهم بأن يمشي معي قليلا حتى يمكنني معرفة الغرفة عن كثب ، فمشى معي مسافة ما ثم اشار بيده الى الغرفة ورجع .

فتقدمت حتى انتهيت الى هذه الغرفة ، فوجدت بابها الكبير العالي مفتوحا ، وفيها تخت واحد فيه شخص نائم . ولم يكن في ذلك الممشى الطويل احد من الموظفين والحراس اصبحوا في الخارج على مداخل الدرج طابقا طابقا . وكان معي عصا حسب عادتي ، ومن حبي سرعة الوصول الى الدكتور طليع ، ولاعتقادي ان الدكتور طليع هو هذا النائم هنا في هذا السرير ؛ ولكن وجهه كله غير ظاهر منه شيء ، اذ يغطيه الشرشف او اللحاف ، فقد تراءى لي ان اوقظه عن طريق طرفي قدميه المبسوطتين في السرير خارج الشرشف ، ولكني مع ملاحظتي ان هذين القدمين كبيرتان جدا ، وطليع قصير القامة ، لم اتنبه لهذه المسألة ، فاذا بي دون اية مناداة مني ، ودون اية حركة ينبعث منها صوت ، ضربت هاتين القدمين بالعصا ، طبعا لا ضربة موجعة ، بل ضربة صديق مشتاق الى صديقه ، وفي رعشة عين انتفض هذا النائم من ضربة الرجلين من ناحية القدمين ، واطاح بالشرشف جانبا ، واستوى في سريره ، وسألني قل من انت ، وهو مستعد للغضب : لولا علمه ان الوصول الى هنا لا يمكن ان يقع ، الا بعد مرور ثلاث حلقات من الحرس المسلح ، وهذا بداهة معناه اني لست قاصدا شرا . ولكني وفقت في اني بادرته بالقول بكل طمأنينة وتؤدة اني قادم لارى الباشا طبيب طليع وهو صديقي ، فأرجو منك ان تقبل معذرتي وتستمع الى قصتي ... فاني في صدد مهمة دقيقة وقد يهمك امرها .

فهدأ فورا وقال : ان الباشا طبيب طليع قد نقل الى الاسكندرية بالتلفون هذه الليلة ، فوصلت انا في منتصف الليل وتسلمت منه الادارة وذهب هو فورا حسب التعليمات السريعة . فشكرته شكرا ايقن انه من صميم فؤادي ، وبينت له الغاية من مجيئي لأرى مولانا محمد علي الزعيم الهندي في الباخرة البريطانية الى لندن ، قبل ان تدخل الباخرة القناة . فلما استوعب كل هذا مني ، نهض من السرير فاذا به عملاق طولا وعرضا وبسطة جسم . وفي نحو الثامنة كان الاذن لي بالصعود الى الباخرة قد انتهاه بعد المخابرات الضرورية وسلمني اياه . فلما جئت اكرر شكري له قلت له : متى ما علم الدكتور(٢) بهذا الحادث بيني وبينك هذا الصباح ارجو منك الا تنسى ان تسترعي انتباهه الى الفرق في المساحة بين جسميكما . وودعته وذهبت الى المرفأ متجها الى الباخرة .

لما سألت المسؤولين عن مولانا محمد علي ، قيل لي انه على سطح الباخرة الآن ، في فراشه هناك ، فلما جئت اصعد السلالم واخرج على مشاهد بهرتني من العظمة والفخفخة ، وما كنت في حياتي من قبل داخلا باخرة مثل هذه ، فخطر ببالي ما لسفر البحر عند الانكليز من شأن وابهة ، وبعض كتاب القصص منهم يكتبون اعجب قصصهم وهم في عرض المحيطات بين الزرقتين . وقيل لي ان الباخرة فكتوريا هذه هي من اروع ما انتجته صناعة البواخر في العصر الحديث عند الانكليز . ولكني وانا في هذه الطريق

---

(٢) كان الدكتور سعيد طليع قصير القامة ، وهو من اعضاء المؤتمر السوري (١٩١٩ — ١٩٢٠) في دمشق ممثلا جبل لبنان في المؤتمر وكان من لوالبه نشاطا وحركة ، وكان مقربا من فيصل اميرا وملكا (ملكا من ٨ آذار ١٩٢٠ الى آخر تموز ١٩٢٠) ووقت مجيء لجنة « كراين » الاميركية ١٩١٩ الى سوريا وفلسطين ، كان الدكتور سعيد من يعاسيب الحركة الوطنية التي قدمت المطالب القومية الى اللجنة ، وهي لجنة استفتاء اقترحها الدكتور ويلسون الاميركي في مؤتمر الصلح للوقوف على آراء اهل البلاد في سوريا وفلسطين والعراق ، ولكن كليمنصو رئيس الوزارة الفرنسية ولويد جورج رئيس الوزارة البريطانية تخليا عن ويلسون لمصلحة تطبيق المعاهدة السرية بينهما وهي اتفاق « سايكس — بيكو » فاقتصر استفتاء اللجنة بالتالي على سوريا وفلسطين ولبنان . ومن آثار الدكتور طليع الجميلة انه جمع رسوم اعضاء المؤتمر ورتبها لوحة يظهر الملك فيصل في وسط صدرها الاعلى ، وطبعت هذه اللوحة وزعت ثم ادرجت في بعض كتب التاريخ والمجلات . والدكتور سعيد طليع خريج الجامعة الاميركية في بيروت وهو من قرية « الجديدة » — الشوف ، لبنان في طريق المسافر من بعقلين الى المختارة . وله تمثال في قريته هذه يراه المسافر بالسيارة تحت الطريق .

الخلابة الى مولانا محمد علي : حرت في نفسي على اي مشهد سألقاه بعد هنيهة ، وقلبي صارت ضرباته عنيفة . وبالتالي انفتح الافق امام عيني ، فوجدت سطح الترعة الى جانبي ، وسطح الباخرة الكبرى لا يقل بمساحته عن ميدان سباق .

ولما استويت على سطح الباخرة ، سمحت لنظري ان تتخطفه المناظر الساحرة ، وانا امسيت شبه ضائع ، ولكن نبض قلبي ودقاته لم يزل كل ذلك شديدا . وليس معي احد ، لا من الركاب ولا من ربابنة الباخرة وخدمها وموظفيها فهي مدينة عائمة . فوقفت مكاني اتلفت يمنة ويسرة . واذا بشبح ابيض ، هناك هناك ، قرب حافة سطح الباخرة ، يتحرك ، ولا صوت ، ولا حركة ، ولا تسمع على سطح الباخرة شيئا من ضجيج الدنيا الذي في قلبها . فاخذت اتجه نحو الشبح الابيض وقطعت انه هو هو : مولانا محمد علي ، فلما ازداد اقترابي ايقنت اني واصل اليه ، وشعوري ، لا ادري انا ماش على سطح الباخرة مشيا طبيعيا بجسمي ووزني ، ام محمول في الهواء ولا اعرف بعد قليل اين مستقري .

واذا بصوت كانه هابط من السماء !! يناديني باسمي كما كان يناديني في مكة سنة ١٩٢٦ ، وفي دمشق والقدس ١٩٣٠ ، هو صوت مولانا محمد علي !! كان جالسا في الفراش على سطح الباخرة الخشبي ، من تحت راسه المخدات ، ووراءها المساند ، والفراش وما عليه من شراشف كل ذلك ابيض كانه اقحوان . فلما دنوت منه ، وايقنت اني اصبحت بين يديه ، ولم اشبع من عناقه ، جعلت استفسر منه عن عافيته وحالته الصحية ، فكان يجيبني اجابات مؤمن ، تقطر ثقة بالله ورحمته ، ولكن لا تطمئن انه يسرح ويمرح في جو نفسي يرجو البقاء بعد ، طويلا في الدنيا .

واشرح الامر ليتبين للقارىء من هو مولانا محمد علي ساعة كنت بين يديه على سطح الباخرة فكتوريا في السويس في طريقه الى « مؤتمر المائدة المستديرة » في لندن لبحث مستقبل الهند والهند تكاد تكون قارة بنفسها ، لكثرة اجناسها وطوائفها وعقائدها وفلسفاتها ، القديمة والحديثة ، من بوذا الى غندي .

انهيت اليه كل ما يتعلق بامر عقد المؤتمر الاسلامي العالمي في القدس ، وكل ملاحظات السيد الحسيني في هذا الصدد ، فاعطاني الاجوبة التي سجلت لبابها وصفوتها في دفتر جيبي لانقلها الى السيد الحسيني ، وخلاصة الخلاصة انه من جهته حريص الحرص كله على ان يحضر المؤتمر ليسجل فيه صوت مسلمي الهند الطالب اسقاط الانتداب والصهيونية . ويتوقف هذا كله على نقطتين : كيف تجري الرياح بسفينة المؤتمر ، هذا اولا ، وثانيا امر صحته : فان اطباءه لم يشجعوه على هذه الرحلة ولكنه هو آثر المضي بالعمل على كل حال متكلا عليه تعالى .

بعد ان فرغنا من مسألة المؤتمر حدثني — والآن لثاني مرة : اذ كان قد سبق له مثل هذا الحديث في مكة المكرمة قبل خمس سنين — عن مسألتين عظميين يجب ان يحققهما في حياته ، اولا : ادخال حروفنا العربية هذه الى الهند ، لتحل محل الكتابة الحجرية الصحفية ، فيصبح العالم الاسلامي يستعمل طرازا واحدا من الحروف ، وثانيا في الهند عشرات الملايين من اهل الطبقات المنبوذين يقال لهم (الباریاه) من الهنادك يريدون الانتقال الى الاسلام دفعة واحدة . فنحن نرحب بهذا ، ولكن الهنادك وعلى راسهم غندي لا يريدون ذلك ، ونحن لا نريد الخلاف مع غندي خلافا ناشئا عن هذه القضية .

وفي اثناء وجودي بين يديه جالسا على جانب من الفراش كل هذه الجلسة ، التفت بغير قصد فرايت «بقجة» بيضاء معقودة ، كاية بقجة تراها في المنازل والبيوت وهي من الخارج مزينة بعروق خضراء من على الدائر تكسبها جمالا فنيا ، ومحل البقجة الى يمينه على محاذاة راسه فاذا مد يده تناولها اذا اراد . فتعجبت اول للامر من ان هذه البقجة ، مهما يكن فيها ، اما كان الاولى ان تكون في حقيبة ؟ ثم لفت نظري من امرها انها ربما لا تشتمل على شيء من اللباس كالقميص وما اشبه . ثم قلت في نفسي : لو لم يكن مولانا محمد علي حريصا على هذه البقجة جدا ، لما كانت معه في جانب فراشه على سطح الباخرة ، وكبر علي اول هذه الحالة ان اسأله ما هذه البقجة يا مولانا . ولكن لما وجدتني كثير الالتفات والنظر الى البقجة ، مع استمرار الحديث معه بشأن انتقال المنبوذين في الهند الى الاسلام ، عدت لا اطيق البقاء على حيرتي فسألته : عندنا هنا في بلاد العرب نسمي هذه الصرة بقجة وهي غير عربية ، واحببت الدخول عليه من هذه الناحية اولا لاتدرج منها الى سؤاله ما في هذه البقجة يا مولانا . وبالتالي سألته .

فوضع يده اللينة عليها ، وراح يتحسسها بنعومة ورفق ، كما تفعل الام في افراغ حنانها على شعر طفلها ، وقال بصوت هادىء ، كان الباخرة فكتوريا قد جمدت في الماء لتسمعه خاشعة :

« هذا كفني من قطن الهند ، يرافقني في رحلتي ، فاذا توفاني الله في الغربة ، فيكون كفني حاضرا معي اذ لا اريد ان اكفن بغير قطن الهند اينما وافاني اجلي » .

والسماء صافية كعين الديك ، قال لي هذا وهو يعلم علم اليقين ما توقده كلماته الايمانية هذه من نار محرقة في نفسي ، فاخذ يتطلع الى السماء ، مغمضا عينيه وكانه دخل في توسل وضراعات للخالق جل وعلا ، مبقيا يده الناعمة على البقجة يهدهدها بحركات خفيفة شبه الدبيب ، فملت الى وجهه المنير وقبلته من الخدين وقلت له : مولانا

محمد علي ، ارجو منك ان تعذرني . فأشعر كأن لساني قد عقد . وكل ما استطيع ان اقوله اني ادعوه تعالى ان يحفظك للهند وفلسطين والعالم الاسلامي ، وان شاء الله تحضر المؤتمر الإسلامي العالمي في القدس بوقته هذه السنة ١٩٣١ .ومعك وفد الهند الذي كان بمكة . وهذه البقجة الطاهرة الاقحوانية هي عائدة معك الى الهند ان شاء الله . فقال لي بصوت ملائكي : المسلم لا يخاف الموت وكررها(٣)!! فقبلته تقبيلا وداعيا ، ونهضت ودمعي حجب عن نظري الرؤية ، واخذت اتراجع القهقرى ووجهي اليه ، وهو رافع يديه الاثنتين ، ولا احد على ظهر السفينة غيرنا ، وذلك البسطح من كبره واتساعه كأنه قطعة من صحراء ، حتى توارى وجهه عني وانا في التقهقر ، تواري الشمس في المغيب والغروب .

واخذت نفسي تعتلج وانا نازل من السفينة . واخذت صور مولانا محمد علي تمر كالمواكب النورانية امام عيني . فرددته الى العصر الاول ، فبدا لي كأحد الصحابة عليهم رضوان الله . ورددته الى قواد الفتوح الاولى ، فلاح لي كأنه قادم من اليرموك او القادسية ، ورددته الى صفوف العلماء المسلمين في القرون الاولى فرأيته فيها العالم المسلم، كلمته في الحق اقطع من السيف البتار . ورددته الى عالم اليوم الحاضر ونسميه عالم السياسة فوجدت نظراءه وامثاله ثلة قليلة . وقفلت من السويس راجعا الى القدس فقدمت تقريرا في مهمتي الى سماحة رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، وهذا رسمي ، وتقريرا خاصا لسماحته فيما يتعلق بالبقجة المترجمة عن نفسيته الروحانية .

اما مولانا شوكت علي ، اخو مولانا محمد علي ، فلم اره في السويس ولا اذكر الآن شيئا عن طريقة سفره الى مؤتمر المائدة المستديرة ، ولكني اكاد اجزم انه كان اسبق في السفر او متاخرا فيه اذ لو كان مسافرا في الباخرة نكتوريا لكان حتما علي ان اراه .

وانعقد « مؤتمر المائدة المستديرة » في لندن وجعل مولانا محمد علي يلعب دوره مع اخوانه من كبار زعماء الهند المسلمين ، وفي اثناء المؤتمر نفذ قضاء الله في البطل الاسد ، مولانا محمد علي ، وكفن بكفنه الابيض الذي كان رفيقه في البقجة ، وانتشر نعيه في العالم كله ، فوجف قلب الهند وقلب العالم الاسلامي لنعيه ، وكأن الارض والسماء ترددان : انا لله وانا اليه راجعون . ووصلت برقية النبأ بوفاته من مولانا شوكت علي في لندن ، الى سماحة الحاج محمد امين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ومفتي فلسطين الاكبر فنعى الفقيد العظيم فقيد الاسلام

(٣) ذكر العلامة عبد الوهاب عزام في كتاب « بيام مشرق » — « رسالة الشرق » للشاعر الفيلسوف محمد اقبال (ت ١٩٣٨) ان (اقبالا) لما كان يجود بنفسه في حجر خادمه (الهي بخش) كانت آخر كلماته : « اني لا ارهب الموت ، انا مسلم ، استقبل المنية راضيا مسرورا » .

وصديق فلسطين ، من على المآذن حول الحرم الشريف . وانفذت الاوامر الى جميع انحاء فلسطين باذاعة النعي من على المآذن واقامة صلاة الغائب .

ذكرت في فصولي الستة التي وضعتها في هذا الزعيم الملهم الحاج محمد امين الحسيني تتضمن سيرته العامة ومآثره الكبرى العمرانية والثقافية في فلسطين ونشرت في « الاديب »(٤) سنة ١٩٧٥ ان من جملة ما وهبه الله تعالى مضاء العزم مضاء كهربائيا ، الى صحة الرؤية وبعدها . والاعتصام بنور الحق ، وهذه الصفة فيه لانها فطرية وهي من شمائله ، فقد اتسع تجليها بعد توليه الافتاء ورياسة المجلس الاسلامي الاعلى . وصداقته مع مولانا محمد علي واخيه شوكت علي بدأت في مؤتمر العالم الاسلامي في مكة المكرمة ١٩٢٦ (راجع مقالات سيرته المذكورة في الحاشية آنفا) وكان المفتي يأمل خيرا كثيرا من اخواننا مسلمي الهند في نصرة المسلمين . وكان الملك حسين بن علي قد دفن في جوار الحرم القدسي في السنة الماضية ايماء الى تعلق العالم الاسلامي بفلسطين .

فلما وصلت برقية نعي مولانا محمد علي ، طبعا كان لها الوقع الشديد العميق الغني عن الوصف . فالفقيد المسلم العظيم قبل سنة زار القدس لاول مرة وصلى في المسجد الاقصى ومسجد قبة الصخرة المباركين ، وكان يرجى ان يكون في المؤتمر الاسلامي هذه السنة (١٩٣١) فما اكبر خسارة الاسلام بفقده !

تركت سماحة المفتي الحسيني في مكتبه ، والناس احتشدت في الحرم جماهير جماهير ، وكبار القوم والاعيان يدخلون عليه للتعزية ، ومضى على هذا حصة من الوقت . واذا به يطلبني اليه ، ولا تبعد غرفتي عن مكتبه الا نحو ١٠ امتار فجئته فورا ، فوجدت ان وفود المعزين قد خفت ، فطلب من الحاجب الا يدخل عليه احد لفترة قليلة فبقيت معه انا وحدي ولا ثالث معنا . فقام من كرسيه — وهذه كانت عادته عند نزول النوازل وتحتاج الى علاج — وجعل يمشي داخل المكتب ، وانا صامت انتظر ماذا عساه ان يقول ، ثم وقف وأمال بعمامته الى الوراء ، ثم قال : « ارى ان نبرق الى مولانا شوكت علي بالتعزية والطلب منه ان يوافق على قبول رجائنا وهو ان ينقل جثمان مولانا محمد علي ليدفن بجوار الحرم كما دفن الملك حسين السنة الماضية رحمهما الله » . قال هذا ، وقرأت في تموجات جبينه نورانية العزم ، وقلت له : ما ترونه سماحتكم يراه المسلمون جميعا . ولماذا لا يكون عندنا نوعا من «البانتيون» الاسلامي او مرقدا لعظماء المسلمين : فقال : اكتب البرقية والانكال على الله ، فكتبت البرقية فوافق على صورتها وارسلت الى البريد فورا . فانظر الى هذا العزم الاكبر !! لا حاجة الى استشارة احد . وبعد ٢٤ ساعة جاءت برقية

(٤) عدد ابريل ومايو ويونيو ويوليو واغسطس وسبتمبر ١٩٧٥ .

من مولانا شوكت علي مؤثرة جدا ومما يقول فيها : « سماحتكم احببتم اخي محمد علي ؛ اخاكم في الاسلام ؛ وعرفتم نضاله في سبيل فلسطين ، وتحبون ان يكون مرقده عندكم بجوار المسجد الاقصى(٥) ، فالهند تضمد جراحها وتتنازل لكم عنه ليكون صلة الوصل بيننا وبينكم رحمه الله » .

واهتمت الشقيقة مصر بمأتم مولانا محمد علي ، اهتماما واسعا من جمعية شبان المسلمين وكان يتولاها الدكتور عبد الحميد سعيد ومحب الدين الخطيب ، ورجال الادب والشعراء والصحافة وكان من الترتيب ان يصل الجثمان الى بور سعيد ثم ينقل في القطار الى القدس ؛ وشغل مأتم مولانا محمد علي العالمين العربي والاسلامي ، فكان اسبوع وصول الجثمان الى بور سعيد ونقله ودفنه بجوار الحرم ، اسبوع التاريخ حقا . وندبني السيد الحسيني ان اذهب باسم المجلس الاسلامي الاعلى الى بور سعيد فذهبت ووجدت اخواننا في مصر يقومون بكل ما يقتضى على خير الوجوه . ولقيت عبد الرحمن عزام ، لقاء واسعا ، لاول مرة وكانت الصداقة بيننا قد نبتت ونمت على يد الامير شكيب ارسلان وكتاب « حاضر العالم الاسلامي » . واما في فلسطين ، فاحتشدت في القدس الوفود من جميع الانحاء ، فرات البلاد يوما عظيما ظهرت فيه رباطة جاش العرب والمسلمين ، وقامت قيامة الصهيونية يحتجون على ان المفتي الحاج محمد امين الحسيني يريد ان يجعل من القدس مدفنا اسلاميا لعظماء المسلمين في العالم الاسلامي !! وهذا مما يضيق الآفاق على نمو الوطن القومي اليهودي ، وسنرى بعد قليل كيف جاء الكولونيل « كيش » رئيس المكتب التنفيذي للوكالة اليهودية في القدس(٦) يأتي الى مولانا شوكت علي يعزيه .

رافق موكب الجثمان في القطار من بور سعيد الى القدس خلق كثير من مصر وفلسطين . وسكة الحديد هذه عليها ان تجتاز بعد اللد والرملة المنطقة الجبلية حتى القدس ، فما كاد القطار يبدأ في المنطقة الجبلية حتى راينا الناس الهابطين من القدس يصلون الى محطات القطار قرب القرى ، ويتسلقون القطار على غير نظام حتى امتلأ وازدحم بمن فيه ، ثم راحوا يستمسكون بعوارض النوافذ واجسامهم مدلاة في الهواء ، ثم صعد بعضهم الى سطوح عربات القطار . وهذه مسافة من ١٥ — ٢٠ كم .

فلما وصل هذا القطار محطة القدس ، وهي غربي جنوبي المدينة والطريق الممتدة بين المحطة الى ساحة الحرم الشريف داخل المدينة القديمة لا تقل عن كيلومترين . والمحطة كأنها في برية تحيط بها غابات الزيتون ، والطريق الى الحرم الشريف ليست سهلا بل تعلو وتنخفض . واذا بالناس لا يملأون مستطيل المحطة وكفى بل ملأوا غابات الزيتون المحيطة بالمحطة ، ولما اخرج الجثمان من القطار ، وحمل على الاكف ، وجعلت هذه الامواج تتحرك ماشية نحو المدينة ، خيل للانسان كأنه في يوم الحشر . فلما وصلنا ساحة الحرم الشريف وكان العصر ، وصلي على الفقيد في المسجد الاقصى ، ثم اخرج الجثمان ووضع قرب مسجد الصخرة وهذا اعلى بسيط مبلط في فناء الحرم الذي هو ربع مساحة المدينة القديمة داخل السور . ووضعت دكة للمؤبنين الذين اذكر منهم مولانا شوكت علي والدكتور عبد الحميد سعيد باسم جمعية الشبان المسلمين وسماحة المفتي وكاتب هذه السطور(٧) .

لا بأس بشيء من الوصف لصورة المأتم وقت التابين ، فان الوقت لم يتسع للخطباء المتهيئين للتابين جميعا . اما شوكت علي فحقا كان كلامه مؤثرا ، فقال ان محمد علي اخي ، اصغر مني سنا واكبر مني علما ، فهو اخي واستاذي ، حتى ولما كنا في السجون كنت اتعلم منه وبه اقتدي .

واما الحاج امين اخوه وصفيه ، ومناجيه وحبيبه ، فوصف مولانا محمد علي بقيمه ومثله العليا في الاسلام ، ووصف نفسه البريئة الطاهرة وتعشقه الاسلام وانكبابه على خدمة فلسطين ، واشار الى عملهما معا في مؤتمر مكة سنة ١٩٢٦ وقال ان مولانا شوكت علي لما اذن لنا بأن يكون مرقد اخيه مولانا محمد علي في جوار المسجد الاقصى ، فكأنه بذلك قد وافقنا على ان يكون هذا الجوار مرقدا للمجاهدين حملة اعلام الاسلام رحمه الله .

وكان الحاج امين ومولانا شوكت علي يتكلمان بصوت متهدج يقطعه الدمع السكوب . واما الدكتور عبد الحميد سعيد فوصف مولانا محمد علي بالقلعة الاسلامية الحصينة لا تؤخذ مهما اشتد عليها الحصار فهو ركن ركين في العالم الاسلامي .

وكنت اذا مددت ببصرك في ساحة الحرم ، وجدتها

---

(٥) الذي اعلمه ان اربعة دفنوا بجوار الحرم الشريف : الملك حسين بن علي ملك الحجاز قبلا (١٩٣٠) ومولانا محمد علي (١٩٣١) وموسى كاظم (باشا) الحسيني شيخ القضية (١٩٣٣) وابنه الشهيد عبد القادر الحسيني (١٩٤٨) .

(٦) جئنا على ذكر الكولونل كيش هذا في مقالنا السابق في العدد الماضي من « الاديب » .

(٧) من استطاع ان يراجع مجموعة جريدة « الجامعة العربية » لصاحبها الاديب السياسي الاستاذ منيف الحسيني (ابن شقيقة المفتي الحاج امين) فيجد فيها التفصيل الوافي لكل هذا . و « الجامعة العربية » انشئت سنة ١٩٢٧ وكانت لسان حال المفتي وداعية الى الوحدة العربية ، مستقيمة الخطة تكافح الاستعمار والصهيونية . بعد ان ابتنى الحاج امين في جهة « المنصورية » قرب بيروت ابنية كافية لسكناه العائلية الخاصة والى جنبها مكاتب جمة « للهيئة العربية العليا » التي كان هو رئيسها الوقت كله ، كان الاستاذ منيف يسكن مع عائلته بقرب منه . فلما عصفت بلبنان العاصفة ، وبعد وفاة الحاج امين الى رحمة الله سنة ١٩٧٤ ... اما الاستاذ منيف فقد انتقل الى مصر في ظروف حرجة جدا ومعه عائلته ثم عدت لا استطيع ان انشم اخباره حتى اليوم . وكانت بحوزته مجموعة « الجامعة العربية » هنا في مكاتب « المنصورية » وهي مجموعة ثمينة جدا لاهل الاستقصاء والبحث والمؤرخين ، فلا اعلم هل استطاع الاستاذ منيف ، المجاهد الصابر ، الكاتب الشاعر ، ان ينقذ معه هذه المجموعة ، فاذا كان قد استطاع ذلك ، فله من وراء ذلك اجر عظيم .

انتظار

يا سيد الأوس هذي الخزرج احتشدت
فانفخ بصورك ان الحشد ينتظر
واقحم بقومك باسم الله قائدهم
فما الرئاسة الا المقحم الخطر
واحمل شعارك في صداق وفي ثقة
اما الشهادة ... او حتما سننتصر
واستخلص القدس من ايدي قراصنة
ما كان واحدهم يجرا لو ازدجروا

البصرة — سالم علوان الجلبي

مليئة بالجماهير ، ولم تكن قد نشت بعد عادة الرؤوس العارية فمن حولك بحر من عمائم وطرابيش وعقالات . ثم ووري مولانا محمد علي في مثواه المعد له ، تغمده الله برحماته ، والناس ينفرط عقدها ، معظمين مصاب الاسلام ، مكبرين خطب هذا الزعيم الامام .

وبقي مولانا شوكت علي في القدس اياما يتلقى التعازي البرقية من ملوك العالم ورؤسائه وامرائه وحكامه، بالاضافة الى ما كان قد اتاه منها في لندن . وكان يودع كل هذا عندي في بيتي حتى اخذها يوم سافر الى الهند .

وجاءه يوما تلفون من الكولونيل كيش ، وقد مر ذكره ، يريد ان يأتي اليه معزيا — هذه ثعلبة يهودية — واتفقا على موعد في كلية « روضة المعارف الوطنية » قرب الحرم ومكاتب المجلس الاسلامي الاعلى . فأخبر مولانا شوكت علي سماحة المفتي بهذا وطلب منه ان اكون حاضرا مع شوكت علي عندما يحضر « كيش » . ولم يكن بين المجلس الاسلامي والهيئات الصهيونية الا المقاطعة والصراع السياسي ، فجاء « كيش » على الموعد وبقي اكثر من نصف ساعة وهو يحوك العبارات المتصنعة ، ويضرب على وتر الاتفاق بين العرب واليهود . فأجابه مولانا شوكت علي بعد طول اصغائه اليه : يا سيدي !! انت تتفضل بتعزيتي بفقد اخي مولانا محمد علي بهذه الزيارة فأشكرك على ذلك ، وبلغني ما كان لكم من موقف لما تقرر لدى سماحة المفتي ان يدفن اخي هنا في جوار الحرم على بعد نحو مئة متر من المكان الذي فيه نحن جالسون الآن ، ومن جهة الاتفاق بين العرب واليهود ، فأقول لك ان اخي كانت مواقفه لنصرة فلسطين العربية معلومة مشهورة ، وانا كنت اقتدي به اقتداء التلميذ بأستاذه ، مع اني اكبر منه سنا ، فانا اتخذ المواقف نفسها التي كان اخي يتخذها . لم يحر كيش جوابا . وانتهت الجلسة وانصرف .

بقي علينا في قصة دفن مولانا محمد علي في جوار المسجد الاقصى ان نختتم الكلام عنه بايراد رثاء احمد شوقي له رحمهما الله :

بيت على ارض الهدى وسمائه — الحق حائطه واس بنائه
الفتح من اعلامه والطهر من — اوصافه ، والقدس من اسمائه
تحنو مناكبه على شعب الهدى — وتطل سدته على سيمائه
من ذا ينازعنا مقالد بابه — وجلال سدته وطهر فنائه
ومحمد صلى على جنباته — واستقبل السمحات في ارجائه
واليوم ضم الناس مأتم ارضه — وحوى الملائك مهرجان سمائه
يا قدس هيىء من رياضك ربوة — لنزيل تربك ، واحتفل بلقائه
هو من سيوف الله جل جلاله — او من سيوف الهند عند قضائه
فتح النبي له مناخ براقه — ومعارج التشريف من اسرائه
بطل حقوق الشرق من احماله — وقضية الاسلام من اعبائه
لم تنسه الهند العزيزة رقة — للشرق ، او سهرا على اشيائه
وقباؤه نسج الهنود ، فهل ترى — دفنوا الزعيم بكفنا بقبائه
(النيل) يذكر في الحوادث صوته — والترك لا ينسون صدق بلائه(٨)
قل للزعيم محمد : نزل الاسى — « بالنيل » واستولى على بطحائه
فمشى اليك بجفنه وبدمعه — والى اخيك بقلبه وعزائه
نم في جوار الله ما بك غربة — في ظل بيت انت من ابنائه
الفتح — وهو قضية قدسية — يا طالما ناضلت دون لوائه
افتى بدفنك عند سيدة القرى — مفت اراد الله في افتائه
بلد بنوه الاكرمون قصورهم — وقبورهم وقف على نزلائه
قد عشت تنصره وتمنح اهله — عونا ، فكيف تكون من غربائه

وقد آثرنا الاتيان بهذا التفصيل لاننا كنا في ايامه ومن مشاهديه ، ليبقى محفوظا بالتدوين . وتتعاقب الايام ، وقد يحدث الله القادر امرا عظيما في فلسطين ، تنقلب فيه الدواليب لمصلحة العرب المؤمنين ، وينتحر فيه سيف الحق ويهزم القوم المعتدون الخالون . ولكن الرجاء ان تتلاحم الامة العربية دولا وشعوبا وبترولا ، لتصبح حبلا موصولا ، تنقض به على العدو فتجعله عصفا مأكولا .

(٨) فاربط هذا ، رحم الله شوقي ومحمد علي ، بقصة البقجة ورياسته وفد لجنة الخلافة ١٩١٩ للدفاع عن الترك .

رأس المتن — لبنان — عجاج نويهض

سينفونية الحزن الرائع

مهداة الى روح المطرب عبد الحليم حافظ

احمد عباس

القـــاهـــرة

عصفور في موج الشفق الموحش يزدرد
الرجفة ... عار يبحث عن انفاس العش
وعن فلك التكوين
في أروقة الزمن ... الليل ... يسير ...
فتهرب عيناه
الى أطياف التذكار ... يغني

رعشة دفء تتوغل تطويه
تغدو ضوءا أسطوريا
يغسل منفاه بايقاع ساحر
فيبدد آبار الغربة
يسلو حظر الهمس ويرفل في حلم بري
يختطف الومضة ....
يهـــرب ....
يشعل نجمات
ينسج ثريان الزمن القادم

أواه ... صحارى الزمن الخرساء
ترسم لوحات جفاف وتقتل انشودات الحلم
وأطياف الرحمه
يبحث عنها
ببيادر ليل مجنون
تعزف آفاق الصمت
تسحق ايقاع الضوء ....
وتحفر انفاق الاحزان

موت يستيقظ ... يطلق أشجار الدم
آه .. عبر اللوحات ... اطار النبض المصروع
عبر المهد ... المبتل ... الاسياف ... الموت
منفى ... يرسف في اعصار
يصمت .. فوق الجدران ... يلملم
أسمال الانفاس .. اغاني الميعاد
يطفو فوق حصار ....
يرتكب الحب وراء الحزن المسكوب
تغزوه حوافر دوامات ... آفاق ....
فيقيم طقوس الالم الفضفاض

آه تتلاشى انفاس الميلاد
تتمايل انسجة الاعوام
تتارجح اجنحة النبض
فيساقـــط
كنقوش حنين
فوق مسارات العاصفة الدواره
تتوارى دون مراسم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

استطاع عزوز ان يرى اشباح جنود العدو ، وهي تتخبط في الظلام .. وكان ذلك بالكاد .. فقد كان هناك ضوء شاحب لقمر يحتضر ، مترنحا بين الاشجار .. ولما تبين له ان رفاقه لم يقوموا باي هجوم ، اخفى المدية التي كان قد شهرها استعدادا للمشاركة في القضاء على من جثموا على صدر ارضه الطيبة .. غير ان احد جنود العدو وقد لمحه ... ولحسن حظه انه لم يره غير ذلك الجندي الذي كان قد اشعل له السيجارة في اول الليل ، فصاح فيه قائلا :

— الى اين ايها الاعرج .. ؟

— لقد اقلقني صوت — تلك — الطلقات الطائشة ..

— ليست طائشة ... فقد اصطدنا حمارا ...

وخاطب نفسه في دهشة انه كيف اقلق ذلك الاعرج .. ؟ بل كاد يشد شعره ، ويهتف مستنكرا : هل كنت نائما حقا .. ؟

بينما هرع الاعرج حيث الحمار الغارق في الدماء ، وصاح بعدما تبين انه حماره :

— كيف يتسنى لي حمل زوجتي المريضة ، والسفر بها .. ؟

واسر في نفسه ان خطته قد نجحت على اي حال .. وجعل يولول نادبا حظه التعس فدنا منه الجندي الذي كان قد لمحه عند خروجه ، وقال في ود يعتقد انه صادق فيه :

— لقد ازعجنا خبارك يا صديقي الاعرج .. ولو كنا نشك — ادنى شك — في انه حمار لما صرعناه ..

ومال على عزوز اكثر من قبل ، ثم اسر في اذنه بقوله انه ليس — هو — الذي اطلق الرصاص على الحمار .. واخرج علبة سجائره ، ليقدم سيجارة لعزوز ، فرفض الاخير .. بل جذب السيجارة من فم الجندي ، وسحقها متعمدا ، ثم كرر تحذيره للجندي الذي هتف في حنق انه يتحرق شوقا لتدخين سيجارة .. في الهواء الطلق .. ويملأ رئتيه من نسمات الصباح التي حرم منها منع انه يعيش فيها ..

وحلق بخياله المضطرب ، الذي يعتقد انه لولا تحذيرات عزوز له لكان قد تحول الموقع بما فيه الى جحيم في لحظات ، ولما عب من هواء الصبح الخالص ملء رئتيه ، بل ولما شعر بالطمأنينة في صحبة عزوز .. تلك

رصاصة مصرية

بقلم محمد حسين عبد المجيد

الطمأنينة التي جعلته يستند الى الجدار ويحلق بخياله ، متخلصا بنفسه من تلك الثغرة التي القت به في مصيدة تضيق من حوله وتخنق انفاسه ..

* * *

وتنفس الصعداء وهو يرتمي في احضان امه ، ثم اهاب بها ان تهم معه للرحيل ...

— اماه .. اننا نشبه النازي تماما .. لقد ترملت النساء .. واظنك لست على استعداد لفقدان ابنك ، بعدما فقدت زوجك ...



وجعل يهزها محفزا ، وهو يتلفت من حوله خوفا من ان يمسكوا به ، ويعيدوه الى المصيدة الفار منها .. بل صاح فيها محذرا بانه ما عاد اليها الا بمعجزة وانه لو رجع الى ذلك الشرك لن يفلت منه في المرة القادمة ...

* * *

وانطلقت عدة رصاصات لا تبعد كثيرا منهم ، فسقط منه مدفعه ، وهو ينبطح على الارض بينما ظل عزوز واقفا ، وهو يبتسم ساخرا سخرية جعلت الجندي الاسرائيلي ينهض في تراخ ، ويبتلع جرعات من الطمأنينة التي وجدها بجانب عزوز .. بل اصبح ذلك الجندي يعتقد في ان سلامة الموقع مرهونة بوجود عزوز نفسه .. وليس هو وحده الذي يعتقد ذلك ، بل كل من بالموقع .. وهذا ما حدا بالجندي الى قوله بانه لم يشعر بالامان طوال الليل حتى كاد ينادي على عزوز ، فابتسم الاخير في بله متعمد جعل الجندي يقول :

— الا تصدق ؟ .. الم تر الدليل في عدم اطلاق الرصاص عليك ، وانت شاهر مديتك حينما اندفعت نحونا .. ؟

— لم ار في عدم قتلك لي الا ابقاءا على حياتك .. ؟ في عدم قتلك لي لحظة من الراحة .. لحظة من الطمأنينة التي افتقدتها طوال الليل ، بل تفتقدها منذ عبورك الثغرة .. وانك لتنعم بها الآن .. لحظة تساوي الدنيا بما فيها ..

وظل يصنعه بتعريته — له — تعرية جعلته يقول في تخاذل :

— يستوي عندي استبطانك مكنون نفسي ... او ..

وعاجله عزوز : قبل ان يكمل جملته بقوله :

— لانك اصبحت كورقة في مهب

الريح ، كل ما يهمك ان تستتر . وتهدأ نفسا .. كل ما يهمك لحظة من العمر تجدها — حتى — في كنف عدوك ..

— صدقني اني لا اضمر لك في نفسي شيئا ..

وازدرد ريقه المر ، ثم اعتب متداعيا ؛ متخاذل النفس ان عزوز يحدثه ، وكأنه هو الملام .. وحدق فيه قائلا ان خطيبته جميلة .. وغامت عيناه ، وهو يقول :

— ولو اسفر الصبح ، ونحن على قيد الحياة لاريكها ، انها لا تطمع في اكثر مما اطمع فيه : بيت صغير تحيط به حديقة متواضعة .. آه .. كانت لي آمال اصبح من الصعب تحقيقها .. ولكن ..

ودوت رصاصة ، مرقت في صنباب الفجر ، فاستقرت في صدر جندي ارعن كان يخرج من برج دبابته .. تلك الرصاصة جعلت عزوز يهتف بصوت روع من — هم — حوله :

— رصاصة مصرية ..

— ارايت .. ؟ انه الجندي الذي قتل حبارك .. وكأن السماء قد اقتصت للحيوان ..

هتف الجندي الاسرائيلي بذلك : ورأسه ينغوص بين كتفيه ، بينما صاح قائد الموقع مبكتا ، فلقد طالما حذر جنوده من التواني في الحرص ، ثم اضاف انه لا يدري كيف اصابهم العمى واصبحوا غير قادرين على التمييز ما بين الانسان والحيوان .. فلقد نالت من امهر الرماة في فصيلته — رصاصة مصرية ؛ واصابت منه مقتلا ...

والتفت الضابط الشاب الى عزوز ؛ وقال في لهجة الغضب المشوب بالخوف : الخوف من رصاصة — مصرية — تاتيه بغتة من حيث لا يدري :

— لقد اسفر الصبح وعليك بالرحيل ايها الشاب ..

فرد عزوز متذرعا ؛ فكيف يرحل بزوجته المريضة ، وقد صرعوا حماره الذي كان سيحملها عليه ... ؟ ولا بد من احضار دابة باي وسيلة ... فصاح فيه الضابط في عصبية منشاها الخوف ، واهاب به ان يتصرف ، فلقد اصبح وجوده وبال عليهم ... وشد الضابط على مدفعه بقبضة مرتعشة ، وتاوه ، متمنيا لو يطلق رصاصة على عزوز ، فيقتله دونما يلقى ردا قاتلا من حيث لا يدري .. ولما راى عزوز انه ما زال واقفا ،



محمد حسين عبد المجيد

صاح فيه محتدا .. فانطلق عزوز من فوره حيث يربض رفاقه الفهود ، بعد ما اطمأن الضابط الى ان عزوز لن يستطيع المغامرة بعمل شيء ، وزوجه بمثابة رهينة لديهم : الى ان يعود فيرحل بها ..

وهنالك اطلع عزوز رفاقه على خطة القضاء على تلك الطغمة .. الخطة التي تدبرها وهو في الطريق اليهم ، ذلك بعد ما تذكر ماسورة الري الممتدة بجانب الدار حتى نهاية الارض ... والتي كانت موضوعة لتغذية الارض الجديدة ؛ بعد تمهيدها في الجبل .. وهذه الماسورة من الممكن ان تغني بالزاحف داخلها الى مربض العدو ، دونما يتعرض للالغام والشراك التي يتحصن بها العدو ... ولكن لم يخبع عزوز في احتماله ما اذا كانت الماسورة المطمورة مفتوحة من نهايتها ام انها مسدودة بالرمال ؛ والطين والعشب المتشابك .. بل لم يعبأ بذلك القط ...

في حين بدا افراد العدو في الغوص في خنادقهم ، متخفين كما لو كانوا سلاحف تخفي اطرافها داخل اصدافها عندما تحس بالخطر يحدق بها .. وما فعلوا ذلك الا عندما تناهى اليهم صوت انفجار تلاه دخان كثيف ..

وحملقت العيون من مرابضها ، وارتعدت الاطراف الممسكة بالمدافع ... واختلجت الشفاه ...

— اعتقد انه لو لم يكن ذلك الاعرج ، وزوجه معنا لما ابقى المصريون علينا حتى الآن ..

خاطب الجندي — الاكثر ترددا لعزوز — نفسه بذلك ، واشراب برأسه ؛ فوقع بصره على عزوز المقبل بدابته ، فواصل مخاطبته لنفسه ، وقد اقشعر بدنه .. فقد تراءت له نيران الموقع الذي حدث به الانفجار ، وقد اخذت تئز آكلة من كانوا يظنون انهم في حصن منيع من نيران المصريين :

— سنرى الآن ما سيحدث لنا بمجرد رحيلك ايها الاعرج ... وتلك الرصاصة التي استقرت في صدر ذلك اللعين : ان دلت على شيء ، فانما تدل على اننا انكشفنا ومع انك نلت جزاء تهورك ...

* * *

وغابت عيناه .. فقد انسل خياله منه ؛ وولى هاربا لدن ما هم عزوز وزوجه بالرحيل ...

وما لبث ان خط الخيال الهارب

عام جديد

عـام مضى واطل في آفاقنـا عـام جديـد
وانا هنا ، في غرفتي في غربتي ، احيا وحيد
أجتـر بقيـا الذكريـات لاننـي عنهـا بعيد
صور تمـز بخاطري ولهـا فؤدي يستعيد
والشوق حـين يهزني يا لوعة الشوق الشديد
كيف انقضى عامي ، وكيف سينقضي العام الوليد
بالحزن .. بالآهات .. بالحسرات .. بالصمت المديد
حتـى م ابقى تائها في هـذه الدنيا شريد
ويصدني عمـا أؤمـل في الهوى دهـر عنيـد
انـا لا اطيق تحملا لا . ليس اعصابي جديد
جاوزت في حبـي مداه ، فما على حبي مزيد
انـي سأحفظ ودها عنه فؤادي لا يحيد
أوحت أرق الشعر لي فاذا نظمت بها اجيد
ساظل اشدوها هائما بجمالها الحلو الفريد
متطلعـا متشوقـا ماذا سيحمل لي البريد
أيجيئني منهـا بأخبار فابلـغ مـا اريـد
ويسرنـي بحديثهـا فيكون ذلك يوم عيد
أحبيتي أشهى المنـى اهديك بالعام الجديد
واصوغ من قلبي به عن حبنا أحلى نشيد
واشد فيـه علـى يديك مؤملا عامـا سعيد
وبـأن تظللك المنـى والسعد والعيش الرغيد
وبان يتم لنـا اللقاء ويجمع الشمل البديد

أحبيتي : لـك أجمل الآمال ، والعمر المديـد

بغداد ــ ص.ب ٢٢٠٣٨ محمد جواد الغبان

امام دار يكتنفها الحزن .. طـرق الباب في اضطراب ، ولكن .. لا مجيب .. كان الباب غير موصد ، فدلف بخفة ، وهو غير مصدق انه عاد سالما ، بل هتف مناديا خطيبته لتأخذه بين احضانها قبل ان تخترمه رصاصة مصرية ... ولكن بدل ان تأخذه خطيبته بين ذراعيها وتتلقفه بقبلات محمومة ، الفاها بين ذراعي رجل آخر .. ومع ذلك صاح لائذا :

ــ خذيني ... خبئيني ...
ولكن لا مجيب ..

* * *

فارتد مذعورا ... والتفت حيث الاعرج الذي مـا ان غادر داره ، واصبح على قيد خطوات من سفح الجبل حتـى اشرقت الشمس ... فعز على الجندي الاسرائيلي ان يرى عزوز ينفلت حيث الضوء ، والشمس المشرقة ، بل حز في نفسه ان يتركه لينعم بالحياة ــ هو ــ وزوجه ... وكان ذلك انعكاسا لما رآه ــ بعين خياله المهيض ــ من خيانة خطيبته له ، وتخليها عنه ... فصوب مدفعه الرشاش حيث الهدف الذي استهدفه بحقده الاسود ، وهو يعلم انه سيتلقى ردا قاتلا برصاصة مصرية ...

القاهرة محمد حسين عبد المجيد

مع الدكتور انس داود في :

الرؤية الداخلية للنص الشعري

بقلم الدكتور محمد سعد حسن

مدرس الادب والنقد بجامعة الازهر

* * *

« الرؤية الداخلية للنص الشعري » هو عنوان الكتاب الذي صدر عن مكتبة عين شمس ، للدكتور انس داود ، وطبع طباعة فاخرة في دار الجيل الجديد للطباعة ، والكتاب من القطع المتوسط ، ويقع في مائة واثنتي عشرة صفحة .

ويبدو ان فكرة الكتاب قد راودت الدكتور انس اثناء قيامه بالتدريس في كلية الآداب ، جامعة قسنطينة بالجزائر ، ولذلك جعل اهداءه الى طلبته في تلك الكلية ، الذين شاركوه عناء تلك الصفحات (ص ٥) .

يبدأ المؤلف كتابه بمقدمات في المنهج (ص ٧) ، وفي الشعر والشعر الرفيع (ص ١٢) لينطلق الى الناحية التطبيقية على ذات المنهج ، فاختار قصيدتين للشابي هما : ارادة الحياة (ص ١٥) ، وتحت الغصون (ص ٢٩) ، ثم تحدث عن تجربة الحب عند الشابي (ص ٤٧) ، ليعرض بعد ذلك لقصيدتي : « البلبل الساكت » للشاعر القروي (ص ٦٢) ، و « ترجمة شيطان » للعقاد (ص ٧٠) ، واخيرا يأتي الى قراءة في شعر ناجي (ص ٨١) ، وقراءة في معلقة امرىء القيس (ص ١٠٨) ، وعندها ينتهي الكتاب .

يشير المؤلف في المقدمة الاولى التي جعلها في المنهج الى تأثر دراسة الادب عندنا بالوثبة العملاقة التي احرزتها الدراسات الاجتماعية والنفسية في العصر الحديث ، وبتأثير العوامل الاقتصادية في تكوين المجتمع ، فالعقاد في دراسته عن « ابي نواس » قد ركز على ما ارتآه مصدر ازمته النفسية . وهي اصابته بالنزعة النرجسية ، وبين اسباب هذه العقدة اجتماعيا واسريا وعضويا ، عارضا لبعض آثارها في شعره .

وفي كتابه « التعريف بشكسبير » ركز على دراسة البيئة مهتديا بعلم الاجتماع .

كما استخدم رجاء النقاش في كتابيه عن « ابي القاسم الشابي » وعن « محمود درويش » ذات المنهج مفرقا ومطيلا .

ومن راي المؤلف اننا لم نخرج من كل تلك الدراسات بمعرفة تذكر عن الفن الشعري عند « ابي نواس » او « شكسبير » او « ابي القاسم الشابي » او « محمود درويش » .. ما هي خصائص الفن الشعري عند اي منهم ؟ ما هي مكونات الرؤية الابداعية عنده ؟ وما الآفاق النفسية التي يحلق فيها ؟ وطريقته الخاصة في تكوين الصورة الشعرية ، وتوظيف الموسيقى ، ودلالة المعجم الشعري عنده وغير ذلك مما يعتبر دراسة في صميم النص الادبي ، الذي هو الغاية الحقيقية للنقد الادبي .

ويقوم المنهج الذي يريده المؤلف على الاستفادة فحسب من العلوم الانسانية في توجيه النص واضاءته ، وعلى الاستفادة من المعرفة ببيئة الشاعر ، وطبيعة عصره ، والوان المشكلات والقضايا ألتي واجهها على المستويين ، الشخصي والاجتماعي .

وخدمة النص الادبي — عنده — انما يتأتى عن طريق دراسة العلاقات الداخلية بين الالفاظ والصور ، والرؤية الكلية داخل هذا النص ، وتأتي المعرفة بالدراسات الانسانية لتضيء الطريق امام الدارسين للتعرف على دلالات النص ، والقدرة على عرض ابعاده .

وعلى الرغم من ايمان المؤلف بأن هذا المنهج يكاد يكون جديدا على البيئة العربية الا انه يرى ثمة بذورا له في كتابات الدكتور طه حسين ، وبخاصة في كتابه « حديث الاربعاء » ، وفي كتابات الدكتور محمد مندور ، في مرحلته النقدية الاولى ، التي يضمها كتابه « في الميزان الجديد » وفي كتابات غيرهما من النقاد التأثريين في النقد الادبي الحديث .

وتلك النزعة التأثرية تختلف — في راي المؤلف — عن المنهج الذي يدعو اليه ، لانها تستند الى احساس ذاتي بالنص في الاغلب الاعم ، بينما يستدعي المنهج الذي يدعو اليه معرفة واسعة بالعلوم اللغوية ، والنفسية ، والاجتماعية ، والفلسفية ، والى اطلاع واسع على اساطير الانسانية الاولى ، وآدابها الشعبية ، مع الوقوف عند الحدود التي رسمها لدور هذه العلوم في هذا المنهج ، وهي خدمة النص الادبي ، واضاءة مختلف جوانبه ، والكشف عن طبيعة علاقاته الداخلية ، او بعبارة اخرى منهج « الرؤية الداخلية للنص الادبي » ، وهو منهج يدعو الى سبر اغوار النص ، وادراك تياراته الخفية ، التي تتراءى خلف نقاب من المستوى الظاهري للنص الادبي .

وفي المقدمة التي جعلها في الشعر والشعر الرفيع ، نرى المؤلف مشدودا الى الشعر الرفيع دون سواه ، مؤكدا ان الشعر الذي يغنيه سوف يعود كما بدأ صلاة فطرية حارة ، يكشف بها الانسان ذاته امام الكون ، ويناجي قواه الغامضة ، وهو مغمور الوجدان في حميا الضراعة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعنده ان خرافة « المعنى » سوف تتلاشى الى حد كبير في تذوق الشعر ، ثم يفرق بين الفكر والمعنى الذي يعنيه ، ويبين ان الفكر سيظل عاملا مهما في اعطاء الشعر ركائز عميقة من اتصاله بجوهر الحقيقة ، واما المعنى الذي يقصده فذلك التفسير الخارجي للشعر ، وسيظل الفكر بمثابة التيار الداخلي العميق ، الذي يعطى للتجربة الشعرية آية غوصها ، وتكاملها ، وتفتحها على جوهر الوجود (ص ١٢) .

وعنده ان شعر المعنى هو ذلك الشعر ذو البعد الواحد ، الذي يمس سطوح الاشياء ، اما شعر الرؤية فهو شعر التجربة الوجدانية الحارة ، والمليئة بالاستيعاب والتكامل ، والملتحمة مع جوهر الحقيقة ، النابعة من صفاء الرؤية الباطنية ، والتي تقع — بالحدس — بين الواقع والخيال على « الممكن » الانساني والكوني ، ومن ثم تلتقي مع الرؤية الاسطورية للحياة والوجود .

وفي المجال التطبيقي ارتكز المؤلف — فيما يتعلق بشعر الشابي — على النسخة المطبوعة من الديوان في تونس عام ١٩٦٦ م ، لانه مدعوم بتواريخ انشاء القصائد ، مما يساعد الباحث على ملاحظة تدرج الشابي ، وتدرج معجمه الشعري والنفسي على السواء ، وان لم تخل تلك الطبعة من الاخطاء المطبعية ، بيد انها اخطاء لا تغيب عن فطنة القارىء وذوقه الرهيف بحال .

وانطلاقا من تأريخ قصائد الديوان ، تمكن المؤلف من ملاحقة الشابي في مراحله الشعرية التي اجتازها ، فهناك مرحلة « محاولة الصياغة الشعرية » ثم « مرحلة القدرة على الصياغة الشعرية » التي قفز منها الشاعر الى مرحلته الاخيرة ، وهي التي استطاعت موهبته ان تعبر فيها عن قدراتها الفذة ، وان تكتشف التواصل بين مشاهد الطبيعة واسرار النفس ، وان تفتح حوارا طويلا ومتكررا في شعر الشابي مع « الشعر » كخلاص للروح من عذاب الحصار في هذا الوجود ، وان تفتح حوارا آخر مع المجتمع مليئا بالغضب على نقائضه ، والاهابة به الى المثل العليا ، والثورة على الظلم والاستبداد ، وهذه هي المحاور العميقة في شعر الشابي .

في قصيدة « ارادة الحياة » للشابي ، التي عرض لها المؤلف في المجال التطبيقي للمنهج ، ندرك احدى ثمار تلك الدراسة ، فمن خلال تحكيم « منهج الرؤية الداخلية » في تلك القصيدة ينجح المؤلف في رد تهجمات المستشرق الفرنسي « جاك بيرك » ومن لف لفه على اللغة العربية ، التي رأى فيها انها لغة هبوط على الحياة لا صدور عنها ، وانها تفتقد العفوية والتلقائية .

فهذه القصيدة وان كانت ذات منزع وطني ، الا ان قدرة الشابي على منح لغته فيها تلقائية اللغة ، وعفوية التعبير . والقدرة على الايحاء — في الوقت الذي يتطلب الشعر الوطني فيه الجهارة والمباشرة — قد ابطلت كل دعوى ضد هذه اللغة العريقة .

ونختار من تحليل المؤلف لابيات القصيدة ما اشار اليه بخصوص بيتي الشابي اللذين يقول فيهما :

وما هو الا كخفق الجناح ... حتى نما شوقها وانتصر
فصدعت الارض من فوقها ... وابصرت الكون عذب الصور

حيث يقول : « لقد عرفت العربية : وما هي الا غمضة عين .. وما هي الا لحظة ، ولكن موهبة الشابي كانت تدخر هذا التعبير الموفق « وما هو الا كخفق الجناح » ، الوثيق الصلة بعالم الطبيعة ، الذي تذوب فيه القصيدة ، والمتصل بتلك الخفة الطائرة ، والتي توشي هذا الجزء من القصيدة بنفضة البعث ، وهكذا يتم التوافق بين التعبير الجزئي ، والمضمون الكلي للقصيدة .. في ذلك الجزء التحويلي منها ، حيث نتوجه بعده الى دعوة الى الحياة ، والانطلاق والاغتراف من منابع الضياء ، مباركة من الربيع .. مبشرة بالخلد في نسلها المدخر » (ص ٢٦) .

ولم يفته ان ينبه على اكبر عيوب الشعر عند الشابي — من خلال تحكيم المنهج ذاته — وهو ذلك التفصيل الواسع ، ومحاولة الاستقصاء الذي تشوبه في كثير من الاحيان شائبة الاسهاب ، ورصد الجزئيات ، والبعد عن التركيز ، وعدم التقاط الصور القليلة ، ذات الدلالات المتعددة .

ويرى ان هذا العيب ربما يكون قد وصل الى فن الشابي عن طريق عواطفه المشبوبة ، وعن ايمان بالبث الذاتي في حميا الانفعال .

ولما اسقط المؤلف — من خلال تحكيم منهجه في القصيدة السابقة — القول بأن اللغة العربية لغة هبوط على الحياة لا صدور عنها ، وانها لغة تفتقد العفوية والتلقائية ، حاول في معزوفة « تحت الغصون » للشابي ايضا ان يحسم القول في الفكرة القائلة بأن « اللاوعي » او العقل الباطن يرفد الناقد ، كما يرفد الشاعر الخلاق في ابداعه سواء بسواء ، وهي الفكرة التي اثارها الاستاذ مصطفى السحرتي في كتابه « النقد الادبي من خلال تجاربي » وثار عليها الدكتور محمد غنيمي هلال ، الذي اتضح من لهجته الغاضبة انه كان يخشى ان يتحول النقد الادبي عن مساره العلمي الى متاهات (اللاوعي) .

واذا كان المؤلف قد واءم بين وجهتي نظر الاستاذين الجليلين الا اننا نحس بتمسكه بالدعوة الى الاستعانة بالحدس او بالاستشفاف او باستغراق (اللاوعي) في كل تحليل عميق لابداعة شعرية ، غير انه يوجه النظر الى اخذ الحيطة والحذر ، لاننا نتحرك في اطار لغوي ، والاطار اللغوي اشبه بالشاطيء الذي يعطي لنا صورة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البحر ، التي تضطرب فيما بينها الموجات ، ولكن ما ان تتجاوزه حتى تضيع بردا .

في قصيدة « تحت الغصون » نظل نصغي لتلك المعزوفة حتى نتكشف فيما يشبه الحدس أن « القرار » فيها هو « الحزن » !!

ويعرض المؤلف للمراحل التي مرت بها ظاهرة « الحزن » عند الشاعر ، واسباب تلك الظاهرة ، مسترشدا بقصائد الديوان المطبوع في تونس ، عارضا الى بوارق الامل التي لمعت في خيال الشابي ، ثم انطفأت مخلفة وراءها حجبا كثيفة من الهموم والاحزان ، كاشفا عن محاولاته الجادة للهروب من مواجهة حزنه الذاتي ،مبينا انه لا يكاد يبتدي مرحلة جديدة من الامل حتى يدخل في مرحلة اخرى من الآلام والاحزان .

كان المجتمع هو المسؤول عن كثير من الآلام التي انتابته ، فلقد حاول الشابي ان يكسر قوقعة « الحزن » حياته الخاصة ، واصبحت تلك المؤثرات الثلاثة « الحزن » و « الحب » ولكن « الجنون » و « الظلام » قفزا فجأة الى و « الجنون » و « الظلام » هي الايقاعات الخفية في معزوفة « تحت الغصون » .

اما عن تجربة الحب عند الشابي فيحاول المؤلف من خلال حديثه عنها ان يكشف عن ابعاد العلاقة التي تربط الرجل بالمرأة ، مشيرا الى ان تلك العلاقة على تعدد اطرافها ، وتنوع مظاهرها هي اهم مشكلات الفن في كل العصور .

وقد اختار من بين قصائد الشابي في الديوان قصيدتي : «الجمال المنشود» او «الى عذارى افروديت» ، و « طريق الهاوية » اللتين رأى فيهما — من خلال تحكيم المنهج — ان الشابي كان يبصر الجمال ويصوره ، ويفكر فيه تفكيرا متخلفا ، ولكنه لا يجربه ولا يعانيه ، ولا يدخل مع المرأة في علاقة ما .

وشعر الشابي في المرأة قد مر بعدة مراحل : مرحلة الحب كذكرى ، وبكاء على فقيدة الطفولة ، ومرحلة النظرة الى المرأة من خلال توجسات المجتمع والرواسب الوراثية المتخلفة ، الا ان شعره في تلك المرحلة الاخيرة كانت له سلبياته الخاصة ، التي تنبع اهمها من اعتبار المرأة كائنا غير اجتماعي ، وتجريده من ملابسات الاحياء ، والنظرة اليه من خلال مثاليات الجمال في الوجود ، فالمرأة في شعره كائن غريب .

وفي المرحلة التالية ، وهي مرحلة الاعجاب نحس بالمرأة وهي تصنع في شعره ما تصنع الاعاجيب ، ولذا تخطاها الى مرحلة اخرى هي مرحلة النداء والرغبة في الاستمتاع ، ولكن المرأة التي تظل موصولة بالاشياء الغامضة « السحر » والمثالية الرفيعة « النور والعطر مثلا » لا تكون العلاقة معها في حس الشابي الا نوعا من تقديم القرابين .

ولا ريب ان في النظرة الى المرأة على هذا النحو قصورا في فهم المرأة وحقيقة وجودها — كما يرى مؤلف الكتاب .

وعلى كل فقد وصل الشابي في قصائده : «الساحرة» و « الحاني السكرى » و « تحت الغصون » الى مرحلة التكامل الانساني مع المرأة ، مما يكشف عن انصهار الشاعر في بوتقة « الرومانتيكية » التي مجدت الحب ، وعطفت على الخاطئات ، واعتبرت الحب اساسا للحياة ، وشريطة للارتباط بين الرجل وشريكة عمره ، فان خلت حياتهما من الحب كانت حياتهما اثما وخطيئة .

ولا تزال في الكتاب مادة ثرية تحتاج الى وقفة اخرى ، وقبل ان القي القلم من يدي احب ان انوه بالآثار الحميدة التي تنتظر من وراء تطبيق هذا المنهج ، والتي ترتقي بدراسة النص الادبي ، وبالدراسات الادبية والنقدية على وجه العموم .

ونحن لا نشك في ان المقالات التي كتبها الدكتور عبد العزيز الدسوقي رئيس تحرير مجلة « الثقافة » القاهرية حول المتنبي في باب « قضايا .. وملاحظات » تتفق في جوانب كثيرة مع هذا المنهج ، وان اختلفت التسمية عند الباحثين الجليلين ، وسوف نعمل على تجلية القول في هذا الموضوع في مقال آخر بعون الله .

وهناك — فوق هذا كله — بعض الملاحظات النقدية ، التي قد تكون محلا للاختلاف مع المؤلف ، وكلها ملاحظات طفيفة على وجه العموم ، لا تنال من قدر العمل الذي قدمه المؤلف على صفحات هذا الكتاب ، وارجو ان يتسع لها صدر استاذنا الدكتور انس ، الذي نحمل له في نفوسنا كل تحية وتقدير .

القاهرة — محمد سعد حسن

اشتركوا في مجلة

الأديب

تساهموا في نشر الثقافة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رسالة مجهولة من خليل مطران الى صبري السربوني

بقلم احمد حسين الطماوي

* * *

من بين ما عثرت عليه السيدة الفاضلة منى محمد صبري في مخلفات ابيها رسالة قيمة بعث بها خليل مطران الى الدكتور محمد صبري السربوني عام ١٩٤٤ يوجز فيها رايه في كتاب السربوني عن امرىء القيس ، وهو باكورة سلسلة الشوامخ الرائعة ، وقيمة الرسالة ترجع الى ان مطران اثبت فيها رايا في نظم الشعر وخاصة الجاهلي منه ، وراي خليل مطران في الشعر له مكانته العالية ، خاصة انه من اكبر شعراء العربية في عصورها الحديثة ، اما القيمة الاخرى للرسالة فانها تضمنت ستة ابيات في تقريظ كتاب السربوني لا اظن انها جمعت في ديوان الخليل ذي الاجزاء الاربعة .

وهذه المناسبة التي ننشر فيها رسالة الخليل الى صبري السربوني تدعونا الى الحديث عن العلاقة الوطيدة بين الرجلين منذ بواكير هذا القرن ، فقد كتب صبري ترجمة قصيرة لمطران وانتخب بعض قصائده التي تدل على سمو مكانته الشعرية وذلك في كتابه « شعراء العصر » الذي ظهر الجزء الاول منه عام ١٩١٠ والثاني عام ١٩١٢ .

وفي عام ١٩٢٢ كتب خليل مطران مقدمة بليغة لكتاب صبري السربوني « تاريخ الحركة الاستقلالية في ايطاليا » اشار فيها الى مكانة صبري العلمية والادبية ، ونبه على صدق وطنيته وتضلعه في الكتابة التاريخية بأسلوب جديد ، ومما ورد في تقديمه « .. على انه ليس هنا مكان التقريظ للاستاذ صبري بأكثر من الالماع الى ما له من المنزلة التي كسبها بواسع عرفانه وصدق وطنيته معا ، وانما احب قبل الشروع في الكلام على محاضرته التي اجده حين يحررها مؤرخا مدققا صافي الذهن شامل النظر للحوادث عجيب الفطنة للمتماثلات منها جوهرا وان تخالفت عرضا ، ان اعيد على ذهن من يقرأ هذه السطور شيئا من نفثات قلمه اديبا محض اديب » ثم اورد فقرات من مقال له عن دقات الساعة .

وتتوطد الصلة بين الرجلين على مدار الايام ، وعندما فارق خليل مطران دنيانا الى دار البقاء حزن السربوني عليه حزنا شديدا ، وظل يذكره في مجالسه ويؤكد على شاعريته في بحوثه ويدافع عنه « بحماسة قد تخرجه عن الحلم » على حد تعبير الاستاذ وديع فلسطين وعندما اقيم مهرجان لتكريم حافظ ابراهيم في يوليه ١٩٥٧ ألقى الدكتور صبري محاضرة طويلة عن عصر حافظ اشار فيها الى مكانة مطران الراسخة لا بين شعراء عصره فحسب بل بين شعراء العرب في القديم والحديث ووضع قصيدته في حرب طرابلس الغرب في مكان رفيع الى جانب قصيدة ابي تمام « السيف اصدق انباء من الكتب » وقال الدكتور صبري « انه اذا كانت قصيدة ابي تمام « السيف اصدق ... » اكبر قصيدة حماسية في العصر العباسي فان قصيدة مطران في حرب طرابلس اكبر قصيدة حماسية في العصر الحديث بل انه يوجد بين القصيدتين نسب يؤلف بينهما » .

ولم يكتف الدكتور صبري بهذا وفاء لصديقه الكريم وانما قام بعمل كبير يستحق عليه التبجيل والتكريم فقد اصدر كتاب (خليل مطران اروع ما كتب) عام ١٩٦٠ وجمع فيه مقالات مطران النثرية من « المجلة المصرية » و « الجوائب المصرية » و « الاهرام » و « مجلة مصر الحديثة » و « سركيس » و « الهلال » وكلها مجلات وجرائد قديمة يرجع بعضها الى عام ١٩٠٠ مما جعل اكثر من جيلين لا يعرفون شيئا عن مطران ، وحتى الدراسات التي كانت تصدر عن الخليل لا تقف طويلا لتحليل كتاباته النثرية لعدم توفر ذلك لديهم ، وهذا هو الكتاب الذي يوصل الينا النثر المطراني ويصلنا بشعره فهو مكمل له متآلف معه ، ويمكن القول ان كتاب « خليل مطران اروع ما كتب » هو الجزء الخامس من ديوان الخليل « فالكاتب هو الشاعر والشاعر هو الكاتب » على حد تعبير السربوني ، او كما قال العقاد « ان مطران الناثر كمطران الشاعر » وهذا الكم من المقالات المطرانية كان لن يجمع الا بعد عناية كثيرة مصدرها نفس السربوني التي تشتمل على خصال كريمة .

ويبرز هذا الكتاب عدة نواحي في حياة مصر ورجالها وما كان يجري من احداث فيها في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن ، فيتعرض الخليل للحياة الاجتماعية بالحديث عن الاصلاحية او سجن الاحداث والمراة الجديدة وتعطيف الحكومة السنية على اهالي احدى المديريات التي اصابت الآفة محصولها الزراعي ، ويشتمل الكتاب ايضا على الناحية الفكرية ، ويضم بين صفحاته مادة نقدية هائلة ، يرجع اليها الباحثون في معرفة راي الخليل في شعراء عصره والسابقين عليه من امثال البارودي واسماعيل صبري وشوقي وحافظ واليازجي والبكري والرافعي وعبد الرحمن شكري وابي شادي ، ويقف الكتاب ايضا في كثير من فصوله على احداث مصر السياسية وما قام به رجالها فيحدثنا عن عرابي والثورة

العرابية ومصطفى كامل والبارودي ولا يغفل الكتاب الناحية الفنية فيسهب الحديث في الموسيقى العربية ومطربيها من امثال عبده الحامولي وابراهيم اللقاني ومحمد عثمان .

ودور الدكتور صبري السربوني في هذا الكتاب ليس عمل الجمع والرواية لنصوص متناثرة هنا وهناك ، ولكنه يوضح امورا تفتقر الى الايضاح ، ويناقش في المقدمة آراء كبار الكاتبين والذي تأثر بعضهم بآراء المستشرقين فيوقعهم في تناقض وخطأ ويأخذ عليهم عثرات ، وتكشف هذه المقدمة عن دراية كاملة بنقد الشعر ومذاهبه ، والنثر ومدارسه المختلفة ، فاذا انتقلنا الى فصول الكتاب ومادته الفينا صبري يناقش الخليل في كثير مما كتب ويقوم بتصحيحات واجبة بعضها لغوي والآخر تاريخي ، فمن التصويب اللغوي رواية مطران في فصل « بلاغة العرب » « ..... ويحمل ذلك قدمان كحرف اللسان » ويرى الدكتور صبري ان هذا التعبير خطأ والصواب « ويحمل ذلك قدمان كحذو اللسان » لا كحرف اللسان كما روى مطران ، ويقول صبري في توضيح ذلك « الحرف هو الطرف والحد ، ولا معنى لتشبيه القدم بطرف اللسان ، الحذو الموازاه ، وقد استعملت الاعرابية هذه الكلمة استعمال مالكة لنواصي اللغة تريد ان القدمين صغيرتان مسحوبتان في دقة على مثال اللسان وهذا اروع تصوير على لسان العذارى » ، وهذا التصحيح يدل على دقة النظر والتروي في القراءة والمقدرة اللغوية العالية ، فهو لا يشك في الرواية فقط وانما يأتي باللفظ البديل الذي يستقيم معه المعنى مع التعليل والتبيين .

اما التصحيحات التاريخية فنضرب لها بهذا المثل يقول مطران في فصل بعنوان « محمود سامي البارودي » « ... فمن استقصاء السوابق حصل لدينا ان اثارة الفتنة لم تكن من مذهب محمود سامي البارودي » ثم يقول « ... ان حماقة عرابي ورعونة اعوانه الآخرين هما اللتان اضرمتا النار في القطر وافضيتا بالنتيجة من الاصلاح الى الافساد ، ومن الوفاق الى الذبح والجزر » . وفي فصل آخر كتبه مطران عن عرابي يقول « ولئن كان عرابي قد اهدى وادي النيل جملة الى الانكليز الحاليين فيه الآن وعليه تبعة هذا الاهداء في الحاضر والمستقبل فانني قد سمعت بين الاصوات المرفوعة للقذف فيه اصوات كثيرين حملهم التملق وطلب المصلحة الذاتية على اهداء البلاد الى الانكليز قطعة قطعة فأي هؤلاء عرابي » .

هذه بعض نصوص مطران عن عرابي وثورته الوطنية وليس خافيا فيها اتهام عرابي بالخيانة واثارة الفتنة في البلاد واهداء مصر والسودان الى الانكليز ، وعين اليقين ان عرابي لم يقم بهذا الدور ولم يهمل صبري السربوني هذه العثرة المطرانية فكان لا بد من وقفة يوضح فيها الامر ويعطي ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، فقال في تعليقه على هذه النصوص « ان الثورة العرابية لم تكن فتنة ، كانت ثورة وطنية قومية وليست حماقة عرابي واعوانه التي ادت الى الفتنة وانما « دسائس الدولتين — يقصد انجلترا وفرنسا — والرجعية المصرية وعلى رأسها توفيق » .

وهكذا لم يقتصر دور السربوني في هذا العمل على جمع المتناثرات ، وضمها في كتاب متلاحق الصفحات ، بل قام ايضا بالشروح والتعليقات ، وتصحيح الاخطاء والعثرات . او كما وصفه الاستاذ العقاد حين قال « يعتبر من كتب الجمع والرواية ، كما يعتبر من كتب النقد والتأليف » .

وقد لفت صدور هذا الكتاب انظار الادباء والنقاد فدبج فيه العديد من المقالات في مصر وخارجها بأقلام العقاد ووديع فلسطين وحسن كامل الصيرفي وجيلي عبد الرحمن . الا ان هؤلاء الذين تعرضوا لهذا الكتاب بالنقد والتقريظ لفتوا نظر السربوني في غير عنف او تجريح الى قطع نثرية لمطران لم يجمعها في هذا الكتاب لتلافي ذلك مستقبلا وقد اشار العقاد الى كتاب « مرآة الايام في ملخص التاريخ العام » وكتاب مطران عن الدكتور شميل كما كشف وديع فلسطين عن قطع نثرية اخرى لمطران مثل مقدمة كتاب « ذكريات السودان » ليوسف نحاس وكتاب « الفلاح » ليوسف نحاس ايضا والذي ترجمه خليل مطران الى العربية عام ١٩٢٦ « وكتب له مقدمة نثرية بليغة كانت تستحق الاثبات في كتاب الدكتور صبري » كما اشار الى محاضرة خليل مطران « عن اللغة العربية وذخائرها الادبية قديما وحديثا » حيث اثبتها الدكتور صبري ملخصة من مجلة المقتطف عام ١٩٣٠ مع ان هذه المحاضرة موجودة بنصها الكامل في مجموعة محاضرات المجمع العلمي العربي بدمشق ج ٣ سنة ١٩٥٤ . واذا كان لنا من تعليق على ما قاله الاستاذان الجليلان فهو ان الدكتور صبري كان يعرف كل هذه الكتابات المطرانية وقد رأيتها في مكتبته واستثنى من هذا نص محاضرة « اللغة العربية وذخائرها الادبية قديما وحديثا » ولم يكن قصده في كتابه جمع كل آثار خليل مطران النثرية وانما قصد الى جمع روائعه ، او ما اعتقد هو انه رائع ، وواضح من عنوان الكتاب « اروع ما كتب » لا كل ما كتب ، ولهذا صرف اهتمامه الى جمع مقالات اولى بالاشارة ، واعلى في العبارة ، وادخل الى النفوس ، واجمع للفائدة ، وقد تكون هذه القطع النثرية التي اشار اليها العقاد ووديع فلسطين من روائع مطران ونفائسه النثرية ، الا ان لكل اديب ذوقه الخاص به وتقديره للاشياء ، ويقيني ان صبري السربوني لم يعرض عنها لقلة معرفته بها ولكن لانها لم توافق مزاجه ، وعلى اي حال فهذه الاشياء ليست نقيصة في الكتاب الا اذا كان غرض المؤلف هو الحصر لا الاختيار .

ونكتفي بهذا الحديث عن العلاقة التي دامت ما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غجرية العينين

شغفي بحبك فوق ما أصف ... لله ذاك الحب والشغف
غجرية العينين ، والهفي ... ان كان يجدي ، بعدك ، الهف
كذب الألى جحدوا تأوهنا ... وبكل هدب أدمع ذرف
والعين ، ان ذكرت وان نسيت ... في الذكر والنسيان لا تكف
غجرية العينين ، ما ذبلت ... أزهار جنتنا ، كما وصفوا
ما روضة ظمئت ولا رويت ... الا وعندي الروضة الأنف
أحبابنا ، هل ضاء كوكبنا ... أم عاد ذاك الضوء ينكسف
أنروح والاطياب ذائعة ... ونؤوب ، لا أطياب ترتشف
أحبابنا ، ما كان من دنف ... فبمقلتي الخاطر الدنف
من راح يأتزر الغوى ، ترفا ... كتم الغوى ، فوشى به الترف
لو كنتم كالناس ، ما عتبت ... نفس شجاها خافق طرف
لكنكم فوق الورى ، فأنا ... منكم بكم أقبلت أنتصف

فوزي عطوي

يقرب من اربعين عاما بين مطران والسريوني وانتجت ادبا رفيعا يتسم بالجلال والسمو . لنثبت نص رسالة مطران :

« حضرة الصديق الكريم الدكتور محمد صبري بك »
بعد التحية والاكرام ..

الداء الذي ساورني في هذه الايام عاقني عن اداء واجب الشكر لما اتحفتني به من التحفة الغالية واعني بها النسخة من كتابك « الشوامخ » .

وما زلت الى هذا اليوم غير قادر على بذل اي مجهود فكري يعتد به غير انني بوجه اجمالي موجز ارى ان الشعر كلما اتصل بالفطرة كان من الفن الاصيل وكلما بعد عنها افضى الى التعمل وهو فن آخر اي فن الصناعة ، وشتان بين الاصل والنقل وبين الابداء والمحاكاة

الم تر الى شعر هوميروس كيف بقي عند الفرنجة بمنزلة الينبوع الصافي الذي استقى منه جميع ادبائهم على اختلاف مواطنهم ومذاهبهم واهوائهم ونزعاتهم .

ولقد تكلف الفرنجة ما تكلفوا ليفهموا هوميروس وليقتبسوا من لغته القديمة المجهولة ما اقتبسوا ونحن لم نتكلف ولا نتكلف شيئا لنفهم امرىء القيس واضرابه من ايام الجاهلية فيغيبون عنا ونحكم عليهم لا لهم .

ولولا انك جئت تفهمنا معاني امرىء القيس ولولا الدكتور طه حسين بك وما جهد ليشرح به آيات الشعر الجاهلي الصادق النسب ولولا آخر كتاب للاستاذ عباس محمود العقاد في جميل بثينة لبقيت كنوز الشعر الجاهلي بعيدة عنا نأخذ منها عن الاجانب ما نأخذ ولا نفقه ان لها عندنا اصلا كريما جديرا بأن نعنى به .

بعد كتابة ما تقدم على علاته اوجه اليك ثنائي الخالص عليك بأبيات جرت على قلمي حين فرغت من مطالعة كتابك وهي :

بعد الف وبعد بضع مئات ، نصفت عبقرية الضليل
نفى الستر عن جلال امرىء القيس بسفر من البيان جليل
رد صبري الواحه فتجلت ، من خفاء آيات فن جميل
واذا السن ند عنه حديث ، طلب الحسن في العتيق الاصيل
آفة الفن جهله كيف والاعلام تطوى ما بين جيل فجيل
انما الراي ما أبنت وهل أبلغ مما أقمته من دليل

وفي الختام اكرر للاستاذ الكريم حمدي واهدي اليه ازكى التحية مع الاحترام .

المخلص : خليل مطران
١٩٤٤/٤/١٨

وكان من الممكن ان تطوى هذه الصفحة الادبية الشائقة ، لولا حرص السيدة منى محمد صبري على الا تضيع مثل هذه الرسالة ، ونقدر وعيها الناضج بقيمة الرسائل الادبية ، وما تحققه من نفع كبير في مجال الدراسات والبحوث ، ونتقدم لها بالشكر على حسن ظنها بنا ، وتسليمها الخطاب لنا لنشره على صفحات مجلة « الاديب » الغراء .

القاهرة — احمد حسين الطماوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الى الله تعالى

هذه القصيدة من ديوان نفحات شامية المعد للطبع حاليا

عدنان مردم بك

آياتك المثلى بكل مكان ... نطقت شواردها بكل لسان
تلك الروائع لم تكن بخفية ... أشراطها(١) الا على العميان
كم في السماء ثواقب وعوالم ... جمعت من الاحسان كل معان
أغوارها الزمن السحيق قراره ... ورحابها الابد البعيد الداني
أهلت مسارحها بمبغوم(٢) الصدى ... وعزيف أنسام ورجع حنان
درج الزمان بحوضها في غابر ... طفلا ، وأطبق دونها بجران
والنور دون شعابها متدفق ... متنوع الانغام والالوان
والطهر حيث نظرت حشو أديمها ... ما ثم في الافلاك من أدران

والشمس آيتك التي من دونها ... حار اللبيب وعي كل بيان
احسانها وسع البرية سيبه ... وصنيعها أربى على الاحسان
وشعاعها بعث الحياة سخيه ... دون الثرى بمفاوز(٣) وجنان
لبست بها الدنيا مطارف فتنة ... وتبرجت بقلائد العقيان
والافق هلل باسما لما انجلى ... فتم الظلام وماس كالنشوان
هزت جوارحه نوازع صبوة ... للنور يقطع غربها بسنان
فادار عين مدله ، أجفانها ... كحلت بنفض لواعج الحرمان
والشمس ما بين السهول وفي الذرى ... نثرت بيارقها بكل مكان

والبحر يجأر بالدعاء مكبرا ... لعلاك في سر وفي اعلان
ناداك من شغف ولم يفقر فما ... ودعا ولم تنبث له شفتان
أشواقه الغصص التي لا تأتلي ... أشجانها مشبوبة النيران
وحنينه الاوجاع ينهش غربه ... دون الصدور بمخلب الحيوان
أطباقه كالليل ليس لغورها ... حد ، وتطرف دونها العينان
يطفى ويعصف صاخبا ومجلجلا ... ويلج في الاعراض والطغيان
سعة يحار بها الخيال فيرتمي ... متعثرا بهواجس الجبران
ويئوء عجزا عن دقائق غوره ... عقل الاريب وفطنة الاذهان

والليل في الآفاق مد جناحه ... متبتلا كتبتل الرهبان
انداؤه الذكرى ، تأرج عرفها ... وتساقطت انداؤه كجمان
في صمته عظة الحوادث أعربت ... بلسان صدق مشرق وبيان
وسكونه متحرك ، ووقاره ... ملأ النفوس وهز كل جنان
بلغ النهاية في عميق سكونه ... ببدائع جلت عن التبيان
فتم(٤) ترامى في سحيق غربه ... متدفقا كتدفق البركان
غطى البسيطة صبغه بمطارف ... مطموسة الازرار والاردان
وأحالها بحرا سحيقا غوره ... أغضت له الابصار عن اذعان

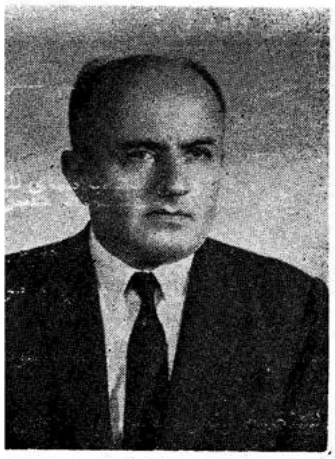
أوليس في الانسان ثم شواهد ... تغني عن التدليل والبرهان
أودعت في الانسان شيئا معجزا ... من فطنة ودراية وبيان
وجعلت فوق الارض ، منه خليفة ... ينهي على الاهواء والعدوان
أغواره ليل تلاطم غربه ... وبغربة الضدان يأتلفان
جثم الاذى في الصدر ينفث سمه ... نارا ، ويوقد جامح الاضغان
وخلقت فيه القلب يخفق للرؤى ... بجناح طير دائم الخفقان
آتيته سحر البيان وحكمة ... أودعتها في الذهن والوجدان
ورفعته لما نفثت بقلبه ... وسكبت فيه مشاعر الانسان

لغز الحياة على المدى مستغلق ... دقت معانيه على الاذهان
حار الاولى في سرها فتخبطوا ... في دامس للشك والكفران
وهمو ، بما ذهبوا اليه ولم يزل ... ما أبرموا ضربا من الهذيان
الروح شعلتك التي استودعتها ... في الذر(٥) والانسان والحيوان
تسمو ، فتجتاز السماء اذا صفت ... وتسف حتى الوحل من أضغان
وأرى الحياة تألقت بسنائها ... وسما القرين بها على الاقران
جسم الفتى الصلصال،والروح السنا، ... شتان بين الروح والجثمان

أبصرت بالوجدان ما عشيت له ... من غفلة عيني ومن نسيان
ورأيت في (سيناء) مشبوب السنا ... بمشاعري ولمسته ببناني
وبدا لي (الاسراء) في غسق الدجى ... فهززت للاسراء كالسكران
حب لذاتك صنته بجوارحي ... ورعيته بمشاعري وحناني
أهواك ما وسع الفؤاد من الهوى ... وأطاق من برح الجوى جثماني
وأراك في الاصباح نورا ساطعا ... ينهل بالنعمى وبالاحسان
وأراك في جوف الظلام محبة ... في مقلة وسنى وثغر هاني

---

(١) اشراط : اعلام . (٢) مبغوم : له صوت رخيم . (٣) مفاوز : جمع مفازة وهي الفلاة لا ماء فيها . (٤) فتم : جمع قتمة الغبار . (٥) الذر : الصغار من النمل والنسل .



وديع ديب

حكاية الشعر العربي

بقلم وديع ديب

* * *

جاء في كتاب تاريخ الادب العربي لاحمد حسن الزيات ، ان لفظة شعر العربية مأخوذة عن لفظة « شير » العبرية ، فاستوقفني هذا القول طويلا ، ورحت اتساءل كيف يمكن للزيات ان يوفق بين قوله هذا ، وبين قوله : « العرب اشعر الساميين فطرة ، وابلغهم على الشعر قدرة ، لاتساع لغتهم للقول ، وملائمة بيئتهم للخيال ، وصفاء قريحتهم ، وسذاجة عيشهم ، وقوة عصبيتهم ، وكمال حريتهم ، فهم بين الصحراء والسماء ، في فضاء شاسع يملأ الذهن والنفس خيالا وجلالا » .

ثم عدت الى نفسي فقلت : لعل الزيات عندما اخذ بهذا الراي ، كان متأثرا ببعض المستشرقين الذين لا يرغبون في ان يكون للعرب اي فضل في اي فن من الفنون او في اي علم من العلوم .

ان كلمة شعر في لغتنا العربية ، لفظة مصدرية من فعل شعر اي احس بالشيء وعلم به . وعندما يقول احدنا : ليت شعري يقصد بذلك ليتني اعلم . وهل كان الشعر شيئا غير الاحساس والعلم ؟ ثم تطور مدلول الشعر الى معنى الشوق والحنين الى منازل الاحباب ، والذكريات الجميلة ، والتطلع الى الاماني البعيدة .

ثم ان كلمة الشعور في واقعها المادي مأخوذة من الشعر الذي يعلو راس الانسان والحيوان . ذلك ان الانسان عند الاحساس بالخوف الشديد ، يقف شعر راسه ، كما تنتابه قشعريرة عذبة ، عند مشاهدة الجمال الباهر ، وسماع الصوت الساحر .

واذن فالشعور الوجداني ، ليس بعيدا في واقعه ، عن الشعر الذي يزدان به الراس البشري وبصورة خاصة راس المراة الحسناء التي قد تحتجب وراء فرعها كما تحتجب الشمس وراء الغيوم التي ترقى اليها على اجنحة من الشعاع الذهبي . وفي هذا يقول الشاعر :

واني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر

ومما هو معلوم ان بعض الحيوانات والحشرات ، تتحسس مخاوفها ورغباتها ، بشعرات معدودات ، مما ينبت حول العين او الفم او الاذن . فكأنما هي تستعين بها على السمع والبصر .

وآية القول فان الشعور ليس مقصورا على الانسان دون الحيوان ، او على امة دون سواها . جاء في كتاب العمدة لابن رشيق ، ان عمر بن الخطاب ، سأل كعب الاحبار قائلا : « هل تجد ذكرا للشعراء في التوراة ؟ » فأجاب كعب : « اجد في التوراة قوما من ولد اسماعيل اناجيلهم في صدورهم ينطقون بالحكمة ويضربون الامثال ، لا نعلمهم الا العرب » .

ومن المعلوم ايضا ، ان القبيلة من العرب ، كانت اذا نبغ فيها شاعر ، تقيم الولائم والافراح وكانت نساء القبيلة تلعب بالمزاهر ، الى غير ذلك من اسباب الفرح ، على تقدير ان هذا الشاعر سوف يذود بلسانه ، عن احساب القبيلة وسوف يخلد مآثر ابطالها ويعمل على نشر مكارمها في البدو والحضر .

فهو من هذا القبيل اشبه شيء بوزير الاعلام في ايامنا هذه . لذلك كان للشعر في الجاهلية وما بعدها ، مكانة عالية ، بدليل تلك الاقوال المأثورة التي تنسب لرجالات العرب الافذاذ وعلى راسهم النبي العربي الكريم الذي يقول : « ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة » . وقال ابن عباس : الشعر ديوان العرب . وقال معاوية : الشعر اعلى مراتب الادب .

الخيمة والشعر

جاء في تعريف الشعر لابن رشيق ما يلي : ان البيت من الشعر ، كالبيت من الابنية ، قراره الطبع ، وسمكه الرواية ، ودعائمه العلم ، وبابه الدربة ، وساكنه المعنى . ولا خير في بيت غير مسكون . وقال ابن خلدون : الشعر هو الكلام المبني على الاستعارة ، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي . ويشترط في كل بيت من القصيدة ان يستقل بغرضه .

يستخلص من قولهما ، ان البيت من الشعر ، يكون عامرا بالمعنى الذي يشتمل عليه ، كما تكون الخيمة عامرة

بآهلها . من هنا جاء قول النقاد : هذه قصيدة عامرة الابيات . وكأني بالقصيدة حي من احياء القبيلة . واكاد اجزم بأنها ما سميت قصيدة الا لانها مطلب القاصد .

وما بيت القصيد ، بحسب رأيي المتواضع ، سوى ارفع ابياتها مبنى ومعنى . فكما ان اعلى خيمة في الحي الواحد ، تدل على وجاهة صاحبها ، هكذا فان ارفع بيت في القصيدة يدل على وجاهة المعنى .

لذلك فقد قيل لنصف البيت « مصراع » على اعتبار انه باب القصيدة ومدخلها . وما اجمل ما يقوله الفرزدق في هذا الصدد :

وخير الشعر أكرمه رجالا وشر الشعر ما قال العبيد

ويقول المسعودي في كتابه جواهر الادب : ان من حق المعنى الشريف ان يكون في اللفظ الشريف . ففي قول الفرزدق والمسعودي ، ما يشير الى قدسية الكلمة من حيث هي شعور نبيل ، وايحاء يستهدف الخير والجمال .

الحجاز ونجد

في هذين البلدين من الجزيرة العربية ولد الشعر وترعرعت اللغة العربية . فان الدور الذي قامت به الحجاز بالنسبة للادب العربي ، دور جميل جليل . ففي بواديها ولدت اللغة ، وفي سوق عكاظها نمت وترعرعت وامتدت ظلالها وارفة الى كل واحة من واحات الجزيرة .

ذلك ما كان منها في العهد الجاهلي ، وقد تعاظم دورها خطورة وجلالة بالاسلام يوم اصبحت مكة بيت الله الحي ومنارة للهدى ، واصبح القرآن الكريم في بيانه الرائع ، هدف كل متأدب وشاعر . على ان الشعر في هذا العهد الاسلامي بقي على بنائه التقليدي وبقيت اللغة على صفائها وسلامتها . وقد اعتصمت بالبيان القرآني ، وبالواحات العربية ، من حيث ان اللكنة الاعجمية لم تستطع التسرب اليها .

ومما هو معروف ان النبي العربي الكريم استرضع في بني سعد ، وقد اخذ الفصاحة عنهم . ولقد كان الادباء والشعراء يقصدون قبائل نجد والحجاز من اجل التمرس بالفصاحة والبلاغة .

اما دور نجد فيتمثل في الشعر الجاهلي على اكمل وجه ، ففي هذا البلد العربي ولد الشعر العربي وعقدت له راية البيان في كل مكان . وكان له في الكعبة المكانة المرموقة . فقد كان سدنتها في الجاهلية يحتفظون بالقصائد العامرة لكبار الشعراء احتفاظهم بالاعلاق الثمينة والجواهر الكريمة .

من اجل ذلك عرفت تلك القصائد بالمعلقات . هذا ويلاحظ ان كبار الشعراء في العصر الجاهلي كانوا من النجديين ، واما من كان منهم من الحجاز او اليمن فكان لا يلبث ان يستقر به المقام في واحات نجد من حيث ان مناخها يساعد على التجلي والابداع وربما على الحرية بما يتفق ومزاج الشعراء . فعلى بساط الرمال النجدية الممتدة الى حيث تتعانق السماء والارض في الآفاق البعيدة ، يطل عليك من صور البيان الصحراوي ما يأخذ بمجامع القلوب ، كما في قول عنترة العبسي :

ولقد ذكرتك والسيوف نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

ومن شعراء نجد امرؤ القيس وخاله كليب والمهلهل . وعمرو بن كلثوم والنابغة الذبياني وزهير بن ابي سلمى . وجميعهم من السادة الكبار . ومنهم من كان رئيسا لقبيلته والناطق باسمها .

طفولة هذا الشعر

ان من امتع الروايات التي تتصل بحكاية الشعر العربي ، هو ان يكون قد ولد في هودج على ظهر بعير . فقد ذكر المسعودي ان الحداء كان قبل الغناء . ذلك ان مضر ، بن نزار بن معد كان قد سقط في يوم من الايام عن ظهر بعير له ، فانكسرت يده فجعل يقول :

يا يداه يا يداه يا يداه يا يداه

وكان من احسن الناس صوتا فاستوسقت الابل ، وطاب لها السير فاتخذه العرب حداء برجز الشعر . وجعلوا كلامه اول الحداء . ثم اشتق منه الغناء . وهكذا ولد الشعر .

ويعقب المسعودي قائلا : ولم تكن امة من الامم بعد فارس والروم ، اولع بالملاهي والطرب من العرب . ان هذه الرواية الطريفة ومثيلاتها تفيد بأن بناء الشعر وبناء الخيمة وجدا في ساعة واحدة . وما الهودج الا خيمة على ظهر جمل . ولكم من ابيات رائعة نظمها الشاعر على ذروة سنام الم يقل امرؤ القيس مشيرا الى حبيبته :

تقول وقد مال الغبيط بنا معا عقرت بعيري يا امرؤ القيس فانزل
فقلت لها سيري وارخي زمامه ولا تبعديني عن جناك المعلل

وكثيرا ما كان يختلط حنين الشاعر وحنين الناقة في نغم واحد . هو في حنينه الى حبيبته ، وهي في حنينها الى فصيلها . من ذلك قول احدهم :

هوى ناقتي وقدامي الهوى وانى واياها لمختلفان

وبعد فليس من المبالغة في شيء اذا قلت بأن الشعر العربي الغنائي لا يعادله اي شعر غنائي في العالم . لا من حيث الكمية ولا من حيث النوعية . ان الشاعر العربي الذي كان يؤلمه فراغ الصحراء من ساكنها ، ابى الا ان تكون قصائده عامرة بالمعاني الرائعة . وما اروع ما يقوله المتنبي في هذا المعنى :

لك يا منازل في القلوب منازل اقفرت انت وهن منك أواهل

وديع ديب

تحقيقات عرضية

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

(١)

الياس ابو شبكه ــ روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة ــ طبعة ثانية منقحة ومزيدة ــ بيروت ــ منشورات دار المكشوف ١٩٤٥

١ ــ ص ٢٤ : « وقد قال ابو نؤاس :

أتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر »

ليس البيت لابي نواس . وحدث ان سألني زميل عن نسبة البيت فكان ابو نواس اول ما تبادر الى ذهني ، وكان الدافع الى ذلك بيته المشهور :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

ولكن هذا غير ذاك ولا يشترط الدلالة في النسبة . وقال قوم انه لابن سينا . ولم يثبت ذلك . ووجده زميل في طبعة للديوان المنسوب الى علي بن ابي طالب .

ولنلاحظ ان ابا نواس وردت في كتاب ابو شبكه بالهمزة ، وليس ذلك بصحيح .

ولا بأس في ان يرجع الذين يهمهم معنى البيت « اتزعم ... » الى « رسائل اخوان الصفا » ــ الرسالة الثانية عشرة في قول الحكماء ان الانسان عالم صغير .

٢ ــ ص ٣٥ ــ ٣٦ : « وقد يكون فولتير ابرع كتاب القرن الثامن عشر في تأليف القصص الشرقية ، وفي جملة ما صنفه في هذا الفن حكايات « صادق » Zadig

وبهذا يكون ابو شبكه سابقا على الدكتور طه حسين في الموقف من ترجمة عنوان حكاية فولتير . ومعلوم ان الدكتور طه حسين قد نقل الحكاية الى العربية في عدد خاص من مجلة الكاتب المصري : المجلد ٦ ــ عدد ٢٣ ، اغسطس ١٩٤٧ وجعل عنوانها نرديج ، ولكنه قال في المقدمة : « وبطل هذه القصة فتى من اهل بابل ، يسميه فولتير زديج ، ونسميه نحن صادقا . وقد كدت اضع صادقا مكان زديج في القصة كلها ... »

٣ ــ ص ٤٦ : « ما لبث ان اصبح مستقر العلايق الودية ... » .

الصحيح : العلائق

٤ ــ « الرومانتزم » ص ٦٥ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٥

« الرومنطيقية » ص ٧٤ ، ٨٥ ، ١٣١ ، ١٣٣

هكذا ورد مصطلح واحد بلفظين يختلفان بعض الاختلاف ، يقف الاول عند اللفظ الغربي ، وينظر الثاني الى العربية .

٥ ــ ص ٧٥ : « وراح تيرس بعد سقوط وزارته ... » وتتكرر تيرس ص ٧٦ . كورناي ١٣٧ ، ١٥٣ ، رنبو ١٣٧ ، ١٤٠ ، السمبوليسم ١٢٩ ، فرانسواي ١٥١ .

ــ كان المنتظر ان يورد المؤلف تيرس على تير Thiers ، ويورد الاسماء الاخرى : كورني ، رانبو ، السنبوليسم ، فرانسوا .

٦ ــ ص ٩٧ : « واذا كان عهد اديب اسحق ونجيب الحداد عهد نقل واقتباس فقد كان عهد احساس مرهف في لغة مصانة من الابتذال » .

الصحيح : مصونة .

٧ ــ ص ١١٢ : « على انه فيما كان طائيوس عبده ونقولا رزق الله واضرابهما منصرفين الى تسلية الجمهور ، كان فرح انطون ومصطفى المنفلوطي واضرابهما منصرفين الى تثقيفه » . وتكررت ص ١١٣ ، ١٢٤ ، ١٦٠ .

ان استعمال « فيما » ليس من الاسلوب العربي . الصحيح ان نقول : بينما كان ...

٨ ــ ص ١١٣ : « اسكندر ديماس » ، ص ٨٢ ، ١١٦ .

ــ المنتظر من المؤلف ان يورد ديماس : ديما .

٩ ــ ص ١٢٤ : « وسرعان ما تفشى في هذه الناشئة ادب لفظي لا يغتفره اي نبوغ او اية موهبة » .

يقصد « بلا يغتفره » لا يشفع له اي لا يغفر له .

١٠ ــ ص ١٥٩ : « السهى » :

الصحيح : السها .

١١ ــ كانت الطبعة الاولى ، من منشورات دار المكشوف ايضا ، بيروت ١٩٤٣ ، (انتهى طبعها في ٢٠ نيسان ...) وقد وقع فيها ما وقع في الطبعة الثانية . واشك في حدود مقابلتي بين الطبعتين ان تكون الطبعة الثانية منقحة ومزيدة وان كانت قد تميزت بأنها ذكرت اسماء من اشترك في رسم صور الكتاب ، ودلت على تغيير في الصور . ووردت كورناي على لورنيل (١١١ ، ١٢٧) والمنتظر ان تأتي على كورني .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٢)

اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، الدكتور احسان عباس ، عالم الفكر ، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت ـ فبراير (شباط) ١٩٧٨ .

١ ـ ص ٦٠ : « سان جون بيرز » ، ص ١٤١ « سان جون بيرس » .

ـ الاولى توحيد اللفظ ، والثاني اقرب الى الصحة ، وهو سان جان بيرس .

٢ ـ ص ٨٣ : « ولعل خير ما يصور هذه الاهمية ، لا عدد البحوث الفلسفية التي كتبت في هذا الموضوع وحسب ، وفي طليعتها بحوث برجسون وهيدجر ، بل بتلون النتاج الادبي ... » .

ـ عبارة غير لائقة بالدكتور احسان عباس لركتها ، وكأنها ترجمة حرفية ...

٣ ـ ص ١١٣ : « وتكاد ان تكون الصدمة الاولى التي يعكسها هذا الشاعر ان تكون متصلة بفقدان « النقاء » المعنوي في المدينة » .

ـ الصحيح : تكاد تكون ، مع حذف ان تكون الثانية .

٤ ـ ص ١٣٧ : « ... وذلك امر متصل بالبدهيات » ، ص ١٣٨ ، ص ١٤٠ .

ـ يقصد : البديهيات .

٥ ـ من الخطأ المطبعي تسلسل الصفحات ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ فقد قدمت المطبعة في المادة واخرت . وصحيح التسلسل كي تطرد المادة هكذا : ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٣٩ ، ١٤٠ .

٦ ـ ص ١٣٩ : « الناقد الفرنسي دونالد Donald ... » .

ـ الصحيح : رولان Roland ـ وفيه خطأ مطبعي .

٧ ـ ص ١٤١ : « ليل يصبح بجانبيه نهار » .

ـ الصحيح : يصبح ـ وهو من الخطأ المطبعي .

٨ ـ ص ١٤٩ : « ولعل هذا ان يكون وضعا طبيعيا » .

لا تأتي « ان » في خبر لعل . ويمكن ان تكون الجملة هكذا : ولعل هذا وضع طبيعي .

٩ ـ ص ١٧٧ : « لانها حين تصبح هي ـ اي المراة ـ واقعا في حياته يمحي وجوده (اي وجود الشعر) ، ايهما يختار ... » .

ـ يمحي من الخطأ المطبعي صحيحه : يمحى ، والا كانت يمحو

(٣)

سيمون دي بوفوار ـ واقع الفكر اليميني ترجمة جورج طربيشي ، بيروت ، منشورات دار الطليعة ، ط ١ ، ك ٢ ، ١٩٦٣ .

١ ـ ص ٨ : « سوف ييئس ويضحك ساخرا »

ـ الصحيح : ييأس .

٢ ـ ص ١٩ : « الدفاع عن حضارة مدانة تشك في نفسها » ... ص ١٠٦ .

ـ الصحيح : مدينة .

٣ ـ ص ٣٥ : « وقد ندهش من ان آرون يتبنى عن المثقف مفهوم شخص مثل فرانسواز جيرو ... » .

ـ لعل الصحيح : فرانسوا .

٤ ـ ص ١٢٤ : « انهم يكتبون لنا باعجاب ... عن عذوبات الحياة البورجوازية » .

ـ لعله يريد : عذوبة الحياة او بهجتها . واذا كان لا بد من الجمع فلتكن : متع او لذاذات .

واكبر الظن انه يترجم كلمة délices .

(٤)

د. عبد الغفار مكاوي ـ المسرح الملحمي ، القاهرة ، دار المعارف ، سلسلة كتابك (١٠) ١٩٧٧ .

١ ـ ص ٨ : « وارتبطت الطقوس بعبادة ديونيزيوس ... » ص ٩ : « ... ديونيسية » .

ـ المناسب توحيد الرسم بين الزاي والسين .

٢ ـ ص ٢٢ ـ ٢٣ : « نرى امامنا جماعات من الشعب وافراد الطبقة المتوسطة وقادة الثورة وانصارهم واعدائهم ... »

ـ الصحيح : واعداءهم .

٣ ـ الكتاب مفيد على صغر حجمه ، وهو اجدر ان يكون المسرح اللاارسطي ، او المسرح المضاد للمسرح الارسطي ... وقد عودنا الدكتور مكاوي على حسن الترجمة بتصرف والاعلان عن ذلك منذ المقدمة ، وقد يكون كتيبه هذا من ذلك النوع ، وقد يعد ما جاء في الاشارة الاولى (ص ٧٧) دليلا على المرجع في التلخيص ـ ان بنا حاجة الى هذا الضرب من التأليف الذي يعتمد المرجع الاجنبي اساسا ، انه تأليف التلخيص ان شئت .

تقول الاشارة الاولى : « راجع للسيدة ماريانة كستنج ـ وهي من اهم دارسي المسرح الحديث ـ كتابها القيم عن المسرح الملحمي ... » .

(٥)

د. حسام الخطيب ـ سبل المؤثرات الاجنبية واشكالها في القصة السورية الحديثة . القاهرة . معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٣ .

١ ـ ص ١ : «لا يبدوا الجمع بين الاشكال القصصية المختلفة مسوغا » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ ان الالف بعد الواو من يبدو خطأ صار متكررا في مطابعنا العربية .

٢ ـ ص ٢٣ جاء في كلام فؤاد الشايب : ... قبل ان نجرأ على ... » .

ـ وصحيحه : نجرؤ .

٣ ـ ص ٢٩ : « **وكان الكتاب ظمأى للنهل من الثقافة العربية** » .

ـ هو ظمآن وهي ظمأى وهم ظماء بالكسر والمد .

٤ ـ ص ٣٢ : فرانسوا كربي ، ص ٤٦ : **اميلي** بروفتي ، ص ٤٨ : اندريه فوروا .

ـ صحيح الخطأ المطبعي هذا : كوبه ، برونتي ، موروا .

٥ ـ يفضل المؤلف استعمال بداءة الرواية (ص ١٣) والبداءة العملية (ص ١٧) على بداية الرواية ، والبداية العملية ـ وهو تفضيل غير مسوغ .

(٦)

مارون عبود ـ احمد فارس الشدياق صقر لبنان ... بيروت ، ط ٢ ، دار مارون عبود ١٩٧٥ .

١ ـ ص ٨٠ : « فهل انا في ذا ، يا لهمذان ظالم ؟ » .

ـ الصحيح : يال همدان اي يا آل همدان ـ وهمدان قبيلة يمانية .

٢ ـ ص ١٥٧ : « اشبعهم سخرا وهزاء » .

ـ لعلها : هزءا .

٣ ـ ص ١٧٤ : « لقد أوتي عينان لاقطتان » .

ـ الصحيح : لقد أوتي عينين لاقطتين .

٤ ـ ص ١٨٠ : « أما نحن فنرى بيت السهروردي مع بعض تغيير وتحريف ، اكثر مطابقة لحاله :

كانما هو في حل ومرتحل ... موكل « ببيان العرب » يزرعه

ـ يريد البيت :

كانما هو في حل ومرتحل ... موكل ببلاد الله يذرعه

والبيت لابن زريق البغدادي وليس للسهروردي وعينية ابن زريق مشهورة .

٥ ـ أحال في هامش ص ١٦٧ على كنز الرغائب ، وأحال ص ١٧١ على منتخبات الجوائب . والذي يقتضيه منهج البحث توحيد الاحالة لان الكتاب المحال عليه واحد هو « كنز الرغائب في منتخبات الجوائب » مما اختاره سليم احمد فارس الشدياق من مقالات ابيه في مجلة الجوائب وقد طبع في سبع مجلدات .

وتكرر الاضطراب في الاحالة ص ١٨٥ ، ١٨٨ .

(٧)

القاموس السياسي ، وضع احمد عطية الله . القاهرة ط ٣ جديدة ومزيدة ، الناشر دار النهضة العربية ١٩٦٨

١ ـ ص ١١٠ : « قازاقستان » . الصحيح : كازاخستان .

٢ ـ ص ١٩٢ : « البزاز : سياسي عراقي وهو دكتور عبد الرحمن البزاز درس الحقوق وحصل على درجة الدكتوراه في القانون ... شكل وزارته الاولى خلفا لعارف عبد الرازق ... وفي اغسطس ١٩٦٦ زار انقره ... وبعد عودته قدم استقالته وخلفه ناجي الاصيل » .

أ ـ لم يكن دكتورا ولم يحصل على درجة الدكتوراه . وكذلك ص ٧٧٩ .

ب ـ عبد الرازق : عبد الرزاق . وكذلك في ص ٧٧٩ ، ٧٩٢ .

ج ـ ناجي الاصيل : ناجي طالب ـ اما ناجي الاصيل فقد توفي سنة ١٩٦٣ .

٣ ـ يخلط بين « ثورة وانقلاب ففي ص ١٩٢ يقول : انقلاب تموز وفي ص ٣٥٧ ثورة ١٤ تموز « اسم يطلق على الانقلاب العسكري في العراق » وانتهى الامر بانقلاب ١٤ رمضان » ، وفي ص ٣٥٧ « ثورة ١٤ رمضان » وتنظر ص ٦٩٢ ، ٧٧٩ ، ٧٩١ ، ٨٩٩ ، ١٣١٤ .

٤ ـ ص ٣٥٧ : « مجلس الوزراء ... برياسة اللواء جوي طاهر يحى » .

ـ كان فريقا ، ولم يكن جويا .

٥ ـ ص ٥٦٥ : « رشيد عالي ... الكيلاني ... عين لاول مرة وزيرا للعمل عام ١٩٢٤ » .

ـ لم تكن في العراق ـ آنذاك ـ وزارة للعمل ، وانما كانت وزارة للعدل هي التي « عين » فيها رشيد عالي ... وتسمى وزارة العدلية .

٦ ـ ص ٦٨٥ : « شط العرب مجرى مائي يتكون من التقاء نهري دجلة والفرات عند بلدة القرنة العراقية ، وفي خلال مسيره الذي يبلغ ١٠٠ م يصب فيه من ناحية الشرق نهر قارون ... » .

أ ـ ١٠٠ م لا تعني ١٠٠ متر ، والاولى ان تكون ١٠٠ كم او ١٠٠ ميل ..

ب ـ قارون : كارون .

٧ ـ ص ٧١٠ : « صالح جبر تولى زعامة حزب الامة العراقي » .

ـ حزب الامة الاشتراكي ـ وهو اشتراكي بالاسم فقط

٨ ـ ص ٨٥٦ : « فدائيات اسلام . جمعية ايرانية .

ـ لعلها فدائيان .

٩ ـ ص ١٣١ : جائزة نوبل « وكان اول من حصل عليها الاديب الفرنسي رينيه برودوم ... » .

ـ وكان اول من حصل عليها في الادب سلي برودوم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٨)

سامي خشبة ــ قضايا المسرح المعاصر ، بغداد ، تشرين الثاني ١٩٧٧ ، سلسلة الموسوعة الصغيرة ــ ٤ .

١ ــ ص ٩ : « يوجين اونسكو » .

ــ ورد ص ٣٠ « يوجين يونيسكو » ، والمناسب التوحيد ، واشتهر بـ « يونسكو » .

٢ ــ ص ١١ : « وكانت المشكلة في « مسرح » الطليعيين القدامى بما فيهم الكتاب الوجوديين هي انهم ... » .

ــ الصحيح : بما فيهم الكتاب الوجوديون .

٣ ــ ص ١٤ : « ... حين اكتشف السرياليون والداديون ان الحرب الوحشيه ... » .

ــ الصحيح : الداديون والسرياليون ...

٤ ــ ص ٧٢ : « كان فيديكيند تلميذا مخلصا لابسن وسترندبرج سويا ... »

ــ سويا : معا .

٥ ــ ص ٨١ : « ... اختفت ... مسرحيات التعبير بين الالمان ... ولم يركز ــ حتى النقاد الليبراليين عليها الاضواء ... » .

ــ الليبراليين : الليبراليون .

٦ ــ ص ٨٣ ــ ٨٤ : « ... برخت ... فتجري ... مسرحية الانسان هو الانسان عام ١٩٢٧ في الهند ومسرحية اوبرا البنات الثلاث في لندن ... وجرت مسرحية صعود وسقوط مدينة ماهاجوني عام ١٩٢٩ في غرب امريكا ... » .

ــ تكرر اسم « برخت » بالخاء والصحيح برشت بالشين .

ــ صحيح « البنات » : « البنسات » . وهو من الخطأ المطبعي . وترجمت المسرحية الى العربية بعنوان « اوبرا القروش الثلاثة » .

(٩)

امين الخولي ــ مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والادب ، القاهرة ، دار المعرفة ١٩٦١ .

١ ــ ص ١٠١ : « المبرد ــ ت ٢٨٣ » .

قال ابن خلكان : « توفي ــ المبرد ــ سنة ست وثمانين وقبل خمس وثمانين ومائتين » ومثله ثقات آخرون كثيرون . ولكنك لا تعدم من يقول ــ كما قال صاحب مراتب النحويين ــ « مات سنة اثنتين وثمانين ومائتين » ... .

٢ ــ ص ١٠٥ : « عبدالله بن المعتز ت ٢ ، ٣ ق » .

يقصد بالقاف : قرن وابن المعتز ولد وعاش وتوفي ٣ ق .

٣ ــ ص ١٢٠ : « ان معمرا ابا الاشعث قال لبهلة الهندي ... ما البلاغة عند اهل الهند ؟ قال بهالة ... قال الاشعث فلقيت ... التراجم ... » .

صحيح بهالة : بهلة (وهو من الخطأ المطبعي) ، وصحيح التراجم : التراجمة .

٤ ــ ص ١٣٠ : « التفتازاني »

صحيحه : التفتازاني ــ وهو من الخطأ المطبعي .

٥ ــ ص ١٣٣ : « ... ابن قتيبة الدينوري ، بثقافته اللغوية والدينية ، التي لم تقدم الاتصال بالجديد » .

الصحيح : لم تعدم ، ولا بد من رد ذلك الى الخطأ المطبعي .

٦ ــ ص ١٣٤ : « قدامة بن جعفر ... صاحب النقدين » .

لا بد انه يقصد بالنقدين : نقد الشعر ونقد النثر بدليل قوله ص ١٣٧ : « نقد الشعر ونقد النثر لقدامة » وثابت الآن ان نقد النثر ليس لقدامة ولكن المؤلف تحدث بعلم زمانه الذي لم يتعد الشك ، وقد اثبت المؤلف هذا الشك بقوله « ونسبة الاول اليه اثبت من نسبة الثاني » . اما قوله : « وكلاهما مطبوع » ، فلا بد من الملاحظة ان الذي طبع مغسوبا لقدامة من نقد النثر غير كامل .

وقد طبع الكتاب كاملا صحيح النسب الى صاحبه الحقيقي باسم « البرهان في وجوه البيان » لاسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ــ ينظر تحقيق د. احمد مطلوب ، د. خديجة الحديثي .

٧ ــ ص ١٣٤ : « ابو هلال العسكري ت ٣٦٥ هـ » .

ــ الصحيح : ت ٣٩٥ .

٨ ــ ص ١٣٥ : «ابن الاثير ضياء الدين ت ٦٧٣ هـ» .

ــ الصحيح : ت ٦٣٧ هـ ــ وهو خطأ مطبعي يرد صحيحه ص ١٦٣ .

٩ ــ ص ١٣٩ : « الجامع الكبير لابن الاثير ... وهو مخطوط بمصر ... » .

لقد طبع الكتاب ببغداد سنة ١٩٥٦ بتحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد وصدر في مطبوعات المجمع العلمي العراقي .

١٠ ــ ص ١٥٠ « عبدالله بن المعتز المتوفي سنة ٣١٠ هـ » .

ــ الصحيح : سنة ٢٩٦ هـ . وقد ورد صحيحا ص ١٣٤ .

(١٠)

كلهم ابنائي ، مسرحية لآرثر ملر ، ترجمة عبد الحليم البشلاوي ، مكتبة الفنون الدرامية ٢٣ ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويكتب المترجم مقدمة يسمي المسرحية فيها مرة « كلهم ابنائي » ، ومرة « كلهم اولادي » ــ تنظر ص ١٧ ، ١٨ . والمناسب ان نلتزم استعمالا واحدا حتى لو كان المعنى واحدا للكلمتين وانما يؤديان ترجمة الكلمة الانكليزية .

واستعمل المترجم (ص ٢١) **دردشه وهي من العامية** المصرية لا موجب لاستعمالها في سياق كلام فصيح وكان من الممكن ان يقول « محادثة » او « ثرثرة » ...

وجاء على ص ٢٧ : « كنت اريد ان اكتب بحيث يخطىء ذوو الفهم والادراك مسرحيتي فيظنوها الحياة نفسها ، ولا يحتاجون الى اعارتها ... » ، والصحيح : فيظنونها .

(١١)

طه حسين ــ كلمات ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٢ ، ١٩٧٧ (كانت ط ١ سنة ١٩٦٧) .

من الخطأ المطبعي فيه :

١ ــ ص ١٠٣ (مقالة صلاح) : « ولم يتح لي ان القاه الا بآخره ... » .

ــ صحيحها : بأخرة .

٢ ــ ص ١٢٨ (مقالة ظواهر) : « مسألة الشعر الحديث التي يبتدي فيها الاستاذ ... ويعيد ... » .

ــ صحيحها : يبدىء .

٣ ــ ص ١٣٤ (من المقالة نفسها) : « ماذا تصنع بما كتب ... لسوساج ! وما كتب القس يريفو ! » .

ــ الصحيح : لوساج ... بريفو (الباء بثلاث نقط) .

(١٢)

برتولد بريخت ــ حياة غاليليه ، تعريب بكر الشرقاوي ، دار الفكر الجديد ١٩٧٢ .

١ ــ بريخت : برشت .

٢ ــ خبر من « تعريب » التي شاعت ، صحيحها : ترجمة .

٣ ــ ورد اسم المترجم على الغلاف الخارجي : بكر الشرقاوي ، وعلى الغلاف الداخلي : بدر الشرقاوي . وختمت المقدمة باسم بكر الشرقاوي . ولم ندر بذلك الاسم الصحيح .

٤ ــ لم ينص المترجم على اللغة التي نقل عنها النص الى العربية ، ولا يبدو انه ترجمها عن اللغة الاصلية للمسرحية (الالمانية) ، ولعله ترجمها عن الفرنسية .

٥ ــ ورد في المقدمة تعيس ، والذي تنص عليه المعجمات : تعس (او تاعس) ــ ينظر ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

٦ ــ جاء في المقدمة : « فهم ليسوا علامة الا على ان الانسانية لا تزال ... » والتركيب غير سليم ، ويمكن ان يكون : فما هم الا علامة على ان ... او فلم يكونوا الا علامة (او دليلا) على ان ...

٧ ــ جاء على الغلاف « ... غاليليه » ، وفي صلب المسرحية : جاليليو . والمفروض التوحيد ، والانسب ان يكون جاليليو ، وانسب من ذلك ان يكون كاليلو (بالكاف الفارسية ...) . ولكننا لم نتفق على ما يقابل الـ (G) في مصر يكتبونها (ج) وفي لبنان (غ) ، وما ضر لو تبنينا الكاف (الفارسية) لنكون اقرب الى الحقيقة ، وفي العربية شيء من هذه الكاف لفظا ، وفي المغرب العربي من وجد لها رسما خاصا يمكن ان نتبناه .

٨ ــ ص ١٣ : « لنرى ذلك بأنفسنا » .

والصحيح : لنر

٩ ــ ص ٢١ ــ ٢٢ : « ان راسي كانت ستتدلى ... لماذا تتدلى راسي ... » .

ــ والصحيح : ان راسي كان ... يتدلى ... ــ الراس مذكر بالطبع .

١٠ ــ ص ٢٧ : « ليس لدينا ... الا فروضا » .

ــ الصحيح : فروض

١١ ــ ص ٦٨ : « هل هناك شيئا ... » .

ــ الصحيح : شيء . وتنظر ص ٨٢ .

١٢ ــ ص ١٦٠ : « يخرج ليأت بكوب ماء » .

ــ الصحيح : ليأتي .

١٢ ــ ص ١٧٨ : « لقد كان عمري احدى عشر عاما » .

ــ الصحيح : احد ...

١٣ ــ ص ١٨٢ : « ان العلم ... يهتم بكلا المعركتين » .

ــ الصحيح : بكلتا المعركتين

هذه نماذج من الخطأ الوارد في الترجمة . اما كان الانسب بالمترجم او بالدار ان تعرض الترجمة على عارف باللغة العربية قبل النشر ؟ !

كلية الآداب بجامعة بغداد **علي جواد الطاهر**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحمد الله لكم هذا اللقاء

القصيدة التي القاها الشاعر محمد عبد الغني حسن عضو مجمع اللغة العربية بمصر في الحفل الختامي لمؤتمر المجمع في الدورة الـ ٤٤ في شهر مارس الماضي

حمد الله لكم هذا اللقاء ... نحن في الغضبة للفصحى سواء
ما تزالون لها متكا ... ثابت الاساس ، مرفوع البناء
لكمو في كل عام وقفة ... تلتقي العزة فيها بالاباء
جمعتنا إحرف من شمم ... وخيوط ضفرت من كبرياء
والتقينا كانا في نسب ... واضح كالشمس ممدود الرواء
يا مذيبي النور من اعينكم ... لتبثوا النور فينا والضياء
وهب الله لكم كل سنا ... حقق الله بكم كل رجاء
الشيوخ اليوم لم يقعد بهم ... نصب ، او لم يثبطهم عناء
لا تقولوا : قعد السن بنا ... انها حجة قوم ضعفاء
اين مأتى الضعف من قوم غدوا ... بالذي يأتون اقوى الاقوياء
يا معيدي الصفو من امجادنا ... بعد ان كدر في الدنيا الصفاء
(الامام) اليوم لم يصرفكمو ... عن رجوع والتفات للوراء
نحن في الحالين لم نخرج على ... سنن العلم ، ونهج العلماء
فلنا في الامس عز وانتماء ... ولنا فيه اعتصام واحتماء
نحن ان لم نف الماضي ، فما ... نحن يوما لزمان اوفياء
هكذا نحن لماضينا ... ومن ... شيمة العرب على الدهر الوفاء
بارك الله لنا مؤتمرا ... ضم فيه العلماء الادباء
فيه من كل قطاع علم ... لم يحجبه على البعد خفاء
كل عضو فيه ، فيه ومضة ... من سنا البرق ، ولمح من « ذكاء »
ينفح الطيب على اعطافه ... ويطيب المدح فيه والثناء
قد جمعتم ههنا اهل النهى ... واولي الفضل ، وارباب الذكاء
ثم افضلتم فزدتم « مبضعا » ... كل جرح منه محتوم الشفاء
« حسن »(١) كان صنيعا حسنا ... ساقه الله فأضفى وأفاء
كان « لابني » من يديه نعمة ... ورأت « بنتي » بكفيه الدواء
ثم ثنيتم بفضل حينما ... كرم الشعر بكم والشعراء
فاذا بي -بينكم منطلق ... ليتني احسن في الايك الغناء
علني « يا بن خميس »(٢) اقتدي ... فلقد اقعدني فوق السماء
بقصيد فيه من انسى به ... كل ما في الروض من ظل وماء
فاذا لم تنكروني شاعرا ... فكفاني منكمو هذا الجزاء
انتهينا اليوم من اعمالنا ... طبتمو ما بين بدء وانتهاء
فترة مرت كحلم في الكرى ... او بساط قد طواه الندماء
كم دخلنا في نقاش عاصف ... وخرجنا فاذا الريح رخاء
ليس فيما بيننا شائبة ... كيف يندس الى الود الجفاء
ان تنادينا فللضاد النداء ... او تداعينا فللعرب الدعاء
ولنا في كل عام ملتقى ... يلتقي فيه مع الفكر الاخاء
لا نبالي موسما يجمعنا ... ليس في الحب ربيع او شتاء

(١) ــ حسن هو الدكتور الجراحي حسن علي ابراهيم عميد كلية الطب السابق ، وعضو المجمع الذي انتخب مع الشاعر محمد عبد الغني حسن . وقد سبق ان اجرى جراحتين لابن الشاعر وابنته .

(٢) ــ ابن خميس هو الاديب الشاعر السعودي : عبدالله بن خميس ، وكان له فضل على الشاعر حين استقبله في المجمع بأبيات صافية رقيقة .

القاهرة — محمد عبد الغني حسن

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com



نقولا يوسف

نقولا يوسف كما عرفته

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

علاقاتي الفكرية والروحية التي تكونت ثم تبلورت عبر ثلاثين عاما ، بعدد غير قليل من ادباء الوطن وشعرائه ، مبعثها اما الاسباب المواتية التي تخلق المناسبة من حيث يدري المرء او لا يدري ، واما المصادفات العجيبة التي هي خير من المواعيد كما قيل ، واما اللقاءات المفاجئة غير المنتظرة في احوال كثار ، واما المراسلات المبنية على ارهاص من الرؤية المشتركة لزخم من القضايا والمسائل الجارية ، والشعور الانساني المتبادل ..

وسيبقى الادب والفكر ، في هذا المعترك ، من اوثق الاسباب في ربط الانسان بأخيه الانسان لسانا وجنانا ، وفي تغذية ما هما بشأنه مبدأ وغاية ..

مدين انا بفضل لا يجحد لصديقي وديع فلسطين : سفير الادب المعاصر .. انه استدرجني ثم حثني على الاتصال بنيقولا يوسف ، الاديب العربي السكندري ، لعله ان يطلعني على اشياء خافية وكافية عن المستعرب التركي النقادة المفكر : اسماعيل احمد ادهم ، هذا الذي عاش بالاسكندرية حتى يوم القائه بنفسه في قرارة اليم منتحرا ، ناقما على الدنيا : ما فيها ومن فيها ..

ذلك كان بعد رحلتي الادبية الى ارض الكنانة .. والتقائي ببعض من ادبائها ومفكريها ، اصدقاء وغير اصدقاء ..

من هنا . وفي اوائل عام ١٩٧٠ بعثت الى نيقولا يوسف بعد ان زودني صديقي الوديع بعنوانه ، بكتابين من كتبي هما : « في الادب والحياة » و « من الادب العربي المعاصر » .

هذه كانت البداية .. وخير البدايات ما كان على هذا النحو ...

على الايام .. بينا تذهلني دوامة الحياة عما حوالي ، وتغرقني هموم الذات في بحر لجب ، تطالعني رسالة نيقولا يوسف المؤرخة بالثالث من آذار ١٩٧٠ وبها يقول : « ... تلقيت شاكرا هديتيك الثمينتين — مؤلفيك : — « في الادب والحياة » و « من الادب العربي المعاصر » . تسلمتهما من عهد بعيد . بعد ان تريثا طويلا في الطريق ، وتمهلا في البريد .. ثم تباطأت انا ايضا ، املا في ابداء الراي هنا ، او على صفحات « الاديب » هناك . لم ازج اليك شكرا ولم ابد في الكتابين رأيا .. ان الكتابين جديران بالتمعن والدرس . وللمؤلف كما اطلعنا مقدم الكتاب — دكتور صفاء خلوصي — ميزات كثيرة وحسنات وفيرة . واقل ما يقال في هذين الكتابين انهما يبشران بأدب كبير ويمهدان لنقد جهيد . ولمؤلفهما «مؤقتا » شكرا جزيلا وثناء عاطرا وتقديرا وافرا ... » .

على انه شفع رسالته هذه بتصوير فوتغرافي مهدى الي ، وملتقط له بمكتبته الخاصة بدارته برمل الاسكندرية .

هذا الجواب الهادىء المكثف انما جعلني اتفاءل ، وان كان التشاؤم ديدني في كل مشروع احاول الاطلاع به ، وفي كل فكرة اتولاها بالتنفيذ ، حتى ليؤول الامر الى ما هو مقدور له ، منشور ، او غير منشور ..

من اول وهلة ابديت رغبتي لنيقولا يوسف في امكانية الاطلاع على مراجع تتعلق بحياة اسماعيل ادهم وظروفه الخاصة والعامة ، ومؤلفاته المطبوعة والمخطوطة ثم الاصداء التي تركها على اثر انتحاره الفظيع ..

وادركني جوابه : « واما بحثكم في الكاتب الناقد المرحوم اسماعيل ادهم — فأرجو لكم فيه التوفيق والنجاح . وارفق بهذه الرسالة قائمة بما اذكره الآن من المراجع والاشارات والكتابات الخاصة بهذا الكاتب الباحث ، على ان اربسل اليكم ما لدي مما ينقصكم في هذا الشأن وبخاصة صور رسائله الى صديقه وصديقنا المرحوم محمد امين حسونة اذا شئتم . ولسوف ترون من هذه الكتابات المختلفة ذلك التضارب والخلط والمبالغات احيانا ، مما يدور دائما حول المرحوم اسماعيل ادهم ولو ان مقالة شقيقه الاستاذ ابراهيم ادهم اقرب ما كتب عنه الى الصحة .. » .

ثم تحينت الفرصة لافاتح نيقولا يوسف بالتساؤل عما اذا كان عرف اسماعيل ادهم في حياته ، والتقى به ، او جرى بينهما تراسل ، فكان رده علي : « .. كانت صلتي باسماعيل ادهم صلة الكاتب بالكاتب — صلة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القلم — اقرأ ما يكتب في الصحف والمجلات . كما كان يقرأ هو مـا انشر في « السياسة الاسبوعية » فيما بـين ١٩٢٦ — ١٩٣٠ وما اكتب في « المجلة الجديدة » لصاحبها سلامة موسى بين ١٩٣٠ — ١٩٤٠ . وكان ادهم من المعجبين بسلامة موسى وبفكره ومتصلا بمجلته ، وكتب عني اسماعيل ادهم في كتابه عـن « توفيق الحكيم » — بالاشتراك مع دكتور ابراهيم ناجي ، والمطبوع بعد ذلك بالقاهرة عام ١٩٤٥ يقول : « ولقد وجدت القصة التحليلية الواقعية في مصر اهتماما كبيرا . فقد وجه لها ابراهيم المصري ونيقولا يوسف شيئا كثيرا من جهودهما ، فكتب الاول منهما مجموعة عنوانها « الاديب الحديث » عام ١٩٣٢ كما ان نيقولا يوسف كتب مجموعة من القصص خيرها « الهام » التي نشرها عام ١٩٣٨ وهي قصة تحليلية واقعية نجح نيقولا يوسف في تقديم مجموعة من التحليلات النفسية العميقة مستنزلة من ادراك سليم دقيق لنظريات علـم النفس .. » .

ثم لما كانت لاسماعيل ادهم رسائل شخصية ساقها في غمرة معاناته وصراعاته على مدى سنين ، الى بعض اصدقائه المتوددين اليه ، والمتعلقين به ، من امثال احمد زكـي ابو شادي ومحمد امين حسونة وحسن كامـل الصيرفي ، وجميلة العلايلي ، وزكي المحاسني وسامي الكيالي ومن اليهم ، فقد توجهت الى نيقولا يوسف اذا كان في مقدوره ان يذلل بعض مصاعبي ويختصر بعض متاعبي حول هذا ، فيدلني على كيفية الحصول على بعض هاتيك الرسائل ..

من الطافه التي لا يمكن التغاضي عنها ، ان اشار الى الموضوع بقوله : « رسائل ادهم الى محمد امين حسونة ، ولدي منها ١٢ رسالة منقولة عن الاصل حرفيا ، سوف ارسلها اليكم في بريد مستقل . اما الاصل فمـا زالت محفوظة مع رسائل ابي شادي وغيرها عند شقيق المرحوم حسونة ، الاستاذ امين حسونة ، امين مخازن السكة الحديدية — ميت غمر — بالقطر المصري » .

فوفاء بالعهد الذي قطعه نيقولا يوسف علي ، تفضل مشكورا باستنساخ جميع رسائل اسماعيل ادهم الى محمد امين حسونة ، بخط يده ، ايغالا في الدقة والحرص ، وتفاديا للتحريف والتعميق .. اضافة الـى استنساخه مقتطفات من رسائل احمد زكي ابو شادي الى محمد امين حسونة ، وبها شيء كثير ومهم يخص اسماعيل ادهم بالذات ..

لقد ابتهجت بهذا النبل المجسد .. وبهذا الفضل المشخص .. حتى رحت افكر ، كيف لـي ان اقابلهما بصنيع .. ولكنها شيمة الاصلاء من الرجال النادرين في هذا الزمان اللعين الملعون ..

ثم أخذ نيقولا يوسف يوغل في اسداء الافضال الادبية المجدية الي .. فقد ذهب بنفسه الى حسن كامل الفنان ، صديق اسماعيل ادهم ورفيق صباه ، منتزعا منه اعترافات مهمة ذات قيمة بخصوص ادهم ، بعد حجبها عني ، حين كتبت اليه راجيا رجاء ان يسلط انوارا كاشفة على ما يكتنف حياة ادهم وواقعه من غموض وضباب ، خدمة لتاريخ الفكر المعاصر ؟! هنا كتب نيقولا يوسف الي يقول : « ولقد بادرت لدى اطلاعي على رسالتك الى الاتصال تلفونيا بالصديق الفنان السكندري حسن كامل ، واطلعني على تلقيه رسالتك وعزمه علـى الرد عليها ، ولكنـه — كما يقول — تردد كثيرا في الكتابة اليك خشية ان يخيب ظنك حين يشوه صورة الاديب الذي قد تكون من المعجبين به » .. وفي رسالة تالية عرج نيقولا يوسف على الموضوع ذاته ، فذكر : « وفي هذا الشهر زرت الاستاذ حسن كامل بمنزله القريب منا ، وكرر تحياته اليك واعتذاره من تأخير المكاتبة ثم املى علي ما استطاع تذكره من اخبار صاحبه اسماعيل ادهم في الثلاثينات ، ومرفق ورقة بها اقوال بنصها ... انقلها اليك وناقل الكفر ليس بكافر » .

كذلك تجشم نيقولا يوسف ، وهو المريض الذي اصطلحت عليه ادواء الشيخوخة ، عناء غير قليل لا ينسى ، في السعي الى مكتبة البطريركية الكاثوليكية بالاسكندرية ، بعد اخفاقه في المكالمات الهاتفية معها ، ليراجع مجلدات صحيفة « البصير » السكندرية ، التي نشر بها اسماعيل ادهم عديدا من ابحاثه . حيث قال : « ان مجلدات جريدة « البصير » الصادرة عام ١٨٩٧ حتى اوائل الستينات ، اراد صاحبها الاستاذ شارل شميل ان يهديها عقب احتجاب الجريدة وبيع دارها ومطبعتها الى دار الكتب بالاسكندرية ، فاعتذرت من ضيق المكان فأهداها الى مكتبة الروم الكاثوليك المجاورة لكنيستها والمفتوحة للجمهور . وقد ذهبت الى هذه المكتبة بضع مرات ، آخرها هذا الاسبوع فوجدتها مغلقة وعلمت من الحارس هناك انها اغلقت بسبب تهور بعض العابثين الذين كانوا ينزعون بعض الاوراق مـن الكتب والصحف ، فتقرر الا تفتح الا باذن خاص مـن البطريركية . واتصلت بالاستاذ شميل فأطلعني علـى القصة السابقة الذكر برمتها . ولما سألته عما اذا كان يذكر شيئا عـن صلة المرحوم اسماعيل ادهم بجريدة « البصير » ، اجاب بأن مضى اربعين عاما على هـذا الموضوع انساه الامر كله ... ولهذا فاني استمهلك فترة اخرى للنظر في الامر شاكرا لك جميل صبرك .. » .

لكن شيئا من هذا كله لم يستطع نيقولا يوسف ان يحققه لسبب نوهت به في آخر الحديث ..

المعت ان اتصالي الادبي بنيقولا يوسف بدأ على اثر ارسالي برسالة اليه ، مشفوعة باهداء كتابين من كتبي ..

على انه وان اجاب عما كتبت اليه ، فقد ارفق ذلك بنسخة من روايته « هم وهن » . ثم قال : « وارجو ان ارسل اليك « تذكارا اخويا » كل ما اعثر عليه من كتبي المطبوعة شاكرا لك كلماتك الكريمة عن كتاباتي .. وانه

ليسعدني حقا ان اهدي الى اديب مكين مطلع مثلك ، ما نشر لي من كتابة هي جهد المقل ووسع الطاقة » .

وتهزني هذه الاريحية من الاعماق ، واحدس في قراري ان نيقولا يوسف قد يكون حريصا على تجسيد اخائه وولائه ، بما يملك اليه من سبيل ، وقد يكون لطيفا في صلاته الفكرية والوجدانية بالآخرين من امثالي .

كان حدسي في مكانه الطبيعي .. وهل هذه الا شهادة لله ..

وصار مما لا بد منه ان تترسخ اواصر صداقتنا عبر الشهور ، يصهرها عمق الاحساس المشترك بالتبعة تجاه الادب المعاصر ، وتغذيها خصوبة الفكر الواحد الداعي الى صنع الانسان الجديد وتحريره ، ليغدو قادرا على التغيير والمواجهة والسمو بواقعه الحياتي ومستواه الحضاري ..

وصار ايضا من الضرورة القصوى لاكساب هذه الصداقة ، طابعا اروع ، ان ابعث اليه بمؤلفات ومصنفات — زيادة على ما لدي من كتبي — لادباء وشعراء من القطر العراقي ، ليرصد حركتنا الفكرية والشعرية ولو من بعيد ، وليكون له في ما بعد راي واضح وسليم عنها ..

انما كان نيقولا يوسف يستحسن وصول هاته المطبوعات والكتب الصادرة بالقطر العراقي اليه ، ولو ابطأت في البريد ، فيأنس بقراءتها ويستجيب لدواعيها ، حتى انه كتب الي وهو مغتبط قائلا : « هداياكم الجديدة العظيمة وصلت الي جميعا سالمة . فلكم شكري الجزيل المتجدد على هذا الفضل ، وقد شرعت في قراءتها والاستفادة منها ، معجبا بهذه المطبوعات الرائعة شكلا ومضمونا . ويبدو لي ان هذه النهضة الادبية الحديثة في العراق وما تنتجه من مؤلفات ومترجمات قيمة في شتى فروع الادب ، تذكر بتلك النهضة الرائعة التي ازدهرت في العصر العباسي ، يوم كانت بغداد كعبة يؤمها اهل الفكر والقلم . ولقد اجتمعت لدي من المطبوعات العراقية الحديثة من شعر وقصة وتراجم ، وعلى راسها مؤلفات اخي الاديب المكين وحيد الدين بهاء الدين ما يكون مكتبة عربية جامعة جديرة بالدرس والتنويه .. » .

وحين صدر لي كتابان جديدان بعد ذلك ، ارسلت اليه كالعادة ، بنسخة من كل منهما تخليدا لعهد الاخاء والولاء . وكان ما سطره لي في غاية اللطف والبساطة ، اذ قال في رسالته المؤرخة بالثاني من نيسان ١٩٧١ : « ... تلقيت امس مؤلفيك الجديدين الحبيبين : « شخصيات من الادب المعاصر » و « نظرات في الكتب » وصلا سالمين ، بعد ان استغرقت رحلتهما فيما بين بغداد والاسكندرية اكثر من عشرين يوما ، احياء لرحلات الشيخ ابن بطوطة رحمه الله . وقد قضيت مع الكتابين بضع ساعات ، وطبعا لم اتم قراءتهما ولم ادرسهما بعد ، ولكني بادرت بارسال هذه السطور للافادة بسلامة الوصول ولازجاء الشكر والحمد وحسن القبول » .

ويوم اهديت اليه آخر مؤلفاتي وهو « مباحث في الادب العربي المعاصر » اسرع الى الشكر والذكر قائلا : « تلقيت منذ بضعة ايام مؤلفكم الجليل « مباحث في الادب العربي المعاصر » وقد عكفت على قراءته ، وفيه مباحثكم ونقداتكم وتقويماتكم عن ستة عشر اديبا عربيا من كبار كتابنا وشعرائنا المحدثين . جلوتم مناهجهم الادبية واتجاهاتهم الفكرية واساليبهم اللغوية ، في تحليل دقيق وزي شيق ، الى ما انطوت عليه نفسكم الكريمة نحو تلك الاقلام الحكيمة من وفاء نادر وتقدير باهر . وجاءت هذه المجموعة الوافية من الدراسات النقدية معلمة للمتأدبين ومرجعا للباحثين .. » .

واكثر من مرة راودته فكرة لان يكتب عني ويعرف القراء بمؤلفاتي ، الا اني كنت الحف عليه بالرجاء للعدول عن نيته وفكرته لابتعادي عن الاضواء وانهماكي في ما يجدي » . وذات مرة وفي التاسع من تشرين الثاني ١٩٧٥ تطرق الى ما هو بصدده بصراحة قائلا : « وقد هممت بالتنويه بهذا الكتاب الجميل والاشادة بفضل مؤلفه الجليل ، وذلك بمجلة « الاديب » وعاقني تأخر هذه المجلة العزيزة عن الصدور في هذه الشهور ، ولكني ارجو ان افي هذا الكتاب وما سبقه من مؤلفات كاتبنا الكبير ما هي جديرة به من ثناء وتقدير .. » .

ومن جانبه كان يهديني ما يتيسر له من مؤلفاته . هذا من جهة ومن جهة اخرى كان يجود علي بين حين وحين بمطبوعات ومجلات تصدر بمصر ، حملا اياي على الاطلالة على احدث الاتجاهات الفكرية والدراسات الادبية والدواوين الشعرية . رائع ان اسجل انه ما من كتاب مصري جديد اردت الاحاطة بمضمونه علما ، حتى ساقه الي بطيبة خاطر ، ومن كتاب عراقي جديد اومأ هو اليه في رسائله وتوخاه ، حتى لبيت رغبته . ذلك كله بسبب من حب « الادب » هذا الذي « اقمناه مقام الوالد » كما يقول ابو تمام ، والذي جمع قلوبنا وعقولنا على اكرم صور التقدير المتبادل ..

وامعانا في الاعجاب بأخلاقية نيقولا يوسف ، هذه التي شدتني اليها بسحر خفي ، وتقييما لخدماته الطويلة في مضمار الادب والبحث والترجمة ، رجوته في احدى رسائلي اليه ، ان يوافيني بمجمل مركز عن حياته وذراسته .. اهتماماته ومؤلفاته . ما قيل عنه وعنها ..

ما هي الا ايام قلائل حتى يتولى تنفيذ الشيء القليل من هذا الذي اردته ، ويبعث به الي تحقيقا لرجائي ، وتخلصا من الحاحي عليه ، ومعتذرا في الوقت عينه وبكل تواضع وهدوء ، عن غير ذلك ..

اما في مراسلاته الادبية معي ، فقد كان نيقولا يوسف بطيئا كسولا ، كذلك كان مع اكثر اصدقائه الآخرين والاقربين الى فكره وحسه . حتى اطلق عليه بعضهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« اكسل الادباء » ولم يتردد في ان ينوه بهذا الذي يقاسيه في رسالة له . « ... لعلي تأخرت هذه الايام ايضا في مراسلتك .. لقد امسيت مضرب المثل في التقاعس والكسل ، وبت لا عذر لي ، في سلحفائية الكتابة والعمل . ولست الوم اليوم احدا في قطع حبل المراسلة وكنت اول من يلام » .

الواقع ان كسله وتأخره في المراسلة مردهما الى شيخوخته ، وما كانا مقصودين منه البتة . لقد كنت أعاتبه حينا واعذره احيانا ، حتى انه اشار الى هذه الظاهرة في ما كتب : « واني بفضل الله بخير وسلام ، امضي شتاء العمر ما بين مكتبة البيت ومجاورة البحر ، ولا جديد .. وان للشيخوخة اوامر ونواهي .. وطرائف ودواهي .. » .

كان نيقولا يوسف يشكر دائما من عليه المتألبة عليه ، ومن صراعه المستديم لاحداث الحياة ببقايا من مقاومته ومجالدته . ها هو ذا يكتب : « .. ومرت الايام كعادتها سراعا ، تعبث بنا نحن الشيوخ الفانين المصارعين احداث الزمن وبلايا العلل . ! » ..

من اجل هذا كله ، كان كما يبدو من رسائله ، معتكفا بدارته لا يبارحها الا قليلا . وان شئت فقل لا يبارح شاطىء البحر القريب من منزله ، وقد صرح بذلك اكثر من مرة . « .. وهأنذا اكتب اليك من ركني البعيد بكازينو « لاكويرتا » على شاطىء البحر ، حيث امضي وحدي بضع ساعات كل صباح ، ويزورني بها بعض ادباء الاسكندرية الاصدقاء للتحدث عن الادب والادباء والكتب والمؤلفين ترويحا عن النفس . لقد كنت خلال الاسابيع الاخيرة متقوقعا اصارع وعكات الشيخوخة وموجات الزمهرير وتقلبات الطقس وفوات « امشير » .. » .

وفي الكازينوات كـ: كيلوبطرا ، وبترو ، واستورتنج ولاكويرتا ، المنتشرة على شاطىء البحر الممتد عشرين كيلومترا ، كان نيقولا يوسف ، يلتقي في معظم الاوقات ، وخاصة في موسم الاصطياف ، بأصدقائه الادباء والشعراء المصريين ، من امثال توفيق الحكيم ، محمود تيمور ، ابراهيم المصري ، نجيب محفوظ ، حسين فوزي ، ثروت اباظة ، عادل الغضبان ، عزيز اباظة .. حسين فتحي ومن اليهم ، وبالادباء العرب الوافدين ، لتبادل الطرائف والحكايات المتعلقة بالادب والفن والفكر والاجتماع ..

حتى انه لم يكن يزور القاهرة الا مرة واحدة في العام ، يحل بها هو وزوجته ضيفين على ابنتهما الوحيدة المتخرجة في كلية الآداب ، والمقيمة بـ « المعادي » والمتزوجة من مهندس . وطريف قول نيقولا يوسف في هذا . « .. لا ثالث معنا غير الله . ولا عمل لنا « في المعاش » غير المطالعة في شتى اللغات (ويا الله حسن الختام) كما يقول الشعب عندنا » .

واذا كان لا بد من الالماع الى طبيعة رسائل نيقولا يوسف ونوعيتها ، فان هاتيك الرسائل شخصية وادبية ، تحمل صبغة التكثيف المعنوي والاختصار اللفظي ، وتتضمن تعريجا على الموضوعات الثقافية والفكرية والصحفية ، من الزاوية الذاتية المحضة ، اضافة الى ما وقف عليه القارىء عبر النصوص المنقولة ..

على توالي الايام زاد نيقولا يوسف انعزالا وتقوقعا على ذاته .. زاهدا في اي شيء .. حتى صار لا يتراسل الا في حالات نادرة .. ولا يكتب ما يستحق الذكر ..

من هنا انهى الي قائلا : « لعلك لاحظت انني اصبحت مقلا في كتابة المقالات او القصص بالنسبة للكثيرين غيري . لقد بت في هذه السنوات الاخيرة اكثر اتجاها الى القراءة مني الى الكتابة . فأقرأ المجلات والصحف والكتب من كل نوع ولغة . فاذا نويت الكتابة اجلت وتقاعست ، وقلت : الى الغد أ .

ومضى غد وغد ولم افعل بـه وكذاك ظل غدي ليومي موعدا !؟

لقد اكملت السبعين من العمر يا صديقي وشعرت بالانحدار السريع من السفح . ولم اعد ارى حافزا ولا دافعا لتسويد الصفحات البيضاء بالمكرر المعاد . لعله هذا الفراغ الفسيح في سني « المعاش والتقاعد » احب ان املأ بعضه بشيء للاصدقاء وعن الاصدقاء ـ لعل ـ ولا يكلف الله نفسا الا وسعها .. ولاكتب هذه الاشياء للمجلات الصديقة قانعا بترحيبها راضيا بمودتها ، لم يبق لمثلي غير هذه الصداقات والصلات والمودات !! » ..

آخر رسالة تسلمتها من نيقولا يوسف كانت مؤرخة بالخامس عشر من كانون الثاني ١٩٧٦ وبعيد عودته من زيارته المألوفة لابنته الوحيدة بالقاهرة بمناسبة عيدي الميلاد وراس السنة الجديدة . وليس في هذه الرسالة القصيرة الا الشكوى المعتادة من « الوعكات الصحية التي ما زالت تعوقه عن كل نشاط .. » ..

في ضوء هذه السطور اقتنعت ان نيقولا يوسف جعل يشعر في داخله بدنو اجله ..

وانقطعت اخباره ورسائله ...

يظهر ان امراض الشيخوخة ولا سيما الكبد قد تفاقمت معه ، فنقلته ابنته من الاسكندرية الى القاهرة ليعالج في احد مستشفياتها ، حيث امضى فترة تحت المشاهدة والمعالجة ، ثم غادره الى منزل ابنته ، ثم حاول السفر الى الاسكندرية ، لكن لم يحتمل ..

وهناك ساءت احواله الصحية وتدهورت سريعا ، حتى ودع هذه الدنيا الوداع الاخير في الثالث عشر من نيسان ١٩٧٦ حيث لا يعرفه احد .. ودفن في جنازة شديدة التواضع في مقابر مصر القديمة ..

ونعاه الي صديقي القدير وديع فلسطين بأسى : « نيقولا يوسف مات ولم يذكره ذاكر .. ؟! » .. وتلك هي مصيبة الادب والفكر ...

رحمك الله يا صديقي الانسان ..

بغداد **وحيد الدين بهاء الدين**

بـــطـــاقـــة

*

اهو الشوق شاعرا ترسلينه ... لا تعيدي سومحت ذكرى دفينه
ما نسينا ، صدقت لكن حبا ... سار في غـير دربه تذكرينه
وهوانا الهوى لو ان الليالي ... لـم تعكر على الاماني معينه
وهوانا شوق ونجوى زمانـا ... وزمانا نـوى وذكرى ثمينـه
وهوانا الـذي ذكرت سلاف ... عند سقيا الوصال كانت ضنينه
وهوانا ، ويا لغبن هوانا ، ... أذبـل النأي زهره وغصونه
عطشا جف فاستراح الى الصمت ، أيدري الجواب لو تسألينه
لـم هذا الذي كتبت وانـا ... قـد محونا سطور لقيا مدينه
وطوينـا أحلامنـا والفنـا ... خيبة في الضلوع باتت رهينه

مطلـع مـن قصيـدة وسلام ... حملتـه بطاقـة مستهينـه
كتبتهـا أتأمـل كـن بالامس ... منـي قبلـة وعقـد ليونـه
كيف أمسين مبضعا ينكأ الذكرى ... ويدمي مـن سرهـا مكنونـه
لست أدري أهو الحنين وانا ... قـد دفنا مـن الغرام حنينه
أم هو البعد عن ملاعب حب ... قـد صحبنا سروره وشجونه
أم هي الذكريات لامسها الشو ... ق فازجت للحشرجات لحونـه
أم هـو خاب في من يناجي ... فتداعى علـى أمـان طعينه

يا ليالي البسفور ما ضمد النأي ... جراح الهوى فهـل تخدعينه
يا ليالي البسفور بغداد أدرى ... بهوى ضيـع الخداع أمينـه
مطلـع مـن قصيدة وسـلام ... مـن تراه بمـا طوت تغرينه
سومح البعد ضاق فاعتاض نجوى ... لم يجد عندها الضياع ظنونه
سومح الحب خاب فارتد دعوى ... تسأل الهجر بعض ذكرى سخينه

يا خيال الاحلام يا صبوة الشاعر ... عـادت مشكولـة مصبونـه
مـا نسيت اللقاء والقبل الحرى ... ولا أمسياتنـا المفتونـه
لا ولا وقفـة الرقيب نداريها ... بمـا هـد شكـه ويقينـه
كيف أنسى وحبنا كان سفرا ... شوهتـه أسطـورة مجنونـه
كـان شعرا واغنيات وعطرا ... ورغيفـا وثـورة وسكينـه
حـام في افقـه طويلا فلمـا ... شارف الروض لم يجده مصونه
وانتهينا الا رسيسا اذا مـا ... ذكر الامس أسدل الستر دونـه
رب حـب مرثاتـه ذكريـات ... كفـت الصب دمعـه وشئونه
كان حب وكان عهد وقـد أبـ ... قيت لـي منهما بقايـا غبينه

الصرافية ــ بغداد ... نعمان ماهر الكنعاني

المتنبي الصغير

بقلم الدكتور عمر الاسعد

* * *

في سير اعلام التراث العربي صفحات مطويات جديرة بالكشف عنها والتأمل فيها . والاديب الذي نتناوله واحد من اعلام الشعر الذين يمثلون النقلة بين العصور العباسية الزاهية واعلامها من الشعراء النابهين ، وما تلاها من عصور عز فيها الشعراء المتميزون . فشاعرنا من بقايا فصاح تلك العصور الادبية العباسية ممن عاشوا في العصر السلجوقي الاول ، في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ، ولم يكتب لهم الذيوع ولاسمائهم الاشتهار . ذلكم هو ابو المظفر محمد بن احمد الابيوردي المتوفى سنة سبع وخمس مئة للهجرة عصري ابن الهبارية المتوفى سنة ٥٠٤ ، والطغرائي المتوفى سنة ٥١٥ ، والغزي المتوفى سنة ٥٢٤ ، والارجاني المتوفى سنة ٥٤٤ وغيرهم .

نشأ الابيوردي في القرن الخامس الهجري الذي شهد احداثا تاريخية عميقة ، وتطورات هامة عد من اجلها نقطة تحول في التاريخ الاسلامي ، لكثرة ما جرت تلك الاحداث من ذيول ، وما تركت من مضاعفات ، وما يعنينا من هذه الاحداث والتطورات ان عهدا جديدا ولد في خراسان والعراق موطن شاعرنا الابيوردي . فقد ظهرت دولة السلاجقة الكبرى سنة تسع وعشرين واربع مئة ، وامتدت الى بغداد حاضرة الخلافة العباسية ، وأمدتها بدماء جددت شبابها ، واعادت اليها قوتها وهيبتها ، ولبثت تتصرف بمقاليد المنطقة كلها طوال القرن الخامس والسادس بين القوة والضعف حسب اختلاف الاحوال وتقلب السلاطين .

عاصر الابيوردي من خلفاء بني العباس كلا من القائم والمقتدي والمستظهر فأدرك من عهد القائم اولى سني حياته وصباه ، وعايش المقتدي عهده كله وهو عشرون سنة ، وسلخ من عهد المستظهر مثل ذلك فمات قبل الخليفة بخمس سنين .

اما سلاطين السلاجقة وهم اصحاب السلطة الفعلية ، فعاصر منهم الثلاثة العظام في عصرهم الذهبي ، والثلاثة الذين تلوهم . فقد ولد زمن مؤسس الدولة محمد بن سيكائيل بن سلجوق المعروف بطغرلبك ، وترعرع ونشأ نشأته الاولى زمن الب ارسلان ، وبلغ اشده واشتد عوده ايام ملكشاه وابنه محمود ، وشارف مرحلة النضج في سلطنة بركيارق ومحمد ولدي ملكشاه . وهكذا عاصر اربعة من سلاطين السلاجقة معاصرة تامة ، واثنين منهم معاصرة جزئية .

وكما كان له مع المقتدي والمستظهر اتصالات دلت عليها مدائحه فيهما ، فقد كان له شيء من ذلك مع بعض السلاطين . واوسع من هذا وذاك ما قام بينه وبين وزراء هؤلاء وحواشيهم من صلات وعلاقات انعكست صورها فيما حفظه لنا ديوانه من اشعاره فيهم . ومن يرصد شعره في هؤلاء يهتد الى طبيعة العلاقات والتغيرات التي اعتورتها تبعا للظروف والاحوال .

ترجم للابيوردي كثير من كتب السير والتراجم القديمة والمتأخرة . وابرز من ترجم له ياقوت في معجم الادباء ، وابن خلكان في وفيات الاعيان ، والسبكي في طبقات الشافعية . على اننا سنحاول في التعريف بالشاعر والترجمة له ان نتخذ من ديوان شعره وثيقة نستشيرها في جلاء ما غمض من جوانب سيرته واخلاقه . فديوانه سجل حافل لحياته بما فيها من مباهج ومآس وعسر ويسر ، ووثيقة تفصح عن علاقاته بالامراء والوزراء والاقارب والاصدقاء ، فضلا عن كونه سجلا تاريخيا دونت فيه بعض الاحداث الجارية في ذلك العصر . ومن هنا تبدو اهمية الديوان في اظهار سيرة صاحبه .

ينتهي نسب ابي المظفر محمد بن احمد بن اسحاق الابيوزدي في اجداده الابعدين الى ابي سفيان صخر بن حرب بن امية . وفي شعره ما يؤيد اتصال نسبه بأبي سفيان . يقول :

واقرع ابواب الملوك بوالد حوى بابي سفيان اشرف منتمي

وكما كان يحس بشرف نسبه كان يعتز به في مثل قوله :

اذا انتسبنا احب الناس انهم منا ولم نرض ان نعزى الى احد

وعرف شاعرنا في المصادر جميعا بالابيوردي ، وعرف في بعضها بالكوفني :

فالابيوردي نسبة الى ابيورد وهي بلدة في خراسان خرج منها جماعة من العلماء ، وفتحت على يد عبدالله بن عامر بن كريز سنة احدى وثلاثين ، وقيل فتحت قبل ذلك على يد الاحنف ابن قيس التميمي .

واما الكوفني فنسبة الى كوفن ، وهي بليدة صغيرة على ستة فراسخ من ابيورد في خراسان ، بناها عبدالله بن طاهر .

وذكر ابن خلكان في الكلام على كوفن انه « خرج منها جماعة من المحدثين الفضلاء منهم الاديب ابو المظفر محمد بن احمد الكوفني المعروف بالاديب الابيوردي » .

وفي ديوان الشاعر اشارة الى ان هذا البلد كان موطن اهله ، وان الخطابة فيه كانت لعمه . وان اول من نصب المنبر فيه احد اجداده . ولا يخفى ما لمنصب الخطابة في الاسلام من اهمية تعكس مكانة اسرته هناك . وحين

غادر الشاعر قريته التي خرج منها كان دائم الذكر لها والحنين اليها :

سقى الله رملي كوفن صيب الحيا ولا برحا مستن راع ورائد
فقد أوطنتها من أمية عصبة غذوا بالمعالي في حجور المحامد

اما تاريخ ولادته فقد اكتنفه الغموض ، اذ سكتت عنه كل المراجع التي ترجمت له . ولكن ما ورد في ديوانه من اشارات تدل على انه تجاوز الخمسين من عمره ، وما ذكرته كتب التراجم من انه توفي سنة سبع وخمس مئة ، يتيح لنا تقدير ولادته حوالي سنة سبع وخمسين واربع مئة .

سمع الابيوردي عن طائفة من الشيوخ وروى عنه جماعة .

وممن تلمذ على ايديهم اسماعيل بن مسعدة الجرجاني ، واحمد بن خلف الشيرازي ، وعبد القاهر الجرجاني واضع اصول البلاغة وغيرهم . وممن روى عنه محمد بن القاسم الشهرزوري ، واحمد بن محمد الحافظ السلفي ، وعبدالله بن نصر المزيدي وغيرهم .

اما ثقافته ومعارفه التي تلقاها من اساتذته فهي ثقافة متنوعة واسعة ، احسن ما يصورها ما ذكره ياقوت من انه « كان اماما في كل فن من العلوم ، عارفا بالنحو واللغة والنسب والاخبار ، ويده باسطة في البلاغة والانشاء ، وله تصانيف في جميع ذلك ، وشعره سائر مشهور » . وهو فوق ذلك احد القراء ورواة الحديث .

ويدل على ثقافته تلك كثرة المصنفات التي تركها ولم يسلم لنا منها سوى اقلها . فقد سلم لنا من آثاره ثلاثة كتب :

١ ــ المختلف والمؤتلف ، وهو كتاب في الانساب حققه المرحوم الاستاذ الدكتور مصطفى جواد .

٢ ــ ديوان شعره ، وهو جزآن : العراقيات والنجديات ، وقد عنيت بتحقيقه وشرحه ، ونشره مجمع اللغة العربية في دمشق .

٣ ــ زاد الرفاق ، وهو كتاب يشتمل على مناظرات مع ارباب النجوم ، وغير ذلك من المحاضرات في الانساب واللغة .

اما بقية آثاره ومصنفاته فقد احصى منها ياقوت في معجم الادباء اثني عشر كتابا . وعثرت له على مؤلفين آخرين ذكرهما في زاد الرفاق وهما :

١ ــ تلو الحماسة ، وهو مجموعة من اشعار المحدثين تقفى فيها اثر ابي تمام في حماسته .

٢ ــ بغية الشادي في علل العروض .

عاش الشاعر حياة صاخبة حافلة بالاحداث الجسيمة والتقلبات المثيرة . ولسنا نعرف شيئا عن نشأته الاولى قبل مغادرته مسقط رأسه ووصوله الى بغداد . وفي بغداد تطلع الشاعر الى آفاق واسعة من الطموح والشهرة ، ووافق ذلك في نفسه هوى شديدا ، فبدأ اتصالاته بالخلفاء والوزراء يمدحهم ويتقرب اليهم . لا طمعا في مال . بل توسلا للظهور والسيطرة ، وتحقيقا لما كان يجيش في نفسه من الوصول الى الرئاسة والسلطة . ولم نقف على الاعمال التي تعاطاها في بغداد ، ولكننا نجد المراجع تشير الى عدد من المناصب التي تقلب فيها ، والاتصالات التي حاولها دون ان تحددها بوقت او تربطها بسياق : فهو في فترة ما يتقرب من امير الحلة المزيدية صدقة بن منصور بن دبيس الاسدي ويمدحه ثم يفارقه مغضبا . ونجده مرة اخرى في بغداد في خدمة الوزير مؤيد الملك بن نظام الملك ، وما يلبث ان يفر منها لدسيسة من دسائس احد اخصام الوزير المذكور . والظاهر انه كان في المحسوبين على الديوان الخلافي ، اذ صدرت عن هذا الديوان كتب عوتب فيها على مفارقة بغداد ، فأجاب عنها برسالة رفعها الى مقام الخلافة ، اوضح فيها ظروف ابتعاده ، وختمها ببديعة من بدائعه في مدح الخليفة المستظهر بداها بقوله :

لك من غليل صبابتي ما أضمر وأسر من ألم الغرام وأظهر

واشار في بعض ابياته الى نية العودة :

بغداد أيتها المطي فواصلي عنقا تئن لسه القلاص الضمر

ونجده في اخريات حياته في همذان يشتغل بالتدريس والتصنيف مدة ، ثم يرشح ليكون طغرائي الملك هناك (اي صاحب الطغراء وهي رئاسة الديوان) ، ويتولى اخيرا اشراف مملكة السلطان محمد بن ملكشاه (اي الولاية على اشرافها) .

هذه الصفحة الحافلة من حياته تشير الى انها لم تكن بالحياة الوادعة المطمئنة ، ولم تخل من كثير من الدسائس والخصومات ، كما لم تخل فترات ابتعاده عن بغداد من التشوق اليها والحنين لها ما تجده مبثوثا في ثنايا ديوانه .

استمد الابيوردي اخلاقه من اصالة نسبه ، وما كان يؤهله له هذا النسب من علو الهمة ، وما يتوهم انه يوصله اليه من رفيع المنصب . وهكذا وصف بأنه كان رئيسا عالي الهمة ذا بأو وتيه وصلف . وحدث السمعاني صاحب « الانساب » عن احمد بن سعيد العجلي قال : سمعت الابيوردي يقول في دعائه : اللهم ملكني مشارق الارض ومغاربها ! فقلت له : اي شيء هذا الدعاء ؟ فكتب الي بهذه الابيات :

يعيرني أخو عجل أبائي على عدمي وتيهي واختيالي
ويعلم أنني فرط لحي حموا خطط المعالي بالعوالي
فلست لحاصن ان لم أزرها على نهل شبا الاسل الطوال
وان بلغ الرجال مداي فيما أحاوله فلست من الرجال

وقد اكد الشاعر في شعره هذا « التيه والصلف » الذي نعت به ، فملأ ديوانه فخرا بنفسه وعلو همته ، ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة من المعالي الا احصاها ونسبها الى نفسه وزين بها شعره ، فجاء في جملته صورة لهذه النفس الابية التي لا تحتمل الضيم ، وتقارع الخطوب ، وتطمح ابدا الى اعلى الدرجات :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ألم تعلما أني على الخطب ان عرا صبور اذا ما عاجز عيل صبره
فلا عـز حتى يحمل المرء نفسه على خطة يبقى بها الدهر ذكره
ويغشى غمارا يتقى دونها الردى فان هـو أودى قيل : لله دره

ولعـل القطعة التالية تعكس بعض خصائصه الخلقية السامية التي عرف بها :

قضت وطرا مني الليالي فلم أبح بشكوى ولـم يدنس علي قميص
أغالي بعرضي والنوائب تعتري وغيري يبيع العرض وهو رخيص
وقـد علمت عليا كنانة انني على ما يزين الاكرمين حريص
أصون على الاطماع وجها لبشره اذا عبس الدهر الخؤون وبيص
فظهري باعباء الخصاصة مثقل وبطني من زاد اللئام خميص

هذا النمط من الخلق الرفيع املى على الشاعر مذهبا خاصا في النظم ، خالف فيه اقرانه ومعاصريه . وقد رسم لنفسه خطوط هذا المذهب واوضح معالمه وحدوده فقال في مقدمة ديوانه : « المدح طعمة الوقاح ، وفي النسيب بالعفيفة ابتهار ، والهجاء يستثير عليك اللئيم ، وقد لهجت بالشعر فانشر به مناقب قومك » .

ومع انه وجه ديوانه فعلا نحو الفخر والغزل فشغلا منل حيزا كبيرا ، الا انه لم يقصره عليهما بل نظم في كل الاغراض الشعرية ، ولكنه كان حريصا على الا يسترسل في الاغراض التي ذمها ، فالهجاء ليس له في الديوان حيز يذكر ، اما المدح وهو صلب الديوان وغرر قصائده ، فكان يتحرى فيه ممدوحيه ويسمو بأماديحه لهم ، فيحيلها فخرا بنفسه وقومه .

وقد افصح عن ذلك بقوله :

ولم أنظم الشعر عجبا به ولم أمتدح احدا عن ارب
وللفخر أعنى به لا الغنى ولكنـه ترجمـان الادب
وللفخر أعنى به لا الغنى فمن كسر بيتي جبب العرب

ولنلق الآن نظرة سريعة على اغراض ديوانه الشعرية الرئيسة التي رسمها في الابيات التالية ، وكأنه احب لنفسه الا يعرف الا بها :

فان أمدح أماما او هماما فـلا جاها أروم ولا نوالا
وأنظم حـين أفخر رائعات تكون لكل ذي حسب مثالا
وأعبث بالنسيب ولست أغشى الحرام فيقطـر السحر الحـلالا

مدح الابيوردي نخبة من الناس مختارة ، على رأسها من الخلفاء العباسيين المقتدي بأمر الله ، وولده المستظهر بالله ، ومن السلاطين السلجوقيين ملكشاه وولده محمد ، ومن الوزراء نظام الملك وولداه عبيدالله واحمد ، ومن امراء العرب صدقة بن منصور الاسدي . ومدح ايضا عددا من بني عقيل وجمح وكنانة وخزيمة وشيبان ..

ولعل مـن الظواهر التي طبعت مدحيات الشاعر ادلاله بشعره واعتداده به اعتدادا لا حدود له . يقول مثلا في مخاطبة احد ممدوحيه :

وتصفح الكلم التي وصلت بهـا مـرر البلاغة شـدة وليـان
تلقي الي عنانها عـن طاعة ولها علـى المتشاعرين حران
والشعر راض أبيه لي مقول ذرب الشبا وفصاحة وبيـان

ولعل من هذه الظواهر ايضا ان شاعرنا كان من اعف شعراء عصره نفسا ، وابعدهم عن الاستجداء بالشعر .

فقد رسم للمديح منهاجا قويما بين خطوطه العريضة بقوله لأحد ممدوحيه :

ولولاك لـم تخطر ببالي قصائـد هوابط في غور ، طوالع من نجد
فهن عذارى مهرها الود لا الندى وما كل من يعزى الى الشعر يستجدى

وهو موقف جدير بأن نسجله ازاء ما عرفناه من شعراء عصره من ذهابهم مذهب التكسب في المديح . وليت شعراء العربية التزموا هذا المنهاج في جملتهم ، اذن لصفا المديح في الشعر العربي من كثير من الشوائب التي علقت به وعيبت عليه .

وابرز المعاني التي ترددت في مدائحه المعاني السائرة التي تناولها الشعراء عادة من شجاعة وكرم ورفعة نسب ورجاحة راي . غير ان شاعرنا امتلك قدرة فائقة على صياغة المعنى الواحد بأساليب فصيحة مختلفة وقوالب متعددة ، في حلل ناصعة من البيان تزينه وتكسبه كثيرا من الرواء ، وتضفي عليه كثيرا من الماء والرونق . الا ان ذلك لم يجل دون تأثره بأنموذجات سابقة من اشعار الجاهليين والاسلاميين والمحدثين . ومن ابرز من تأثرهم المتنبي والشريف الرضي وابو تمام ، اما المتنبي فأثره فيه اقوى فيما سيأتي الكلام عليه في الفخر والشكوى . واما تأثره بالشريف فبـرز بترسم خطاه في غزلياته التـي وسمها بالنجديات . واما تأثره بأبي تمام فظاهر في اقتباس معانيه المدحية ، وفيما تقدم من تصنيفه مجموعة شعرية على غرار الحماسة .

اما عن الفخر فقد استمد شاعرنا اصالته في هذا المجال من مطامحه البعيدة ، وهمته العالية التي فتحت امامه ابواب الاجادة فيه . فقد شغل الفخر من ديوانه جزءا غير يسير ، ولم يأت على نمط واحد ، فكان يرد احيانا في قصائد طويلة ، واحيانا اكثر في مقطعات قصيرة ، ووجدناه بين ذلك منبثا في ثنايا مدائحه .

ولا يخرج ما ضمنه الشاعر فخرياته في الجملة ، عما سبقه اليه المتنبي . ولقد اقتفى فيها اثره اقتفاء واضحا ، حتى استجزنا ان نطلق عليه لقب المتنبيء الصغير . فلقد شابه الابيوردي المتنبي في تعلقه بالعرب ومحاماته عنهم ، فاذا مدح المقتدي اشاد بمجد العباسيين وعروبتهم وقرابته لهـم :

وقـد ولدتني عصبة ضم جدهـم وجدبني ساقي الحجيج عروق

واذا ذكر اصحابه افتخر بنشأتهم العربية وشجاعتهم :

معي كـل فضفاض الرداء سيدع أصاحب منـه في الوقائع أروعا
غذته ربـا نجد فشب كأنـه شبا مشرفي يقطر السم منقعا

وشابه المتنبيء ايضا في شدة الاعتزاز بشعره والاحساس بجودته وعظيم قيمته فهو يقول :

فقت الاعاريب في شعر نامت به كأنـه لؤلؤ في السلك منضود
ان كان يعجزهم قولـي ويجمعنا أصل فقد تلد الخمر العناقيد

وقد عبر عن وثوقه ببقاء شعره وخلوده على الزمان بقولـه :

كلماني قلائد الاعناق سوف تفنى الدهور وهي بواق
دل فيها الذهن الجلي بالفا ظ رقاق على معان دقاق
فقريضي يراه من ينقد الشـ عار سهل المرام صعب المراقي
واليه يصبو الرواة وفيه مع شكل الحجاز ظرف العراق

واخيرا شابه كل من الشاعرين صاحبه في اخلاقه وطموحه وتطلعاته . وترتب على ذلك التزامات سلوكية أدت بالشاعرين الى مجانبة اللهو والمجون . فقد عرف كلاهما بعفته وتنزهه عما لا يليق بالرجال ، وصور كل منهما سمو اخلاقه فقال المتنبي :

وترى الفتوة والمروة والابوة في كل مليحة ضراتها
هن الثلاث المانعاتي لذتي في خلوتي لا الخوف من تبعاتها

وقال الابيوردي :

لعمر أبي وهو ابن من تعرفونه لقد ذل عرض لم يصنه اباء
أيقتادني نحو الدنية مطمع علي اذن ان لم اذره عفاء
لوت طرفي حبلي عن الذل همة لها بمناط الشعرين ثواء

وأدت هذه الاخلاق الى تعالي الشاعرين وترفعهما عن الناس وتحقيرهم والغلو في ذلك غلوا كبيرا . وقادهما ذلك كله الى ترديد الشكوى من كل شيء ، فهما يطمحان الى المعالي ويسعيان اليها ، ويستنكران تقلب الدهر وتوالي مصائبه . ولكن لكل منهما موقفا في مواجهة تلك المصائب : فشاعرنا يستهين حادثات الدهر ويسمو بعزته عليها ، ويعتصم بالصبر ازاءها ، ويقول :

تنكر لي دهري ولم يدر انني أعز وأحداث الزمان تهون
فظل يريني الخطب كيف اعتداؤه وبت أريه الصبر كيف يكون

والمتنبي يضحي في سبيل مطامحه ابلغ التضحية :

ذريني أنال ما لا ينال من العلا فصعب العلا في الصعب والسهل في السهل
تريدين لقيان المعالي رخيصة ولا بد دون الشهد من ابر النحل

وجماع القول ان الشاعرين تشابها في الاعتداد بالنفس والعزوف عن الدنايا والترفع عن الملذات . ولكن شاعرنا كان اكثر قصدا واعتدالا ، على ان له اصلا في النسب والملك يجعل كلامه اقرب الى القبول وادنى الى التصديق .

وفي الكلام على الغزل نذكر ان شاعرنا احب العرب وعشق حياتهم الاولى . وبانت امارات ذلك في شعره الذي صور فيه تلك الحياة ومستلزماتها البدوية من الترحل والفراق وشيم البرق وجوب المهامه ، وكثر في شعره ذكر اماكن بأعيانها مثل وجرة والعقيق وحضن والعذيب .

واحب مع العرب وحياتهم عفة نسائهم وتغنى بكريم محتدهن ، وتطرب بذكر اسمائهن وترديدها . وقد ضمن ذلك كله نوعين من شعره الغزلي : الغزل التقليدي في مطالع القصائد ، وغزل المقطعات التي سماها النجديات . وبين النوعين فروق في المحتوى والشكل ابرزها ان المطالع الغزلية اشعار مصنوعة ممهدة لما وراءها من فنون الشعر ، وان المقطعات نفثات وجدانية اقرب الى روح الغزل وصفاء العاطفة . واكتفي من غزل المطالع بالتمثيل لما تستتبعه مشاهد التحمل والفراق من وقوف على الطلول ومناجاة الديار . فقد عكس في لوحة تمثل بقايا الديار ووقوف المحب امامها ذاهلا متأملا ، عكس الحالة النفسية لهذا المتيم ، متمثلة في مساءلة الديار ، والتحسر على ما فعلت بها الايام ، والبكاء لها بكاء مرا ، يقول :

وأشلاء دار بالمحصب من منى وقفت بها والارحبية تهدر
أسائلها والعين شكرى من البكى وهن نحيلات المعالم دثر
وأستخبر الاطلال عن ساكني الحمى فلا الدمع يشفيني ولا الربع يخبر
كان ديار العامرية باللوى صحائف تطويها الليالي وتنشر
فهل عبرة تقضي المعاهد حقها كما يستهل اللؤلؤ المتحدر

اما المقطعات النجديات فهي تفيض رقة وعذوبة ، وتقطر اسى وحنينا ووجدا على نجد وساكنيه . وحسبنا منها هذه المقطعة :

خليلي هذا ربع ليلى بذي الغضى سقى الله ليلى والغضى وسقاكما
وقد كنتما لي مسعدين على البكى فما لكما لا تسعدان أخاكما
أظل وحيدا لا أرى من أحبه وهل بالحمى لي من خليل سواكما
ولو غاب عني واحد منكما وهت قوى الصبر لا أوهى الزمان قواكما
فكيف أذود الهم عني تجلدا وقد غبتما عن أرض نجد كلاكما

وليست النجديات نسيج وحدها في هذا العصر ، فقد عمل الشريف الرضي مجموعة غزلية واسعة الشهرة عرفت بالحجازيات ، وعمل الطغرائي مجموعة اخرى لها الاسم نفسه . وقد حفظت نجديات الابيوردي كاملة مستقلة ، في حين بثت حجازيات الشريف والطغرائي في ديوانهما . ونشير الى الصلة الوثيقة بين نجديات الابيوردي وحجازيات الشريف . واساس هذه الصلة التشابه في التسمية ولو انها لا تدل على مواطن النظم ، وان في النجديات مقطعات نظمت على شاكلة مثيلاتها من الحجازيات وعلى رويها وعورضت بها . ومن قبل التقى الشاعران في المبادىء والغايات ، فكلاهما يرى نفسه من خلال نسبه ، ويعدها للوصول الى ما ترمي اليه ، وهو ما تعكسه النجديات والحجازيات كلتاهما .

في احد ايام شهر ربيع الاول من سنة سبع وخمس مئة للهجرة ، وقف الابيوردي في حضرة السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه في حاضرة ملكه اصبهان ، فخانته رجلاه فسقط وحمل الى منزله . وهكذا قضى هذا العلم بعد ان امضى حياة حافلة وخلف ديوانا ضخما يعد ثروة لغوية وشعرية كبيرة ، يستجلي الناظر فيها كنوزا من فصيح الالفاظ وبليغ العبارات ورائع الصور . ويجمل ان اختم الكلام بعرض لوحة من لوحات الوفاء : مرثية تركها الطغرائي في صديقه الابيوردي ، قال فيها :

صحبتني والشباب الغض ثم مضى كما مضيت ، فما في العيش من وطر
هبني بلغت من الاعمار أطولها أو انتهيت الى آمالي الكبر
فكيف لي بشباب لا ارتجاع له أم أين أنت ؟ فما لي منك من خبر
سبقتماني ولو خيرت بعدكما لكنت أول لحاق على الاثر

اربد ــ جامعة اليرموك ــ الاردن عمر الاسعد

هناك صباح آخر

سلافة العامري

دمشق

أطعموا النار تفاصيل سؤال
عن طلوع الشمس
عن سير الرياح
في هدير البحر ..
في دفق الينابيع
و خفق الجناح
مارد يسأل عن هذا الجحيم
عن مصير الحلم
في عرس الجراح

قد كسرت الطوق في الاعماق
والاحداق تجتاز البريق
النداء اللغز آه
والاقذابات تفيق
عانقي الشعر وصلي
ينتشل هذا الغريق
ساكنت عيناك نبض الحلم
في كل حريق

*

جددي بيروت شعري
وانفجاري
وتهجي ألف ضوء
الف ظل
في مراسيم انتشاري
انني عشرة آلاف
قتيل وجريح وحبيب
يا زمان الشعر يا بيروت
هل للشعر في دمعي نصيب

*

اه من دمعي
ومن شعري
ومن كل البيارق
آه من موعد ابحار الزوارق
ان في حنجرتي الف مقاتل
الف درب عمرها كل الرياح
آه بيروت
على باب النهار
احرقوا فيك الصباح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد العدناني

عثرات الادباء

بقلم محمد العدناني

* * *

جبر العظم والعظم

ويظنون من يقول : جبر العظم (بضم الميم) ، ويقولون ان الصواب هو : جبر العظم (بفتح الميم) ، لان تهذيب الازهري والالفاظ الكتابية للهمذاني لا يذكران سواها . ولكن : جمع العجاج بين المتعدي واللازم ، فقال : « قد جبر الدين الاله فجبره » .

واجاز جبر العظم (بضم الميم وفتحها) : ابن السكيت (باب الكسر) ، والصحاح ، والراغب الاصفهاني ، والمغرب ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

اما فعله فهو : جبر العظم (بفتح الميم) يجبره جبرا ، وجبورا ، وجبارة (بكسر الجيم) . وجبره تجبيرا .

ويجوز ان نقول ايضا : انجبر العظم ، واجتبر ، وتجبر .

اجبره على السفر ، جبره عليه

ويخطئون من يقول : جبره على السفر ، ويقولون ان الصواب هو : اجبره على السفر ، كما جاء في الالفاظ الكتابية للهمذاني ، وشرح الفصيح لابن درستويه ، والصحاح ، والمختار . ولكن : اجاز استعمال الجملتين : اجبره على السفر وجبره عليه كلتيهما كل من الفراء ، واللحياني (جبره لغة تميم وحدها ، وعامة العرب يقولون : اجبره) ، وابي زيد الانصاري ، وابي عبيد البكري ، وابن دريد ، والازهري ، وابي علي الفارسي ، والراغب الاصفهاني ، وابن الاثير (اجبر اكثر) ، والمغرب (لغة ضعيفة) ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج (اجبر اعلى) ، والمد ، ومحيط المحيط (جبره لغة ضعيفة) ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

ولا يذكر معجم الفاظ القرآن الكريم الا : جبره على الامر . اما فعله فهو : جبره يجبره (بضم الباء) جبرا (بسكون الباء) وجبورا (بضم الجيم) ، فهو مجبور . وهي ليست لغة تميم وحدها ، كما قال اللحياني ، بل ان كثيرا من اهل الحجاز يستعملونها كما قال الازهري والزبيدي . وكان الشافعي يستعملها ، وهو حجازي فصيح . ويرى الازهري ان (جبرته) و (اجبرته) لغتان جيدتان ، غير ان النحويين استحبوا ان يجعلوا (جبرت) لجبر العظم بعد كسره ، وجبر الفقير بعد فاقته ، وان يكون الاجبار مقصورا على الاكراه .

الضرائب مجبية او مجبوة

ويقولون : الضرائب المجباة (بضم فسكون) قليلة . والصواب : الضرائب المجبية (بفتح فسكون فكسر فتضعيف) او المجبوة (بضم الباء وتضعيف الواو) قليلة ، لان الفعل هو :

جبى يجبي الضرائب جبيا (بفتح الجيم) وجباية (بكسرها) فهي مجبية (بفتح فسكون فكسر فتضعيف) . وجباها يجبوها جبوا وجباوة (بكسر الجيم) فهي : مجبوة (بضم الباء وتضعيف الواو) . وليس في الضاد : اجبى الضرائب اجباء فهي مجباة (بضم فسكون) .

ومعنى اجبى (اصله اجبأ (بفتح فسكون) كما قال الصحاح واللسان) : باع الزرع قبل ان يبدو صلاحه . او : باع سلعته بالدين الى اجل ، ثم اشتراها نقدا مما باعها . ومنه الحديث : « من اجبى فقد اربى » اي دخل في الربا .

البهلول

ويقولون : فلان بهلول (بفتح الباء) ، ويعنون به الابله والمعتوه ، وهي كلمة عامية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي المعاجم كلمة البهلول (بضم الباء) التي تعني :
(١) الضحاك من الرجال (عن الازهري) . (٢) الحيي الكريم (عن الازهري وابن عباد) . (٣) السيد الجامع لكل خير (عن السيرافي) .

وانشد ابن بري لطفيل الغنوي :

وغارة كحريق النار زعزعها مخراق حرب كصدر السيف بهلول

ويقال : امراة بهلول ايضا (جامع الكرماني ، وتهذيب الازهري ، واللسان ، والمد) .

اما جمع البهلول فهو : بهاليل . جاء في قصيدة شوقي التي رثى بها ملك الحجاز ، الملك حسينا الاول الهاشمي :

يـا أبا العلية البهاليل سل ٢ باءك الزهر هل من الموت عاصم ؟

اجدب الوادي ، وجدب

ويخطئون من يقول : جدب (بفتح الدال) الوادي ، ويقولون ان الصواب هو : اجدب الوادي ، لان النهاية لم يذكر سوى (اجدب) ، اذ جاء فيه : (وفي حديث الاستسقاء « هلكت الاموال واجدبت البلاد » اي قحطت وغلت الاسعار) .

ولان الصحاح والمختار اكتفيا بذكر الفعل (اجدب) . ولكن :

اجاز لنا الفراء والتهذيب ان نقول : اجدب الوادي وجدب (بضم الدال) . واجاز جدب (بفتح الدال) الوادي واجدب كل من ادب الكاتب ، والاساس ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد الذي ذكر (اجدب) في الذيل ، والمتن ، والوسيط .

ويجوز ان نقول ايضا : جدب (بفتح فضم) الوادي : الفراء ، والتهذيب ، والاساس ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

اما فعله فهو كما جاء في المتن : جدب (بفتح الدال) يجدب (بضمها) جدبا (بفتح فسكون) ، وجدب (بكسر الدال) يجدب (بفتحها) جدبا (بفتح فسكون) ، وجدب (بفتح فضم) يجدب (بضم الدال) جدوبة .

هو جاد في امره ومجد فيه

ويخطىء المنذر من يقول : فلان مجد (بضم فكسر فتضعيف) في الامر ، ويقول ان الصواب هو : فلان جاد (بتضعيف الدال) في الامر ، لان الفعل ـ حسب رأيه ورأي المصباح المنير ـ هو : جد في الامر فهو جاد فيه (الاصمعي ، والتهذيب ، والصحاح ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، ومختار الصحاح ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، والمتن ، والوسيط) .

وفعله الثلاثي هو : جد (بفتح الجيم) يجد (بكسرها) او يجد (بضمها) جدا (بكسرها) وجدا (بفتحها) لذا قل :

(أ) فلان جاد (بمضاعفة الدال) في الامر .

(ب) او فلان مجد (بضم فكسر فتضعيف) فيه .

الجديد (الحديث والمقطوع)

جاء في التضاد : الجديد : ضد الخلق (بفتح ففتح) ، والجديد ايضا : الحبل الخلق المقطع . والصواب هو ان معنى جد (بفتح فتضعيف) الشيء (بفتح الهمزة) : قطعه ، وليس : ابلاه .

وفي اللغة العربية : جد الشيء يجده (بضم الجيم) جدا (بفتح فتضعيف) : قطعه . والقطع لا يفرض علينا ان يكون ما نقطعه باليا . فقد نجد (بضم الجيم) (اي نقطع) جزءا من نسيج حديث ، ونصنع منه ثوبا او قميصا . فهذا الجزء الحديث نسجه هو مجدود (مقطوع) من جزء اكبر منه ، حديث نسجه ايضا . فالجزء المجدود هو جديد (فعيل بمعنى المفعول) . وهذا الجديد (المقطوع) حديث ، لا بال . لذا لم يقل ابن الانباري في كتابه (الاضداد) ان (الجديد) هو البالي ، بل يقال : الجديد هو المقطوع . واستشهد ببيت الوليد بن يزيد :

ابى حبي سليمى ان يبيدا واضحى حبلها خلقا جديدا

وفسر (الجديد) فيه بمعنى (المقطوع) . ولو كان معنى الجديد هو البالي لما اضطر الشاعر الى ان يضع (خلقا) بفتح فتح ، اي : باليا ، قبل (جديد) . ونحن قد نجد (بفتح فضم فتضعيف) القديم البالي ، فيصبح جديدا (مقطوعا) ايضا .

ثم ذكر ابن الانباري ان بعض اللغويين قالوا : « معناه : واضحى حبلها خلقا عندها ، جديدا عندي في قلبي ، لاني لم املها كما ملتني ، ولو لم انو قطيعتها كما نوت قطيعتي » . فقد اراد اولئك اللغويون ان يبعدوا معنى (البلى) عن (جديد) ، فقالوا ان الشاعر يعني به (الحديث) .

ويؤيد رأي هذا ان المعاجم والكتب الآتية قالت :

(أ) ان الجديد هو (المقطوع) ، ولم تقل انه (البالي) .

(ب) ان الجديد هو (الحديث) .

ابن الانباري ، والازهري ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والمحيط (الذي قال : ثوب جديد : كما جده الحائك) ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، والمتن ، والوسيط .

ومما قاله اللسان : « الجدة (بكسر فتضعيف) نقيض البلى ، يقال : شيء جديد ، والجمع : أجدة (بفتح فكسر فتضعيف) ، وجدد (بضم فضم) ، وجدد (بضم ففتح) » . وقال ايضا : « ثوب جديد : مجدود ، يراد به

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حين جده الحائك . اي : قطعه » . وهل يقطع الحائك ثوبا قديما ؟

وقيل ملحفة جديد (مقطوعة) ، لانها بمعنى (مفعولة) . ولكن ابن سيده يجيز : ملحفة جديد وجديدة . وقال سيبويه : ملحفة جديدة (قليلة) . وانا ارى ان (جديدة) هنا صواب ، لانها بمعنى (الفاعل) ، من جد الشيء (بضم الهمزة) يجد (بكسر الجيم) جدة (بكسر فتضعيف) : صار جديدا (نقيض خلقا) .

اما اصل معنى هذه المادة (الجد) بفتح فتضعيف ، في اللغات السامية فهو القطع . وقد ذكر (التضاد) العبرية والسريانية .

ولست ارى (الجديد) من الاضداد ، وارى ان معناه هو :

(أ) الحديث .

(ب) المقطوع (المجدود) حديثا من الثوب ، ولا تعني الثوب المقطع . لذا انصح باستعمال (الجديد) بمعنى (الحديث) . فالقرآن الكريم لم يأت بهذه الكلمة التي ذكرت فيه ثماني مرات ، الا بمعنى (الحديث) ، كما جاء في الآية ١٦ من سورة فاطر .

جدف السفينة بالمجداف او جذفها بالمجذاف

ويخطئون من يقول : جذف السفينة بالمجذاف ، او جذف بالسفينة ، ويقولون ان الصواب هو : جدف السفينة بالمجداف او بالمجذاف ، اعتمادا على الازهري الذي اكتفى في « التهذيب » بذكر : جدف الملاح السفينة : اذا دفعها بالمجداف ، ثم استشهد ببيت اعشى همدان :

لمن الظعائن سيرهن تزحف عوم السفين اذا تقاعس تجدف

واعتمادا على المغرب ، واللسان ، والتاج ، واقرب الموارد (في الذيل) ، والمتن ، والوسيط .

ولكن :

اجاز لنا ان نقول : جذف بالمجذاف ، وجذف السفينة، وجدف بالسفينة كل من :

(١) الصحاح والمختار ، اللذين قالا : المجذاف : ما تجذف به السفينة .

(٢) والمد (الذي اجاز لنا ان نقول : جذف بالمجذاف ، وجدف بالمجداف ، وجذف السفينة وجدفها ، وجذف بالسفينة وجدف بها) .

(٣) ومحيط المحيط . (٤) واقرب الموارد

وقد اخطأ محيط المحيط حين قال : جدف الملاح : ساق السفينة بالمجداف ، بدلا من : جدفها او جدف بها ، لان التجديف هو الكفر بنعمة الله وعدم الاقتناع بها ، ففي الحديث : « شر الحديث التجديف » .

ان المصادر التي اهملت ذكر الفعل (جذف) واكتفت بذكر الفعل (جدف) ، قالت جميعها ان مجداف السفينة ومجذافها واحد ، كما قال معجم مقاييس اللغة في مادتي « جدف » و « جذف » وما دام المجداف هو الذي تجدف به السفينة ، فان المجذاف يجب ان يكون الاداة التي تجذف بها السفينة . وليس من المعقول ان يوجد اسم الآلة (المجذاف) دون ان يوجد له فعل يشتق منه ، هو الفعل : (جذف) كما قال الصحاح والمختار . لذا يجوز لنا ان نقول :

(١) جدف السفينة يجدفها (بكسر الدال) بالمجداف جدفا ، او : جدف بالسفينة .

(٢) جذف السفينة يجذفها بالمجذاف جذفا ، او : جذف بالسفينة .

الكلام الجزل لا الجذل

ويطلقون على الكلام القوي الفصيح الجامع اسم الجذل (بفتح فسكون) ، والصواب هو الجزل (بفتح فسكون) كما تقول المعجمات . ومن معاني الجزل :

(أ) الحطب اليابس ، وقيل الغليظ ، وقيل ما عظم من الحطب ويبس ، ثم كثر استعماله حتى صار كل ما كثر جزلا (بفتح فسكون) ، اي غليظا قويا . (ب) اللفظ الجزل : خلاف الركيك . (ج) رجل جزل : ثقف عاقل اصيل الراي ، والانثى جزلة وجزلاء . (د) عطاء جزل : كثير (هـ) امراة جزلة : عظيمة الردفين .

وهنالك الجذل (بكسر فسكون) الذي هو اصل الشجرة بعد ذهاب الفرع . والجمع : اجذال ، وجذال ، وجذول ، وجذولة .

وينقل المد عن احدى نسخ القاموس الجذل (بفتح فسكون) ايضا ، ولكنني لم اجدها في نسختي .

اما الجذل (بفتح ففتح) فهو الفرح ، وفعله : جذل (بفتح فكسر) يجذل (بفتح الذال) جذلا (بفتحها ايضا) ، فهو جذل (بكسرها) ، وجاذل (في الشعر) ، وجذلان . والجمع جذالى (بفتح الجيم) وجذلان (بضمها) ، والانثى جذلاء ، وجذلى ، وجذلانة (بفتح الجيم فيها كلها) .

المجرفة او المجرف لا المجرفة (بفتح الميم)

ويسمون ما يكسح به التراب ويجرف مجرفة (بفتح فسكون) ، وهو اسم آلة على وزن :

(١) مفعلة (بكسر فسكون ففتح) (مجرفة) : الصحاح ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

(٢) او مفعل (بكسر فسكون ففتح) (مجرف) : اللسان ، ومستدرك التاج ، والمد ، وذيل اقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وفعله : جرفه يجرفه (بضم الراء) ، جرفا (بفتح فسكون) ، وجرفة (بفتح فسكون) .

محمد العدناني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في انتظار حبة القلب

*

ليلى السايح

الكويت

*



مزق القلب استفاضت
واحاطت بكياني
تدخر العويل ،
وتزهر بالنجيع الاحمر .
أي شوق قاتل يشدني اليك
أيها المتوسد ثنايا وجداني
اكتبها صارخة ، بوجه العالم :
أنت .. أنت وحدك الحقيقة ،
وكل ما عداك زيف وباطل

يا وليد القلب
حملت بك في ليل الفيضان
الالتحام كان ثوريا ،
وولدت ممتلئا بالتحدي
تشتعل فيك نواة الانفجار .

عجنت بماء الالم
بملح الحرية
بقمح الصمود ،
وتخمرت .. تخمرت ..
وعلى نار الحقيقة نضجت ..
وتشكلت ..
نجم يتألق في سماء التضحية ــ العطاء
سماء الحب ــ الحقد ،
وانفجرت ..

أيها المتوج باكاليل الغار
متى أراك ؟
فتزهر كل مواسمي ،
يرحل عنها الذبول ..
وأضمك .. احتويك .. فتتألق سمائي
بالف لون .. بكل الضياء .

عد .. ليعود الربيع
وتزغرد عصافير الفرح ..
دمك الغالي انبثق
ليغسل عاري
وتفيض أنهاري
بطوفان الامل .

يا امتدادي .. في الارض
يا حبة الزيتون ..
يا خضرة الزعتر
يا خميرة انسانية
زرعت في ضمير النائمين .
لعل ليلهم الطويل
يأتي بالفجر !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور احمد زكي ابو شادي

الدكتور احمد زكي ابو شادي والاوبرا الشعرية

بقلم الدكتور محمد سعد حسن فشوان
مدرس الادب والنقد بجامعة الازهر

* * *

عرف الدكتور احمد زكي ابو شادي « الاوبرا » او القصة التلحينية عادة ، بأنها : تلك الرواية الملحنة ، التي لروح الموسيقى السيادة عليها ، وبعبارة اخرى انها الحكاية الغنائية التي تمثل للذة الاستمتاع الى غنائها(١) .

ثم يعلق على هذا التعريف فيقول : ومن يقبلون هذا التعريف يذهبون في تأريخهم للاوبرا الى انها نشأت في فرنسا سنة ١٢٤٠ ميلادية .

اما اذا ترقينا في فهمنا للاوبرا ، واعتبرناها مجمع الفنون الثلاثة : الشعر في ارقى اساليبه وصوره ، والموسيقى في اسخى نغماتها ، واصدقها وفاء لموضوعها ، والتمثيل في ابرع مظاهره المجسمة لفكرة الشاعر المتفنن فاننا نرجع بنشأتها الحقيقية الى اواخر القرن السادس عشر ، عندما وضع (جاكوبوبري) قصة « دفني » سنة ١٥٧٠ م حيث اخرجت في « البلازوكورسي » بمدينة فلورنسا (فلورنزة) بيد اننا كلما دققنا في تطبيق هذا التعريف الاخير وجدنا ان الاوبرا الراقية لم تنشأ قبل القرن الثامن عشر(٢) .

ويرى ابو شادي ان الاوبريت ونحوها من المهازل الموسيقية والروايات التلحينية الفكهية والاستعراضات الموسيقية ليست من صميم الاوبرا الراقية في شيء ، ولا يجوز الجمع بينهما في تعريف .

ومن المؤكد ان الفنون في اوروبا لم تظهر بمظهرها الصحيح قبل ولادة الاوبرا وقد ولدت الاوبرا الراقية في المانيا والنمسا ثم ايطاليا وفرنسا ، وكان تأليف الاوبرا مقترنا دائما بظهور شاعر فذ وموسيقار ماهر ، ولم يجمع هاتين الموهبتين سوى واحد فقط هو النابغة « ريتشارد فاجنر » الذي اكرمه مواطنوه وبنوا له في مدينة « بيروت » من اعمال المانيا ملعبا خاصا به ، ووقفوه على تمثيل رواياته الغنائية وجعلوا له في كل عام موسما تحج اليه الشعوب من سائر انحاء الارض ، لتشهد عجائب فنه في الشعر والموسيقى .

ولما كانت النفس البشرية مثقلة في العصور المتأخرة بالهموم والمتاعب ، لذا كانت في مسيس الحاجة الى ما يخفف عنها دوما تلك الهموم والمتاعب ، ولا شك ان الاوبرا الحديثة بجمعها بين الشعر والغناء والموسيقى فضلا عما فيها من ارتقاء بالذوق الفني لجمهرة النظارة فان هذه الجمهرة من الناس تجد فيها تزجية لاوقات الفراغ ، وعاملا من عوامل التسلية ، ولذة للحس وامتاعا للشعور والنفس ، والا فان (السيمفونيات) الرائعة التي الفها كبار الموسيقيين في جميع انحاء العالم تصبح عديمة القيمة ، او غير ذات اثر في ترقيق الحس ، وتخدير الشعور ، وامتاع النفس ، واذكاء روح الخيال ، وحمل الانسان على اجنحة شفافة من رائع النغم ، وبديع الالحان ، والصعود به على مراقي الحب والخير والجمال الى عالم خالص من الرؤى الوردية الحالمة التي تطمح اليها نفوس الكثيرين .

ولقد ادرك « بيتهوفن » — مثلا — ان للموسيقى الخالصة حدودا لا تستطيع تجاوزها وانها مهما ارتقت وكملت فلن تعبر الا عن مشاعر غامضة لا يمكن تحديدها ، ولا تؤثر في النفس الانسانية على نحو واضح ، بل تترك فيها احاسيس مبهمة فحسب ، فانه قد سعى الى تحديدها وصبغها بصبغة عيانية بفن آخر هو الشعر ، وهكذا مزج هذا الموسيقى القدير في الجزء الاخير من سيمفونيته الاخيرة بين الشعر والموسيقى ، وبين انغام الآلات والصوت الانساني الحالم في وحدة متناسقة اسمعت العالم كله تقريبا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انشودة الفرح ، فتغلغلت في الاعماق ، ونفذت الى اغوار من الروح لم تبلغها من قبل قصيدة شعر او لحن موسيقي(٣) .

عرف العالم الراقي كيف يستفيد من تلك الفنون الراقية حين تتحد في وحدة نغمية تخدر الحس وتؤنس النفس ، في الوقت الذي راح فيه عالمنا العربي ينغمس حتى اذنيه في التهريج الزائف الذي تنفر منه النفس اشد النفور ، ولا تتعشقه الا طائفة العوام ممن لا يجيدون التعامل مع تلك الفنون الراقية ..

ولا شك ان الدكتور احمد زكي ابا شادي كان شخصية متعددة الجوانب فهو الطبيب الشاعر المتفنن الرسام القدير النحال العليم بأسرار النحل ، ثم كان لرحلاته المتكررة بين دول العالم المتحضر ، وكذا لثقافته المتعددة الجوانب ، وكذا علمه بالانكليزية واطلاعه الوسيع على الثقافة الغربية في منابعها الاصيلة ، كان لهذا كله اثر واضح في اتصال هذا الشاعر الكبير بالفن في ارقى صوره ، وكان فن الاوبرا الذي يجمع بين الشعر والتمثيل والغناء والموسيقى من المع الموضوعات التي اولاها عنايته واهتمامه .

كتب ابو شادي عدة اوبرات شعرية ، وكانت اوبرا (احسان) التي نشرها في عام ١٣٤٥ هـ/١٩٢٧ م من اوليات اعماله الاوبرية ، ونشرتها رابطة الادب الجديد بالقاهرة وطبعتها المطبعة السلفية بمصر .

ثم اردفها بأوبرا ثانية ، هي اوبرا (الآلهة) التي ظهرت مطبوعة في عام ١٩٢٧ م ايضا ، ثم صدرت له عدة اوبرات اخرى بعد ذلك من امثال : اوبرا « اردشير » و « الزباء » او زنوبيا ملكة تدمر ، وغيرها .

وموضوعات هذه الاوبرات منها ما اختاره من التاريخ القديم او الحديث ، ومنها ما اختاره من عالم الاساطير ، ومنها ما اعتمد فيه على الرمز ، وغير ذلك .

وقد كتب الدكتور ابو شادي في تصديره لبعض هذه الاوبرات ، او في تذييله لها معرفا بهذا الفن ، فن الاوبرا ، وبمدارسه في الغرب كالمدرسة الفرنسية والمدرسة الايطالية والمدرسة الالمانية ، ومبينا رايه في مزاملة الموسيقى للشعر ومشيرا ايضا الى تأخرنا عن ملاحقة الغرب في هذا الفن ، فقد كتب يقول : ليس لنا حتى الآن ما يصح ان يسمى (بأوبرا مصرية) وان كنا نرى ان هذا من الواجبات التي تحدو بنا الى تكوينها بدل ان نكتفي بالاسف واليأس(٤) .

وكانت اول اوبرا مصرية لحنت على دار الاوبرا بالقاهرة غير عربية بل كانت غريبة عنا ، وقد الفها « ماريت بك » الفرنسي بناء على طلب اسماعيل خديوي مصر في تلك الآونة ، ونظرا لذلك فقد فشلت هذه الاوبرا وذهبت آمال اسماعيل سدى بعد ان بلغ جملة ما انفقه على اخراجها نحو مليون فرنك .

ولغة الاوبرا لا يكفي ان تكون مهذبة بل لا بد ان يتجلى فيها الشعر الراقي السليم وهو في نظر ابي شادي ليس انتصارا للغة التقعر ، ولا للغة المبتذلة او العامية وانما كان يقصد به الاعتدال .. يقول : « وحسبنا انه من الميسور جدا التأليف سواء نظما او نثرا بلغة صحيحة سهلة لن يشق على العامة فهمها ولن يأباها الخاصة »(٥) .

اما التلحين فقد كان ابو شادي يرى انه في غنى عن البرهنة على ضرورة التعاون بسخاء مع الملحنين فالمؤلف والملحن عمودا النهضة المسرحية للاوبرا واما عن الغناء والتمثيل فيرى ان من واجب الحكومة العمل على رعاية المغنين والممثلين حتى يبدعوا في الغناء والتمثيل على نحو يجعل الاوبرا المصرية ذات شخصية مستقلة عن الغرب .

ويرى ان ذلك العمل الفني لن ينجح في مهمته النجاح التام ما لم يبذل كل من الشاعر والملحن والمغني اقصى المجهود لاداء التصوير الفني في دائرة اختصاصه على احسن ما يكون كأنما لا يعتمد على مجهوده وحده .

لم تسلم اعمال ابي شادي في ميدان الاوبرا من النقد ، بل اتجهت اليها سهام النقد منذ البداية ، فأوبرا (احسان) على سبيل المثال لم يكد يخرج بها هذا الشاعر على الملأ حتى نقدها محمد علي حماد المحرر المسرحي لجريدة « البلاغ » آنذاك ، ورأى ناقد ان ابا شادي لا يعدو ان يكون نجار الشعراء لانه استخدم كلمتي « هكذا » و « ايضا » في فاتحة تلك الاوبرا ، وقد رد ابو شادي على كل نقد وجه اليه ، ولم يتهاون لحظة واحدة عن رد كل تهجم وجه اليه ، عارضا اثناء ذلك ثقافته الواسعة وعلمه الغزير الجم ، محاولا اقناع هؤلاء المتهجمين بحاجة امتنا الى مثل هذا اللون من التأليف .

وبعد تصديره لاوبرا « الآلهة » من تلك الردود التي حاول من خلالها ان يسقط كل تلك النقود التي سبقت ظهور هذه الاوبرا ، وفيه نحس بأن الشاعر يدافع عن اعماله الادبية والتمثيلية والاوبرية دفاع المستميت ، ويركز على ان الموازنة بين العبرة الصحيحة وبين الدرامة او المأساة الخالصة خطأ محض ، فان لم يكن جهلا بأصول الفن فهي مغالطة وسفسطة ، ثم يقول : « وهذا مع الاسف من الادواء المزمنة التي ابتلي بها معظم النقاد في مصر فلا هم يتعبون انفسهم بالاطلاع الوافي قبل التهافت على النقد ، ولا هم يتركون غيرهم يرشدهم بخبرته ارشادا خالصا لوجه الادب والفن »(٥) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد نقده الدكتور محمد مندور ، وتفاوت نقده بين العنف واللين ، وان كان هذا النقد يجنح في عمومه الى التهوين من قيمة تلك الاعمال التي زاد بها ابو شادي شعراء العربية على اختلاف مراحل تاريخنا الادبي الطويل في هذا الفن بلا شك(٦) .

ولكننا بعد هذه الفترة منذ عام ١٩٢٧ م الى عامنا هذا نسأل : هل نجحت اوبرات ابي شادي ؟ ام انها الآن تقبع في زوايا النسيان ، بعد الفشل الذي لاحقها وهي لا تزال وليدة في المهد ؟ ومن حقنا ان نسأل .. ومن حقنا كذلك ان نبحث عن اسباب هذا الفشل .

لقد فشلت اوبرات الدكتور احمد زكي ابي شادي ، واصبحت تلك الاعمال وما صاحب نشأتها من دراسات ونقود علامة مميزة في العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن ، فهي وان لم نجد لها امتدادا عصريا الا انها كانت محاولة جريئة من الشاعر بلا شك ، ومن يدري ؟ فلربما تنكشف الايام عمن يعيد لهذه الخطوة الجريئة قيمتها المفقودة ، وليس ذلك ببعيد فيما ارى .

ولعلنا لا نبعد عن الصواب اذا ارجعنا فشل تلك الاوبرات الى الاسباب الآتية :

اولا — ان الاوبرا لا تخاطب في العادة الا اصحاب الذوق العالي الرفيع ، ولا يعقل مطلقا ان نطلب الى قوم يستسيغون الاستماع الى حكايات ابي زيد الهلالي سلامة ، والزير سالم ، والظاهر بيبرس ، وغيرها على ما فيها من خرافات ان يجلسوا ساعة او اكثر في الاستماع الى الموسيقى الراقية المختلطة بالشعر الرفيع والتمثيل الجيد ، ومما يوشح كلامنا ان واحدا كريتشارد فاجنر حين ذهب الى باريس لعرض اوبراته خاب امله وفشل مسعاه بعد ان ايقن ان جمهورها لن يتذوق فنا متغلغلا في اعماق النفس البشرية ، وانما يريد ان يرقص ويلهو فحسب(٧) .

ثانيا — الهجوم العنيف الذي جوبهت به تلك الاوبرات منذ ظهورها ، وما كان له من آثار سيئة في جعلها مشلولة الحركة وهي لا تزال وليدة في المهد .

ثالثا — ان الاوبرا في قيامها على تضافر جهود كل من الشاعر والمغني والموسيقي في كنف التمثيل على خشبة المسرح يفضي بالضرورة الى وجوب ايمان الجميع بهذا العمل الفني الراقي ايمانا يدفع بهم قسرا الى تطويع اذواقهم وحواسهم ومشاعرهم لشتى المتطلبات الفنية الملحة لانجاح هذا العمل ، ولا شك ان اي قصور يطرأ على هذا العمل من اي جانب فانه يؤدي حتما الى فشله تماما ، وقد حدث هذا فعلا مع اوبرات ابي شادي ، فماتت من حيث ولدت .

رابعا — طول البحور الشعرية في بعض اجزائها الامر الذي يتنافى وبساطة التلحين والاداء ، وكان طول الفقرات احيانا وما يسببه للمغني من اجهاد مسؤولا ايضا عن فشل تلك الاوبرات .

خامسا — ولعل من تلك الاسباب ايضا ما فهمه بعض الشعراء من ان الاوبرا مسرحية غنائية وكفى فألفوا اوبرات او مسرحيات غنائية جاءت صورة مشوهة لفن الاوبرا بمعناه الدقيق ، ولم تكن سوى مسرحيات قابلة للتمثيل دون الغناء والموسيقى ، كما هو الشأن في « اغنية الرياح الاربع » و « ارواح واشباح » وكلاهما لعلي محمود طه المهندس الشاعر .

وعلى الرغم من هذا فانه يبقى للشاعر الدكتور احمد زكي ابي شادي فضل السبق في انشاء هذا اللون الفني لا في مصر وحدها ، بل في بلاد العالم العربي تقريبا .

الهوامش :

(١) أوبرا احسان طبع المطبعة السلفية بمصر عام ١٩٢٧ م ص ٦٧ .

(٢) انظر المصدر السابق من ص ٦٦ الى ص ٦٨ .

(٣) انظر كتاب : ريتشارد فاجنر للدكتور زكريا ابراهيم ، المكتبة الثقافية عدد يونيو ١٩٦٥ م — القاهرة .

(٤) سجل الدكتور ابو شادي ذلك في عام ١٩٢٧ م ، وهو العام الذي سجل فيه باكورة انتاجه من تلك الناحية ، وهي اوبرا « احسان » .

(٥) انظر اوبرا احسان ص ٨٦ .

(٦) انظر كتاب الدكتور محمد مندور : محاضرات في الشعر المصري بعد شوقي — الحلقة الثانية ص ١٧ .

(٧) انظر : ريتشارد فاجنر للدكتور زكريا ابراهيم ص ٤٠ .

القاهرة **محمد سعد حسن فشوان**

في مطلع كل شهر

اطلبوا

الاديب

من الباعة والمكتبات



رستم كيلاني

من مفكرتي

بقلم رستم كيلاني

* * *

حول ادب الشباب ، والموجة الجديدة

(ما رايك في ادب الشباب ، الموجة الجديدة ، وانت من القصاصين الشباب ؟) .

سؤال يتردد كثيرا في المحافل الادبية ، وكانت اجابتي عليه :

اولا : انا لست من انصار تقسيم الادب ، فالادب ولا شك ادب واحد ، سواء كتبه الشباب ، او كتبه الشيوخ ، وسواء كتبه الرجال او كتبته النساء ..

ويحضرني راي للاستاذ الكبير عبدالله زكريا الانصاري :

« ... اننا لا نعترف بأن هناك ادبا للشباب ، وادبا للشيوخ ولا نؤمن الا بالادب الاصيل الذي نقراه فنحس به ، ونتجاوب معه ، ونراه يمس مشاكلنا اليومية ، ويحرك فينا روح العمل ، وروح الجد ، وروح الطموح نحو ادب زاهر متقدم حي » .

وتصديقا لهذا القول قول لاستاذنا الكبير توفيق الحكيم :

« التقسيم بين ادب الشباب ، وادب شيوخ ليس صحيحا على اطلاقه لانه لا شباب ولا شيخوخة في الفن والادب .. يوجد فقط فن وادب .. وهذا الفن الجيد ، والادب الممتاز يظهر عند الشاب كما يظهر عند الشيخ » .

ثانيا : بالنسبة للكتاب الجدد الذين اقتحموا ميدان الادب بانتاج غامض المسمى بالموجة الجديدة الذي نقراه ويحيرنا مدلوله ومراميه ونعاني منه اشد المعاناة ، فاني أؤيد راي استاذي ووالدي الروحي فقيد القصة العربية « محمود تيمور » عندما سألوه يوما عن رأيه في التجارب الجديدة التي يكتبها القصصيون الجدد ، قال رحمه الله : « اني اتابع انتاجهم ولكن اهمس في آذانهم قائلا : ان الغلو في المبادىء شطط ، فأرجو ان يتوسطوا في نزعة التجديد ، والتجريد » .

ثالثا : اما عن نفسي فاني أؤمن وأتمنى ان يؤمن معي كل كاتب من الكتاب الجدد ان الاديب الفنان مرآة للحياة ، مرآة للمجتمع ، وان المجتمع الاخلاقي الذي يسير في طريق البناء ، اذا اردنا ان نعبر عنه فنيا فلا طريقة لنا سوى : الواقعية الواضحة ، الفاضلة ، البناءة ..

مجلة (الاديب)

سئلت ذات يوم عن مستوى المجلات الثقافية التي تصدر في مصر فقلت :

ـــ اعتذر عن الادلاء بأية كلمة ، ولكن اتمنى ان تصدر في مصر ـــ مركز الاشعاع الفكري والثقافي ـــ مجلة ثقافية شهرية في مستوى مجلة (الاديب) اللبنانية لمنشئها ورئيس تحريرها الاستاذ الشاعر الكبير البير اديب الذي فقد نور عينيه ليثير شمعة الادب ، رغم الصعوبات والعراقيل التي اعترضته ، لقد وهب لمجلته ماله ، ووقته ، وطاقته الفكرية والجسدية ، انه يشرف بنفسه دون مساعدة او معاونة على مراجعة المواد الادبية التي تصله بكثرة من جميع انحاء العالم ، وعلى اخراج اعداد المجلة وكذلك كتابة عناوين مشتركيها ، لتطل على القراء بصفة دورية في مطلع كل شهر ، لقد اصبحت ـــ مجلة الاديب خلال ٣٧ عاما ـــ منطلقا ادبيا لسائر مستشرقي العالم اجمع ، كما اصبحت منبرا لكل قلم ادبي عربي جاد .. يعبر تعبيرا صادقا عن فكرة ناضجة ، وعقيدة ثابتة ، ورأي حر ..

مات مؤلف « مرزوق افندي »

مات (محمود صبحي) الكاتب الاذاعي المصري الكبير الانسان الذي امتاز بين زملائه ، وتلاميذه بتواضعه وادبه الجم ، وخلقه الكريم ، فلقد كان مثال الفنان الصادق الذي يخدم فنه بصدق ، واخلاص ..

سقط القلم الذي قدم اشهر واطول مسلسلة اذاعية اجتماعية « مرزوق افندي » التي كانت تقدمها الاذاعة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المصرية يوميا في برنامج (الى ربات البيوت) .

كما قدم العديد من التمثيليات الشهرية ، والخماسية في اذاعة البرنامج العام ، وهذا بخلاف ما قدمه من سيناريوهات الافلام السينمائية ، والتليفزيونية ..

كما اسهم (محمود صبحي) في كتابة القصة القصيرة ، فنشرت اقاصيصه في الصحف والمجلات المصرية خاصة (جريدة المصري ـ المساء ـ الرسالة الجديدة ـ صباح الخير ـ الهدف ـ روز اليوسف) ، وقد كان المجتمع المصري بصوره المختلفة ينبض في كل سطر من سطور تلك الاعمال الفنية سواء المسموعة ، او المقروءة ، او المرئية التي قدمها الينا هذا الكاتب القدير خلال رحلته في الحياة الادبية ..

سلام على (محمود صبحي) في دار السلام ..

ما هي الشخصية التي تاثرت بها ؟

سئلت هذا السؤال يوما ، فقلت على الفور :

ـ والدي رحمه الله .. فقد كان لتوجيهه الاثر الحميد ، فهو الذي علمني اول حرف ، وهو الذي وجهني الى السبيل القويم في اختيار الكتب النافعة واولها كتاب الله المصحف الشريف ، كما كان له الفضل في ترسيخ مجموعات من القيم التي غرسها في قلبي وعقلي التي اعتز بها حيث انها ساعدتني في بناء شخصيتي ..

فالى والدي ..

اليه في اكرم جوار .. تحية خشوع وولاء .. وسلام عليه الى ان يحين اللقاء ..

ماذا اقول ؟

ماذا اقول ؟ .. بعد كل ما قيل عن الكاتب .. الفنان .. الاخ .. الصديق الحبيب الشهيد يوسف السباعي الذي كرس حياته لخدمة الادب والادباء ، عاملا على رفعة شأنهم ، والسير بهم قدما الى الامام دون كلل او ملل ..

اقول : كان انسانا .. ولا ازيد ..

ذكر تيمور (١٩٧٨/٨/٢٥)

بمناسبة اقتراب موعد الذكرى السنوية الخامسة على رحيل رائدنا العظيم الكاتب الكبير الاستاذ محمود تيمور سئلت هذا السؤال :

ـ نلاحظ اقترابكم من ادب « محمود تيمور » بشكل واضح ، فما مبرر ذلك ؟ .

وكانت اجابتي هكذا :

ـ في مطلع حياتي الادبية قرات معظم اعمال استاذنا الذي فقدناه « محمود تيمور » المجلدة في مكتبة خالي الشاعر المرحوم الاستاذ « قاسم مظهر » وراقني منه انه يصور الحياة باشكالها في الواح فنية صادقة مع امتلاك لناصية الصياغة القصصية ..

ولما تم التعارف بيني وبين سيادته عن طريق خالي الذي كان صديقا حميما له ، بدأ يقرأ لي محاولاتي القصصية ، كما بدأ يوجهني واضعا لي منهجا دراسيا منظما للدراسة ، والاطلاع على الادب وفنونه ، وميسرا لي امهات القصص العالمي الذي كان يهديها الي من حين الى آخر ، وكان يتابع خطواتي ، ويدفعني على الدوام الى القراءة والكتابة ، الى ان جاء اليوم الذي اخذ بعض قصصي وقام ـ رحمه الله ـ بتقديمها الى المجلات والصحف لنشرها ..

وبمرور الاعوام بدأ يقدمني لاصحاب دور النشر مزكيا ، ومؤيدا عملي القصصي لهم وللقراء ..

ومن حبي لشخصه الوديع الانساني ، ولفنه الصادق العميق ، كنت التهم كل ما ينشره على صفحات المجلات والكتب ، واحفظه عن ظهر قلب حتى اصبحت بمرور الايام ادمن ادب « محمود تيمور » الانساني الثابت الذي كان له تأثير كبير على توجيه اسلوبي في كتابة القصة القصيرة ..

ولقد لوحظ من كتاباتي انها تقترب من ادبه ، وهذا منتهى الشرف لي ، ولكن احب ان اعلن بأنني ما زلت رغم تقدمي الملحوظ في كتابة القصة القصيرة ، تلميذا صغيرا .. صغيرا .. صغيرا لادب استاذي ووالدي الروحي فقيد القصة العربية « محمود تيمور » الواقعي الانساني ..

لذكراه العطرة تحية وسلام ..

حول صياغة جديدة لفن القصة

حول الراي الخاص لاستاذنا « محمود تيمور » عن اعادة صياغة بعض القصص التي سبق ان الفها ..

يسعدني ان اوضح بالضبط وجهة نظر فقيدنا الكبير في هذه القضية ..

لقد كان رحمه الله يجلس الى محتوى ما كتبه في العهد الباكر من حياته يعيد النظر فيها من جديد فما رضي عن صياغته ابقاه ، وما لم يرضه يلمسه لمسات صقل ، وتنقيح حتى يضحى في ذلك الثوب القشيب الذي عرف به مع الاحتفاظ الكامل بجوهر الموضوعات ، وكيان الشخصيات ، وما في ذلك من معاني تلك الاعمال القصصية وعناصرها الاصيلة فقد يبقى على حاله موفور المعالم والسمات ..

وكان يرى رحمه الله ان من حق الكاتب عندما يطلب منه اعادة طبع اعماله ان يعيد النظر فيها من ناحية الصياغة ، والتعبير لتخرج الطبعة الجديدة منقحة في تشذيب ، وتهذيب ويكفي انها سجلت باسمه في الصحف ، وفي الطبعة الاولى ، ولم تعد هذه الصحف او الكتب ملكا لكاتبها ، وانما اصبحت ملكا للتاريخ ، وما في مستطاع اي كاتب ان يمحوها حتى باعادة طبعها منقحة .

هذه هي وجهة نظر رائدنا « محمود تيمور » والتي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الورد والسمراء

اللحلـوة السمراء يهفـو ويعبق ... شذى الورد في خضر المغاني ويورق
يداعب أضـواء الصباح وينثنـي ... حفيـا بأطياف المسـاء يصفـق
لعلـك منـه تأنسـين نوافحـا ... تشيع بصدر الليل ما هو أعبق
يطيب شميم منه مـا جئت ربعنا ... ويزهو مدى في كـل أفق ويشرق
ويأتيك ريحانـا وفـلا عساهما ... يوافين بالعطر الذي لـك يخلق
وعينيك من أنت اذا بحت بالذي ... تخبـؤه عيناك ؟ قلبـي يشهق
رؤى أي فجر أنت في الغيب كنته ... بأسراره للكـون بالطيب تنطـق
حديثـك أنفاس النـدى وسقيطه ... اذا ما نطقت ... أو ... معتق
لك الحب . ما للحب ؟ أنت لأفقه ... مغارب أنـوار الضحى ومشارق
لقد كنت في الاحلام من قبل أن نرى ... جمالك بل قد كان بالسمع يعشق
نقبلـه في الظـن شوقا ولهفـة ... اليـه نحـن في الخيال ونخفق
فلما أتيت ربعنا .. كـل نجمة ... لها قصة تحكى ، وسحر منمق
وبشت مغانينا . فسيح جـدول ... وردد غريـد .. وهينـم عاشق
لأنت مـن الحسن الموزع فـرده ... اذا لاح .. أوسر من الغيب يفلق

سطوة ــ دبي

احمد امين المدني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سبـق ان شرحها في احاديثـه الصحفية ، والاذاعية المسموعة ، والمرئية . اردت ان اوضحها للقراء عامة ، وللاساتذة الكتاب خاصة لعلي بهذا اكون قد اوفيت وهذا حسبي ..

وبعـد ..

لا يفوتني قبل ان اختتم مفكرتي ان اقول لقد فجعت بعد ما قرات ما كتبه الاستاذ عباس خضر في كتابه (خطى مشيناها) يقول شائعة خطيرة بأن « محمود تيمور » لم يكن هو كاتب هذه القصص .. وانما الذي كتبها احد اصدقائه وهو الاستاذ محمد شوقي امين عضو مجمع اللغة العربية ..

ولقد سبق ان تعرض الاستاذ « محمود تيمور » لحملة سرية مثل هذه الحملة منذ سنوات كان يتزعمها الاستاذ حبيب زحلاوي في كتابه (شيوخ الادب الحديث) وقد غمز فيه تيمور بما ادعاه من ان اسلوب محمد شوقي امين واضح في كتابات محمود تيمور ..

ويسعدني ان اشير الى ان مجلة (الجديد) قد اجرت حديثا مع الاستاذ محمد شوقي امين بتاريخ اول يناير ١٩٧٥ قال فيه بالحرف الواحد ، لقد نشأت اقرأ لمحمود تيمور وأتتبعه في (الهلال) وغيرها قبل ان ابلغ العشرين .. وما زلت اذكر انني ذهبت وأنا في مقتبل عمري وكنت البس « القبقاب » واشتريت اول مؤلفات « محمود تيمور » وهي مجموعة قصص « الشيخ جمعة » التي ظهرت منذ اكثر من خمسين عاما .. وان تيمور يكبرني في السن بـ ١٦ عاما .. واني لأخجل من الذين يثيرون مثل هذه الشبهات حول قلم « محمود تيمور » .. فان له من الكتب قبل ان اعرفه او اراه ما يقيم من شخصه عملاقا للادب القصصي .. » .

وفي الختام احب ان اذكر الاستاذ عباس خضر ، الذي يثير هذه القضية الآن في كتابه (خطى مشيناها) بما كتبه هو بنفسه في كتابه « القصة القصيرة في مصر » صفحة ٢٠٢ عن محمود تيمور ــ وهو على قيد الحياة ــ قائلا :

ــ « ولعل محاولتي هنا سدت شيئا من هذا النقص في الكتابة عن الكاتب الذي اخلص لفنه طول حياته .. واثرى ادبنا القصصي بما لم يفعله كاتب آخر .. » .

القاهرة

رستم كيلاني

حبيب مسعود

١٨٩٩ — ١٩٧٧

الاديب الذي قتل في محراب الفن

بقلم الدكتور محسن جمال الدين

* * *



مأساة الحوادث في لبنان ان فقدت الاوساط الادبية ، والعلمية ، والفلسفية ، والصحافية مجموعة من الادباء ، والكتاب والباحثين والصحافيين . امثال الدكتور المستشرق الفرنسي الاب ميشال آلار مدير معهد الآداب الشرقية في بيروت ، والاستاذ الدكتور كمال يوسف الحاج رئيس قسم الفلسفة في الجامعة اللبنانية والاستاذ حبيب مسعود .

ولست الآن في معرض الاسباب والنتائج التي ادت الى فقدان هؤلاء الذين هم قلة بالنسبة الى آلاف الذين فقدوا واصابهم الموت والتشرد والحرمان .

فهذا قد سجله التاريخ ، وبينته الاحداث ، وسطرته الاقلام ، وتألمت من اجله القلوب ، ودمعت لرؤياه العيون !!

والذي يهمني الآن هو الحديث عن صديق قديم التقيت به في بيروت عام ١٩٤٨/١٩٤٩ بمؤتمر (اليونسكو) الثقافي العالمي . وكان هو ذلك الاديب الفاضل ، والاستاذ الكريم رئيس تحرير مجلة (العصبة) الاندلسية ، في سان باولو البرازيل ، المرحوم الشيخ حبيب مسعود (١٨٩٩ — ١٩٧٧) . التقيت به ممثلا لادباء (المهجر الجنوبي) ، وهم النخبة الطيبة ، من اصحاب (العصبة) التي تأسست سنة ١٩٣٢ . مقابلا (للرابطة القلمية) في (المهجر الشمالي) التي اسسها (جبران خليل جبران) ورفاقه سنة ١٩٢٠ . وقد ترك اصحاب (الرابطة) و (العصبة) آثارا لا تنسى في ذاكرة الزمن ، وفي سجل الهجرة الخالدة . تحدث عنها كل من كتب عن ادب المهجر وبالاخص الاخوة الاساتذة الكرام : جورج صيدح ، عيسى الناعوري ، وعبد الكريم الاشتر ، احسان عباس ، محمد يوسف نجم ، محمد الكفافي ، حارث طه الراوي ، ونادرة السراج . وغيرهم ..

بعد تعارفي معه كتبت عنه مقالة من سلسلة مقالاتي بعنوان (في مجالس الادباء اللبنانيين) وقد نشرتها تباعا في مجلة (العقيدة) العراقية سنة ١٩٤٩ .

واليوم اذ تعود بي الذكريات الى صورته القديمة فاراه امام ناظري ، رزن القول ، بهي الطلعة ، مبتسم الاسارير ، يتكلم بهدوء الواثق ، وباطمئنان العارف ، وبكلمة الحكيم

وتمر الايام ويعود بعدها الى دار هجرته . ويصدر كتابه (ما اجملك يا لبنان !) ، ويعيد طبع كتابه (جبران حيا وميتا) . وتكون طبعته بين يدي ، فاذا هو اكبر مجموعة نفيسة تضم آثار جبران ، وما قيل عنه ، قد زينته الصور والرسوم الرائعة .

كان الاستاذ الشيخ (حبيب مسعود) يمتاز بجمال الخط ، وحسن الكتابة ، وصفاء الفكرة ، وقلة السرد الممل ، واصابة الهدف ، بأقصر الطرق .

وصفه الاستاذ الكبير الشاعر الاخ (جورج صيدح) فقال عنه :

« ناثر من الطراز العالي الرصين ، فنه في صوغ العبارات فن الجوهري الحاذق في تنضيد اللآلي » .

وقال عنه الاستاذ الباحث الدكتور (عيسى الناعوري) :

« كان عربيا في عاطفته وايمانه ، عربيا في قلمه وبيانه ، يعمل للعروبة بلسانه وقلمه ، ويخدم الفصحى ، ما وسعه الجهد والطاقة » .

ويمكننا تلخيص حياة (حبيب مسعود) بالملامح الآتية :

١ — ولد في (بشري) بلبنان سنة ١٨٩٩ م . تعلم في قريته ، ومدرسة الحكمة ببيروت .

٢ — هاجر الى البرازيل سنة ١٩١٣ م .

٣ — حرر في جريدة (الجديد) ورأس تحرير (النهضة اللبنانية) سنة ١٩١٨ م .

٤ — اصدر مجلة (العصبة) الاندلسية ١٩٣٣ — الى توقفها .

٥ — زار لبنان ١٩٤٨/١٩٤٩ ثم عاد الى المهجر .

٦ — عاد الى لبنان سنة ١٩٦٤ واصبح المشرف والمسؤول عن (متحف جبران) وآثاره .

٧ — قتل رحمه الله سنة ١٩٧٧ .

٨ — له مجموعة كبيرة من المقالات ، والابحاث ، والمحاضرات .

ومن آثاره المطبوعة :

١ — ما اجملك يا لبنان !

٢ — جبران حيا وميتا .

كل من اتصل به ، او اشتغل معه ، او عايشه ، او كتب عنه اثنى على ادبه ، وسمو اخلاقه ، وبراعة خطه ، وحماسه لوطنه ، ولعروبته ، ولغة اجداده . لم يكن من الادباء الذين يعرضون انفسهم واقلامهم للبهرجة ، والدعاية ، والاعلام ، ولا من الكتاب الذين تنفخ في اعطافهم الفاظ المديح والاطراء . ولكنه من اصحاب الحكمة المتواضعة ، والنفس الكريمة ، والسمعة البيضاء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

استطعت ان اجول في رياض ادبه وهو رائع رصين . واقتطفت بعض زهرات من كتاباته .

ومما قاله في استطراد حديثه عن تكوين (العصبة) ومجلتها :

« .. فليس الفضل في ان تصون لغتك وانت قابع في دارك بين عشيرتك ، فالفضل في ان تصونها وتحضنها وتشقى من اجلها في بلاد غريبة عنك لسانا وعادة وعرقا » .

ثم قال عن ادباء جيله ، وما ينتظر ادب المهجر من ضياع ، وغربة ، ونسيان :

« ومتى اندرس هذا الجيل تندرس معه الجالية المغتربة كهيئة اجتماعية ويصبح تفكيرها محصورا في سلعة ، ويغدو شعورها منوطا بآلة . فتدرك عندئذ مقدار النكبة يوم لا تسمع رنة لقافية عربية ، وتطلب الادب العربي فلا تجد له معلما » .

يا لها من حكمة ! ، ويا لفظاعتها ! . لقد وجدت ولمست ، ورأيت يا اخي — حبيب — آثارها وانت عائد الى وطنك لبنان ، ومغادر للبرازيل . وقدمت روحك ضحية تنزف دماءها على تربة الوطن الذي وصفته بالجمال ! والقبح !

ترى هل يسمع المنصفون ، ويتحسس الوطنيون ، ويتكلم المحبون لادب المهجر ، فيحركوا اقلامهم ، ويوقظوا ضمائرهم ، وينشروا كتاباتهم في الحفاظ على قومية ادب المهجر العربي ، وصيانة آثاره ، وجمع تراث ادبائه وشعرائه وخطبائه ، والاهتمام بعودة صحافته العربية ، وتعليم ابناء واحفاد واسر الاوائل منه ، لغتهم ، ومكارمهم ، وتقاليدهم الشعبية ، وصلتهم بأوطانهم الام ؟ وان يجمع كل ما كتبوه ، ونشروه ، والفوه من نثر ، وشعر ، وصحافة ، في العربية واللغات الاخرى التي عاشوا مع سكانها ، وتحدثوا بلغاتهم . كالاسبانية ، والبرتغالية ، والفرنسية ، والانكليزية ، وان لا يقتصر الامر على القارة الاميركية بشمالها ووسطها وجنوبها ، بل يجب الالتفات الى ما تركه المهاجرون في (افريقيا) الشاسعة السوداء .

قال الشيخ حبيب مسعود ، يصف الاديب المغترب :

« الاديب المغترب هو الاديب الضائع الذي افنى عمره من اجل قومه ، ولغته ، فما اصاب سوى افتئات المقيمين ، واهمال المغتربين . انشأ الصحف واصدر الكتب واعتلى المنابر ، وعمر المحافل ، فعاش مهملا ومات معدما » .

ثم ذكر قوله : « حمل لواء العروبة في ديار غربته ، وناضل في سبيل عصبته فما ظفر بغير البلغة . واكب قوافل عشيرته النازحة فكان حاديها ورسولها ولسانها وبشيرها ومؤاسيها ، مستشهدا كل يوم في سبيل لغة لا تكفل له حتى الكفن » .

ومن قوله عن لبنان وزيارته له بعد غياب طويل :

« لبنانيا رحلت ولبنانيا عدت ، وعربي اللسان ذهبت ، وعربي اللسان رجعت ، مؤمنا بروحانيته لشرقية هاجرت . ومؤمنا بها قفلت » .

« حملت لبنان في قلبي والعربية على لساني وقلمي فاديت ما استطعت رسالتي للبنان والفصحى » .

ومن كتابته عن (جبران خليل جبران) قوله :

« كان جبران مع الرعيل الذي ايقظ الفكر وقوم الحرف وحرر الكلمة واستنهض الهجع في الشرق العربي لكنه كان والريحاني امين ، بين جميع الغضاب لكرامة امتهم ، اعلاهم صوتا ، واجراهم قولة ، واصرحهم خطابا ، واشدهم اخلاصا . في عهد كانت العروبة اشبه بالسديم الهائم الذي لم يتخذ بعد شكلا » .

وعن رسالة العبقري قوله :

« في راينا ان لكل عبقري رسالة يؤديها بالنحو الذي تختاره القوة الكامنة في كيانه . والرسالة الاصيلة هي التي كلما قدمت ازدادت رسوخا وانتشارا وكسبت اشياعا وانصارا » .

« ... ورسالة (جبران) على حداثة عهدها قد اصابت من الاقبال والانتشار في مختلف الاقطار ما يثبت ان مصدرها احد تلك الينابيع الروحية التي تنبثق بين حقبة ، وحقبة من الزمن » .

ان للاستاذ الفقيد الشيخ (حبيب مسعود) مكانة في نفوس محبيه ، ومقدري ادبه ، وعارفي فضله في صيانة اللغة العربية ، في هجرتها الى ديار الغرب وسيأتي الزمن القريب الذي سيكتب فيه المؤرخون للادب المهجري ، ما خطه اولئك الرواد الكبار ، من آثار قلمية هي من مفاخرهم ، وسر خلودهم ، ودوام محبتهم في القلوب ، وفي خواطر النفوس .

وتحية لروحه الكريمة ، واحتراما لاخوانه الذين فقدوه ، في الوطن والمهجر .

اهم المصادر والمراجع :

١) ادبنا وادباؤنا — في المهاجر الاميركية — للاستاذ جورج صيدح ط/٣ — بيروت ١٩٦٤ .
٢) ادب المهجر — للاستاذ عيسى الناعوري ط/١ — القاهرة ١٩٥٩ .
٣) فنون النثر المهجري — للاستاذ عبد الكريم الاشتر ط/٣ — بيروت ١٩٦٥ .
٤) الشعر العربي في المهجر — للاستاذ محمد عبد الغني حسن ط/١ — القاهرة ١٩٥٨ .
٥) النثر المهجري — للاستاذ عبد الكريم الاشتر ط/١ — ١٩٦١ .
٦) جبران حيا وميتا — للاستاذ حبيب مسعود ط/٢ — بيروت ١٩٦٦ .
٧) مجلة العقيدة — العراق ١٩٤٩ .
٨) مذكراتي الشخصية .

جامعة بغداد — كلية الآداب محسن جمال الدين

دمعة على «الاديب»

بقلم الدكتور خوان فرنيه

Prof. Dr. Juan Vernet

ترجمها عن الاسبانية

انطوان خاطر

* * *

كان ذلك منذ سنوات عديدة ، في اوائل الاربعينات ، عندما بدأت دراسة العربية في معهد مغربي ، معهد « القصر الكبير » الذي كان يضم في قاعاته طلابا مسلمين ويهودا ومسيحيين . بدأت عندئذ اتصالي بالادب العربي المعاصر ورحت اتكلم العربية الفصحى فما كان بامكاني ان اتفاهم والاميين بل كان تفاهمي يقتصر على المثقفين في المدينة الذين كانوا يرون في فرض اللغة المستعملة عندئذ (واليوم ايضا) بنسبة كبيرة في الاذاعة وتستخدم في جميع الصحف التي تنشر من حدود الخليج الى الاطلسي ، كانوا يرون في ذلك وسيلة لتجديد الوحدة الثقافية في عالم مزدهر سابقا استمر على رأس الحضارة طيلة خمسة اجيال

وطبيعي ان يكون اصدقائي قوميين مندفعين ، وفي الوقت الذي كنت اتمرس على الكلام بلغة كنت احسن الكتابة فيها الى حد ما — نتيجة دراساتي في جامعة برسلونه — ما كانوا ، هم ، يكتفون بتبشيري بوجهات نظرهم السياسية — الاستقلال — بتهذيب شرقي رفيع ، لا ادري اذا كان يحافظ عليه بعد ، لكنه كان عندئذ قاعدة . وهكذا كان يمكنني ان اشتري بسهولة الجرائد السرية التي كانت تهرب من طنجه ، كما كان يمكنني ان افهم تلميحات خاطفة ما كان ليدركها القراء الآخرون . واذ كنت افكر بأنه سيتوجب علي يوما ان اقف امام لجنة فاحصة في مباراة ما بلغ بي الامر ان رحت احل كلمات متقاطعة .

على ان اكثر ما اشكر هؤلاء الاصدقاء عليه انهم عرفوني اولا بمجلات ادبية محلية ثم بمجلات من العالم العربي في المشرق . ولا اذكر الآن من مجموعة تلك المجلات الا اسم « الاديب » .

غير انني ، على هامش توجيهاتهم ، اكتشفت من جهتي مجلة ادبية اخرى كانت تصدرها هيئة الاذاعة البريطانية في لندن باسم « المستمع العربي » وذلك في خدمة الدعاوة الحربية البريطانية . كانت المجلة تصدر مصورة في حلة رائعة تحررها اقلام عربية من الدرجة الاولى .

وكثيرا ما كانت تظهر بمظهر تعليمي ادبي جدير بالقبول . وقد اضع دراسة يوما ما لابين تطور الدعاوة التي كانت تحملها صفحاتها بشكل مبطن بارع .

وعلى العكس من ذلك كانت « الاديب » تصل الي بصورة متقطعة تحمل تواقيع مختلفة عن تلك . ومع مضي السنين ، عندما رجعت الى برسلونه ، راحت تتوثق علاقتي مع ناشرها البير اديب ، الذي راح يرسلها لي بصورة منتظمة وان يضمن صفحاتها اخبارا عن اسبانيا وبنوع خاص عن الكتاب العرب المغتربين في اميركا الجنوبية . وهكذا كانت « الاديب » تصل الي بشكل منتظم شهرا بعد شهر وسنة بعد سنة ، وكانت توقفني على حركة الادب العربي ليس فقط في الشرق الادنى بل على تطور هذا الادب ايضا في اميركا اللاتينية بحيث انني ، استنادا الى معلوماتها والى مواد تلقيتها من المغتربين انفسهم ، تمكنت من ان اكتب منذ فترة قريبة ، مقالا صغيرا بعنوان « ادب جديد اسباني عربي » (١٩٧٤) تحدثت فيه عن هؤلاء الكتاب في بوينس ايريس ، وخوخوي ، وسنتياغو دي تشيلي ، وسان باولو الخ . حيث ما زالوا يحافظون على لغتهم حية .

لكن يبدو ان « الاديب » التي كانت تصدر في بيروت قد قضي عليها نتيجة الفتنة التي تعصف بلبنان منذ سنتين . واظن ان العدد الاخير الذي استلمته — لا اريد ان انظر اليه — يعود الى اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٥ . وبعد ذلك كان الصمت . وما كان قلقي اولا على المجلة بل على ناشرها الا نسبيا . اما بعد اطلاعي على فظائع الحرب ومقالات الكوفيرو في جريدة « لافانغواردیا » ومحاولاتي الفاشلة في الاطلاع على مقره (ناشر الاديب) فقد جعلني كل ذلك افكر بحدوث الاسوأ .

آمل ان اكون مخطئا وان اعود فأستلم ، في اي يوم يأتي ، عددا جديدا من « الاديب » ، او ديوانا ما من ناشرها او من ابنته هدى . اما الوالد فأعرفه بالمراسلة وبمقالاته وبديوانه المشهور « لمن ؟ » (١٩٥٢) ، المكتوب بالشعر الطلق والذي يضم القصيدة المشهورة « وفاء » :

لم احببك يوما
بل احببت فيك نفسي
وانعكاسات رؤاي الحالمة

Camp de l'Arpa

(*) عن المجلة الاسبانية عدد يناير ١٩٧٧

اغلى من العمر

من كـل حلو شهي ... الحـب أشهى وأحلى
يبلى الزمان . وحبي ... باق لهـا ليس يبلى
ففـي هجـيرة عيشي ... منـه تفيـأت ظـلا
بحبهـا العمر غـال ... لكنمـا هـي أغلـى

بغداد ص.ب ٢٢٠٣٨ ... محمد جواد الغبان

واعرف انني في خاطرك
لم اكن غير انتقام
لحب اضعته

عشنا معا
فتالفت منا اسطورة كاذبة
غصت بها روحانا ألما
وعرفتنا الدنيا انشودة خالدة
فيا لهوان الهوى

لست لي ولم اكن لك

سأذهب وتذهبين
غريبين عاشا معا
وابقيا من بعدهما
... اكذوبـة ...

ان هوايتـه لـلادب العربي في اميركـا الجنوبية ـ وللادب الاسباني ايضا لانه غالبا ما كان ينشر في مجلته ترجمات لخيرة شعرائنا او للشعراء العرب الذين يتناولون موضوعا اسبانيا ـ قد تكون نتيجة ظروف مولده ، هذه الظروف التي أجهلها والتي جعلته يبصر النور في مدينة ميثيرال دل اورو (المكسيك) سنة ١٩٠٨

واذا كان البير اديب قد كتب لي دائما بالعربية او قرأته بالعربية ، فليس هذا ما يحصل مع ابنته هدى ، الشاعرة بلغتين : العربية والفرنسية ، ذلك ان لبنان كان يظهر ، حتى الامس ، بوتقة الشرق حيث يمكن ان تتعايش الاجناس واللغات والاديان وما كان بغريب استعمال وسيلة للتعبير او اخرى . وفي لبنان كان يجد ملاذا اللاجئون ، الى اية ايديولوجية انتموا ، او المغنون الفكاهيون الذين كانوا يتجرأون على نقد القائمين على شؤون الحكم في بلادهم . عندما كان « الكوفيرو » يصف منذ بضع سنوات في « لافانغواردیا » السياسة الادبية التي حملت العديد من شعراء الزجل على الهجرة كان يشيد بكون الزجل الذي نشأ في الاندلس منذ الف عام عرف ان يتكيف ومختلف الظروف ليطلق قصائده المرتجلة والمتفاوتة رقيا وفنيا بحسب عبقرية كل شاعر ليتحول ، عن قصد ، الى عمل فني دقيق او الى هجاء سياسي .

هذا هو لبنان الذي تراه يتوارى هدى اديب .

انني اجهل ما يخبئه الحظ لبلدها . على انني اخشى ان لا يعود يرى في المستقبل ... وحياديا وان لا تعار اهمية للغة كل مواطن فيه او لدينه . واخشى ان ترى صاحبة الديوان « الشارع ، المدينة ، الرقم » (١٩٧٢) ـ بالعربية ـ و Parenthèse (١٩٦٨) و Demi pause (١٩٧٠) ، اخشى ان ترى نفسها ، بوعي او بلا وعي ، تفضل احدى لغتيها على الاخرى ، لانه كائنا من كان المنتصر ، فـان لبنـان موحـدا كـان او ... الـى البلدان المجاورة ، لن يبقى منه الا ما يعجز الانسان عن هدمه : هذا الاطار الجغرافي الذي يعكسه كأجمل ما يكون واحد من شعراء العامية في لبنان في قصيدته « جبلي الاخضر » .

وواضح ان لبنان الجغرافي هذا سيستمر موجودا مهما كانت التقلبات السياسية . لكن ما سيكون من امر سويسرا الشرق ؟ ما سيكون مصير حريته ؟ ما سيكون ؟ !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عيسى فتوح

علاقة الوصف الادبي بالتحليل

بقلم عيسى فتوح

* * *

يتناول الوصف الادبي تحليل المشاعر والاحاسيس والاهواء والنزعات ، وجميع هذه العناصر ضرورية للكاتب ... الا ان ذلك لا يخلو من الصعوبة ، يقول الباحث الفرنسي لانسون (١٨٥٧ ــ ١٩٣٤) : « يمكننا ان نتخيل الاشياء المادية ، اما الصعوبة الحقيقية فتتمثل في وصف الحالة النفسية ، سواء شعرنا بها ام لم نشعر » . ومتى قال احدنا : انا فرح ، او غضبان ، او اكره ، او احب ، فهم من ذلك انه ليس عنده شيء يعبر به .

قد يدرك الانسان كل ما يتصل به من احاسيس ، لكنه لا يحسن التعبير عنها ، فلماذا هو حزين او غضبان ؟ وكيف غضب ولماذا ؟ هذه اشياء يجب ان يأخذها الاديب بعين الاعتبار .

على انه يجب ان نفرق بين الاحساس الانفعالي والاحساس التصوري ، فالاحساس الانفعالي يدركه الانسان العادي ، كما يدركه كل اديب ، ولكن لا يحسن التعبير عن هذه الانفعالات الا الاديب العبقري . فحينما اراد شاتوبريان ان يصور « مرض العصر » في ايامه ــ وهو عبارة عن الحزن بلا سبب او غاية ــ جاء بقصته « رينه » . لم يقل ان بطله يبكي ، او انه حزين ، بل اخذ يذكر الالفاظ التي كان مجرد ايرادها كافيا لاشعار القارىء بأنه امام مشهد حزين .

يقول شاتوبريان : « فاجأني الخريف في غمرة قلقي واضطرابي ، فاستقبلت شهر العواصف بغبطة وسرور ، وتمنيت لو اكون احد اولئك المحاربين الذين يعمهون وسط الرياح والسحب والاشباح ، وكنت اغبط الراعي على حظه ، فاسمع اغانيه الحزينة التي تذكرني بأن لحن الانسان الطبيعي حزين اسيان في كل مكان ، حتى وهو يعبر عن السعادة والهناء . رحت أتيه في الفيافي الواسعة ، والغابات ، فكان اتفه شيء يردني الى احلامي : الورقة الهشيم تذروها الرياح امامي ، او الكوخ يتعالى دخانه فوق رؤوس الاشجار العارية ، او الطحلب تهف به ريح الشمال ، فيرتعش على جذع سنديانة ، او سائق العربة يمضي فريدا وحيدا في اقصى الوادي ، او الطيور العابرة تحلق فوق رأسي ، فأتمثل المواطن البعيدة التي تسعى اليها ، واود لو اكون على اجنحتها . الا فهبي ايتها العواصف المنشودة ، لتحملي « رينه » الى فضاءات حياة اخرى » .

لقد كان هدف شاتوبريان من هذا الوصف ان يصور الحزن ــ وهو مرض العصر كما هو مرض بطله رينه ــ لذلك لم يلجأ الى السرد العام ، بل الى سرد ما يختاره من الالفاظ المعبرة لينم بها عن الحالة الوجدانية ، فكل كلمة تقع من اذن السامع موقعها من قلب المصور الموصوف .

ان وصفنا للحالات النفسية يتعلق اما بشخص حقيقي ، او بشخص وهمي ، فاذا كان الشخص حقيقيا ، وجب ان نختار الخطوط الرئيسية او القسمات التي تميزه عن غيره حتى ولو كان اقرب الناس اليه كأخيه او امه ، اذ لكل انسان مزايا ينفرد فيها عن سواه ، حتى ان الخط الواحد ، او الظل الذي يوشح وجه الصورة يكون سببا في نجاح الصورة او فشلها . يجب ان يكون عملنا اذا كعمل الرسام الفنان ، وليس كعمل الفوتوغرافي المحترف الذي يتناول كل ما امامه بواسطة الآلة .

وعمل الاديب الفنان عمل ذاتي ، فهو يختار القسمات ، وينتقي السمات ، ويهمل كثيرا من التوافه والسطحيات ، ولا ينقل الحقيقة كلها ، بل يتجاوب مع الواقع الوجداني العميق .

يجب ان نصور الشخص الحقيقي من خلال حركاته وسكناته ، ونحاول ان نجمع كل ما نعرفه عنه ، ونختار من كل جزئية الشيء الاليق كي يوصلنا الى حقيقته ، فلا ضير اذا في الحديث عن ثيابه ولونه وقسماته ، وحالته النفسية ، وخوالجه ، لكننا لا نتحدث عن هذه الاشياء كلها في آن واحد ، معتقدين ان في امكاننا التعويض بها عن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحقيقة . لان ذلك متعذر في الادب والفن .

ليس لنا امام التفصيلات الكثيرة ، الا ان نحسن الاختيار ، هذا اذا كان المصور حقيقيا منتزعا من ماض خلا او حاضر موجود ، اما اذا كان الشيء المصور وهميا ، فيجب علينا ان نضع انفسنا في موضعه ، فنتساءل ما عسى ان تكون تصرفاته في هذا المقام ، والى اي شيء ينزع بفطرته ، فاذا استطعنا ان نتلمس الطريق لتلك الخصال الاساسية ، نكون قد دنونا من ايجاد مخلوق فني ، وهذا المخلوق الوهمي يسمو احيانا عن الشخص الحقيقي الذي نجده في الحياة . كما اننا بعملنا هذا نكون قد احيينا ذلك الوهمي في اعماق نفوسنا ، والبسناه الصيغة التي يمكن ان يلبسها لو كان موجودا . اننا غالبا نخترع بعض الابطال ، ونخلق لهم صفاتهم ، لكننا نضفي عليهم الكثير من مشاعرنا واحساساتنا .

صحيح ان الخيال الخلاق يستطيع ان يصف الانسان الموهوم ، لكنه يجب الا يبنيه على الوهم وحده ، لان الوهم في الادب انما يبنى على الموجود ، مما قراه الكاتب او جربه او رآه ، فاختزن الصورة في اعماق نفسه ، وراح يغذيها وينميها عند الحاجة .

وكثيرا ما يتعرض الوصف الادبي الى المزالق عندما يغالي الاديب في تصوير الاشخاص — وهميين كانوا ام حقيقيين — من خلال ذاته (الأنا) فيصبح بذلك نارسيسيا ، والنارسيسيون هم اتباع مذهب النارسيست الذين يوصفون بالانانية ، ويعبر عنهم بسجناء الأنا او الذات .

لقد اكثر الشاعر الرمزي بول فاليري من وصف هذا المذهب في قصائده ، والحقيقة ان الأنا والانانية مفهومان فهما ادبيا فنيا هو ابعد ما يكون عن المقياس الاخلاقي ، فلفظة اناني تعني فكرة اتخاذ النفس مرآة لتصوير الشاعر نفسه ، ولكل ما يريد تصويره ، كالعالم والناس من خلال نفسه ، فالأنا عنده نسخة عن كل انا ، وكيانه نسخة عن كل كيان .

ولهؤلاء طقوس وشعائر وعبادات الفن ، ولكن هذا لا يلبث ان يصبح حياة للأنا ، حتى ليوشك احد اتباعهم ان يعبر تعبيرا صوفيا عن كل شيء ، فالسماء ما هي الا نفسه حين تهدأ ، وما الوردة الا نفسه حين تصفو ، وما الشح الا نفسه حينما يمر بلحظات الاعياء الفني . يقول الشاعر بول فاليري :

اما انا نارسيس المحبوب فلست ابالي

الا بذاتي وكياني

وليس لشيء سواي عندي الا قلب غامض

وكل شيء سواي ليس الا عدما

احب ، وليت شعري

من يستطيع أن يحب غير نفسه ؟ !

فهو معشوق وليس بعاشق ، وهو يذكر نارسيس المعشوق ، ويغفل ذكر محبوبته « ايكو » لكي يبالغ في تقديس الأنا ، وكل ما عداه فهو العدم . وعلى العالم الخارجي ان يراه هو على شكله الحقيقي ، او بتعبير ادق على جماله الحقيقي ، وليس عليه هو ، ازاء ذلك كله ، الا ان يكون اشبه بالمرآة الصافية التي بثتها الطبيعة في كل مكان ، في المياه الراكدة التي لا تجري .

هذا الغلو في تجسيم الأنا له تفسيره الخاص عند المحللين النفسيين الذين يعدون ذلك مرضا ، او هو من قبيل العواطف المريضة ، وكل عاطفة مريضة لا يمكن ان تكون عنصرا ادبيا ، ولا شك في ان النارسيست نوع من العواطف المريضة ، او هي مرض النوراستنيا الذي منه جنون العظمة .

ومن طريف ما يذكر عن نارسيسية بول فاليري انه في قصيدته عن « بارك الصغيرة » جعلها مؤنثا ، وجعلها تقول بوجد وصبابة : « رأيتني أرى نفسي » ، وراح يضع في فمها هذه الكلمات : « هذا الجانب السري في قلبي الهيمان ، ما اقدره على الاتساع في ليلتي الموحية ، وعلى تعميق فني في التجارب الحالكة ! » .

ويخف هذا الغلو في تقديس الأنا عند مونتين ، ولكن هذا التقديس يظل لونا من تحليل النفس والذات ، اي تحليل الكاتب لنفسه بنفسه ، فحينما قدم مونتين كتابه « الايمان الصحيح » عرضه بهذه الكلمات :

« انما صدرت فيه نفسي ، فأنا بذاتي مادة كتابي » . ويأسف مونتين لان المجتمع منعه من ان يصور نفسه عارية كما اراد ، ثم يعتذر بأن الحقيقة لا تقال ، وما كل ما يعلم يقال ، ولو عرض الحقيقة كلها على الناس لأجفلوا منه .

ويرى مونتين ايضا ان حياته وفنه شيء واحد ، فقد قال لهنري الثالث : « كتابي هو نفسي ، ولا يشمل الا حديثا عن حياتي واعمالي » وهذا صحيح لان احدنا لا يرى العالم الا من خلال نفسه ، ولا شك ان اروع كتاب ينتجه الاديب ، هو الذي يكتب فيه سيرة حياته بنفسه ، ومن هنا اعتبر كتاب « الاعترافات » لجان جاك روسو ، من اروع ما كتب في الادب الفرنسي .

دمشق

عيسى فتوح

الدكتور سليمان النجار

الشاعر الرهاب من تسليط الانوار

بقلم عجاج نويهض

* * *

امامي ثلاثة من دواوينه ، « مشيناها » سنة ١٩٦٦ ، و « هديل » سنة ١٩٦٧ ، و « يا جناني » (بفتح الجيم) سنة ١٩٦٩ وصدر له بعد ذلك ديوان احسبه متفرقات على ما اعتقد اطلق عليه اسم « شتى » لم اره كما اني لم ار ما صدر له بعد ذلك وهي فترة تقارب عشر سنوات ، والمرجح انه بقي على غزارته الكوثرية الترياقية القليلة النظير .

اما الدواوين الثلاثة التي ذكرتها هنا فهي على حَجم واحد وسط ، والطباعة انيقة والورق صقيل ممتاز ، ولبعض الحروف حركات ، والبيت من الشعر يشغل سطرين ، والصفحة الواحدة لا تحتوي على اكثر من ٤ او ٥ ابيات . وفي « هديل » مذكور تاريخ نظم معظم قصائده ، وجمال هذا الشعر يستحق هذه العناية بالاخراج .

وقبل ان نتكلم شيئا نصف به الشاعر وشعره ، نرى ان نقدم الى القارىء الكريم معظم المقدمة الصغيرة التي وضعها الشاعر نفسه في الديوان الاول من دواوينه « مشيناها » ، فقال :

« خواطر سنحت ، وتجارب عانيتها ، واحداث عشتها وعايشتها ، ها هي كما تمثلت في مشاعري ، البستها من الاثواب ما ارتضاه طبعي ، واعرتها من الالحان ما هذب على تذوقه سمعي . نظمتها لنفسي ، ارضاء لملكة ، واشباعا لهواية ، وتنفيسا لعاطفة جائشة ، في فترات من الزمن ، متقاربة تارة ، متباعدة اخرى ، خلال عقود خمسة ، هي عهود النضج والانطلاق .

« لم تكن تدور في خلدي قط فكرة نشر هذه القصائد في مجلة او في كتاب والا فما كنت لأتأخر عن ذلك الى اليوم ، وقد مضى على الكثير منها عقود وعهود . ان اقصى ما كنت افرض انها تعرض له هو تلاوتها على نفر من الاصدقاء متذوقي الشعر ، في سهرة عائلية او في جلسة سمر . وما اقدمت على نشرها الآن الا عملا بمنطق هذا الزمان ، واقتناعاً بما اشار به بعض الاخوان ، فرأيت ، بعد لأي ، ان لا ضير من ذلك ، فللذكرى على الاقل ان لم يكن لاعتبارات اخرى . قد تختلف الاذواق ، وتتعدد الاهواء ، وتتضارب الآراء في مذاهب الشعر والوانه . لعل اذواقنا تتجاوب وآراءنا تتساير فتجد فيها المتعة المنشودة .

حتى قال : « ... وها اني اضع بين يديك الكتاب الاول بعنوان « مشيناها » ، وهو رجع صدى التأمل في الوجود ، ونظرة شاملة الى الحياة ، ومعالم احداث عشتها منذ الطفولة الى عتبة الشيخوخة ، في مقطعات متوازية ضمتها اناشيد اربعة ، مع بضع قصائد متفرقة . اما الكتب الاخرى فأعتزم اصدارها تباعا » .

ونحسب ان شاعرنا الصديق القديم الدكتور سليمان النجار الراسخ القدم في الشعر المطبوع ، قد اعرب بما نقلناه من مقدمة الديوان الاول ، عن مكنونات نفسه بعبارات وجيزة كافية ، والآن نقول :

ان الدكتور سليمان النجار قد جمع بين الطب والشعر ، وكثيرا ما نرى الازدواج في عالم الادب العربي وعلم من العلوم كالطب والهندسة والقانون والقضاء وغير ذلك . ولكن اذا كان الدكتور سليمان النجار قد درس الطب في الجامعة الاميركية ، وكان بعد ذلك الطبيب الانساني الذي لا يعوزه عهد ابقراط ، فانه في الشعر لم يتخرج الا من مدرسة الاستعداد الفطري ، قبل نيله شهادة الطب وبعد ذلك ، فالشعر الذي فيه لم يجئه من صناعة ، بل من كونه خلق ليكون شاعرا ، وشعراء الفطرة لا يكونون في قولهم الشعر ، الا كترنيمة الطائر وزقزقته ، على الغصن الميادِ في الروض الاريض . وتسمع الموسيقى من آلات ، وهذه مهما استولت على احساسنا فهي بنت صناعة . فالطب يمكن ان يحصله من يريد واما الشعر فلا . فالشعر الفطري غذاء روحي نفسي ، والرغيف غذاء للجسم المؤلف من شرايين .

انطباعاتي عن الدواوين الثلاثة التي ذكرتها :

اولا ــ بساطة ، عذوبة ، نعومة ، كلها من وراء الغاية .

ثانيا ــ شاعرنا الدكتور سليمان النجار بلسم للمجتمع الذي يعيش فيه عن طريق شعره . وخاصة انفاسه الغزارة ، ولكنه مهما اطال ابياته ، تجلت آياته .

ثالثا ــ تلمح جيدا وانت تقراه ، انه عرك الدهر والدهر عركه .

رابعا ــ لا يغرنك اختلاف الاسماء على دواوينه هذه الثلاثة التي قرأتها ، « مشيناها » ، و « هديل » ، و « يا جناني » ، فهو هو ، هنا وهناك وهنالك ، بقلبه المترنم الطري ، فاذا شربت من راس النبع ومنبجس المياه ، بكوب بلوري او قدح زنجبيلي ، او كأس من فضة او

جمال شامل

ترقـرق مبسمها عـن سنـا ... خلوب يشعشع سحر الشفاه
تضـيء لآلئـه ناظـري ... وان شب بـين ضلوعي لظاه
يولـول قلبـي علـى نـاره ... ويسأل : أي مصـاب دهـاه
فصحت بها ، ويك لا تبسمي ... فقد جاز بـي شغفي منتهاه

فـردت بنظرتهـا منطقـي ... فلـم أر أفتـك مـن عينهـا
وميـض تألـق في لجـة ... مـن الموج تزخـر في جفنها
وأهدابها في شطـوط الغديـر ... رمـاح تأوهت مـن طعنهـا
فصحت بها ، ويك ، ان تنظري ... فلن تنجو النفس مـن حينها

فقامـت كمغضبـة تتقـي ... ثنائـي فابدت رشيق القـوام
كغصـن تخايـل في روضـة ... تغازلـه قبـلات الغمـام
أنيـق بهيـج كساه الصبـا ... رواء يهيـج شجـى المستهام
فقلـت اجلسي لا تزيدي بـه ... هيامي فمـا بعده مـن هيام

فصاحـت أتمنعنـي فتنتـي ... فأغـدو جامـدة كالحجـر
فأدهشنـي صوتهـا ناعمـا ... كـأن لـه نغمـات الوتـر
رقيـق صدوح يهـز الحنـين ... ويرسم للسمع شتـى الصور
فصحت بها ، ويك لا تنطقي ... فروعـة صوتك احـدى الكبر

فأغضت ومـا نطقت لفظـة ... وقد يبدع الصمت أشهى المقال
فقلـت اعذري معجبا سائجا ... اذا راح يطلب منـك المحال
تعـدد حسنـك في عينـه ... فعـاد علـى عقلـه بالخبال
لكـل فتاة مـن الحسن فـن ... وعنـدك كـل فنـون الجمال

القاهرة ... محمد رجب البيومي

ذهب ، فالماء واحد والعبرة به لا بما تشرب به . فالنجار ينتقل بك من مشهد الى مشهد ولكنك تظل محمولا على بساط ريحه ، وانفاسه المعطرة هي هي .

خامسا ــ في جوانب الالم من نفسه ، الالم العميق ، فأنت تدور معه على انغامه الجذابة ، ولكنك لا تعلم « الحادث » او « الواقعة » ، او « الغائب المبكي » على الوضوح الا قليلا .

سادسا ــ خلق ليشعر مع جميع الناس على اختلاف الوانهم واجناسهم ولغاتهم ومواطنهم واديانهم :

ناجى ، كما ناجى غيره من كبار الشعراء « الله » جل وعلا ، في نشيد عنوانه (الله) في اكثر من ٤٠ بيتا اليك منه هذا القليل :

عبدوك في دكن الغيوم وفي الرياح العاصفه
خالوك في وهج البروق وفي الرعود القاصفه
ضرعوا اليك تدق اضلعهم قلوب واجفه
يستعطفونك بالنذور وبالضحايا النازفه
حسبوك تسكن في الرسوم لدن تخط لك الرسوم
وتحل نفسك في الدمى والروح في وثن تقيم
يزجى اليها الابتهال ويعبد الحجر الدميم
ليس الملوم المؤمن المفتون ، فالجهل الملوم

ولكن العلامة البارزة في شاعرنا الفطري النجار انه هارب من مواضع تسليط الانوار ، فيجتنب المروجات لشعره ، مكتفيا بانتشار الدواوين واقبال القراء عليها ، ويبقى العربي المثالي في شيمه واخلاقه وعروبته .

رأس المتن ــ لبنان ... عجاج نويهض

استهلته في تلك الليلة — وهي تراوغه داخل الكوخ — بقولها انهنا امراة فقيرة ، ومع ذلك فليس من السهل الضحك عليها .. ولئن كانت لا تعبس في وجهه كلما التقت به عند ملاحته ، او في الطريق فهذا لخوفها من فقدان حفنة من الملح .. وحاولت الاندفاع صوب الباب وهي تصيح مجيبة :

— لا .. ابدا .. انك لم تصادف هوى في نفسي البتة .. يا للمصيبة ... ! انك بذلك تسيء سمعتي يا حمدان ..

— يمينا ان ما على لسانك لا يمت بصلة الى ما في قلبك .. قلبك يناديني ... ولكنك تخشين المصارحة ..

ولاحساسه بسرورها الخفي لعدم افلاحها في اخفاء عواطفها تجاهه ، استطرد قائلا :

— لا تعملي حسابا للناس ، طالما هم يتجاهلونك ، بل ابدئي بايذائهم ..

— تلك هي طبيعتك ..

— ابدا .. انها لعادة — مرة — اكتسبتها من الناس .. هيا ..

— اني اعيش من اجل طفلي اليتيمين ..

فصاح فيها زاجرا ، لتكف عن استدرار عواطفه ، حيث ان مجرى العواطف عنده قد جف منذ الصغر .. على انه طالما تساءل عن سبب حبه لها .. وهي بالذات ، رغم من في القرية من نساء وفتيات .. غير انه لم يجد صعوبة في الجواب .. حيث انه يرتاح لجمالها ، الذي يفوق جمال نساء القرية بأسرها .. ولئن كان يسهر بالمقهى التي كانت تديرها ام عواطف — تلك البغي — التي لا تكف عن التشاحن مع ابنتها حيث تود الاستحواذ على زوج الاخيرة لنفسها ... الا انه يعافها ولا يدري كيف يتهافت عليها حسن الصعيدي — ذلك الفتى الغندور — ومعظم شباب القرية ؟ واردف قائلا :

— حتى زوج ابنتها ذلك المتنطع ..

— ان لفي عينيها جاذبية .. انك لم تنظر اليها عن كثب ..

— هذا لهيامي بك .. ولكم سهرت هناك للحصول على مبتغاي .. الا اني اعود آخر الليل لاهتف باسمك ، وانا وخدي في الكوخ ..

وذكرها بتلك الليلة ، عندما سقطت في الترعة اثناء عبورها ،



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم محمد حسين عبد المجيد

بينما لم ينتشلها — بين ذراعيه القويتين — غيره ، اختواهما الكوخ الذي لم يكن به احد غيرهما .. ثم هتف قائلا :

— تماما كهذه الليلة .. ولكنك كنت ترتعدين من البرد ، فدثرتك بمعطفي ، ورقدت في فراشي ... بينما اضرمت لك النار ، لتستدفئي ، ولتجف ثيابك ... آه ... كنت رائعة ، واسنانك البيض تصطك ..

واستطرد قائلا في تحسر ان اللهب كان يسكب ضوءا باهرا على مفاتنها الخلابة بينما كانت سلبية تماما الى ابعد حد .. ونعت نفسه بقوله انه كان اعمى . لانه لم يدرك مقدار ما كانت عليه من فتنة ... فعقبت هي قائلة في عتاب مشوب باللوم :

— الم تكن انت السبب في ذلك .. ؟ الم اكن احضر لك طلباتك من حانوت القرية يا جاحد ... ؟

— بل انت الجاحدة ... وتذكري انك مدينة لي بحياتك .. فلولاي لمت غرقا ، لكن القدر ارسلني اليك ليلتها .. كنت اسير على الجسر الذي كانت تكنسه رياح الشتاء القارس ، عندما تناهت الى اذني صرخات استغاثة ..

ومضى قائلا انه لطالما كان يرقبها كلما عرجت الى الكوخ للارتواء من قلته الباردة ، او كلما اتت فرارا من القيظ ، لتستظل تحت السقيفة .. وهز راسه في اسى وهو يقول :

— كنت ترتوين بمائي ، بينما انا ظامىء اليك .. ولقد صبرت بما فيه الكفاية ..

واندفع صوبها ليمسك بذراعها .. ولقاء ذلك تلقى منها صفعة قوية جعلته يهجم عليها ، ويحتويها بين ذراعيه ..

— اجننت يا حمدان .. ؟

— جننت بك .. اصرخي .. فهذه فرصتي ..

وضغطها بقوة جعلتها تتأوه بين ذراعيه ، وهي تناضل قائلة :

— لن تنال مني .. ها هي بندقيتك معك ، اطلقها علي ..

— بل افرغ رصاصها في راسي اذا انا تركتك تفلتين .. اصرخي .. فكوخي في احضان الصحراء ، والرياح تزمجر .. والمطر يغرق الدنيا .. لقد اكلت الغيرة صدري وانت تخطرين رائحة ، غادية مع ذلك العجوز .. وهل هناك غيره .. ؟

— عم عبادي رجل عجوز .. ومع انه لا يضن علينا بشيء الا انه

يخشى القيل والقال ..

وحاولت انتزاع نفسها .. فهددها بقوله انه لديه من الحيل ما يحملها على التسليم .. اذ يمكنه تعليق البندقية في عنقها ، واقتيادها الى المركز .. وهنالك سيتولى امرها السيد المأمور ، الذي سيوجه اليها تهمة سرقة سلاح اميري اولا ، وتهمة سرقة الملح ثانيا .. واردف الخفير قائلا :

ـ ولكن مع كل ذلك لن تهوني علي ، بل اغترفي من الملاحة ما تشائين .. وكوخي لك بما فيه .. لك وحدك ... وانا لك ايضا ..

وراح يلاطفها .. ويسكب حلو الكلام ، ورقيق الهمس في اذنيها ، الى ان سادهما الصمت .. بينما الرياح تصفع جوانب الكوخ وتلفه بجزام الليل البهيم ..

* * *

وفي صباح يوم جار ، تهالك عبادي العجوز بجانب كومة من اكوام الملح المتألق تحت الصفحة الزرقاء ، ثم انهمك يلف ساقيه المتورمتين بقطع من الخيش .. وما ان فرغ من ذلك حتى صاح في ابنه متحفزا ، ليعمل بهمة ، قبل ان ترتفع الشمس ، وتزداد حرارتها توهجا ، ثم نهض وراح يخوض المياه البنفسجية الراكدة في بطن الملاحة .. وجفل عندما تراءت له صورة المرأة ـ التي نعم بوصالها خفير الملاحة ـ وهي تتكسر على صفحة المياه الدامية ..

وما ان بلغ اليابسة حتى شرع يعمل جاروفه في كتل الملح ، الذي ينهار في كثير من الاحيان ، ويتسرب منه حيث المياه الراكدة ، فيهدر مغضبا :

ـ يا للملح المر مرارة العلقم ..! حتى الجاروف المصدأ ليس بمستطيع على مواصلة العمل .. لقد اكله الملح .. والدور علي انا .. اسرع يا صابر قبل ان يأتي ذلك الغادر ، فيملأ الدنيا بصياحه . ثم لا يلبث ان يقلب العربة ، ويمرغ الملح في الوحل ـ كما مرغ المرأة التعسة ـ ولا يكف عن ذلك الا بعد ما نسد حلقه بالعشرة قروش ..

والتفت الى ابنه ، ثم غمغم قائلا :

ـ لقد صار وحشا منذ ان زلت المسكينة .. يا الهي .. ! آه .. يا ابن الابالسة .. انه حمدان ، ذلك الذي اطلق بندقيته ..

واحس العجوز ، كما لو ان الطلقة ، قد اخترقت رأسه ، فارتبك ، وصاح ، بعد ما انفلت الملح منه :

ـ الي بقطعة الصاج يا صابر ،



محمد حسين عبد المجيد

لا ادري كيف زحفت المياه الينا ...؟ ام ان الارض تسيخ .. ؟

وتسرب الملح من بين اصابعه العجفاء ، المرتعشة ، وذاب في المياه .. فوقف وهو يضغط على عجزه متألما ، ثم شرع يجفف عرقه المتصبب بردن قميصه الكالح ، وهو يلهث ويصيح بحنق :

ـ الا لعنة الله عليك يا حمدان .. ؟ يا من اشقيت المرأة .. واذللت ضعفها .. ليتني ضربت بما كان سيقال عرض الحائط .. والله لأذيقنك طعم الهوان يا بن الشياطين ..

قاطعه حمدان ـ عندما برز من وراء التل الرابض بجوار الملاحة ـ بقهقهة عالية جعلته يجفل مضطربا في قلب المياه التي يخوضها ، ثم لوح الخفير بأرنب بري ، وقال :

ـ لقد خرقت شتائمك اذني .. ومع ذلك سأكون طيبا معك اليوم .. هات المعلوم ، لأطهو هذا الارنب .. لقد دوخني هذا اللعين .. من الفجر وانا اسعى في الصحراء لصيد فريسة لا يكلفني اقتناصها سوى خرطوشة واحدة ..

وتطلع الى الارنب ، وقال :

ـ يا لك من ارنب تعس ..

ـ آه .. يا شقي انك لا تبالي .. ولكن سيأتي اليوم الذي يتملكك فيه الندم ، وينهش راسك ـ تماما ـ كما ينهش راسي الآن .. يا نجس ..

فلوح الخفير بالارنب الذي يقطر دما ، وقال :

ـ عجل .. واعطني المعلوم .. هذا لا يهم .. اريد ان اعيش .. ام أني بغير ذي بال عند الآخرين .. ؟ لعلك تعرف اني كابدت ، بل ذقت الامرين الى ان حصلت على هذه الوظيفة المحترمة .. ما علينا .. هات ما معك لأعد هذا الارنب الذي صرعته .. ولا تعكر صفوي ..

ـ وهل انت سعيد بمصرعها ..؟ هي التي مرغتها في الوحل .

ـ وماذا يهمني اذا كنت لا اهم احدا يا عم عبادي .. ؟

وضحك ضحكة باهتة ، ثم ذهب يقول ان امه كانت اجمل من ام فتحية .. وعاش والده في صراع معها ، حيث انها كانت تصغر خدها له .. بينما استجابت هي لذلك الشيطان الذي لم يقهره غيره .. والحق انه كان اقطاعيا رهيبا يمتد سلطانه في كل نواحي البلد ..

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وزفر في شبه ارتياح ، ثم قال :

— ارح نفسك ايها العجوز .. انها تمنحني نفسها عن طيب خاطر..

— انك لا تستحي .. سأقابلها ، وامنعها حتى من اغتراف الملح من ملاحتك ..

— حذار من التفكير في مشاركتي اياها ايها المعتوه .. انها انقطعت عني .. ولكني على يقين من انها ستعود الي مرة اخرى ..

— طفح بك الكيل يا عبادي .. طفح بك الكيل ..

وغاص بيديه في الماء ، حيث كان واقفا ، ثم انتزع بعض الحصى والطين ، وجعل يقذف حمدان ، ويمطره بوابل من السباب والشتائم ، مما جعل الاخير يصيح هادرا :

— اخرج ايها العجوز .. والله لاحرمنك من نزولها مرة اخرى ..

— فلتذهب الى جهنم انت وملاحتك ايها العاطل .. اجل .. انك تأكل من كدنا ...

وطفق العجوز يصعد التل ، وهو يرغي ويزبد .. وما ان دنا من حمدان حتى القى بنفسه عليه وراح يكيل له الضربات .. وكاد يهوي بمؤخرة البندقية على رأسه الذي كان قد تلطخ بدم الارنب .. الا انه توقف بغتة عندما سمع صياح غلام كان يعدو ، مقبلا نحوهما :

— عم عبادي .. يا عم عبادي..

وتوقف الغلام ، ليلتقط انفاسه المتلاحقة ، ثم استطرد قائلا :

— ام فتحية .. يا عم عبادي ..

فغر العجوز فاه ، وقد تخلت يداه عن البندقية لتسقط في الوحل ، ثم صاح متسائلا :

— ما لها .. ؟ هه ..

— غرقت .. كانت تجمع المحار عندما طلع عليها البحر فأغرقها ... !!

ما ان سمع حمدان ، وعبادي العجوز نبأ غرق ام فتحية حتى اسرعا عدوا الى البحر بعدما عبرا الترعة بالمعدية .. وهنالك اخترق العجوز — وهو يلهث — لفيفا من اهالي الناحية كان قد سبق ، لرؤية الغريقة .. دنا مفغور الفم ، متعثر الخطوات ، وفي اعقابه حمدان ، ذلك الذي تملكه الشعور بالاثم ..

وما ان رآهما رجب الصياد حتى هتف مطمئنا :

— لا تخف يا عم عبادي .. انها ما تزال بها الروح .. لقد كنت في ذلك الوقت — مندفعا بقاربي — مع التيار — وسط الخيران ، فلمحتها وهي تصارع الامواج ..

وانحنى حمدان — في وجل — ثم جعل يتفحص بائعة الملح المسجاة على رمال الشاطىء ، وبندقيته الملطخة بالوحل والدماء في كتفه .. بينما ذهب من هم حوله يحدقون فيه باستنكار مشوب بالحذر .. فجذبه العجوز ، ليبعده عن المرأة ، لشعوره بأنه هو السبب في كل ما ألم بها .. فرشقه حمدان بنظرة ذات مغزى ، جعلته يتخلى عنه ، لا سيما عندما لاح له الدمع في مقلتيه ..

— ليس لك ان تبعدني عن زوجي يا عم عبادي ..

فغر العجوز فاهه دهشة ، وقال :

— منذ متى ايها النذل .. ؟

— منذ ان جعلتني ابكي .. من الآن ..

فانحنى العجوز على حمدان ، واسر في اذنه قائلا :

— هل ترى ما اراه يا ولدي . ؟

— اجل .. انها ... ولذا سأكون مجرما ، ان لم اتزوجها ، لاني على يقين من انه ابني انا ..

فتمتم العجوز بشفتين مرتعشتين :

— سامحني يا ولدي ، لاني ما تشاجرت معك ، الا لاحساسي بالضيق ، والكمد من اجلها ..

وجعل حمدان يزيل آثار الدماء .. والوحل الملطخة به البندقية من جراء عراكهما قبلما يصل اليهما نبأ الغريقة ..

— أرأيت .. لقد انفض الناس عنا ، بعدما تيقنوا من انها لم تمت ..

— انت السبب في بغضهم لها ، ولك ...

— ولذا لن تعود الى قرية الفار مرة اخرى ..

— هل ضاقت عليها الدنيا ، لتأتي الى البحر .. ؟

تساءلت بذلك عجوز درداء ، ثم اجابت على نفسها قائلة :

— واي حرج في ذلك .. كلنا نأتي الى البحر ، لنجمع المحار ، ونصطاد السمك ، ونستحم ولكن .. لا لنعمى ، الى ان يطبق البحر علينا ، مثلما حدث للصيادين الثلاثة .. عقلي يقول انها ما جاءت الى البحر الا للتخلص من .. من نفسها ..

— عم عبادي .. اطرد هذه العجوز ، التي تحاكي الغربان .. كل الناس فروا من حولنا .

وتناول حجرا ليقذف به المرأة العجوز ، التي اسرعت لتنهض مدمدمة :

— ارح نفسك انها لن تعيش .. لن تعيش ..

وذهب عبادي ، لينقل متاع ام فتحية ، وطفليها الى كوخ حمدان ، حسب مشيئته .. بينما حمل الاخير بائعة الملح ، قاصدا بها كوخه .. وعبارة العجوز الدرداء تطن في اذنيه كنذير للخطر ..

القاهرة **محمد حسين عبد المجيد**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اللحظة

نادر ناشد

القاهرة

جرح اللحظة يطرح ازهار الاحزان
ويجيء الموت ينادي فلا أكفان
يرسم قلق الساعة
غابات النسيان
ينمو حزن الشاعر
يختنق الوجدان
ينمو الطوفان
ينمو الطوفان

يا هذي اللحظة خبئيني
فانا ما زلت في رحم الماضي مدفونا
أبحث عن تكوين آت
عن ثورات ... عن طوفان
وأطل ، بعيني الكلمات العاشقة
عن زمن مبتور الزمان والمكان
نار الطوفان تحرق الابواب

*

شاعرا جئت
وأحاول أن أنادى باسم طقوس الصمت
باسم أسفار الموت الجدب
الحزن ... اللقيا الخرساء
باسم طفولتنا الجرداء
باسم الشاعر الذي يحترق
في نبت الحضارات
فهل من سمع النداء
أسقطوا الابواب
فلا صدى ولا نداء

جئتكم باسم الكلمة
بركانا كان صدى الكلمات
وكانت اذ تنمو كلماتي تبعث رحيق شمس جديدة
والآن اذ تنمو تبعث الجراح الخاسرة

*

تلقيني شمسي بنداء مطلسم
تلقيني بثياب الكلمة الخضراء
برحيق نبيذها المخضل
تتجسد بلا روح
أبحث عن « ميدوزا »
ذات العيون الكلسية
شاهدة العصر المجنون

كل غروب ...
تنتحر اللحظة
وينمو طوفان آخر
آخر اسراري ابعثها من شمس
غارقة في بركان الابدية
في انتظار معان جديدة
لا جديد تحت الشمس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ياسين طربوش المربي والاديب

(١٩٠١ — ١٩٧٧)

بقلم مقبولة الشلق

* * *

اني لا اعلم سر هـذا الحافز الذي يدفع بالكاتب الى الكتابة .. ولا سر هذه القوة التي تصرفه عن كثير من شؤون الحياة ، وتزهده بهـا ، فيسهر الليل باحثا ، محققا ، يضني جسمه ، ويضعف بصره ، لكنه يحس بالسعادة تملأ كيانه عندما ينقل بالكلمة مـا يجيش في نفسه ، فيدافع عن حق ، ويجهر بحقيقة ، ويحقق رأيا ، او يكشف تراثا ، وهو لا يبغي من وراء ذلك مغنما ، بل انه كثيرا ما يصاب بخسارة مادية ، هذا اذا لم يتعرض لنقد لاذع ، او تهجم عنيف مغرض ..

ان هذا الكاتب ليس الا ... من ... الذين يرسلهم الله في كل عصر ... وفقيدنا الاستاذ ياسين طربوش احد هؤلاء ... لقد عشق العروبة ، وسرى حبها في شرايينه ، فهام بلغتها ، لغة آبائه واجداده ، ووقف حياته كلهـا لخدمتها ، لقد عاش مجاهدا ، رافعا لواءها ، باعتزاز وايمان ، لا يأبه بما يعترضه من عقبات ...

لقد شغف بنشرها وتعليمها ايما شغف . فكم اعطى دروسا خاصة لطالبات وطلاب ولم يتقاض منهم اي اجر ، لان هدفه نشرها ، وامنيته تعليمها والاحرى به ان يعطيهم اجرا لانهم حققوا له مـا يهدف اليه وما يتمناه . كانت الابتسامة لا تفارق ثغره ، والرضا يغمر نفسه ، عندما يشعر ان طلابه يتجاوبون معه ، فيغوصون معا في اعماق بحرها ، ويلتقطون ما استطاعوا من آلئها ودررها .. لو كان باستطاعته ان يجمع الناس من الطريق ويجلس معهم يعلمهم ، ويفهمهم اصولها وقواعدها لما توانى عن ذلك .. ولو اتيحت له الفرصة ان يعلم في الليل والنهار لما تقاعس او لبذل من نفسه ومن روحه في سبيل اداء هذه الرسالة ..

لقد عرفته في اواسط الثلاثينات عندما تزوج اختي الكبرى ، وكنت قد نلت شهادة التعليم الابتدائي وانتقلت الى الصف السادس في تجهيز البنات .. فعلمني قواعد الصرف والنحو بأسلوبه الممتع ، واشرف على دراستي في اللغة العربية ، فكنت اقرأ له ما اكتب من نثر ومن شعر ، فيصحح لي الاخطاء ، ويرشدني الى الصواب . وكان حتى في جلساتنا العائلية لا يفتأ يسألني عن اعراب بيـت في الشعر او يذكرني بقاعدة ، او موضوع ، او قصيدة ... وكانت لديه في ذلك الحين مكتبة في بيته تضم ما يحلو لي من نفائس الكتب ، فكانت خير ينبوع له استقي منه متى اشاء ..

وعرفته في ذلك الحين متعبداً ، خاشعا ، يسهر الليل في محرابه يقـرأ ويكتب ، ويؤلف ، ولا تفتر لـه عزيمة ... كان كلما اغرق نفسه في العمل احس بالراحة تغمر صدره ، وبالنشوة تسري في اوصاله .. كان طموحا الى ابعد حدود الطموح ، يجابه المصاعب بجد وتفاؤل ، وعندما يصل الى مبتغاه يرقى بنظرة الى الاعلى ثـم يواصل الصعود ...

لقد درس في اوائل الاربعينات الصفوف العليا في مدارس البنين والبنات الرسمية والخاصة . وطلب منه ايضا ان يدرس في احدى مدارس البنات وكانت مديرتها افرنسية ، وطالباتها لا يعلمن الا القليل من العربية .. ولما تعذر عليه تلبية الطلب لانشغال وقته بكامله ، فقد كلفني ان اقوم بذلك . وكنت في السنة الثانية ، من دراستي الجامعية ، فلبيت طلبه بسرور كبير ، فأرشدني الى طريقته في التدريس التي تضفي على جو الصف حيوية ونشاطا ، مما حبب الى الطالبات تعلم العربية بلهجة قوية واندفاع كبير ، فضمن ذلك نجاحهن في الشهادات العامة بتفوق كبـير ...

ثم درس في اواخر الخمسينات في كلية الآداب في جامعة دمشق كما الف مجموعة كتب درست في سنوات عديدة في مراحل التعليم الابتدائي ، والاعدادي والثانوي .

وفي الستينات دعته الجامعة الليبية ليدرس فيها في كلية الآداب ، فلبى طلبها طوال سنوات تسع ترك خلالها اثـرا طيبا تدين لـه الاجيال ، وتشهد بفضله المجالس والصحف والمجلات ..

ولما كان من طبعه الاستمرار في العطاء ، فقد انقطع بعد عودته من القطر الليبي في اول السبعينات الى الكتابة والتأليف . وكانت تضمنا ندوات ادبية نتبادل فيها الاستماع الى ما كتبناه . فكان رحمه الله يأنف من العامية ، ولا يجد مبررا لاستعمال اي لفظ منها ما دامت لغتنا الفصحى ثرية بألفاظها ومعانيها . وكان لا يستسيغ الشعر الخالي من الوزن والقافية ، بل يطرب الطرب كله بالاستماع الى الشعر العمودي المقفى والذي يمتاز بجزالة الالفاظ وفيض المعاني ، ورقة الاحساس ، وصدق المشاعر ...

ان احتفالنا اليوم بتأبين علم من اعلام اللغة والادب

(*) الكلمة التي القتها كاتبة المقال في حفل تابين المرحوم ياسين طربوش بدمشق .

الى ارملة

ملأت طريقه بالشوك حيا ... ومت عليه من اسف رفاتا
فهل تبكين صادقة عليه ... وعذرك ان ما قد فات فاتا
وهل اضحت فهاهته بيانا ... وآسن مائه امسى فراتا ؟
أنابى ان نصدق ان ذئبا ... تحوله صروف الدهر شاتا
زواجك منه كان عليه ويلا ... فهل جاءت منيته نجاتا
يمينا لو عطفت عليه حيا ... لما ضاقت به الدنيا فماتا !

بوانس ايرس ـ الارجنتين — زكي قنصل

واجب يحتمه علينا الوفاء ، ويفرضه الضمير .. ولكن السنا مقصرين عندما لا نكرم الادباء الا بعد وفاتهم ... افلا يستحق هؤلاء الفدائيون المتطوعون بحماسة واندفاع ، وبصدق وايمان ان يسمعوا في حياتهم كلمة طيبة ؟ ..

فما احوج الاديب الى الكلمة الحلوة ! انها كاللمسة الندية الناعمة من اليد الحنون على جبين المحموم ...

افلا يستحق كتابنا ان نساعدهم على الاقل في نشر انتاجهم ما دام النشر قد اصبح من الصعوبة بمكان ...

ان ما يعانيه كتابنا قد عاناه فقيدنا الاستاذ ياسين طربوش .. لقد امضى سبع سنوات متواصلة ، في اواخر حياته ، متفرغا في تأليف الموسوعة النحوية التي سماها « مسالك التراث » وقد اتم منها الجزء الأول ولم يتيسر له نشره ، فعكف على تأليف الجزء الثاني فكتب ثلثيه وعاجلته المنية ولما ينهه بعد ...

افليس من حقه علنا ان نتولى نشر ما سهر من اجله ، وما تجشم من مشاق لنوفيه بعض حقه لا سيما وان هذه الموسوعة تعتبر من اهم المراجع في النحو والصرف للطلاب الجامعيين والثانويين وللادباء ولمحبي اللغة ..

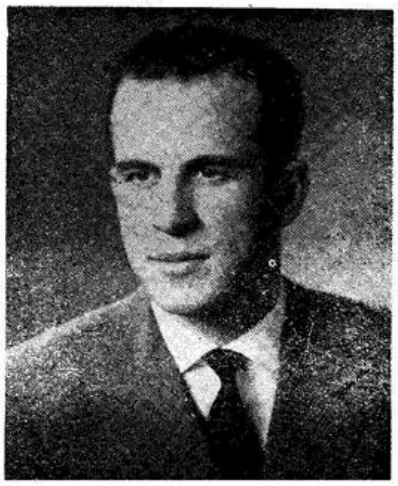
ايها الاستاذ الراحل .. ايها العربي الاصيل .. يا من بذلت واعطيت وضحيت من اجل العروبة ووحدتها .. ايها الامين على لغتنا وتراثنا اننا لا ننسى قولك : « ان اللغة العربية عنصر هام من عناصر بقاء امتنا وخلودها ، وهي وعاء لنتاج سهر عليه السلف فكان تراثا ثمينا للخلف » ..

لقد فقدناك في ظرف ونحن في اشد الحاجة اليك والى امثالك ، في ظرف يتسابق فيه الذئاب الى نهش لغتنا ، ويتبارى المغرضون في اطفاء وطمس بريق لآلئها ودررها ... فليخرب ما شاء المخربون ، وليدسوا من السم ما يدسون ، فهيهات ما يحلمون ... هذه افئدتنا ، وهذه قوانا كلها مجندة من اجلك يا ام اللغات .. ستظلين باقية قوية ما دامت الشمس تسطع ، وما دامت الارض تدور .. انت لغة القرآن ولقد قال سبحانه وتعالى في كتابه المنزل « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ...

لا اعلم لمن اوجه واجب التعزية في هذا المصاب الاليم .. المنطقة القلمون التي انجبت ذلك الابن البار المخلص الامين الذي بذل ما بذل من جهد في خدمتها وتقدمها ... ام لدمشق التي عرفت كفاحه المرير ، ونعمت اجيالها بعطائه الغزير ... ام للقطر الليبي الذي جنى بدوره من ثمرات علمه وفضله ... ام لأسرة الفقيد التي افتقدت به أبا مثاليا وسندا قويا ... ام لطلابه الاوفياء الذين نهلوا من صافي نبعه الرقراق ... ام للامة العربية التي خسرت بفقده ركنا من اركانها وعلما من اعلام لغتها .. وايم الحق ان الخسارة به فادحة ، وان الخطب به جلل .. ونحن جميعا بحاجة الى التعزية وانا لله وانا اليه راجعون ...

دمشق — مقبولة الشلق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ابراهيم عبده الخوري

من حكايات المقهى

بقلم ابراهيم عبده الخوري

* * *

تحلو لي العودة الى لقاءات عدد من ادباء الامس وفنانيه الذين حسبتهم اصبحوا في العالم الآخر ، نتيجة احداث مدمرة شهدها هذا الوطن ، وكادت تدك فيه صروح القلم والريشة والازميل .

وهناك رسام اشتهر بصرعاته الفنية ، كانت اخباره قد انقطعت عني طيلة سنتين . فالتقيته في مقهى « واكيمز » ببيروت ، عائدا لتوه من منفاه في باريس الذي فرضه على نفسه هربا من جحافل الموت التي شنت غاراتها على المدينة الراقصة .

ولتوه اخبرني ان اعماله الفنية .. كل اعماله ، من زيتيات ومائيات ولوحات صنعها بالنار فوق قطع من الخيش ، بقيت مفلوشة فوق « تختيتة » منزله ، فسلمت من الصواريخ وايدي اللصوص ، وعادت تروي — بعنجهية — قصة حياته معها .

وصاحبي الفنان ، ويدعى « جان » ، سريع النكتة ، بشوش الوجه ، معجب بشاربيه يرقصان فوق شفتيه ، اعجابه بريشته التي هي فريدة من نوعها كما يدعي ، والتي جعلت منه كبير فناني هذا البلد . حتى ان عددا من فناني حي «مونمارت» بباريس شهدوا له — حسب قوله — بأصوليتها ، وسرعة توزيعها الالوان الصارخة ، عندما وقفوا على لوحات اضطر الى رسمها في باريس وبيعها ، ليطرد عنه شبح العوز والفاقة الذي طرق باب غرفته في « البيت اللبناني » حيث كان ينزل .

— « انا رائد الفن التجريدي في بلدي ، يا استاذ » .

جملة ، لكثرة ما رددها امامي فأصبحت مألوفة عنده ، كادت تمزق طبلة اذني . واذكر انني ، وانا اكتب تحقيقا لمجلة « الجمهور » اللبنانية عن معرض فني جماعي اقيم في القاعة الزجاجية لوزارة السياحة ببيروت ، وسمي « معرض لبنان ٧٨ » ، امتعضت منه لانه الح علي ان اذكر اسمه الى جانب فنانين — هم اليوم هرم الفن عندنا — غابوا عن المعرض .

— « ولكن يا « جان » لست فنانا مبتكرا ، يوازي اسمك اسم فنانينا المرموقين امثال : عارف وحسين ووجيه وجوليانا وامين وبول . واذا كان لا مفر من ذكر اسمك الى جانب اسماء هؤلاء الرسامين ، فأكون بذلك قد خنت الامانة الكتابية » .

فنهض واقفا وقال ، والغضب يتطاير منه :

— « انا ، يا استاذ ، صاحب المدارس التكعيبية والانطباعية والرمزية . انا رسام الملوك والقادة . انا مبتكر الوان بزت الوان بيكاسو ، عملاق الفن المعاصر . لذلك لا اتمرغ في الوحل واعرض مع الذين علقوا اعمالهم في « معرض لبنان ٧٨ » ، فهؤلاء اعتبرهم من تلامذة مدارسي التي لا تغيب عنها الشمس » .

المفاخرة بمعطياته هي سلاحه الاوحد . انه بفنه مهووس . وان الحسرة تتآكله ان علم ان فنانا ما بدا يشق طريقه متكلا على ذاتيته . حتى انه ليتقطر حسدا من اخيه « يوسف » الذي برع في زرع الوانه فوق القناني ، فجاءت عملا فنيّا منمنما لا شبيه له على ما اعتقد في شرقنا . ويشاطرني الاعتقاد هذا « سمير » الرسام الممتلىء عافية ، والذي تنبأ لـ « يوسف » بمستقبل مشرق ان واظب على مسيرته الفنية . و « سمير » هو من ندماء جلساتنا في مقهى « واكيمز » .

قلت مرة لـ « يوسف » مشجعا :

— « عملك المبتكر هو في غاية الشفافية والزخرفة . انك ماهر في جعل الالوان تتعانق فوق قنينة تنشرها ، فتصبح قطعة متجانسة على شكل اناء او مزهرية او كأس » .

امتعضت شفتا « جان » عندما سمع كلامي ، واهتز شارباه ، وهتف قائلا :

— « صحيح انك تجهل حقيقة المعطيات الفنية وحقيقة ابعادها . القناني ، هذه الاعمال التي تحمل في اسفلها اسم اخي ، هي من صنع انامل انا .. انامل التي تهتز لها البحار ، وتترك بصماتها فوق كل عمل فني جبار . فأنا الفن في عمق وجدانياته ، في ارفع سلطانه ، في جوهر كينونته . انا المنشار واللون ، وكل ما فعله اخي ان جبل اسمه بألوان نافرة في اسفل كل قنينة ، كما

شاهدت . ومن غير المعقول ان تسخر قلمك من اجل شخص تريد ان تجعل منه رساما رغما عنه وعن سنة الحياة الفنية » .

فقلت له :

ـ « انا اعيش لاكتب عن قناعة . لذا سأسخر قلمي في سبيل كل عمل تكون الاصالة عموده الفقري ، ويقوم به ناشىء يبتسم للحياة . سأختزن كل خاطرة تمر في راسي ، ثم افجرها ضمن سطور نافرة . سأرسم صورا ناطقة لكل البواكير والبراعم المبدعة ، لانني سأماشي ركب التطور اينما كان . وان احجمت عن ذلك او تقاعست ـ لا سمح الله ـ فلا بد عندئذ من رمي القلم في بحر الهوان ، والانزواء داخل منزل يلفني ضجر ووحشة ، وتنتابني هواجس فراغ » .

وكما لا يرتاح الى اخيه ، فانه ايضا لا يرتاح الى زميله « سمير » . وعندما تذكر له ان « السمير » هذا اضحى مدرسة في السوريالية ، وانه مواظب داخل محترفه على تثبيت زيتياته فوق الوان عنيفة ، وتشذيب خطوط مائياته ، يعود « جان » الى معزوفته الرتيبة متمالكا ـ هذه المرة ـ اعصابه ، ويقول :

ـ « صاحب المدارس الفنية ، في وطن النجوم ، هو انا ، وانا فقط . و « السمير » هذا هو سميرك انت . والبون شاسع بين لوحة لي ولوحة له ، ان من ناحية الموضوع او من ناحية عمق التجربة وانتقاء الالوان » .

فأجيبه قائلا :

ـ « ولكن المعرض الذي اقامه منذ ايام في منزل سيدة ـ ما علقت فوق جدرانها الا القطع المميزة ـ كان قنبلة الموسم الفني . وقد بيعت اغلبية لوحاته قبيل افتتاح المعرض . وانت بنفسك شهدت له بعمق افكاره وبنظافة الوانه وبحسن اختيار انسانه عندما رحت تسرح النظر فوق هذه الزيتية وتلك المائية . وكان انسانه يعاني مأساة الاحداث التي حلت بوطنه . و « سمير » عرف كيف يجسد مأساة هذا الانسان ومعاناته ، وكيف لا وهو الذي وجد في خضم تلك الاحداث . فراقبها مليا واستطاع ان ينقلها حية بطريقة عفوية الالوان . لذا فان الوانه ـ كل الوانه ـ جاءت ملتهبة .. نابضة بالقوة .. جاءت في مجملها حمراء فرضها عنف المأساة فرضا ، وبموافقة الفنان نفسه . ان انسان « سمير » هو المتفوق على ذاته : خرج من القمقم واخذ يفتش عن الافضل بعدما رأى تشويه القيم ، وتحطيم المثاليات ، والتنكر للمبادىء الانسانية . عاش بين الذعر والخوف والتفكك ، ومع ذلك ابى الركوع ، وداب على ايجاد كيان جديد مميز »

وهنا فاجأني « جان » وهو يمج سيكاره بقوله :

ـ « انت تعلم ان معارضي السابقة ـ وقد كتبت عن محتوياتها محللا وناقدا ـ كانت تقام في فندق « سان جورج » الذي صار اليوم هيكلا عاريا ، تمرح فوق ارضيته الجرذان . ان حنيني اليه يتأجج ، وكلما امر امامه تروح الذكريات تطاردني . ولأسترجعها قررت ان ازين خرائبه ببعض لوحات رسمتها في اوقات الفراغ . اليست هذه خطوة جريئة ؟ » .

وبعد تنهيدة قصيرة تابع يقول :

ـ « واذا ارتأيت انه يتعذر علي ولوج خرائب الفندق الدامع ، او ان الجرذان ستحاصر لوحاتي وتمعن فيها قرضا قبل تدفق « الجماهير » لمشاهدتها واستخلاص العبر الفوقية منها والتحتية ، فسأشحن اللوحات الى الصين ، وهناك اعرضها على جدارها الشهير ، وبذلك اكون اول فنان من الشرق يعرض فوقه . وسيتقاطر نقادة الرسم في العالم الى معرضي ، ويكتبون عن فنان حمل معه الكمال والابداع في زيتيات دافئة مشعة النور . كما ان الاقمار الاصطناعية ستنقل واقع المعرض الى بلاد العالم الشاسعة » .

فتأملوا يا ناس ، وعوا ، واستظرفوا صرعات هذا الفنان .

وتتوالى حلقاتنا المسائية في المقهى ، وتتكاثر مستظرفات « جان » . ومنها انه واقع في غرام فتاة مخطوبة . وقد بدا يتغنى بها شعرا اين منه النثر الغث والسمج الوقع على الاذن . وتدليلا على حبه الصامت لها جرح يده ، تشبها بالفنان العبقري فان غوغ الذي قطع اذنه اكراما للتي وهبها حبه الاعنف . وان حملها على فسخ خطوبتها ، فسيتزوجها .

ـ « سنرتدي ثيابا فضية اللون يوم زواجنا ، قال . سيكون زواجنا في الهواء الطلق ، وسأدعو اليه رواد الفضاء . وسنختار كوكبا لقضاء شهر العسل فيه » .

لقد حسبته يتكلم من وحي الخيال . لكن شقيقته اخبرتني ان خياله هو الواقع بعينه ، ذلك انه قصد فعلا خياطا وطلب منه ان يفصل له بذلة فضية جاهزة لارتدائها يوم العرس .

عجيبة وغريبة تصرفات هذا الفنان وتطلعاته المستقبلية ، وظريف اسلوب سردها امام الناس . وعندئذ لا مناص من ان تسترسل في الضحك .

ويدور دولاب الايام دورات متقطعة الانفاس . وتبقى جلساتنا في « واكيمز » حميمة ومشرقطة . فالفنان هو هو ، وبقية الشلة هي هي . يعيش ماورائياته وآماله حسب مزاجه ، ونحن نصغي ونسجل ، او نشرد على انغام موسيقى الاحلام .

ابراهيم عبده الخوري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نشوء قطر وتطورها

دراسة تاريخية للدكتورين عبد العزيز المنصور وفتوح الخترش — قدم له الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى — منشورات دار ذات السلاسل (الكويت) — مطابع دار اليقظة (الكويت) — ٨٤ صفحة من القطع الوسط

كان لي من السوانح اللطيفة ، خلال ترددي على الدول الشقيقة في الخليج العربي ، ولا سيما دولة الكويت ، ما جعلني اتعرف الى شخصيات فكرية واكاديمية مرموقة المكانة ، ومنهم الصديقان العزيزان الاستاذ الدكتور عبد العزيز المنصور وزوجته الاستاذة الدكتورة فتوح الخترش ، وهما استاذان في قسم التاريخ بجامعة الكويت ، فضلا عن كون الدكتور المنصور مراقبا عاما للبرامج في اذاعة الكويت ، ومؤلفا مشهودا له بالدقة والشمول تعاونه في ذلك الدكتورة فتوح ، وترفد ادبه وفكره بعطاء طيب يضاف الى عطاء طيب ، ويتجلى هذا الاسهام المشترك في كتابهما المشترك « نشوء قطر وتطورها » .

واذا كنت احب ان انوه بجانب آخر من جوانب علاقتي بالدكتور عبد العزيز المنصور ، قد يخفى على عارفيه والمتابعين لنشاطه ، فكونه بالاضافة الى نشاطاته الكثيرة مستشارا للمركز التنفيذي للتنمية الذي اسهم حتى الآن في تنظيم الحلقات التدريبية العديدة لمديري المؤسسات الرسمية والخاصة في دول الخليج وبعض الدول الاخرى في الشرق الاوسط ، والذي يسعدني ان اكون مديرا للمناهج العربية فيه .

اما كتاب « نشوء قطر وتطورها » ، فاشهد اني شهدت بعض مراحل ولادته ، اذ التقيت اثناء احدى رحلاتي الى البحرين الصديقين الدكتور عبد العزيز والدكتورة فتوح ، وكانا عائدين لتوهما من دولة قطر ، فعرجا على البحرين في طريقهما الى مقر عملهما في الكويت ، حيث عمدا الى استكمال بعض عناصر الكتاب الذي جاء صغيرا في حجمه ، عظيم الاهمية بمضمونه التاريخي الموضوعي ، ناهيك بكونه خلاصة وضعت للتداول بين ايدي الجمهور العام العريض ، اما الدراسة الاكاديمية الوثائقية الاصلية فتنتظم في سفر ضخم ينتظر ان يقدمها المؤلفان قريبا للدارسين المختصين .

وفي يقيني ان الدكتورين المؤلفين استطاعا في كتابهما « نشوء قطر وتطورها » ان يجلوا من تاريخ الدولة الفتية الشقيقة ، ومن تاريخ المنطقة العربية في الخليج اجمالا ما كان مستغلقا على الاذهان ، ومجهولا بالنسبة للمهتمين بتاريخ المنطقة البكر التي تؤثر تاريخيا واقتصاديا واستراتيجيا في توجيه الكثير من السياسات الدولية في الوقت الحاضر .

في التوطئة التي تلت مقدمة الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى للكتاب ، يوضح الدكتوران المؤلفان أن « القاعدة العريضة لجماهير القراء تجعل الكتابة المتخصصة في موضوع ما ، لونا من الوان العبء الذي يحتاج من الكاتب اتساع التصور لكل المستويات الثقافية ومدى ما يلائمها في هذا الموضوع . ولكننا ايضا في عصر « الانفجار المعرفي » الذي جعل من الفرض اللازم للمعاصرة ، بل للمواطنة والالتحام بالعالم من حولنا ، الالمام المستعرض بألوان شتى من المعارف والعلوم والفنون »

ومن هنا ، ان الكتاب وضع لغير المتخصصين حتى تكون الفائدة منه أعم واشمل . لكن الصعوبة التي اعترضت المؤلفين تعود بشكل اساسي الى انه على الرغم من الاحداث الخطيرة التي مرت على منطقة شبه الجزيرة العربية ، والصراع العالمي عليها بعد التحول الاقتصادي الهائل الناجم عن اكتشاف النفط فيها ، وقيام حضارة اوروبا الحديثة كلها على هذا المورد الطبيعي الهام ، على الرغم من كل ذلك فقد بقيت الكتابات (والكتابات المنصفة خاصة) عن شبه الجزيرة العربية قليلة جدا ، اذا ما قورنت باهمية تلك الاحداث ، وخطورة الصراع العالمي حول خيراتها ، وموقعها الستراتيجي ، وحضارتها العريقة .

ويوضح المؤلفان اهتمامهما بتاريخ الجزيرة : « وكان مما قضاه الله ان نقضي فترة من عمرنا دارسين لتاريخ الجزيرة العربية ، اثنين من ابنائها ، ثم اعطينا « قطر » تلك الامارة الناهضة في شبه الجزيرة ، جزءا غاليا من هذا العمر ، فدرسناها منذ تاسيسها وما صاحب ذلك من احداث ، وما شايعه من هم ، ومن بذل ، ومن صراعات ، ومن عطاء كبير لتاسيس امارة فتية » .

ويلاحظ ان المؤلفين عمدا الى تخلية الكتاب من الحواشي ومن اسماء المصادر والمراجع والدراسات ، لانهما ، كما اوضحنا منذ قليل ، رغبا في التوجه الى جمهرة عريضة من القراء ، قد يحرمها ذكر الهوامش بصورة مستفيضة متعة الاطلاع على التاريخ القطري ، وبالتالي « الاقتراب من بلادهم بالتعرف عليها اكثر واكثر ، والوقوف على اصولها ، والبصر بطرائق الاحداث ومنابع التصورات » .

ولقد حدد الدكتوران المؤلفان الفترة التاريخية التي يتحدث عنها كتابهما ، ما بين ظهور قطر وعام ١٩١٦ ، اي ما بين الفترة التي كانت فيها الامبراطورية البريطانية في اوج عنفوانها ، سيدة على البحار ، « تضرب بخطوطها الاستعماري في كل زاوية من المعمورة وتبسط نفوذها وتعمقه في كل موقع تتمثل فيه مصالحها ومطامعها » ، والفترة التي كان الشرق العربي يعاني فيها من ويلات الحرب العالمية الاولى ، ويشهد انهيار الدولة العثمانية التي كانت ، ذات يوم ، بلادا لا تغيب الشمس عن ارضها ، فآلت الى حالة « الرجل المريض » الذي تكالبت عليه الادواء ، فانقض عليه الورثة الشرعيون وغير الشرعيين ، قبل ان يسلم النفس الاخير .

ولم يغفل المؤلفان دولا استعمارية اخرى ، مثل المانيا وفرنسا ، كان لعلاقاتها مدا وجزرا مع بريطانيا التأثير الواضح على تاريخ دولة قطر ، خلال الفترة التي يعالجها الكتاب ، فضلا عن الاثرين العظيمين اللذين اسهما في تشكيل دولة قطر ، والآتيين عن الخلافة العثمانية من جهة ، وقيام الدعوة الوهابية ومن ثم المملكة العربية السعودية ، من جهة ثانية .

ويتضمن الكتاب ستة فصول ، تتوالى عناوينها على النحو التالي : الزحف الاستعماري البريطاني ، تبلور القوى القطرية المحلية والانفصال عن البحرين ، محاولات عثمانية في الخليج وفي قطر ، الاستعمار البريطاني يحكم قبضته ، التوقيع على المعاهدة ، الجديد في معاهدة ١٩١٦ .

بعدما يشير المؤلفان ، في الفصل الاول ، الى كون بريطانيا سيدة البحار في القرن التاسع عشر ، والمتربعة على رأس الاستعمار العالمي ، يؤكدان على انها شكلت القوة التي تدخلت بالدور الحاسم لانهاء النزاع الطويل بين القوى القطرية والقوى البحرينية ، وابرام معاهدة ١٨٦٨ التي تعتبر الوثيقة التاريخية الاولى لظهور « قطر » ككيان سياسي مستقل .

ويكشف المؤلفان بعد ذلك عن مستندات السياسة البريطانية للتدخل في الخليج وفرض سلطتها الاستعمارية في تلك المنطقة ، فيلخصانها بثلاثة هي : محاربة القرصنة ، محاربة تجارة الرق ، محاربة تجارة السلاح .

اما محاربة القرصنة فيذكر المؤلفان ان بريطانيا تسترت وراءها لمحاربة القوى المحلية الخليجية التي ناضلت نضال الابطال ، وقاومت مقاومة ضارية في وجه الهجمة الاستعمارية الجديدة العاتية ، ولكن توازن القوى العالمية لـم يكن في صالحها ، فانتهى الامـر بالسيطرة الاستعمارية البريطانية .

ويذهب المؤلفان الى ابعد من ذلك عندما يحللان الواقع التاريخي الاقتصادي والاجتماعي لسكان الخليج ، فيشيران الى ان من المعروف ان سكان الخليج هم ملاحون من ازمان قديمة ، وقد استطاعوا عن طريق الصناعات والفنون البحرية والتجارة والنقل ان يسيطروا على مختلف اوجه النشاط في الخليج حتى بداية القرن التاسع عشر . وفي هذا الوقت دعمت الحكومة البريطانية « شركة الهند الشرقية » التي اخذت على عاتقها مهمة استعمار شبه القارة الهندية ، ومن ثم كان الدخول في صراع ومنافسة مع عرب الخليج وتجاره امرا طبيعيا .

ويستنتج المؤلفان من ذلك ان القضية ، منذ نشأتها ، « انما هي صراع القوى المحلية ضد القوى الاجنبية الوافدة بالغزو والاطماع . وامام الخطر المحدق لم يكن مفر من اللجوء الى السلاح والعنف لوقف سفن شركة الهند الشرقية ، خاصة وقد سبق لابناء الخليج ان استخدموا هذا الاسلوب من قبل في صراعهم ضد البرتغاليين ، ونجحوا في دحرهم واخراجهم من المنطقة » .

ومن الرجوع الى ما قبل ١٨٦٨ ، نواجه ذلك الصراع القوي الذي اشتد بين القوى الخليجية والقوى الاستعمارية الغازية ، حيث كان ١٨٠٦ هو تاريخ ابرام معاهدة بين بريطانيا والقواسم الذين هزموا عند جزيرة « قشم » ، فوافق شيخ القواسم بمقتضاها على ان يعيد ما كان قد سبق له اسره من سفن ، وعلى ان يحترم راية شركة الهند الشرقية وممتلكاتها وموظفيها .

وبقيت الصراعات في كـر وفر بـين بريطانيا وشيوخ القواسم (في رأس الخيمة) ، حتى حلول عام ١٨١٩ ، عندما تواطأت الظروف على حسم الصراع لصالح بريطانيا ، وهي كما يوضحها المؤلفان : التفكك الداخلي الذي أنشب أظفاره في صفوف القواسم وحلفائهم ، وانتهاء الحرب في اوروبا التي خرجت بممتلكات كثيرة في الشرق ، وازدياد الاهتمام الاوروبي بالسيطرة على الطرق المؤدية الى المحيط الهندي ، وتغلب الانجليز في الهند على المقاومة الداخلية ، وقضاء محمد علي في جوف شبه الجزيرة العربية على الدولة الوهابية ، وبذلك « لم يبق امام بريطانيا سوى تلك المقاومة البحرية التي تتأثر قوتها الاساسية نتيجة للتدخل المصري » .

وهكذا قر اجماع الساسة البريطانيين في حكومة الهند على وجوب التدخل العسكري لاعادة رسم خريطة الخليج على نحو يلائم السياسة البريطانية ، وهكذا استقر الرأي في نيسان (ابريل) ١٨١٩ على ضرورة تطبيق المبادىء التالية :

١ ــ احترام الاوضاع السياسية الداخلية ، بحيث لا تتدخل بريطانيا لصالح احد الرؤساء الا اذا طلب اليها ذلك ، وحينئذ تؤيد صاحب الحق المشروع .

٢ ــ عدم تشجيع العثمانيين على بسط نفوذهم في منطقة الخليج بعد ان استولت القوات المصرية بقيادة ابراهيم باشا على نجد وجميع البلدان التابعة للوهابيين .

٣ ــ وضع اسس لحرية الملاحة في الخليج وحق تفتيش السفن بالاتفاق مع القبائل .

٤ ــ اختيار جزيرة « قشم » مركزا لاقامة قاعدة بريطانية ثابتة .

ولا يتسع المجال لذكر الوحشية التي رافقت الحملات البريطانية بحيث توطد نفوذ التاج البريطاني في المنطقة ، وتوقيع عدد من الهدنات التي اتاحت لبريطانيا التدخل شيئا فشيئا في شؤون الخليج .

اما المستند البريطاني الثاني للتدخل في المنطقة ، وهو محاربة تجارة الرق ، فمن الرجوع الى المعاهدة العامة المعقودة بهذا الشأن عام ١٨٢٠ ، نقرأ في المادة التاسعة منها ما نصه :

« ان حمل الارقاء من الرجال والنساء والاطفال من سواحل افريقيا او سواها ، ونقلهم في سفن ، يعتبر نهبا وقرصنة ، ولن يقوم العرب الاصدقاء بشيء من هذا القبيل » .

ثم من الرجوع الى الاتفاقية البريطانية الفارسية المعقودة عام ١٨٥١ ، نجد انه بموجبها قد سمح للسفن البريطانية ، ومنها سفن الاسطول الهندي ، بأن يكون لها سلطة التفتيش على السفن الفارسية ومصادرة ما يوجد عليها من رقيق ، وتقديم السفن المشتغلة بهذه التجارة الى السلطات الفارسية لتوقيع الجزاء عليها .

واذا ذكرنا ان معاهدات مجمدة ومجددة عقدت ايضا بهذا الصدد ، اتضح لنا ان بريطانيا اتخذت من معاهدتها مع فارس فيما يتعلق بمحاربة تجارة الرق ، فرصة مؤاتية لاحكام قبضتها على الخليج وعلى الملاحة في مياهه .

وهذه الذريعة هي ذاتها التي حدت بريطانيا على عقد معاهدات واتفاقيات مع الدولة العثمانية من اجل محاربة تجارة الرقيق ظاهريا ، والسيطرة على الخليج في الحقيقة .

ولما عرضت الدولة العثمانية ان تقدم بعض سفنها الحربية لمعاونة السفن البريطانية في وقف تجارة الرقيق ، عام ١٨٤٧ ، رفضت بريطانيا ان تتيح للدولة العثمانية فرصة اكتساب هذه المكانة في مياه الخليج ، وظلت تماطل في عقد اتفاقية يسمح بموجبها للطرفين بالتفتيش في مياه الخليج حتى عام ١٨٨١ ، وغني عن البيان ان البريطانيين وحدهم هم الذين انفردوا آنذاك بممارسة حق التفتيش المشار اليه .

ولعل افضل الشواهد التي تؤكد ــ كما يوضح المؤلفان ــ ان غاية بريطانية كانت السيطرة على الخليج والتحكم بمقدراته ، كونها نصت في كل معاهداتها واتفاقياتها حول تجارة الرقيق ، على حق التفتيش ومصادرة السفن التي تمارس نقل الرقيق وهذا ما حصل فعلا بالنسبة للمعاهدات التاليـة :

١ ــ المعاهدة المبرمة مع سلطان عمان عام ١٨٤٥ .

٢ ــ المعاهدة المبرمة عام ١٨٤٧ مع جميع شيوخ الخليج (ما عدا البحرين) .

٣ ــ المعاهدات المبرمة مع الشيوخ المتهادنين عام ١٨٥٦

٤ ــ المعاهدة المبرمة مع البحرين عام ١٩٦١ .

٥ ــ الاتفاقية المبرمة مع جميع شيوخ الخليج ، بما فيهم شيخ البحرين عام ١٨٧٣ .

ويبقى المستند البريطاني الثالث للتدخل في شؤون الخليج ، وهو محاربة تجارة السلاح . وما انطبق على الذريعتين السابقتين لينطبق على هذه الذريعة الثالثة التي لم تظهر نوايا بريطانيا منَ ورائها ، بشكل سافر ، الا خلال الحرب الافغانية الثالثة (١٨٧٩ ــ ١٨٨٠) اي بعد ان ظهرت دولة قطر ككيان سياسي قائم بذاته ، وسط الكيانات الخليجية الاخرى .

وفي الفصل الثاني يعمد الدكتور عبد العزيز المنصور والدكتورة فتوح الخترش الى استعراض مسيرة القوى المحلية في قطر ، من حلول العتوب القادمين من نجد في ظل قبيلة آل مسلم في قطر ، ثم تشكيلهم خطرا على آل مسلم الذين شعروا بأن النزاع بينهم وبين آل الصباح وآل الخليفة (الاسرتين العتيبيتين العتيدتين) واقع لا محالة ، فهاجر العتوب الى رأس تنورة في الاحساء ، فتبعهم آل مسلم ليحطموا قواهم ، فانتقل العتوب الى « جون الكويت » ، حيث اسسوا مدينة الكويت ، وكان لآل الصباح فيها ادارة الحكم ، وكان لآل خليفة ادارة شؤون التجارة ، واما الجلاهمة فلهم ادارة شؤون البحر . وكانت سلطة الحكم لصباح الاول منذ ١٧٥٢ ثم لابنه عبدالله الحاكم الثاني للكويت منذ ١٧٦٤ ، وفي عهده هاجر آل خليفة الى قطر عام ١٧٦٦ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويورد المؤلفان بعد ذلك ، روايات كثيرة في تفسير العوامل الكامنة وراء الهجرة ، دون ان يرجحا رواية على اخرى ، لكنهما يشيران بالتفصيل الى تاسيس آل خليفة لمدينة الزبارة ، ثم اتجاههم الى البحرين ، اذ قامت القبائل العتيبية عام ١٧٨٣ بأسطول كبير من شبه جزيرة قطر ، وبمساعدة عتوب الكويت ، وباتحاد قبائل قطر المختلفة (ومنها آل مسلم في الحويلة) وآل بني علي من الفويرط ، وآل سودان من الدوحة ، والمناعمة من ابو ظلوف ، والسادة من داخل قطر ، فاجتمعت وتحالفت وحاصرت البحرين لمدة قاربت الشهرين ، فتم لهم فتح البحرين في ٢٩ تموز (يوليو) ١٧٨٣ ، حيث اصبح الحكم فيها عربيا للمرة الاولى ، وما يزال كذلك حتى اليوم .

ويتحدث المؤلفان عن الحرب الاهلية التي نشبت بعد ذلك ، وانتهت بانفصال قطر عن البحرين ، وتنازع الشيوخ فيما بينهم ، واخيرا توقيع « معاهدة الصداقة والاستقلال » في ٣١ ايار (مايو) ١٨٦١ ، باشراف بريطانيا ، وعقدت معاهدات بريطانية اخرى مع الكيانات الخليجية حتى كان ١٢ ايلول (سبتمبر) عام ١٨٦٨ حيث وقع الشيخ محمد بن ثاني والكولونيل بيللي المعتمد البريطاني معاهدة ادخلت قطر ، ولاول مرة ، طرفا قائما بذاته في المهادنات البحرية . وقد نصت هذه المعاهدة على « ان يقيم آل ثاني في سلام ، في الدوحة ، وألا يرتكبوا اي عمل عدواني في البحر ، وان يحيلوا خلافاتهم ومنازعاتهم او التي تنشب بينهم وبين جيرانهم الى السلطات البريطانية ، وان يقيموا مع شيخ البحرين الجديد نفس العلاقات الودية التي كانت قائمة مع آل خليفة ، وان يدفعوا الخراج الذي كان يدفعه شيخ البحرين ، باسم قطر ، لامير الوهابيين » .

وبذلك برز كيان قطر المستقل ، لاول مرة في تاريخها ، في ظل صدام ادى الى قتال ضار بين القطريين والبحرينيين ، وبرعاية زحف بريطاني استعماري متحفز للاستيلاء على كافة الشؤون الخليجية .

ثم يحدثنا المؤلفان في الفصلين الثالث والرابع من كتابهما « نشوء قطر وتطورها » عن المحاولات العثمانية في الخليج ، وفي قطر بصورة خاصة ، وعن الاستعمار البريطاني الذي احكم قبضته متوسلا الى ذلك كافة السياسات والاساليب ، والجدير بالذكر هنا ان اللورد لاندزدون حدد في عام ١٩٠٥ السياسة البريطانية في تلك المنطقة بقوله :

« ان حجر الزاوية في سياستنا في الخليج العربي هو انه ، وفي نفس الوقت الذي نعادي فيه فتح منفذ للتجارة الدولية ، والذي نعلن فيه انه ليست لدينا اي رغبة في تحويله الى بحيرة انجليزية — الا انه ينبغي علينا ان نقاوم الى اقصى حد اي محاولة من جانب الدول الاخرى للحصول على موضع قدم على سواحله للاغراض البحرية او العسكرية ، وسوف نواصل السير على هذه السياسة ، لا من اجل اتفاقيات غامضة مع الشيوخ المحليين ، وانما لنصبح القوة المسيطرة في جنوب فارس وفي الخليج العربي »

ويتضح لنا مدى احكام القبضة البريطانية على الخليج ، من العودة الى الوقائع التي تلت نشوب الحرب العالمية الاولى ، اذا ازداد اهتمام بريطانيا بتأمين مصالحها في المنطقة ، وخشي ابن سعود ان تلجأ بريطانيا الى احتلال موانىء نجد والاحساء ، وفي ٢٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٥ انعقد في « العجير » اجتماع بين ابن سعود والسير برسي كوكس ، تمخض عما يعرف باسم « معاهدة القطيف » ، وفيها يتعهد ابن سعود بموجب المادة السادسة ان يمتنع عن كل تجاوز وتداخل في اراضي الكويت والبحرين واراضي شيوخ قطر .

وبهذه المعاهدة ، اكدت بريطانيا هيمنتها ، واستطاعت تغيير وضع قطر وتحويلها الى محمية بريطانية ، حتى قبل ان تعلن بريطانيا رسميا حمايتها لها .

وبانتهاء الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٨ ، تمنح حكومة بريطانية شيخ قطر لقبا يميزه عن شيوخ الساحل العماني ، بنتيجة العلاقات الطيبة التي كانت تربطه ببريطانيا خلال الحرب .

عند هذه المرحلة من تاريخ قطر ، يقف كتاب الدكتورين عبد العزيز المنصور وفتوح الخترش ، والمرجو ان يليه جزء آخر يتحدث عن قطر الدولة العربية المستقلة ، ذات النشاط الاقتصادي والسياسي الملموس على الصعيدين العربي والدولي ، وبذلك يسدي المؤلفان الصديقان خدمة تاريخية هامة للمنطقة العربية الاصيلة في التاريخ العربي ، لا سيما وهما استاذان جامعيان متخصصان في التاريخ الخليجي ، ومفكران عاملان في ميادين الثقافة المعاصرة ، بما نعرفه عنهما من نشاط ، وهمة ، وامانة علمية تضعهما في مصاف بناة النهضة المعاصرة في منطقة الخليج العربي .

فوزي عطوي

* * *

البـــاب

تاليف نبيل نعوم جورجي — ١٢٨ صفحة — منشورات جماعة الرواية الجديدة في القاهرة

(ادخلوا من الباب الضيق لانه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي الى الهلاك) « المسيح » .

هذه الآية هي مدخل صادق لرواية الباب فاعتقادي الكبير ان المؤلف نبيل نعوم قد استلهم من هذه الروحانية الدينية والتي تشبهني بروحانية ادب المهجر .. حتى اني اردت ان اربط بين المؤلف وبين رواد ادب المهجر وعموما فالكاتب نبيل نعوم جورجي كتب هذه الرواية المبدعة في مهجره بنيويورك « امريكا » عام ١٩٧٦ ومن هنا يذهب بنا الكاتب الى هذا الطريق الجديد في الرواية الجديدة وفي الواقع ان الرواية عموما جرت الكثير من النقاد ففي الادب العربي حينما جاءنا الدكتور حسين هيكل بروايته زينب وهي تاريخيا من اوائل الروايات المصرية انما جاءنا بنوع من التسجيل الصادق ليوميات الريف التي اشتاق اليها في باريس ثم جاءنا الدكتور طه حسين بفكرة الواعي الرزين ثم رائد الرواية العربية نجيب محفوظ بشخصيته العملاقة التي حددت بل وأثرت الكثير من فكر القاصين ثم ابراهيم المصري بشخصية مميزة ويوسف السباعي واحسان عبد القدوس وفي السودان الطيب صالح وفي القصة القصيرة حينما فاجأ الادب العربي ميخائيل نعيمه بفكرة الواعي انما هو قد رسم طريقا عميقا للرواية القصيرة ومعه في مصر محمود تيمور الى ان تربع معهما على عرش القصة القصيرة دكتور يوسف ادريس ويوسف الشاروني ثم بعده ادوار الخراط والذي حقق نجاحا كبيرا في تركيزه القصصي الضخم وكذلك جورج سالم وجورج شحاده الذي كتب الادب الفرنسي وهاني الراهب وجبرا ابراهيم جبرا وكوليت خوري وعبد السلام العجيلي وغيرهم من الكتـــاب .

فبعد هذا لم يكن يتوقع احد ان ينبغ ادباء جدد بعد هؤلاء العمالقة الذين رسموا طرقا يكاد لا يرى البعض سواها ... الا ان هؤلاء الادباء الجدد انما اتوا بذكاء شبابهم وقوة تجاربهم المتزنة بطرق جديدة مفاجئة حيرت كثيرا من النقاد مثلما حيرهم ذلك الشعر الحديث .

ولعلي لا اطيل فقد اتيت بهذا الاستطراد فقط للتعرف على هذه الرواية وخاصة ان المؤلف حرص على ان يواجهنا منذ الغلاف بانها تنتمي الى جماعة الرواية الجديدة وفي هذا نوع من التحديد لدى القارىء فهو يبحث دائما على ذاك الجديد في الرواية وقد نبغ ذكاء الكاتب في استلهامه للروحانيات الدينية ... ثم بعد ذلك استعان بالتراث والذي ضل فيه الكثيرون ، لكنه بذكاء .. استطاع ان ياتي بذلك التراث وينسجه مع الادب الجديد في نسيج ياتينا بارق انتاج ... وهو ما نبحث عنه ونفتقده في الادب الجديد الذي لا ينفصل ابدا عن القديم .

في صفحة (٧٧) مثلا يأتينا الروائي نبيل نعوم باقتباس من الشعر الفرعوني فيقول :

« ان رأيت الحظ يا حبيبي قادما في طريقك فدعه يمر دون ان تستوقفه ... الخ »

انه يشبهني بعشق الكاتب العملاق سلامة موسى للتراث الفرعوني

... لقد حقق الكاتب بهذه الرواية نجاحا عملاقا اثبت فيه فعلا انها رواية جديدة فليست العبرة بالكمية والسباق في زحام الاعلانات والشهرة ولكن الادب الصادق هو ذلك التجديد المستمر الذي رأيناه في مثل هذه الرواية التي اعتقد ان اتزان الكاتب في الكلمة واحترامه للغة والمضمون والقارىء قد غطى على اغلب السلبيات التي تلوث الكثير من الادب .

حقا انه باب ضخم رغم ضيقه كما يقصد الكاتب ذو الشاعرية الملهمة ... ولعل هذا الباب يكون مدخلا لادب جديد حقا خلال « جماعة الرواية الجديدة » .

القاهرة — **نادر ناشد**

* * *

الموسوعة الموجزة

حرف الخاء — تاليف حسان بدر الدين الكاتب — المجلد الثاني — العدد السابع — مطابع ألف باء — الاديب — دمشق

استلمت العدد السابع من الموسوعة الموجزة « حرف الخاء » للاديب الاستاذ « حسان الكاتب » واعجبت اشد الاعجاب بقدرة هذا الاديب على القيام وبمفرده بهذا العمل الجبار وهو ليس اكثر من موظف في دوائر الدولة .فهو ليس مؤسسة حكومية ولا صاحب أملاك ولا تاجر حرب ... انما هو انسان يحب الكلمة ويضحي بوقته وراحته ولقمة عيشه ليقدم للمكتبة العربية موسوعاته الموجزة ، الى جانب ما يخطه بقلمه المرهف من دراسات ومقالات وتعليقات وأبحاث في اكثر الدوريات الشهرية الادبية الى جانب الوقت الذي يقضيه في مراسلة ادباء العربية قاصيهم ودانيهم فلقد اخذ محبة الادب عن والده الاستاذ « بدر الدين الكاتب » وشقيقه الاستاذ « مروان » وخاض بصعوبة هذا المركب الصعب فضحى بالوقت واللهو والمال وانجز ما انجز بصبر نافذ ... على الاخص بعد ازدياد ثمن الورق وغلاء الطباعة . لهذا أرى ان الاستاذ الكاتب هو الاديب الفدائي . يضحي على مذبح الادب لا يهمه الوقت ولا المال ... وانما يهمه العطاء والاتصال بحبيبته الغالية الصعبة المنال ... وهل هنالك اجمل وأنقى من محبة الادب ؟ ... وهل هنالك اجمل من هذه الحبيبة النظيفة ، الشريفة ، اللبقة ، التي يضحي الانسان من اجلها بكل شيء ؟ ... وهل للمال والوقت قيمة امام الاشعاع العبقري النابض الذي يستأثر بالقلوب الحية النابضة ؟ ...

لقد ضممت العدد السابع من الموسوعة الموجزة الى مكتبتي وأنا احس بفخر لهذه الموسوعة الفخمة التي تعتبر رصيدا ثمينا مع ما تحويه مكتبتي العامرة من كتب ادبية مرموقة . تصفحتها فاذا بها تحتوي على ما يشاء القارىء من معلومات ضمن حرف الخاء واهم هذه المعلومات ما يختص بالادب والادباء ومن هذه المعلومات ترجمة مختصرة لحياة بعض الادباء مع صورهم من أمثال خليل مطران ، خليل شيبوب — خليل هنداوي — خليل مردم بك — خليل سكاكيني ، خضر عباس الصالحي وغيرهم من مات منهم ومن لا يزال على قيد الحياة . وفي ذلك فائدة لادباء العربية والوطن العربي .

ان المشقات التي يمر بها هذا الاديب اكثر من صعبة . ومع ذلك فهو يجتازها بصمت وهدوء فهو يكتب ويؤرخ ويراسل ويعيش الادب كما يجب ان يعيشه الوجداني الصلب العقيدة . انه لا يعيش من اجل ان يأكل فقط او من اجل ان يتثاءب ببطء ليقبض راتبه في آخر الشهر ... لهذا تراني اشد على يد صديقي الاديب مهنئا ... راجيا له التقدم الدائم .. في هذه الطريق الصعبة التي اختارها . آملا ان يصدر ما تبقى من موسوعاته الادبية فيضيف الى المكتبة العربية عملا يحتاجه كل مراجع وطالب ومفكر . وآمل ايضا ان يحصل على مساعدات مادية ومعنوية في اعماله ... ليتمكن من الاستمرار في انجاز هذا المشروع الضخم .

اللاذقية — **رياض نصور**

* * *

١ — ازاهير من الشعر العالمي

ترجمة علي الحلي — منشورات وزارة الاعلام العراقية — ١٣٤ صفحة — دار الحرية للطباعة — بغداد

بالاضافة الى عمله كشاعر مبدع فقد ظل الاستاذ علي الحلي طوال عشرين عاما يقوم بترجمة قصائد اربعين شاعرا من عشرة اقطار اجنبية دون التشبث بمدرسة شعرية واحدة او الاختصار على نمط معين .

تضم المجموعة ثماني واربعين قصيدة اهداها الى الشعراء الاوفياء.

في مقدمة القصائد نبذة عن حياة كل شاعر بايجاز .. من قصيدة للشاعر الايرلندي « جيمس جويس » والتي بعنوان « اغنية » يقول :

تماوج خارج النافذة
أيها الشعر الذهبي الجميل
ويا أيها النسيم النشوان العليل
ها .. أنا أسمعك .. تغني !

٢ — الهجرة الى الداخل

شعر صلاح نيازي — منشورات وزارة الاعلام العراقية — ١٠٤ صفحات — دار الحرية للطباعة — بغداد

عندما يغترب الشاعر فانه يحس بحنين الى وطنه يتذكر فيه أيام صباه وملاعبه وصلاح نيازي شاعر الاغتراب فهو يتمنى الهجرة الى داخل وطنه بعد غربة عشرين عاما قضاها في لندن .. ان شعره فيه حلاوة تشعرك بالراحة عند الملاعبة الفولكلورية والوصف النابض بالحياة استمع اليه يقول في قصيدته « ضياع رومانتيكي » منها :

عشرون عاما اشتري بضائعي بالدين
أبيعها بالدين
انطفأت أضوية البيوت
فلاقفل الحانوت

الكوت — العراق — **كاظم محمد حسين**

مقالات رائعة دون توقيع

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

الاستاذ بكلية اللغة العربية بالقاهرة

* * *

ما اكثر ما تخرج المطبعة العربية من الكتب في هذه الآونة ! حتى لا تكاد تمر ساعة واحدة دون خبرٍ عن كتاب جديد يرى النور ، فتتلقفه ايدي القراء متسرعين ، وقد دعا هذا النشاط الى عكوف المؤلفين على الانتاج الدءوب وفيهم من يرعى امانة التأليف فيجتهد وينصب ، ومن يكتفي بيسر الوصول الى المطبعة دون عائق فيضحل ويسف ! ويخرج كتابه هزيلا نحيلا ثم لا يكتفي بما فاز ، بل يظل يطرق الابواب ليجد مقرظا يتحدث عن نبوغه في اسهاب ، ولا يزال يتعقب ارباب القلم سائلا ملحا ليحظى بتنويه كاذب بغيض ، بل ان في هؤلاء — كما علمنا — من يكتب التقريظ لكتابه ليوقعه باسم غيره على اتفاق متعارف بينهما ، اذا كان صاحب التوقيع ذا حقيقة معلومة ، اما اذا كان مجرد اسم موهوم ، فلا اتفاق .

ان هؤلاء المتكالبين على التقريظ من غير بابه المشروع في حاجة الى مثل انسانية حية تذكرهم بسوء ما يقترفون ، ومن المؤسف انك تتلطف في تنبيههم على الحق كي يقفوا عند اللائق المشروع فيظنونك حاقدا ينفس عليهم قوة التأليف ، ورواج النشر ، ثم هم مع ذلك يسدون عليك كل ثنية ليتسولوا بعض ما يرضيهم من التنويه ، واذا كان المثل الحي المشتهر في التواضع العلمي مما يغني عن الوعظ الخلقي الذي لا يجد صدى في نفس مستمع مغرور ، فاننا نضرب المثل لهؤلاء الاغرار بأديب العربية ، وحامل امانة التحقيق العلمي ، والرواية الادبية ، المغفور له الاستاذ محمد اسعاف النشاشيبي طيب الله ثراه ، وقراء الآثار الادبية الرصينة يعرفون مكانة الرجل الكبير في الفحص والتتبع والتحقيق ، ولن نتحدث عنه بأبلغ ما تحدث به صديقه الكاتب الخالد الاستاذ احمد حسن الزيات ابلغ كتاب البيان في عصره حيث قال في ترجمته :

« لقد وقف اسعاف النشاشيبي نفسه ووقته وجهده على دراسة الاسلام الصحيح في مصادره الاولى وتحصيل اللغة وعلومها وآدابها في منابعها الصافية ، فكان آية من آيات الله في سعة الاطلاع ، وكثرة الحفظ ، وتقصي الاطراف ، وتمحيص الحقائق ، ولم يكتب للشهرة والمجد ، انما كان يكتب للعصبية والعقيدة اخلص لله فأخلص لقرآنه ، واخلص لمحمد فأولع بلسانه ، فاذا جلس للناس في القدس او في دمشق او في القاهرة ، كان مجلسه ندوة علم وادب وفكاهة ، لا تذكر مسألة الا كان له عنها جواب ، ولا تروى حادثة الا ورد له عليها مثل ، ولا يحضر ندوته اديب مطلع الا جلس فيها جلسة المستفيد ، لا تستطيع ان تذكر له كتابا من كتب العربية لم يقرأه ، ولا بيتا من شعر الفحول لم يحفظه ، ولا خبرا في تاريخ العرب والاسلام لم يروه ، ولا شيئا من قواعد اللغة ونوادر التركيب وطرائف الامثال لم يعلمه ، فهو من طراز ابي عبيدة والمبرد ، لذلك كان اكثر ما يكتب تحقيقا واختيارا وامالي ، وكان خاتم طبقة من الادباء اللغويين المحققين لا يستطيع الزمن الحاضر بثقافته وطبيعته ان يجود بمثله » .

وموضع الشاهد في هذا التعريف الموجز البليغ هو قول الاستاذ الزيات عن النشاشيبي انه لم يكتب للشهرة والمجد انما كان يكتب للعصبية والعقيدة وهو قول مجمل نفرد هذا المقال لتفصيله لنصل الى ما نريد من العظة والاعتبار .

كانت جريدتا البلاغ وكوكب الشرق اليوميتان ، ومجلة الرسالة الاسبوعية تظهر على القراء ببحوث علمية مسهبة ذات نظر وغوص وتحقيق دون ان تحمل توقيعا لكاتبها ، اذ كان صاحبها المتواضع يكتفي تارة بحرف (ن) وتارة بكلمة (قارىء) وتارة بثلاثة انجم ، وتارة بعبارة (ازهري بالمنصورة) ثم اجيز بكلمة (السهمي) والفاحصون ممن يصبرون على دسامة هذه البحوث يقراونها بتوقيعاتها المتنوعة ، فيجدونها ذات نسيج خاص ، فهي تنبىء عن مصدر واحد لا يختلف ، فيذهبون في ظنونهم كل مذهب وقد اعانهم اسعاف النشاشيبي على التيه والحيرة ببعض ما اختار من التوقيعات ، فان توقيعه (ازهري بالمنصورة) ان صلح لمثلي ممن تعلم في الازهر وعلم في كلياته واقام بالمنصورة فانه يبعد كل توهم يحوم حول النشاشيبي اذ لم يكن العلامة الكبير ازهريا بمرباه وتعليمه ، كما ان هذا اللغوي الضليع لم ير المنصورة طيلة حياته فكيف اختارها دون القاهرة او بيروت او دمشق او الاسكندرية او القدس وكلها مما سعد بزيارته لمدة تقتصر او تطول ! وكانت بحوث النشاشيبي من الدسامة والدقة والعمق بحيث جعلت البحث عن كاتبها ظمأ لاهثا يتطلب الري والاشباع ، وهو مع هذه التعمية الشديدة لا يأخذ بيد متفحص يهجس ويحدس ، كما انه قد اخذ على الاساتذة حافظ عوض وعبد القادر حمزة واحمد حسن الزيات موثقا الا يخبروا احدا عن حقيقته ، ثم هو يرجع فيما يرجع الى بعض المصادر المخطوطة التي توجد في مكتبته وحده ، وعشاق المعرفة في حاجة الى مراسلته ليردوا مورده وليستعيروا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعض ما لديه ، وكلما طلع عليهم ببحوثه الفريدة تساءلوا عنه دون اهتداء ، ولعل من عجائب مقالاته الناقدة ، ومختاراته الفريدة انها تجمع بين اللغة والبلاغة والنحو والصرف والسيرة المحمدية والتاريخ الاسلامي في نسق رائع يدهش قارئه لما رأى من وفرة المصادر ، ووعى من قوة الحقائق ، وروى من عيون الشعر ، وقد امتدت هذه البحوث المقنعة سنوات عدة لم يسفر صاحبها عن وجهه ، حتى كانت سنة ١٩٤١ وهي السنة التاسعة من عمر مجلة الرسالة فنشر الاستاذ النشاشيبي عدة بحوث نقدية دقيقة للجزء الاول من كتاب (العقد الفريد) اذ حققه الاساتذة الافاضل احمد امين واحمد الزين وابراهيم الابياري تحقيقا جيدا ممتازا ، ولكن النشاشيبي رأى من تحقيقه ما يتسع لسلسلة متتابعة من دقيق النقد نحوا ولغة وتاريخا ورواية فأتى بما ادهش واعجب ، حتى ان العلامة اللغوي الكبير الاستاذ احمد العوامري بك عضو مجمع اللغة العربية وكبير مفتشي اللغة بوزارة المعارف لعهده لم يتمالك ان وجه الى الناقد الكبير خطابا علنيا على صفحات العدد (٤٠٤) من مجلة الرسالة تحت عنوان (اعجاب وتقدير) يقول فيه :

ايها الاستاذ الجليل

اني ليطربني ان أقرا لكم هذه المقالات القديرة الزاخرة بالفائدة في نقد الطبعة الاخيرة من (العقد الفريد) وليست هذه النقدات وحدها هي التي ستبني من عملك الغزير ، واطلاعك المنقطع النظير ، واحاطتك بما تكنه ضمائر اسفار السابقين الاولين من ائمة اللغة وحفاظها ، بل تتبعت في الرسالة الغراء كل ما دبجته يراعتك ، منذ اول عهدك بها ، لم يفتني منه فائتة ، بل لقد اتخذت منه دروسا اعكف عليها ، واتوفر على الافادة منها ، والتضلع من معينها الفياض ، واني لأعجب يا سيدي كل العجب ، في هذا العصر الذي يباهى فيه بالقشور وسخف القول ، كيف تتستر وتحتجب ، وتقف في تواريك هذا وعزلتك مرشدا وهاديا ، لا تبتغي غير خدمة وطنك ولغتك ، وان اسفت على هذا التستر والاحتجاب فانما اسفي على امثالي من طالبي المعرفة ، يودون لو اتيحت لهم فرصة لقائك ، ليستزيدوا منك ، وليتحلوا بما يشهدون فيك من كمال الخلق ، ولكنك زهدت في نباهة الذكر ، وعفت الاعلان ، وآثرت العمل في جو خال من الصخب والضوضاء .

ضربت يا سيدي المثل في التواضع وانكار الذات ، وضربته في طهر قلمك من لوثة الزهو والعجب والمباهاة فليتعلم من هذا المثل الصالح من يتصاولون على صفحات الجرائد والمجلات فيدعون ما يتصاولون من اجله ويخرجون الى ميادين العيب والتجريح ، ليتعلم هؤلاء منك ومن امثالك الاعفاء ان يقصروا اقلامهم على ما يدافعون عنه من عقيدة ! فالحجة بالحجة والبرهان بالبرهان ، وليتسوا انفسهم واهواءهم في سبيل الحق ، وليدعوا شهوة الانتقام والتشفي ، فان اوقات القراء لأنفس من ان تبعثر في مثل هذا اللغو والزور من القول ، مزيدا مزيدا ايها الباحث الجليل فانا الى علمك وفضلك وخلقك عطاش (ا.ع) .

ويرى القارئ ان خطاب احمد العوامري بك قد جاء موقعا بالحرفين (ا.ع) وكذلك كان توقيعه الدائم في مختتم كلماته الكثيرة التي اخذت تتوالى بمجلة الرسالة عدة سنوات ، فكأن الرجل الكبير قد آثر الرمز المتواضع اقتداء باسعاف النشاشيبي ، وان كان الاستاذ الزيات قد المع من طرف خفي الى موضعه الجليل حين شاء ان يخصه بوصف (الاستاذ الكبير ا.ع) في فهرس المجلة ، وهو وصف لا يمنحه الزيات الا لكبير حقا ! لا كما تبعثر الاوصاف اليوم بعثرة تدعو الى الاشفاق ، والايام قد صرن كلها عجائب ! ففيم العجب من فضفضة الالقاب والاوصاف ، ولنترك الاستاذ العوامري الى الاستاذ النشاشيبي ، فأذكر عن نفسي اني كنت طالبا بالقسم الثانوي من معهد الزقازيق الديني حين كان المحقق الملثم يوالي بحوثه الرائعة في نقد العقد الفريد على صفحات الرسالة فكنت على حداثة السن وغرارة الصبا شديد الاعجاب والعجب بما اقرا .

اما الاعجاب فلما المس من دقة التحري ، وبعد الغوص وشمول النظرة ، وعمق الاستقصاء ، واما العجب فلاختفاء التوقيع ، وغموض الرمز ، وقد حرصت حينئذ على ان اكشف النقاب عن وجه البحاثة الكبير ، فرأيت ان ما ينشر في الرسالة تحت عنوان (نقل الاديب) مشفوعا باسم النشاشيبي الصريح ، قريب الشبه كل القرابة في حواشيه وهوامشه بما ينشر دون توقيع ، ثم ان التوقيع (ازهري بالمنصورة) ان اضل الباحث بعض الضلال ، فان التوقيع بحرف (نون) يوحي بالحرف الاول من النشاشيبي واخذت اجمع اعداد الرسالة الخاصة ببحوث الاستاذ المقنعة لأوازنها ببحوثه المهورة باسمه الصريح حتى ظننت ظنا يقارب اليقين ان النشاشيبي المعروف في (نقل الاديب) هو النشاشيبي المجهول في بحوثه النقدية الخالية من التوقيع الصريح ، ثم تأكد لي ذلك بأدلة لا اتذكرها الآن ، فتملكني شعور جارف بتقدير النشاشيبي واجلاله وكنت فتى ناشئا ينظم الشعر ويباهي بقرضه على غرور يعهد فيمن يخطو خطواته الاولى ، فنظمت قصيدة كاشفة لنقاب النشاشيبي ، وقد جاء فيها :

دع اللثام فقد واليت تعذيبي ... يا طالما ضل في واديك تنقيبي
حجبت نفسك في سماء شاهقة ... لكن سيبك عنا غير محجوب
فكنت مثل النسيم الطلق ينعشنا ... ولا نراه بتحديق وتقليب
فيم استتارك ؟ والاشواق جامحة ... والعين ما بين تشريق وتغريب
ونحن في زمن كل يتيه بما ... يزجيه للناس من فحش الاكاذيب
هو التواضع في اسمى مظاهره ... لقد قبضت عليه بالتلابيب
فهات بحثك انا معشر كلف ... بما تدبج من شرح وتعقيب
فكم مقال رصين الفكر مؤتلق ... منمق الصوغ مختار التراكيب

لولا ضميري

قاتـــل الله زمانـــا زجنـــي حمـــلا مستضعفا بـــين ذئاب
كلمـــا استغفلت نابـــا ضاريا اوقعتني غفلـــة البال بنـــاب
لم اكن ــ لولا ضميري ــ لقمة لقـــوي ، ومتاعـــا لمـــراب
جف ــ قبل الحين ــ زيتي ، ليتني ذقت شيئا من لذاذات الشباب
ان يـــك العمر كتابـــا فانـــا لـــم اسطر غير عنوان الكتاب

بوانس ايرس ــ الارجنتين زكي قنصل

دنيـــا بمختلف الآداب حافلـــة يريـــك منظرها شتى الاعاجيب
فمن بيان الى نحو الى لغة من كل مؤتنف في الفكر مرغوب
مباحث زادها في النفس منزلة ان اسمك الفذ فيها غير مكتوب
اسلوبك المشتهى نلقاه منفردا بطابع واضح بـــين الاساليب
ما ان اراه على القرطاس مرتسما حتى اسوق اليه كـــل ترحيب
كانـــه اذ يوافينـــي بطلعتـــه (قميص يوسف في اجفان يعقوب)
اخال احرفه السوداء قد كتبت بالمسك يعبق منه عاطر الطيب
استاذي الفذ قل لي غير منتظر من انت؟ واكشف قناع الشك والريب
قلبي يحدثني في كـــل آونـــة ان اسمك الحق اسعاف النشاشيبي

ثم بعثت بالقصيدة الى مجلة الرسالة راجيا نشرها في البريد الادبي فقط ، فليس لمثلي حينئذ ان يطمع في غير نطاق البريد ، ولكن الايام مضت دون ان تنشر الرسالة قصيدتي ، فعلمت انها دون مستوى البريد ايضا ، وقـــد رفضها الزيات .

مرت خمسة اعوام تركت بعدها معهـــد الزقازيق والتحقت بكلية اللغة العربية بالقاهرة ، وبعثت بمقالاتي وقصائدي الى مجلة الرسالة فحازت قبول صاحبها الكبير ، وسعيت الى مجلسه ، فعرفت افذاذا من زائريه ، وفي ليلة من ليالي الشتاء ، فتح باب المكتب ، فهرع الاستاذ الزيات سريعـــا لاستقبال الزائر الكبـــير الاستاذ محمد اسعاف النشاشيبي ، واخذ يقدم له الحاضرين ، وحين نطق استاذنا الزيات باسمي وجدت العلامة النشاشيبي يفتح ذراعيه ويحتضنني وهو ينشد باسما :

قلبي يحدثني في كـــل آونـــة ان اسمك الحق اسعاف النشاشيبي

فدهشت دهشة كبيرة ، لانـــي كنت اعتقد ان القصيدة المسكينة قد غرقت في سلة المهملات حيث لا يصاح بغريق ! وها هوذا الاستاذ النشاشيبي يعرفها ، ولحظ الاستاذ دهشتي فقال : لقد ارسل لي الزيات قصيدتك من اعوام فاحتفظت بها في اوراقي ، ولم أشأ ان اجيب رغبة الاستاذ الزيات في نشرها كيلا تفضح اسمي بين القراء وقد آثرت الاختفاء ! ثم جلس الى جواري ملاطفا ، ودعاني الى مجلسه (بالكونتنتال) ظهر الغد لأتناول معه طعام الغذاء ، وفي مجلسه المشهود سألته عن سر تحجبه ، فقال في لهجة تنم عن التواضع الصادق ، انا والله يا بني لا اعتقد ان شيئا مما اكتبه يستحق الذيوع ، وقد آثرت ان احتجب ليرحم الناقدون اسمي حين يعثرون على اخطائي ! قلت ولكن اساتذة الجيل يرونك امام العربية ووارث لغة ابي عبيدة وعلم المبرد ، ورواية الاصمعي وبلاغة عبد القاهر ! فقال في تبسم : هم مثلك يشجعون فيبالغون .

اين انت يا اسعاف لترى مـــن يتسولون المدائح والتقاريظ ! فـــاذا ووجهوا بالنقد الحق اطالوا الصراخ واكثروا الضجيج ! ويحسبون انهم علي شيء .

القاهرة محمد رجب البيومي



ايليا حليم حنا

كلمات للحياة

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

حياتنا :

شيئان يجب ان نعتز بهما ، ولا نفرط فيهما : خبراتنا والوقت . فالخبرة نضج وحكمة . والوقت نسيج الحياة ورصيدها . وامتزاج هذين العنصرين يعطينا حياة موفورة.

لأي هدف خلقنا ؟

للشاعرة الانجليزية (اللا هويلر ولكوكس) رؤية واضحة للحياة عبرت عنها ببساطة في قصيدتها التي تقول فيها :

انا لا ادري متى اتيت ولا اعرف متى اذهب
ولكنني اعرف جليا انني اعيش
في هذه الدنيا ، دنيا السرور والغناء
انني اتبين خلال الضباب والظلام حقيقة اخرى واضحة
انه في استطاعتي كل يوم وكل ساعة
ان اضيف الى مسراتها وآلامها .
اعرف ان الارض موجودة
ولكن لا يعنيني (لم وجدت ؟)
لانه ليس في امكاني ان احيط بكل هذا السر
ولكني اضيع وقتي عندما احاول هذا
فان حياتي قصيرة ، قصيرة جدا
وبقائي هنا لفترة وجيزة جدا
انني افضل اثناء اقامتي هنا
ان اسدي خيرا واضفي نورا على هذا المكان .
انني اظن ان ما يتعبنا جميعا
هوما ينقصنا من وعي وادراك
لو فكر كل انسان انه جاء الى هذه البقعة من الوجود ليضفي عليها شيئا ولو يسيرا من الجمال .
لحصل العالم بسرعة على مسرته وصحح بيسر كل اخطائه
لو ان كل واحد لم يتنصل واخذ بيد اخيه !!
قف لا تسأل (لم اتيت ؟)
كف عن تعقب الاخطاء والعيوب
انهض اليوم بكل فخر قل :
انني نفحة قدسية من الكائن الاعظم
انه مهما ازدحم العالم فان هناك مكانا لرجل مخلص .
ان العالم في حاجة الي والا فانني لم اكن لأخلق
انني قد خلقت لأسهم بقوة لجعل هذا الوجود جميلا .

لهذا خلقنا

الحياة جميلة وارضنا مكان طيب ، خلق لنستمتع به ، ولكن نحن الذين افسدناه ، جئنا الى هذا العالم ومعنا عدد من الغرائز لنحافظ بها على بقائنا وحياتنا ، فالطفل جاء ومعه بعض الغرائز يحافظ بها على بقائه بمجرد ان يولد ، ولكنه عندما يكبر يستخدم غرائزه فيما لم توجد من اجله ونحن قدوته في هذا ، يستخدمها في اطماعه ويقاتل بها غيره ، ونحن مسؤولون عن هذا لانه منا تعلم ان يفسد هذا الكوكب الجميل بما غذيناه به . لغير هذا خلقنا .

لو فكر كل انسان انه جاء الى هذه البقعة من الوجود ليضفي عليها شيئا ولو يسيرا من الجمال ... لو فكر في ان يستمتع بجمال الحياة مدة اقامته القصيرة على ظهر هذا الكوكب ... لو فكر في هذا ونسي اطماعه لأصبحت ارضنا مكانا جميلا حقا ، كما اريد لها ان تكون .

عندما خلق الخالق هذا الكوكب وخلق الانسان لم يقصد ان يكون المكان رديئا كما نرى ولا ان يكون الانسان شريرا كما نعرف ، وارسل له الرسل والانبياء والمفكرين الانسانيين ليقولوا له : لغير هذا خلق كوكبنا ، وخلقنا .

فكر قليلا وتأمل في سر وجودك وانهض اليوم وقل ان العالم في حاجة الي لأضفي بهجة ونورا على هذا المكان والا فانني لم اكن لأخلق .. انني هنا لأسهم في جعل هذا الوجود جميلا بالحب والتعاون .

الحشرة والانسان

النحل يتعاون ويعيش في خليته وحدة متماسكة متكاملة ، والنمل يعيش متعاونا متفاهما دون قتال او حقد !!

والحشرات تتعاون وتعمل متكاملة متفاهمة دون رقابة او متابعة .. لا اهمال ولا سلبية . كل حشرة تؤدي واجبها دون توان وعلى احسن حال .

عجبا ..!! هل نحن الآدميين اقل من الحشرات وعيا وادراكا واخلاقا ؟! هل نحن اقل من الحشرات تعاونا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتفانيا ونشاطا ؟ يا لضيعة الانسان لو انه ارتضى لنفسه ان تكون الحشرة افضل واكمل منه !!

ما دورك في الحياة ؟

كتب الاديب الامريكي (وليم دين هاولز) في خطاب الى الشاعر الامريكي (ستيوارت مولر) يقول : (ارجو ان اقنعك بأن المرء منا لا يولد بدون غرض) .

ترى هل ينكر كل واحد منا في الغرض الذي جاء الى دنيانا من اجله ؟ اذا كان قد جاء ليزيد الناس واحدا على هذه الارض لا دور له يؤديه فاننا نقول له : (ما قيمتك في هذه الحياة ؟) انه يدب على كرتنا الخضراء ويعيش كما تعيش الدابة . وفي هذا قال (طاغور) : الرجل اقل درجة من الحيوان عندما يكون حيوانا .

لقد جاء كل واحد منا الى هذه الدنيا كما لم يجيء الحيوان ، جاء ليضيف شيئا جديدا الى التراث الانساني الحضاري ، ليعلي البناء وينقي المفاهيم الانسانية الزائفة من شوائبها البدائية ، ويترك اثره ، والا فانه كان من الخير له ولدنياه الا يولد .. ولقد اعجبني في هذا قول قاسم امين : (اللذة التي تجعل للحياة قيمة ليست حيازة الذهب ، ولا شرف النسب ، ولا شيئا من الاشياء التي يجري وراءها الناس عادة . وانما هي ان يكون الانسان قوة عاملة ذات اثر خالد في العالم) .

ولقد كان لقاسم امين اثره الخالد في حياتنا ، كان له دوره العظيم في تغيير مفاهيمنا للمرأة .

الملاك الوحيد

كل منا يشكو من شر الآخرين .. وكأنه هو الانسان الطيب الوحيد في عالم كل من فيه اشرار ، فهو ملاك بين شياطين !

ليت كل واحد منا يراجع نفسه ليراها في المواقف التي يرى فيها الآخرين ولا يرضى عنهم ، وليته عندما يراجع نفسه يعمل على ان يكون افضل بحق والا يسلك كما يسلك هؤلاء الذين يشكو منهم ويرى انهم يشقونه وينغصون عليه حياته !

لم يبدو الجميل قبيحا ؟!

(اهم حكمة يمكن ان نتعلمها هي ان ننظر الى الجانب الجميل من الاشياء) .

(جونسون)

ولكن كيف يمكن ان نرى هذا الجانب الجميل والناس يلفونه بظلام نفوسهم وقلوبهم وعقولهم وانانيتهم واحقادهم ؟!

اغسل نفسك

ماذا يحدث لو انك لم تستحم منذ ولادتك حتى تفارق هذا العالم ؟! ماذا تحس وماذا يصيبك ؟ وماذا تكون الرائحة التي تنبعث من جسمك وتجعلك شيئا لا يطاق الاقتراب منه ؟! سؤال عجيب ! اليس كذلك ؟

لا تعجب . فاننا نهمل غسل ما هو اهم من اجسادنا ... اننا نهمل غسل انفسنا . كم مرة في حياتك حاولت ان تنظف قلبك واحساساتك وتفكيرك ؟

كم مرة تستحم في الاسبوع ؟ وماذا تشعر بعد ان تخرج من حمامك وقد نظفت جسدك وارتديت ملابس نظيفة ؟! .. ألست تشعر بالانتعاش ؟ كم مرة حاولت ان تنظف نفسك من حقدها وحسدها وانانيتها وطغيانها ؟ قد لا تكون قد حاولت هذا مطلقا . والآن تخيل اية رائحة كريهة تنبعث منك ؟ انها رائحة ليست من النوع الذي نشمه بأنوفنا ولكننا نلمسه بقلوبنا وعقولنا عندما تنبعث هذه الرائحة الكريهة في اعمالك واقوالك وتصرفاتك . انك لا تؤذي الناس وحدهم بهذه الرائحة النفسية الكريهة .. انك تضر نفسك ايضا . انك تقتلها ببطء ، انك تسمم حياتك .. انك تدمر جسدك .. حقدك بما يولده من شحنات انفعالية ، ونزعاتك العدوانية ، تمرض جسدك وقد تؤدي الى هلاكك .. سل الاطباء عن هذا يسمعوك الكثير .. هذه القاذورات النفسية تحجب عنك كل جمال حولك فلا ترى الا قبحا وظلاما ..!

اغسل نفسك تسعد .. اجلس الى نفسك كل ليلة ... حاسبها ... اجمع قاذوراتها وتخلص منها ... اغسل قلبك وعقلك ... اغسل نفسك من كراهيتها ، من حقدها ، من قسوتها .. اغسلها من افكارها الرديئة وكن نظيفا تر الوجود نظيفا ... لن تسعد الا اذا امسكت بمعولك وهدمت كل الخرائب التي بنفسك .. والسعادة ليست هبة تمنح ولكنها ثمرة مجهود يبذل . خلص نفسك من كل ما يحول دون اسعادها . عش واجعل غيرك يعيش ... عش حياتك كما يعيش الفنان فنه ... يسعده الجهد الذي يبذله ليصل الى الكمال ..

جميل ان تنسى

(ان الحياة اقصر من ان يعنى فيها المرء بالتوافه) كلمة قالها (دزرائيلي) السياسي الداهية الذي كان في وقته اقوى رجل في انجلترة ... قال الرجل كلمته نتيجة خبرة ، وعلق عليها الكاتب الفرنسي العظيم (اندريه موروا) قال : (ان عبارة دزرائيلي اعانتني على ان اجتاز ظروفا كثيرة مؤلمة ، فنحن غالبا ما نسمح لأنفسنا بأن نتضايق ونثور لأسباب تافهة كان ينبغي ان ننساها ولا نعلق عليها اهمية . ان العمر — مهما طال — قصير ومع ذلك فاننا نقضي ساعات لا تعوض في التفكير والاسى والاسف على اشياء تافهة ، لا شك في اننا وغيرنا من الناس سننساها على مر الوقت . اليس من الخير ان نكرس اوقاتنا القصيرة لأداء اعمال جليلة او انتاج آثار خالدة او في افكار مفيدة مسلية وخدمات لغيرنا ؟)

جميل ان تعفو والاجمل من هذا ان تنسى . حقا ان الذاكرة التي تعي هي ذاكرة قوية ولكن المقدرة على النسيان علامة صادقة على العظمة وسمو النفس والاحساس بنقائص الانسان وانه لا احد معصوم من الخطأ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا تسقم نفسك بالاحتفاظ بسوءات الآخرين ومداومة التفكير فيها واجترارها . انك تتلف اعصابك وتهدم سعادتك وتسلب نفسك راحتها وتفرغها للانتاج ... لا يمكنك ان تنتج وانت تحقد وتدبر امر الانتقام .. انك تضني نفسك وتحطم قواك .

انس . ولا تسيء استعمال ذاكرتك ... حاول ان تجعلها تحتفظ بما يبني لك شخصية صافية مشرقة ، وبما يدخل الراحة على قلبك وينمي عقلك ، ويدفعك الى البناء والابتكار .

مرن ذاكرتك على ان تطرد التوافه والاحقاد والاخطاء والنقمة والمرارة . لا تجعل منها خرائب ينعق فيها البوم . اجعلها روضة تحوي شتى الازاهير ذات الاريج الطيب والشكل البديع لتنعم انت وتسعد ثم يسعد من حولك .

الرجل الانسان

قال (امرسون) : (الرجل الانسان هو الدولة ، انه ليس بحاجة الى جيش او حصن او اسطول . انه شديد الحب للناس .. علاقته بهم ملائكية ، وذكراه دواء لهم ، ووجوده عطر وزهر ..)

وقال شاعر (لا اذكر اسمه) :

وطني الدنيا وديني خالقي واخي كل شقي في البشر

وقال سقراط (٤٧٠ قبل الميلاد) :

(لست اثينيا ولا يونانيا ولكن وطني هو العالم) .

هذه صيحات انسانية رائعة نادى بها فلاسفة وشعراء وادباء على مر العصور .. عالمنا في حاجة كبيرة الى الاستجابة لها ... ان مصير احفادنا وعيشهم في عالم اجمل وافضل منوط بتحقيق هذا المستوى الانساني السامي .. وهذا الفكر الذي يمثل فهما حضاريا هو الطريق الى عالم يبثيه الاحفاد في دنيا يسودها روح الوئام والمحبة والتعاون .

اننا في هذا العصر الذي اتسعت فيه رقعة الوطن الانساني .. وافاد كل انسان في اي مكان من معطيات العصر العديدة دون تمييز او تحيز للون او جنس او دين في هذا العصر ما زال الناس في الاماكن التي اتسم ناسها بالجمود وبازدواج التفكير يحاربون بعضهم البعض ويتقاتلون ويتناحرون ويتعصبون ... يعيشون بعقولهم وقلوبهم في البدائية الاولى ووحشيتها ويعيشون بأجسامهم فقط في عصر النور .. انهم يطمسون هذه الحضارة الباهرة بما في نفوسهم من وحشية مستترة وراء القيم الزائفة ، قيم الكهوف والظلام .. ما زالت هذه القيم البدائية الغاشمة توجههم الى الارهاب والخطف والتعذيب والقتل ..

انه عار على انسانيتنا الحديثة ان تتشبث بانسان الكهف وتسيرها همجيته ووحشيته ضاربة عرض الحائط بكل القيم السماوية والحضارية ... اننا لا نعيش عصرنا الا بأجسادنا اما قلوبنا وعقولنا فما زالت تعيش في الكهوف المظلمة ولا سبيل الى خلاص العالم الا بثورة روحية شاملة .

يقول (ارنولد توينبي) : (لا يمكن ان تصل الى سلام حقيقي دون ثورة روحية شاملة) .

اننا نغالط ونرفع شعارات الفضيلة والكمال والخلود وفي اعماقنا ننحت الاصنام ونعبدها .. نعبدها بقوة ولا نرى الها غيرها ، ولكن بشفتينا فقط نعبد الاله الواحد خالق الكل ، الذي خلقنا جميعا من نفس واحدة ، نعبده وفي نفوسنا اصنام عديدة عزيزة علينا : الانانية ، الحقد ، التناحر ، الكراهية ، التفرقة بجميع انواعها ... وموكب الاصنام يتدفق من اول الطريق الى حيث لا نهاية !

هل انت مؤمن حقا ؟

اسمعك تقول : او في هذا شك ؟! هل تؤمن بالخلود في عالم آخر بعد الموت ؟ انك تجيب على الفور : طبعا ، فكيف اكون مؤمنا ان لم اكن اعتقد في حياة اخرى لا تعرف الموت ؟!

هل تعمل حقا من اجل هذا الخلود ؟ ماذا تفعل لو تعارضت فائدتك الدنيوية مع تعاليم السماء ؟ اجب بصراحة .

ما صلتك بأخيك الانسان ؟ هل صالحه مقدم على صالحك ؟ هل تعدل ان كان العدل لا يخدم مصالحك واغراضك وميولك ؟ هل تحب الناس جميعا دون ادنى اعتبار ؟ هل تحس ان الدنيا مكان جميل يجب ان تحافظ على جماله بالعطف والرقة والمحبة والبعد عن القسوة والعنف والتعصب ، وكل شر ؟ اجب ولا تغالط .

الثورة الروحية الشاملة التي يراها (توينبي) لسلام العالم هي الايمان الصحيح العميق الذي هو محبة عميقة للانسان وللخير والجمال . والمحبة العميقة تخلصنا من ادراننا ، وضيق عقولنا وجمودنا ، وتحول اي مجتمع الى جنة حيث التآخي والتآزر ، ونكران الذات .. الايمان رباط قوي يربطنا بكل ما هو انساني ويسمو بنا الى ما فوق اجسادنا وشهواتنا ، يخلصنا من حيوانيتنا وانانيتنا وقسوتنا . بغير هذا الايمان الصحيح لا يمكن ان نصل الى سلام حقيقي . ونبقى في الكهوف البدائية المظلمة بقلوبنا وعقولنا ، بالرغم من كل المظاهر المذهلة لحضارتنا .

ولا اجد ما اختم به حديثي هذا افضل من كلمة (جون جالزورثي) التي جعلها شعاره في حياته ووضعها على مكتبه لكي تنبهه اذا ما دعا داع الى ان يتناساها ، او يحجم عن تصريف اموره بمقتضاها .. وضعها على مكتبه وجعل منها ميثاقا مكتوبا لا يتحلل منه .

قال الرجل :

(لن انتظر ان امر في هذه الدنيا اكثر من هذه المرة ، فكل خير استطيع ان اصنعه وكل يد استطيع ان اسديها لانسان او حيوان ابكم فلأصنعه الآن ، ولن ارجىء ولن اهمل لأن الفرصة قد لا تسنح مرة اخرى) .

القاهرة **ايليا حليم حنا**

المتنبي

بمناسبة مرور ألف سنة على وفاته

الياس قنصل

*

بيانك في سفر العروبة عنوان ودهرك من سامي خلودك غيران
تجاوزت الفا من سنيه ولم تزل كما كنت في الدنيا وعمرك ريان
وتختلف الاذواق شرقا ومغربا وقولك في الحالين حكم وسلطان
اذا رجحت بالشاعر الفحل كفة وجلت معانيه فشعرك ميزان
وما المجد ان يخشى لقاءك جحفل وتعنو لما يمليه سيفك تيجان
ولكنه مما نظمت اشارة الى مظهر فيه عن الفضل تبيان
وما العز ان تجري هباتك جدولا ويسعد مما في عطاياك ضيفان
ولكنه الاسم الذي انت واصف مواقف منه بالمآثر تزدان
اذا طلبوا عنه بيانا وحجة فذكرك اياه دليل وبرهان
نثرت على اللفظ الذي كان ذابلا نداك ، فاحياه جمال وريعان
ففي كل معنى من معانيك جنة تزود معانيها قلوب واذهان
تمر الليالي بالخطوب وبالصفا وتبعك سلسال وحاسيه ظمآن
تغوص الى سر النفوس فتجتلي عواطف يخفيها عن العين كتمان
وتسكب منها في قوافيك حكمة يفيق لها غاف ويرشد سهوان
فكيف يجاريك الخصوم وشعرهم قواف خلت منها الحياة وأوزان
ولا عجب ان ترتفع عن حضيضهم فلا يستوى في الجو نسر وديدان
تخلد من تهوى كأن يد القضا يطيب لها ما رحت تأمر اذعان
اذا رمت فالحكام حزم ونخوة وان رمت فالقواد سخف وخذلان
خلعت على كافورٍ غيظك ناقدا فاذ هو الا من هجائك عريان
وادخلته التاريخ رغم ذكائه لتضحك اجيال وتسخر ازمان
وقلدت سيف الدولة المدح صادقا وفيك بما فيه من الصدق ايمان
فاصبح رمزا للبسالة يقتدي بغيرته في السلم والحرب اقران

نعيت على ابناء يعرب ضعفهم وفي ضعفهم نكس وذل وخسران
وحذرتهم من ان يكون بناتهم اعاجم هانت ارضهم بعد ان هانوا
وطالبتهم بالصد عن كل دعوة يسر لها قدم وساه وكسلان
وها نحن في وضع وصفت مآله نقاسي خفايا شره وهي ألوان
تضاءل عد السائرين بهمة يسدد مرماها ضمير ووجدان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فشردنا التضليل عن كل موكب يسيره جد وعزم وعمران
واني نفيد الخير من كف مارق يدربه في منهج الختل امعان
يخاطبنا بالضاد اما فواده ففيه من الافرنج عرش وايوان
ويقسم بالله العظيم ونفسه تسيطر اصنام عليها واوثان
تقابل اهوال الخمول رحابه ويغمرها بالبؤس جهل وطغيان
ويهمي عليه الغيث تبرا وفضة وتجري حواليه من المال غدران
ولو شاء اغنى اهله بنواله فلم يبق بين الاهل صاد وجوعان
ولو شاء ضاق الجو عن طائراته وآجره في وقعة الثار اخوان
ولو شاء ارسى في المحيط سلاحه فعزت به في عالم العرب شطآن
ولو شاء مادت بالحديد دياره وملء حناياه رصاص ونيران
فواحسرة الاخلاق كيف تدهورت وكيف عدا منا على الحق بطلان
وكنا قديما سادة رغم فقرنا ونحن على رغم الغنى اليوم عبدان

وعابوا عليك الحرص ريا لغلهم وما عابه الا حسود وشنآن
سعيت الى الاثراء غير مخادع وغيرك يخفي سعيه وهو حسران
وما كنت تبغيه لتخزن رفده وعينك ترعاه وبالك سهران
اردت به امرا الى نفع امة اصاب معاليها من الروع حدثان
وما دام كسب المال سلم خامل الى مركز يسمو لنائله شان
فلا تعدل الآداب تتبع نهجه اذا باء بالخذلان فن وعرفان
طلبت الغنى والعز دربك نحوه واغلب ما في المال رق وايهان
ولو شئت ان يأتيك في اي حالة لسرت وفي نعليك در ومرجان

يطالبنا بالفقر قوم كفوفهم من البخل والتقتير قفل وصوان
يريدون منا ان نعيش على طوى لترفعنا في ساحة الموت صلبان
كأن نعيم الارض ملك يمينهم وحصتنا منها شقاء واحزان
فلا هم يضني بالعناء نفوسهم ولا نجدة ترجى اذا صاح لهفان
ويخشون — مهما يستعدوا — سباقنا متى ضمنا في دورة الكد ميدان
تسامت عن المرمى السخيف خلالنا وأبعدنا عن دولة الفلس عصيان
ولسنا نبالي ان يطول خريفنا اذا هل منه بعد ذلك نيسان
وما ضرنا في نصرة العدل اننا على مذبح الاخلاص للعدل قربان
ولم نرض عن عجز ولا عن بلادة كما خال نمام وخمن ظنان
حملنا هموم الناس قبل همومنا واحرجنا بالغم والكرب ما عانوا
نحس بناب الظلم ان ثار مرهق ونشعر بالآلام ان ناح ثكلان
ونحيا وفي اكبادنا كل حسرة تجرعها في فسحة الارض انسان
وقد يذهل المحزون عن نكباته وليس لنا عما يكابد سلوان

عرفت من الحساد كل وشاية ينوء بما فيها من السوء ثهلان
وغالبتهم حتى اضاعوا صوابهم وباتوا وهم بالغيظ صم وعميان

وما كان عمدا مـــا فعلت وانما ... نبوغك في وجـــه المكابر بركـــان
وكيف يـــرد البحر ان ثار موجه ... ويخمـــد اعصار ويحجـــز طوفان
وكيف يكـــم الصمت ثورة شاعر ... تضيق وتعيا عـــن امانيه اكوان
واعجزهم ان يلحقوا بـــك مـــرة ... وبـــين قوافيهـــم عيـــاء ونقصان
فعادوا الى الماضي البعيد تقودهم ... حقـــود يغذيها الصغار واضغان
وعاثوا فسادا في الطفولة والصبا ... كما عاث بالحملان في القفر ذؤبان
يذيعون مـــا يمليه همس ريائهم ... ويهدمه صوت مـــن الحق رنـــان
لفيف مـــن الاقزام ينطح معقـــلا ... له من صخور البأس اس وجدران
ولـــم يثبتـــوا بالغمز الا ضلالهم ... وعادوا يجرون الشنار كما كانوا
واديت عـــن حـــق النبوغ ضريبة ... رواسمها جهـــد وصبـــر وحرمان

ابا الطيب المغبون في كـــل دارة ... كلانا لمـــا عانى من الناس حيران
بليت بقـــوم مثـــل قومك جلهـــم ... لئيـــم يغالي في الضلال وخـــوان
بنيت لهـــم بالشعر مجدا محجلا ... فمـــا راقهم شعر ومجـــد وبنيان
امـــد لهـــم كفـــا تفيض مـــودة ... وأعرض قلبا فيـــه عطف وتحنان
فيصدمني مـــا دبروا مـــن حبائل ... ويؤلمني منهـــم صـــدود وهجران
تلاحقني بالوخـــز منهـــم شتائـــم ... ويغمرهم بالمـــدح منـــي ريحـــان
اذا لمحـــوا فوزي وفوزي يخصهم ... تعقبني منهـــم جحـــود ونكـــران
وان خذلتنـــي الحادثات فنصحهم ... سباب له في النفس جرح واثخان

اذا كنت قد اسديت للخلد والعلى ... طرائف شعر فيـــه وحي واتقان
فعمرك مـــا سن الجهاد لاهلـــه ... وما اختار من امثولة النبل فتيان
وموتك اسمى ما نظمت وان يكن ... عدوك صفى ثاره وهـــو جذلان
خطوت اليه رابط الجاش صامدا ... ومنجله بـــادي النواجذ غضبـــان
ونازلتـــه لـــم تحتفـــل بمكيـــدة ... يخـــاف عواديها كمـــاة وشجعان
وظنوا بـــأن الموت تلقـــاه جازعا ... فخيبهم مـــن حـــد سيفك ايقان
وأثبت يـــوم الهول انـــك صادق ... وان الالى عادوك في قولهم مانوا
وعلمت ان يغـــدو الاباء فريضة ... ونفذتهـــا والحتف ليـــل وعدوان
ومـــا العمر الا وقفة ترفع الفتى ... والا كفـــاح منـــه تفلـــح اوطان
فاما بقـــاء ينبت العـــز خالصا ... وتحمى مجانيـــه سيوف ومـــران
وامـــا قضاء ليس للموت صولة ... عليـــه وان صالت قبور واكفان
واي انتفاع مـــن حيـــاة طويلة ... وفي عرضها حيف وهون وخشيان
ومـــا قيمة الاعوام تمضي رتيبـــة ... وليس لها في دوحة الذكر اغصان
ورب انتصار كـــان للـــذل شارة ... ورب اندحار فيـــه للفخر ديوان
اذا كـــان اصـــلا للثنـــاء مناضل ... يخفف عنه العسر صبر ورضوان
فاجدر بالتقدير مـــن جابه الردى ... وفي وسعه عمـــا يجابـــه غنيان
ومن لم يكن في ساعة الموت باسلا ... فجرأتـــه في العيش زور وبهتـــان
لأنـــت مثـــال ان تعالت كرامـــة ... وانت شهيد حـــين تعظم بلـــدان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مدحت فتى الفتيان عن كل غارة ... توطد فيها للسيادة اركان
فرددت الانحاء شعرا مخلدا ... وباهت بلاد العرب في العز حمدان
وما كنت تثني للنضار وانما ... لأنك بالنصر الذي نال نشوان
ينام ولاة الامر عن اي غزوة ... تساق على ارجائهم وهو سهران
مدحت به الفوز الذي انت ناظر ... وقد عاد بالاخفاق عجم ورومان
يخاف العدا المجرمون حسامه ... وينتابهم منه رجيف وبحران
فلم يتخذ مما تحملت عبرة ... ولا راعه ان يحقر الليث سرحان
ايخذل من دان القريض لفكره ... ويطربه في معرض الشدو غلمان
ايعرض عمن اسهر الناس شعره ... وجابت به اقصى البسيطة ركبان
ويحضن من لا يبتغي غير ماله ... وتنفر منه حين ينسب قحطان
وضاقت بك الدنيا ومن خاب ظنه ... بصاحبه عانى الاسى وهو حسران
لقد كان صعبا ان تفارق ارضه ... ومجلسه للعبقرية ديوان
واصعب منه ان تنام على رضى ... اذا شك في تقدير ودك خلان
فودعت عهدا بالسعايات حافلا ... وغادرت قصرا فيه بوم وغربان
ونال العدى ما املوه ولم يعد ... متى تذكر الشهباء للشعر ربان
وضاعت على من ضايق الروم فرصة ... تاهبها بالعجب والزهو جيران

اطل علينا من خلودك واجما ... فما زال فينا للتنافر اعوان
وها نحن بعد الالف شعب ممزق ... وساستنا في حلبة الحكم صبيان
نخاف وحوش الغاب وهي بعيدة ... وفي دارنا صل وذئب وثعبان
ويسبقنا من كان في الدرب بعدنا ... ويربحنا في آخر الشوط عيان
وما عاد يخشى الحرب منا عدونا ... ونحن بما فينا من الطيش قطعان
نحيل على الاقدار ذنب ونائنا ... ويحجب عنا ما اقترفناه نسيان
تخذنا من الاديان للشر مسلكا ... وتبرأ ممن يضمر الشر اديان
نصلي وفينا للخصومات رغبة ... وكل صلاة في الخصومات كفران
وتغتفر الزلات بعد ندامة ... وليس لمن يجني الخيانة غفران
قسونا ولم نسرف وغالوا بلومنا ... وفي الوطن المحبوب تمرح غيلان
وهلا نطيق الصمت والدم نازف ... ومدمعه مما تحمل هتان
السنا نشيد المجد يوم حبوره ... وسلواه عن حكم ... وهو اسيان
على يدنا تمت مطالب اهله ... وغادره عاد وطاغ وقرصان

ارى الافق في دنيا العروبة اسحما ... وفيه ظلال كالحات وادجان
ولن تنقضي الا سنون قليلة ... ويدفق بالنار الخبيئة ياسان
فتحرق من حابوا العتو تزلفا ... وتحرق من ذلوا وتحرق من خانوا
وتصفو بلاد العرب من كل مائن ... له في وزارات الاعاجم اثمان
وما هي احلام تراود شاعرا ... تعالت له في غربة الروح الحان
ولكنه التاريخ يلقي دروسه ... ليسمع منها صرخة الحق غفلان

بوانس ايرس ــ الارجنتين

الياس قنصل

وقفة جديدة مع الدكتور انس داود في :

الرؤية الداخلية للنص الشعري

بقلم الدكتور محمد سعد حسن

مدرس الادب والنقد بجامعة الازهر

* * *

ونعود الى كتاب « الرؤية الداخلية للنص الشعري » مرة اخرى ، لنتبين تلك الرؤية الفنية في باقي القصائد والاشعار التي عرض لها المؤلف في ثنايا هذا الكتاب .

ففي قصيدة « البلبل الساكت » للشاعر القروي (رشيد سليم الخوري) يؤكد المؤلف ان الشعر الرفيع انما هو وليد مشترك بين الوعي واللاوعي ، ترفده اسرار النفس ودفين مشاعرها ، كما ينظمه الفكر ويجلوه الخيال .

والشاعر القروي في تلك القصيدة يصف شيئا وهو يريد شيئا آخر ، وذلك في نظر المؤلف احدى سمات الشعر الرفيع ايضا ، بمعنى ان يكون للشعر مستوى من المعنى الظاهر ، ومستوى آخر تشف عنه العبارات ، وتومىء له الصور .

والقصيدة من الشعر الرمزي ، الذي يتعلق برمزية الموضوع ، فحديثه عن البلبل ليس في الحقيقة سوى حديثه عن نفسه ، وقد كشف تاريخ انشاء القصيدة عما تحتها من رموز ، فقد كتب الشاعر هذه القصيدة قبل ان يهاجر ، حين كان يعاني عذاب القيود ، التي فرضها الحكم التركي على المواطنين من ابناء العروبة في سورية ولبنان وفلسطين .

والقصيدة قصة ليلة مطيرة ، وبلبل حائر يطلب مأوى ، وفي كل لمحة نجد عذاب الشاعر النفسي ، ونجد غوائل المستعمرين ، وعواصف الحكم التركي الغاشم ، تطارد اصحاب الكلمة ، وتكمم افواه الاحرار .

ولم يفت المؤلف ان ينبه على احد عيوب تلك القصيدة ، ذلك ان ثمة تعابير لم يجتهد الشاعر في صياغتها تحمل طابع النثر ، وطابع التقرير ، وتبعد بعض الشيء عن التصوير الفني الموحي المؤثر .. مما اوهى التواصل في بعض الابيات بين نفسية الشاعر ورمزه الفني ، ولم يجعل من الرمز نقابا شفافا على نحو قدير وجدير ، واستدل على ذلك ببعض تلك التعابير من امثال : « والله ادرى » و « عسكر الغيم » و « هدأ الطبع » و « من عهود الرشيد » وغير ذلك من امثال تلك التعابير النثرية التي تشير — في راي المؤلف طبعا — الى ان الشاعر القروي لم يكن قد بلغ آنئذ درجة النضج الفني .

وقد كان بودنا ان يحول المؤلف — وهو شاعر يدرك بحسه الشعري وبرؤاه الشعرية ما لا يدركه غيره من غير الشعراء ، مسار تلك التعابير من النثرية الى تلك اللغة الشعرية ، التي حدثنا عنها حديثا طويلا ومتواصلا على صفحات هذا الكتاب .

وفي ظني ان جملة « والله ادرى » التي اعترض عليها المؤلف قد فجرت في نفسي كثيرا من الطاقات النفسية والفكرية ، التي جعلتني اتعاطف مع الشاعر ، بل واعيش معه جزءا من تلك التجربة ، التي فجرها في تلك القصيدة . ولقد جهدت كثيرا في العثور على جملة اخرى تفي بمتطلبات الفكر والوجدان من تلك الجملة ، فلم اوفق في العثور عليها ، بيد اننا لا نختلف مع المؤلف في ان تلك القصيدة انما تمثل مرحلة من المراحل المتقدمة للشاعر ، وهي مرحلة لم يبلغ الشاعر فيها من النضج الفني الى الدرجة التي بلغها بعد الهجرة ، لانه كان آنئذ في مطلع الشباب .

واما قصيدة العقاد « ترجمة شيطان » فيثير بها المؤلف حديثا قد يمتد الى عدة اجيال حول شاعرية العقاد ، ومدى هذه الشاعرية ، وخصائصها ، واصالة المجالات التي عبرت فيها عن نفسها ، وقوة الصلات التي بينها وبين الطبيعة والحياة او وهن هذه الصلات .

واذا كانت القاعدة ان الشاعر يبدأ مغرقا في النزعة العاطفية ، وينتهي بالتأمل الهادىء الرصين ، الذي تغلب عليه الحكمة ، فان العقاد قد قلب هذه القاعدة ، حيث بدأ حكيما متفلسفا ، ثم اخذت عواطفه تشتعل رويدا رويدا حتى استغرقته في ديوان « اعاصير مغرب » وما تلاه .

ثم يذكر المؤلف انه يختلف مع الدكتور عبد الحميد يونس الذي علل لتلك الظاهرة بقوله « والسبب في ذلك واضح ، وهو ان العقاد اراد بحوافز الطموح الهائلة التي فطر عليها ان يبدأ من حيث ينتهي غيره ، وتسلسل دواوينه على مراحل سيرته الشعرية لا يكاد يشذ عن هذا المسار المعكوس ، حيث يرى ان رؤى العقاد الشعرية مع عقله الوافر لم تكن على جانب كبير من الصفاء والشفافية ، ولذلك كان في حاجة الى وقت طويل يتعامل فيه مع الفن الشعري ، ويقترب رويدا رويدا من شاعريته حتى تتكشف له في رصد العواطف الساذجة ، والاحلام الطفلية ، والمشاهد الاليفة في الطبيعة والحياة ، وحتى يتكشف له عنصر الدهشة في الاشياء المألوفة ، فيعنى لمشاهد الطبيعة ويخص الكروان بديوان خاص من شعره ، ويبكي الما واحتراقا من اخفاقه في الحب ، ويذوب سذاجة وعفوية مع الحبيبة المواتية ، والطفولة المثرثرة .

واذا كانت قصيدة العقاد « ترجمة شيطان » قد اثارت انتباه الكثيرين ، وعلى راسهم الدكتور طه حسين ، الذي خص تلك القصيدة بالاشارة ، وهو يمنح لواء الشعر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للعقاد في حفل تكريمه ، عام ١٩٣٥ ، وكذا الشاعر عبد الرحمن صدقي صديق العمر للعقاد ، فان مؤلف الكتاب يعرض في تلك القصيدة رأيا — في ثنايا نظرته التحليلية لها — يقف على النقيض من هذه الآراء .

فالبيانات النثرية الكثيرة التي عمد اليها العقاد في صدر القصيدة ، وفي ثناياها تفسر ان سر الغموض في القصيدة لم يكن مبعثه جلال الفكرة ، او ولوجه في عالم النفس المستسرة ، التي يعز الاقتراب منها الا بالتصوير الموحي ، وانما كان مبعثه جهدا في النظم ، وعجزا عن القدرة البيانية الكاملة ، داخل الاطار النظمي للشعر ، وبعدا بينا عما تتطلبه لغة الشعر من تصوير وايحاء ، ومن ثم كانت هذه البيانات النثرية في القصيدة (ص ٧٣) .

ان لغة العقاد في القصيدة غير شعرية ، لان اللغة الشعرية تصور ولا تقرر وتوحي ولا تبين ، ولغة العقاد في القصيدة نثرية ذهنية تسقط على الاشياء لتحددها وتوضحها ، وتهدف الى بيان رأي ، ويحل محلها احيانا شروح العقاد وعكاكيزه التفسيرية .

والذي نود ان نكشف عنه هنا ، هو ان اخضاع الشعر الفلسفي وبعض الشعر الصوفي لهذا المنهج يكشف عن كثير من السوءات الشعرية ، كالتي اشار اليها المؤلف في معرض تحليله لقصيدة العقاد السابقة ، اذ ان العاطفة تأتي من وراء العقل في هذا اللون من الشعر ، فليس لنا ان نؤمل في ان يتخلص الشاعر من خاصة التقرير ومن النثرية والذهنية على المستوى العام للقصيدة ، وان امكن التخلص من تلك الخاصة في بعض المواقف الجانبية ، او اللقطات الفرعية ، وبهذا يصبح هذا الشعر في احيان كثيرة من النثر المنظوم ، لا من الشعر .

وكنا نود ان يتنبه المؤلف الى تلك الملاحظة ، بل والى الحديث عن موسيقية القصيدة ، فقد بناها الشاعر على نظام الرباعيات ، ففي كل بيتين تتفق الشطرتان الاولى والثالثة في قافية ، والثانية والرابعة في قافية اخرى ، لان هذا التنويع من الموسيقى الخارجية للقصيدة هو الذي جعلها تطول حتى تبلغ مائتي بيت ، وحتى يستوفي الشاعر في اثنائها تلك الفكرة الفلسفية الهائلة .

ولعل ما يؤكد هذا القول ان الشاعر حين حكم ذات المنهج في شعر ناجي فانه وجد نفسه — كما يقول — امام نمط من الشعر ذكره بما كان يفعله المتصوفة المسلمون في خلواتهم .

ومعظم التفسيرات التي يراها النقاد في شعر ناجي ، من كونه شعرا يدور حول المرأة ، داميا من جراح لقاء لم يتم ، او متلهفا على وعد بلقاء ، انما تنبع من قراءة المستوى الظاهري لشعره ، ولكن الرؤية الداخلية لهذا الشعر لها رأي آخر ، وهذه الرؤية لا تسقط على العمل الفني من خلال مسبقات فكرية ولكنها تشغل نفسها بالنص وحده ، وتتبع علاقاته الداخلية ، والنظرة اليه من خلال معجمه وصوره ، وطريقة الشاعر في تشكيله مستضيئة — فحسب — وعلى حذر شديد من كل ما استقته من معلومات تاريخية واجتماعية ، فقد يعبر الشعر عن الوجه المناقض للعلاقة بين الشاعر والاشياء لاشباع حاجة نفسية دفينة ، ومن ثم لا يصلح ان يكون وثيقة حياة ، ولا ان تكون وقائع الحياة مرجعا لرصد ابعاده .

وقد اتخذ المؤلف من قصيدة « زازا » مجالا لهذه الرؤية ، وكان من ألمع ما اشار اليه في معرض تلك الدراسة ما يسميه بعض النقاد « عناقيد الصور » والتي تعني ارتباط مجموعة من الكلمات بألفاظها او معانيها المقاربة ، على نحو يتكرر بصورة لافتة للنظر في شعر الشاعر ، مما يؤكد دلالة معينة ، ويضع ايدينا على البؤرة النفسية لاشعاع تجربته ، او على جرح الشاعر الدفين ، الذي ينزف في كل عمل فني .

وقد اشار المؤلف الى ان شعرا كثيرا عند ناجي يدور حول المرأة في مستواه الظاهري ، ويشف عن علاقة معينة بين الثالوث الذي ذكر في مطلع قصيدته « زازا » : الشاعر والغمام والسماء ، او الانسان والامل والمطلق .

وفي رأي المؤلف ان ناجي في شعره عن المرأة كان يجرد كل محبوبة من صلاتها بالواقع الانساني المحدود ، ثم يصلها بالاشياء المطلقة في الطبيعة ، ثم يتوجه اليها بصلواته ، كما يتوجه النساك الى ربهم في زفراتهم الحارة .

المرأة في شعر ناجي كانت انسب « قناع » للتعبير عن حيرته امام المجهول والمطلق ، لان فيها — فيما يرى ناجي — بعض خصائصه ، كسر من الاسرار وجزء من فاعليته في الانسان ، حيث يتكامل بها وجوده ، بل ويزدهر هذا الوجود .

وقد شغف المؤلف دراسته بالكثير من اشعار ناجي ، ولم يفته ان ينبه على بعض العيوب التي وقع فيها الشاعر ، كالتقريرية ، والحشو وغير ذلك ، كل هذا في ضوء رؤيته الفنية ، او رؤيته الداخلية لتلك الاشعار .

ثم تكون نهاية المطاف عند قراءة في معلقة امرىء القيس ، التي رأى ان يضع لها عنوانا ، وان يجعل هذا العنوان « امام اطلال الحبيبة » او « امام اطلالها » ، وقد كان ذلك الصنيع دليلا على ذكاء المؤلف ، اذ رأى في عنونة القصيدة على هذا النحو حلا للكثير من المشكلات النقدية التي ثارت حول تلك القصيدة ، كالوحدة الفنية ، التي جردها منها كثير من النقاد ، وبخاصة الكتور طه حسين في كتابه الاشهر « في الادب الجاهلي » .

وقد حاول المؤلف ان ينتصف لتلك القصيدة ، بل ولكثير غيرها من الشعر الجاهلي ، الذي حمل عليه الدكتور طه حملة عنيفة ، وجرده من الشعر والشاعرية ، ورأى فيه انه شعر مفكك متكلف منتحل لا يمثل شخصية قائله ، وذلك حين اكد ان الوحدة الفنية امر لا ينفصل عن البواعث الاجتماعية والذاتية للشاعر .

وبعد وقفة فنية نافذة ، وبعد تعامل لبق مع ابيات تلك القصيدة بين اننا اذا نظرنا الى عناصر شعر امرىء القيس ، والى لغته الشعرية ، والصور الاليفة التي يستخدمها،والى الاشياء البسيطة التي يحتفي بها في شعره: بعر الآرام اللحم ، الشحم ، الصحاف ، العبيط المثمل ، الغبيط نجد انه يحل تلك العقدة التي لم نحلها في شعرنا المعاصر « لغة الشعر » ، رفع الازدواجية بين شعرنا وحياتنا ، او حلول الحياة في الشعر على نحو ما تحل حياة امرىء القيس بكافة جوانبها ، وتحل بيئته بأشيائها الجليلة والهينة ، وتحل تجاربه ومشاعره الهينة منها والجليلة ايضا .

واشار الى خاصة « التجسيد » التي نجدها واضحة في شعر امرىء القيس ، وفي اشعار كثير من الجاهليين ، كما يتضح في صورة البعير الجاثم بهيكله على انفاس الشاعر ، وفي صورة تثبيت النجوم وشدها الى جبل « يذبل » بأمراس متينة ، وغير ذلك .

وبعد دراسة واسعة نفذ فيها المؤلف الى الاعماق النفسية والاجتماعية لامرىء القيس ، نستطيع ان نلمح آية وحدة القصيدة الفنية ، وصدورها عن عمق الاحساس بتجربة « الفقد » في حياة هذا الشاعر ، فلئن هدم المطر ما هدم فهو بشير بعودة الحب ، وتجدد ازدهار الحياة ، فهو نهاية وبداية ، والحياة عنده لا تتوقف قط ، تلك صوره يعرضها العقل الباطن على ذلك الثاوي امام اطلال الراحلة ، العائش في ذكريات الفقد ، تدعوه لان يحس بحركة الحياة وديمومتها ، واستمرارها ، ولان يعود مع الربيع المقبل الى تجربة حب جديد .

ولقد كان المطر رمزا للتجدد والازدهار في كل الاساطير القديمة ، وفي كل الآثار الانسانية العظيمة ، وكانت لفتة كريمة من المؤلف حين اشار الى ان شعرنا المعاصر حين استورد العلاقة بين المطر والتجدد والازدهار من « اليوت » فان المطر كان يحيا هذه الحياة الرمزية العميقة — ودون ان يحس الشاعر المعاصر — في شعرنا القديم .

وبعد هذه الجولة التي طالت مع صفحات هذا الكتاب القيم نستطيع القول بأن منهج « الرؤية الفنية » الذي تعامل معه الدكتور عبد العزيز الدسوقي في دراسته لبعض اشعار المتنبي ، والتي نشرت تباعا في مجلة الثقافة الزاهرة نلمح بينه وبين المنهج الذي اشار اليه المؤلف في هذا الكتاب بعض اوجه الاتفاق والافتراق ، فكلاهما يدعو الى التعامل مع النص ذاته ، والى الاستشفاف الذوقي والدلالي للاساليب والتعابير التي يلجأ اليها الشاعر ، وقد اختلفت التسمية عندهما على هذا النحو الواضح ، وكذا طريقة التناول والاداء ، فالدسوقي في دراسته لبعض اشعار المتنبي اعتمد على احساس ذاتي بالنص في الاغلب الاعم ، ولم ينس ان يعير جل الدراسات السابقة عن المتنبي التفاتة بين الحين والحين ، بمعنى ان تعامله مع النص كانت تحكمه — في الغالب — مسبكات فكرية ، بينما كان الدكتور انس يستضيء بتلك المسبقات — فحسب — دون ان يتخذها محورا رئيسا في كل ما عرض له من قصائد واشعار .

وايا ما كان الامر فان تلك النزعة التأثرية في الدراسات الادبية والنقدية الحديثة سوف تصبح مع مرور الايام من اهم العوامل التي تجعل بيننا وبين النصوص الادبية نثرا وشعرا ذلك التواصل المحبوب ، الذي كنا نفتقده في ضوء الدراسة التقليدية ، التي كانت تتعامل مع تلك النصوص من خلال مسبقات فكرية ، دون ان تخضع تلك النصوص خضوع الاسباب للمسببات ، مستنفدة جهدها في رصد وقائع التاريخ الشخصي والاجتماعي للشاعر ، وغير ذلك .

وثمة ملاحظات اخرى نود ان نسجلها على المؤلف في السطور التالية .

من الملاحظ ان شعرنا العربي ، عبر عصوره المتطاولة لا يخلو في احيان كثيرة من الناحية التقريرية ، والناحية الذهنية التي تجعله ذا بعد واحد ، وهذا ما يتنافى مع طبيعة المنهج الذي يدعو المؤلف اليه ، فهل يعني هذا ان نغض الطرف عن هذا الشعر ؟ او نقوم بمحو تلك الاشعار ونعمل على اسقاطها من كتب التراث لا لشيء الا لان معايير الشعر الرفيع لا تنطبق عليها . ام ان هذا المنهج كان ينبغي عليه ان يتقدم بمبادرته السلمية تجاه تلك الاشعار ، وان يقبلها ، ويجعل بينه وبينها ذلك التواصل الحميم وعلى نفس النمط الذي يربطه بالشعر الرفيع ، او بالشعر ذي الابعاد المختلفة ؟

واذا كان المؤلف يقول في ص ٤٨ ما نصه « وسواء كنا نؤمن بظاهر النص الديني فنعتقد في حقيقة وجود آدم في الجنة وهبوطه مع حواء ، او كنا نحسب ذلك من لغة التصوير الفني والتقريب الرمزي للاذهان الكليلة التي تخاطبها الاديان على قدر فهمها ، او كنا لا نؤمن على الاطلاق بالبيانات الدينية لاننا مشدودون بلغة العلم المعاصر ... سواء كنا مع هؤلاء واولئك فالجميع امام لغز العلاقة الجسدية بين الرجل والمرأة في حيرة شديدة » فاننا نختلف معه ولا نوافقه في شيء من ذلك بحال .

فالنص الديني مبرأ من الشك الذي ابداه المؤلف ، والذي احسسنا به وهو يقفز من بين السطور ، اذ من المؤكد ان القرآن الكريم نزل بالحق « وبالحق انزلناه وبالحق نزل » وقصصه حق « نحن نقص عليك نبأهم بالحق » ، « ان هذا لهو القصص الحق » ، « تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق » .

كان على المؤلف ان يحسم رأيه في هذه المسألة اولا ، والا يدع للتردد او الشك سبيلا الى هذه القضية الخطيرة ، التي تتصل بالدين في الصميم ، ثم ينطلق الى اثبات حقيقة

وادتي

اي الرغائب تبتغيها صبوتي ... من قرب نائية غدت انشودتي
في طرف عينيها سؤال حائر ... ماذا يود نواله من صحبتي
وبطرف عيني زاهد في نسكه ... عف الضمير ، ولن يضيع كرامتي
فدعي الظنون، فلست أنشد في الهوى ... غير الجوى الموحي ودائم حيرتي
فلأنت مبعث ما يحرك لهفتي ... وأنا الضنين على سواك بلوعتي

ألقاك في درب الحياة خميلة ... هل لي ملاذي في الطريق وواحتي
يا عفة الصوت الشجي رنينه ... هو في « المسرة » ان ناى ، قيثارتي
يا طهر عينك وهي في تحديقها ... عذراء تسأل في حياء نظرتي
ماذا تكون عليه غاية مذهبي ... اني اخاف بدايتي ونهايتي
أنت العفاف بداية ونهاية ... وأنا الامين على طهارة غايتي

القاهرة

احمد عبد المجيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اننا سوف نستمر دوما امام علاقة الرجل بالمرأة في حيرة شديدة .. الخ .

ثم ان القرآن لم يكن يخاطب اذهانا كليلة ، فالمعروف ان الله تحدى بـه العرب ، وكانوا اساطين البلاغة والفصاحة ، ثم اين تلك الاذهان الكليلة من تلك الحوادث التي لازمت نزول القرآن ؟ اين تلك الاذهان التي يعنيها المؤلف من ذلك العربي الذي سجد حين سمع قوله تعالى مخاطبا نبيه « فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين » فلما قيل له : اتسجد ايمانا بمحمد ؟ قال : لا . ما سجدت الا لبلاغة هذا القول وفصاحته ؟

ثم ان قوله « او كنا لا نؤمن على الاطلاق بالبيانات الدينية لاننا مشدودون الى لغة العلم المعاصر » لا ينبغي ان يصدر عنه .. لان لغة العلم متغيرة دوما ، واما تلك البيانات الدينية فهي من الامور الثابتة ، وهي على ثباتها هذا لا تتعارض مطلقا مع لغة العلم الصحيح ، في ارقى تعبير لهذه اللغة على ما نعتقد .

والمؤلف يؤكد على مسألة تأريخ القصائد — فيما يتعلق بانتاج الشاعر وحده او بانتاج مجموعة من الشعراء في ظاهرة معينة من ظواهر الادب — لان ذلك من شأنه ان يحدد المراحل الفكرية التي اجتازها الشاعر ، او المراحل التي مرت بها الظاهرة الادبية ، وان يقفنا على تضاريس شخصية الشاعر ، والمراحل التي واكبت هذه الشخصية في نموها المطرد ، وكذا على الخطوط البيانية للظاهرة الادبية ايضا ، فهل معنى هذا اننا حين نفتقد التاريخ — وكثيرا ما نفتقده — فاننا نفتقد معه كل شيء فيما يتعلق بملاحظة التدرج الفكري والبياني عند الشاعر ، وملاحقة هذا التدرج في ظواهر الادب المختلفة ؟ ام ان انتاج الشاعر هو الذي يحمل علائم هذا التدرج في شتى مرحله ؟ ومن ثم يتعين على هذا المنهج ان يستمد ملاحظاته — فيما يتعلق بتدرج الفكر والبيان عن الشاعر او في اية ظاهرة من ظواهر الادب — من النصوص الشعرية ذاتها ، بصرف النظر عن هذه الناحية ، او بغض النظر عنها قليلا .

وبعد فان تلك الملاحظات لا تنال شيئا من قيمة العمل الذي قدمه لنا المؤلف على صفحات هذا الكتاب ، بل اننا نشد على يديه دوما ، ونطلب اليه ان يوافينا بالمزيد من نتائج رحلاته في لب الاشياء ، وفي عمق العمق للشعر الرفيع ، الذي يعول كثيرا عليه ، لانها تحمل بين جوانحها كثيرا من عوامل الازدهار للظاهرة الادبية ، التي نوليها كثيرا من الرعاية والعناية في عصرنا الحديث .

القاهرة

محمد سعد حسن

مـا هي السوريالية

بقلم روز غريب

معهد الدراسات النسائية في العالم العربي
كلية بيروت الجامعية

* * *

ما هي السوريالية

تتعدد الابحاث وتتضارب الاقوال حول هـذا الموضوع الشائك . وهذه المقالة تحاول اختصار الآراء والتركيز على وجهة نظر .

السوريالية في راي اصحابها موقف من الوجود اكثر منها مذهبا شعريا او فنيا .

الشعر عندهم ليس غاية نفسه كمـا يقول اتباع « الفن للفن » . ليست وظيفته تسجيل حادثة او تمجيد مناسبة او معالجة قضية .

الشعر ذو وظيفة كونية لا تتحدد بزمان ولا بيئة . وظيفته تبديل الكون ، بناء الشخصية وتحرير الانسان .

كيف يتم هذا التحرير ؟

بالرجوع الى المنابع التي اشار اليها الرومنطيقيون ، اول دعاة التجديد والتحرير . بالرجوع الى الذات التي رأوا فيها ــ كما رأى افلاطون ــ مصدر المعرفة الالهامية والكنوز الخفية . الى منطقة اللاوعي او العقل الباطن ، في نظر السيكولوجيين ، الى عالم الحلم والرؤيا حيث تختمر الافكار وتنبعث آيات الخلق .

مهمة الشاعر والفنان كشف ذاته ، اطلاق حقيقتها المكبوتة بتحريرها من التقليد والتصنع والرياء . تعريتها كما عراها بودلير ورامبو وفرلين ودو نرفال وادغار آلن بو في اشعارهم .

مهمة الشاعر اطلاق روحه من سجنها . اخراجها من شباك الماضي ومن احابيل عالم نفعي . الغوص في عالم اللاوعي والانفراج الذاتي حيث لا ضغط ولا رقابة . دفعها الى الطيران والتحليق في سماء الخيال .

السوريالي بادراك وحدته الذاتية وجوهرها يدرك وحدة الكون وجوهره لان من عرف نفسه عرف الوجود . بتحرير نفسه يكتسب رؤيا كونية . ينتج الفن الخالص ، الشعر الصافي البريء من اغشية التعفن والاجترار .

جذور السوريالية وجدت في الرومنطيقية والرمزية لكنها ذهبت شوطا ابعد في الاتجاه الفلسفي والموقف الثوري المتطرف واستلهام اللاوعي حتى التداعي الحر والهذيان والكتابة الاوتوماتيكية .

جدد السورياليون نظرية ارسطو القائلة ان الشعر اقرب الى الفلسفة من التاريخ لانه يتناول الكليات . حملوا الفن ما لم يحمله اي مذهب سابق في موضوع المعرفة والتفكير الميتافيزيقي .

مبادئهم الفلسفية تنبع من تجاربهم او تعتمد على اسلافهم من رومنطيقيين وسواهم . منها اعتقادهم ان لا فرق بين الشعر والجنون . فالعالم يقوده مجانين امثال جيرار دو نرفال ، هولدرلين ، بودلـير ، لوتريامون ، دستويفسكي ، كافكا وسائر الذين « يتذكرون مـا قبل التاريخ » . يزعمون ان اللامعقول والسحر والغموض ميزات الشعر وان الشاعر تنفتح له اسرار الوجود . وحده قادر على الاتصال بالمجهول .

ان كثيرا من معتقداتهم مستوحى من القديم مثل قولهم بتوحيد الموت والحياة ، الالم واللذة ، الحزن والفرح ، وان العالم اضداد تنسجم وهو قول هيرقليطس اليوناني الذي عاش قبل سقراط . وان الحب يقترن بالعذاب وهو راي رومنطيقي . والمراة كائن مجهول ، مصدر راحة وعزاء او فتنة وهلاك ، وهو راي بودلير . كذلك يعتنقون قول بودلير ان الجمال مرادف للكآبة والموت ، وهذه الفكرة عينها تتضح في لوحات دولاكروا التي تضج بمناظر التعذيب والاعمال المرعبة .

السوريالية ، على مثال المذاهب التي سبقتها من رومنطيقية ورمزية او جاءت بعدها وتشمل مـا نسميه بالشعر الحديث ، حركة تعنى بتكوين الشخصية قبـل عنايتها بتكوين الشعر . فالشاعر عندهم ذو شخصية مفردة . شبيه بفارس القرون الوسطى (الشفالييه) الذي ينذر نفسه لغاية انسانية شاقة .

الا ان للفن السوريالي ــ ومنه الشعر ، علامات قد تعين على تمييزه عـن سواه . منها انـه بخلاف الفن الرمزي ، يركز على تمثيل القبح وعرض المسوخ . يكرس المأساة والفوضى والتمرد والعبث . ميزته البارزة تحطيم العالم الظاهر ، تفتيته اشلاء ، ترمز الى رغبة الفنان في التحطيم ، لذلك نرى رسوم دالي للاشخاص اشلاء مبعثرة ورسوم بيكاسو اجساما مفككة ، تكشف بواطنها السمجة والوانها الصارخة .

الشعر السوريالي يقبل الشتيمة والتجديف والخشن القبيح من الالفاظ لانه يكشف اعماق اللاوعي ومكبوتات التمرد والطمع والشهوة الجنسية . يسعى لكشف المجهول ويعرض احلاما جنونيـة ، رؤى غريبـة ، وحشية ، مستحيلة . يجمع بين اغرب المتناقضات للدلالة على توق الشاعر الى عالم تتعانق فيه الاضداد وتؤلف وحدة تامة .

السوريالي يحلم بعالم ينعم اهله بحرية خالصة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يحيون حياة الفطرة . قد زالت من بينهم الحواجز وانعدم التمييز بين الافراد على اختلافهم .

وقد اوردت في خاتمة هذا المقال مثلين من الشعر السوريالي . الاول قصيدة لهنري ملر ، «نشوة سوريالية»، تمثل تمرد الشاعر ، وهجوه لهذا العالم الموبوء الذي نعيش فيه . الثاني قصيدة لسوبرفييل تعرض حلما بتحطيم العالم المحسوس وقيام الوحدة الكونية في ارض تزول منها الاسماء وتتساوى المخلوقات ، نجد مـــا يشبه هذه القصيدة في « يوم احد بعد الظهر » لأراغون .

السؤال الذي يطرحه هذا الموضوع هو : اذا كان السورياليون يؤمنون بالحرية المطلقة ايعني هـــذا انهم يتحللون من كل قيمة اخلاقية ؟

في وسعنا الجواب بقولنا اولا ان الايمان بالحرية المطلقة يستتبع الايمان بحرية الآخرين . وهو راي لا ينفرد بـــه السورياليون بـــل يشارك فيـــه سارتر وغيره من الوجوديين . فالانسان الحريص على حريته حريص كذلك على حرية سواه . والفلسفة السوريالية ثورة على الضغط والاستبداد والعدوان ايـــا كان مصدرها . وقـــد نشأ السورياليون بين الحربين الاخيرتين فكان من مبادئهم التمرد على المبادىء التي قيل لهم ان يحاربوا من اجلها والتي تحلل الاعتداء على الحريات .

ثانيا ان الفن السوريالي يرتكز اساسا على الصدق والصراحة ونبذ الرياء والتصنع لانه يفرض تعرية الذات والكشف عن الافكار المكبوتة في زوايا اللاوعي . فالصدق قيمة يتمسك بها السورياليون وان نبذوا غيرها من قيم . وفي بيان اندريه بروتون ، الناطق باسم السورياليين ، تشديد على نبذ ادب الدعاية لما يقبله من كذب وتمويه .

ثالثا ان السوريالية مذهب كوني شامل غير مرتبط بعصر او بيئة او وطن فهو لذلك يبرأ من التعصب والانحياز والانانية .

هذه الاعتبارات تجعل السوريالية فلسفة انسانية ، تستهدف خير البشر وتتفاءل بالمستقبل . واذا كان الادب او الفن السوريالي عنيفا في صوره وتعابيره ، فهو ينكر العنف في الحياة الواقعية . ينكر الحرب لانها لون من الوان الاعتداء على الحرية . وفي ايمانه بوحدة الوجود والدعوة لها تعبير عن شوقه العميق الى السلم والحرية الصحيحة .

ان السوريالية في انتقالها الى ايدي بعض شعرائنا المعاصرين في الشرق العربي تتعرض لتعديلات يفرضها الجو والبيئة . فالذيـــن يعالجون قضية محلية بأسلوب سوريالي او متأثر بالسوريالية ، يبتعدون عن مبادئها ، الا اذا القوا على معانيهم وشاحا من الغموض او خلعوا عليها صفة عالمية . والذين يركزون على الثورة والتحطيم من غـــير ان يلاحقوا الهدف الوحدوي المنشود ويسعوا لبلوغ عالم الرؤيا الشاملة ، ليسوا من السوريالية في شيء.

ومثلهم اصحاب الاسلوب المصطنع ، الذي يجافي الصدق والصراحة ولا يعبر عن حقيقة الانسان .

الشاعر الذي لا يعيش شعره والاديب الذي لا يعيش ادبه ولا يتخذه اداة لتكوين شخصيته وتحريرها من ادران الكذب والنفعية ، كلاهما لا يعيش في عصره ولا يراعي مبادىء الفن الحديث .

نشوة سوريالية ــ لهنري ملر

هناك كثرة من الاعمدة المهترئة ما تزال واقفة .
كثرة من البشرية الذاوية تعيق التفتح البشري . البنية العليا اكذوبة والاساس خوف ضخم شديد الاهتزاز .
اي انسان ذو عين يائسة ، جائعة
يستطيع ان يشعر بأي ثقة في .....
من اللاشيء ترتفع علامة اللانهاية ، تحت اللولبيات الدائمة الارتفاع ، تنفتح الهوة الفاغرة فاها ، تنفتح ببطء .
وراء نبل الحركات يكمن شبح سخافتها .
ليس الانسان نبيلا فحسب لكنه مضحك .
في وقت من الاوقات ظننت ان الانسانية ارفع ما يمكن ان يبلغه الانسان اما الآن فأرى انها اداة لهدمي
اقول اليوم بكل افتخار اني لا انساني
لا انتمي الى الناس والحكومات ولا اؤمن بالمبادىء . .
ولا يعنيني امر الآليات البشرية المحطمة
انا انتمي الى الارض
كل من ينتمي الى نسل الارض يقف عاليا
يحشو فمه بالقمامة ويخرج احشاءه
هكذا يجب ان يفعل لان هذا عدل وصواب .
هكذا هو الفن . وليس فنا ما لم يرتكز على هذا المشهد المرعب ، السكران ، الموبوء .
كل ما ليس مرعبا ، موبوءا ، مهزوزا ، منتشيا ، وحشيا ، ليس فنا لكنه تقليد انساني ، يقع في دائرة الحياة واللاحياة .
انا لا انساني لان عالمي انزلق عن حدوده الانسانية .
لان الانسانية تعني الفقر ، الشقاء ، الحزن ، البقاء المحدود بالحواس ، المحاط بالشرائع والقوانين ، الوجود المضغوط بالمسطحات والمنظمات .
خذوا عنا الندب والرثاء
خذوا عنا التواريخ والسير والمكتبات والمتاحف .
ليأكل الاموات الاموات
لنرقص حول فوهة البركان
رقصة الموت الاخيرة !
لنتحد بالزمان
لنمزج صورة المابعد بالهنا والآن
امنية انتحارية
ترصها الكلمات ويجمدها الفكر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انا والربيع

انـــا شاعر متوقـــد الاحساس
وأنـــا الفني بفكرتي وعواطفي
والحب من عهد الشباب ولم يزل
أهوى الجمال ، جمال كل صبية
وأهيم في دنيا الطبيعة عاشقا
وعلى بساط المرج أمرح لاهيا
والراسقي المستحـــم بعطـــره
وأطير كالعصفور بـــين براعم
وأزف كالشحرور آيات الغنـــا

احيا غريب الروح بين الناس
والمستخـــف بطعنـــة الدساس
بدجى أساي يضيء كالنبراس
تسبي النفوس بقدهـــا المياس
للورد يرفـــل بالشذا ، لليأس
وأظـــل أحلـــم باللقـــا ...
والفل والجوري مـــن جلاسي
خضر وأمـــزج بالنـــدى أنفاسي
ثمل الهوى في موكب الاعراس

هذا الربيع كسا الحقول مطارفا
من سحره الخلاب يستوحي النهى
بعبيره الهامـــي غسلت كآبتي
ونثرت أحلامي علـــى أزهاره
غزلي وأشعاري وما خط الحجى

فبدت كخـــود في أرق لبـــاس
شعري ومـــن نفحاته أقباسي
وبكنز مفنـــاه انطوى افلاسي
وبظلـــه قـــد عرشت أغراسي
من سانحات الفكر في قرطاسي

هو للربيع وهل سواه بذي الدنى
بغداد

مـــن راعم لتيـــم ومواسي ؟

خضر عباس الصالحي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من شعر سوبرفييل

يوما ما لن تكون الارض
سوى مدى اعمى يدور
يتمازج فيه الليل والنهار
تحت سماء جبال الاندز اللامحدودة .
لن يكون فيها جبال ،
حتى الوهدة الصغيرة تختفي .
من جميع بيوت العالم
لن يبقى الا شرفة
ومن خريطة البشر
حزن بلا سقف
من المحيط الاطلسي الفقيد
لن يبقى سوى طعم مالح صغير في الهواء
سمكة طائرة سحرية
لن تعرف شيئا عن البحر .

من عربة ١٩٠٥
(الدواليب الاربعة وبدون طريق)
ثلاث فتيات من ذلك العهد
يبقين في شكل بخار
يتطلعن من النافذة
يفكرن ان باريس غير بعيدة
ولن يشعرن بسوى الرائحة ،
رائحة السماء التي تأخذ بحلقك .
مكان الغابة
يرتفع صوت عصفور
لا يعرف احد مكانه
لا يقدر احد على تفضيله او سماعه
الا الله الذي يصغي اليه ويقول : هذا حسون !

روز غريب

نجاة ، زوجة مخلصة . ما في ذلك ادنى شك . تعرفت عليها في حفل . وتشاء الظروف ان يتوطد التعارف ، ويصير اللقاء رغبة ملحة ندمنها ولا نستطيع الفكاك منها . ونمت في قلبينا شجيرة الحب الخضراء ، وكان الزواج ثمرتها اليانعة . وبعد الزواج ، كانت نجاة زوجة مخلصة . عرفت من طباعها شأن ما يعرفه الزوج عن زوجته ، ولم تكن هذه المعرفة لتغير من حبي لها . انها المعرفة بالتفاصيل عندما يعيش الزوجان تحت سقف واحد . ومما عرفته من طباعها غرامها بمسلسلات التليفزيون ، وتغضب اذا لم اشاهدها معها ، واقبل رغم شواغلي ، وقلة اهتمامي بالمسلسلات . ومن طباعها التي لم اكن اعرفها ، عنايتها الفائقة بالقطط ، فتطعمها وتسقيها ، وتدللها ، ويفيض حنانها على القطط لدرجة تستثير حفيظتي ، وانا الذي انفر حتى من رؤيتها ، ويرتعد جسمي اذا لمست قطة . ولم اجد غضاضة في تقبل امثال هذه الطباع .

ما اكثر نوبات بكاء نجاة ، وما اكثر التوافه التي تغضبها ، وتثير اعصابها فتحتد ، وتلقي الكلام على عواهنه ، غير مقدرة لعواقبه . وهذه طبيعة كنت اعرف النذر اليسير منها ، لكنها تجسدت بعد الزواج ، حين ازددت قربا منها ، فصارت داء وبيلا ، يؤلمني فشلي في علاجه .

وما اعرفه عن اخلاصها ووفائها ، يجعلني اتغاضى عن اشياء كثيرة قد تضايقني ، او تحملني اعباء نفسية .

وما لم اكن اعرفه عنها ، وعرفته بعد اقتراني بها بشهور قلائل ، هو انها عديمة الثقة بالناس . لم تصادق سوى وفاء ، الناحلة القوام . تطل مسحة الجمال من عينيها السوداوين ، ومن شعرها الفاحم السواد المسدل على كتفيها . لصوتها نبرة قوية توحي بالثقة . وقد دخلت وفاء حياتنا من اوسع الابواب .

تتأخر نجاة احيانا عن موعد مجيئها من العمل ، واعرف منها انها زارت وفاء . وكثيرا ما تدعوني للذهاب معها الى وفاء ، وقد لبيت الدعوة مرة واحدة ، تعرفت خلالها على زوجها الدمث الخلق ، ثم لم البث ان اعتذرت في المرات التالية ، وسمحت لها بزيارة وفاء بمفردها . حاسة خفية تؤكد لي انها تذهب الى وفاء وقتما تشعر بضيق ، ثم تعود متهللة الاسارير ، باشة ، ولا ادري اي سحر يجذبها اليها . وكضيقي من عنايتها بالقطط ، بدأ الضيق يتسرب الي من صداقتها هذه ، حتى غرت على زوجتي ! . اصبحت وفاء سحابة قاتمة في سماء حياتي . وبرغم ندرة لقاءاتي بها ، الا انها حية ماثلة



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم حسني سيد لبيب

قبالتي ، لطول سماعي اسمها يتردد من بين شفتي زوجتي .

ذات مرة سألت نجاة :

— كيف تعرفت على وفاء ؟

قالت والبشر يغزو محياها :

— كانت زميلتي في الثانوي .

— عظيم . هذه هي الصداقة ، حقا .. عظيم .. عظيم ..

ويبدو ان ضيقا ما احاول اخفاءه ،



لكنه على اية حال ضيق يساور النفس ، ولا فكاك منه .

وحين أختلف مع نجاة في شيء ، اجدها تغضب سريعا ، وتزم شفتيها ، وتقطب ما بين حاجبيها ، ثم تغلق غرفتها ، وتمضي فيها ساعات طوال ، ولا تسمح لي بمصالحتها .. واشقى طوال اليوم . احاول التودد اليها ، وانهاء اسباب الضيق ، فأفشل . ثم اجدها تتهيأ للخروج ، ولا تستأذن مني ، واسامح في هذا ، لما اجدها عليه من قلق . وحين تعود في المساء المتأخر ، اجد ما ساورها من ضيق قد تلاشى ، او تضاءل . وتلقي علي تحية المساء ، فأتفاءل ، واسأل :

— أين ذهبت ؟

فتجيبني :

— زرت وفاء .

ولا اعقب ، فتستطرد :

— كنت متضايقة .

وما اكثر مرات ضيقها ، وزيارتها لوفاء . واقول لنفسي : لقد الفت عنايتها بالقطط ، برغم كرهي للقطط . وبرغم عدم اقتناعي بكثرة غيابها عن البيت ، ينبغي ان ابارك علاقتها بوفاء .

وتطورت العلاقة بينهما ، واصبحت تحادثها في الهاتف يوميا . تحكي لها شؤونها وشواغلها ، وتستشيرها في اعقد المشاكل وابسطها على السواء . حتى انني صرت ادلل وفاء فألقبها « بالمستشار » ، واردد اللقب على مسامع زوجتي فتضحك قائلة :

— ما بك ، اتريد ان تحرمني من صديقتي ؟

— ابدا والله ... احببت وفاء .

تنظر الي شذرا ، فأقول لها :

— اقصد اني اعتز بها . وما دمت تحبينها كل هذا الحب ، فلا بد ان تحتل منزلة رفيعة في قلبي .

وتعتبر كلماتي هذه ترجمة لحبنا ، فستطير بها ، وتهديني قبلة سريعة.

ولكن وفاء هذه ، برغم ما اقوله عنها ، فهي الغائبة المقيمة . غائبة لاني نادرا ما اراها او التقي بها . ومقيمة ، لانها تشغل كثيرا من تفكيري ، كلما رايت نجاة تتصل بها او تزورها . وتمنيت لو قمت بثورة في بيتنا الصغير ، فاطرد القطط ، وامنع نجاة من الاتصال بصديقتها . لكنها ثورة في الخيال ، امنية اود تحقيقها حتى لا ينازعني احد في حب نجاة . هل هي الغيرة العمياء ام ماذا ؟ .

ذات يوم ، رن جرس الهاتف ، وكان المتحدث وفاء ، ولم تكن زوجتي موجودة . دفعني شيء ما الى عدم اخبارها . ولما عرفت ، انبتني وعاتبتني ، ثم احتدت سريعا ، وغلى الدم في عروقها ، وتعدى الامر ذلك ، فهددتني بترك البيت . وكانت صدمة قاسية لم اتوقعها . ولمفاجأتها ، لذت بالصمت لحظات قاسية ، ثم ثرت في وجهها :

ـ لا ، لا ... من حقي ان امنعك من الاتصال بوفاء .

قالت في تحد سافر :

ـ افعل ما شئت ... وسأعصى اوامرك .

اصبحت على حافة الانهيار . غير قادر انا على اتخاذ اي قرار يبعدني عن نجاة ، او يكون سببا في الهجر . هدات ثورتي قليلا . وقلت متوددا :

ـ أتكون وفاء سبب متاعبنا ؟

ـ وفاء لا ذنب لها فيما تفعل .

ـ اني ، يا نجاة ...

ولم أشأ ان اكمل . كنت سأقول لها : « اني اغار عليك من وفاء ! » . وبعد صمت يشوبه التردد ، قلت وأنا أهز كتفيها في قوة :

ـ ارجو ان تقبلي اعتذاري .

وفاء صديقتي مثلما هي صديقتك .

تسرب الى نفسي ضيق من الصنيف الثقيل ، الذي لا التقي به الا لماما ، لكنه يقاسمني حياتي . واستنفدت الحيل من اجل التقليل من اهمية هذا (المستشار) ، ثم لا املك الا التسليم بما هو كائن . في حياتنا امور نضطر الى قبولها برغم عدم اقتناعنا بها . ان زوجتي لا تعتبر البيت هو كل عالمها ، وانما بيت صديقتها جزء من هذا العالم ، جزء لا تستطيع الاستغناء عنه. واعتورني شك في ميل نجاة تجاه زوج وفاء ، لكني سرعان ما طردت الشك ، بعدما تأكدت من اخلاصها . كما قمت ببعض الحيل لجلاء الحقيقة ، سيما ان زوج وفاء يعمل في مكان بالبحر الاحمر ، ولا يتواجد في البيت الا اسبوعا كل ثلاثة اشهر . وخلال هذا الاسبوع ، تحرص نجاة على اصطحابي معها ، وفي حالة اعتذاري ، تحجم عن الزيارة وهي مكرهة ، مما زادني تعلقا بها ، وعرفانا لهفاتها التي تضايقني .

وذات يوم ، قالت لي :

ـ المستشار مريض بالقلب ..

وحين لقبتها بالمستشار ، حسبتها تضاحكني ، لكن النبأ كان اليما .. ومضت لحظات صمت ، انفجرت بعدها ببكاء وتشيج متواصلين ، وقالت كلمات مبهمة لم استطع تفسيرها .

قامت باجازة لمدة اسبوع . تخرج صباحا ولا تعود الا في المساء . وعند نهاية الاسبوع ، فجعنا بموتها . احسست بغصة في حلقي . كان النبأ كالبرق الصاعق ، ولم يكن كلانا مهيأ لسماعه ، وهكذا الموت يأتي فجأة .

انطوت نجاة على نفسها . لازمت غرفتها لا تخرج منها الا لماما . احاول التسرية عنها ، واهون عليها المصاب ! . واضطر زوج وفاء ان يحضر ليعزي نجاة من وفاة زوجته !

عيون القطط مذعورة . امعن النظر في القطط التي تموء ، وهي تحوم حول نجاة ، لكنها عنها عازفة . احزنني مواء القطط ، فاضطررت الى اطعامها . اسأل زوجتي ، فتجيبني بكلمات موجزة ، واعمد الى تقديم الطعام ، مادا يدي عن بعد . ثم ارقب القطط وهي تاكل ، فاغتبط . وتعودت اطعام القطط بانتظام .

حين خرجت زوجتي من عزلتها ، بدات توليني اهتماما زائدا ، عكس ما كنت اتوقع . كما تضاءل غضبها لاتفه الاسباب . ولكنني احسست ان شيئا سلبيا وراء هذا التغيير ، تعوضه هي بطريقتها . اعمد الى فتح التليفزيون ، وادعوها لمتابعة احد المسلسلات ، فتلبي بعد لاي ، ارضاء لي .

وفي المساء ، يطول بنا الحديث ، ونقيصة يحس بها كلانا . تعتريني لحظات صمت ثقيلة ، ارنو خلالها الى العينين اللتين كحلهما الحزن وليله الاسود . انتقل الحزن الى القطط التي علا مواؤها ، وقلت شهيتها للطعام . الضيف الذي اثقلني في حياته ، اثقل علي حياتي في مماته . اقرأ الحزن في عيني زوجتي ، وفي عيون القطط ، وفي ارجاء البيت ، وفي عالمي الاثير ، واذا بالحزن ماثل قبالتي . الصورة التي كانت تضايقني ، اصبحت حبيبة الى نفسي ، ولكنها عزيزة المنال ! .

ان يد المنون قد اغتالت مستشارنا الوفي .

اني ... اوشك ان ابكي ! .

القاهرة — **حسني سيد لبيب**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وليدة اللاحظة

*

ليلـــى السايـــح

الكويـــــت

*

قال لي :

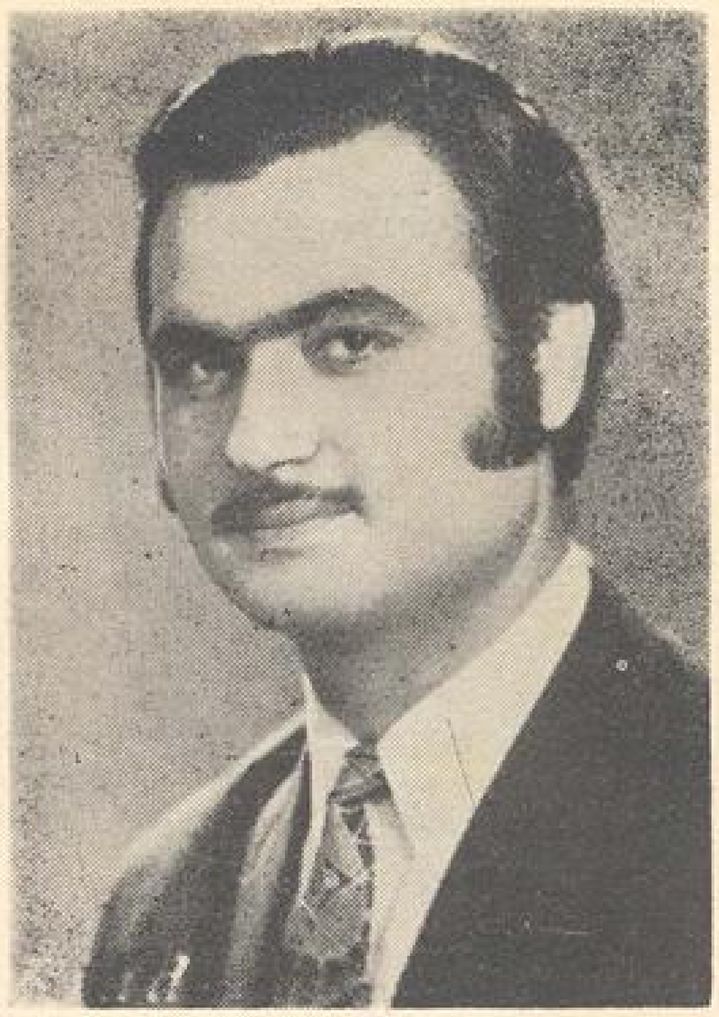
ليتني أمتلك ألف عين لأرى سحرك
يحوطني ، ينغرز في مسافاتي
يلفني بشعاع اخضر
ينبع من توهج عينيك

قلت :

ليت لي ألف عين لأستطيع أن أقرأك
وأقرأ ألف كتاب في وقت واحد
فتحيط بي أنت
والكلمة ــ الانسانية ــ اسرار الوجود
وكان .. الحسم !
انسانيتي تستنكر
ترفض أن يتعبد في أنوثتي انسان
ولو كان هذا الانسان أنت
وأنت .. الرجل
تتامس متعة لذاتك في ..
أني اداة لذاتك
وأنا ... المرأة
أقرأك كتابا أنفد منه الى كينونتي
قد تكون النهائيات والغايات واحدة
ذاتية .. مفعمة بالانبهار
ذاتيتي ، أن اكتشفك انسانا ، وأفهم العالم !
أنانيتي ، أن المس سر الكون خلال قلبك
ذاتيتك : أن أكون متعتك
أنانيتك : أن اكون أنت
حيث أذوب .. أندمج في نسيجك
(مجرد أنثى) تمتلكها .
وتبقى أنت .. مسيطرا مستمتعا
مستلبا مني وجودي
وكان الحسم
الهدف .. متعة ! الهدف معرفة
شتان بين المعنيين
بين النقطتين المتناقضتين
المعرفة ايضا متعة
لكنها تعود الى العالم من حولي حصيلتها
ما انا فيها سوى جسر تعبره الى آخرين
لا تبرير .. لا تصحيح .. لا استئناف ..
وكان الحسم :
أن نفترق !



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



فوزي عطوي

كتبت اليك

بقلم فوزي عطوي

* * *

تائهة على دروب السنين

وتمر بك السنون ، فتطبع آثارها على هذا الجبين الرفيع ، وتخافين ان تكبري ، تخافين ان تحرمك السنون لذة الشعور بأنك ، بعد ، صغيرة مفناج !

واذا انت في قلق الازدواج : قلق البنت ترتمي على صدر امها ، وقلق الام ترتمي على صدرها ابنتها ، فيتجاذبك شعور الصغيرة البريئة الخالية من هموم هذا الكون ، وشعور المرأة الخائفة من دبيب الايام على جبينها الواقف بكبرياء في مهرجان الجمال .

لكن العناقيد ، يا حلوة البوح الواله ، لا تشتهى اذا لم تلوح جبينها اشعة الشمس ، واذا لم تطبع الايام برياحها واعاصيرها ونسائمها وتناقضاتها ، آثارها عليها .

والانوثة لا تجمل ولا تخلب ، ان لم تقلبها التجارب على مثل نيران المجامر ، والقلوب لا تصفو مشاعرها اذا حرمت لذة الصراع ، في تجربة الالم والامل . والبطولة ، لا يضوع منها عبير الشموخ ، اذا لم يحمل صاحبها جراحاته ، في الروح والجسد ، سواء بسواء !

ويبقى انك كلما كبرت يوما ، كلما كبر حبك في قلبي ، وكلما تعمق وفاؤك في نفسي ، وشعرت انني في حاجة اليك ، يا تائهة الخطو على دروب السنين .

ترحلين عني الي

وقرات لك حديث البداية والنهاية . ومن عجب انك ، اذ سكرت الاغصان من الشذا ، في تلك البقعة السندسية ، رحت تفكرين بالنهاية !

غريبة الاطوار انت في ذاك الحديث ! وما عهدتك ، يوما ، غريبة الاطوار !

احقا ما زال الذي هل في سمائك ، واذاقك حلو العناقيد ، غريبا عنك ، تفزعين اليه حينا ، وتفزعين منه الى نفسك ، حينا آخر ؟

احقا تفكرين بالرحيل عن ذاك الفتى الغارق في مطامحه ، الذي علمك وتعلم منك كيف يستطيع المرء ان يزرع النهار في قلب الليل ، وان يزيح اشباح الضباب عن وجه الصباح ؟ !

ترحلين عنه ؟ .. جربي ان تستطيعي .

ولئن رحلت — صدقيني — لن يكون امامك الا طريق واحد ، ولسوف اراك تتسابين انسياب النغم الحنون ، في ذاك الطريق !

سترحلين عنه ان شئت .

ولكن سترحلين عنه اليه ، وسيرضى غرورك ، اذ كتبت النهاية بيدك ، لكنك ستفرحين اذ تشعرين ان ما كتبت كان تأكيدا لبداية ما اعترفت لها بنهاية !

غدا ، يا صديقتي ، كلهم سينتهون !

واما نحن ، فسنكتب ، كل يوم ، بداية جديدة !!

زائرة الكرى الوسنان

رفقا ، سألتك ، يا زائرتي حتى في الكرى الوسنان !

بي منك بعض ما بك مني ،

بي من الحنين الى ضوء عينيك ،

الى دفء التفاتاتك ،

الى رقة صوتك ،

الى روعة ثغرك المرسوم بالنار ، والملون بأشعة اللهب ،

الى عنقك المسكوب من اطلالة الزنبق ،

الى خصرك المعجون بالندى والطيب ،

الى اناملك المنحوتة بازميل من السحر ،

بي من الحنين الى كل ما فيك من قيم الروح وكنوز الجسد ، اضعاف ما بك من الحنين الي .

ومع ما بي من الحنين ، اخشى عليك من زيارة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مفاجئة ، حتى ولو في وضح النهار !

اما انت ، يا جشعة الحنان ، فتزورينني ان فتحت العين ، وان اغمضتها ، فأنت اول صورة ترتسم ان افقت ، وآخر صورة تتلألأ في الخاطر ، ان اغفيت !

وتزورينني ان قرات ، وان كتبت

وتزورينني ان تبسمت وان قطبت الجبين !

فأية زائرة انت ، لا تفارق عالمي ؟!

وعفوك ، يا احب الناس !

وهمت .. حسبتك زائرة .

نسيت برهة انك بعض ذاتي .

في غابة الشمس والظل

تسمعين ، يا اميرتي ، بعروس النيل ، تقفز فوق مياه الوادي القديم ، تنشر العطر والسحر ، حيث ترسم خطاها خطا من الوهم ، لا يقرا ؟!

كذلك كنت في غابة الشمس والظل ، بين الغصون المتهدلة من حولنا ، المنصتة الى حديث الملائكة ما بيننا ، والى بعض اعمال العفاريت !

كنت عروس العنبر ، تجنين ازهاره التي ربما كانت تروت بغيمة الازهار الربيعية ، وترقصين مختالة ، فرحة ، سعيدة بالحبيب الذي بث من حولك اهداب عينيه ، يحرسك من عيون النسمة البليلة ان هي مست طرف ثوبك العطر ، ومن اذى اللهثة ، ان المت بصدرك ، وانت تخضعين الشجر لندي الانامل ، كأنك في يوم القطاف !

ويا ملهمتي اروع ما تمتمت به الشفتان !

كانت الدنيا ولم تكن ، ظهيرة اخترعنا من حولنا دنيانا ، وخلعنا عليها من شبابنا وحبنا وشوقنا المشبوب ، مطارف السحر ، ووشحناها بالسندسي المخضوضر من احلامنا !

ولم نكن في وحدتنا هناك ، عند فم الوادي المصعد نحو التلال ، مثل تصاعد صلوات الحب على شفتينا المتحدتين في عناقنا الحالم المحموم ، لم نكن نعاني من الوحدة وحشة او غربة !

فيوم تلاقينا على هذا الهوى الموصول المغموس في احلام الزنابق ، كفرنا بعمر قديم كنا فيه غرباء عن دنيانا ، وآمنا بوطن من الحلم والحب والوفاء ، نحمل جنسيته وحده ، دون سائر الاوطان !

اقلم اظافر الشوك

لحبك الحلو النضير ، لجمالك المؤتزر بضوء الزنابق ، لتدللك الحبيب ، وقد عرفت مقامك في قلب الحبيب ، لك انت يا حبيبتي اقول : « نعم » ، والف « نعم » اقول !

اما اذا حملت قوافي القصائد ومتونها واوزانها وتفعيلاتها ايماءة ولو بعيدة الى ما يمس الطهر الذي اقدس في روحك الغالية ، فألف الف « لا » اقول ، ولا اسأل من يرضى ومن يغضب ، ولا اسأل ان رضيت او غضبت لهذه الالف الف « لا » ! فأنت عندي فوق الشبهات ، ونبلك ارقى من الشكوك والاوهام والظنون !

ولقد يكون لشاعر حقه في ان يجمح مع الخيال ، فلا ينضبط له قول ، ولا يعتدل له نداء تائه النغمات ،

لكن لي ان اقلم اظافر الشوك ، ان حدثته نفسه ، ولو سرا ، بمس الزهر او لمس العبير !

وحسبك ، ان اثرت انفعالك او اثرت انفعالي ، انني لاجل الحب افعل ، ولاجل الحب تفعلين ، فلا نرضى بجناية يرتكبها خيال جانح او توهم جامح !

ويبقى ما بيننا في مثل نقاء ضمير الانبياء !

تجاوزت هذه التفاهات

اكتب اليك ، وقد استعدت بعض هدوئي ، اثر العاصفة التي اثرتها بدون سبب ، وحملتني مسؤولية امور لا علاقة لي بها ، ولكنها تتفاعل في نفسك ، منذ وقت طويل ، وها انت تفجرينها دفعة واحدة في وجه رجل اقل ما يحتاج اليه هو اليد المترفقة ، والقلب الرقيق الحاني ، بعدما اتعبته مشاغل الايام ، واصبح يخشى على نفسه ان يصبح كمثل آلة صماء بكماء ، تعمل وتعمل ، ولا حق لها في التعبير عن خلجاتها ، او الارتواء من نداءات مشاعرها .

لن اعاتبك ، ولن اوجه اليك اللوم ، فان اشد ما يحملني على محبتك واحترامك ، هو صدقك مع نفسك ومع الآخرين . ولانك صادقة ، اثق بأنك تحبين ان يحدثك الناس — واقرب الناس خاصة — بصدق وبمحبة خالصة .

انت يا عزيزتي تعرفين ان تحبي بعنف . ولكنك تعرفين كيف تنفرين حتى من يصل حبه لك الى حد التقديس — بعنف ايضا — وهذا اول اخطائك ، لانك تنسين ان المحب قد يغفر كل شيء الا الاساءة الى احاسيسه وكرامته . ومن العبث ان يسيء انسان الى انسان بناء على اوهام وخيالات تعمي البصيرة والبصر ، وتجعل صاحبها يطلق الاحكام بغير روية .

ثم انك تحسبين نفسك وحيدة في فهم ابعاد الحب واعماقه ، وقد بلغ بك الجموح حد اعطاء غيرك دروسا قاسية في الحب . ولكن الافضل هو القاء الدروس على طالب مبتديء ما يزال يتلمس طريقه الى هيكل الهوى الاقدس ، اما بيع الماء في حارة السقائين ، فتجارة خائبة ، لا ريب في ذلك .

واسوأ انفعالاتك انك نسيت كيف يبتسم الناس . وصدقيني ، وثقي بكلامي الذي اصبح غير موثوق لديك ، انك بالابتسامة الهادئة تديرين العالم كله ، وانك بالعبوس

وتقطيب الجبين لا تحلين مشكلة تافهة من مشاكل الحياة الكثيرة .

واما حديثك عن تفاوت المستويات ، فاياك اياك ان تكرري هذا الحديث على مسمع انسان ، اي انسان كان . اما انا ، فلعلك تعرفين ، كما يعرف الناس جميعا ، انني بدات من نقطة تقارب الصفر ، وان نعمة الله تجعلني اتوجه اليه بالشكر ، فلم يبطرني مال ، ولم يغرني لقب ، ولم يعمني منصب ، ولم تحجر مشاعري شهرة ، فقد تجاوزت كل هذه التفاهات ، واصبحت واثقا انني ، ان كنت حققت ذاتي بعد كفاح طويل مرير ، فلكي ارفع مستوى عائلة كبيرة ، ولكي اؤمن مستقبل عائلة صغيرة هي التي تملك كل القابي ومناصبي واموالي وشهرتي ومشاعري ، وهي التي احس بلذة الوجود من اجلها ، ولا ينتقص من تفاني الامثل نحوها ان لـــي احاسيسي ، ووجداني ، وعالمي الشاعري الحميم ، ومطامحي المستقبلية الرائعة التي لم يخلق فوق هذه الارض انسان يحق له مجادلتي فيها .

هل ترين الى اي مدى يولد الانفعال الانفعال ، والى اي مدى يعرف المتهم البريء الذي يحسن التصرف مـــع الناس ، كيف يدافع عن اقدس اقداسه ، دون ان يمس انسانا واحدا بسوء ؟

هذه بعض الحقائق الصريحة التي احببت ان اسطرها اليك ، بوحي من احترامي لك ، ومحبتي لما فيك من مزايا مـــا تزال تغطي على الكثير من الاخطاء والهفوات التي توقعين نفسك فيها .

لقد كنت واضحا وصريحا وشجاعا في تعاملي معك ، واحببتك واضحة وصريحة وشجاعة في تعاملك معي ، لكنك يوم تركت لانفعالك ان يتجاوز حدوده ، تسببت في شجون لا احب ان الومك عليها ، ولا احب بعدها ان اخسر صداقتك العزيزة . مع تقديري واحترامي .

هذه طريقنا رسمناها

بوحي بكل خاطر شجي ، وانثري في مسمعي انداء صوتك الحريري ، ولا تكتمي في النفس أيا من موجعات المشاعر !

وثوري ، ساعة تلذ لك الثورة ، وتمردي لحظة يطيب لك التمرد ، واغضبي ولومي ، وعاتبي وعاقبي ، وما تحبين فافعلي !

اني اخذت نفسي بعهد اراني فيه ملزما بالدفاع عن حريتك ، وبصون كرامتك ، والضن بحبك الاحلى !

انا لا احب لخاطر ، ولو سربه اليك التوهم ، ان يدخل على قلبك اليأس ، بعد ان رايته يرقص في موسم الامل ، ويغني في مهرجان الفرح .

ولا احب لترانيمك النشوى ، ان تستحيل تراتيل تتلى كالتراتيل الحزينة !

ولا احب لغير البسمة الحلوة ان تأتلق على ثغر قلمك الطيب الانفاس !

وثقي ، يا حبيبتي ، انني ابسط لك الذراعين ، وافتح لك الصدر ، لترتمي بين احضان حبي وحناني . واذ ذاك ، تبددين من نفسك القلق ، والتعب ، والواقع الذي تحيين على هاجسه ، او تزدادين نشوة على نشوة ، في عرس وصالنا الابدي !

ان هذه طريقنا رسمناها ،

وان هذا قرارنا ، سلسلناه مـــن قناعة وحكمة ، ووثقناه بعاطفة سماوية جعلتنا في عداد الاغنياء بالروح !

على جناح من الزهر

كنت آليت ، يا ملهمة ، الا آخذ الدروس عن احد ، ففي تجارب عمري معين لا ينضب ، وفي معاناتي الوجدانية ما يوفر علي مشقة تلقي الدروس .

لكنني لا ادري كيف شعرت بنفسي ، اليوم ، تلميذا صغيرا بين يديك ، فتعلمت عنك ان رجلا في مثل همومي ومشاغلي وفرط حساسيتي ، لا غنى له عن صدر امراة تغمره بانسانيتها ونبلها ، وتشاطره ما هو فيه من اشجان ، وتحمل عنه قسطا من همومه .

احببت ان اوفر عليك مشقة المشاطرة فيما أكابد من مشقة ، فحاولت عبثا ان ارجع عقارب الساعة القهقرى ، فلا يعذبني فوات الموعد المعهود .

لكنني ، وقد تناهى الى مسمعي همسك الملائكي الحبيب ، ممتزجا بملامح العتاب الرقيق ، على اني لم الق على كتفيك برأسي المتعب ، احسست اية كبيرة انت ، يا امراة يحبل قلبها بالعواطف بلا دنس ، ويهذب نبلها وتواضعها وصدقها ما في نفسي من شموخ الرجال !

فان عرفت اي عالم جديد خلقته لي ، واي افق عاطر جعلت احلامي تطير اليه على جناح من الزهر ، والحب ، والضياء ، ادركت كـــم احبك ، كـــم احبك ، يا غالية !

العقد الملهوف

هذه انت ، يا حلوة اللفتات ، ترشين الليلك النشوان بسحرك المعجون بالوسن !

وهذا عقدي الملهوف يثير بي حسدي له ، وهو يطوق العنق الشهي ، سبحان من خلق !

من زمان ، يا حبيبتي ، تعاهد بنو البشر على ان يكون الرباط بين رجل وامراة ، خاتما وسوارا ، ولكنهم لم يكتشفوا قبلنا قدسية الرباط الذي حبوتك ، بعد اذ اعجبك مثيله ، وهو يحيط بعنقي .

ولو كان للناس ان يطوروا نظرتهم الـــى العلائق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الانسانية النبيلة ، ثم لو كان لهم ان يتخيروا وسيلة غير وسائلهم لعقد الاواصر بين القلوب ، وسكب النفوس في اعماق النفوس ، لما اكتشفوا خيرا مما اكتشفنا ، ولاعترفوا لنا ، غير مكابرين ، اننا في عالم الحب رواده الاوائل !

بداية ما بيننا كانت بطولة ، وكانت ثورة ، وكانت اكثر من كبرياء !

لاول مرة ، في تاريخ حب يسطره رجل وامراة ، لا يسعى الرجل الى اخضاع امراة ، ولا تسعى المراة الى اذلال رجل .

لاول مرة ، تكبر امراة في الرجل شموخه المئناف ، ويعبد رجل في المراة سموا ملونا بكبرياء الجمال !

ويسألونك ، بعد ، من احببت قبلي ؟ ومن احببت قبلك ، يسألونني ؟!

ذاك تاريخ قديم قد محوناه ، لاننا تعاهدنا على التبرؤ من قديم يعرقل مسيرة تاريخنا الجديد !

لمن التمس العذر ؟

فوجئت ، لا ريب ، بالنغم الذبيح ، وقد تفجر من خلال القوافي ، آهات تحرق اذ تحترق !

وما ادري لمن التمس العذر : لي ام لك ، ام لنا معا ، بعدما شاءت ظروف لا افهمها الى الآن ، ان يتمزق شراع زورقنا ، وهو في هداة السكون الهانيء ، فيتلقى الزورق اصطفاق المجاذيف ، عند جنباته ، ونقلق نحن ، رغم انسراحة الروح السعيدة التي كنا نملأ بها الدنيا من حولنا ، بشاشة نشوى ، وحبا عاطر النسمات !

فوجئت انني ولدت هذا العام ، مرة جديدة ، ولربما كان علي ان اصدق الذين قالوا انك لم تحبي ان تذكري وتذكري ، لئلا يكبر عمرنا عاما آخر ، فنحس اننا في طريق الحرمان من لذاذات الطفولة .

لكنني ، كما تعهدين ، اعرف ان احزن بصمت خانق ، وكبرياء جريح ، مثلما اعرف ان اضم في نفسي هذيان الفرح الطفولي الذي تنسمت عطره ، منذ عرفتك ، وانسكبت نفسك في اعماق نفسي !

على انني اعترف لك بما اخذته عنك من آيات السماح ، فلا اراني انسى ، كما نسيت ، ان كل اشذاء الربيع تتقطر مرة واحدة ، فيتنفسها الوجود حياة لا تبلى ، يوم ينبعث نيسان ، كل عام ، فترتسم على شفة الشمس بسمة شعاع يظهر مرة كل عام ، ويأتلق فوق جبين البدر ضوء سحر فريد الرقة والدلال .

ولقد تخرس كل آلاتنا السوداء ، بعد اليوم ، الا ان حديثك الحلو في البال ، يطوق بي الى الابد ، وان حبك يملأ ذاتي ، فلا ارى وراءك حسنا يرام ، ولا الح بعدك هوى يستطاب !

فتحية اليك ووداعا ، والى لقاء اذا اذن الزمان ، بعد ، بلقاء !!

اعيد اليك الحرية

ساعة مالت الشمس الى المغيب ، وتقطعت انفاس اشعتها الاخيرة ، تألقت هناك ، قبالة المطرح المؤتلق الذي ضمت رحابه انفاسنا العاشقة الولهى ، فكأنك اليمامة البيضاء المرفرفة على الكون من حولها بأجنحة النور والحب والعطاء النبيل ، او كأنك شعاع يضيء العين والروح والقلب ، فيستفني المحب بك عن شمس الاصيل الغاربة ، على وعد بشروق جديد ، في يوم جديد !

لكن اهتماماتك الكثيرة التي كنت توزعينها هنا وهناك ، وتركزينها قصدا او بلا قصد ، على بعض من كانت تنتابني الظنون حولهم ، قبل ان اعرف عنهم خبرا يقينا ، جعلتني احس بما رفضت ان احس به ، قبل الآن ، من الغيرة التي اراها في الآخرين صدى لضعف اجل نفسي عنه ، والتي اعرفها في كياني صدى لحبي الكبير الكبير !

ولحظة تذكرت انني هناك ، في الجمع الكثير ، وسألتني ان اقول كلمة كان لا بد ان تتسق مع المناسبة التي هيأتها بنفسك ، حسبتني امازحك اذ المحت الى بعض تلك الغيرة التي لا احبها لنفسي !

ومنذ تلك اللحظة القاسية حقا ، رايت ان احررك من قيودي ، وان اعيد اليك الحرية التي سلبك اياها حبنا الصافي النضير !

فاعذريني ان رحلت عنك ، ملء خاطري ، لئلا ارى نفسي ، ذات يوم ، مرحلا عنك ، رغم ما كان لنا من العهد الوثيق الحبيب !

انت يد السماحة

افكر الهنيهة ، ان في الدنيا اصواتا ملحنة بغير نوتة موسيقية ، لان اصداء صوتك المنغوم ما زالت تبحر في نفسي ، وتحملني الى حيث انت ، على جناح الحلم الرقيق العبقري !

منذ لحظات كنت معي ، تسكرين الاثير كما اسكرتني بطيبة الصوت والعاطفة والحديث الشهي الحميم !

ولكنت ، لو لم استعد انفاسي التائهة مني طوال النهار ، كتبت اليك كما لا اشتهي ، وكما لا تشتهين !

كنت ، لولا هذا اللقاء الاثيري ، طلبت اليك ان نغلق كتابنا ، وان تعودي الى رحابك التي مارست فيها مثل التعبد لجمالك الشاعري ، فلا اسمع صوتك ، ولا تسمعين همسي الواله المحموم ، ونفترق على اتفاق بأننا ما تعارفنا قبل اليوم !

لكنك دائما تصلين في الوقت المناسب ، مثلما وصلت اول مرة ، وانا في ازمة الفراغ الكبير !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكلما خطوت في دنياي ، خلعت من سحرك ورقتك معاطف الامل المخضوضر ، فاذا الربيع في عمري ، مواسم لا تنتهي ، واذا انت يد السماحة والندى ، في عالم اضاع القيم ، وشوه براءة الطفولة في ضمير الانسان .

كان المدى ملعبا لمشاغلي

بعض النـــاس تتسع آفـــاق اهتماماتهم ، فيضيعون في المتاهات ويضيعون انفسهم ،

لكن من اتسعت آفاقه ، فضيق على نفسه آفاق اهتماماته ، طائعا ، راضيا ، مختارا ، فذاك هو الشمولي القدير الذي يعثر على ذاته ، في خضم المتاهات البعيدة الامداء !

ويوم عرفتك ،

كان المدى كله ملعبا لمشاغلي ، وكان لي في كل مجال جولة ، وفي كل ميدان صولة ، حتى لكنت احسبني احطت بالدنيا جميعا ، فما ان التقيتك

ونهلت من معين نفسك ،

ورغدت وجداني بعبير وجدانك ،

ونقلتك الى رفة اهدابي ، وخفقان قلبي ، والى كيان ذاتي ، فمزجتك في انفاسي ، وعجنتك في دمائي ، حتى عرفت اي سراب كنت الاحق فيما مضى ، فلا اعثر على غير الظمأ والوهم والخيال !

وها انذا كل يوم ادرك فيك عروس الفكر والعقل والدلال واريدك الى جانبي ،

تنثرين في دروبي اريج الزنابق ،

وتخلعين على وجودي مطارف الحب والحياة !

انا اولى بتقديم الاعتذار

الا ما انبل الروح في كيانك الطاهر ، وما اصفى وجدانك المرشوش بالعطر ، والسحر ، والبهاء !

تنفعلين ، اذ احرج كبرياءك التي احب ، ثم تعتذرين ، وانا اولى بتقديم الاعتذار !

واي انفعال ، واي اعتذار ، هذان المتخليان عن حقـك في الشموخ ، المسلسان للحبيب قيـاد العاطفة الموجعة !

ولولا صفاء وجدانك ، لما برح بك انفعال ،

ولولا نبل روحك ، لما اندفعت بغير حق الى الاعتذار !

ويا حبيبتي !

احب ما فيك انك رقيقة على شموخ ، شامخة على رقة ، فلا تؤلمي وجداني باعتذار ، بعد اليوم !

ان حبي لك يشفع بكل ثورة ، ووفائي لعاطفتك يبدد كل جفوة !

وها صدري مباح لراسك المتعب ، وهـا زنداي حانيتان على جسدك الواله ، وها قلبي ، مشرعة لك ابوابه !

واعذريني ان قارنت بعد هذا بين ما صنعت بك وما صنعت بي !

كنت ، من حيث لا اريد ، احرج فاجرح وجدانك !

وكنت ، من حيث تريدين ، تعدين لي مفاجأة ، كانما ما اكتفيت بعد ، من عطاياك ، فجئتني بهدية جديدة ، ظلمتك ، اذ انكرت مصدرها !!

كيان التواضع والكبرياء

وما زلت اكتم عنك بعض ما في نفسي من حطام متناثر ، ومن ميزة مقلقة ، وهوى اوجعته من حيث لا تشعرين !

ولا ادري كيف خلق الله المكابرة ، فيما خلق ، وحباني منها قسطا لو وزعت منه على الناس اجزاء واجزاء ، لبقي عندي المزيد من الوانها !

ثم لا ادري كيف بث الزمان في نفسي الكبرياء ، وانا اعلم الناس بما في كياني من تواضع ، فاذا انا متناقض ، متألم لهذا التناقض ، لا اعرف في القسوة علـى نفسي حدودا ، ولا اعرف في احترام نفسي ، بين الناس ، حدودا !

وانا على ثقة بأن اعظم عالم نفسي ، لو حاول ان يحلل ما انا عليه من تناقض المكابرة ، والكبرياء ، والتواضع معا ، لما استطاع ان يجد تفسيرا لهذه الظاهرة النفسية التي ما جردتني من بساطة يحبها بعض الناس ، بينما هي تخيف الآخرين .

فهل تراك اكتشفت اغوار ذاتي ، وعرفتني اكثر مما عرفت نفسي ، حتى وجدتني استحق ما رسمت في خاطري من علامات الاستفهام والتعجب ، وما بثثته من حيرة يتردد صداها في كل همسة تقول بالرغبة في الانسحاب من موكب ميمون ، نحن رسمنا خطاه ، وزيناه بالازاهير ، واخذنا نفسينا به ، بارادة كتبتها يد السماء والارض !

عدت اخاطبك كما تحبين

... ولعلي ، بما قرات لي ، آذيت وجدانك ، واثرت اشجانك ، وذكرتك بعض آلامك الماضيات ، ثم زدتك آلاما اذ كشفت لك عن جانب آخر من جوانب نفسي ، فعرفت انني ، في موضع الانفعال ، استطيع ان اكون حزينا بهدوء ، وان اخلع كل تناقضات الكبرياء والمكابرة والتواضع ، فأحكي حكاية حبي ، وابث آهاتي الموجعات ، واكشف عن حطام نفسي ، ببساطة مذهلة محزنة !

لكن ارتعاشات الضوء في اهدابك الذابلة ،

وصراخ اللؤلؤ المكبوت في عينيك الساحرتين ،

وانفجار الآهة في ثغرك الصامت بألم ،

كل ذلك عرفني من جديد بأن اميرة الحب والشعر والسحر لا ترتكب جريمة ان هي رشت على مسمع الحبيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعض التساؤلات وهي ان ذكرت وذكرت ، وآلمت وتألمت ، فلأنها تحن ابدا الى الانسان فيها ، يمزج ما فيه من الضعف والقوة ، والخوف والجراة ، والرغبة والرهبة ، في آن معا .

ويا حبيبتي !

عدت اخاطبك كما تحبين . فان كنت شوشتك بضباب وجداني ، فلأجل الا احمل نفسي على الانسحاب من حياة انسانة اخاف ان اكون مسست كبرياءها بأذى .

وما اروعنا معا ، نلوح بالانسحاب ، ونحن في كل يوم نبدأ حبنا من جديد !

نرى الحقيقة التي لا يرون

الحق اقول لك : اننا وحدنا الانقياء الاصفياء !

ولو علم الناس مدى ما بيننا من الهوى العاصف الذي يريحنا ويسعدنا ، ولا يتعب غيرنا ولا يشقيه ، على حد تعبيرك وتعبيري ، لأدركوا ان كل فلسفاتهم وسفسطاتهم وانظمتهم ومؤسساتهم الاجتماعية تقف وقفة العاجز امام الشمول الانساني الذي به اطللنا على الدنيا ، حبا ، واحتراما ، وحكاية من شموخ !

نحن ، يا حبيبتي ، لا نسعى لغير اسعاد البشر ، لكننا نرفض السعادة لاي كان حتى لنا نحن ، ان هي قامت على اشلاء شقائنا .

ان فاقد الشيء لا يعطيه !

وما لم نعرف ، كلانا ، كيف نجسد السعادة في هذا اللقاء الانساني العظيم المنفتح على عالم من الخلود ، فعبثا ندعي القدرة على اسعاد من حولنا ، قربوا منا ام بعدوا عنا .

ولقد يرى الناس ، فيما بيننا ، رفضا لمقاييسهم ، وتحللا من اثقال تنوء على كل منا ، وتكاد ترديه .

وما همنا مما يراه الناس ، ما دمنا نرى الحقيقة التي لا يرون ، ونؤمن بالحب الذي ينكرون ، ونحمل لهم خيرا لم يقراوا حرفا واحدا من حروفه !

اتقي الله في نفسك

واكمل حديثنا بالامس ، فأذكر لك قول المعلم السيد : « ماذا ينفع الانسان اذا ربح العالم وخسر نفسه » ؟

ذلك القول المقدس ، لعالم الروح قيل ، وقيل ايضا لعالم الجسد . لهذا ، دعوتك من قبل ، وادعوك اليوم وكل يوم ، الى ضرب جديد من ضروب البطولة والتغلب على الذات ، بالتغلب على خرافات حفظناها ، ثم حسبناها حقائق لا ريب فيها ولا مظنة !

ان هذا المجتمع الكاذب اللئيم يرفض السعيد الناجح المتفوق ، ويفرح بالشقي الفاشل السائر في مؤخرة الصفوف ، وذلك نوع من السادية المجرمة التي يفرح اصحابها بعذاب الآخرين ، وبالتالي يتعذبون ان هم لمحوا الفرح في عيون سواهم .

هذه تجربتي ، وهذا يقيني .. اصارحك به لا متحاملا ، ولا متجنيا . وهو يقين استقر في قناعتي من خلال تجربتي مع اقرب الناس الي !

وهبتهم كل شيء . كل شيء ، صدقيني . وما طلبت منهم شيئا . لكنهم يوم ان شاؤوا الاعتراف بالجميل ، ردوا هباتي لهم حسدا ، وبعض حقد ، وعادوا يسألون المزيد .

فاتقي الله في نفسك ، ولا تسألي عن خرافات الناس ، لقد اتقيت الله في نفسي !

كنت ، وتبقين ملهمتي

برح بي ما في كلماتك الدافئة الجريحة من الحنين ، وادمى حنايا نفسي ما تخللها من انين .

ولو قلت : ان ما بك هو بعض قليل مما بي ، لما افصحت عن كل ما في اعماق وجداني الجريح .

وما انا ههنا لأرضي غرورك ، او لأعلمك بما انا فيه من شوق مبرح لا يعرفه احد سواك .

ولو كنت معي ، اذ حملوا الي كلماتك في آخر الليل ، وقد انهكني التعب ، لذبت كما ذبت وجدا وحنانا اليك ، ولعرفت معنى ان تتقطر ادمع الوالهين فوق سطور الرسائل المسافرة من بلاد الاحبة ، بعد اذ يتلونها مرارا ، فلا تضارعها حتى مزامير داود .

ولئن غفرت لك كل ما في كلماتك من انفعال اقدر دوافعه ، تقديري للبوة الجريحة ، وقد ابى عليها شموخها ان تشرق بالدمع والآه الذبيح ، فلا ادري كيف اغفر لك او كيف تغفرين لنفسك انك تصرين على مخاطبة حبيبك ، وشاعرك وصديقك ، وحارس طريقك بلقبه ، متخلية ، لاول مرة في حياتك ، عن مناداته باسمه ، وانت ادرى الناس بمدى سخريته بكل القاب العالم ، وتبرمه بتفاهات البشر ، فاذا احرز لقبا علميا ، فلكي يكسب جواز سفر الى عالم اللقمة المغموسة بالعرق والدم والدموع ، لا لكي يخاطبه به اقرب الناس الى قلبه .

ولقد اسخر بنفسي ، بل بنا معا ، فأرى من حقي ، والحال هذه الحال ، ان اطالبك بتعويض عن استعمالك اللقب بصيغة المفرد لا الجمع ، ما دمت تعرفين انني املك غير لقب واحد !!

احب ما احبه في نفسي ، رغم كل شيء ، انني وانا الغارق في آلام عمري ، لا اتخلى عن البسمة المغرورة ، اتداوى بها ، لايماني بأن التشكي يحزن الاحباء ، ويشمت الكارهين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واما البسمة ، فحسبها انها تصون على المرء ماء وجهه ، فلا يواجه الناس ببشاعة الاحزان والاشجان ، بل يوهمهم وهو يتمزق ، ان كل سعادة الارض ملك يديه وطوع بنانه .

ولكـــن !

أحقا ، حقا ما تقولين ، انه لم يعد يهمك ان كان ما يزال عندي بعض من الحب الذي كان ؟!

أحقا تعفينني من مشقة المحاولة والتكلف ؟

أحقا وقفت وقفة الحاكم على طلل الود الجريح ، آخذا بأقوال شاهد الزور ، دون ما اعتبار للقرائن او لمنطق العدالة ؟

احقا تكرهينني ، حتى لـــو صح اني اتكلف الحب والحنين ، بعد كل مـــا كان من جراحاتي التي رضيت بسببها ، بسببها وحدها ، ان أتيه في اربع جهات الارض ، باحثا عن النسيان الذي اتعبني قدر ما جريت وراءه ، جري الظامىء وراء السراب البعيد ؟

لا بأس . لا بأس . ربما لم تقدري ، بعد ، معنى ان يتيه رجل كل هذا التيه ، وهو لـــو ملكوه كل كنوز الارض ، لما اغنته كنوز الارض عن رؤية ذرة تراب في بـــلاده .

رضيت كل معاناة انسانية ووطنية وعائلية ، لكي اوهم الناس من حولي انني اسعى الى فتوحات وامجاد علمية تتجاوز الحدود والاقاليم ، وحسبت بذلـــك انني انسى ، او انني اجد بعدك الملاذ البديل ، لان كبريائي — وهي بعد كل شيء ربيبة كبريائك — أبت علي ان ارى نفسي في مقام الغباء ، فكيف ان رأيتها في مقام كالذي سفك دم الود بيننا ، بغير رافة او حنان ؟!

هل تعرفين معنى ان اكتب اليك ، يوم ثنيت بزيارة « بروتوكولية » — كما اسميتها لك — ويوم عدت اياما الى وطني ، وبي من الحنين فوق ما يبلغه خيال الحالمين ؟!

هل تعرفين معنى ان اجدك ، من دون كل الناس ، آخر ملجأ لي منك ، فأعتب واغضب ، وارق واصعب ، واكاد — وانا اسبغ عليك كل مدائح الزمان — ان اقول فيك فوق ما قاله مالك في الخمرة ؟!

ان كنت لا تعرفين معنى كل هذا التصرف ، فقـــد اصبحنا اثنين لا يعرفان .. وتلك كبرى مآسي حبنا ، اننا بعد ان ذبنا في عناق الوحدانية الموصول ، عدنا نتيه في الاثنينية الجارحة لكل تذكار تسربت منه الى قلوبنا اصداء العبـــير !

وبنبل روحك الغالية ، استحلفك لا تجرحي كبريائي ، بل ما تبقى من اشلاء تلك الكبرياء !

لا تقولي لي : ان حكاية الود الذبيح كانت حكاية وهم من اولها الى آخرها !

قولي لي ، ان شئت : ان الزنبقة الناصعة الطهور لم يستطع دبابير الزمان ان يدنسوها ، فقد كادت وزوزانهم تخدعني ، وكدت احسبها ، كصوتك الحنون ، تراجيع صلاة ، واغاريد اطيار والهة .

اصري ، ولو ارضاء لكبريائي ، على ان رحيق زهرك كان وسيبقى ، رغم كل شيء ، رغم كل شيء ، وقفا على رشفاتي الوالهات !

قولي لي : ان حبك العظيم قد ملأ علي وجودي ، واغناني عن كل من وما عداك ، فأنت حبيبي ، وانت صديقي ، وانت بهجة عمري الآتي في دروب الحياة !

والا ، فقولي لي : انتقم منك . اوهمك ان لي حبيبا سواك ، لانك آذيتني ، ذات يوم ، اذ توهمت ، كما تتوهم الآن ، انك تسعى الى حبيبة اخرى ، او ان لك حبيبة ســـواي .

قولي لي : اطلقت سراحك . مللتك . صرت من بعض اشيائي القديمة . احلتك الى متحف الذكريات ، لان تغريدك في قفصي لم يعد يشجيني .

قولي لي ، ان كنت استحق : طردتك من هيكلي ، لانك دنست اقدس مقدساتي ، وحاولت كالفريسيين ان تجعله سوقا لباعة الحمام ، ومغارة للصوص ، بعد ان كنا نمارس فيه معـــا مثل صلاة مشرقية ، نذوب في اغيائها بالروح والجسد .

اترين اين قادنا الزمان ؟

اصبحت ادعي تعليمك ، وانت كنت وتبقين معلمتي وملهمتي ارق ما كتبت !

لكن اعظم ذنوبك عندي ، انك اتخذت من دوني قرارا كان حقي ان اشارك في مناقشته ، وفي رفضه او في اقراره .

افيكون من شأنك وحدك ان تمنحيني كل شيء ، وان تمنعيني كل شيء ؟ ليتك اذن لا منحت ولا منعت ، ولا اورثت نفسي كل هذا التمزق الوجداني الرهيب الذي عانيت منه ، واعرف انك كنت شريكتي فيه ، طوال عامين .

أهكذا تنصبين نفسك قاضيا ومدعيا عاما ومتهما ومتهما وتضربين عرض الحائط بأصول المحاكمات ، ثـــم تصدرين الحكم بالاعدام على حب ، يموت كل حب عداه ، ولا يموت ؟!

فلئن كنت لا اجد لـــك ادنى عذر في ذلك الموقف الضعيف المستبد ، فلعل من اسبابه المخففة انك تصرفت كقادة الانقلابات العسكرية الذين لم يدخلوا يوما الى محراب كلية الحقوق ، لكي يتعلموا فيها ما لهم وما عليهم ، سواء بســـواء .

ورغـــم كرهي لـــك ، حتى العبادة ، لا اراني الا مستخلصا لك من قلبي صكوك البراءة والغفران .

مدرب الحمام

في مدينة دمشق فئة من الهواة تقوم بتدريب أسراب الحمام على الطيران ، ويطلق على الفرد منهم ، اسم كشاش الحمام ، فكنت ترى اسراب الحمام تجوب اجواز الفضاء ثم تعود الى مدربها .

أطل مع الصبح من شاهق ... كما ضرب النسر في حالق
يحملق في الافق مستطلعا ... ويمعن في شفف الوامق
فتعدو المطامع من مقلتيه ... كأنهما مقلتا باشق
تراه تطاول مستشرفا ... يراعي الثواقب كالعاشق
يقلب عينا زكت نارها ... كما زكت النار من شارق
كأن له نسبا في السماء ... فحن الى النسب اللاصق
وما انفك يرقب كالمشيب ... توخى الضيعة من رازق

يمد يدي واله عاشق ... ولم يك بالواله العاشق
ويومي الى الغيب كالمستغيث ... اذا ما تضرع للخالق
يصفق حينا كمستبشر ... وحينا يزمجر كالناعق
يشير الى سربه زاجرا ... وينهي بأمر فتى حاذق
فتجري الحمائم رهن المشير ... وتخنع للسائس السائق
تؤدي بلا ملل ما وعت ... من القول في حنكة الواثق
وتفهم بالحدس ما يبتغي ... ولم تك بالعاقل الناطق

ترامت حمائم في شاسع ... تحلق كالعلم الخافق
تجوب رحاب فضاء بعيد ... وتصخب في حنق الحانق
فضاء تنزه عن خسة ... وعن دون بالثرى عالق
وتضرب مسرعة بالجناح ... حثيثا وتعنق كآبق
ترود فضاء طهور الاديم ... وتبعد عن عالم فاسق
هي الارض مهد الاذى والشقاء ... وميدان كل فتى مارق
ويؤثرها بالهوى قلبنا ... على ما بها من أذى ماحق

دمشق

عدنان مردم بك

وحسبي ان التاريخ الادبي المعاصر سوف يظلمك اشد الظلم ، جزاء ما ظلمت حبنا ، ايتها القاسية .. ايتها القاسية بمقدار ما كنت لي ، وتبقين لي ، حلوتي الرقيقة الساحرة .

ولسوف يتحدث النقاد والدارسون والباحثون عن شعر يذوب رقة وحنينا ، خطته هذه اليراعة المشبوبة ، فيقرأون التوقيع من دون العنوان ، فينصفونني ويظلمونك ، ويخلدون اسمي ، وينسون اسمك الذي به يفتتح الشعر ، وبه يختتم ، فهو عطر البداية ، وهو مسك الختام ، وهو الصلاة المشرقية التي تلوتها معك ، وتلوتها بدونك ، فما زادتني الا تشبثا بك ، وايمانا بحبك الذي لا يضيع .

يا حياتي ومليكتي انت ، وكل ما كان وما سيكون لي من مجد فوق هذه الارض !

من غربتي ، في هذه الجزيرة المغتسلة ابدا بلهيب الشمس ، ومن شطها الخليجي المؤتزر بواحات النخيل ، ابوح باسمك ، فسلام عليك !

اكتب من هنا الى اهداب عينيك الساحرتين ! اما يزال رغين اهدابك النشوى يداعب عينيك الساحرتين ، يوم كانتا تفيقان وتغفوان على صورتي .

واحن ، من هنا ، الى همسك الحريري السماوي ! اما يزال همسك الحريري مشتاقا الى بوحي وحبي ، يا كل بوحي وحبي !

اوحشتني ، يا قاسية . احبك « نتفة » حب ، لا تطمعي . فاني ما زلت اتداوى منك بك .

اضمك الي . اقبلك ، اقبلك ولا ارتوي . لكنني ، مهما فعلت ، سأظل اكرهك حتى العبادة !

فوزي عطوي



محمد العدناني

عثرات الادباء

بقلم محمد العدناني

* * *

جرع الماء وجرعه

ويخطىء الاصمعي من يقول جرعت (بفتح الراء) الماء ، ويقول ان الصواب هو : جرعت (بكسر الراء) الماء . ولكن الفعلين صحيحان ، وممن ذكر جرع (بكسر الراء) الماء ايضا : معجم الفاظ القرآن الكريم ، والحراني عن ابن السكيت ، والازهري ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وممن ذكر جرع (بفتح الراء) الماء : معجم الفاظ القرآن الكريم ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وفعله : جرعه (بفتح الراء وكسرها) يجرعه (بفتحها) جرعا (بفتح فسكون) وجرعا (بفتح ففتح) .

وانا أوثر : جرع (بفتح الراء) الماء ، لان العرب جميعا ، ادباءهم وعامتهم — كما ارجح — يستعملون الفعل جرع (بفتح الراء) ، ولم اسمع جرع (بكسر الراء) خلال عمري الطويل الا نادرا جدا .

الجاريــة

يقول الجواليقي في « تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة » : الجارية هي الفتية من النساء ، وليست الامة (بفتح ففتح) ، واستشهد بقول امراة ترقص بنتا لها :

وما علي ان تكون جاريه حتى اذا ما بلغت ثمانيه
زوجتها عتبة او معاويه أختان صدق ومهور عاليه

اختان (بفتح الهمزة والنون) . وايده في رايه هذا محمد علي النجار في « الاخطاء اللغوية الشائعة » .

والحقيقة هي ان معنى الجارية هو :

(أ) الفتية من النساء : المغرب ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن (مجاز) .

(ب) الامة وان كانت عجوزا : الاساس (لم يحدد لها سنا) ، والمغرب ، والمصباح ، والمد ، ومحيط المحيط (على ان لا تكون عجوزا) ، وذيل اقرب الموارد ، والمتن (مجاز) ، والوسيط .

ومما جاء في المصباح : « قيل للامة (بفتح ففتح) جارية على التشبيه ، لجريها مستسخرة في اشغال مواليها . والاصل فيها الشابة لخفتها ، ثم توسعوا حتى سموا كل امة جارية ، وان كانت عجوزا لا تقدر على السعي تسمية بما كانت عليه » .

وتجمع الجارية على جاريات وجوار .

الجزائــر

ويعثر محيط المحيط حين يجمع الجزيرة على جزر (بضم فضم) ، فيعثر اقرب الموارد مثله (كعادته) . ويخيل الي ان الوسيط نقل عنهما هذا الجمع ، فعثر مثلهما ، لانني لم اجد هذا الجمع في المعجمات التي لدي ، وهي تكتفي بجمع الجزيرة على جزائر : الصحاح ، ومجاز الاساس ، والمغرب ، والمختار ، واللسان ، والمد ، ومحيط المحيط ، ودوزي ، واقرب الموارد ، والمتن .

ويعثر محيط المحيط واقرب الموارد مرة اخرى ، حين يجمعان الجزيرة على جزر (بضم فسكون) ايضا .

اما الجزر (بضم فضم) فهي جمع الجزور (بفتح فضم) كما يقول الصحاح ، والاساس ، والمختار ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، ودوزي ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

اما معنى الجزور (بفتح فضم) فهو الجمل المذبوح ، او المعد للذبح ، ويقع على المذكر والمؤنث . واذا افردت الجزور انثت . وتجمع على جزر (بضم فضم) وجزائر . وتجمع الجزر (بضم فضم) على جزرات (بضم فضم) ، مثل طرق وطرقات .

الجزة (بكسر فتضعيف) ، الجزيزة (بفتح فكسر)

ويطلقون على صوف شاة في سنة اسم الجزة (بفتح فتضعيف) ، والصواب هو الجزة (بكسر فتضعيف) ، كما يقول اللحياني ، وابو حاتم السجستاني ، والتهذيب ، ولحن العوام لمحمد الزبيدي ، والصحاح ، والاساس ، والنهاية ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

ويجمع بعض هؤلاء الجزة (بكسر فتضعيف) على : جزز (بكسر ففتح) وجزائز .

وذكر محمد الزبيدي ان الجزيزة (بفتح فكسر) تعني : خصلة من صوف مصبوغة ، يزين بها الهودج ، كما يقول الصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن .

وتجمع الجزيزة على جزائز .

جزاه على احسانه واساءته ، وجازاه عليهما

اختلفوا في استعمال الفعل (جزى) ، وهل نقول : جزاه باحسانه ، ام جزاه باساءته ؟ فالذين يقصرون استعمال الفعل (جزى) على الخير ، يعتمدون على الفراء ، وعلى المصباح الذي قال : جزاه الله خيرا : قضاه له ، وأثابه عليه . ولكن :

ذكر الفعل جزى في القرآن الكريم ٧٢ مرة : ٣٠ منها جزاء على الاحسان ، و ٢٩ على الاساءة ، و ١٣ على كليهما . فمن قوله تعالى في الاحسان ما جاء في الآية ١٢ من سورة الانسان . ومن قوله في العقاب ما جاء في الآية ٤١ من سورة الاعراف . ومن قوله تعالى في الاحسان والاساءة كليهما ما جاء في الآية ١٥ من سورة (طه) .

وجاء في معجم الفاظ القرآن الكريم : جزاه بعمله او على عمله يجزيه جزاء : قابله بما يكافئه . ويستعمل في الخير والشر . ويؤيد قول معجم الفاظ القرآن الكريم ابو الهيثم العباس بن محمد ، والتهذيب ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، واللسان ، والتاج ، والمد ، واقرب الموارد ، والمتن .

ومما قاله ابو الهيثم : الجزاء يكون ثوابا ويكون عقابا ، وقال الراغب : جزيته كذا بكذا . وقال التاج : جزاه كذا ، وبه ، وعليه . وقال الوسيط : جزاه : كافأه ، وكافأه عنده للخير والشر .

واختلفوا في معنى الفعل (جازى) ، فالقرآن الكريم يستعمله في العقاب مرة واحدة في الآية ١٧ من سورة سبأ ، والمصباح المنير يقول : جازيته بذنبه : عاقبته عليه .

اما الراغب في مفرداته ، والزمخشري في اساسه فيستعملانه في الخير . قال الراغب : المجازاة هي المكافأة ، وهي المقابلة من كل واحد من الرجلين ، والمكافأة هي مقابلة نعمة بنعمة هي كفؤها . وقال الاساس : احسن اليه فجزاه خيرا : اذا دعا له بالمجازاة .

ولكن : يستعمل الفعل (جازى) للخير والشر كليهما كل من : الفراء ، والتهذيب ، والمختار ، واللسان ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن .

لقد ذكر المختار الجزاء في مادة « ثوب » . وقال محيط المحيط واقرب الموارد ان الفعل (جازى) هو اكثر استعمالا في الشر .

تحدثت الى جعفر

ويقولون : تحدثت الى جعفر (بفتح الراء) ، ظانين ان اسم (جعفر) اعجمي (فارسي) ، فمنعوه من الصرف للعلمية والعجمة . والحقيقة هي ان (جعفرا) اسم عربي قديم منصرف . وجعفر بن كلاب ابو قبيلة من عامر .

والجعفر : النهر عامة (حكاه ابن جني) ، وقيل الجعفر : النهر الملآن ، وبه شبهت الناقة الغزيرة اللبن مجازا ، كما يقول التاج .

وقال ابن الاعرابي : الجعفر : النهر الصغير فوق الجدول ، وعليه اقتصر الصحاح . وقيل انه النهر الكبير الواسع ، وبه سمي الرجل كما يقول اللسان . لذا قل : (أ) تحدثت الى جَعفر (بكسرتين) . (ب) رأيت جعفرا .

الرداء (السترة) لا الجاكيت

ويطلقون على الثوب الخارجي ، يستر الجزء الاعلى من الجسم ، اسم الجاكيت ، وهو الاسم المعرب عن اللغة الفرنسية القديمة .

ويتطرف آخرون ، فيقولون ان اصل كلمة الجاكيت هو عربي ، مأخوذ من الشكة (بكسر الشين المضعفة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتضعيف الكاف) العربية ، وهي السلاح او ما يلبس فوق السلاح . ثم توسع في استعمالها ، الى ان هاجرت الى فرنسا حاملة اسم جاكيت .

وهم مخطئون ، لان المعجمات الانكليزية الكبيرة تقول ان اصل الكلمة الانكليزية Jacket هو فرنسي . وهذا لا يضير اللغة العربية ، لان المعجمات نفسها ترينا ان فيها نحو ٤٠٠ كلمة انكليزية ، اصلها عربي .

وهنالك كلمات عربية كثيرة ، يمكنها ان تحل محل كلمة الجاكيت الفرنسية ، هـي : الرداء ، او السترة (بضم السين) ، او القباء (بفتح القاف) ، او المدرعة (بضم الميم وتضعيف الراء المضمومة) ، او الدراعة (بفتح الدال) ، او الجمازة (بفتح فتضعيف) ، او الفروج (بفتح فتضعيف) ، او الظهرية (بفتح الظاء وتضعيف الياء) .

وربما كانت كلمتا الرداء والسترة خيرها . فالرداء ، كما يقول المعجم الوسيط هو : الثوب يستر الجزء الاعلى من الجسم فوق الازار . اما السترة فارجع الى ما كتبته عنها في « معجم الاخطاء الشائعة » .

وجاء في المجلد الثالث عشر من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ، التي اقرتها لجنة الفاظ الحضارة ، بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ووافق عليها مؤتمر المجمع ، في جلسته الثالثة ، بتاريخ ١٧ شباط ١٩٧١ ، في المادة رقم ٣٢ ، ان المؤتمر اطلق على تلك الحلة اسم : السترة .

اما الحلة التي تغطي جذع الرجل ، وتصل الى ركبتيه ، او ادنى منهما ، وتلبس شتاء وقاية للجسم من البرد ، فقد ذكر المعجم الوسيط انها تسمى العطاف (بكسر اوله) ، وقال انها كلمة مولدة ، تجمع على عطف (بضم فضم) واعطفة . وتسمى ايضا المعطف (بكسر الميم وفتح الطاء) ، ويجمع على معاطف .

المجلد والمجلدة

ويخطئون من يسمي الكتاب الملبس جلدا : مجلدة (بلام مضعفة مفتوحة) ، ويقولون ان الصواب هو : المجلد ، كما يسميه المغرب ، والمد ، ومحيط المحيط ، والمتن .

وجاء في الاساس : جلد الكتاب : البسه الجلد . فاسم المفعول منه يجب ان يكون مجلدا .

ولما كان المجلد (بكسر اللام المضعفة) هو الذي يجلد الكتب ، كما يقول القاموس ، والتاج ، واقرب الموارد (في الذيل) ، فالكتاب الذي يجلده يسمى مجلدا (بفتح اللام) .

ولكـن :

يستعمل مجمع اللغة العربية بدمشق ، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة في معجمه « الوسيط » كلتا الكلمتين : المجلد والمجلدة . فاذا عنت الاولى الكتاب المجلد ، فان الثانية تعني : الاوراق ، او الكراسات ، او اضمامات الورق المجلدة .

وانا ارى ان (المجلد) اعلى ، لانه اكثر استعمالا ، واقل حروفا ، ولانه مذكر كالكتاب (ينعت المذكر المحذوف بنعت مذكر مثله) ، ولان المذكر — ويا للاسف — اقوى من المؤنث في اللغة العربية . وهذا حملني على تأليف كتاب في ظلم « الضاد » لحواء ، دفاعا عنها .

ويجمعون المجلد والمجلدة على : مجلدات .

قوم العصا لا جلسها

يقول محيط المحيط : جلس (بتضعيف اللام المفتوحة) العصا . والفعل (جلس) هنا عامي . والصواب قوم (بفتح فتضعيف) العصا ، اي : جعلها تستقيم وتعتدل . ولم اعثر على الفعل (جلس) في اي معجم آخر .

ومعجم « اقرب الموارد » ، الذي كان في معظم الاحيان ينقل عن محيط المحيط ، فيخطىء مثله عندما يخطىء ، ويصيب مثله عندما يصيب ، احجم عن نقل الفعل (جلس) عنه . ولا ادري من اين جاءنا به صاحب محيط المحيط .

جلعت فلانة وجلعت

اذا تركت فتاة الحياء ، وتكلمت بالقبيح ، تقول العامة : جلعت (بفتح فكسر) فلانة ، فيظنون ان هذه الكلمة عامية ، مع انها فصيحة كما يقول الاصمعي ، والتهذيب ، والصحاح ، والعباب ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وجاء في معجم مقاييس اللغة : يقال للمرأة القليلة الحياء جلعة (بفتح فكسر) ، كأنها كشفت قناع الحياء .

ويجوز ان نقول ايضا : جلع (بفتح ففتح) فلان ثوب الحياء ، كما يقول الاصمعي ، والصحاح ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، وذيل اقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

امـا فعله فهو : جلع يجلع (بفتح اللام فيهما) جلوعا ، وجلع (بكسر اللام) يجلـع (بفتحها) جلعا (بفتح فسكون) وجلاعة .

جلولي لا جلولائي

جلولاء (بفتح فضم) ناحية من نواحي السواد في طريق خراسان . وجلولاء ايضا مدينة مشهورة بافريقية ، بينها وبين القيروان ٢٤ ميـلا . ويقولون في النسبة اليها : جلولائي . والصواب : جلولي (بفتح فضم) ، وهي نسبة شاذة ، غير قياسية ، كما قال ابن مالك في الفيته وغيره .

بيروت : شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني رقم ٣

محمد العدناني

النار.. تعزف فوق صليب اخضر

*

تتمطى فوق المرآة الكونيه
أطياف ضباب
أنفاس جراح أسطوريه
تبعث من منفى الازمان

نخرج من شرنقة الحلم
تستيقظ عبر مسار الرؤية دوامات النور
نتسلق أوتار القيثار المخمور
يتخللنا همس فراشات رطبه
« الضوء مسافر »

يتوهج مرج شفقي
نقطف عنقود الكرز المشقوق
فيسيل عصير الرحم التواق
نتمطى
فتلوح غابات طافية سكرى
« الشفق الهمجي مهاجر »

تحملنا أفراس الموج الهمجية
فنصوب دائرة الحدقه
تتسلل عبر شرايين الارض السريه
يلمحنا القمر القاني
نتدلى من زهرة صبار قلقه
نقرأ ايماءته ..
« موج مغترب في صدر قيثار »

نتدحرج فوق جبال الليل
نتعثر في النجمات
يجرفنا السيل
تلطمنا أجنحة النسمات
تتكسر فينا
تمتد الايدي عبر الدوامات
يجرفنا السيل ، كرمال عذراء
نمضي
تتسلق فوق أناملنا أشلاء أدونيس
ولآلىء أعين فينوس
صهرت في بدء التكوين
نفتح ثغر محارتنا
نحسو أغنية القنديل
الهارب من ضوء القمر المضني
يجرفنا السيل
نلمس بالضلع المصهور الزهر الناعس
فيموت بغير بكاء
تلسعنا نحله
فيغادر شدقيها خيط شفقي يتقطر
آه لو يتكسر جبل الرعد الرابض
في مسرى الدم المتواعد
نقطف من زهر النرجس
سرب الموسيقى المتصاعد
نجدل قوس قزح عشا لعصافير تولد
نقرأ في صحف الوجد السحرية
عن شمع طواف تحت الموج
وجبال النيران الثلجية
وشموس حبلى من وهج الليل

آه .. النزف يمر
سكين يحفر قبله
ويصارعني الذئب الوهم
وقميصي بستان الدم
لو نقرأ ما في النجم
أو نسمع شعر اللؤلؤ في الغيم
فسنعرف جرح الراعي
المعصوب بأحبال المنفى
فيه أنين الدلفى وصراخ الحلم

يجرفنا السيل
في نفق من ماس
كل الاشياء مرايا خافتة الخوف
الملح عند جدار الافق
بنيلوب في غابة هيلاس
تغرس زهرة عباد القمر الآتي
تسقي شجر الاحساس
ينمـــو
أمضـــي
الابحار .. التشريد .. الموت ..
التنهيد .. الاحلام .. العودة
يجرفني صمتي
يتمدد يحرق أنفاس النار
وعصاي حطام تحت عظامي
ترهب أفئدة المردة

القاهرة — عبد الشافي داود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



اميل توفيق

الهدف المثالي والبناء الخلقي

في ضوء التحليل النفسي

بقلم اميل توفيق

* * *

يحدثنا الفرد ادلر رائد علم النفس الفردي عن نظريته في تكوين الخلق الفردي منذ المراحل الباكرة للحياة . فللنفس منذ الطفولة صفة هامة تفسر الحركة والنشاط . وهذه الصفة هي الغائية او الفرضية ، او السعي من اجل هدف . وهي صفة طبيعية (innate) تمكن الانسان ان يكون له نشاط تكيفي او ان يقوم بعمليات تكيفية .

هذا ووراء الهدف المأمول قوى او دوافع . وهذه تخلق الضرورة التي من شأنها ان يكون من مقتضيات النشاط التكيفي الذي تدفعه هذه القوى ان يوجه نحو الغرض المنشود .

وكل الظواهر الجسمية والنفسية تنبثق من هذا المبدا (القوى الدافعة والساعية نحو الهدف) . والحياة النفسية للانسان انما يحددها ويشكلها الهدف ، فليس هناك من يفكر او يريد او يحلم او يشعر الا ان يكون مركز كل هذه الانشطة ومحورها هو الهدف .

ولو اننا عرفنا غاية الفرد التي يكومها خياله ، وعرفنا نوعية البيئة الخارجية لأمكننا ان نستشف المعنى الذي تقترن به تعبيراته وديناميه سلوكه لانه المعنى الذي يرتبط بالغاية المقصودة . كما امكنا ان نتفهم نوعية الحركات والنشاطات التي يمكن ان توصله الى تلك الغاية .

وبعبارة اخرى ان وجود الهدف لدى الفرد هو الباعث على تحريك الانشطة المختلفة وعلى تحديدها واستمرارها . ومن هنا فالتشكيل النفسي يتطور وفق تطور الهدف الذي يرتسم تخيليا امام الفرد او في ذهنه ، ليصبح هدفا مثاليا (Ideal goal) .

وتتضمن انشطة الفرد النمو والتعلم والتفاعل مع البيئة والتمرس بالخبرات المتنوعة في المواقف المعينة ، والقيام بالتدريب والتجريب لانواع المهارات ، او المواهب ، والتعبير عن النفس بالوسائل المختلفة .. ولكن الحياة النفسية التي تتألف منها هذه الانشطة لا تكون حياة سوية الا متى تحقق شرطان رئيسيان هما : (١) وجود هدف مدرك وملائم وقابل للتطور . (٢) تكيف الانشطة الموجهة (بقدرات الفرد وامكانات البيئة) نحو تحقيق الهدف .

ويمكننا ان نقول ان حرية الارادة في الفرد السوي انما تتشكل بربط نفس الانسان بغاية ، كما تتطور بتطور هذه الغاية ، وبحرية هذا التطور .

وبرغم ان الفرد يرتبط بظروفه البيئية والاجتماعية ويخضع لمؤثراتها بل وقوانينها ، فانه كثيرا ما يقاوم الكثير من الارتباطات الاجتماعية ويرفض ايضا ان يتكيف مع الكثير من حقائق الحياة الواقعية وذلك لانه يحصر همه ويركز جهوده ونشاطه في القانون الذي يحدده الهدف او الغاية التي يبتغي تحقيقها .

واحيانا كثيرة نرى بعض الافراد لا يعرفون اهدافهم بالضبط . وعدم وضوح الاهداف لديهم يسبب عدم تنظيم النشاط ، وتشتيت الجهود .. ومن هنا نجدهم لا يصلون الى نتائج فعالة . ومع ذلك فقد تبرز في الطريق « وسائل » تؤدي الى غايات واضحة او مدركة تغير من اهدافهم المثالية ، وبالتالي تقودهم الى تفوق لم يكونوا يتوقعونه .

ان الهدف الذي توجه اليه انشطة الفرد انما يتحدد بتلك الآثار والتأثرات والانطباعات التي تمدها البيئة للطفل او للصبي . كما ان الحالة المثالية او الهدف المثالي انما يتحدد غالبا في الشهور الاولى في الحياة . فالمشاعر والاحاسيس او الاستجابات الانفعالية التي تقترن بالمواقف المعنية انما تحدد او تعين ملامح الفلسفة الاجتماعية للطفل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كصورة باهتة بدائية . وعلى هذه القاعدة من التأثيرات يقوم البناء وتتشكل المفاهيم التي تنبني عليها رؤاه في المستقبل . ولكن هذا البناء يمكن فيما بعد .. واثناء حركة الحياة وفي مجراها ان يتعدل وان يتحور وان يتأثر فيتغير . والحياة السوية هي التي تتيح هذا التعديل والتطوير .

ذلك ان في النشاط العملي او الفني ، تكون الغايات عرضة للتغيير اثناء العمل وذلك لان التغير رهن بانبثاق ظروف جديدة ، بل قد يصيب الفرد نفسه التغير في القدرات والمهارات والافكار مما يولد غايات جديدة لم تكن متوقعة . وكما ان للغايات وسائلها ، فنحن نقول ان النشاط العملي يتيح للوسائل ان تعين الغايات ، كما ان الغايات تعين الوسائل(٢) .

يقول السيكلوجيون ان الصفات النفسية انما تتكون منذ الصغر ، وانها وراثية . وهذا القول الصحيح لـه شقان . ولو ان البعض التفتوا الى الشق الثاني فقط ، لكان ذلك خطر على التربية لانه مفهوم يعوق المربين ان يعملوا على التغيير ويضعف الثقة بالمربي ، وبامكانية التطوير . كما ان مفهوم الوراثة وحده يجعل الناس يهربون من تحمل مسؤولياتهم التربوية .

ان مدنيتنا يجب ان تقدم الامكانات والامدادات المادية والتربوية نحو تكوين الغايات او الاهداف . كما ينبغي ان توفر المناخ الديموقراطي الحر ، والجو العاطفي الذي يبعث على التشجيع ويربط الفرد بمجتمعه برباط الحب والولاء . وما لم يتوفر كل هذه العوامل تقف العراقيل دون تكوين الاهداف السوية . ان الطفل لا بد ان يجد الاهداف التي تشبع أمنه security ، وتمكنه من التكيف مع البيئة ، وتحقق لـه التوافق adjustment مع المجتمع . وعلى الاقل لا بد ان يتوافر لديه الحد الادنى من الظروف التي تمكنه من الشعور بالامن والتكيف والتوافق .

صحيح ان بعض الافراد يطلبون لانفسهم اهدافا فوق ما تطيق قدراتهم ، وفوق امكاناتهم العقلية وبصورة مبالغ فيها ، نتيجة لعوامل الانقياد والمحاكاة الاجتماعية .. او نتيجة لعدم تطابق تخيلاتهم مع واقعهم .. ومن ثم تنمو لديهم اهداف مريضة كأن تقترن بحب التسلط او الاستعلاء، فلا يؤدي نشاطهم الموجه الى تحقيق متطلباتهم . وانما يصابون بالاهتزاز والقلق وعدم الطمأنينة ، بل العجز وعدم امكانهم التغلب على الصعاب .. ومن هنا يلجأون الى اسلوب المراوغة والهرب .. ومن هنا تنشأ الاهداف الملتوية وليست السوية .

وبالنسبة للافراد الذين ينهجون هذا الاسلوب الاخير، لا بد ان يجدوا الرعاية اللازمة لعلاجهم واحاطتهم بالجو المشجع بالتعاطف والتقدير ، لكي يوجهوا التوجيه الصحيح العامل على تغيير اهدافهم المثالية وتنشيط الوسائل التي تحقق الوصول اليها .

ان الهدف المثالي الصحيح بالنسبة لفرد سوي هو الهدف الذي يتكون نتيجة التطابق بين الامكانات والقدرات الفردية .. وبين امكانات او وسائل تحقيقه اي التطابق بين الخيال والواقع . لا بد للشاب ان يحلم ولو بالمستحيل ، ولكن لا بد ان يصل الى امكان تحقيق احلامه ، متى امكن ان يجد التكيف الصحيح ، والطمأنينة النفسية الضرورية .

واذا ما كانت الظروف مواتية بالنسبة لتطور الغايات والاهداف حتى يصل الافراد الى غاياتهم المثالية في الحياة .. فستكون كل الانشطة الموجهة انشطة موجبة .. بل ان الوجدان المصاحب لهذه الانشطة سيكون وجدانا مشرقا متسما بالتفاؤل والثقة والقدرة على مجابهة المشكلات ومقابلة التحديات بالحلول التكيفية السوية والتوافقات الاجتماعية السليمة .. ذلك انه تطور سيصحبه تطور في صفات الشجاعة والصراحة وتحمل المسؤولية والمثابرة ووضوح الرؤية ويقظة الوعي ..

اما اذا جاءت الظروف على العكس ، انتجت النقيض من هذه الصفات .. ان ركيزة البناء الخلقي السامي اساسها استهداف غاية مثالية يصحبها اكتشاف الذات ، ويربطها النشاط الذي يعمل على انماء الحاسة الابداعية ، في جو يتواءم مع الطبيعة ، ويتوافق مع المجتمع التوافق السوي . وجميع هذه العوامل تؤدي الى طريق الحرية . وهي الحرية معبرا عنها باستقلال الارادة وتلقائية السلوك .

---

(١) Understanding Human Nature ـ الفرد ادلر .

(٢) Studies in Sociology ـ موريس جينزبرج .

مصر الجديدة

اميل توفيق

في مطلع كل شهر

اطلبوا

الاديب

من الباعة والمكتبات

الواحة

الخالدة

علي محمد لقمان

عصفيرة ــ تعز

ص.ب ٤٨٠٦

يــا اجمل امرأة ولعت بهــا ... هــل تعلمين بأنني اهــوى
عيناك لــي بحــران موجهما ... شعر الحنين اليــك والنجوى
أغرقتنــي فطربت في غرقــي ... نشوان يرضي رغــدة نشوى
ونظرت حولــي غــير مكترث ... بشتــات ايامــي وبالبلــوى
فهواكِ لــي وطن الــوذ بــه ... وأراه عنــدي المنتهــى الحلوا
حل الخريف فما شعرت بــه ... انت الربيع ولــم يزل صحوا
ويظــل حتى في الشتاء كمــا ... كــان الاريج وغايــة السلوى
مــا العمــر الا زورق ذهبت ... هــوج الرياح بــه كما تهوى
مجدافــه يلهــو العباب بــه ... وشراعــه في عمقــه يطــوى
يمضــي وصاحبــه بغفلتــه ... لا يعلمــن فينقضــي لهــوا

خــداك بستانــان وردهمــا ... يوحــي الامان ويلهــم الصفوا
لــي فيهمــا الآفــاق واسعة ... تتقبــل المتغــرب النضــوا
يسمــو الخيال مفردا بهمــا ... في متعة ، وجلال مــن سوى
ان الجمال هــدى يضيء لنــا ... غــدر السبيل فنــدرك النحوا
لولاه لــم يحــل الوجود لنــا ... دارا نضيــق بقبحهــا خلــوا
هــو في عذاب القيــظ مروحة ... والدفء في بــرد اذا استقوى

يــا واحــة في ظلهــا التجأت ... غرثى النفوس ، وماؤها اروى
لمــا وجدتــك هائمــا دنفــا ... لاقيت فيــك الحــب والتقوى
ونسيت مــن احببت في عمري ... حتــى كأني لــم اكــن اهوى
واقيــت في خديــك مفتجمــا ... لضن ، فنمت ، ولم اكن اقوى
وسلــوت احزانــي تعذبنــي ... في عالــم يتجاهــل الشكــوى

شفتــاك عنقــودان ماؤهمــا ... فيــه شفــاء المــن والسلوى
يبــدو الوجود كتــاب مبتــدع ... وهمــا احــب واجمل الفحوى
كــم الهما مــن صورة عجب ... ابقــى مــن التأريخ او اقوى
او اسكــرا مترنمــا بهمــا ... فمضى الزمان ولم تغب ((اروى))
تتسابــق الانغــام نحوهمــا ... مرحــا وتخطر فيهمــا زهــوا
مــا في الرياض الغين مثلهما ... زهــر يثــير الشوق والشجوا
فتحلــق الاطيــار حولهمــا ... يلــي الشجي غناؤها حلــوا
ويــردد العشــاق آهتهــا ... ولهــا بمبسم فاتــن احــوى

انــا لا اريد سواك في زمــن ... يــذر اللباب ويأخــذ الحشوا
هــل تسمعين الرعد مصطفقا ... والارض زلــزال بهــا دوى
والبرق يخطــف ناظري قلــق ... مــن غير طب يشتكي العشوا
والغيــث منسكبــا تدفقــه ... والزمهريــر يدكــه شلــوا
والانجــم الزهــراء خافيــة ... والليــل في ظلماتــه اســوا
والارض قــد قامــت قيامتهــا ... والريح مــا عادت لهــا رخوا
فكأنهــا والهــول يمطرهــا ... متمــرد مستهتــر سطــوا
سبــل السلامة مــن فواجعها ... ضاعت فلم نسمع بهــا خطوا
كــم منزل دلــوا لذى ظمــا ... لــم يلــق مــاء لا ولا دلوا

كوني معــي نصعد الــى قمم ... تراميــات جمــة قصــوى
تتراجــع الانــواء خائفــة ... منهــا اذا مــا ازبدت نــزوا
ويعود مــوج اليــم في فــزع ... عنها ــ فوعر قهرها ــ عــدوا
ونــروض الاعصار مضطرمــا ... كــم هب مجنونا فمــا الوى
فنعيش في امــن وفي دعــة ... مــا نحــن الا قصة تــروى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



وحيد الدين بهاء الدين

شفيق معلوف كما عرفته

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

*

كنت وما انفككت ابحث بشغف عجيب عن انتاج المستعرب التركي : اسماعيل احمد ادهم ، ذي الاتجاهات المعاصرة والتناولات الحرة ، ولا سيما المنشور منه ، في الصحف والمجلات ، تلك التي صدرت منذ اواخر الثلاثينات حتى اوائل الاربعينات ، في الوطن العربي والمهجر ، وبعض الاقطار الاجنبية الاخرى ، كتركيا وايطاليا ، والمانيا ، والاتحاد السوفياتي ، ما استطعت الى ذلك سبيلا ..

على ان بحثي المتصل المرهق ادى بي الى التأكد من ان اسماعيل ادهم ، نشر بعضا من دراساته العلمية في مجلة « العصبة الاندلسية » الصادرة بالمهجر الجنوبي بالبرازيل . فارتأيت ان لا ندحة لي عن الاتصال بـ « شفيق معلوف » الذي تولى رئاسة تحرير العصبة الاندلسية ، بعد الشيخ حبيب مسعود ، بكفاية ، وساهم فيها بما ملك من امكانات مادية ومعنوية ..

كتبت الى شفيق معلوف في العشرين من ايلول من عام ١٩٦٤ ، وكنت وقتذاك بمدينتي : كركوك ، بعد ان قرأت عنوانه على غلاف احد دواوينه الشعرية ، لدى واحد ممن يتوهمون انهم من محامي الادب المهجري بالعراق ..

ويستقر جواب شفيق معلوف بين يدي . يقول : « اشكر لك ما ابديت نحوي من شعائر الولاء . فلك مني اصدق التمنيات بالتوفيق في مساعيك واعمالك . المغفور له الدكتور اسماعيل ادهم نشرت له مجلة « العصبة » مقالين اثنين : الاول بعنوان « رسالة المنبر الى الشرق العربي » وفي راسها رقم ٢ (ولم نعثر في مخلفات « العصبة » على الرقم الاول منها لانه لم ينشر في المجلة) . وقد ظهر هذا المقال في العدد الثالث من السنة الرابعة في شهر آذار ١٩٣٨ وفي الصفحة ١٩٥ . اما المقال الثاني فعنوانه « الرياضة والمنطق » صدر في الجزء السادس من السنة الرابعة المذكورة ، وفي شهر حزيران ١٩٣٨ الصفحة ٤٦٣ ولما كان يتعذر علي لاسباب صحية نقل المقالين المذكورين الواقعين في اربع عشرة صفحة من حرف ١٨ الصغير ، وكان من المستحيل ايجاد شخص استطيع تكليفه ذلك ، فقد سعيت بالتفتيش عن العددين المذكورين وقد وجدتهما بعد مصاعب جمة وارسلتهما اليك اليوم بالبريد العادي في رزمة مضمونة . فالرجاء افادتي بوصولهما » .

لقد اكبرت في شفيق معلوف اخلاصه وتعاونه ، وجعلني صنيعه الرائع اقابله بالمثل ، فأرسلت اليه برسالة امتنان واعتزاز ثم برزمة تتضمن شتى المطبوعات العراقية ..

لئن كانت رسالتي قد ادركته في حينها ، فان هاتيك المطبوعات قد تأخر وصولها اليه ، وهي في طريق البحر اكثر مما ينبغي . فاذا هو يتطلع الي بالتساؤل : « مضى على وصول رسالتك زهاء اشهر ثلاثة لم اتسلم بعد في خلالها ما ارسلته الي من مطبوعات . فالرجاء مراجعة البريد بذلك بموجب سند التسجيل لديكم وعذرا لتأخري بالكتابة اليكم للسبب نفسه » . ثم يتابع فيقول : « ارسلت اليكم العدد الاخير الذي صدر من مجلتنا « العصبة » عند حجبها عام ١٩٥٣ وفيه تاريخ نهضة الادب العربي في مهجرنا البرازيلي وقد ارفقته بمؤلفي « عبقر » . » ..

لفني القلق اللعين على مصير الكتب ، واشفقت فقلت : لعلها ما برحت في طريقها اذا لم تكن قد تاهت وشاهت .. وفي الوقت عينه راجعت على نحو رسمي مديرية البريد المركزي ، فأخبرني المسؤول بعد طلبه « الاوليات » : ان الطرد ارسل بالبحر عن طريق ميناء البصرة ، وانه بالغ صاحبه في القريب من غير خشية عليه ..

وفي منتصف عام ١٩٦٥ فاجأني شفيق معلوف بتلقيه المطبوعات حيث يقول : « تلقيت وانا على اهبة السفر الى مشتاي ما تلطفت بارساله الي من مؤلفات نفيسة احدها من قلمك وهو « من ادب التركمان » وكذلك « القصة » و « الشعر » و « فلسطين والغزو التتري » . وقد اكببت على مطالعة مؤلفك عن شعراء التركمان ، فراقني منه اسلوب ممتاز في التعبير واختيار الكلم وحسن الانتقاء والاصابة في التقدير ، وسأقرأ الباقي عندما اختلي

على شاطىء البحر بنفسي منصرفا الى المطالعة والكتابة».

ثم ما لبثت ان زودته بمطبوعات اخرى توافرت لدى حديثا ، ليطل بهـا على واقع عالمنا الادبي والفكري ، وليتحسس جهودنـا المتواضعة في مضمـار الثقافـة والصحافة . وكان ان انهى الي : « ابعث اليك بكلمتي هذه من مشتاي شاكرا لك ما تلطفت بارسال ما وصلني منك من مطبوعات مرفوقة بأجزاء ثلاثة من مجلة « الاخاء » الراقية . زاد للروح في العزلة واي زاد . فاليك تحيتي الصادقة . حفظك الله ورعاك » .

في اثناء ذلك وددت ان استدرج شفيق معلوف ، للمشاركة في تحرير مجلة « الاخاء » التي كنت اعمل بها ، اذا كان له قدر من الاستطاعة ، ولديه متسع من الوقت ، بالرغم من البعد الشاسع الذي يفصل بيننا ، ويختزله زمن العلم والحضارة اختزالا ، بعد ان صارت هذه المجلة همزة وصل بيني وبين كثير من الادباء والشعراء على صعيد القطر ، وعلى مستوى الوطن العربي ، والمهجر .

لكن شفيق معلوف صارحني في جواب له قائلا : « واتمنى لو لم اكن منقطعا عن النظم والتأليف في السنوات الاخيرة ، ان ابعث ببعض ما يتوجب علي لمجلة « الاخاء » . فمعذرة على تقصيري . والكريم من عذر » .

وبالرغم من هذا الجواب الحاسم الذي ساقه الي شفيق معلوف ، فما يئست ، وانما رأيت من الانسب ان ادعو اخاه الشاعر الناثر رياض معلوف ، هـذا الذي يحتضنه الكوخ الاخضر بزحلة لبنان ، لعله ان يلبي رغبتي ، فيسهم اسهاما في تغذية مجلتنا . فلا فرق بينهما ، قراء وعطـاء ..

وما ان يدرك شفيق معلوف ، ما توخيته من الاتصال باخيه رياض وما قمت بـه في هذه المرة ، من ارسال مطبوعات اليه عن طريقه ، حتى بادر بالاجابة بروح من المحبة والاكتراث . « وقد سرني اتصالك بالشقيق رياض في زحلة . ولا شك انه موافيني قريبا بما ارسلتموه الي عن يده .. » .

وفي رسالة تالية اوما شفيق معلوف الى ما اراد في ما سلف . فقال : « كل ما تفضلت بارساله الي او بواسطة الشقيق رياض تسلمته ، فأكرر لك الشكر على كل ذلك . وسرني ما وافيتني به من اخبار اخوان الادب ، فحيهم عني . واليك مني اصدق عواطف الولاء .. » .

ذات يوم كنت اقرأ كتاب « قصة الوقت » للاديب الفنان ناجي جواد ، فلاحظت انه افرد فيه فصلا عـن « الساعة والادب » ، تطرق فيه الى مباراة شعرية جرت بسان باولو حول « فنجان قهوة » وشارك فيها شفيق معلوف ، واخوه فوزي وخالهما ميشال معلوف وشاهين معلوف وخصصت لها ساعة يدوية يحوزها الفائز الاول بعد اجراء التحكم ..

هنا اقترحت على ناجي جواد ان يهدي نسخة من كتابه هذا الى شفيق معلوف ، فاستجاب بلطفه المشهود . ما عتمت ان اسرعت بـ « قصة الوقت » الى البريد ، مؤملا في نفسي ، ان اجمع ولو على البعد ، بين اديبين فاضلين ، لتزهو بهما آصرة التعارف العقلي والتعاطف الروحي ..

ويتمثل الكتاب بين يدي شفيق معلوف ، آية ادبية وتاريخية ، فيكتب الي منوها : « اما قصة الوقت فقـد تسلمتها وكتبت الى صاحبها شاكرا بعد ان بعثت اليه بكتاب « عبقر » هدية مني اليه . فأرجو منك عندما تلتقي الاستاذ ناجي جواد ان تهدي اليه تحياتي .. » . ثـم يستمر : « وارسلت على عنوانك ديواني «سنابل راعوث» وقد كانت الطبعة قد نفدت ولكنني تمكنت مؤخرا مـن الحصول على بضع نسخ منها فابتعتها للاهداء .. » .

متى ما علمنا ان شفيق معلوف بحكم انتمائه الى الاسرة المعلوفية ذات الصيت في دماثة الاخلاق وخصوبة المواهب ، استطاع ان يؤلف بين اصالة الشعر وامانة الفكر على اكرم ما يكون ، ارتحنا الى سمعته في المجتمع ، ومكانته بين معاصريه ، حتى وضعت عنه دراسات تحليلية نقدية ، وفصل في شعره ونثره القول ، وترجم شيء غير ضئيل من انتاجه الى اللغة البرتغالية ، تقييما له وتكريما .

وبباعث من هذا الاحساس ، الف فيه الكاتب العربي المهجري عبد اللطيف اليونس كتابا مستقلا يحمل عنوان « شاعر عبقر واهازيج الفن » . انما شدة ولعي بأدب المهجر من جهة ، وتتبعي لشعر شفيق معلوف من جهة ثانية ، دفعاني الى الرغبة في هذا الكتاب . كتبت الى عبد اللطيف اليونس ، المؤلف ، والـى شفيق معلوف المؤلف فيه ..

وافاني جوابهما الشافي . اما شفيق معلوف فقد قال : « مؤلف ــ شاعر عبقر ــ للاستاذ عبد اللطيف اليونس ، سيرسله اليك عن طريق دار جريدة « الحياة » في بيروت ، وهي التي قامت بطبعه وتوزيعه » . كذلك قال في رسالة اخرى وردت : « اخبرك انني اتصلت فورا بالاستاذ اليونس وافضيت اليه بعنوانك الجديد وبلغته تحياتك فحياك وطلب الي ان ابعث اليك بعاطفة شكره . كما انه كان قد اطلعني على رسالتك اليه بشأن « شاعر عبقر » مؤلفه ذلك الذي تسلمته فور طلبه . فشكرا على غيرتك واهتمامك .. » .

انصافا اسجل ان شفيق معلوف لم يكن يتوانى عن ان يبعث الي بمطبوعات مهجرية ، اتلهف الى مطالعتها ، استزادة مـن منابعها ومراميها ، واستقطارا لمضامينها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومعانيها . كلما اراد هو ، وتمكن اليه سبيلا ، وكلما تطلعت انا الى ذلك كله ..

تكرم علي شفيق معلوف على كر الايام ، اضافة الى مؤلفاته ودواوينه ، مجموعة من اعداد مجلة « العصبة » ومنشوراتها ، ككتاب « ابن حامد او سقوط غرناطة » لاخيه الشاعر الراحل فوزي معلوف ، وكتاب « ما اجملك يا لبنان » للنابغة الشيخ حبيب مسعود الذي خر صريعا في حوادث لبنان المؤسفة ، وكتاب « في هيكل الذكرى » الصادر عن الشاعر الكاتب ميشال معلوف مؤسس العصبة الاندلسية ، وكتاب « اقاصيص » للكاتب الفنان جورج حسون معلوف ، وكتاب « كما هي » للاديب المؤرخ الجريء توفيق ضعون ، وكتاب « مقطفة النجوم » الصادر عن دار « المراحل » بسان باولو بالبرازيل ، وما الى ذلك ..

فاذا كان الشيء يذكر بالشيء ، فان الحديث عن المطبوعات المهجرية الواصلة الي والى غيري هدية مزجاة من اصدقاء لنا هناك ، يحضني على الالماح الى شيء ذي بال مما اوقع شفيق معلوف في بعض المتاعب ، وهو يحاول ذات مرة ان يرسل الي ببعض ما اعتاد ان يرسل ..

في الثاني والعشرين من ايلول من عام ١٩٧١ كتب الي يقول بالحرف الواحد : « .. وبعد تراني باعثا اليك بأسطري هذه شاكيا فوضى البريد بيننا وبينكم . فقد تسلمت منذ بضعة ايام رزمتي كتب مرتجعة وكنت قد ارسلتها على عنوانكم منذ المكاتبة المتبادلة بيننا مؤخرا . اما سبب الارجاع فهو كما ترون على الغلاف الذي اعيده اليكم طيه :

Pas de service via Israel

ومعنى الختم هذا كما ترون « لا تبادل خدمة عن طريق اسرائيل » .

فالرجاء ان تبحثوا عندكم عن معنى هذا الارجاع والتلطف بالافادة كيف يمكننا ان نوصل اليكم مؤلفاتنا من الآن فصاعدا .. » .

سرعان ما اجبت عنه بما ينبغي ان يفعل ضمانا لايصال هذه المطبوعات وغيرها الينا دون ان تعاد اليه مرة اخرى ، ودون ان تضل سبيلها اطلاقا .

ثم ما كان منه الا ان جعلني اطمئن الى ما فعل ، كما جاء في رسالة له جديدة ، اذ افاد : « وقد عهدت بالكتب المرتجعة الى من اتصل بالمسؤول في ادارة البريد ، فارتأى ان نعيد ارسالها في رزمة واحدة عن طريق ايطاليا ، وهكذا كان . فأؤمل ان تصل قريبا اليك .. » .

في خلال لقائي بالدكتور طه حسين بالقاهرة ، سئل عن الشعر المهجري الجنوبي ، وعن بعض اقطابه كالشاعر القروي والياس فرحات وشفيق معلوف وجورج صيدح ، وقد سبق له ان سجل رايه في شاعرية فوزي معلوف واليليا ابي ماضي في كتابه « حديث الاربعاء » . فأفضى انه لا يعرف من هؤلاء الا شفيق معلوف ، وانه قرا له ..

على اني نشرت ما طرح في هذا اللقاء الادبي في صحيفة « الجمهورية » البغدادية ، كما نشر صديقي الكاتب الكبير وديع فلسطين ، الذي رافقني في لقائي ، شيئا مماثلا في مجلة « الاديب » اللبنانية .

ولئن كان تصريح طه حسين ، قد اثار حفيظة جورج صيدح والشاعر القروي والياس فرحات والياس قنصل ، فانه قد سر شفيق معلوف ، بحيث اتصل بي وبغيري راجيا لان ارسل اليه بما نشرته ونشره وديع فلسطين ، ليطلع على ذلك بنفسه ، ويطمئن الى ما قيل في شعره من راي.. كان له ما اراد .

حين صدر كتابي « شخصيات من الادب المعاصر » وفيه بحث عن « عبقرية شفيق معلوف » اضطلع ناشره عبدالله يوركي حلاق ، الشاعر الناثر ، وصاحب مجلة « الضاد » الحلبية بارسال نسخة منه الى شفيق معلوف ، وما ان يتلو ما خصصته به من حديث تحليلي جامع ، حتى وجه الي كتابا لطيفا ، ذكر فيه : « كتاب « شخصيات من الادب المعاصر » وصلني ، وطالعت فيه ما تلطفت وخصصتني به ، فجاء دليلا على نبيل خلقك ، وصفاء غيرتك ، ولا اعلم كيف اشكرك لاهتمامك بأدبي ، كما اهنئك بما تنشره علينا من دراسات رائعة عن ادب العصر وادبائه .. » .

ثم انكمش شفيق معلوف على همومه ووساوسه ..

جعلت اخباره تتواتر ، لانهماكه بمتاعب زوجته : روز ، مقطفة النجوم كما يسميها ، وما تباهظه رعايتها من نصب ووصب .. مكابدة ومجالدة ، الى ان ماتت بداء السرطان مأسوفا عليها ، بعد ان اخفقت انجع الوسائل في انقاذها من هذا المصاص القتال . فوقع رحيلها عليه وقعا مؤلما ، ونال منه منالا ، واخرسه الحزن الصامت عن اي شيء ، والقاه في قرارة الغربة والضياع والعزلة ، فأعزيه كما يعزيه الآخرون من اصفيائه واصدقائه ..

مع هذا كله ، كان لا بد ان يفعل شفيق معلوف شيئا ، وقد احتضن الفجيعة القاصمة ، وتذوق المرارة الفظيعة ، وتلقى ضربة الاقدار ، بموت احب الناس اليه ، واعزهم عليه ، واقربهم منه .. كان لا بد ان يعبر ، والحالة هذه ، عن نفثاته وسوانحه تنفيسا له ، ويرسم ذكرياته وسبحاته تسرية عنه ، باللواذ بالشعر والفكر .. انهما سلواه ونجواه ، وفيهما دواؤه وشفاؤه ..

اذ وضع اثرا شامخا رائعا ، طبعه كما كتبه بخط يده ، في لبنان في عام ١٩٧٥ وتحت اشراف اخيه رياض

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

معلوف ، حاملا عنوان « ستائر الهودج » حاويا بين دفتيه رائق الشعر والنثر ، وهو مستوحى من رحلة حياته الزوجية : ما قبلها وما بعدها ، وما اكتنفهما من حب وشوق .. امل ومثل .. لقاء وعطاء . يقول في موضوع « صفحة اخيرة » :

جفناك تلاقيا لغير فراق
صرت اقرب الى تقطيف النجوم منك ،
يوم كنت على الارض
ذكراك متعة لروحي ، وهي ترافقني
في يقظاتي
ما اشوقني الى رؤيتك في الحلم ، ولكنني
منذ فارقتني ، فارقتني احلامي ...
وكل ذكرى كانت جميلة في الامس
صارت اليوم غصة في القلب
فعيناك انطفأتا .. الا في قلبي !

لقد حز في نفسي ان احرج شفيق معلوف ، في ما بعد ، وهو الشيخ العليل ذو الحساسية الحادة ، وعز علي ان اخرجه من صمته المطبق الذي استسلم له بكل خواطره ومشاعره ، ورفعه جدارا سميكا بينه وبين الآخرين ..

والحق يقال ، ان شفيق معلوف كان مريضا قبل مرض زوجته العضال .. كان مصابا بربو مزمن ، تنتابه نوباته بين فترة وفترة ، حتى لتكاد تخنقه ..

انما كان يخلد الى الراحة والهدوء في منتجعه ومشتاه ، بعيدا عن المظاهر والاضواء ، بعد ان سلم مقاليد اموره الى نجله الوحيد : اسكندر التاجر والشاعر باللغة البرتغالية ..

من هنا استغللت فرصة قبوعه بدارته ، وكتبت اليه مضطرا مرتين ، يحملني على ذلك رغبة مني في تفقدي حاله ، وسلامي عليه ، وتطلعي اليه ، بيد انه لم يجب وان شئت فقل لم يقدر ان يجيب عن ما كتبت اليه . ذهبت في ذلك مذاهب ثم تساءلت . فاذا الصديق الصفي الشاعر جورج صيدح يقول : « اما شفيق معلوف ، فاعذره على سكوته . مرضه المزمن (الربو شبه الخانوق) يضطره الى الاعتزال الطويل في صومعة بناها في الجبل الشاهق ليستشفي فيها » .. واذا الصديق المفضال الشاعر فيليب لطف‌الله ينهي الي من سان باولو : « ... الشاعر شفيق معلوف كلمته على الهاتف وقرأت له ما كتبته اليه في رسالتك ، فأبدى اسفه لعدم تمكنه من الكتابة وانه مريض منذ عشرة اشهر ويده ترتجف ، وعندما تتحسن صحته سيكتب اليك في اول فرصة يتمكن بها من ذلك وهو يشكركم شكرا جزيلا .. » .

وتداولت الايام سراعا ..

ثم كتبت اليه للمرة الثالثة وفاء مني ، وامتثالا لنداء الضمير في السؤال عنه ، يبدو ان اهتمامي الزائد به حثه على ان يرد بالسرعة المستطاعة . حيث قال في رسالته — وهي آخر ما ادركني منه — المؤرخة بالخامس عشر من آذار من عام ١٩٧٦ : « تحية الشكر والولاء . منذ اواسط العام الفائت والادواء تنتابني ، الداء بعد الداء . وقد انقطعت عن اداء ما يتوجب مع اعز الاصدقاء وانت منهم فعذرا . وهذه اول كلمة اخطها لتطمينك انني قد بدأت اشعر بتحسن طفيف . والحمد لله .. اعذرني على الايجاز ، ما زلت قد عرفت السبب .. » .

في يوم الخامس والعشرين من كانون الاول من عام ١٩٧٦ ، وهو يوم عيد الميلاد المجيد فاضت روح شفيق معلوف تعانق روح زوجته : روز في لقاء ابدي يتأبى على الانفصام ..

وهرعت الى القرطاس امد يد المحبة الى نجله اسكندر بسان باولو من جهة والى اخيه رياض معلوف بزحلة من جهة اخرى ، معزيا اياهما ، ومشاطرا مصابهما الجلل ..

طالعني جواب رياض معلوف ، وهو نسخة من كتاب « ستائر الهودج » وعلى غلافه الداخلي : « الى الصديق العزيز الاديب الالمعي الاستاذ وحيد الدين بهاء الدين من صديقه المؤلف ومن اخيه الذي وقف على نشر هذا الكتاب مع الصداقة . رياض معلوف . زحلة ٢٧ آب ١٩٧٥ .. » .

فأدركت ان رياض معلوف لم يستطع من ان يرسل بالكتاب الي بسبب احداث لبنان المفجعة حتى آن اوانه ..

كذلك سطر على حاشية الغلاف الداخلي : « شكري الجزيل على تعزيتك بالحبيب شفيق الذي فقدناه آسفين جدا كما فقده الشعر والاصحاب الاحباب مثيلك اطال الله عمرك وحفظك لاخيك الاسيف . زحلة ١ شباط ١٩٧٧ » .

في ذمة الله ايها الصديق الشفيق ..

بغداد — وحيد الدين بهاء الدين

اشتركوا في مجلة
الاديب
تساهموا في نشر الثقافة

العاشق والوردة

حسين علي محمد

الشرقية — مصر

ازرعني في قلبك وردة
ضمخني بطيوب الحب
أنقذني من صحراء الجدب ..
ومن سنوات العقم الممتدة .

حين رأيتك ذات صباح
تجتاز الطرقات المفضية
الى بهو البهجة
كانت كلماتي آثار جراح
قد أدمت جسمي
في الزمن الغابر
ولهذا يا محبوبي
لا تغضب من شعري الثائر
أو من كلماتي الغضبى
فأنا ان شئت
لن أنطق حرفا
فالكلمات العاشقة المجنونة ضعفا
لا تجدي شيئا
في وجه السيف

*

السيف يطارد رأسي يا محبوبي
وأنا .. أرنو للشباك
أبحث عن طيفك
(هل يأتي طيفك ينقذ من يهواك
لكن المعشوقة .. ترفض .. تتأبى
(وأنا .. أتمزق في ليل الوحشة
تدميني الاشواك)
تنسى من قدم عمره
قربانا للآلام وللاحزان
حتى يفرح في داخلها
القلب الاسيان !

*

هذا قلبي بين يديك
كتاب مفتوح
- لو شئت ..
امطت لثام الكلمات الحرى
ورأيت العاشق ملقى في الطرقات
جريحا وكسيح
ينتظر المحبوبة تأتي
مع نسمات الريح ...
القادمة من الارض المجهولة
ولهذا .. لا يشغلك الهمس المذبوح
عن تلك الروح
روح الانسان العاشق
في جسد مجروح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مع الشاعر عدنان مردم بك في

مسرحية «دير ياسين»

بقلم سكينة الشهابي

* * *

مسرحية شعرية من اربعة فصول تاخذ موضوعها من التاريخ المعاصر وتحكي جانبا من واقع العرب في صراعهم مع الصهيونية العالمية . وان شئنا التخصيص قلنا : انها تصور نضال الشعب الفلسطيني بمعداته القليلة وانفعالاته الكبيرة ، والمعدات لا نقصد بها الاسلحة فقط بل نضيف الى جانب الاسلحة المعرفة ، لان المعدات المعنوية ربما كانت في بعض الاحيان اشد ضرورة من المعدات الحربية ، وربما استطعنا ان نضيف الانصار الاوفياء الى الاسلحة المعنوية لان مكانتهم كبيرة في اضرام نيران الحرب وقت الضرورة وتدعيم الصفوف ، وتأمين الذخيرة ، انهم يضيفون الى الايمان الراسخ في النفوس ، ايمانا ، ويزيدون القدم ثباتا في الدفاع عن العقيدة .

موضوع المسرحية يعرفه كل انسان عربي ، بل ربما عرفنا عن مذبحة دير ياسين ووحشية الصهاينة في التنكيل بسكانها الآمنين شيوخا ونساء واطفالا اشياء كثيرة لم تستطع التعبير عنها فصول المسرحية ومشاهدها التي قيدها البحر ، وتحكمت في عباراتها القافية ، والهم فيها ذلك الجانب الفكري والقومي الذي حرص الشاعر على ان يبرزه لنا لانه لا يحكي مشكلة آنية من مشاكل العرب وانما يحكي ازمة في تاريخ امتنا المعاصر ما زالت مستعصية على الحل .

خصص الشاعر الفصل الاول والثاني والرابع للحوار العربي وافرد جانبا من الثالث للحوار بين الارهابيين الصهاينة ، وحاول من خلال الحوار بين العرب ان يبرز لنا واقعهم : آلام عميقة ، وانفعالات قومية كبيرة ، يرافقها الكلام الكثير الذي لا يمتلك رصيدا كافيا من القوة والحكمة .

اختار الشاعر لمسرحيته مجموعة من الشخصيات العربية التي استشهد معظمها في مجزرة دير ياسين الرهيبة ، وليس بين هذه الشخصيات من عناصر المقاومة الفعالة سوى محمد بن الحاج عايش ، فقد استشهد وهو يحمل سلاحه ويدافع عن ارض اجداده ، واوصى ان تسلم بندقيته بعد استشهاده لوالدته لما كان لها من الدور الفعال في بث الحماس في نفسه وشحنها بالمشاعر القومية .

كان ذلك البطل يعيش في صراع رهيب ، فهو يحب وطنه ويرغب فيالدفاع عنه ولكن المثبطات التي تكتنف الواقع العربي تحيط به من كل جانب ، ولذلك كنا نراه تارة كئيبا حزينا يكاد الحزن يتآكل جنباته ، يفكر بالزعماء العرب الذين يتاجرون بالقضية العربية وبالانكليز اولئك الذين يسمون بالحلفاء وليسوا الا انصارا لليهود ، لا يكفون عن مدهم بسيل لا ينضب من المعونات والاموال :

شجنـي كبـر كالمحيـ ... ـط وناره لا تخمـد
ما كنت ادري والمصا ... ـب جمة من انقد
فبنـو العمومة لا تجيـ ... ـب نداءنـا او تسعد
تخموا وما زالوا الجيا ... ـع وكفهـم تسترفـد
امـا الحليف فانت اد ... ـرى بالحليـف وارشد
سبع علينا بـل اشد ... ـد مـن السباع وانكد
وهو الغيور على اليهو ... ـد بمـا يجـود ويرفد

وبعد ان نسمع منه هذه النغمة الشجية نراه فجاة يتمرد على الواقع ويتجاوز الصعوبات التي تعترض طريق الثورة ، ويعلو على كل صور اليأس المثبطة مسلحا بعزيمة جبارة تدفعه الى الاستمرار في المقاومة وعدم الاستسلام الى العجز :

هيهات نجبـن او نكل ... ـل عن الصراع ونحجم
الحـر لا يلوي يـدا ... عجـزا ولا يتبـرم
ماذا يضير اذا دجـا ... ليـل وغـارت انجـم
لا ، لـن نهاب ولـن نـذل وفي ضمائرنـا دم

والحقيقة ان هذا الثائر هو العنصر الايجابي الفعال الذي يعطينا نموذجا لرجال المقاومة وهناك في المسرحية من يقتصر دوره الايجابي على الهاب العواطف وبث نار النخوة ، من هؤلاء رجاء زوجة محمد وحلوة زيدان ام محمد ، وهي تمثل دور المراة العربية الشجاعة التي تقف خلف الرجل تحرضه وتبث في مناياه النخوة حتى تذكرنا باسماء ام عبدالله بن الزبير :

ولـدي فديتك والحيا ... ة المجد في دنيا الغد
اقـدم ولاتـك زاهدا ... في مشهـد بالسـؤدد
وكن المنار يضيء للسا ... ري وياخـذ باليـد

ومن ابطال المسرحية الذين تتجلى ايجابيتهم بأقوالهم ولكنهم يعجزون عن حمل السلاح محمد علي خليل ، وهو كهل اعمى ، يقف هذا الرجل موقفا صلبا امام انهزامية مختار دير ياسين وسلبيته ، فمن اقواله لمختار القرية حين جاء محذرا اهل القرية من مغبة الصراع مع اليهود بحجة ما يملك اليهود من قوة ، وبسبب اخلاص حلفائهم لهم ، ولأن العرب لا يملكون مـن العتاد الا القليل ، وزادهم الاقوال دون الاعمال :

كسونـا بالـدم المهرا ... ق عري الارض اردانا
فراح القفر من صلف ... يهـز العطـف سكرانا
الم تبصر على الغبرا ... ء للماسـاة الوانـا
الم تسمع نشيج الاه ... ـل اعـوالا وارنانـا
ونبغي ان نكم فمـا ... ولا نـاسى لبلوانـا

لعلنا نستطيع ان نقول : ان شخصيات المسرحية قد ادت دورها في ابراز الافكار التي حملها اياها الشاعر ، ولكنها لم تؤد دورها الفني الذي تتطلبه المسرحية ، ما كان يريد ان يقوله الشاعر وبالحاح هو كثرة ما نردده من اقوال وما نتغنى به من عبارات في تقديس الوطن ، فقد كنا نسمع

بين الفينة والفينة اطفالا ينشدون في الشارع اناشيد قومية ، ونصغي الى الحوار الدائر في المجالس فاذا فيه القوم والوطن والارض والنضال ، وحين أزفت ساعة المعركة لم نشاهد بين هؤلاء الذين يرددون الاقوال الرنانة الا قلة يتمكنون من حمل السلاح .

والملاحظ ان الشاعر كان شديد العطف على شعب دير ياسين ، حتى مختار القرية الذي كان مصرا على مسالمة اليهود ايقظ فيه الضمير حين جد الجد وتكشف له عدوان اليهود الغادر ومكائدهم المبيتة ، وانتهاكهم حرمة الآمنين المسالمين :

أملت خيرا في السلا م لدفع عادية الردى
وحسبت في الحرب الدما ر فخفت عاقبة الوغى
فاذا السلام مع اليهو د هو المهانة والاذى

ولعلنا نلمح الفرق واضحا بين شخصية العربي وشخصية اليهودي حين نصغي الى حوار بين الارهابيين الصهاينة ، فاليهودي واثق بقوة سلاحه ، مؤمن بأن العنف هو السبيل الوحيد في الوصول الى الهدف ، ولا يهمه في طريقه هذا ان يدوس كل القيم الانسانية ويخمد صوت الضمير ، يقول دافيد :

ما دير ياسين سوى الامل المحبب والوطر
هي لقمة معسولة عذبت وطابت كالثمر
احبب بها صيدا رمد دوننا يمنى القدر
سيروا بنا لتحيلها طلا ونجعلها حفر

كما يصور لنا ما عرفوا به من نشر الدعايات الكاذبة واثارة التفرقة والقلاقل بين العرب علهم بذلك يخضعونهم تمهيدا لصيدهم . يقول مختار بيت شول :

غررت اصلاف العد و ببهرج لا يصلح
وخدعتهم حتى انتشوا وهم السكارى الطلح
يتناحرون وباسهم ما بينهم لا يكبح
وبكل ناحية خطيـ ب دونهم يتبجح

مردخان :

اوثقت من عجز العدو اذا استثير عن القتال ؟

وعلى كل حال فالذي نستخلصه من الحوار الدائر بين زعماء صهيون يؤكد لنا اصرارهم على التنكيل بالعرب وصدق العزيمة والثبات والسير وفق خطط مرسومة للوصول الى الهدف . يقول مناحم بيغن وقد سمع هتافا واناشيد :

انشيد ولم ننل من عدونا أرب
كيف نشدو وقدسنا لم تحرر من العرب

المختار بهدوء :

لم يكن ما سمعته بغناء ولا طرب
اصنع للقوم تستمع نامة الحقد والغضب

لقد اراد الشاعر عدنان مردم ان يعبر عن مشاعره القومية ، ويصور موقفه من القضية الفلسطينية فلم تكن مسرحيته تاريخا ولكنها كانت موقفا من التاريخ ، تحليل للواقع ، وتعليل للفشل ، فرؤية الداء ربما مكنت من تصور الدواء ، وبعثت خيوط الامل بالشفاء . وكأني بالشاعر اراد ن يقول : نريد القوة ، نريد التضامن ، نريد العلم ، نريد ان يستفيق الضمير عند العرب جميعا لان فئة واحدة لا تحل مشكلة ، ووقتها ستغني عنا كثرتنا ، ويومها لا نجد انفسنا بحاجة الى الصراخ والشكوى ولا الى الهتاف بحياة الوطن ، وقتها ستتكلم السواعد وتستريح الالسنة . يجب ان نحارب اليهود بسلاحهم ، وسنترك لهم سلاحا واحدا لانه لا يتمشى مع طبيعتنا العربية الا وهو سلاح الوحشية والغدر . وليس صوت الاستاذ عدنان مردم بك الا صوت كل عربي ابي .

هذا حين ننظر الى المسرحية كفكر ، اما من حيث الفن المسرحي فأجدني بحاجة الى وقفة عند بناء المسرحية ، ورسم الشخصيات الذي يكون شيئا اساسيا في هذا البناء.

ونتساءل في حديثنا عن البناء ، هل وضع الشاعر كل عبارة وكل كلمة مكانها بحيث لا يمكن ان تحل محلها اخرى ، وهل شعرنا ونحن في جو المسرحية اننا مع الماضي وفي الحاضر ونتطلع بلهفة الى المستقبل ؟ وحين لا يتملكنا مثل هذا الاحساس الذي نتحدث عنه نضع المسؤولية على عاتق البناء الفني لعجزه عن ان يشعرنا بأهمية الموضوع ويرغبنا في متابعة الاحداث ، وفي اعتقادي ان ما حكاه الشاعر في المقدمة عن موضوع المسرحية اخذ حيزا في اذهاننا اكثر من فصول المسرحية الاربعة .

وماذا عن رسم الشخصيات الذي يمكن ان يعتبر جزءا لا يتجزأ من عملية البناء الفني ؟ لم يخلق الشاعر شخصياته ، فقد كانت واقعية ، ومع ذلك فانها لم ترتد لبوسا فنيا كافيا لتقوم بدور يستثير اعجابنا ويتجلى فيه الصدق الفني ، واذا كانت معرفتنا بأبطال المسرحية تتم عن طريق الحوار ، بما تقول وما يقال عنها وما يقال لها ، اذا كان ذلك كذلك فهل نقبل قول رجاء لزوجها محمد الحاج عايش وهو الذي يحتل دور البطولة في المسرحية :

انـي اطالع في جفو نك رعشة الحمل الذبيح
وأكاد المس مـا تكا تم في الاضالع من جروح

فيجيب :

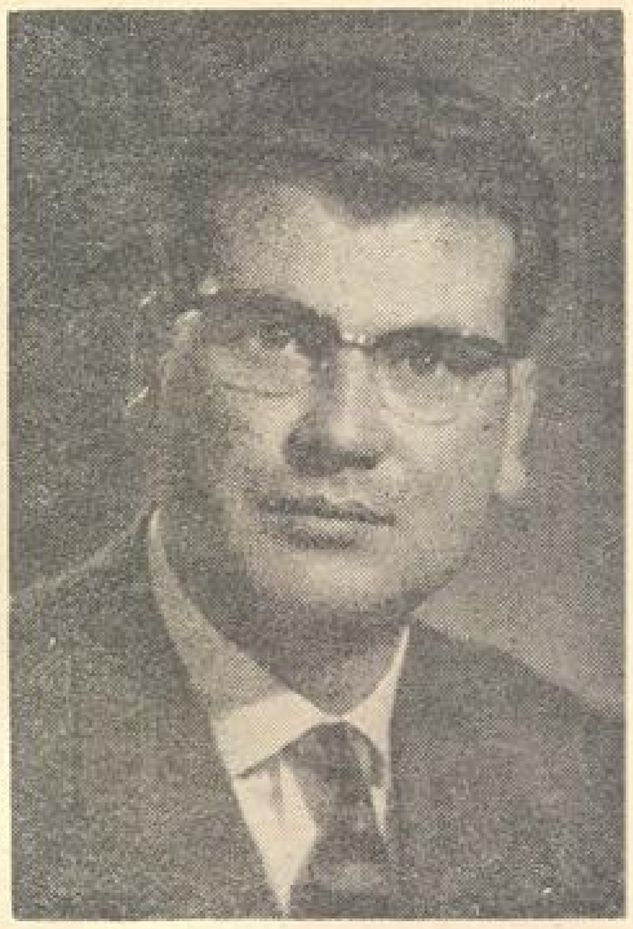
هـي ثورة ملء الاضا لـع كاللظى تتوقد
هـي ثـورة لا تستقر على المدى او تخلد

فهل تتفق رعشة الحمل الذبيح مع الثورة التي تتوقد ، ام هي ضرورة الوزن والقافية ! ومثل ذلك كثير في المسرحية مما يجعل شخصياتها لا تستطيع ان تتخذ في اذهاننا معالم واضحة وبالتالي فقدت اهميتها فضعف تبعا لذلك تأثير المسرحية .

لقد طغى الفكر على المسرح في « دير ياسين » ولعل المشاعر القومية والعمق في تحليل الواقع وسبر جوانبه المختلفة خرجت بالشاعر من دائرة الفن ووجهته وجهة المفكر الذي استقطبت تفكيره قضية بعينها فراح يناقشها ويقلبها على وجوهها ليضع لها العلاج المرضي .

دمشق — **سكينة الشهابي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عيسى فتوح

الالهام وتنوع الطبيعة ...

بقلم عيسى فتوح

* * *

اذا ثبت فعلا ان الطبيعة هي مصدر الهام الشعراء والادباء والفنانين ، وان المنظر الطبيعي الجميل يخصب خيالاتهم ، ويوسع آفاقهم ، ويفتح اذهانهم ، فيأتون بالصور البديعة ، والمعاني الجديدة ، واللوحات الرائعة ، اذا صح ذلك فما هو نصيب الطبيعة الجرداء المحرومة من مقومات الخلق والابداع ؟ وهل صحيح ان الطبيعة التي تكثر فيها الجبال الشامخة ، والانهار المتدفقة ، والسواقي المرنمة ، والكهوف العميقة ، والوديان السحيقة ، والصخور العملاقة ، والطيور المغردة ، والغابات الظليلة تلهم الشاعر او الفنان ما لا تلهمه الطبيعة المحرومة من هذه الاشياء ؟

قد يكون في هذا الافتراض شيء كبير من الصحة ، لاننا لو قمنا بعملية احصائية واسعة النطاق ، تشمل جميع المناطق الطبيعية في العالم لرأينا حقا ان الارض التي وهبها الله جودة المناخ وسحر المنظر ، وجمال التكوين اغنى بالادباء والشعراء والفنانين من غيرها .

رب قائل يقول : ان المناطق الغنية بالاشجار ، المليئة بالمياه والصخور تستقطب الناس بكثافة اشد ، فلا غرو ان ينجم عن هذه الكثافة عدد اكبر من الشعراء والادباء والفنانين ، ولكننا لو تركنا مسألة الكثافة والخلخلة جانبا ، لواجهتنا الحقيقة وهي ان معظم سكان الجبال الشاهقة ، والوديان السحيقة الطافحة بالاسرار والاشباح يميل الى الشعر والفن والادب ، بعكس سكان الصحارى والسهول ... فالجبليون بالرغم من قلة مواردهم يتعلقون بجبالهم ، ويتشبثون بصخورهم الفقيرة الغنية لانها تمدهم بالصور الرائعة ، والخيالات الساحرة ، وان لم تملأ جيوبهم بالمال ، لا يهمهم ان عاشوا محرومين من الثروة ، لان الفنان الاصيل يكره الثروة ويحتقرها ، ويمقت التخمة ، ويهوى البؤس الموحي والفقر الملهم ، ولان التخمة والابداع ضدان لا يجتمعان ، فكم من نعمة افسدت على الشاعر شعره ، وعلى الفنان فنه ، لانه ارتوى .

والسؤال الآن : لماذا كانت المناطق الجبلية اكثر ايحاء من السهول والصحارى ؟ والجواب على ذلك هو ان مشاهد الجبال اكثر تنوعا وتبدلا من مشاهد السهول والصحارى الرتيبة ، اذ لا تكاد تختلف بقعة عن اخرى ، ولا منظر عن آخر ، فالطبيعة فيهما يكرر بعضها بعضا .

ليس ثمة الوان متغايرة ، ولا اشكال متباينة ، بعكس الجبال ، حيث تتغير اللوحة الطبيعية امامنا في كل خطوة ، حتى لكأننا نشاهد فيها شريطا سينمائيا متحركا ، كل مكان يختلف عن الآخر ، وكل موطيء قدم يتميز عن سواه ، فلا تقارب بين المناظر ، ولا تكرار ... السهول واضحة ، والجبال مبهمة غامضة رهيبة ، والشعر وليد الابهام والغموض ... الشمس التي تشع على الصحارى بقوة تميع التفكير ، وتشيع الكسل والفتور ، وتحد من وثبة الفنان ، فلا ينصرف ذهنه الى ابعد مما هو ظاهر للعيان ، اما الجبال الظليلة فتخصب الخيال ، وتوسع الافق الى ابعد مدى .

لو نظرنا الى لوحتين : الاولى باهتة الظلال والالوان ، تظهر وتوضح كل شيء ، والثانية غارقة في الظلال الكثيفة ، مسرفة في التعتيم ، لأوحت لنا الثانية ما لم توحه الاولى ، فالسهول تشبه اللوحة المسطحة القليلة الظلال ، والجبال تشبه اللوحة الكثيفة الظلال .

السهول والصحارى لوحة فوتوغرافية تشرح كل شيء ، والجبال لوحة زيتية صنعها فنان ماهر في مزج الالوان وتوزيع الخطوط والاضواء ، نقف امام الاولى فلا نطيل النظر ، لانها خالية مما يستوقف ، او يديم النظر مدة اطول ... كل جزئية من جزئياتها واضحة بينة ، تكفي النظرة العجلى ، او اللمحة الخاطفة لفهمها ، ونقف امام الثانية فتتسابق الافكار والتداعيات الى اذهاننا ، لذلك نضطر الى ان نطيل الوقوف امامها ، نبدي ونعيد التأمل ، لان ثمة اشياء جديدة تتكشف في كل نظرة .

ان خلو شبه الجزيرة من الجبال الخضراء الشاهقة ، والكهوف السحيقة القرار ، ووضوح الارض فيها قاد الى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الظمآن

وأعرف أنــك بالحب تزخــر ... وموجك عطــر وشهد وكوثــر
ويمتد خلــف المــدى شاطئاك ... وفي راحتيــك الاغاريد تنثــر
وحولك تضوى ظــلال الحياة ... وكــل الفصول انبعاث معطر
وفي قاعك الخصب كل الكنوز ... وأنت من الكنز أسخى وأكبر
ويسكب فيــك الضحى ضوءه ... وفي ضفتيك الاصائل تسهــر
ولكن ... برغم الذي تحتويه ... وليــل الشواطىء حولك مقمر
أكــل الزوارق فيــك تغنــي ... وأنــت بكــل الموانىء تكفــر
أترحــل لكــن بــــلا غايــة ... وأنــت لكــل النهايات معبــر
أتظمــأ والافق منــك ارتوى ... ووجــه الليالي بفيضك أخضر
أجبني ... فان الرياح بقلبي ... تثــير العواصف والافق أغبر
وأبصر خلــف جفونــك سرا ... بكــل التفاسير والظن يسخر

البيضاء ــ ليبيا — صابر عبد الدايم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بساطة الخيال عند الشاعر الجاهلي ، الا انه عوض عن الخيال الواسع بالاكثار من الصور الحسية القريبة . لم يتعد خياله البسيط ارض البقعة التي يقطنها ، فوصف كل ما كان يحيط به : الناقة والكلب والذئب والخيمة والنؤي والظبي وحمار الوحش ... واذا لجأ الى التشبيه آثر ان يكون حسيا مستمدا من البيئة ، لان خياله المحدود لــم يسعفه للاتيان بالتشبيهات المجردة .

افنستطيع ان نفسر على ضوء هذه الفرضية اتجاه اللبنانيين واكثر السوريين الى الشعر بنوع خاص دون سواه مــن الفنون الادبية ، واتجاه المصريين الى النقد والتاريخ الادبي والقصص لان هذه الاعمال لا تعتمد على الخيال الواسع ، وانما تعتمد على الفكر الواعي ، والنظر الثاقب والاحاطة بأصول النقد وقواعده ومدارسه .

اننا لا يمكن ان نجزم بهذه الامور ، او نقطع بها قطعا تاما ، وانما نفترض الفرضيات ، ونلقي بوجهات النظر الخاصة التي قد تجافي الحقيقة ، وتفتقر الى الدقة والتقصي والاغناء بالامثلة والشواهد ...

والسؤال الذي قد يطرح نفسه : لماذا لم يعرف العرب في جاهليتهم غير الشعر ، رغم خلو جزيرتهم من الجبال التي تناطح الغيوم ، والاشجار الوارفة الظليلة ؟ اما كان من الطبيعي ان يتجهوا الى النثر كما تقضي هذه الفرضية ؟ والجواب ان الشعر عمل فطري رافق الانسان في زمن مبكر ، فهو قديم قدم الغناء ، ناهيك عن انه لا يحتاج الى معرفة كبيرة ، وفهم عميق بالحياة والمجتمع ، وانه عمل عقلي صرف ، وليس عملا عاطفيا كالشعر . النثر يتطلب قدرا من التفكير والمنطق ، ويحتاج الى قسط من الرقي الفكري ، والتقدم في مضمار الحضارة ، والعرب في جاهليتهم كانوا يفتقرون جدا الى هذه المقومات ، لذلك سبق الشعر النثر عندهم ، وتقدم عليه تقدما ملحوظا ، ولم يظهر النثر الجيد الا بعد ان قطعوا شوطا واسعا في مسيرة الحضارة ، فكان لهم كتاب بارزون كعبد الحميد الكاتب ، وابن المقفع ، والجاحظ ، وابي حيان التوحيدي ، وابن العميد ...

والخلاصة هي ان مسألة الالهام وتنوع الطبيعة تبقى نسبية ، لان الطبيعة الرائعة لا يمكن ان تخلق من غير الموهوب اديبا فذا ، وتبقى عاجزة عن ان تلهمه شيئا اذا لم يكن كل ما فيه ينبض بالعبقرية ، ويوحي بالابداع ... فالطبيعة اذا عامل مساعد ، وليست عامــلا اساسيا او حتميا .

دمشق ــ ٤٨ قصور ــ كزبري — عيسى فتوح



محمود الحسنية

من مسار التطور

بقلم محمود الحسنية

* * *

منذ ان دون الانسان الاخبار ، والآثار ، والمواعظ ، والنظم ، والقوانين ، وسائر العلوم المعروفة ، على الطين ، والاجر ، وحفر على الصخور ، وكتب على الرقاق ، واخرج الكتاب طباعة حديثة ، بأبوابه ، وفصوله ، وفهارس موضوعاته ، واعلامه ، وهو يسعى جاهدا ، في تقييد مآثره ، ومكاسبه ، يوليها عنايته ، خوفا من الاندثار ، والعفاء ، فتستمر فعاليتها الحضارية ، وتتناقلها الاجيال سليمة ، وينتفع بها مجتمعه كاملة ، ويورثها بعده ، لمن تقع له ، من قرن الى قرن ، ومن امة الى امة ، بكل امانة وتؤدة .

وهذه المكاسب العلمية ، والحضارية ، المتناقلة ، هي التي ترسم لكل جيل ، الطريق القويم الى سائر انواع المعرفة . واذا تأملنا موضوعات الاعمال الخالدة ، نجد ان الانسان قد اخذها عن مصادر سابقة ، ثم بنى عليها ، وزاد ، وتفنن ، وصاغها في بوتقة علمية ، جديدة ، مبتكرة ، ظهر فيها علمه ، وفنه ، وفكره ، ومعتقده ، ولا غرو ففي جميع الفنون لا يصور الفنان الا نفسه . كيف لا ! .. اما قال الامام الغزالي ٤٥٠ — ٥٠٥ هـ. بأن شرف العلم على قدر معلومه ؟.. واكثر المنجزات الحديثة . ترتكز على اسس سابقة ، وليست تصاميم المراكب الفضائية التي حملت الانسان الى سطح القمر ، ذهابا وايابا ، والاكتشافات العلمية المعقدة ، من نووية والكترونية ، مع الافكار السامية التي ينعم بها الفنان ، والعالم ، والاديب والفيلسوف ، وليدة هذه السبعينات في اواخر القرن العشرين ، بل هي تماما ، كهذا المخلوق الراقي ، الذي تمتد جذوره الى الانسان الاول . اذ كل جيل يتناول من الجيل الذي سبقه ، ويكون مسؤولا ، وقيما على ما تناول وبنى ، وما تسرب اليه من افكار بعلمه ، وبغير علمه ، مستهدفا خدمة الاجيال المتعاقبة .

واطار الكون مغلق على اسرار ، وحقائق ، ورموز ، تتفاعل ، وتتولد بجهد الاوفياء من المفكرين ، الموهوبين ، الذين يفتشون دائما عن آفاق جديدة ، وحقول للاختبار ، تنتج بما يعين الانسان على متاعبه ، ويبدد قلقه ، ويرده الى طمأنينة نفسه ، ويدفع به الى حياة افضل ، لان الحياة هي الحافز المولد للعالم .

وكل جديد نضيفه عندما نؤلف كتابا ، او نسجل عملا غير عادي ، لا يتعلق بالماضي وحده ، فهو كالشجرة المثمرة ، تمتد جذورها وتنمو ، بفعل ما قدم لها ، من حرث ، وري ، وسماد ، تتعالى اغصانها في الهواء ، ثم تكبر ، وتخصب ، وتزهر ، وتثمر ، وتغدق ، ويتضاعف الثمر ، كلما امتدت الجذور ، وتعالت الاغصان ، ويستمر العطاء ، مع استمرار المعاملة الفعالة .

واي فكرة نعدها بعد درس ، وبحث ، ونحاول نقلها الى اكبر عدد ممكن من ابناء الشعب ، في حاضره ومستقبله ، تصبح ظاهرة اجتماعية ، كما نجد ان الحافز الاساسي للتأليف ، والتصنيف ، ونشر الكتب ، يستهدف تقييم التطور الثقافي ، عبر مراحله الثلاث .

وبقوة الارادة الواعية تبنى المجهودات فوق المجهودات ، وتنبع المواهب من المواهب ، ويؤدي الابداع الى ابداع ، وينزع الفكر الى ما هو اكمل ، وافضل ، وارقى ، ويكتنز باستمرار ، في طريق تلتزم بها النخبة المثقفة في كل عصر ، على سطح هذا الكوكب ، منذ فجر التاريخ .

قد يعتقد العالم والاديب ، والفيلسوف ، اعتقادا جازما ، انه ينطق بلسانه ، اقوالا له دون سواه ، ودون ان يدري ، انه يردد علم ، ولغة ، وفلسفة ، وشعر ، ومواعظ ، الذين سبقوه ، وانه يدور ، في فلك عباقرة الاجيال ، وليس اوضح ، من دليل على انعدام الابتكار الصرف ، لدى اولئك المفكرين الامناء ما يصرحون به ، انهم ينزعون الى بحث الموضوعات الغربية ، لجلاء الرموز ، واستنباط المفيد . والروائع الفنية عندهم ، كذرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عالية لا يستطيع جديدها ان يسحق قديمها ، ويغطيه ، وقد وصفها بعضهم بأنها منائر ، كل فن ينير السبيل الى الآخر .

وهكذا يتضح انه منذ زمن اكتشاف الحروف الهجائية واستنباطها ، الى عالم الذرة ، والاقمار الصناعية ، هناك ادمغة جبارة ، لها دراسات ، وابحاث في صميم الموضوعات ، سبقت ذلك الاكتشاف والاستنباط .

وذكر المؤرخون انه في حوالي عام ٥٥٠ قبل الميلاد ، وضع الجغرافي الاغريقي ، انا كسيماندر Anaximender خريطة عالم حوض البحر المتوسط ، ودراسات عن قياسات عمق البحر ، وتضاريس ارضه ، وقد سبقه الفينيقيون الى هذا العمل ، الذي طمس ، واندثر اثره مع دمار قرطاجة .

وانه قبل ان يستنبط العالم الفرنسي الضرير ، لويس بريل ١٨٠٩ — ١٨٥٢ م. الحروف النافرة ، التي عرفت باسمه ، ولا تزال بخدمة الطالب الضرير ، قال ابو العلاء المعري ٣٦٣ — ٤٤٩ هـ. اي قبل « بريل » بما يقرب من تسعة قرون ، في السين المكسورة مع الميم :

كان منجم الاقوام اعمى لديه الصحف يقراها بلمس

ومن يدرس تاريخ الفلسفة ، وعلم المنطق ، لا ينسى المعلم الاول ارسطوطاليس ، ٣٨٤ — ٣٢٢ قبل الميلاد ، ومدرسته الرواقية ، التي تأسست حوالي (سنة ٣٤٢ ق.م)، ولا ينسى ، من اخذ عنهم ذلك المعلم . اذ كل ما ينجزه العلم من اشياء معروفة ، ثابتة ، او زائلة ، تستند عند الانجاز الى اسس سابقة ، كما ان علوم الكيمياء ، مدينة لابي موسى جابر بن حيان ١٢٠ — ٢٠٠ هـ. الذي كان له منزلة رفيعة ، في بلاط الرشيد ، حيث الف ما يقارب من ٢٣٢ كتابا ، وعلماء الغرب لا ينكرون عليه تلك الشهرة ، حيث قال مارسلين برتلو ١٨٢٧ — ١٩٠٧ ، في مؤلفه « تاريخ الكيمياء في القرون الوسطى » : ينزل اسم جابر بن حيان ، في تاريخ الكيمياء ، منزلة ارسطوطاليس في علم المنطق ، فهو اول من وضع في تاريخ الكيمياء ، قواعد تعرف باسمه .

اما ما يذكره علماء الغرب ، بأن العلوم المتقدمة ، هي وليدة نهضتهم في عصر الانبعاث قول فيه من التجاوز ، لان العرب هم الذين عرفوا اكثر العلوم ودرسوها قبل ان تستفيق اوروبا ، وثقافتهم شاركت ، مشاركة عملاقة ، في تحقيق الازدهار الحضاري ، وحركت عجلة ذلك العصر .

واذا استنطقنا الرسم ، وتلك اللوحات الفنية ، التي تزين قاعات المتاحف العالمية ، وما تمثله من تطور الفكر الفني ، عبر عصور حضارية ، قديمة ، وحديثة ، فنرى ان تلك المعالم ، قد تخطت ، ما انتجه الرسام الاول ، دقة ، وفنا ، وتعبيرا ، حيث ابتدأ الرسم في طوره البدائي ، يصور المقاصد ، والغايات ، قبل استنباط الحروف الهجائية ، وبعدها اتجه نحو اغراض دينية ، وسحرية ، ثم اخذ مساره شيئا فشيئا ، وفترة بعد فترة ، الى عوامل حياتية ، من شعب الى شعب ، ومن حضارة الى حضارة ، حتى اتسع ميدان فنه ، واصبح لكل راغب وطالب ، تنتقل دقائقه ، ومعالمه ، من الماضي ، الى الحاضر ، عبر حضارات ، ما قبل المصرية ، والفينيقية ، والاغريقية ، والرومانية ، والعربية ، والاوروبية . ومساره في هذا النشؤ والتطور ، يبقى متباينا ، كالمولود الذي يكتسب ملامح الاب ، والعشيرة ، والبيئة ، والعرق ، واللون ، وتدلنا صورته ، عندما يشب ويكبر ، الى معرفة موطنه ، فنقول : هذا هندي ، وهذا ياباني ، وهذا عربي ...

والابداع الذي يكتشفه الفنان في حقل الرسم ، وغيره ، مدين به ، الى تلك المناهل التي وردها ، والآفاق التي جابها ، والى الاشخاص الذين منحوه القدرة ، على استمرارية العمل ، ومواصلة البحث والتنقيب ، مع قوة الارادة الخيرة ، التي قال عنها المستشرق ، ادلر اوف باث Adeler of Bath ١١٣٥ م — ١٠٧٠ بانها اعظم الحوافز الانسانية .

ومع ان الانجازات العلمية تولد انسانية ، وان العمل ، لا يتصور الا بالعلم ، كما عبر عنه اكثر فلاسفة العرب ، والعلم والعمل ، وسيلتان لسعادة الانسان ، فمن المؤسف حقا ، ان نرى ، مع هذا التقدم العلمي ، في شتى حقول المعرفة ، طغيان عنصر الشر ، على تفكير اكثر العلماء ، والعباقرة ، حيث ركزوا الاهتمام ، وشحذوا القوى العقلية ، والفكرية ، وساروا وراء سياسة « مكيافلين » من بائعي الضمير ، وصنعوا لهم من نبوغهم الشرير ، اسلحة ذرية ، ووسائل مدمرة ، تهدد بفناء كل حياة ، على سطح الكوكب الارضي . هؤلاء جميعا زرعوا الرعب ، والاضطرابات ، في المجتمعات الضعيفة الآمنة ، واشاعوا الصوت الجهير ، لكل قوة غاشمة ، وجعلوا العالم يسير في ركاب مدنية زائفة ، مضللة ، تغذي الشر ، وتزرع الحقد ، وتعمل على مسخ القيم ، وتقويض الايمان .

ومع هذا الجو القاتم ، المضطرب ، المشحون بالقلق النفسي ، ومع ما يرافقه من صراع دولي على النفوذ ، وسباق على تخزين وتكديس كل انواع الاسلحة ، المتطورة ، المدمرة ، بات الانسان يضرع الى الله ، بأن يحمي جنسه من الفناء ، وحضارته من العفاء ، ويجنبه نتاج عباقرة الشر .

محمود الحسنية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسرار العلاقة

بين الشريف الرضي وزكي مبارك

بقلم عدنان البلداوي

* * *

شاءت المذاهب الادبية وتشاء في كل عصر من العصور ان تخلق جوا من العلاقات الودية بين عشاق اللغة والادب وعلى مختلف المستويات ، ولا يخفى ما حدث ويحدث في المجالس الادبية من علاقات شخصية تتفاوت قوتها على حسب ما تقتضيه حالة الشخصية ، ونوعية النتاج الادبي ، ولعل الذي يؤكد فعالية المذاهب الادبية ، وقوة اثرها واستمرارية امداداتها للصداقة بالحياة والادامة ، هو غرض مشيئتها في خلق هذه العلاقات متحدية بذلك كل الموانع التي قد تعترض ارادة تلك المشيئة .

ولكي نتبين حقيقة تلك الارادة لا بد لنا من الوقوف قليلا عند بعض العلاقات الادبية ولتكن هذه العلاقات على سبيل المثال من عصر القرن الرابع الهجري ، لعلاقة هذا العصر بشخصية البحث الذي نحن بصدده ، ولان ما اخترناه من هذه العلاقات خير مثال يتوضح من خلاله اثر المذاهب الادبية في غرس المحبة والود والتقدير .

والعلاقات التي نقصدها هنا كانت بين اديبين تباعدا في السن اولا واختلفا في الدين ثانيا . وهما ابو اسحق الصابىء الذي (عرض عليه عز الدولة ان يسلم فامتنع) والشريف الرضي الذي كان نقيبا للطالبيين واماما للاشراف في عصره . الاول كان في سن الثمانين ، والثاني لم يتجاوز الثلاثين ، وكلاهما كان من فحول البلغاء والمتكلمين ومن ابرز الشخصيات الادبية في ذلك العصر ، وكانا ممن استعظم الخلفاء امرهما ومكانتهما السامية في المجتمع ، ورغم اختلافهما في بعض القضايا ولا سيما في الدين ، فقد شاءت المذاهب الادبية التي اتفقا عليها ان تجعلهما يلتقيان باسم الادب والاخلاق ، وشاءت ايضا ان تجعل علاقتهما مبنية على اساس من الثقة والاعجاب والتقدير والاحترام .

حدثت هذه العلاقة والاديب يرى الاديب ويتحدث اليه ، ومرت الايام وشاءت المنية ان تختار الصابىء ففجع الرضي بموته وكان حزنه عليه لا يوصف ، ورثاه بداليته المشهورة واولها :

اعلمت من حملوا على الاعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادي

ومات الرضي فكان حدثا مروعا في عالم العلم والمعرفة ، وبعد مرور ألف عام على وفاته شاءت المذاهب الادبية من جديد ان تنشىء علاقات فكرية وروحية اصيلة بينه وبين الدكتور زكي مبارك ، بعد ان تهيأت الفرصة ليعثر الثاني على كنز الاول ، ذلك الكنز الذي زين به الصابيء متحفه الادبي حتى ظل بعده بألف عام ينتظر يدا تستحق الغوص فيه فكانت يد مبارك احق في جواهر ذلك الكنز . . . وبدات الصداقة وكان حدوثها صدفة خلقها شعر الرضي ، وقد اعتز زكي مبارك بهذا الحدث وقدسه واطلق عليه مصطلح (الفرصة الذهبية) . . . ولعل سؤالا من اسئلة كثيرة يفرض نفسه في هذا الموضوع وهو : لماذا لم يعقد زكي مبارك صداقة ادبية مع ادباء آخرين عاصروا الرضي ، لا سيما وان الكثيرين منهم يمتلكون مواهب وقابليات خاصة ويتمتعون بمنزلة اجتماعية محترمة ؟

يبدو ان زكي مبارك قد طرق ابواب الادب فناداه الادباء على مختلف مستوياتهم وتحدثوا معه على صفحات مؤلفاتهم ، ولعله توغل في اعماق حياتهم ليستكشف الحقيقة ، ولكنه بعد ان استعرض ادبهم ، لم يجد ترجمة لحياته وشخصيته الا في شخصية الرضي ، كما انه لم يجد اجوبة شافية لاسئلته الملحة الا في حقيبة الرضي .

ومما زاد في ايمانه بتلك الصداقة هو حب الكثيرين للرضي في زمانه وبعد زمانه ، فقد وجد العباقرة يحبونه ، لانه رفع عنهم جهودا شتى بعبقريته . . . ووجد المثقفين كذلك لانه موسوعة علمية وادبية اغنت التراث وشغلت الناس . . . وكذلك البلغاء لانه هيأ لهم نهجا سليما للبلاغة في ارقى درجاتها . . .

والعشاق لانهم وجدوه عاشقا عفيفا هيأ لهم قصائد الوجد والصبابة . . . وكذلك الاوفياء لانهم وجدوه رمز الوفاء والاخلاص والمحبة . . . ووجد البائسين كذلك يحبونه لانهم وجدوا في اعوام بؤسه ما يقوي هممهم ويبعث في نفوسهم الامل . . . ووجد الطامحين كذلك لانه خلف لهم قصائد الفتوة والطموح ، ورسم لهم طريق الوصول الى القمم الشماء . . .

وجد زكي مبارك كثيرا من المعجبين بالرضي اينما تلفتت عيناه . . . وبدا حبه ينمو بسرعة فائقة ، كلما عثر على حقيقة من حقائق الرضي حتى وصل الى حب العظماء للعظماء .

فماذا وراء ذلك الحب ؟ . . . لعل دوافع كثيرة تكمن وراءه وقد يكون منها ما يأتي :

١ ــ حبه الشديد للطموح ونيل المعالي وتلك كانت غاية الرضي وهدفه في الحياة . . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ــ اعجابه بـــذوي المواهب المتنوعـــة والملكات العجيبة ، والرضي كان من ابرز هؤلاء واشهرهم ...

٣ ــ حبه للادب الرفيع المعبر عن الذات بصدق واخلاص ، والبعيد عن الزيف والمجاملة وهذا ما تميز به ادب الشريف الرضي ...

٤ ــ تقديره العظيم للشخصية المثالية المتكاملة ، وتلك كانت شخصية الرضي ...

٥ ــ لعله وجد في بعض جوانب حياة الرضي تعليلا شافيا لما عاناه في حياته التي كانت قريبة الشبه في تلك الجوانب بحياة الرضي ...

٦ ــ بغضه للتملق ، والخضوع ، والمجاملة المزيفة ، وتلك كانت من طباع الرضي .

٧ ــ ايمانه الشديد بأن العلم هو المترجم الحقيقي للشخصية وليس المظاهر بمختلف انواعها وهكذا كان ايمان الشريف الرضي ...

٨ ــ لم يسخر قلمه الا لخدمة الحقيقة والدفاع عنها وكان قلم الرضي في خدمة ذلك ...

وبعد ان تأصل هذا الحب في قلب زكي مبارك راح يفتش عمن توغل في دراسة شخصية الرضي الفذة ، وعمن غاص في اعماق هذا البحر الزاخر الذي سمع امواجه من بعيد تعزف للعلماء والادباء والشعراء ، فلم يجد من الادباء من خاض تلك التجربة ... وحين وجد نفسه تتوق الى كشف الحقائق ، والتعرف عليها رأى ان الغوص في الاعماق لا بد منه للوصول الى تلك الحقائق وبعد ان امسك بروائع الرضي ، اطلق العنان لقلمه كي يكتب ما يشاء عن الصديق العبقري ... كتب وكان صريحا وواقعيا فيما كتب ، وان كان انفعل انفعالا شديدا في بعض المواضع من كتاباته ... وهو اذا كان قد بالغ في بعض صفات صديقه ، فليس الرضي ممن لا يستحقون المدح والثناء ...

ولعل زكي مبارك قد استخدم اقوى المعاني واشدها تعبيرا عن شعوره تجاه الرضي ... ولم يكن ذلك عبثا منه او لهوا فقد كتب بعد ان خاض مع الرضي تجربة سنين طوال ... عرف مـــن خلالها نفسيته واحواله الخاصة والعامة ... وتلك كانت طريقته في دراسة الشخصية كما هو في قوله : « تلك خطتي في التأليف فأنا اهتم بارتياد المجاهل من حيوات الشعراء ، واجري على التعرف الى ما عندهم من ميول واذواق واهواء وأنا بكل صراحة اعتقد ان لا بد للناقد من ان ينسى شخصيته ويفنى في شخصية الشاعر الذي يدرسه بحيث يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفقه بعقله ليسبر اغوار نفسه ويرى مبلغ شعوره بما وصفه من الاشياء ... » .

وبعد ان سبر اغوار نفس الرضي وعرف حقيقتـــه ووجد شخصيته تستحق الاجلال والاكبار ، لم يجد انفعالاته او مبالغاته لصفات صديقه الا في مكانها المناسب ...

وبعد ان قوي ايمانه بتلك الصداقة ، وملك الاعجاب قلبه كان لا بد لكلمات الاعجاب والتقدير ان تزدحم في صدره وتتهيأ للخروج ، كي تملأ بنغماتها اسماع المعجبين بالرضي وقلوبهم ... ولم تكن الكلمات التي ترنم بها زكي مبارك تجاه صديقه وليدة ساعتها ، فقد بقيت في معين الحب الصادق والاعجاب العظيم حتى تهيأ لها ان تخرج بعد ان اذن لها خالقها ، لتعلن عن اصالة الحب والوفاء والاعجاب والتقدير والتقديس لتلك الصداقة الموقرة ...

هـــي كلمات قيلت بعـــد ان تحرى صاحبها جميع الحقائق عن صديقه العبقري ، فوجد ان قد آن الاوان ليطلق حكمه الاخير بقوله :

« سايرت الشريف مسايرة الصديق للصديق . فان آمن آمنت ، وان جد الشريف جددت ، وان لعب لعبت ، ان عقل الشريف عقلت ، وان جن جننت ، ان قال الشريف ان غاية الرجل العظيم هي الحرب قلت صدقت ، وان قال : ان الحياة هي الحب قلت : والحب حياة ! ... » .

بغداد **عدنان البلداوي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سعر بيع مجلة الاديب :

الكويت	٣٠٠ فلس
الاردن	٢٥٠ فلس
مصر	٢٥٠ مليم
عدن	٤٥٠ فلس
قطر	٤ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
السعودية	٢،٥٠ ريال
ليبيا	٣٠٠ درهم
تونس	٣٠٠ مليم
المغرب	٣ دراهم
السودان	٣٠٠ مليم
العراق	٢٥٠ فلس
الامارات العربية	٤ دراهم

الانذار الاخير

الست حبيبتي فلم الصدود ... دلال أم ملال ام جحود
اذا أنكرت حبك لي فعندي ... لقاضي الحب في الدعوى شهود
لدي أجل لدي وأنت أدرى ... بما عندي وما حمل البريد

بغداد ص.ب ٤٦٧ ... باقر سماكة

نماذج من نثر قابوس :

*

رسالة في التكنية

التكني عند جميع الناس جلالة ورفع ، واذا نقرت عن حقيقته مهانة ووضع .

فأول ما فيه ، ان الانتساب الى الابناء منقصة واي منقصة للآباء . وان كان الابن قد جاوز الحرة بجلالة الخطر ، واستعلى بسمو القدر على الشمس والقمر ، لانه تقديم الاخير على الاول ، وتفضيل المفعول على الفاعل ، وهذا حكم منكوس وترتيب معكوس ، فنسب الآباء الى الابناء ، كنسب النار الى الرماد .

والثاني ، ان لم يكن الرجل ولد بذلك الاسم ، او كان الرجل عقيما أليس يكون في دعواه كاذبا زنيما ، والكذب من اقبح الخلائق باجماع جميع الخلائق .

والثالث ، ان التكنية رسم حدث في ايام ملوك العجم ، ورقم ، فتسنح من ذلك الرقم اذ كانت عندهم رهائن العرب ، وآباؤهم يغشون اولادهم ، لهذا السبب ، فكان يقال : قد جاء فلان ابو فلان وابو فلان ، اي ان هذا والد فلان وذاك والد فلان ، ليعرف ولد كل رجل بأبيه ، فلا يعترض من الاشتباه فيه ، فلما دارت الايام على ذلك صارت هذه النسبة رتبة لاولئك .

رسالة الى نايب له في بعض النواحي

امرتك اعزك الله بالصواب فخالفته ، ونهيتك عن الفساد فجالبته ، كأني قد صرت في قبضتك اسير ، او انت على امري امير ، فان كنت ما علمت فاني معلمك انه لا يوجد في بيضة واحدة فرخان ، ودلوان في محصنة خاصة لا يكونان ، واميران في بلدة لا يجتمعان ان كنت يا هذا من قبلي فائمر لي ، وان كنت من قبلك فأمر بي .

فصل تعزية

حشو هذا الدهر — اطال الله بقاء مولاي — احزان وهموم وصفوة من غير كدر معدوم — فما أولاه — ايده الله ، بان يتأمل احواله ، ويستشف ضروبه واحكامه ، فان وجد احدا سلم من وجد او عرى من فقد ، لقي خلاف المعهود ، وحق له التأسي على المفقود ، وان علم ان الخلف فيه شرع ، وان الباقي للماضي بقع ، قدم عن السلوة والصبر ما لا بد من المصير اليه آخر الامر ، ليحصل له الثواب والاجر ... والسلام .

نماذج من شعر قابوس

نكب قابوس وازيل عن ملكه فقال :

لئن زال املاكي وفات ذخائري ... واصبح جمعي في ضمان التفرق
فقد بقيت لي همة ما وراءها ... منال لراج او بلوغ لمرتق
ولي نفس حر تانف الضيم مركبا ... وتكره ورد المنهل المتدفق
فان تلفت نفسي فلله درها ... وان بلغت ما ترتجيه فاخلق
ومن لم يردني والمسالك جمة ... فأي طريق شاء فليتطرق

وقال :

قل للذي بصروف الدهر عيرنا ... هل عاند الدهر الا من له خطر
اما ترى البحر تعلو فوقه جيف ... ويستقر باقصى قعره الدرر
فان تكن نشبت ايدي الزمان بنا ... ونالنا من تمادي بؤسه الضرر
ففي السماء نجوم ما لها عدد ... وليس يكسف الا الشمس والقمر
علي دفع الاعادي من اماكنها ... وما علي اذا لم يسعف القدر

ومن غزله

لا عضو لي الا وفيه صبابة ... فاحس منها في الفؤاد دبيبا
خطرات ذكرك تستثير مودتي ... فكان اعضائي خلقن قلوبا

رفيق عطوي

اليـــك ..

اكتب كلماتي ، وقد امتزجت في خيالي بكلماتك ، كما في الحياة يتباين الناس في اخلاقهـــم ، وصفاتهم ، وطباعهم .. كذلك تتباين الكلمات الخارجة مـــن افواههم .. هنـــاك الكلمة الرقيقة ، وهنـــاك الكلمـــة العنيفة .. الكلمة الطيبة ، والكلمة السيئة .. الى آخر ما في قاموس الافواه من كلمات .. ولقد احسست ان كلامنا له طعم خاص .. تمتزج فيه الحلاوة ، والبراءة ، والصدق ، والنبل ، والاخلاص .. لم نأت بجديد من الكلمات .. وانما الجديد والجميل اننـــا اسبغنا عليها مـــن روحنا ، وانفاسنـــا ، واخلاصنا .. فكـــان لكلامنا طعمه الخاص ، ورائحتـــه الزكية ، ولونه الوردي ..

اليـــك ..

اكتـــب كلماتي ، واستعير مـــن كلماتك .. : « اخي المحترم ، اخي العزيـــز ، صديقـــي العزيـــز ، عزيزي .. » .. هكـــذا تدرجت بدايات رسائلك تدرجا املاه تطور دافيء في المشاعر .. مشاعر صادقة تقترب بنـــا رويدا رويدا من الكلمة العزيزة .. اتعرفينها !!

اليـــك ..

اكتب كلماتي ، وقـــد تداخلت في خيالاتي الالـــوان ، فالالوان هـــي الاخرى تتباين كالناس ، كالكلمات ، فهناك الاحمر، والازرق، والاخضر.. الى آخر ما في الوجود من الوان ، وكان اول لقاء عفو الخاطر بيننا قولك في رسالتك الثانية .. : « لماذا كتبت باللون الاحمر ، اني لا احبه .. » ثم قولك في رسالتك السادسة عشرة عن اللون الاحمر .. : « انه يوحي بكل ما هو خبيث .. بالمعارك مثلا والحروب واسالة الدماء .. كمـــا يذكرني ان النـــار حمراء وجهنـــم كذلك .. » .. بلاغة مـــا بعدها بلاغة ، وطلاقة ما بعدها طلاقة .. وهذا ينفي ما قلته عن لغتك في اكثر من رسالة .. « انا اشتغل في مدرسة فرنسية .. لهذا فاني فقدت حتى النطق بالعربية .. فاذا كاتبتك يمكن لي ان اترقى ولو القليل في اللغة والكلمات والتعبير بالعربية لغة اهلي واجدادي .. » ولعل انطلاقك في رسائلك الاخيرة برهان اكيد علـــى عودتك الى لغة اهلك واجدادك .. ورغم اننا لا نحب اللون الاحمر فاننا نتفق على حبه في الزهور ، وقد شرح صدري قولك في ذات الرسالة .. : « انني في هذا الصباح قطفت مـــن حديقتنا وردة حمراء واكتب اليك الآن

رسالة حب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم جمعه محمد جمعه

وهي امامي ، انا احب الورد الاحمر لانـــه جميل ، ولكـــن دوامه قصير للاسف .. » .

اليـــك ..

اكتب كلماتي ، وقد امتزج ماضينا كل الامتزاج رغم اني في الشرق من محيط دائرة امتنا وانت في الغرب على نفس المحيط .. اننا نذكر الاستعمار دائما ولكن بالسوء لما غرسه فينا من مســـاوىء كقولـــك في رسالتـــك السابعة .. : « اتخذ الناس عادة ان يسهروا خارج ديارهم كما كان يفعل الاجانب ايـــام الاستعمار .. فالكل يلبس ما عنده من ملابس وحلى فاخرة ويخرجون الى الشارع الرئيسي حتى تدق ١٢ ليلا ، وهنا يتبادلون التهاني بالعام الجديد .. » ..

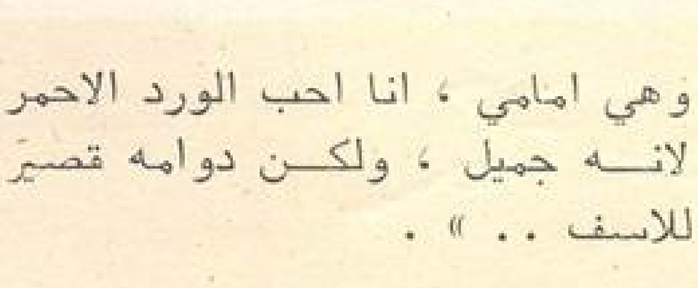
شاهدت عيني كلمة عزيزة تعلن عـــن نفسها بين السطور ولم تجد الجراة حتى الآن لتخرج الى النور .. واراك اوقفتها في حرج وانت تقولين في ذات الرسالة .. : « فقل لي ما يليق ، وما لا يليق ، فأنا لا اهرب من الواقع وانت ادرى بي من (لا اجد الكلمة ..) أرايت !! انها موجودة في اعماقك متى تفصحين عنها ؟

اليـــك ..

اكتب كلماتي ، وقد اخذ الشروق يتغلغل في الظلمة ، والظلمة تنقشع وتتلاشى وكل منا يفكر في الآخر في نفس الوقت ، وربما في ذات اللحظة ويشهد على ذلك قولك في رسالتك العاشرة .. : « والساعة حوالي الواحدة والربع صباحا ، اكتب اليك ثانية لانه ليس عندي ما افعله » .. كذلك جاء قولك على نفس الوتيرة في الرسالة السابعة .. : « اكتب اليك والساعة تشير الـــى الحادية عشرة والنصف ليلا من اليوم الاخير لهذه السنة المباركة فغدا سنة جديدة لا نعرف مـــا يخبىء لنـــا القـــدر في طياتها .. » .. كلانا يحيـــا الليل ينتظر بشوق فجرا جديدا .. كلانا يسهر مفكرا فيما رسمه القدر .. وامتدت خيوط الحرير من شرق ومن غرب لتصنع لنـــا ثوبا جميلا رقيقا يضمنا معا ..

اليـــك ..

اكتـــب كلماتي ، وارى الكلمـــة العزيزة وقد خرجت من شفتيك تقف على لسان قلمك في رسالتك التاسعة عشرة .. : « اقول لك حاجة وهي انني بدأت افكر فيك اكثر من اللازم ولا ادري لماذا ؟ .. » .. ثم يأتي



البلغارية

يا بنت « صوفيا » والزمان البليد
أحـــال قلبي حفنة مـــن رمـــاد
يا ليت شعري ، أي سحر يعيد
حـــرارة الـــروح لبـــرد الجمـــاد

البصرة سالم علوان الجلبي

في استهـــلال رسالتـــك الثالثـــة والعشرين .. : « تجدنـــي امسك القلم واكتب لك دون ان اشعر .. ».

واقول انك تشعرين بما اشعر به وانا اكتب اليك ، تشعرين بالسعادة، بالخيـــال يسيطر علـــى افكارك ، بالاشواق تجري المداد على الورق ، بالامل يحبو فوق السطور ، تشعرين بي في كيانك كما اشعر بك في كياني ، هذه المشاعر لم تأت من فراغ ، ولم تذهب هباء ، فانني ادعوك لنجلس معا على كرسي الاعتراف ..

اليـــك ..

اكتب كلماتي ، وقد ذهب عنك المتطفل الذي اهداك قلبا من ذهب ، وقد بدا يزعجني كما ازعجك انت ايضا .. واذكر اعترافك المغلف في تلك العبارة التي اضحكتني كما كنت تضحكين وانـــا معـــك في رسالتك الرابعة والعشرين .. : « فرددت له ذلك القلب ، واضحك وانا اقول لك انني لا اريد قلبا من ذهب ، ولكن قلبـــا حقيقيا .. بمـــاذا تجيبنـــي انت !! » .

لقد جلسنا معا على كرسي واحد للاعتراف ، بعد اربع وعشرين رسالة منك الي ، ومثلها مني اليك ، وبعد مضي عـــام كامل على اول رسالة تصلني منك .. اتذكرينها ! انها تلك الرسالة التـــي جردتني مـــن كـــل قواي .. وان نسيت اي شيء ، او نسيت كـــل شيء ، فاني لا انسى كلماتها .. وها انا انقلها من الذاكرة والخيال معا .. : « ابعث اليك بهذه السطور من مدينة ... واتمنى ان اتلقى جوابا في اسرع وقت.. حينذاك سأقول لـــك مـــن انـــا وكيف لي بعنوانك !! مع اجمل التمنيات .. ».

هكذا ترين كلماتك تعيش في خيالي كما يعيش خيالي داخل رأسي واقول لا خلاص ، وما اجمل ان اقول لا خلاص من السعادة ، من الهناء ، لا خلاص من الحب الجميل .. لا خلاص الا بالاعتراف كأسير حب ..

اليـــك ..

اكتب كلماتي ، وقـــد وضعـــت الاقدار الكلمة العزيزة فوق شفاهنا لحنا ملائكيا جميلا ، ولدت املا جديدا متجددا ، ولدت الكلمة العزيزة ، نفخ فيهـــا خالقها ويرعاها بعنايته الفائقة .. وقد قلنا في رسائلنا ما في انفسنا لانفسنا ، وانني لاردد معك ما قلته في رسالتك التاسعة : « ربما كنت لم ابح بهذا لاحد ، لانك انت .. لهذا قلت كل شيء ، ولم يبق عندي شيء .. » .

اذكر انه استوقفني في الرسالة الثالثة والعشرين قولك .. : « لقد قرأت كتابا جميلا بالفرنسية عنوانه (الخوف من الحياة) » اختار منه بعض العبارات التي كانت ترجمتك لها رائعة ..

« ان الارض في دوامة لانه لا يوجد انسان في هذا العالم يفكر بقلبه

لا تضرب المرأة ولو بوردة جميلة

ان الجمال له حق شريف ، ولكنه يمكن ان يحطم كل شيء ويعيده بالبناء ولكنه يترك ذكرى للمستقبل ليجعل منها صفحة من ذلك الماضي الجميل ، ولكن الاقدار لا يمكن ان تبقي للجميل ولا لغيره الا املا في ان يدوم ، ونرى دائما الذي نحبه ، والحاجة التـــي نحبها تذهب منا قبل الاوان » .

دعيني اقول لـــك لا خوف مـــن الحياة .. دعينا نعب مـــن كؤوس السعادة التي تملؤها لنا الاقدار .. دعينا ننتظـــر ونحيـــا والامل بـــين جوانحنا حي يقظ ينمو ويكبر ، فأمل كنا في بطون امهاتنا ، وامل كنا في عيون اسرنا ، وامل نحن الآن في فكر وروح .. اقول لا خوف من الحياة ما دامت حياتنا املا من الازل ، والى الابد .. لقد التقينا وتآلفت روحانا وتعانقت مشاعرنا .. كل ذلك دون ان يرى احدنا الآخر فصورتك لـــم تصلني ، وصورتي لم تصلك ، واني لأسأل بعد عام مليء بالحب والدفء والسعادة : هل يمكن للصورة ان تغير فينا شيئا ؟ اخشى ما اخشاه ان يكون هناك تباين بـــين الكلمة والصورة ، وغاية ما اتمناه ان تنتصر الكلمة .. خاصة وانها اليك عزيزة ، ومنك عزيزة ، وخلقها الله لتكـــون عزيزة ..

مع نومي وصحوي اهديك نبضي كانسان .

القاهرة جمعه محمد جمعه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكتبة الاديب



جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين

تأليف عنبرة سلام الخالدي ــ ٢٢٠ صفحة ــ دار النهار للنشر في بيروت ١٩٧٨

لقد صح في هذا الكتاب ما قاله الاديب البريطاني « ارنولد بنيت » المشهور، وهو : « اي كتاب تتناوله لتطالعه فانت قد تناولت ثلاثة اشياء معا بين دفتي ذلك الكتاب : تناولت فكر المؤلف وذهنه ، وتناولت اسلوبه وطرائقه في الاعراب عن فكره وذهنه ، واخيرا تناولت الجسد المادي للكتاب ، وهذا الشكل المختار ليكون جسدا للذهن والفكر والاسلوب ، من المفروض ان يكون بجمال صناعته بردا قشيبا » .

واذا تساءلنا عما حدا المؤلفة على تدوين ذكرياتها ، وجدناها قد أعربت عن هذا ، اذ قالت في المقدمة ص ١١ ما يلي وننقله بتمامه :

« أحب قبل ان ابدأ هذه الجولة من ذكرياتي ، ان اوضح ان ما ارمي اليه فيها ليس سرد يوميات او تاريخ سيرة لعائلتي او لحياتي الخاصة ، كما يفعل مؤرخو ما يسمى (السيرة الذاتية) ، بل قد يكون تاريخا لمعالم عصر عشته بذاتي ، وصورة حية لحوادث واحداث اجتماعية وسياسية شهدتها بنفسي ، ولا بد من ان تتخللها حوادث عائلية او شخصية ، لانني لا اقدر ان افصل بين الايام التي امضيتها في بيتي وفي مختلف اطوار حياتي ، وبين المحيط العائلي الذي نشأت فيه ، وقد تتشابك الحوادث السياسية والاجتماعية ، فيرد ذكرها تبعا لسردها الموضوعي وليس لموقعها الزمني ، وقد يفوتني ذكر امور هامة مرت بي ، لانني لم التزم في حياتي كتابة اليوميات التي كان بامكاني الاستعانة بها ، كما ان الكثير من اوراقي الخاصة اتلفتها عمدا حينما سيق والدي مرتين الى الديوان العرفي الذي اقامه الاتراك في عاليه لمحاكمة احرار العرب ، ثم فقد بعضها الآخر ، بعد ذلك ، حينما كان الجيش الفرنسي ، ايام الانتداب ، يداهم بيتنا ليفتش عن اوراق قد تدين والدي ، فيعثر ويمزق ويأخذ ما يشاء . ثم ضاع الكثير منها حينما تركتها في بيروت وذهبت لسكنى القدس ، بعد زواجي سنة ١٩٢٩ وأنت هجرتنا من القدس ، بعد الحرب الاسرائيلية سنة ١٩٤٨ لتقضي على البقية مما كنت احتفظ به من اوراق شخصية مدة عشرين عاما قضيتها في فلسطين .

وكل ما ابتغيه من كتابة هذه الذكريات هو ان اضع بين يدي الاجيال الطالعة بعضا من معلوماتي عن جيلنا ، وما مر به من حوادث واحداث » .

هذه الذكريات ، لا المذكرات ، او هذه الصفحات ، تمتاز باشياء جمة ، كلها محاسن عالية المستوى ، نرى من المفيد للثقافة العربية ، ان ننوه بها على صفحات « الاديب » ، مجلة المثقف العربي والمثقفة العربية ، في عالم الضاد . على الا ينسى القارىء والقارئة ان هذا الكتاب بمحاسنه هذه يستوي في الاستمتاع بقراءته الجميع على السواء ، من رجال ونساء ، وشبان وفتيات :

هذا الكتاب في بابه فريد ، ويدور في فلك وحده . ونحاول الآن ان نذكر بعض هذه النواحي .

هو على الجملة قصة الاديبة الكاتبة الكبيرة عذرة سلام الخالدي ، الفنية عن التعريف . ونقول « قصة » ، ولا نعني الا ما اطلقت عليه اسم « ذكريات » ، ايثارا على « مذكرات » ، وذلك يعني كما قالت المؤلفة ، « حصيلة اعوام عديدة مختلفة الاشكال ، متباينة الظروف ، نسائيا ، واجتماعيا ، وثقافيا ثم سياسيا » تروي فيها قصة حياتها ، والحياة لكل انسان ، مؤلفة من حلاوة ومرارة، كتركيب الماء من عنصري الهيدروجين والاوكسجين . ولكن العبرة في ما اصابت المؤلفة من حلاوة ومرارة في مراحل حياتها ، لا بالحلاوة ولا بالمرارة من حيث هما ، فكلتاهما من عوارض المراحل ، والمراحل التي تبدل وتغير باستمرار ، بل العبرة بما وهب الله السيدة الكريمة عنبرة من موهبة العقل الراجح المنير من جميع جوانبه ، فتراها تهتدي بهذا المصباح ، ويتجلى ذلك في كل قطعة مهما تكن صغيرة من مراحل حياتها . والعقل الراجح له خواصه في التبرير وعلاج الامور . فالكتاب يعطيك اجمل نموذج من هذا : احكام عقل سيدة عربية ، طيبة العنصر من نبعتي والديها ، واسعة الافق الثقافي ، وقفت على الحضارتين وجمعت بين حسنييهما .

هذه الصفة الاشراقية في المؤلفة ملازمة لها ابدا . فلم يكن الاشراق آنا ثم يغيب . وبهذا الاشراق الدائمي ، حتى كانه صدى الفطرة ، كانت السيدة عنبرة سلام الخالدي تعلو على كل حلاوة ومرارة مرت بها ، ثم تعود الى عقلها الهادىء الرصين .

بل في راينا ، يتجلى هذا في اسلوبها الكتابة ، لان الاسلوب صورة الذهن كما قال العرب وقال ارنولد بنيت . فاسلوبها هو هو من حيث سهولة التناول ووفرة الانسجام .

امبارتها روحانية في بعض المواضع جد ساطعة . ولا دخل لها في تركيب الكلام او العبارة ، بل هي شيء آخر بالمرة . وهذه الروحانية منبعثة من الكاتبة نفسها ، وهذا تماما غير زخارف البيان والبلاغة .

متى ما فرغت من مطالعة الكتاب ، وجدت ان السيدة عنبرة كانت معك بالغة حدود الصراحة ، والصراحة عندها حقيقة . لا تستجيب الا الى احكام العقل ، لا العادات التي لا جوهر فيها ولا لباب .

وكانت المؤلفة العالية المقام(١) عالية المستوى الذوقي جدا لما اعلمتنا ، ما لم نكن نعلمه على مستوى القراء ، من انها كانت مخطوبة في شبابها ، وهي في السادسة عشرة او السابعة عشرة ، الى من نخبرك عنه الآن ، وذكرت هذا في فصل عنوانه « ارتباطي بخطبة لم تتم » ولكنها لم تذكر اسم هذا الخطيب المكرم ، فورا ، كما يتبادر الى ذهن القارىء ، الا بعد ان ذكرت وصف سيرته الوطنية سنتي ١٩١٣ و ١٩١٤ وهو في المعترك القومي قبيل الحرب العامة ، اجلالا لذكراه ، الا وهو الشهيد عبد الغني العريسي الذي علقه السفاح في بيروت سنة (١٩١٥)

---

(١) نشرت المؤلفة مقابل ص ١١٢ رسمين لها في صفحة واحدة نشرا رشيقا جدا ، الاول وهي في زمن الصبا والآخر وهي في سن عالية مباركة ، وقالت تحت الرسم الاول « المؤلفة في العشرين » ونشرت تحت الآخر « ... وفي الثمانين » فانظر الى رقة الاشارة بهذه الشارة .

مع رفيقيه الشهيدين عارف الشهابي وعمر حمد(٢) وغيرهم من قافلة الشهداء الاولى رحمهم الله . هذه الحادثة الخاصة دونتها المؤلفة في نحو من (٥) صفحات ، ولكنها لم تنتقل توا الى ما يتوقع القارىء ان تخبره به عن زواجها الذي تم ببركة الله سنة ١٩٢٩ من المربي العربي الكبير الاستاذ احمد سامح الخالدي (القدس) وانما فعلت هذا على مقتضى سياق المراحل ، بعد اكثر من (٧٠) صفحة .

المربي الكبير احمد سامح الخالدي ، اذا عد رجال التربية العربية على الاصول الحديثة ، كان في طليعتهم ، لا ريب في هذا ، وهو من طراز امام فن التربية ساطع الحصري رحمهما الله . وللاستاذ الخالدي من المؤلفات القيمة المطبوعة والمخطوطة ما يملا رفا في المكتبة . وفضائله الشخصية والقومية لا مكان لبحثها هنا ، وانما قصدنا الاكتفاء بهذه الاشارة اليه ، من قبيل التحية واستنزال الرحمة عليه . حياة السيدة عنبرة في فلسطين كانت نحوا من عشرين سنة ، ثم كانت سنة الانهيار ١٩٤٨ فانتقلت الاسرة جمعاء الى بيروت ، وبعد بضع سنين اختاره الله الاستاذ الخالدي الى جواره ، والسيدة عنبرة قرينته في لندن . فكانت خسارته على امته عظيمة ، وعلى قرينته الفاضلة واهلها واهله واهل العلم والادب .

في مجال الجولان في شتى المواقف الشجاعة وكلها رباطة جاش ، تلك المواقف التي كان على المؤلفة ان تقفها ، معتصمة بالله تعالى وروح الحق ، موقفها من السفاح احمد جمال ، لما جعل يحاورها بدهائه وغطرسته في بيروت ، يريد اقناعها بان تقبل منه اقتراحه عليها وهو ان تجتمع « وخالدة اديب » اولى اديبات الترك المشهورة . والقصد من الاجتماع في ظاهره ان تتبادلا بينهما تعلم اللغتين العربية والتركية ، واما الغاية المقصودة فهو العمل للبرامج الطورانية ، اذ كانت تركيا تريد وتامل ان تخرج من الحرب ظافرة . واني ادع الجواب الذي تخلصت به عنبرة من الطاغية الجبار الى القارىء يقرأه مفتخرا بهذه الفتاة العربية التي اظهرت امامه من رباطة الجاش والعقل الكبير ما يقضي باعجب العجب .

ذكرت المؤلفة الفاضلة في ص ٨٦ تحت عنوان « الخطر الاصفر » في نحو صفحة ذكرا عاما لما يتعلق في سنتي ١٩١٣ و ١٩١٤ بالمشروع الذي عرف وقتئذ « بمشروع نجيب الاصفر » . كان « نجيب الاصفر » وهو يهودي عرقا ، او عميل يهودي غارق في الصهيونية ، مدفوعا من قادة الصهيونية في الاستانة ان يتظاهر بقيامه بمشروع استثماري زراعي ، وهو ما يسمى « بالاراضي المدورة » في غور بيسان في فلسطين وهذه الاراضي الواسعة الخصبة مساحتها بملايين الدونمات . واظهر نجيب الاصفر هذا المشروع بانه مشروع عمراني محض لخير البلاد ، ولا ذكر للصهيونية الا من قبيل استثمار الاموال في المشروع . ولما تنبه العرب الى ان وراء الاكمة ما وراءها ، وكانت « الجمعية الاصلاحية » في بيروت قد ضخم نفوذها وتفاهمت مع اخوان لها ولجان عاملة ، في سوريا والعراق ومصر ، اخذ احرار العرب ، وخاصة في بيروت ، من الشهداء عبد الغني العريسي ومحمد المحمصاني واخوه محمد ، يثيرون الكتابات الصحفية العنيفة والاحتجاجات الشديدة ، مطالبين بابطال المساعي في سبيل هذا المشروع المقصود به « الاراضي المدورة » في غور بيسان . واتصل احرار العرب بالنواب العرب في مجلس النواب العثماني (المبعوثان) وقامت قيامة اهل شمالي فلسطين حضرا وبدوا مستنكرين ودامت المشادات حول سنة حتى اضطرت الدولة الى الاعلان ان هذا المشروع قد الغي من البحث .

اما « الاراضي المدورة » ، فهي كانت املاكا لعبد الحميد وتسمى « بالجفتلك » فلما خلع سنة ١٩٠٩ سجلت المزارع السلطانية التي كانت للسلطان عبد الحميد ، باسم الخزانة للدولة ، والمكيدة المدبرة في الاستانة على يد « الاتحاديين » المتهودين والصهاينة ان تطرح تلك الاراضي بالمزاد العلني واسمها الآن « الاراضي المدورة » اذ دورت (بتشديد الواو) من (جفتلك الى مدورة) .

ومن ابطال العمل في مقاومة المشروع ما عدا من ذكرنا الشهيد عبد الكريم الخليل رئيس « المنتدى الادبي » في الآستانة . وشاركت البصرة وبغداد حق المشاركة . هذا كله بايجاز . وكان صديقي القاضي عبد الستار السندروسي رحمه الله (طرابلس) ونحن في عمان قد اطلعني على جملة صالحة من جعبة مشروع « نجيب الاصفر » لان السيد السندروسي كان اليد اليمنى لعبد الكريم الخليل في الآستانة وحافظ سره ، وراعيه في الليالي السود . ومن الذين ابلوا في سبيل تنبيه عرب فلسطين الى الصهيونية ولا سيما « المشروع الاصفر » ، نجيب نصار ، الكاتب الصحافي اللبناني الذي كان يقيم في حيفا وهو صاحب جريدة « الكرمل » واصله من (عين عنوب) قرب بيروت .

وايضا هذا الموضوع لخطورته العظيمة ، التاريخية ، قبل ان تقع الحرب العامة وما تلاها من بلاء لم يستطع العرب حتى اليوم القضاء على شيء من ذلك ، فاننا نحاول باذن الله وضعه في فصل جامع لاطرافه واشتاته ، اذ ما قلناه هنا ما هو الا عبارة تلغرافية منه .

وخاتمة كلامنا ان العرب كلهم شكر عميق للكاتبة العربية الكبيرة السيدة عنبرة سلام على ما جادت به عليهم من « ذكريات » على رجاء منا ان تتبع هذه الذكريات باخواتها ان شاء الله اذ جعبتها مليئة ، متعها الله بالعافية واطال في عمرها المبارك . ولتسمح لنا ان ننقل عبارتها الجميلة المثبتة في صفحة على حدة مقابل صفحة الوسمة وهي :

اقدم هذه الذكريات الى احفادي :

احمد سامح وكرمه وديالة وايلمار لمياء ومارية ومحمد علي واديب وعلية ومنى ومهلة .

املة ان يجدوا فيها من اخبار جدتهم عبرا وحكايات ، ومن حوادث قومهم مفاخر وعثرات » انتهى . دمت ايتها السيدة الجليلة في هناء وسعادة . ولك من ابناء الامة احفاد بالالوف .

رأس المتن ــ لبنان — عجاج نويهض

* * *

قاموس الصحافة اللبنانية (١٨٥٨ ــ ١٩٧٤)

تأليف يوسف اسعد داغر ــ معجم يعرف ويؤرخ لـ ٢٥٠٠ للدوريات والصحف اللبنانية التي اصدرها اللبنانيون في لبنان والخارج ــ منشورات الجامعة اللبنانية ــ المطبعة الكاثوليكية في بيروت ١٩٧٨ ــ في ٥٥٠ صفحة من الحجم الكبير

يوسف اسعد داغر ، اختصاصي بعلم المكتبات والببليوغرافيا والتوثيق العلمي معروف ، لـه شهرته الواسعة بين الباحثين والادباء وعلماء الشرقيات في الشرق والغرب ، على السواء ، له العديد من المؤلفات

(٢) لما كان هالاء الشهداء الكرام الثلاثة ، لهم قصة رائعة التفاصيل في كيفية وقوعهم في يد السفاح وهم في « معان » يريدون الحجاز ، واشارك المؤلفة الى هذا في ص ١٠٠ من كتاب ذكرياتها اشارة عامة ، فاننا في محاولاتنا الضئيلة جمع حقائق القضية العربية ونحن في فلسطين والاردن ، فقد قيض الله لنا ان نستقي خبر هؤلاء الاخوة الشهداء من رجالات نعم الرجالات من اخواننا اهل الاردن وكانوا يعملون وقتها في الحكومة العثمانية في تلك النواحي . . ولما كانت هذه التفاصيل لم تزل مطوية وهي حرية بالنشر ، فاننا ان شاء الله نعمل على وضعها في فصل قائم براسه ، ذخيرة لعرب المستقبل .

المنشورة بالعربية والفرنسية ، اهمها على الاطلاق كتابه : « مصادرة الدراسة الادبية » في اربعة مجلدات ضخمة ترجم فيها لاكثر من ١٤٠٠ اديبا من ادباء النهضة المتوفين ، بين ١٨٠٠ — ١٩٧٨ .

اول ما يطالعك في « قاموس الصحافة » دراسة مستفيضة حول ما سماه المؤلف « التفجر الصحفي اللبناني » . فبدأ بتحديد الصحيفة ، والصحفي وماهية الصحافة ورسالتها ومكانة الصحافة اللبنانية وما ترمز اليه وكيف انها منبر حضارته وعصريته ، واولى مؤسسات الفكر والرأي والتعبير ، مثلت ولا تزال تمثل الحضور اللبناني في العالم . ثم يعرض المؤلف لمحاولات تنظيم الصحافة والمهنة ولتاريخ انشاء نقابات الصحافة والمحررين والمراسلين ، ولدور الصحافة اللبنانية في الدعوة الى القومية العربية التي كان روادها الاوائل فريق من مشاهير الصحفيين اللبنانيين امثال نجيب عازوري وجرجي زيدان ويعقوب صروف وابراهيم اليازجي وفرح انطون ، وانطون الجميل ، وخليل سعادة ، وامين تقي الدين ، وابو الفضل الوليد (الياس طعمة) الخ ، اذ كانوا من ابرز الدعاة لها والعاملين على نشر فكرتها .

وحول مستقبل الصحافة اللبنانية يرى المؤلف : « ان مستقبل كل حي مرتبط ارتباطا عضويا بماضيه وحاضره وبالعوامل التي انفعلت معهما وتفاعلت في صوغ هذا الماضي والحاضر » وهذه الصحافة اللبنانية التي عرفت عبر تاريخها المديد ، بالجرأة والطموح والابتكار والتجدد واستشفاف المغيب ، ستتمكن من تأمين اسباب تطورها الصاعد ، بالرغم من العوائق والعوامل التي ترتهن ، من بعض الوجوه ، مصيرها ومسيرها .

وينهي المؤلف هذا القسم بأسماء نقباء الصحافة اللبنانية منذ تأسيسها ويشير الى مصادر سيرهم بايجاز . وهذا كله لا تقرأه في ما صدر من كتب في الماضي .

والقسم الثاني الذي يمتد من الصفحة ٤٣ الى ٣٢٨ ، هو تعريف بالدوريات اللبنانية مسوقه عناوينها على الهجاء بالعربية والفرنسية والانكليزية والارمنية واليونانية ونوع طبيعتها وطابعها ، وتاريخ صدورها باليوم والشهر والسنة ، وتاريخ انقطاعها او توقفها عن الصدور ، واسم صاحبها ورئيس تحريرها، ومكان صدورها والاشارة الى وجود مجموعتها ، كاملة او مجزؤة ، في اي مكتبة من مكتبات العالم الكبرى ، شرقا وغربا ، ويتتبع صدى صدورها في المجلات العربية الكبرى في البلدان العربية ، والتنويه بها في كتب تاريخ الصحافة العربية ، ورقم الاجازة التي صدرت بموجبها من وزارة الداخلية اللبنانية ونشر هذه الاجازة في الجريدة الرسمية مع ذكر العدد والسنة والصفحة وتاريخ صدوره .

وقد عرف هذا القاموس بـ ٢٥٠٠ دورية اصدرها اللبنانيون ، في لبنان والخارج ، خلال هذه الحقبة الزمنية ، رتبت اسماؤها على الهجاء ، وفقا للغة التي صدرت بها ، والى جانبها من جهة اليمين رقمها المميز المسلسل .

يلي هذا القسم قسم ثالث بأسماء اصحاب الصحف ومصدريها ، من الصفحة ٣٢٩ — ٣٩٥ مرتبة اسماؤهم على الهجاء ايضا . وبعد كل اسم ، تجد الصحيفة او الصحف التي اصدرها خلال حياته الصحفية ، يقابلها الى اليمين ، الرقم الذي تحمله الصحيفة .

والقسم الرابع هو فهرس الدوريات وفقا لتسلسلها الزمني ، لحاقا من ١٨٥٨ الى ١٩٧٤ وذلك من صفحة ٣٩٦ — ٤٥٢ ، بحيث تجد بعد كل سنة معينة ، اسماء الصحف التي صدرت خلالها والى اليمين رقم الصحيفة المميز . وفي هذا القسم يتبين للقارىء الكريم ان هنالك اكثر من الف ومائتي دورية لم يرد لها ذكر في « تاريخ الصحافة » للفيكونت دي طرازي ، اذ المعروف ان الفيكونت فيليب دي طرازي وقف في كتابه عند نهاية ١٩٢٩ .

والقسم الخامس هو ثبت باطول الجرائد والدوريات اللبنانية عمرا ، والى جانب كل صحيفة رقمها المميز المخصص لها . واطول الصحف اللبنانية عمرا اليوم هي « النشرة الاسبوعية » التي صدرت عام ١٨٦٣ بعنوان : « اخبار انتشار الانجيل في العالم » .

والقسم السادس خاص بفلسفة اسماء الدوريات اللبنانية ومعطياتها. فقد قسم المؤلف هذه الدوريات التي عرف بها الى ٣٨ نوعا او بابا ، وذكر تحت اسم كل باب ، اسماء الدوريات التي تنتظم فيه مع ذكر الرقم المميز للدورية . فتجد مثلا تحت باب « الثقافة » اسماء المجلات والدوريات التي يغلب على طابعها الثقافة . وهكذا التاريخ والاقتصاد والمرأة والتربية والقلم ، والزراعة والبترول والرياضة .

وينتهي الكتاب بثبت شامل جاء في ثلاث صفحات ، بالمراجع العامة والمصادر التي عول عليها المؤلف في وضع قاموسه هذا ، كما اورد قانون الصحافة اللبنانية المعمول به حاليا منذ ١٤ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٢ والملحق له الصادر في ٣٠ حزيران ١٩٧٧ والخاص بتعديل احكام هذا القانون .

واخيرا يجد القارىء ترجمة مفصلة للمؤلف تبدي مراحل حياته والقابه العلمية وآثاره الفكرية المطبوعة والمخطوطة ، وبعض مقتطفات مما قاله العلماء والادباء في عمله الببليوغرافي الضخم .

هذا القاموس هو الحلقة ٣٥ من آثاره المطبوعة الى جانب ٢٥ مؤلفا مخطوطا تنتظر الصدور والكتاب مرجع واداة علمية فذة ودليل على ان الاستاذ داغر من الاوائل ان لم يكن الاختصاصي الاول بعلم المكتبات والببليوغرافيا والتوثيق العلمي . وهذا الكتاب المرجع يغني الباحث عن كل الكتب التي صدرت حتى الآن حول الصحافة اللبنانية ، وهو كمعظم مؤلفات الاستاذ داغر يلفت الى أهمية الاعمال التوثيقية والببليوغرافية واثرها في تسهيل اعمال البحث الادبي والعلمي والحاجة الماسة الى هذه المراجع في شتى انواع العلوم والفنون .

اسعد خليل

* * *

مباحث في الادب العربي المعاصر

تأليف وحيد الدين بهاء الدين — (؟) صفحة — من منشورات اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين — بغداد

ان الجودة والاتقان في الاختيار مهمة صعبة واجتياز عسير غير سهل ودلالة ذات تأثير بليغ في الذوق والمعرفة ، بل انها الوصول الى مكانة عالية من القوة والروعة . والكوكبة التي اختارها الاستاذ وحيد الدين بهاء الدين في كتابه « مباحث في الادب العربي المعاصر » تكاد تنتمي الى مدرسة واحدة وتسطع في افق موحد ..

واذا اخذ النقد يستقل وينفصل عن الادب ويصبح فنا قائما بذاته ويستوي على عرش الاستقلال نظرا لاهميته ، فلانه المشخص الوحيد لتبيان ما في الادب من مظاهر البهاء والحسن والجودة والقتامة والعتمة والرداءة ، والمفسر الشارح لابعادها .

الكوكبة التي اعتمدها الباحث جديرة بالعناية والاهتمام لما لها من اصالة ، واشراقات ادبية ونقدية وشعرية . والامر الذي جعل الباحث متوغلا في دراسته النقدية الجادة ، مستوعبا لاشكالها ومضامينها ، فهو عندما يقارن ويوازن لم يصدر احكاما مجانية على تلك الاعمال بل عاملها برفق وتؤدة وادراك . لقد اعتمد الباحث جوهر النصوص وتدبر اغراضها وتلمس ابعادها فضرب بسهم قادر . فالنصوص غير معقدة بل واضحة المنطلقات والاسس والمبادىء والاهداف تجلت معانيها بسهولة وبساطة ، جليلة الموضوع نبيلة الغرض كونتها صيغ بلاغية وضيئة الجرس والمضامين.

ولقد تدبر الباحث معانيها بعمق كاف واستيعاب مخلص وتفحص واضح ، فابرز خطوطها ومدلولاتها ، وكشف عن مكوناتها باسلوب طلي أخاذ وجمل بارعة متناسقة رشيقة لها صفة الابداع وقدرة الاطلاع . وليس غريبا على وحيد الدين بهاء الدين ، فهو ناقد وباحث من طراز

خاص يتميز بقدرة نابعة من اعماقه تعتمد مفاهيم نقدية عصرية وصفارية ، كانت نتيجة لتحصيل معرفة موضوعية ترتبت في اطار يمكن الجزم بانه متكامل مستنير له القدرة على كشف افكار ، واهداف الاعمال الادبية وفرز الصيغ الجمالية وايراد البراهين عند تشخيص اعمال المبدعين ..

وقد يقع الباحث في بعض الاحايين في قيود الضرورة وحدودها نتيجة حب خالص واعجاب صادق وهو اختيار الحلم والتعقل ممارسة ضرورية ، ولكن هذا لا يعني انه لم يكن نموذجا حديثا معاصرا اغتنى بمفاهيم واقانيم ومضامين ومناهج نقدية عالية متطورة اتخذت بنائيتها العلم والمعرفة ، والحت في التدقيق والتطبيق اعتمادا على جذرية عميقة قادرة التزمت بالاحتراس والاخلاص ..

ان ترابطا حميما بين النص والنقد قد اعطى البحث نكهة صافية منهجية اصيلة قائمة على دعائم التطور والاستقراء الدؤوب . فجاءت التفسيرات لتلك النصوص تتجلى بكل وضوح وسطوع والمام قادر باوليات النقد الموجه ، فكانت بعد ان تتصارع وتتحاور بسياق مانع تصارع وتصالب وتجاهد وتصالد فتمزج متلاحمة متكاملة تدعيما لاحكام وحقائق النصوص والكشف عن دواخلها لتبدو مفعمة بهجة الابداع .

وانه لمن دواعي الاعتزاز ان يلج الباحث ببصيرة ناقدة الى مواطن الجمال في اعمال الشعراء والادباء الذين اختارهم . لقد كان الباحث يرفد من منابع الابداع ويقتد من مقالع شامخة لا تنتهي ومن مصب لا ينضب . وقد الزمته استقراءاته المتواصلة بان للباحث حقوقا يجب ان تقضى وقواعد يجب ان تراعى وتتبع . ومن هنا قد احرز مكانة لائقة لا بد للوقوف عندها ، فهي في الصميم من الحركة النقدية والمعالجة الفكرية حيث قدر ان للشعر اتصالا حميما وارتباطا وثيقا واكيدا بهموم النفس البشرية خلال المرحلة الانسانية . والادب لا يكون ادبا رائعا ان لم يكن معبرا عن تلك الهموم ولن يكون رائعا اذا لم يكن حاويا على الاصول والشروط الفنية .. وحب الادب ان يكون صورة موحية للحياة بكل الوانها.

ولا يمكن للادب ان يكون مالكا حضوره الدائم واخضراره المشرق الا بالخروج من قيود التقليد والاجترار والرتابة ما دامت قافلة الزمن تفذ السير ومواكب الحياة صاعدة .. والادب متصل بكل التجارب الانسانية من آفاق وتطلعات وانتصارات وانكسارات وقلق وعنفوان في جميع المواقف الانسانية ..

والشعر اكثر الفنون استقطابا للقضايا الانسانية بجميع اشكالها وستبقى الاعمال الادبية الرائعة اوسمة خالدة فوق صدر الزمن واضواء مشرقة لم تعرف الذبول او الخفوت ، واصداء تتغنى بها الاجيال . ومنذ ان اخذ الناس يجتازون السبل الحضارية اصبح الشعر فنا قائما مقصودا معتمدا واصبح الذين يمارسونه طائفة من الفنانين ، ممتازين عن سواهم من الناس . وتنوعت الصيغ الشعرية بحيث تناولت كل ما اتسع لها الافق الشعري الذي يوشك ان يكون بلا حدود ، الا يكفي الشعر فخرا انه كان ثوبا فضفاضا لجدران الكعبة ؟ ان جوهر الشعر في كل لغة ولدى كل جيل هو التاثير الشديد في النفس . فهو الفن الوحيد القادر على اثارة احزاننا وتحريك مباعث الطرب فينا واهاجة الشجاعة وايقاظ اعجابنا من غير ان يلجا الى حجة بل يؤثر في النفس تاثيرا مباشرا وبطرق خاصة ووسائل مميزة انفرد بها عن سائر الفنون الكلامية الاخرى .

وليس هذا يعني ان معاني الشعر وحدها المؤثرة بل الفاظه وموسيقاه الموحية والاماني التي تجتاز مدلولاتها . انها مزايا تميز لغة الشعر وامتياز بجودة اللفظ والبراعة فيه واجادة المعنى وحسن التوليد والشواهد على ذلك لا تحصى . الالفاظ في الشعر ذات انسجام وايقاع خاص والمعاني المانعة وليدة الخيال مختارة بحيث تلائم طبيعة الشعر الخيالية والموسيقية . فالتجانس الرقيق في مواضع الرقة والقوة العنيفة في مواقع القوة والعنف .

لقد كان الباحث من القدرة بحيث سلط الاضواء على كل المناحي والمرافق والزوايا التي ذكرتها . وليس غريبا على وحيد الدين بهاء الدين ان يكون مكتنزا بكل هذه الدراية والمعرفة فاعماله الادبية والنقدية السابقة تنم عن ذلك . والكتاب اضافة جديرة بالعناية والاحترام والتقدير.

بغداد — **محي ابو حمرة**

* * *

١ — خطوات على سلم الذاكرة

شعر : منذر الجبوري — منشورات وزارة الاعلام العراقية — ٢٢٦ صفحة
دار الحرية للطباعة — بغداد

المعادل الموضوعي في شعر منذر الجبوري متكامل فهو يجمع بين المعنى الجيد والصورة الحسنة كما اكسبته تجربته الشعرية طابعا مميزا .. استمع اليه في جزء من قصيدة له بعنوان « مراجعة ثانية » حيث يقول :

يفاجئني الليل ثانية
يفتح الليل ثانية دفتر اللحظات الاخيرة
اقرأ في الدفتر المتمزق بعض القصائد
اقراها مرتين
أردد أحرفها مرتين

٢ — جنون من حجر

شعر : فوزي كريم — منشورات وزارة الاعلام العراقية — ١٤٤ صفحة
دار الحرية للطباعة — بغداد

يبدأ الشاعر ديوانه بخاطرة من يومياته : « ها أنا ثابت على الارض . ولكن ، من المناسب ان اعترف بهذا الامتهان : لقد كنت مشتاقا ، تماما ، لان اردد دائما ، مع نفسي ... آه ، ايها الهواء الطلق . ايها الهواء الجميل » . ومن قصيدة له بعنوان « اغنية اعتذار للكلام » يقول :

على قدر عزمي يجيئك عزمك : الريح والماء ...
واشياء وجهك ما تشتهي الريح والماء ،
ما اشتهي من هوى .
وهواك السلام .

٣ — البـــرج

شعر : ياسين طه حافظ — منشورات وزارة الاعلام العراقية — ٢٢٨ صفحة
دار الحرية للطباعة — بغداد

الشاعر يريد ان يختصر الزمن ويعبر الى المجهول بقصائده التي يحاول من خلالها ان يمسك الضوء او يحاول ان يتدخل في حل اخير لمسالة صعبة فهو يهدي احدى قصائده الى سيدة مجهولة رآها في زقاق بغدادي ثم يصف حادثا في زقاق بابلي .. يقول من قصيدة له « متابعة » :

في زمان البدايات ، والطرق الافعوية بيضاء
تلصف مثل العظام ،
امتطى ظله ، وابتدا رحلة
يقتفي الوعل في السفر الساذج

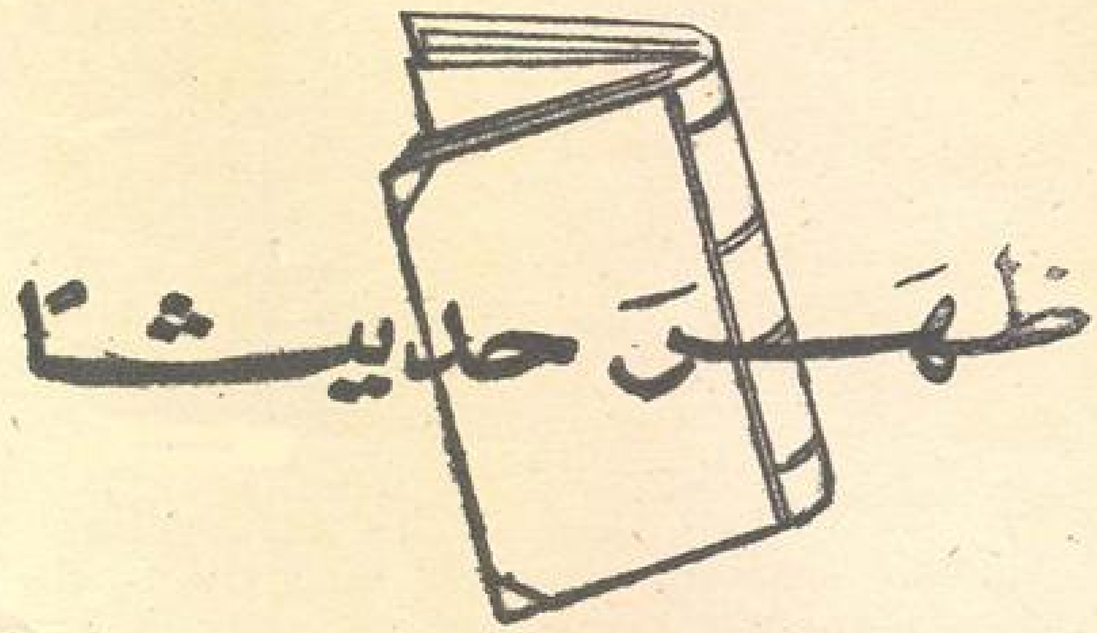
٤ — الشوق والكلمات

شعر : راضي مهدي السعيد — منشورات وزارة الاعلام العراقية
٢٨٠ صفحة — دار الحرية للطباعة — بغداد

قصائد انضجتها التجربة نضوج الكرم في الدوالي وأغنتها القريحة الفياضة فيضان الينابيع على الارض العطشى وهذا هو الشعر بعين الحقيقة فهو شعر ملتزم بكل هموم وقضايا العطر بثياب زاهية فضفاضة يقول من قصيدة له بعنوان « صحوة الخلود » :

خـط الزمان حروفهـا ذهبـا وروى الخلـود كتابها عجبـا
وتمثـل التاريـخ صحوتهـا حتـى استحال فتـوة وصبا
يـا أمـة غنـت قوافلهـا للمجـد اغنيـة العلى حقبـا
هـل أنـت ثانيـة معرشـة وضحاك يـورق انجمـا وربى

الكوت — العراق — **كاظم محمد حسين**



ظهر حديثاً

● دعوة الى تعريب العلوم في الجامعات — تاليف الدكتور احمد مطلوب — ١١٢ صفحة دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع بالكويت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● جامعة العيون واطروحة عاشق لبناني — شعر منثور — محمد ناجي الحاج شحاده — ٦٤ صفحة (صدر في لبنان) — (لم يذكر اسم المطبعة).

● في فلسفة اللغة — تاليف كمال يوسف الحاج — الطبعة الثانية — ٣١٢ صفحة — دار النهار للنشر ببيروت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● من اعلام الفكر والادب في فلسطين — تاليف يعقوب العودات (البدوي الملثم) — جمع مواد الكتاب واختصر بعض مواده وحرر فيه تصويبات واضافة ما جد بعد وفاة المؤلف — محمد اديب العامري ومحمود العابدي — ٦٨٤ صفحة — حجم كبير مجلد — قامت بنشره لجنة خاصة — الطابعون جمعية عمال المطابع التعاونية في عمان الاردن .

● من الاعماق — تاليف راجي عشقوتي — ١٣٦ صفحة — (صدر في بيروت) (لم يذكر اسم المطبعة) .

● عاهات الشعراء في الجاهلية والاسلام : طبيعتها واثرها في مستوى النص الشعري — تاليف عدنان البلداوي — ١٠٨ صفحات — مطبعة الشعب ببغداد .

● اللقاءات الادبية في الجاهلية والاسلام : طبيعتها واثرها في نقد النص الشعري — تاليف عدنان البلداوي — ١٢٢ صفحة — مطبعة الشعب ببغداد .

● حرب السلام : الجولات الاربع في الصراع العربي الصهيوني — تاليف حسن نصار — مصمم الغلاف حمدي محمود — ١٣٦ صفحة — حجم كبير — دار الشرق الاوسط للطباعة والنشر بالاسكندرية .

● اتجاهات الشعر العربي المعاصر — تاليف الدكتور احسان عباس — ٢٩٦ صفحة — سلسلة « عالم المعرفة » تصدر شهريا عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● عشرة آلاف كلمة انجليزية من اصل عربي — تاليف الدكتور سليمان ابو غوش مستشار سابق بوزارة خارجية الكويت — تقديم احمد السقاف — ٤٢٦ صفحة — حجم كبير — مطابع مؤسسة فهد المرزوق بالكويت .

● جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين — تاليف عنبرة سلام الخالدي تقديم الدكتور كمال سليمان الصليبي — ٢٢٢ صفحة — دار النهار للنشر ببيروت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● آداب السلوك — تاليف روحي جميل — ٢٤٤ صفحة — دار النهار للنشر ببيروت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● بابل العصر — شعر — محمد علي فرحات — لوحة الغلاف لعزت حمام — الخطوط لياسر بدر الدين — ٧٨ صفحة — دار النهار للنشر ببيروت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● اشعار النساء — تاليف ابي عبيدالله محمد بن عمران المرزباني — حققه وقدم له الدكتور سامي مكي العاني وهلال ناجي — ٢٩٠ صفحة — حجم كبير — ساعدت الجامعة المستنصرية على نشره — دار الرسالة للطباعة في بغداد .

● بديعيات الاثاري — نظم زين الدين شعبان بن محمد القرشي الاثاري — تحقيق وتقديم هلال ناجي — ١٥٢ صفحة — حجم كبير — سلسلة كتب التراث — وزارة الاوقاف العراقية — مطبعة وزارة الاوقاف في بغداد .

● ابو اليمن تاج الدين زيد بن الحسن الكندي البغدادي ٥٢٠/٦١٣ هـ حياته وما تبقى من شعره — تقديم وتحقيق الدكتور سامي مكي العاني وهلال ناجي رئيس اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين — ٩٠ صفحة — حجم كبير — مطبعة المعارف ببغداد .

● ديوان علي بن عبد الرحمن البلنوبي الصقلي من شعراء القرن الخامس الهجري — حققه وقدم له هلال ناجي رئيس اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين — ٧٨ صفحة — حجم كبير — دار الرسالة للطباعة في بغداد .

● من اعلام العرب في القومية والادب — تاليف عبدالله يوركي حلاق صاحب مجلة الضاد — طبعة ثانية — ٢٠٠ صفحة — حجم كبير — منشورات مجلة الضاد في حلب — مطبعة الاحسان بحلب .

● الحضارة : دراسة في اصول وعوامل قيامها وتدهورها — تاليف الدكتور حسين مؤنس — تصدير احمد مشاري العدواني — ٣٩٤ صفحة — سلسلة « عالم المعرفة » تصدر شهريا عن المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون في الكويت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● شعراء الاعراب — تاليف خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق — شرحه وقدم له عدنان مردم بك — ١٩٢ صفحة — حجم كبير — منشورات مؤسسة الرسالة في بيروت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● عبد الرحمن الجبرتي ونقولا الترك : دراسة مقارنة — تاليف الدكتور عمر عبد العزيز عمر استاذ التاريخ الحديث المساعد بجامعتي الاسكندرية وبيروت العربية — ٤٨ صفحة — حجم كبير — منشورات جامعة بيروت العربية — مطابع دار الاحد (البحيري اخوان) ببيروت .

● المسرح الوجودي : يتضمن دراسة تحليلية لمسرحية غادة افاميا — تاليف علي المصري — ١٠٢ صفحة — منشورات مؤسسة الرسالة في بيروت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● مواويل طائر الخزامى — شعر — للفقيدة فاطمة رضا — اشرف على طباعته واخراجه الشاعر والفنان ياسر بدر الدين — ٨٦ صفحة — مطبعة ديمو برس ببيروت .

● عوض قشطه : حياته وشعره — تاليف حسين علي محمد — ٦٤ صفحة — منشورات كتابات الغد — مطبعة احمد السيد بالمنصورة مصر .

● جلنار — شعر باللغة المحكية اللبنانية — ميشال طراد — تقديم سعيد عقل — طبعة ثانية — ١٣٤ صفحة — دار النهار للنشر في بيروت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● بدر شاكر السياب حياته وشعره — تاليف عيسى بلاطه — طبعة ثانية — ٢٢٢صفحة — دار النهار للنشر في بيروت — (لم يذكر اسم المطبعة).

● قاموس الصحافة اللبنانية ١٨٥٨/١٩٧٤ — وهو معجم يعرف ويؤرخ للصحف والدوريات التي اصدرها اللبنانيون في لبنان والخارج — تاليف يوسف اسعد داغر — ٥٥٦ صفحة — حجم كبير — منشورات الجامعة اللبنانية ، قسم الدراسات الادبية — المطبعة الكاثوليكية في بيروت .

● قضايا الادب العربي القديم عامة ، والشعر خاصة : في نظر النقاد العرب القدماء (في مجال العصر الاموي) — تاليف ثريا ملحس — ٩٤ صفحة — حجم كبير — صدر في بيروت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● امواج وصخور ، من شعر ميشال مغربي — تقديم عبدالله يوركي حلاق صاحب مجلة الضاد — ٤٠٠ صفحة — حجم كبير — مطبعة صفدي التجارية في سان باولو بالبرازيل .

● التعاشيب — تاليف عبدالله كنون — ١٦٠ صفحة — حجم كبير — مطابع دار الكتاب اللبناني في بيروت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ايليا حليم حنا

كيف نبني الدولة المتطورة ؟

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

الحضارة اليوم ليست من صنعنا نحن العرب ، اننا ننقلها عن الغرب . لماذا وعالمنا العربي لديه المال الوفير والعقول الذكية ؟ ! ماذا يعوق وصولنا الى ما وصلت اليه الامم التي قطعت شوطا حضاريا راقيا ؟ ! لماذا لم نصل الى المستوى العلمي العالمي وكل الامكانيات متوفرة لدينا ؟ !

هذا السؤال وجدت له اجابة في كتاب (نحن والعلم) للعالم الكبير الدكتور علي مصطفى مشرفة ... نشر هذا الكتاب عام ١٩٤٥ واذيع الفصل الاول منه على امواج الاثير عام ١٩٤١ ، وبالرغم من مرور ثلث قرن على تاليفه فانه دستور عملي يمكن الاخذ بما جاء فيه من دراسة موضوعية شاملة للبناء العلمي الحضاري ويحوي الكتاب تحليلا للعلم ورسالته واثره في بناء الدولة المتطورة وارساء قواعد الحضارة والقيم الطيبة والسلام .

والدكتور (علي مصطفى مشرفة) غني عن التعريف فابحاثه ونظرياته العلمية لها وزنها بين العلماء في الخارج ، وقد اضاف اضافات دقيقة هامة في العلوم الرياضية قدرها له كبار العلماء ورجال البحث العلمي في العالم واعترفوا بنبوغه وعدوه من المع الشخصيات العلمية . وهو اول من قال ان المادة والاشعاع يمكن اعتبارهما صورتين لشيء واحد يتحول احدهما للآخر ، اي ان المادة يمكن ان تتحول الى شعاع ؛ وقد اقترنت هذه النظرية باسمه ؛ ومهدت الطريق امام العالم ليحول المواد الذرية الى اشعاعات . وقد قال (السير اوليفر لودج) : ان نظرية الدكتور مشرفة في هذا الشأن اكبر من عظيمة . وتحدث عنه في كتابه (ما وراء الطبيعة) .. واستشهد به العالم (جيمس جينز) في كتابه : (العالم الغامض) في تفسير الاشعاع الضوئي الصادر من الشمس . وتمتلىء المراجع الاجنبية العديدة بعبارة (قال الدكتور مشرفة) مستشهدة برايه في الموضوع الذي تبحثه . وعندما سمع العالم الفذ (البرت اينشتاين) خبر وفاته في ١٥ يناير ١٩٥٠ قال « لا تقولوا ان مشرفة مات ، لا ... اننا محتاجون اليه ، انه خسارة كبيرة ، لقد كان رائعا وكنت اتابع ابحاثه في الذرة بكل ثقة ، لانه كان من اعظم علماء الطبيعة » .

يبدا الدكتور مشرفة كتابه (نحن والعلم) بقوله : اننا في غير حاجة الى فلسفة كلامية لكي ندرك ما صار للعلوم من اهمية في المجتمع البشري ، فكل شيء يحيط بنا اليوم في حياتنا الحديثة يكاد ينطق بفضل العلم ، وكل تقدم في فنون المجتمع البشري ووسائله ومرافقه انما هو ثمرة من ثمرات العلم والبحث العلمي .. ثم يسأل : ما مبلغ ما وصلنا اليه من العناية بأمر العلم والى اي حد يمكن ان نزعم ان حياتنا الحديثة مدعمة على اسس علمية صحيحة ؟ !

ويرى الدكتور مشرفة ان الامة التي تعتمد على ثمار العلم المستوردة ليست امة متقدمة ، انها امة تعيش عالة على غيرها ، وتظل تجري وراء الدول الضالعة في العلوم والتكنولوجيا ، ويقول في ذلك : في امكان كل امة مهما بلغ بها الجهل ان تبتاع بالمال نتائج الصناعة الحديثة . ليس هذا هو التقدم العلمي والتكنولوجي ... ان هؤلاء القوم اذا ظنوا انهم يستطيعون مجاراة غيرهم من الامم في ميدان الحياة العلمية انما يخدعون انفسهم فالعلم والخبرة الفنية ليسا شيئا يباع ويشترى بل هما نتيجة التحصيل والدرس والمران .. والامة التي لا تسهم في مجهود البشر العلمي والصناعي وتظن انها تستطيع ان تعيش عالة على ما تنتجه قرائح غيرها من الامم ، هذه الامة انما تعيش في حلم سرعان ما تنتبه منه لتجد نفسها حقيرة الشأن .

يريد منا عالمنا الكبير الدكتور مشرفة ان نرعى العلماء الذين نعتمد عليهم في مسايرة العصر في الانتاج العلمي المذهل وان ننفق انفاقا كبيرا لنصل الى هذا المستوى الذي يمكننا من الاعتماد على انفسنا وابتكار ما لا يبتكره الآخرون، ويرى انه بدون هذا لن تكون الدولة عصرية ، انما قد يكون لها مظهر الحضارة العلمية دون ان يكون لها دور فعال .. ونرى ان في هذا خطرا مريعا يهدد الامة بالتأخر عن القافلة العلمية التكنولوجية ... ويقول في ذلك : ما

قيمة الآلات المستوردة في ايدي قوم لم تحل بهم المقدرة الى درجة يستطيعون بها اصلاح ما فسد منها : وعبهم تمكنوا من القيام بعملية الاصلاح فكيف يتيسر لهم صنع قطع الغيار او تحسين هذه الآلات والصناعة في تقدم مستمر والامم في تنافس شديد لاتقان ما يصنعون بحيث لا يكاد يمضي حول او بعض حول على آلة من آلات الحرب والسلام الا ظهر ما هو احسن وأتم منها صنعا وأوفى بالغرض الذي صنعت من اجله ؟ كيف يتيسر لهم ذلك اذا لم تكن لديهم دور لصناعة هذه الآلات ، واخصائيون لصنعها واخصائيون لوضع رسومها وعلماء وبحاثون لدراسة المبادىء العلمية التي ينبني عليها قيامها بوظائفها والمسائل العلمية التي ترتبط باستخدامها وتحسين صنعها ؟ ..

وقد ضرب الدكتور مشرفة عدة امثلة ليبين لنا انه لا خير يرجى الا ان يكون لنا علماؤنا الذين يبتكرون ويخترعون ويطورون والا فاننا نكون عالة على العالم الذي يستخدم العلم في الاختراع والابتكار . ان الامة التي تنتفع بثمار العلم المستوردة ولا يكون لها نصيب في دفع عجلة هذا العالم السريع التطور تظل تعرج وتعرج وتتأخر وهي تجري وراء الامم المتقدمة ولا تأخذ الا الفتات المتساقط من موائد العلم الدسمة ... انها امة متأخرة وان كان لها مظهر التقدم .

اننا نسمع الكثير — في ايامنا هذه — عن قوة العلم الرهيبة ... والامة العصرية لها القدرات العلمية والتكنولوجية التي تجعلها امة منتجة انتاجا علميا في ابتكاراتها واختراعاتها بفضل الاسرار العلمية التي تصل اليها عن طريق علمائها .. مثل هذه الامة لن تتخلف ولن تفاجأ بجديد تطلع به الامم المتقدمة علميا ... وهذا امر ضروري لاية امة تريد ان تكون لها مكانتها في العصر الذي نعيشه وفي العصور المقبلة ... ويتوقع العلماء ان السنين الباقية من القرن العشرين ستفاجئنا بتقدم يفوق ذلك التقدم والرقي اللذين حققهما العالم عبر آلاف السنين منذ بدء الخليقة ، والدولة العصرية تعي ذلك تماما وتعد له حتى لا تتخلف .

والعلماء ثروة الامة وعدة مستقبلها ومصدر قوتها ورفاهيتها وعزتها وكرامتها ، بهم تصون حريتها وترهب اعداءها وترد كل طامع وتوفر الرخاء والخير لابنائها .. ان كل ما ينفق من اموال على العلماء والبحث العلمي لهو كسب عظيم سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ...

ويرى الدكتور مشرفة انه على الدولة الا تضن بالمال الواجب انفاقه في هذا السبيل ويضرب لنا مثالا بالخليفة المأمون والمكتبة الكبرى التي كانت تعرف بخزانة الحكمة وان علماء ذلك العصر كانوا منقطعين اليها يشجعهم على ذلك ما تحلى به المأمون من الرغبة في العلم وتقريب اهله وادنائهم وبسط كفه لهم ومعونته اياهم .. وهذا هو سر التقدم في عصر المأمون وسر التقدم المذهل في عصرنا الحالي فان الدول تنفق بسخاء على البحث العلمي وتربية العلماء ورعايتهم واخلاء فكرهم من كل مشاغل الحياة حتى يتفرغوا بكل كيانهم لابحاثهم واختراعاتهم والوقوف على اسرار الطبيعة واستغلالها .

وهنا يجدر بي ان انقل ما قاله عالمنا الكبير في هذا الخصوص : « الدولة الحديثة تعتمد على العلم في كل مرافقها بل انها لتعتمد عليه في الدفاع عن كيانها ووجودها ، ولم يعد يكفي ان يبقى العلم معزولا عن المجتمع ... لذا فان المجتمع الحديث يرى لزاما عليه ان يتعهد العلم وان يحميه وان ينفق عليه ، فالجامعات يجب ان يرصد لها في ميزانية الدولة ما يسمح لها بالنهوض بمهمتها والمضي في تحقيق رسالتها .. » ورسالة الجامعة هي اعداد القادة والعلماء ، وليست وظيفة الجامعة اعطاء شهادات وتخريج موظفين .. ليست هذه وظيفة الجامعة .. وليس هذا هو التعليم الصحيح الذي نعتمد عليه في بناء الدولة المتقدمة .

وكل مخلص لأمته يرى مع الدكتور مشرفة انه يجب ان نشجع كل من تبدو منه بادرة نبوغ ونعينه على القيام بأبحاثه فكم كان يخسر العالم لو ان الامريكيين سخروا من (اديسون) لانه لم يحصل على اي مؤهل ولم يمكث في كل حياته اكثر من ثلاثة شهور في التعليم الابتدائي .. ولكنه اخترع المصباح الكهربائي ومئات الاختراعات المفيدة !! لذا يجب ان نحترم ونعترف بالتثقيف الذاتي حتى نشجع اصحاب المواهب على ان يبرزوا ، فهؤلاء ايضا كنوز يجب الا نخسرها .. !

اننا نرسل ابناءنا الى الخارج وننفق على تعليمهم المبالغ الطائلة ويعودون وهم يحملون اعلى الدرجات العلمية .. اننا لو اتحنا لهم التفرغ الى البحث والابتكار لأصبح كثير منهم في مصاف العلماء المبرزين في العالم . وعلى هؤلاء وعلى خريجي جامعاتنا تتوقف سمعتنا العلمية بين الامم بما ينتجونه من بحوث وما يبتكرونه من اضافات الى تقدم العلم والمعرفة ، ويجب ان يكون الهدف من الجامعة — ايضا — تخريج شباب له اثره الواضح في تطور الصناعة والزراعة والهندسة والفنون ومناحي الحياة ومرافقها المختلفة ..

ويحدثنا بعد ذلك عن البحث العلمي وتنظيمه ويقسم البحوث العلمية الى نوعين رئيسيين : « بحوث في العلوم البحتة وبحوث في العلوم التطبيقية » ، والغرض من البحث العلمي هو الوصول الى المعرفة او الاضافة الى علم البشر .. اما البحوث التطبيقية فلها غرض آخر ليس هو الوصول الى المعرفة بل هو الوصول الى القدرة ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والبحوث العلمية البحتة هي الاساس والبحوث التطبيقية مبنية عليها ؛ ولا يمكن تصوير البحث التطبيقي الا على اساس من العلم الاكاديمي ...

ويقوم بالبحوث العلمية البحتة رجال الجامعات والمعاهد العلمية المختلفة ويقوم كل منهم ببحوثه الخاصة متعاونا في ذلك مع غيره من المشتغلين في فرعه ، والاستاذ في الجامعة يشعر ان اول واجب عليه متابعة البحث العلمي ويضع هذا الواجب فوق واجباته الاخرى ... يجب علينا ان نذكر ان مقام الجامعة لا يكون بعظمة مبانيها ولا بكثرة طلبتها ولا بضخامة ميزانيتها ، وانما تقاس رفعة الجامعة وعلو شانها بمقدار ما تنتجه من البحوث العلمية ...

ويجب ان نسارع الى تشجيع الباحثين بكل ما تملك الدولة من وسائل مادية وادبية ، ويجب ان يشعر كل مشتغل في ميدان البحث العلمي ان عمله مقدر مشكور ... ويجب ان تتصل مجامعنا العلمية اتصالا وثيقا بحياة علمائنا وباحثينا ويكون لها من المقام العلمي ما لغيرها من مجامع الامم المتحضرة اذا اردنا للبحث العلمي نموا واطرادا .. ولكي ننظم البحث العلمي التطبيقي او الصناعي وجب علينا ان نبني هذا التنظيم على البحوث العلمية البحتة ...

وشبابنا الذين يدرسون العلوم ويحصلون على الدبلومات والدرجات العلمية يوجه القادرون منهم نحو البحث الصناعي، وبذلك ننشىء جيلا جديدا من المتخصصين الاكفياء الذين يجمعون بين الاعداد العلمي الصحيح والخبرة الفنية العالية .

وينتقل الى التحدث عن الطب والعلم لوقاية ارواح الناس وابدانهم فيضرب المثل بالامصال الواقية والمواد الكيميائية ويقول اننا نفصل الطب عن العلم : اي نتعلم كيف نطبب الناس وليس لدينا الطبيب العالم الذي يجري الابحاث ليطلع على البشرية بشيء جديد .. انه ينتقد ان يكون الطب عندنا حرفة يتعلمها الصغير من الكبير ثم ينصرف الى ممارستها ولا يعمل اكثر من هذا .. انه يدعو الى البحث العلمي في الطب ويلفت نظر اطبائنا القائمين على اعداد الاطباء وتعليمهم ان يدربوهم على البحث العلمي ليخلقوا الطبيب العالم .

قرات منذ بضعة اشهر عن الطبيب العالم (دكتور و. ج. كولن) استاذ الجراحة بجامعة يوتاي والذي جاء الى مستشفى المعادي بالقاهرة لاجراء عمليات متطورة في الكلى ، واعجبت بالرجل لابحاثه واختراعاته الطبية العجيبة : لوحة صغيرة يمكن تركيبها في محجر العين تحل محل شبكية العين الطبيعية ، جهاز الكلى الصناعي : سماعة للصم . يد صناعية قام بتركيبها لمواطن امريكي ونجحت تماما ؛ محاولة تركيب قلب صناعي لاصحاب القلوب المتهالكة .. قرات عن كل هذا وتمنيت مع الدكتور مشرفة ان نخلق في عالمنا العربي مثل هذا الطبيب العالم الذي جعل الامل يفتح ابوابه امام اصحاب العاهات !

وينتقل الدكتور مشرفة في كتابه الى الثروة المعدنية والموارد الطبيعية الاخرى كاستنباط القوى الكهربائية من مساقط المياه .. واستخدامها في الصناعات واثرها في زيادة الثروة القومية عشرات المرات بل مئاتها ...

ثم يدعونا الى التفكير الحر المطلق والانفتاح على العصر الذي نعيشه والتخلص من كل ما يشدنا الى الخلف ، قال : « اذا ذكرت التفكير البشري وابنت ان لا حدود له ، فانما اقصد التفكير الحر المطلق من قيود الجهالات واغلال الاساطير والخرافات ، فطالما رزح الفكر تحت هذه السلاسل مكبلا بها ولطالما عانت البشرية من جراء ذلك وبالا ونكالا ، ففي القرون الوسطى كانت درجة حرية الفكر ضئيلة ولذا كانت دائرة البحث العلمي ضيقة ، ولم يكن يجسر احد على اعلان رايه حتى في ابعد الامور عن نظم المجتمع وعاداته واقلها اتصالا بها مخافة ان يسفه قوله باسم هذه النظم والعادات وان يرمى بأشنع الطعون والاتهامات ... حرية الفكر شرط من شروط انتشار العلم ، بدونه لا يرجى للعلم تقدم او نمو وبدون هذه الحرية لا يتمكن العلم من تادية رسالته ومواصلة جهوده في ميدانه الفسيح ، وبهذه الحرية لا تحده الا قوانين المنطق السليم ولا يعترف بسلطان غير سلطان الحقائق الواقعة والتفكير الصحيح ، بهذه الحرية نما العلم واتسعت دائرته في العصر الحديث » .

ويختم الدكتور مشرفة كتابه بفصل عنوانه « كيف يوجه العلم والعلماء لتحقيق تعاون عالمي » فيقول : « التعاون بين العلماء حقيقة واقعة ... فالعالم الامريكي في معمله يتم بحثا ينشره في مجلة امريكية ، وبعد مدة وجيزة تكون هذه المجلة في ايدي علماء اوروبا وآسيا وافريقيا واستراليا فاذا هم متكاتفون على دراسة هذا البحث ، ثم هم بعد ذلك معقبون عليه او ممحصون له ، وقد يحدث ان يثير هذا البحث اهتمام عالم في آسيا فيقوم بتجربة متممة لتجربة العالم الامريكي وينشر نتائجها في مجلة يابانية ثم يتلقف الفكرة بعد ذلك عالم نرويجي ينشر بحثه باللغة السويدية وهكذا ... وتوجد وسائل اخرى لتحقيق تعاون العلماء كعقد المؤتمرات وتبادل الاساتذة وارسال البعثات العلمية وانتخاب اعضاء اجانب ومراسلين في المجامع العلمية وغير ذلك من وسائل التعاضد والتساند » .

ثم يتحدث عن المسؤولية الاخلاقية التي تقع على عاتق العلم والعلماء ازاء تلك الالات والمخترعات الجهنمية التي ترمي الى اهلاك البشر وتعذيبهم ، فيقول « العلم يرمي الى المعرفة ولا يمكن ان يتهم بالتخريب ، والمخترعون ومن يقوم على تمويلهم وتشجيعهم هم الذين تقع عليهم التبعة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في ظل التوتة

دوحة التوت قرب داري في الر ... يف ، على ضفة الحقول الثريه
وقفت حارسا على الباب ضخما ... مستعـزا بالقامـة السمهريـه
نسجت في الربيع اوراقهـا الخض ... ر ، وصاغت ثمارهـا السكريه
ظلها الرطب في الهجير ، بساط ... فرشتـه .. بالوافدين حفيـه
رقـة الطبـع والوداعة فيهـا ... فطرة الله ، والعطاء سجيـه
وعـدا صبيـة صغار اليهـا ... فشفى حرهم .. نسيم وظـل
فاستراحوا واستروحوا ما أفاءت ... فوقهم مـن نوالها .. ثـم ملوا
وبدا التوت في الغصون شهيا ... بعضه نائـم .. وبعض يطـل
شاقهـم مجتناه يبـدو متاحـا ... فتنادوا لغصبـه ، واستحلوا
شره ردهـم قطيعا مـن الوحش ... ، واظفـاره حصـاة ونبـل
اخذوا يحصبونها وهـي تغضي ... ثـم تلقي .. سخيـة بالثمار
ويحهم .. اسرفوا ، وما أدبتهم ... آي الالهـا العـذاب الغـزار
مزجوا بالمجون طول التمادي ... واحاطـت نوالهـا بالوقـار
حين عنفتهم على ذلـة السطو ... ووزر الجحـود والانكـار
قال لي صاحبي الحكيم رويدا ... واعف عنهم .. فذاك شان الصغار

الاسكندرية — ادوار حنا سعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاولى .. ولكن لا نعني العلماء من المسؤولية فان عليهم مسؤولية لم يعد من الممكن التغاضي عنها هي مسؤولية الدعوة الى الخير والحق والدفاع عنهما » .

ثمار العلم كلها يجب ان تكون لصالح البشرية تنتج حياة افضل لاي شخص في اي مكان ... ولا شك في ان العلماء اذ هم تساندوا في اقطار الارض وتعاونوا فانهم قادرون على ان يحولوا بين ذوي المطامع والشهوات من رجال السياسة والمال وبين الفتك بالمجتمع ، فالعلم يملك السلاح الذي يستطيع به ان يدافع عن قضية الحق والعدل والفضيلة ... يجب ان تصر الهيئات العلمية في العالم على منع كل عابث من استخدام نتائج العلم للاضرار بالبشر فاذا اتخذت هذه الهيئات موقفا حازما ازاء هذا الموضوع الخطير فانها ولا شك تستطيع ان تضع الامور في نصابها اذ ان الراي العام في العالم كله سيكون في جانبها ...

ويكون شأن العالم في ذلك شأن الطبيب الذي لا تسمح له الهيئات الطبية باستخدام علمه وفنه في الاضرار بالناس ... يجب ان يمتنع كل رجال العلم عن وضع خبرتهم وعلمهم تحت تصرف رجال السياسة والمال الذين يتصرفون بعقلية انسان الغابة .. يجب الا ينسى العالم انسانيته ويجب ان يتقيد بالقيم ويسعى في مجهوداته العلمية الى ضمان السلام والسعادة للانسان .

ونحن في العالم العربي يجب ان نحارب معركتنا الحضارية بقوة ... ولكي نصل سريعا الى الهدف لا بد من عملية مسح شاملة لكل امكانياتنا ، والافادة بكل علمائنا ورعايتهم للوصول بهم الى المستوى العلمي العالمي ...

هذا هو سبيلنا الى بناء الدولة العلمية والى الطفرة الحضارية التي توصلنا الى المستوى الحضاري العلمي الذي وصلت اليه الدول التي غزت الفضاء والتي نعتمد عليها ونعرج وراءها ...

هل آن الاوان ان يقف العربي على قدميه وان تكون له ابحاثه الخاصة به ويسهم في بناء حضارة العالم ويكون له دوره الايجابي الفعال ؟ ! اعتقد انه لا شيء يحول بيننا وبين تحقيق هذا الهدف ولدينا كل مقوماته : العقول الذكية والمال الوفير .

القاهرة — ايليا حليم حنا

يا شاعر القيحاء



الى روح الشاعر العظيم جورج صيدح

يا صديقي العزيز ، يا صاحب الاديب
راعني موت اخينا الشاعر العظيم جورج صيدح ، فما شعرت الا والدمع يتساقط من عيني والهلع يعصف بين جوانحي ، فلما هدات سورة الجوى واستعدت انفاسي رأيتني اضع اللمسات الاخيرة على هذه القصيدة ، فارجو ان تتفضل بنشرها ، لنا من بعده العزاء ولك طول البقاء . والف تحية وقبلة لك من اخيك

زكي قنصل

* * *

خلفت اسراب الطيور حيارى ... وتركت اكباد الاحبة نارا
وغمرت آفاق العروبة بالاسى ... يا ويحها كم غيبت اقمارا
تبني وتنجب للخراب وللردى ... لم لا يعيش عظيمها الادهارا
يا صيدح الشعر الذي رقصت على ... نغماته الدنيا ... فديت هزارا
لو يعلم الناعي مكانك في العلى ... لطوى النعي وآثر الانكارا
عجبا اتثوي في التراب وكنت لا ... ترضى اقل من المجرة دارا
ويهيض جانحك الفضاء وكنت في ... ساح الجهاد الفارس الكرارا
ترمي وترمى لا تني لك همة ... وتصول في غمراتها اعصارا
ما هدك الداء العياء وانما ... خطب الديار على فؤادك جارا
ايموت من وهب القضية روحه ... وبنى لها في قلبه الاسوارا
حملت نفسك فوق طاقتها فهل ... ايقظت جفنا او اقلت عثارا
كم صيحة للثار لو اطلقتها ... في القفر لانتفض الجماد وثارا
طافت على الاسماع ، لكن لا صدى ... منذا لبيي شاعرا ثرثارا
يا شاعري اشكو اليك كبارنا ... فلقد غدوا بعد البلوغ صغارا
يتهالكون على الرذيلة والخنى ... علنا ويعصون الاله جهارا

يا شاعر الايمان يجمع بيننا ... عهد صفا سببا وطاب نجارا
عهد بناه الحرف ، لم تعصف به ... غير النوى ، بل زدنه استقرارا
شط المزار بنا ولكن لم نزل ... نرعى « لرابطة »(1) البيان ذمارا
اني لتخنقني الكآبة كلما ... خطر اسمها بين الشفاه ودارا
او ذاكر في ظلها سهراتنا ... نتطارح الاشعار والاخبارا
تختال انت على المشيرة « اخطلا » ... حلو اللسان وازدهي « بشارا »

---

(1) هي الرابطة الادبية في الارجنتين ، وقد نشات بمساعي الفقيد يوم جاءها بقصد الاقامة .

لا مـزح ينسينا الوقار وربمـا ... لبس المزاح الـى الندي وقـارا
نرتادهـا والليـل في اقماطـه ... طفـل تـردد في الظلام وحـارا
حتى اذا طلع الصباح على الربى ... ختـم الحديث وفـرق السمـارا
وتخالطـت خطواتنـا فكاننـا ... من خمر شعرك نستميل سكارى
لولاك يا ابن الشام لم يعرف لنا ... ادب ولـم يعـرف لـه انصارا
انـت الـذي استنبشته وجلوته ... كنـزا تخاطـف نـوره الابصارا
سجلـت الـف فضيلـة لبناتـه ... ورفعتـه للتائهـين منـارا
صاولت فيـه الحاقدين تالبـوا ... لقتالـه وتهيـاوا اظفـارا
جـاؤوا بـآلات الدمار وجئتهـم ... بالحـق فانقلب الهجوم فـرازا
نضـرت بالايمـان كـل مفـازة ... وقدحت مـن ليل الشكوك نهارا
يا صاحبي شرب الزمان مدامعي ... فاعـذر اذا لـم ينهمرن غزارا
حامت على قلبي الخطوب فلم تدع ... فيـه لبارقـة الرجـاء مـدارا
مـاذا اقول وقـد تبلبل خاطري ... وعصى البيـان اميره الخطارا
عشرون من خير الصحاب مضوا فما ... جدوى البقاء وقـد وهبت جدارا
كانوا كواكب في سمائي وانطفوا ... اتكـون ايـام الضيـاء قصارا
لم يبق من اصواتهم الا الصدى ... كالـدار يتركهـا الردى آثـارا
عابوا علـي تجلدي ولـو انهم ... سبروا جواي لأطرقوا استغفارا
في مهجتي نـار وفي عيني قذى ... بلـوا غليلـي او امـوت اوارا

يـا شاعرا نبذ السخافة محتوى ... واستقبح الثـوب الزري اطـارا
مـا كنت خصما للجديد ، وانما ... خاصمت مثلـي الزيف والتهذارا
اكبرت فيك صراحة في الحق لا ... تـؤذي صغارا او تهـاب كبارا
قـل للذين علـى الجمال تآمروا ... يبقـى الجمال وتذهبون غبـارا
حاربتـم الشعر الاصيل فحاذروا ... عقبى الغرور ... لقد يكون بوارا
مـن ينبىء الفيحـاء ان هزارها ... هجـر الغصون المائسات وطارا
لبـى قرير العـين دعوة ربـه ... اكـرم باخـدار السماء قـرارا
يـا لهفـة الفيحاء تفقـد دوحة ... زهـراء طابت منبتـا وجـوارا
لا الريح تلويهـا ولا تحني لهـا ... رأسا بـادراج السحاب تـوارى
شمخت ولكن لا غرور ... وطالما ... زاد الشموخ ذوي الصغار صغارا
تاوي اليها الطير تطلب مفزعـا ... فتـرد عنهـا الخوف والاخطارا
وتمـد للراجـي مراحـم ظلهـا ... واذا اشتهى ثمـرا حبتـه ثمارا

يـا لهفة الفيحاء كـم غنى لهـا ... وبكـى لفرقتهـا دمـا مـدرارا
حببـت عليـه واطلقته للعلـى ... فانساب يمـلأ دربهـا ازهـارا
يشدو فتصطفق الخميلة صبـوة ... ويهـز اعطاف الربيـع فخـارا
لـم يغترب عـن اهله طمعا ولم ... يتنـزك مراتـع انسـه مختـارا
لكـن لكـي يرضي نداء طموحه ... ويـرود آفاقـا ويجنـي غـارا

يـا شاعر الفيحاء هذي دمعتي ... هـلا اخترعت لعيهـا الاعـذارا
اقسمت لـن يجزيك حقك شاعر ... ولـو انـه نظم السهى اشعارا
عقل المصاب يدي وغل فصاحتي ... غليك قلبي ... ان دمعي غارا

بوانس ايرس ــ الارجنتين — زكي قنصل

الموقف والسلوك

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

كانت النظرة الارتباطية هي المسيطرة على مباحث علم النفس ، في القرن التاسع عشر ، وهي ترجع الى اثر الفلسفة الانجليزية في القرنين السابقين السابع عشر ، والثامن عشر ، وخاصة لوك ، وبركلي ، وهيوم .

وبفعل تاثر علماء النفس بالعلوم الطبيعية ، اعتبر الارتباطيون عملهم نوعا من الكيمياء العقلية ، يبحث في الخبرات الاولية ، والعمليات النفسية ، والتي يرجعونها الى نشاط العقل ، او نشاط الشعورية عامة .

كان علم النفس وقتها (علم الشعور) ، وكان يؤمن بالعقل ، وقوته التاليفية ، وان ارتباط الخبرات النفسية ، البسيطة ، او المركبة ، او ايضا المعقدة ، بعضها ببعض ، والتي نحصل عليها عن طريق الاستبطان ، او طريق التحليل هي شيء من النشاط العقلي ، والشعورية .

وقد ذهب فريق من الارتباطيين الى ان هذه الارتباطات شيء آلي ، ويعود الى التجربة الانسانية ، اي تجربة الشخص ، ولا يتدخل فيها العقل ، كما ذهب فريق آخر الى ان للعقل (قوة تاليفية) ، بحيث هو يتدخل في الخبرة النفسية ، فيؤلف بين العناصر الاولية التي لها .

اكدت النظرة الارتباطية على هذه الارتباطات ، واعتبرت (الاحساس) هو العنصر النفسي البسيط(١) ، ومع ذلك رجع فريق قوة العقل التاليفية ، بالتالي ذاتيته ، بمعنى انه الى جانب الاحساس ومداخلاته الشعورية ، هناك العقل ، وقوته في التاليف بين الاحاسيس ، والمشاعر ، والافكار .

ان الارتباطية اذن ، رغم تنوعها ، بنائية ، تؤمن بالمضمون العقلي ، والشعوري ، والذي يبتني خبراتنا ، وتتكون منه افكارنا ، ويمكننا بواسطة التحليل اكتشاف القوانين المهيمنة على ارتباطاته .

ومن هنا هي تبدا من الاحساس ، وتعتبره ابسط اشكال الخبرة الشعورية .. ويقول (فوندت) ان الخبرة النفسية خبرة مركبة ، وان مهمة علم النفس الاساسية هي تحليل هذه الخبرة النفسية ، لمعرفة كيفية ارتباط عناصرها ، والكشف من القوانين التي تم بموجبها هذا الارتباط .

ولم يدم هذا التمثل طويلا ، اذ قاومه السلوكيون - ورواد علم نفس الصيغة .. السلوكيون عابوا على الارتباطيين عملهم على مضامين فارغة ، في حين اعتبر الرواد الجشطليون هذا العمل (علم نفس الطوب والمونة) ، اي المضمون العقلي ، او الشعوري ، والارتباط .

السلوكيـــــة

وقد قامت السلوكية كرد فعل للارتباطية ، وعلى الخصوص كاحتجاج على اعتبار علم النفس (علم الشعور) ، اذ لم يكن السلوكيون يؤمنون بالشعور ، وراحوا يطالبون بمطالعة واقع السلوك في تجربة الشخص ، بدلا من افتراض وجود القدرات العقلية ، وذاتيتها .

لقد ثارت السلوكية(٢) على (البنائية) في علم النفس ، وما تقوم عليه من اساس عقلي ، او شعوري ، واتجهت الى اعتبار الكائن الحي ، ومنه الانسان : ــ كائنا ذا سلوك ــ . وبدلا من ان تبحث في ارتباطات الخبرات النفسية ، او في تداعي المعاني ، والافكار ، صارت تبحث في تداعي المنبه والاستجابة ، حركية كانت هذه الاستجابة او ذهنية .

وقد ساعدهم في ذلك اتجاه المدرسة الروسية في دراسة الانعكاسات ، اذ كان الروس يدرسون الاحساس تحت اسم (الاستجابة) ، واعتبروه استجابة سمعية ، او بصرية ، او ذوقية وهكذا ، كما اعتبروا الصور اللاحقة استجابة مرجاة .

وفي راي السلوكيين ان بامكانهم بحث حقائق علم النفس موضوعيا ، انطلاقا من سلوك الكائن الحي ، في حين ان وصف العقل ، او الشعور ليس امرا جوهريا ، وتحليله لا يجدي .. ولذلك صاروا اكثر فاكثر يردون ما هو كيفي الى ما هو كمي ، ويحاولون قياسه موضوعيا .

وقد ميزوا بين (السلوك الظاهر) ، وهو الذي نلاحظه مباشرة ، او عن طريق التجريب ، وبين (السلوك المتضمن) ، وهو الذي يحدث داخل الجسم ، ويمكن ملاحظته بطرق خاصة ، وغير مباشرة .

القيـــاس العلمـــي

وفي مطلع القرن العشرين ، اتجه علماء النفس الامريكان الى القياس الموضوعي فيما يتعلق بدراسة الفروق الفردية، كما انهمك عدد منهم في بحوث خاصة بالغرائز ، والتعلم ، ووجدوا ان باستطاعتهم التحكم بتجاربهم على الحيوان ، اكثر من تحكمهم بها على الانسان .

وقد اعتمد (ثورنديك) على فكرة المنعكس الشرطي ، والتي ترجع الى بافلوف .. اي كون الاستجابة مستثارة من مؤثر ، ليس هو المؤثر الطبيعي ، واجرى العديد من البحوث على التعلم ، والنوم ، والحالات العصبية .

وهذا الامر ساعد في تحسين القياس العلمي في علم النفس .. وفي راي (مير) ، انه اذا كان من غير الممكن قياس الشعور مباشرة ، فيمكن في الاستجابات قياس الاستثارات العضلية ، والعصبية ، وبالتالي تحديد دلالاتها النفسية .

وقد درس (مير) زمن الرجع في الاستجابة ، عن طريق هذه الاستثارات ، واعتقد (واطسون) ان السلوك الانساني يحدث في عالم يسوده القانون ، والنظام ، واننا عندما نتوثق صلاتنا مع صديق ، فاننا نستطيع مقدما رسم خطة اوضح لما سيفعله في ظروف معينة .

وفي راي (واطسون) اننا يمكننا كتابة علم النفس ، بالتمثل الذي تمثله (بلسبوري) ، اذ عرفه بانه علم السلوك ، دون التراجع مطلقا عن هذا التعريف(٣) ، ودون استخدام المصطلحات الغامضة السابقة ، مثل العقل ، والشعور ، والتصور ، والادراك وغيرها(٤) .

وفي نظره ايضا ان الفكر يتكون من حركات منظمة ، وانه بالتالي (سلوك متضمن) ؛ هو حركات لاعضاء النطق ، والكلام .. في حين ذهب السلوكيون الى اننا نفكر بصوت عال ، وان الفكر هو كلام داخلي ، كما ان الانفعال سلوك حشوي .

وباختصار ، ان (السلوكية) تدرس الحركات القابلة للقياس العلمي في الكائن الحي ، من حيث علاقتها بالمؤثر الذي يسبقها .. وموضوع علم النفس هو اوجه النشاط عند هذا الكائن الحي ، باعتبارها اوجه استجابات لمنبهات ، ويمكن دراستها علميا ، وموضوعيا .

علم نفس الصيغة

وفي المقابل تحزب رواد علم نفس الصيغة للتراكيب ، وبنيتها الداخلية ، واعتقدوا ان تحليل اي من الخبرة ، او السلوك لن يقدم لعلم النفس شيئا هاما ، في حين ان بحث الصيغ الكلية في واقع حياتنا ، سيكون بمثابة كشف عن الاسس الفعلية لخبراتنا في هذا الواقع ، والذي لا سبيل اليه الا تراكيب الصيغ التي تحتويه .

ومصطلح (جشطلت) يعني الشكل ، باعتباره مظهرا للتنظيم الداخلي ، او لنقل هو تركيب اصلي موجود منذ البداية .. ومن حسن الطالع ان المصطلح الذي يقابل جشطلت في اللغة العربية ، هو مصطلح (صيغة) ، ويدل على الشكل وايضا على صياغته ، وبالتالي يكشف عن البناء الصميمي الذي ينتظم الشكل ، وينظمه(٥) .

ويرى الجشطلتيون اننا لا ندرك الا كلا . وانه لا توجد (عناصر) ، وانما توجد اجزاء .. وهذه الاجزاء ليست عنصرية ، وانما هي عبارة عن بناء ، وتدرك بالنسبة الى الكل ، فالمجتمع مثلا كل منظم يتصف بصفات بنائية ، وصفات الكل ليست مجموع صفات الاجزاء ، ولكن (الكل) في صفاته اكثر من مجموع اجزائه .

واللحن الموسيقي يمكن تأديته من مقامات مختلفة ، منخفضة ، او متوسطة ، او عالية ، ان العوامل الحسية الناجمة عن تأديته على هذه المقامات تختلف .. الا ان اللحن ، ككل ، يظل هو هو ، لان له ، ككل ، صفات غير مرتبطة بصفات الاجزاء الداخلة في تركيبه ، وانما هي تعود الى صيغته ، وما له من بنية داخلية تنظمه وتنتظمه على هذا الشكل او ذاك .

المهم هو تعيين طبيعة هذه الصيغة ، والتي هي شيء غير اجزائها ، كما ان صفاتها غير صفات الاجزاء .. وذلك لان (الصيغة) كل لا تعين الاجزاء خصائصه ، وانما خصائصها ككل شيء من طبيعتها الجوهرية ، كبنية واقعية منظمة .

ومن هنا اهتمام الجشطلتيين بواقع الحياة ، بغية النفاذ الى داخل الامور .. وبالتالي بحيثياتها هو موجود فعلا في الطبيعة .. وفي نظرهم ان فكرة تداعي المعاني فكرة مضللة ، وان الاستبطان غير كاف ، لانه يتصدى لاظهار الخبرة بدلا من السلوك ، وفي نظرهم ايضا ان الافعال المنعكسة ، المشروطة او المترابطة ، تظهر مدى التركيب الذي في سلوك ما .

المواقفيـــــة

ولا مراء ان التفسيرات المواقفية تفسيرات صيغية .. كما ان (علم نفس الموقف) هو اكثر فروع علم النفس العام توفيقا بين علم نفس الصيغة ، والسلوكية ، في اتجاه تكاملي ، وظيفي صريح .

وقد رأينا كيف ان (كورت لوين) يدرس السلوك دراسة هي في الاساس صيغية مواقفية ، فيعتبره نشاطا داخل مجال .. وكيف انه يعتبر (الانا) جزءا وظيفيا في المجال الكلي الذي للحياة(٦) .

ان (كورت لوين) كما رأينا يعتبر السلوك وظيفة الشخص وبيئته ، اي دالتهما ، وليس ثمرة التفاعل بين الشخص وبيئته كما يقول السلوكيون .. انه بعبارة اخرى يعالج كلية السلوك في التجربة الشخصية وما يحيط بها من ظروف معينة .

تضاف الى ذلك الاعتبارات الزمانية التي افسح (علم نفس الموقف) لها مكانا في دراساته ، عند دراسة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المواقف استنادا الى العوامل المؤثرة فيها في ظروف معينة ، ووقت معين .

وحقا لقد تباينت آراء علماء النفس المواقفيين بالنسبة للابعاد الزمانية ، الماضي ، الحاضر ، المستقبل ، واثرها في السلوك ، والموقف ، والخبرة ، والقدرة النفسية ، ولكنا ذكرنا ان (كورت ليفن) يحرص في دراسة السلوك تبين الحوادث السابقة مباشرة عليه في موقف ما ، او ايضا الحوادث المعاصرة له .

ومن ذلك ايضا اهتمام المواقفية بأرضية المنبهات ككل ، او لنقل اهتمامها بالجو العام كمجال ، او اتجاهها الى وصف التراكيب باعتبارها معطيات التجربة الشخصية، او تفسير الظواهر النفسية بالنسبة للكل المواقفي للشخص في الحياة ، واظهار حركيتها ، ودلالاتها .

ان (المجال السلوكي) في نظر المواقفية مجال طبيعي ، هو نفسه المجال النفسي ، كما سنرى بعد قليل ، اذ ان المواقفية تعتبره مناطق للقوى المختلفة ، المتنافرة منها او المتجانبة ، فتدرس صلات (الأنا) به ، او صلاتها بسلوكها ، ومواقفها فيه ، والمؤثرات التي وراء ذلك كله .

الكل وخصائصه الطبيعية

(المجال) ، ككل ، ليس مجموع معطياته الجزئية .. انه صيغة طبيعية ، هي تنظيم يقوم بكليته ، ويتوازن وفق بنيته الداخلية ، وبالتالي وفق امكانيات الاوضاع في وقت معين .

بعبارة اخرى ، انه كل ذو خصائص تعود الى طبيعته .. ومن هنا سيقول المواقفيون بالبديل المواقفي ، اي الظاهرة التي تقوم بديلا لاخرى ، وتحقق التوازن الصيغي للمجال .

الملاحظة ان المواقفيين يتحدثون عن كلية المواقف ، او ايضا كلية المجالات ، ويقولون بموقف كلي ، وايضا مجال كلي ، كما يقولون بالصيغة الكلية ، او الوضع الكلي ، وهكذا دواليك .

والمواقفيون مثل رواد علم نفس الصيغة يبدأون بدراسة (المجال) ، وهم في ذلك يسوون بين الوراثي والبيئي .. لان التفاعل مستمر بين ما هو فطري ، وما هو مكتسب ، ودراسة السلوك كما يظهر في المجال تتطلب تحديد شروطه في كليته ، دون التفرقة بين ما هو للفرد ، وما هو للمجتمع .

ان اثر المجتمع ، او لنقل البيئة على الشخص ، في نظرهم ، ليس مستقلا عن تراكيب المجال ، ولا عن اوضاع الشخص ، ومواقفه .. ومعنى هذا اننا منذ البداية امام الكائن الحي باعتباره جزءا من المجال . والذي بدوره يبدو تارة واخرى ثقافيا ، او تاريخيا ، او آنيا راهنا .

واما المسائل الناجمة عن الكثرة ، او التعدد في المجال ، فانها مبدئيا ، ومنهجيا ، تستقطب (الوحدة) ، وذلك لان المواقفيين ، شأنهم في ذلك شأن كثير من الواحديين يبحثون باستمرار عن الوحدة في الكثرة .

انهم يكتفون بوصف المواقف العادية ، والاخرى البديلة كما قلنا ، باعتبار كل منها اوجها طبيعية للاوضاع ، وحركيتها ، ولكنهم لا يلجأون الى (الجدل) ، وقوة النفي ، من أجل تبرير هذه الوحدة(٧) .

ومن هنا كانت المواقفية ، مثل علم نفس الصيغة بنائية ، تقول بمضمون منظم ، تقربه في كليته ، ووحدته .. دون ان تتنكر لتحليل عناصره ، او اجزائه .

ان المواقفيين لا يتنكرون للتحليل ، رغم ان نزعتهم كلية ، ولذلك هم يعزلون العناصر ، والاجزاء ، ويحللونها داخل (الكل) .. وفي اعتقادهم ان الكيلة هي في الوقت (وحدة) لبنيتها ، أيا كانت الاوضاع الراهنة ، ومظاهرها .

وهذا معناه ان العناصر ، والاجزاء موقفيا تدرس بالنسبة للكل ، والذي له صفة الوحدة البنائية .. خذ مثلا احوال النكوص ، او الانتماء ، او العمل الجماعي ، او ارتباطات الزعامة ، فان اوصاف العناصر ، والاجزاء لا تنفي خصائص صيغتها البنائية ، في الوقت الذي هي دائما تحت اثر هذه الصيغة ، والتي هي وحدة كلية منظمة ، لها مع هذه العناصر ، والاجزاء علاقات تعددية(٨) ...

المعادلة المواقفية

كانت السلسلة السلوكية عند الارتباطيين ، والسلوكيين ، هي الارتباطات بين المنبه ، والاحساس ، وما يترتب على هذا الاحساس من رد فعل عند الكائن الحي ، بحيث تكون(٩) معادلة هذه السلسلة ، كالآتي :

منبه ــ كائن حي ــ استجابة

الا ان المواقفيين ، وانصار مذهب المجال قالوا ان الذي عندنا هو الكائن في مجال ، وبالتالي الموقف فيه ، بحيث لا يخرج (السلوك) عن المجال ، وانما هو جزء منه ، ومترتب عليه ، والمعادلة تصبح آذن :

موقف في مجال ما ــ كائن حي في هذا المجال

وذلك لان (الموقف) ليس جزئيا ، ولا هو شيء مغلق على نفسه ، وانما هو جزء من كل ، ويدرس بالنسبة الى هذا الكل .. و (الاستجابة) هي اذن ، نتيجة ما يعتري المجال من تغيرات ، وبالتالي ما تكون عليه مواقف الشخص في هذا المجال .

ومن هنا يقرر المواقفيون ، ان (المجال) يتسع عادة لعدد من المواقف :

مجال ـــ موقف ١ و ٢ و ٣ و ٤) الخ ...

الامر الذي يعود في الاساس الى الشخص ظروفه ، وامكانياته ، ويكشف عن النزوع ، وايضا الجانبين الشعوري واللاشعوري عند هذا الشخص .

ولذلك عندما اخذ كورت لينن يحدد (السلوك) ، وجد اننا علينا الرجوع اولا الى اثر المنبه في الموقف ، بموجب المعادلة :

المنبه ـــ الموقف

وليس بموجب المعادلة السلوكية التي تجعل الاستجابة ثمرة المنبه :

المنبه ـــ (كائن حي) ـــ الاستجابة

وذلك لان نفس المنبه قد يثير مواقف مختلفة ، كما في المعادلة التالية :

منبه ـــ موقف ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ ...

والمسالة من جديد تعود الى الشخص ظروفه وامكانياته ، وتبرز مكان المنبه في (النظام العام) لحساسية الشخص ، واستجاباته .

السلوك كدالة

كان (السلوك) هو ثمرة الاستجابة ، وبالتالي حصيلة المنبهات ، ولكن المواقفيين اعتبروا السلوك ثمرة الموقف ، بفعل ان (المنبه) قد يضيع اثره في الموقف الواحد ، او يعطي مواقف متعددة كما رأينا .

ومن هنا انصرفت عناية المواقفيين الى تبين (نظام المنبهات) ، واعتبار انه مترتب على حالة الشخص في مجال ما .. و (السلوك) في ذلك ، كما رأينا ، هو دالة الشخص وبيئته :

س = د (ش.ب)

وذلك لانه مظهر مواقف الشخص ، في ظروف معينة .

خذ مثلا الموقف الطبيعي ، او لنقل الحياتي والعادي للطفل في مجال معين .. انه مترتب على نمو هذا الطفل ، وطباعه ، وتصوراته ، ومعتقداته ، وصلاته الاجتماعية ، والجو العام الذي يعيش فيه .

ان عالم الاطفال في تغير مستمر ، كما انه يختلف في حيثياته وخصائصه من طفل الى آخر ، بحسب ظروف الطفل .. الامر الذي يعكس اثر المجال في الطفل وعالمه ، ويتطلب منا تحديد العوامل التي تتدخل في نمو الطفل وشعوريته .

ولكن عالم الكبار ، كما سنرى ، هو عالم اخذ وعطاء ، وتظهر فيه آثار الفرد ، نبوغه وايضا ارادته ، بحيث يكون التبادل بين الشخص والبيئة تبادلا وظيفيا ، كالآتي :

ب = د (ش) ، وش = د (ب)

مما يعود ، في الاساس ، الى الارتباطات الفعلية الاجتماعية والتاريخية المختلفة .

المجال الحيوي

ومن حيث ان كلا من السلوك (س) ، والشخص (ش) ، والبيئة (ب) هي (متغيرات) ، يستطيع كل منها ان يأخذ اية قيمة ، دون ان تكون مستقلة بعضها عن بعض ، وانما هي باستمرار مرتبطة بكلية التجربة الشخصية في الحياة ، فقد اقترح (كورت لينن) ان تسمى المجموعة المنظمة للسلوك بالمجال الحيوي ، ومعادلتها كالآتي :

س = د (ش.ب) = د (مح)

اي ان السلوك مترتب على (المجال الحيوي) ، والذي هو الحياة ، بكل زخمها الشعوري واللاشعوري .

(المجال الحيوي) له بناء خاص ، اذ انه يحتوي على مناطق قوى ، ينشأ عنها التوتر ، والصراعات ، كما انه بدوره يؤثر في البناء الذي عليه ان يتبدل ، وفقا لعلاقات الشخص بهذه المناطق .

ان الانا ، كما قلنا ، لم تكن في البدء ، ولكن الانا هي جزء من المجال الحيوي ، اي من الحياة ، ومن هذا الاعتبار الزماني في المواقفية ، اي ربط التفسيرات بالمجال الراهن ، وايضا الموقف الراهن .

و (المجال الراهن) يصبح مجالا نفسيا يعين السلوك .. ومن حيث هو كذلك ، فان كل ما من طبيعته ان يؤثر في (السلوك) في وقت ما يجب ان يمثل في المجال ، كما هو في هذا الوقت بالذات ، وسبق ان شرحنا ذلك .

ان الوقائع التي من شانها ان تؤثر في السلوك هي جزء من (المجال الراهن) ، وعلينا في تفسير السلوك ان ندخل في اعتبارنا الحاجات ، والنزعات ، والميول ، والاغراض ، كما قلنا ، كما نتفحص ابعاد الماضي ، والحاضر ، والمستقبل في تجربة الشخص ومواقفه ، باسقاط ذلك كله في المجال الراهن .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من مراح الصبا

انـــت التي ايقظت في محبتـــي ... وغدوت من كل الوجود رغيبتي
ماذا اقول وقد بدت لك صبوتي ... ملتاعـــة في نظرتي او همستي
مـــاذا اقول وفي الجوانح هيكل ... انشاته لـــك من صفي مودتي
واقمت في محرابه لـــك صورة ... عصماء تلهمني وتؤنس وحدتي
في هيكلي اتلو الذي قـــد قلته ... واهيب بالماضي ليبعث نشوتي
واذا بطيفـــك يستجيب للهفتي ... واراه في وهمي يكفكف دمعتي
يا ما احن الطيف لو ان التي ... بعثت به صدقت ، وداست شقوتي
القـــاه يؤنسني ويهمس حانيـــا ... متلطفا ، يـــا ليته انـــت التي
ماذا علـــى يدك التي اشتاقها ... عند التحية لـــو تحادث راحتي
جودي بعطف قد نسيت مذاقه .. ... الله في عوني وعـــون صبابتي
جودي فان اضناك ملمس راحتي ... مما الـــم بها وبي مـــن حرقتي
فدعي التحيـــة بالعيون رسالة ... وتقبلي عنـــد اللقـــاء رسالتي
ماذا اقول وقـــد علمت بدايتي ... وعلمت من لغة العيون نهايتي

القاهرة — احمد عبد المجيد

وقائع المجال النفسي

المجال الراهن هو المجال النفسي ، كما قلنا ، وله خصائص عامة ، يجب تحديدها ككل ، عن طريق البحث في (الجو) الذي يعيش فيه الشخص ، هل هو متوتر ام متماسك ، ام مسالم ام مسامح ، والتعرف الى (الحدود) والحواجز التي تقوم كعقبات في وجه الشخص ، وتحول دون تحقيقه اهدافه .

ان (المجال النفسي) ، كمجال راهن ، هو اذن حقائق واقعية ، او وقائع يمكن تحليلها علميا .. المهم ان نعرف الشروط الطبيعية ، والاجتماعية للموقف ، لانها هي التي تحدد مدى التغيرات التي تطرأ على المجال الحيوي لكل شخص .

والموقف ، كما راينا ، لـــه جانب طبيعي ، وآخر اجتماعي ، ولا يقل احدهما عن الآخر اهمية ، بحيث ان العوامل الطبيعية ، مثل العوامل الاجتماعية تعتبر حدودا تحد مدى تغير السلوك عند الشخص(١٠) .

واشكال السلوك ان هـــي الا تغـــير في اوضاع الشخص ، ولذلك يقرر (كورت ليفن) ان المعاني الاساسية التي لا بد منها لتصور المجال النفسي هي ثلاثة : القوة النفسية ، والوضع النفسي ، وامكانية الموقف ، وفي الاعداد القادمة نتابع البحث في ذلك ..

دمشق — عدنان بن ذريل

---

(١) — في حين ذهب (سبنسر) الى ان — الصدمة العصبية — هي العنصر النفسي البسيط ..

(٢) — علم النفس في مائة عام ، لفلوجيل ، ص ١٧٥ ، وسبق التنويه به ..

(٣) — ميادين علم النفس ، ج ٢ ، ص ٩٧٦ .. وقد نوهنا به ..

(٤) — وفي رأي (لاشلي) ان السلوكـــي ينكـــر الاحاسيس ، والتصورات ، وكل الظواهر الاخرى التي يحاول الذاتي الوصول اليها عن طريق الاستبطان ، انظر فلوجيل ، ص ١٧٧ ..

(٥) — في حين ترجم الى الفرنسية بفورم ، اي الصورة ، المصطلح الذي له تراث طويل في الفلسفة ، والعلم كافة ..

(٦) — انظر بحثنا الشخصية والموقف، في الاديب، عدد مايو ١٩٧٨ .

(٧) — وقد قال (التوسر) بالتحديد التعددي في اتجاه بنيوي مادي ، فجمد الجدل حتى كاد يهمله ، ولكن في اعتقادنا ان الاخذ بجدل التعدد هو الافضل ظواهريا ، وواقعيا ..

(٨) — وقد كتبنا العديد من الابحاث في علم الجمال ، والاسلوبية ، والنقد الادبي عن العلاقة التعددية وذاتيتها في النفي ..

(٩) — تجد في كتب علم النفس شروحا لهذه المعادلات ، ولكن وفاء للمنهج ، واجلالا للعلم نسجل اننا اعتمدنا هذه التحليلات على امالي استاذنا المرحوم (يوسف مراد) في الجامعة المصرية ..

(١٠) — بعبارة اخرى ، السلوك جزء من المجال الحيوي لانه نتيجة تركيبه في وقت معين ، انظر بحثنا السابق الذكر في الاديب الغراء ، والى اللقاء ..

الى روح متفيي معلوف

يوسف الحداد

*

ايها الغائب عن شط المنى ... كي تعيد الغوص في بحر المنيه
لم يفت قاربك المنساب في ... لجج التذكار : فجر وعشيه
خاليا من لؤلؤ نضدته ... حمل اكتاف الرمال الذهبيه
كم حلى أعطيت حتى لم يعد ... قيمة للبحر لو زاد العطيه
كم صدى ملحمة أبقيت من ... ثروة الفكر ويسر الاملعيه
ولمن أوصيت بالكنز الذي ... تعبت في جمعه الكف الثريه
ومن الوراث : روض مزهر ... وربى خضر واقفار نديه
ربما أخفت رياح المنحنى ... بين « ناديك » و « واديك » الوصيه

من كتاب « العبقريين » رأى ... خاف ان تعمى ثكالى العبقريه
ندر الحرف الذي فيه بدا ... غائبا عن ريشة السحر الخفيه
فيه كم اسطورة غامضة ... حولتها دقة الوصف جليه
واسال الاوراق كم قبلتها ... كي مرارا اقرأ الآي السنيه
كلما صافحني آخرها ... عدت أتلو الكلمات الاوليه
فكان الافق رسم في يدي ... وانا احمي الخطوط الافقيه
اخطىء العد فالوي راجعا ... لحسابي بتأن ورويه

لا تقل جاء وصلى وبكى ... مثلما تقضي دواوين البليه
ما بصوت الخاشع الجم الاسى ... التقي ورد الشهور « المريميه »
لا دموع الحور بلت جانحي ... لا سيول التل والوادي الاتيه
فيدي من كل عرس في القرى ... حملت دفا ونقلا وهديه
زدت تابوتك نقرا فهو من ... نوع اخشاب الدفوف الجبليه
وابتلى الاكفان لمسي فهي من ... غزل منديل الفتاة القرويه
والى الاحجار كم عيني رنت ... خلتها من تربة الارض القصيه
بعضها من تتف « الوادي » ومن ... رأس « تل الشيخ » والريح البقيه
وعليها طابع الصخر الذي ... هو في « لبنان » رمز الوطنيه
وقف الزهو بساحات الاسى ... فالاسى في موقف الزهو غريه
من راينا زينة الافق له ... يغنى عن دمعة الارض السخيه

اين مني اليوم افق نير ... بعد افلاك العشيات القصيه
ليعد غيري فتى الخلد بما ... هل من ضوء القباب السرمديه
فخلودي نجمة قد لمعت ... في ضياء « المعصبة الاندلسيه »
يوم لا « فرخ سحاب » في الفلا ... زقمت غيري مصابيح البريه

لـك ربي كيف جـزت الوعر لا ... عثـرة صادفت لا ارضـا قسيه
مهـد الدرب فقـد آتـي غـدا ... حامـلا انقـال عمـي الطائفيه
و « امين » يوم جاب القفر كـم ... ود لو كان « شفيق » في المعيه
فطـوى مرحلـة ، مرحلـة ... دربـه يفتقـد الـروح الوفيـه
واذ الركـب خـلا منهـا فـلا ... ملكـا حيـا ، ولا ناجى حظيه
مـن رجا في العمر شيئا ربمـا ... في حمى الموت يرى تلك الرجيه
فمضـى كـل الـى جنتـه ، ... بالشذى لا بالقوارير الشذيـه
لا « ليالي الرقمتين » احتجبـت ... لا مغاني « عبقر » اضحت قصيه
حبـذا لـو كـان حظـي منهما ... حظ هدب العين من عرف الحنيه
وباطزائهمـا مهمـا اجـد ... ابـق في الكون القليـل الاريحيه
بقـي الزاد الذي غـذى الرؤى ... مـذ نمـا حقل علومي النظريه
من لها في « جبل الباروك » مـا ... لـي « بوادي زحلة » ظلت فتيه
زوض عمري مقعـد مـن خشب ... لـم تفارقـه ظلالـي المدرسيه

سـل اخـا الدرس نقـولا هـل سلا مـا نظمنـا في العقود الاخويه
اثمـن الـدر واعلى مـا قتـى ... مـن حلى الدهر : غنـي وغنيه
همـزة الوصل شعاري في النوى ... لا « ضمير الشان » لا « واو المعيه »

ايهـا الطاوي شبـاك الصيد في ... ساحل المرجان عـن حسن طويه
قـل لتمسـاح « الامازون » اذا ... لـم يعد يلقاك بالنفس الرضيه
صائد « العنقاء » و « الرخ » مضى ... حيث مـن سربيهما ظلت بقيـه
ربمـا لان لمـدح قلتـه ... في فتـى « لارا » فـود البشريه
مـن الـى جنيـة البحر رنـا ... وهـو يلهـو بالمجانيف العصيه
وبانفـاس المناجـاة يقـي ... طرفه الساجي مـن الريح العتيه
لـو « بلارا » قـال شعرا ثانيا ... لاستحالت قطـرة المـاء خليـه
لـو محا بيتا من الوصف الذي ... غمـر الدنيا لساعت كـل نيـه
هـل ترى مـذ نظم الدر لهـا ... قـام في صقـل المرايـا العلويه
فـاذا في عالـم الفتـح لـه ... شهـرة النصر بحـرب عالميـه
كيـف لـو حـدث كأسي عربها ... عـن عباءات الحريـر العربيـه
لولهـا وشـى بـرودا غـيره ... ظـل بين الخلق مجهول الهويه

ايـن « لارا » اليوم مـن فاتنها ... ايـن أعـراس الميـاه الازليـه
ان في اغنيـة البحـار لا ... في صراخ المـوج ذكراها الشجيه
كلمـا غطـى بـرسم كـوة ... نفـذت منهـا الريـاح العنبريه
او طـوى اشرعـة خفاقـة ... حجبـت عنـه الستـور المخمليه
وتـوارى ناظـر البحـر فهـل ... غـر عينيـه خضـم الابديـه
واختفـت « لارا » فهـل قدمهـا ... ملـك الجـن لانسـي ضحيـه
ان مـن حـام علـى موردهـا ... جـاز اغـوار الشطوط الزمنيه
قلمـا فاتتـه يومـا نظيرة ... عبـر أحواض النهـور الكوثريه
او حديـث عـن هـوى واردة ... عاش في ظـل الجـرار الاثريه
لا تسـل كـم مـرة ذكرنـي ... وهو يروي قصص الظمأى الشهيه
« بالمسيح » الواقف الصادي على ... « بئر يعقوب » ولقيـا السامريه
وهـو بعض المـاء منهـا يبتغي ... وهـي تسخـو ... البابليـه
لـم يـرو الفـل مـن جرتهـا ... حـين صبت قطرة الدمع النقيه
فكـان الهـدب والعـين علـى ... طـرق الوراد : حبـل وركيـه

لم تغادر غيمة الفصل ولا ... ريحها جو فقيد الشاعريه
هل حلت ذكراه حتى لم نعد ... في الورى نلقى نسيا أو نسيه
هل حدا الركب لتجواه فلم ... يخل قفر من نجي أو نجيه
هل خلا من حمل هم فاذا ... عالم الشجو : خلي وخليه
هل بمن زار احتفى حتى أبى ... أن يرى غير حفي وحفيه
هل أبى أن يصف الحرب فما ... ظل في الساح كمي أو كميه
هل رعى الفطنة حتى عز أن ... نجد اليوم غبيا أو غبيه
هل ترى احيا المروءات فلم ... تفتقد أرض سريا أو سريه

اسأل الراني الى اللهو على ... ضفة النهر بلا رشق حصيه
اين من ينثر عقد الشمس ان ... زاد لعبا بالحصى قلب صبيه
وهي في الظن حلى باقية ... من هوى (قيس) و (ليلى) العامريه
يوم راعي البهم لا بهم رعى ... انما رواد ارض الجاهليه
كلما جرحا تذكارا راى ... في حمى الباكي على فقد الحميه
او اذا ضل عن الدار التي ... اسعدت صاحبها النفس الشقيه
او اذا كسر خباء عثرت ... فيه من يهوى فلم ينس الاذيه
او اذا من ربع « ليلى » حملت ... نسمة رائحة المسك الذكيه
او اذا مر باتراب لها ... فابتلى اليبس الافانين الطريه
او اذا يوما ابى الزجر فلم ... تعجم العود الاصابع القويه
او اذا حياه صب والله ... وهو لا يقوى على رد التحيه
او اذا بان عجي لم يعد ... يلتقي في مورد الابل عجيه
او اذا عادت به الذكرى الى ... من قنى الخيل ولم يسرج مطيه
وارتضى المشي على غير هدى ... في ليالي الوهم واليأس الدجيه
او اذا حن ولا شيء ابتغى ... غير ردع النفس عن كل بغيه
او اذا اغمض عينيه لكي ... لا يرى غير الاساريرر البهيه

قل لمن يستنبط الآلات ما ... هو بالآلة سر المدنيه
لو خلا من نسمة الشعر الورى ... لم تغب عنا العصور الحجريه
كم لذات لم يقيموا نصبا ... وهي بالانصاب كم تبدو حريه
يوم تمثالين في « الوادي » أرى ... يعرض « التل » رسومي الفلكيه
والتماثيل التي ترفع من ... دون خفض الراس اشياء زريه
واذا للرسم لم يضحك فم ... خف وزن الدمع في العين البكيه

ايها الناسج من غزل الاسى ... لك ثوبا كل صبح وعشيه
لا تقف الا على قبري غدا ... لترى كيف وهى حبل الرزيه
في يد ما صافحت غيري بلا ... هز اعواد القنا والسمهريه
قلما تبلغه الريح التي ... حملت طيبا من الارض الزكيه
او على كتفيه تلقي حملها ... غيمة ضلت عن الدرب السويه
او يوافيه بلحن بلبل ... نفض المنقار في الدور الخليه
لو قضى بالصد عنه اليوم من ... ود قلبي ظل لي كسب القضيه
سل غدا عن جبل الكحل اذا ... ما أطار العصف من عظمي شظيه

كراكاس ــ فنزويلا ... يوسف الحداد

اول كتاب عربي طبع - القرآن الكريم متى طبع ومتى ترجمت معانيه

بقلم يوسف اسعد داغر

* * *

اول كتاب عربي على الاطلاق اخرجته المطابع

يدور هذا البحث حول اول كتاب عربي اخرجته المطابع ، اي حول الطباعة العربية في المهد ، اي في بدء ظهورها .

لا يهمنا هنا ان نبحث باستفاضة في تاريخ ظهور الطباعة في الغرب ، ولا على يد من تم هذا الكشف العلمي الذي جاء ظهوره انقلابا جذريا في امور الفكر وتطور الثقافة والتعليم والمدرسة . والثابت علميا وتاريخيا ان فن الطباعة ظهر في الغرب على يد فريق من الفنانين يتمثل في هذا الثالوث الذي تألف من يوحنا غوتنبرغ ، وهو اشهرهم وفوست وشوفر . فالاختراع المائي الاصل والمبدأ من حيث مخترعوه والتربة التي تم فيها .

والثابت تاريخيا ان اول كتاب اخرجته المطبعة هو التوراة المعروفة بتوراة الـ ٤٢ سطرا للصفحة ، جاءت معها التوراة المطبوعة بكاملها في مجلدين ضخمين من القطع الكبير المعروف بحجم In-folio بلغة الطباعة يتعان معا في ١٣٠٠ صفحة . باشر غوتنبرغ بطبعها في مطلع عام ١٤٥٢ وفرغ منها قبل الرابع والعشرين من شهر آب ١٤٥٦ .

وتعرف طبعة التوراة هذه ايضا بالتوراة المازارينية للعثور على اول نسخة منها في مكتبة الكاردينال مازارين الوزير الداهية الذي خلف الوزير الكردينال ريشوليو وزيرا للملك لويس الرابع عشر في الفترة التي سبقت رأسا توليه مسؤوليات الحكم والعرش مباشرة ، اي في هذه الفترة الواقعة بين ١٦٤٣ — ١٦٦١ .

لا يزال يوجد من طبعة غوتنبرغ الاولى للتوراة ١٧ نسخة كاملة من اصل ١٢٠ نسخة التي تألفت منها الطبعة الاولى . والنسخة من هذه الطبعة اليوم غالية الثمن جدا بحيث اذا اتفق وعرضت منها نسخة للبيع بيعت بأغلى الاسعار . فقد بيعت منها نسخة بالمزاد العلني في لندن عام ١٨٩٧ بـ ٤٠٠٠ ليرة استرلينية ، كما ان احد الاثرياء الامريكيين توصل عام ١٩٢٦ الى شراء نسخة بمبلغ ١٢٠ الف دولار ، اشتراها من دير « ملك » في النمسا وقدمها هدية لمكتبة جامعة ياييل في نيو هايفن في اميركا .

يحق لنا بعد هذا ان نتساءل هبا معا ما هو اول كتاب عربي اخرجته المطابع واين كان ذلك وعلى يد من انجز هذا العمل يا ترى ؟

من الثابت تاريخيا ان اول ابجدية عربية كاملة ظهرت مطبوعة في كتاب من كتب الرحلات وضعه برنارد دي برايدنبرخ باللاتينية وصف فيه رحلة له الى الاراضي المقدسة بفلسطين ، بعنوان : « رحلة الى ما وراء البحار لزيارة القبر المقدس في مدينة القدس » وقد رافقت هذه الابجدية ، طريقة النطق بها في حروف لاتينية ، وكان في الكتاب خريطة مدينة القدس .

وكان لا بد من انتظار ست سنوات بعد ذلك حتى تدعو الحاجة الى طبع كتاب عربي في اوروبا . فقد تم على يد الملكين فردينان وايزابيل فتح مدينة غرناطة عام ١٤٩٢ وراحا يعملان على ردة المسلمين الاندلسيين الى الدين المسيحي فكلفا جماعة من المبشرين القيام برسالة التبشير بين السكان . وسرعان ما بدت الحاجة الى استعمال اللغة العربية لبلوغ هذه الاهداف . فكلف مطران غرناطة الجديد رجلا من مدينة سلامنكا الجامعية ان يطبع له كتابين وضعا للمبشرين الذين يجهلون اللغة العربية . فصدرا في غرناطة احدهما في ١٥٠٥/٢/٢ والثاني في السنة نفسها . وكان عنوان الاول : « وسائل تعلم اللغة العربية ومعرفتها » — وعنوان الثاني : « معجم عربي بحروف اسبانية او قشتالية » . وكانت الصفحات الاحدى والعشرين الاولى من الكتاب الاول تدور على قواعد اللغة العربية والصرف والنحو ، كما كانت الصفحات السبع والعشرون التالية تشتمل على صلوات كاثوليكية باللغة العربية وصلوات التداس بالعربية . ومن صفات هذا الكتاب انه يكون اول محاولة لنقل الحروف العربية الى حروف اوروبية ، اما الابجدية الواردة على ظهر الورقة العشرين فهي الابجدية الافريقية .

منذ سنة ١٤٨٨ اهتم المستشرق الايطالي الاب اوغستينوس غويستنياني بنشر الكتب المقدسة بالعربية والكلدانية والعبرانية واللاتينية ، ولما رقاه البابا ليون العاشر ، في شهر آب ١٥١٦ ، مطرانا على ابرشية مدينة نبيو ، اهدى غويستنياني الى قداسته كتاب المزامير المطبوع بخمس لغات اساسية هي العربية والكلدانية واليونانية واللاتينية والعبرية . وكتب غويستنياني اهداءه الى البابا باللغات الخمس جميعا . وقد تم طبع هذا الكتاب على يد بيير بول بوروس في شهر ايلول من تلك السنة .

الا انه كان صدر في ١٢ ايلول ١٥١٤ في مدينة فانو كتاب بقطع الثمن ما زال يعد حتى اليوم ، في نظر بعض

المستشرقين ، المطبوعة العربية الاولى ، تولى طبعه طابع من البندقية اسمه غريغوريوس غريغوري : بمساعدة البابا يوليوس الثاني . والكتاب المذكور هو Horlogion المعروف في الكنيسة الشرقية بكتاب السواعية في ١٢٠ صفحة غير مرقومة وفي كل صفحة ١٢ سطرا وفي الكتاب صلوات الطقس الملكي .

وفي سنة ١٥٣٨ اصدر غليوم بوتيل في باريس كتاب الصرف والنحو العربيين . اما العربية الاصلية فقد استعملت في كتاب : « اعتقاد الامانة الارثوذكسية » الصادر من معهد اليسوعيين سنة ١٥٦٦ — اما تحفة الطباعة العربية في القرن السادس عشر فهي دون منازع ، كتاب الانجيل المطبوع سنة ١٥٩١ بمطبعة آل مدتشي . وهذا الكتاب هو اول مطبوع عربي مصور . وبعد ذلك بسنتين اي في سنة ١٥٩٣ صدر باللغة العربية كتاب القانون في الطب لابن سينا . فكان هذا اول كتاب عربي ضخم جرى طبعه في العالم ومن هذه الطبعة كان يوجد نسختان في دار الكتب اللبنانية ابتعنا احداهما لحساب الدار من المرحوم الشيخ حرب الخازن من بلدة بلونة . فهل تزالان ، يا ترى في دار الكتب اللبنانية وبحالة مرضية ؟ فما هي صحتها فيها الآن واي حال هو حالهما اليوم ؟

هذا بعض ما نعرف من امر الطباعة العربية الاولى ، في عهد كان فن الطباعة لا يزال بعد في المهد ، ولهذا نطلق على بواكير الطباعة ، سواء اكانت غربية افرنجية او عربية ، اسم « المهديات » .

متى طبع القرآن الكريم لاول مرة واين ؟

راينا فيما تقدم كيف تم اختراع الطباعة في اواسط القرن الخامس عشر ، على يد غوتنبرغ كما هو شائع وفريق ممن تعاونوا معه على تطوير هذا الاختراع ، والكتاب الاول الذي اخرجه وهو التوراة المعروفة بتوراة الاثنين والاربعين سطرا في الصفحة الواحدة او التوراة المازارينية .

كذلك نوهنا باول كتاب عربي اخرجته المطبعة بعد اكتشافها وذلك سنة ١٥١٤ ، وهو الكتاب المعروف بالهورولوجيون او السواعية .

اي متى طبع القرآن الكريم لاول مرة بالحرف العربي ؛ واين تم ذلك ، وعلى يد من يا ترى ؟

نزل القرآن الكريم على الرسول العربي محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وسلم) فتلقنته اذهان المسلمين ووعته الصحابة في الصدور الى ان جاء ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان يجمعه من حملته والمواد المختلفة التي كتب عليها ، خوفا من ضياعه بضياعها او بموت حملته من الرجال مع حروب الفتح . وبذلك حفظ القرآن من الضياع واخذ المسلمون يعملون على استنساخه والاكثار من نسخه وفقا للصورة التي استقر عليها مع الخليفة عثمان بن عفان ، رضي الله عنه .

الثابت تاريخيا ان القرآن الكريم طبع بحرفه العربي الاصيل في الغرب قبل ان يطبع في اي بلد اسلامي ، وذلك بنحو مائتين وخمسين سنة على اقدم طبعة ظهرت منه في الشرق الاسلامي . فمن قام بهذه المهمة يا ترى ؟ واين تمت طبعة القرآن الاولى ؟ ومتى حصل ذلك ؟ — اسئلة محرجة ترتسم على الشفاه كان من الصعب الاجابة عليها ببرهان ودليل . وبعد ان احرجتني هذه الاسئلة رحت بدوري اطرحها على الكثيرين من الراسخين في العلم من علماء الاسلام في هذا البلد وعلى عدد من اساتذة الجامعات في بيروت لعلي احظى منهم بما يفيد ، فلم اظفر بطائل . فرحت ابحث عن هذا الامر في هذه الابحاث المستفيضة التي عقدتها الموسوعات العالمية الكبرى : كدائرة المعارف البريطانية والاميركية ، والموسوعة الايطالية ، ودائرة المعارف الاسلامية ، لكلمة قرآن او لتاريخ الطباعة ، فلم استفد شيئا فيه بصيص نور . فرايت ان اعود الى الكتب التي تبحث في تاريخ الطباعة في الغرب وتطورها عبر الاجيال فلعل فيها الخبر المرتجى والجواب الشافي والخبر اليقين . وبالفعل فقد عثرت في احد هذه الكتب وهو للمؤرخ الانكليزي ستاينبرغ وعنوانه « الطباعة في خلال خمسمائة سنة » فقرة حملت الي بصيصا من النور واضاءت امامي السبيل ؛ فقد جاء في الصفحة ٥٠ مما ترجمته بالنص الواحد : « وفي سنة ١٥٤١ قام يوهانس اوبورينوس بطبع ترجمة معاني القرآن الى اللاتينية في مدينة بال في سويسرا كان لا بد من تدخل لوثر نفسه للتغلب على موقف المجلس البلدي العدائي الذي اخذ يعارض طبع هذا الكتاب لما يمثله من خطر . فدعاه لوثر للتساهل بهذا الشأن ولا ان يحذو حذو السلطة الكنسية التي امرت باحراق طبعة القرآن بالحرف العربي التي تمت في مدينة البندقية منذ بضع سنوات . وقد راح لوثر من جهة اخرى يلون بما يجلبه التعرف على القرآن من مجد للسيد المسيح وخير للمسيحية وضر للمسلمين واغاظة للشيطان » .

وهكذا صدرت الترجمة اللاتينية لمعاني القرآن عام ١٥٤٢ ، تحمل مقدمتين احداهما للوثر نفسه والاخرى لمساعده الايمن هيلنكتن احد كبار حملة الثقافة العالية في ذلك العصر .

وذكر هذه الطبعة العربية للقرآن المفهرس الهولندي المشهور اربانيوس وذلك في الصفحة ٨ من الفهرس الذي اعده للكتب العربية ، والذي ظهر في ليدن عام ١٦٢٠ ، ويشير ان طباعة القرآن هذه تمت في البندقية في مطبعة بغانينو دي بغانيني سنة ١٥٣٢ ، واضاف قائلا ان كل نسخ هذه الطبعة قد احرقت بعد ان صدر الامر باحراقها .

وقد ذكر هذه الطبعة العربية الاولى للقرآن ، المفهرس الالماني شنورر ، في كتابه الذي صدر باللاتينية عام ١٨١١ بعنوان « المكتبة العربية » ، وهو فهرس استعرض فيه

اسماء الكتب العربية التي طبعت في اوروبا حتى تاريخ صدور كتابه هذا .

وقد نوهت المستشرقة الايطالية اولغا بنتو في كتابها المعنون : « المؤلفات الايطالية في الاسلاميات » بهذه الطبعة الاولى للقرآن .

ويرى بعض مؤرخي الطباعة وتطورها في الغرب ان هنالك طبعة للقرآن اقدم من الطبعة السابقة . فاسمع ما قالته المستشرقة الايطالية المذكورة نورده بالحرف الواحد : « للطباعة العربية في ايطاليا تاريخ مجيد طويل الامد ، انها قامت في القرن السادس عشر فتطورت بفضل عناية بعض رجال الكنيسة ونصراء العلم ... واول كتاب في العالم ، طبع بالعربية ، ولم تصل الينا ، ويا للاسف ، حتى نسخة واحدة منه ، كان للقرآن الكريم ، لقد صدر في البندقية من مطبعة باغانينو باغانيني الذائعة الصيت ، كما جاء خبر ذلك في شهادة ترجع الى سنة ١٤٩٩ ، وقيل انه صدر في فترة ما بين ١٥٠٩ — ١٥٣٨ » .

وهكذا نرى ان القرآن الكريم طبع في الغرب قبل ان يطبع في الشرق باكثر من مائتين وخمسين سنة ، وانه كان اول كتاب عربي كبير طبع في اوروبا . وهذا التأكيد انما يعني انه تم حفر امهات للحروف العربية وجرى سكبها في مسابك خاصة ، وانه كان بين الطباعين والعالمين في صف الاحرف ، من يحسن قراءة العربية .

تراجم معاني القرآن الكريم الى اللغات الاجنبية

كان القرآن الكريم اول كتاب عربي كبير اخرجته المطابع في اوروبا لاول مرة وان طبعته الكاملة تمت سنة ١٥٣٢ ، في مدينة البندقية وذلك ٢٥٠ سنة قبل اول طبعة عربية ظهرت له في بلد اسلامي على الاطلاق او في الشرق الاسلامي .

واود ان نستعرض معا الآن تراجم معاني القرآن الاعجمية . من المعروف ان للقرآن الكريم اكثر من مائة ترجمة الى اللغات الاجنبية اتى على تبيان معظمها المستشرق البلجيكي المرحوم فكتور شوفين في كتابه المعنون : « فهرس الكتب العربية او المؤلفة عن العرب » التي ظهرت في اوروبا من سنة ١٨١٠ الى سنة ١٨٨٥ ؛ وذلك في الصفحة ٦٧ وما اليها من المجلد العاشر من فهرسه المذكور هذا ، كما نوهت بذلك مجلة الهلال في مقال لها صدر في المجلد ٤٨ (١٩٤٠) ص ٣٤٣ — ٣٤٩(١) .

كذلك استعرض لاهم ترجمات معاني القرآن الكريم الى معظم اللغات الاوروبية ، المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير في كتابه المعنون : « المدخل الى القرآن » وذلك من الصفحة ٢٦٤ — ٢٧٧ ، وقد ضمن كتابه هذا دراسات مفيدة حول القرآن الكريم ونزوله ، وجمعه واصوله . وسوره وتفسيره ، وترجماته الى اللغات الاجنبية ، وغير ذلك من المباحث الدقيقة التي تساعد القارىء على تفهم القرآن .

والثابت ان اول ترجمة لمعاني القرآن الى اللاتينية هي التي تمت تحت تاثير رئيس دير كلوني : بيير المحترم (١٠٩٢ — ١١٥٦) . فبعد ان قام برحلة الى اسبانيا بين سنة (١١٤١ — ١١٤٣) وبمساعدة ريموند التوليدي ، كما هو مظنون ، الف لجنة يرأسها روبرت ده ريتنس الذي كان برتبة رئيس الشمامسة بمدينة بمبلونا يساعده راهب دالماتي يدعى هرمانوس ، كلاهما متضلع في اللاتينية والعربية . اما المترجم الحقيقي فقد كان بيير التوليدي . وهو من المرتدين ، كما يظن بعضهم الذي لم يكن يحسن اللاتينية احسانه العربية . وهذا ما حمل بيير المحترم ليعين معه مساعدا متضلعا باللاتينية من رهبان كلوني ايضا والذي عهد اليه بمراجعة النص المترجم .

وهذه الترجمة (التي ارسلت بعد انجازها عام ١١٤٣ لرئيس دير كلوني العام برتردوس) سبقت الحملة الصليبية الثانية بأربع سنوات ، ومما لا شك فيه انه وضع منها نسخ عديدة لاستعمال المرسلين والمبشرين وعلماء اللاهوت .

وقد اشار المفهرس الالماني المشهور شنولر الى هذه الترجمة في الصفحة ٤٢١ — ٤٢٧ من الفهرس الذي وضعه بعنوان : « المكتبة العربية » . كذلك اشار اليها المفهرس الالماني الآخر بفانمولر في الصفحة ٢١٣ ، وبقيت اوروبا المسيحية تستعمل هذه الترجمة وتعول عليها مدة ٤ قرون . وهذه الترجمة بالذات هي التي نشرها العالم السويسري بوشمان بلياندر في مدينة بال ، عام ١٥٤٢ كما اشرنا الى ذلك في حديثنا عن طبعة القرآن العربية الاولى في العالم .

وقد تمت طبعة ثانية لهذه الترجمة عام ١٥٥٠ .

واتخذت هذه الترجمة تكأة لاقدم التراجم التي نعرفها لمعاني القرآن الكريم الى اللغات الايطالية والالمانية والهولاندية .

وقد قام لدفيكو مراكشي بترجمة جديدة لمعاني القرآن ظهرت في مدينة بادوا في ايطاليا عام ١٦٩٨ ، وقد حوت الاصل العربي والترجمة اللاتينية واصلاح الغلط وتعد احسن وادق ترجمة للقرآن ظهرت في ذلك العصر . ومنذ ذلك العهد لم تنقطع سلسلة تراجم القرآن الكريم الى اللغات الغربية . وهنالك اسباب عديدة تدعونا للاعتقاد بأن الكتاب الذي نشره العالم الايطالي اندريا ارفاباتيه عام ١٥٤٧ بعنوان L'Alcorano de Macometto ليس سوى ترجمة الى الايطالية للترجمة اللاتينية التي قام بها روبرت رتينس . وهذه الترجمة اللاتينية بالذات ، هي التي نقلت الى الالمانية وطبعت في نورمبرغ عام ١٦١٦ وهي

(١) من بين هذه الترجمات : ١٠ ترجمات مختلفة الى الانكليزية ، مثلا ، و ٧ فرنسية — و ١٢ الى الالمانية و ٢ الى اللاتينية — و ٨ ايطالية — و ٥ اسبانية — و ٥ هولاندية — و ٢ عبرية — و ٢ ارمنية .

نفسها نقلت الى الهولندية في همبورغ وطبعت فيها عام ١٦٤٧ .

اما ترجمة معاني القرآن الاولى الى الفرنسية فقد تمت على يد الفرنسي اندريه ده ريير (١٥٨٠ — ١٦٦٠) بعد ان اخذ على نفسه نشر القرآن في اوروبا والتعريف به . فهو فرنسي من مقاطعة بورغونيا ، عمل قنصلا لبلاده في مصر ، وفي سنة ١٦٣٠ غادر مصر الى القسطنطينية ، فتفرغ فيها لدرس التركية ، ونشر اجرومية تركية واعد قاموسا بالتركية واللاتينية لم يطبع . اما ترجمته لمعاني القرآن الى الفرنسية فقد ظهرت عام ١٦٤٧ في باريس بعنوان : « قرآن محمد » ، فتقبل الملأ هذه الطبعة بالترحاب الشديد لرغبة الناس واهتمامهم بالتعرف الى الاسلام اذ كانوا يجهلون كل شيء عنه . وقد اعيد طبعها ٥ مرات في خلال خمس سنوات ، وتمت هذه الطبعات في باريس وفي امستردام . وهذه الترجمة الفرنسية ترجمت بدورها الى الانكليزية سنة ١٦٨٨ ، والى الهولاندية عام ١٦٩٨ ، والى الالمانية نقلا عن الترجمة الهولاندية . وقد تكررت طبعات هذه الترجمة الفرنسية خلال قرن في فرنسا وانكلترا وهولندا . وآخر طبعة منها هي التي ظهرت عام ١٧٧٠ .

كان من نتائج هذه الترجمات لمعاني القرآن الى مختلف اللغات الاوروبية ان ساعدت كثيرا الرأي العام في الغرب على تفهم الاسلام ، فخفت بالتالي تهجمات المتهجمين عليه ، كما قلت حملة المفترين عليه والمشنعين عليه بأشنع القول والشوائع حتى اننا رأينا الكونت Boulainvillier يتصدى للشانئين والمشنعين كما يتبرع كثيرون من بين الفرنسيين للدفاع عن الاسلام . وفي هذه الغضون بالذات تظهر الطبعة الانكليزية لمعاني القرآن التي اعدها جورج سال ونشرها عام ١٧٣٤ والتي نالت ترحيبا حارا لدى الجمهور كما تشهد على ذلك الطبعات العديدة التي ظهرت لها والترجمات التي نقلتها الى الفرنسية والالمانية .

ويجب ان نذكر هنا ان المسلمين من غير العرب ، ممن لا يفقهون العربية ، شعروا منذ امد بعيد بحاجتهم هم ايضا الى ترجمة لمعاني القرآن للغاتهم القومية . فكان ان ظهرت تراجم للقرآن الى اللغات الفارسية والتركية والهندستانية والجودشراتية والبنجابية والسندية والبنغالية والتاميلية ولغة الباشتو ولغة اهل الملايو والصينية ، كما ظهرت تراجم ببعض اللغات الافريقية .

ان ترجمة معاني القرآن الى لغة اجنبية ليس بالامر الهين . فاسمع ما يقوله بهذا الصدد المستشرق الالماني ا. فيشر : « لا يداخل الذين تعمقوا باسرار العربية شك في انه لا يوجد بين تراجم القرآن سواء اكانت كاملة او هي قاصرة على بعض آيات منه — ترجمة تفي بالمطالب اللغوية الدقيقة » .

وللمستشرق شوالي راي قريب من هذا اذ يقول : « رغم الخطوات الكثيرة التي اجتازتها حركة ترجمة القرآن منذ جورج سال ، لا توجد حتى اليوم ترجمة له تثبت امام النقد العلمي وامام التفسير » .

فلا عجب والحالة هذه ان يتنحى عن هذا المطلب ، مطلب ترجمة معاني القرآن ، اشهر المستعربين من علماء الاستشراق امثال : ريسكه ، وساسي ، وفليشر ، ودى غويه ، ونولدكه ، وغولدزيهر وغيرهم لاسباب منها على الاقل ادراكهم كبر صعوباتها .

ولذا كان لا بد من ايجاد ترجمة للقرآن تكون صالحة للاستعمال ويصح الاعتماد عليها ، وهذا ما حدا بالمرحوم الشيخ مصطفى المراغي ، شيخ الازهر المعروف بنزعته الاصلاحية ومسايرته روح العصر ان راح يقترح تحقيق مثل هذه الترجمة ، وايده علماء الازهر في الفتوى التي اصدروها عام ١٩٣٦ بهذا الاقتراح حتى ان وزارة المعارف المصرية اخذت اذ ذاك بدرس هذا الموضوع .

وقد ثار اقتراح الشيخ المراغي ، اذ ذاك جدلا قويا بين علماء المسلمين في مصر ، فنشرت مجلة الازهر عددا من هذه الابحاث حول ترجمة القرآن الى اللغات الاجنبية في اعدادها الصادرة سنة ١٩٣٦ . فليعد اليها من يرغب في التوسع بهذا الموضوع . ففي ما اوردنا وذكرنا من ترجمة القرآن الكريم الى اللغات الاجنبية كفاية لمن يرغب في الاطلاع على بعض المحاولات التي تمت للآن .

يوسف اسعد داغر

سعر بيع مجلة الاديب :

الكويت	٢٠٠ فلس
الاردن	٢٥٠ فلس
مصر	٢٥٠ مليم
عدن	٥٠ فلس
قطر	١ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
السعودية	٢٫٥٠ ريال
ليبيا	٣٠٠ درهم
تونس	٣٠٠ مليم
المغرب	٣ دراهم
السودان	٣٠٠ مليم
العراق	٢٥٠ فلس
الامارات العربية	١ دراهم

الشوق العائد

*

تغيب حتى قلت ليس بعائد ... فمن قاده نحوي ؟ وكان مباعدي
أحين اطمأنت بالجنوب مضاجع ... أتى يوقظ الاجفان من كل هاجد
وكنا استرحنا من دواهيه حقبة ... وقلنا مضى عهد الجسان الخرائد
وهمنا بأسرار الطبيعة نبتغي ... عزاء بها عن كل عذراء ناهد
نراقب في الآراد رائعة الضحى ... وننشد في الظلماء سحر الفراقد
ونرتاد أبهاء الجمال طوائفا ... فمن صادر نحو الرياض وارد
الى أن سمعنا رنة فارسية ... لشاعرة تبكي بأشجى القصائد
مطوقة ورقاء ترسل في الربى ... من البث ما يفري صلاب الجلامد
تسمعت الاغصان دامي لحنها ... فثارت بأيدي الريح ثورة واجد
وغيض معنى الشجو فيض أخضرارها ... فباتت بمرأى شاحب الظل كامد
فلا تحسب الطل المرقوق فوقها ... ندى انه دمع الحزين المكابد
تسمعت ما قالت فالفيت خطبها ... كخطبي ، كلانا في الورى غير صامد
بلى انها أحلى وأبدع خاطرا ... وألطف حسا في اصطياد الفرائد
وتملك وجدانا رقيقا يمدها ... بأزهى خيال مونق الوشي راغد
أتصغي ؟ فهذا الشهد من نبراتها ... تنيقك موسيقاه أشهى الموارد
بنا من هواه صبوة بدوية ... كأن الهوى النجدي ليس ببائد
أتتلو ؟ فهذا الصدق في لفتاتها ... له من صفاء الطبع أقوى الشواهد
وتعتادها ذكرى القرين فترتمي ... بجسم على ظهر الحشية هامد
وتذرو على الورد النضير لآلئا ... من الدمع ليست من جمان الفرائد
فيكتئب الفل الانيق بثغرها ... على سحره الفتان بين النواهد
وتعبس للدنيا فيبدو جمالها ... مع الحزن في أوج من الحسن صاعد
جمال تغشيه الشجون جلالة ... فيربو بهاء في عيون الحواسد
فان هدأت فاءت لظل من الهدى ... ولاذت برب العرش عبر المواجد
وأقرأ ما تحكيه وحيا مسلسلا ... فامنحه وجد الصفي المساند
أخالك قلبي قد تورطت مرغما ... فأرقلت في وادي الهوى غير عامد
وما لك حول تستعين ببأسه ... اذا هوت الدنيا ببعض الشدائد
أهاب الهوى حتى كأني من الهوى ... أمزق أحشائي بسم الاساود
ألم يكفه مني انقباض عن الورى ... توغلت منه في بطون غدافد
فياتي بأحلى الفانيات وسامة ... ليغدو أيان اتجهت مطاردي
فأضحت كالعصفور دوم هابطا ... لان عاقه عن طيره نبل صائد
تشاهد أسراب العصافير حوما ... فيلحظها شذرا بنظرة حاقد
فلا ريشه يعلو به مثل أمسه ... ولا الموت ينجيه بضجعة خامد
مُنِّيَ العمر بي شوطا فأصبح مانعي ... هناءات لقيا واتفاق مواعد
مضت نسمة في الروض تسترق الخطا ... لسوسنة تبدي تجنب زاهد
تسائلها كيف انطوت عن رفاقها ... وان لها فيهن سطوة قائد
اذا ما انتحت دون الانام فعطرها ... يرف رفيفا في الربى والمعاهد
وان سناها مسعف كل اكمه ... وان شذاها موقظ كل راقد
وان فقدت ظل الانيس فسنة ... وما كل ماض في الطريق بعائد
أساعدها حتى تبدل حالها ... فيا ليت شعري من يكون مساعدي

المنصورة ــ مصر

محمد رجب البيومي



محمد العدناني

عثرات الادباء

بقلم محمد العدناني

* * *

جلـــــق

ويخطئون من يطلق على دمشق اسمها الآخر : جلق (بكسر وفتح اللام المضعفة) او جلقا ، ويقولون ان الصواب هو : جلق (بكسر الجيم واللام المضعفة وضم القاف) او جلق (مثلها وبتنوين القاف المضمومة) ، اعتمادا على المبرد في الكامل (في الباب ٤٤) ، والازهري ، والصحاح ، وعرقلة الاعور (حسان بن نمير) القائل :

ابى العيش الا بين اكناف جلق وقد لاح فيها الشمس وبدور

(بكسر الجيم واللام المضعفة في (جلق) المنصرفة) .

ولكن :

اجاز كسر اللام في (جلق) وفتحها : حسان بن ثابت الانصاري ، القائل :

لله در عصابة نادمتهم يوما بجلق في الزمان الاول

وردت (جلق) في ديوانه مفتوحة اللام ، ومكسورتها في معجم البلدان لياقوت . وممن كسر اللام في (جلق ، وفتحها ايضا : اللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط : واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وانفرد معجم مقاييس اللغة بذكر جلق (بكسر فلام مضعفة مفتوحة) وحدها . ويقول اللسان والتاج ان كلمة جلق (بكسر الجيم وفتح اللام المضعفة وكسرها) تصرف ولا تصرف .

وجلق (بكسر فلام مضعفة بكبورة) ايضا : ناحية بالاندلس فيها نهر كبير ، وواد في شرق الإندلس .

الامر الجلل (العظيم واليسير)

ويخطئون من يستعمل كلمة الجلل (بفتح ففتح) للامر اليسير ، ويقولون انها للامر العظيم ، ويستشهدون بقول الحارث بن وعلة الجرمي :

قومي هم قتلوا اميم اخي فاذا رميت يصيبني سهمي

فلئن عفوت لاعفون جللا ولئن سطوت لاوهنن عظمي

والحقيقة هي ان كلمة (الجلل) تقال للامر العظيم واليسير ، يؤيد ذلك : (١) قول امرىء القيس :

يقتل بنبي اسد ربهم الا كل شيء سواه جلل

اي : يسير

(٢) وقول لبيد :

وارى اريد قد فارقني ومن الارزاء رزء وجلل

اي : عظيم

(٣) وفي حديث العباس يوم بدر ، قال : « القتلى جلل ما عدا محمدا » اي : هين يسير .

(٤) واجمع على ان (الجلل) من الاضداد (فيقال : جلل لليسير ، وجلل للعظيم) ، كل من ابن قتيبة (ادب الكاتب) ، وابن الانباري ، والصحاح ، والثعالبي (فقه اللغة) الذي قال : « الجلل : اليسير ، والجلل العظيم ، لان اليسير قد يكون عظيما عندما هو ايسر منه ، والعظيم قد يكون صغيرا عندما هو اعظم منه ، وابن الاثير (النهاية) ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، والمتن ، والتضاد ، والوسيط .

وانا انصح بأن لا نستعمل كلمة (الجلل) الا للامر العظيم :

(أ) دفعا للوقوع في اللبس عند اختيار احد المعنيين المتضادين .

(ب) لان هذا المعنى هو المألوف لدينا .

(ج) لان المصباح المنير اكتفى بقوله : جل (بتضعيف اللام) الشيء يجل (بكسر الجيم) : عظم ، فهو : جلل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(د) لان الجليل والجلى (بضم الجيم وتضعيف اللام المفتوحة) التربيين في حروفهما من الجلل لا يكونان الا للامر العظيم .

جلولي لا جلولائي

جلولاء ناحية من نواحي السواد في طريق خراسان ؛ وجلولاء ايضا مدينة مشهورة بافريقية ، بينها وبين القيروان ٢٤ ميلا . ويقولون في النسبة اليها : جلولائي . والصواب : جلولي (بفتح فضم) ، وهي نسبة شاذة ، غير قياسية كما قال ابن مالك في الفيته وغيره .

يجلو المرآة والفضة والسيف ونحوها ويجليها

ويخطئون من يقول : فلان يجلي (بفتح فسكون) المرآة والفضة والسيف ونحوها ، اي : يكشف صداها ويصقلها . ويقولون ان الصواب هو : يجلوها (ابن السكيت في اصلاح المنطق ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، وتذكرة علي) .

ولكن : يجيز الفعلين (يجلوها ويجليها) كليهما : القاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

اما فعلها فهو : (١) جلاها يجلوها جلوا (بفتح فسكون) وجلاء (بكسر الجيم) فهي : مجلوة (بفتح فسكون فواو مضعفة مفتوحة) . (٢) جلى المرآة ونحوها يجليها جليا وجلاء (بكسر الجيم) ، فهي : مجلية (بياء مضعفة مفتوحة) .

ويخطىء محيط المحيط ومتن اللغة بفتحهما الجيم في المصدر (جلاء) ؛ والصواب : كسرها .

جاء القوم اجمعهم ، باجمعهم ، باجمعهم (بضم الجيم)

ويخطئون من يقول : جاء القوم باجمعهم ، ويقولون ان الصواب هو : جاء القوم اجمعهم . والحقيقة هي ان كلتا الجملتين صحيحة . وكلمة (اجمع) ، في الجملة التي يخطئونها ، لا بد ان تضاف الى ضمير المؤكد ، وان تسبقها الباء الزائدة الجارة ، وهي زائدة لازمة لا تفارقها .

وجاء في النحو الوافي ٤/٥٠٤ : « تعرب كلمة «اجمع» توكيدا مجرور اللفظ بالباء الزائدة اللازمة ، في محل رفع ؛ او نصب ، او جر : على حسب حالة المؤكد (المتبوع) . وهذا الاعراب اوضح وايسر من اعرابها بدلا من المتبوع : مجرورة اللفظ بالباء في محل رفع ، او نصب ، او جر ، لان صاحب هذا الاعراب لا يجعل (أجمع) هنا من الفاظ التوكيد ، برغم انها — عنده — تؤدي معناه ، وتضاف الى ضمير مطابق للمؤكد » .

وممن اجاز لنا ان نقول :

(ا) جاء القوم باجمعهم : ابن السكيت (تهذيب الالفاظ ، باب اخذ الشيء باجمعه) ، والالفاظ الكتابية (باب اخذ الشيء باجمعه) ، والصحاح ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والنحو الوافي ، والوسيط .

(ب) وجاء القوم بأجمعهم (بضم الميم الاولى) : ابن السكيت (باب اخذ الشيء باجمعه) ، والصحاح ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والنحو الوافي .

كسر جناح العصفور

ويجيزون تذكير الجناح وتانيثه ، فيقولون : كسر جناح العصفور وكسرت جناحه ، اعتمادا على محمد بن الطيب الفاسي ، الذي نقل عنه مد القاموس ذلك . ولم اعثر على معجم آخر يؤيد تذكير الجناح وتانيثه معا . والمصادر الآتية تكتفي بتذكيره : معجم الفاظ القرآن الكريم ، وابن جني ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمختار ، واللسان ، والتاج ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

ويجمع الجناح على : اجنحة واجنح (بضم النون) ، راجع الآية الاولى من سورة خاطر . ومن معاني الجناح : (١) العضد ، (٢) الابط ، (٣) الجانب ، ومنه جناح القصر ونحوه . (٤) الطائفة من الشيء . (٥) كل ما ينظم عريضا كالجناح من در وغيره . (٦) جناحا الرحى : شقاها . (٧) جناحا النصل : شفرتاه . (٨) جناحا العسكر : جانباه (مجاز) . (٩) جناحا الوادي : مجريان عن يمينه وعن شماله (مجاز) . (١٠) فلان في جناح الحاكم : في كنفه ورعايته (مجاز) . (١١) هو على جناح سفر : يريد السفر (مجاز) . (١٢) ركب جناحي طائر : فارق وطنه . (١٣) ركب جناحي نعامة : جد في الامر واحتفل به (مجاز). (١٤) هو في جناحي طائر : اذا كان قلقا دهشا (مجاز) . (١٥) خفض له جناحه : خضع وذل (مجاز) ، راجع الآية ٢٤ من سورة الاسراء . (١٦) فلان مقصوص الجناح : اذا كان عاجزا (مجاز) . (١٧) وصلت جناحه : ساعدته (الحريري في المقامة الكوفية) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جدله (بدال مضعفة) ، جدله ، تجيل ، انجدل لا جندله

ويقولون : طعن سامر الفارس بالرمح فجندله ، والصواب :

(١) طعنه فجدله (بتضعيف الدال) ، اي صرعه ورماه على الجدالة (الارض) : جاء في حديث علي : « وقف على طلحة وهو قتيل ، فقال : اعزز علي ابا محمد ان اراك مجدلا (بتضعيف الدال) تحت نجوم السماء » . وقال معاوية لصعصعة : « ما مر عليك جدلته (بتضعيف الدال) » اي : رميته وصرعته .

وممن ذكر ايضا الفعل جدله (الدال مضعفة) : الازهري ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والاساس ، والنهاية ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

(٢) او تجدل (بتضعيف الدال) (انصرع) : اللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

(٣) او جدله (بفتح ففتح) : اللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، وذيل اقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

(٤) او انجدل (انصرع) : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « انا خاتم النبيين في ام الكتاب ، وان آدم لمنجدل في طينته » .

وممن ذكر ايضا ان الفعل انجدل يعني انصرع : الصحاح ، والنهاية ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وقال اللسان ان الفعل جدله (بتضعيف الدال) اكثر استعمالا من جدله (بفتح ففتح) .

في مطلع كل شهر

اطلبوا

الاديب

من الباعة والمكتبات

الجنازة (بكسر الجيم وفتحها)

الجنازة ، التي هي النعش والميت وهما مع المشيعين . يخطئون من يفتح جيمها ، ويقول : الجنازة ، ويرون ان الصواب هو الجنازة (بكسر الجيم) ، اعتمادا على الليث بن سعد ، والنضر بن شميل المازني ، وابن السكيت في اصلاح المنطق ، وادب الكاتب ، والصحاح ، والمختار ، ودوزي ، وتذكرة علي في المنطق العربي ، والوسيط .

وقد ذكر الصحاح والمختار ان العامة تفتح جيم الجنازة .

ولكن :

اجاز كسر الجيم في (جنازة) وفتحها كل من الاصمعي ، وابن الاعرابي ، وشمر بن حمدويه ، وابو عمر الزاهد رواية عن ثعلب ، والتهذيب ، وابن سيده ، والحريري في هامش المقامة الوبرية ، والنهاية ، والمغرب ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن .

وقال المصباح ان كسر الجيم افصح . وقال محيط المحيط واقرب الموارد : ويفتح (حرف الجيم) . وبعد ما ذكر المتن ان الفتح لغة ، قال : او الفتح عامي .

ولا يذكر معجم مقاييس اللغة الا الجنازة (بفتح الجيم) ، ثم يقول ان النحارير ينكرون فتح جيمها .

ويقول ابو علي الفارسي : « لا يسمى جنازة حتى يكون عليه ميت ، والا فهو سرير او نعش » .

وبعد ان يجيز اللسان كسر الجيم وفتحها ، يقول : « والعامة تقول الجنازة بالفتح » .

وتجمع الجنازة على جنائز .

ركن الملقن لا جورة الملقن

المكان في مقدمة المسرح ، يختبىء فيه من يلقن الممثلين ادوارهم همسا ، يسمونه : جورة الملقن .

ولكن :

جاء في المجلد الرابع عشر من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ، التي اقرتها لجنة الفاظ الحضارة « الفاظ الفنون » بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ووافق عليها مؤتمر المجمع ، في جلسته الثانية عشرة ، بتاريخ ٢٠ شباط ١٩٧٢ ، في المادة رقم ٦٩ ، ان المؤتمر اطلق على ذلك المكان في مقدمة المسرح ، اسم : ركن (بكسر وتضعيف) الملقن .

بيروت ـ شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني رقم ٣

محمد العدناني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشاعر امين نخلة وذكرياتي عنه

بقلم رياض المعلوف

* * *

رحمك الله يا امين ، وجدد ذكراك كل يوم ، يا نخلة الشعر والالهام الباسقة في صحراء عبقر الخصبة بتوافيك اليانعة المخضوضرة !

وحفظ الباري مؤلفاتك وبدائعك ، ونفع الناس بها . فمن ذات العماد ، وكتاب المئة ، وتحت قناطر اربطو ، والدقائق في اللغة ، واحكام الوقف في الفقه ، وكتاب الملوك ، الى المفكرة الريفية ، ودفتر الغزل ، والديوان الجديد ، وكلها محببة الى قلوب قرائك والمعجبين بشعرك ونثرك .

وكاني بك ذلك الصائغ البارع الذي ينتقي ويلتقط الجواهر باطراف انامله ، ليرصفها بفن في الخواتيم والاساور .. وهكذا ترصف كلماتك المنتقاة والمنتخبة بدقة وذوق ! ودليلي على ذلك مفكرتك الريفية التي حملت فيها جبلنا وريفنا الى العاصمة على طبق من اطباق الذهب ، حيث يتبرعم فيها الغصن ، وتورق الشجرة وتخضوضر وتثمر ، وتحلو حبات العناقيد ، وهي على زعمك ظروف الحلاوة !

وينفسح السهل الزاهي الالوان كمنديل العروس ! ولله تلك « التفاحة » التي غزتك في دكان البائع البيروتي ، راجية اعفاءها من نهش وشم وضم ! وعن الديك ، سجين القفة في المدينة ، عند بائع الدجاج ، وهو ابكم من لوعة فرقة الضيعة ، وكيف يطلع الصبح في القرية دون صياحه !

وعصي « القثاء » التي هي كعصي النواطير في كرومنا ، ناهيك عن عناد رؤوس البطيخ في زوايا دكاكين الفاكهة .

ولا انساك ، يوم زرتني في منزلنا براس بيروت ، بعد عودتي من المهجر ، واسمعتني كما اسمعتك بعض الغزليات ، وحيث لمحت لوحة بريشتي على الحائط ، وفيها تفاحة حمراء كقرص الشمس ، فاستلطفتها وكنت تريد اغتصابها ، فاهديتك اياها مسرورا ، فشكرتني وقلت لي على ما اذكر : اغتصاب الكتب واللوحات مباح .

وهذا شعرك الآن بين يدي ، وفيه ما فيه من المتع والصور والفكر ، كقولك :

احبك في القنوط وفي التمني ... كاني صرت منك وصرت مني
احبك فوق ما وسعت ضلوعي ... وفوق مدى يدي وبلوغ ظني
هوى مترنح الاعطاف ، طلق ... على سهل الشباب المطمئن

وهذه القصيدة انشدها المطرب محمد البكار مع عدة قصائد لجبران ، وخليل تقي الدين وميشال ابو شهلا والدكتور حبيب ثابت (صاحب مطولة عشتروت) وقصيدتي : « يا بلبلي » ، ومطلعها :

اطربتني وفتنتني يا بلبلي ... وتركتني نهلا بوحي منزل

ولحن هذه القصائد الملحن المعروف الاستاذ نجيب الشلفون ، واقيمت حفلة خاصة انشدت فيها في « التياترو الكبير » ببيروت في الثلاثينات ، وكانت الحفلة موفقة واثيرت حولها ضجة ثقافية وصحفية في تقييمها ، وتقييم الشعر فيها ، والموسيقى . وكانت الانطلاقة الاولى لهذه الحفلة بفرن الشباك ، في منزل صديقنا صاحب مجلة « الاديب » الاديب الشاعر الاستاذ البير اديب ، حيث كنا نجتمع غالبا مساء كل سبت ، ونتنادم ونتبادل الآراء الادبية والمناقشات الشعرية ، ثم نستمع الى تمتمات عود الملحن الشلفون المطربة !

اما قصيدتك « البعتد الطويل .. والسنتيط فوق الصدر الماجي » فهذا مطلعها :

سالت لـه الله ان يهدا ... لقد تعب العقد مما راى

وقولك في الفم ، وما الطف ما قلت :

انـا لا اصدق ان هذا ... الاحمر المشوق فتنم
بـل وردة مبتلـة ... حمراء من لحم ودم
اكلمها شفتان ، خذ ... روحي ، وعللني بثم
ان الشفاء احبها ، ... كم مرة قالت : نعم

نعم يا امين ، والف نعم .. هذا هو السحر المطلسم بالشعر ..

وهذا قولك في السامرية :

شرب المسيح ، فما لها لا تشرب ... والبئر سقسقة وماء طيب

وفي رثاء العالم الموسيقي المعروف الشاعر الاستاذ ابكندر شلفون بحادثة متهى كوكب الشرق :

هذا ولي العود والاوتار ... سلطان البيات
اخذت يدي تلك الانامل ... بالحنان وبالاناة
فكانها اخذت مفاتيح ... النور معطلات

والزعيم رياض الصلح ، لله درك في رثائه البليغ :

ما على الحب ان مضى الاحباب ... تسلم الذكريات والاسباب

وكيف انفيك حقك ووفاءك ، يوم وقفت في قصر الاونيسكو صيف ١٩٥٩ رائيا والدي العلامة المجمعي الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، وما ابلغ ما قلت فيه :

يا ابا التاريخ بلغت ذرى ... لم تتح عليائها للنظراء
خير من صال ومن جال ومن ... مهد الراي وآوى وافاء
ظفر العلم بمعلوفية ... من يراع كالرياحين ، وضاء
لا تبال اللون من اسوده ... فالتم الاخمر والحبر سواء
يا ابا فوزي ، وانمار الدجى ... .
نزل البدر لهم عن اوجه ... وتنحى لبدور الشعراء

وفي اخي فوزي ، قولك :

يا بلبل الوادي الشجي الرقيق ... خبئ خديه عليك الشقيق
يا نشوة للشعر ، فوزية ... واللفظ كوب والمعاني رحيق
فوزي هو الساقي ، فنحن الالى ... لا نرتوي العمر ، ولا نستفيق

وكم من ذكريات ، لك عندي وذكريات ، انا الذي عرفتك في أول برعمة شاعريتي ، وكنت انت محاميا ، ومكتبك في خان انطون بك ، حيث كان لي معك ومع بعض الادباء والشعراء أمتع الجلسات واطيبها ، ثم اتخذت مكتبا جديدا للمحاماة قرب قصر العدل القديم في الكبوشية ، وكم دلفنا الى ذلك المكتب في العشايا ، نحن زمرة الادب والشعر ، مجتمعين حول « ... مفرحة » تنسينا الدنيا وما فيها من متاعب ومصائب ! وكذلك في مقهى شقير بساحة البرج ، وفي محل فتوح اخوان والشبالية سويس وفي مقصفي طانيوس ومسعود ، ويا لسعادة تلك الايام .. وفيها كانت تدور الإحاديث الادبية الطلية ، بينما ... قتائس النفوس .. فغزلية من هنا ، ونكتة من هناك .. ولا انس تلك ... في احدى العشايا اليونانية الأصل ، وبديعة الشكل ، وهي التي حملت الينا ... المسرة مع وسامة وجهها الضحوك !

ولم انسك يومذ من القول فيها ، هذه الابيات التي طرب لها كثيرا صديقي الشاعر ابو ريشة ، يوم سمعها مني في حلب ودمشق ، يومذ ، وهذا بعضها :

اسقنيها من مبسم الابريق ... بنت ... من الصفى العتيق
ودعوني اصغي لما تقتنها ... قاطفات ... عند الشروق
رددت ما طلبت منها وغنت ... اغنيات بصوتها الموسيقي

ثم اقول :

ذات حسن من الفرنج ، تباهت ... انها من سلالة الاغريق
تغمز الكل عينها بدهاء ... فيظن الغبي هذا حقيقي
واشارت بانملي ، ثم راحت ... بمزاح تقول : هذا عشيقي

ثم التقينا في القاهرة في الثلاثينات مع شاعر الاقطار العربية خليل مطران ، وشاعر الشباب احمد رامي ، وآخر لقاء كان يوم مبايعة الاخطل الصغير الامارة ، في الحفلة ، وبعدها في فندق كارلتون ببيروت ، وكان فيه ضيف لبنان الشاعر المصري المرحوم الصديق الاستاذ صالح جودت ممثل مصر في الاحتفال .

- وهل انس تلك الليلة البيضاء الغراء بصحبة الامين وصالح جودت ونزار قباني وكوليت خوري وغيرهم ... وفي جو عابق بالصداقة والشعر والانس جلسنا حول اطايب موائد الليل اللبناني الجميل ، والمخملي الملمس ، فوق زرقة البحر المتلاعبة امواجه برمال الشاطىء الساحر ، وكان صديقنا صالح جودت يصيح بالخادم قائلا : هات واحد « ... » بلهجته المصرية اللطيفة ! ثم دار الشعر والغزليات ما بيننا وبمعتنا واسمعنا ما لذ وطاب من القصائد التي كانت تنتزع همهمات الاعجاب والنشوة الشعرية !

فكانت ليلة لبنانية عباسية ! من الليالي التي لا تمحى ذكراها ، كما لا تمحي ذكرى ابي سعيد الامين على الشعر والاخاء والوفاء .

وتعود بي الذكرى الى تلك الليلة المليحة التي سهرتها برفقتك ايها الامين ، في سيتيا امير ببيروت ، وحضرنا معا حفلة موسيقية رائعة يسمعنا فيها الموسيقار الارجنتيني العالمي «ادواردو دو بيانكو» ، مؤلف تانغو «لا كومبرسيتا» والذي اصبح لكثرة عزفه كلاسيكيا ، فطربنا لعزف بيانكو البديع على الكمان مع جوقته الموسيقية ، بعض الراقصات المتفننات بينهن راقصة زنجية استوقفت نظرنا لرشاقتها ولياقتها حتى كدنا نظن ان اطراف اقدامها مجنحة لخفتها وفنها ، وهذا ما حدا بك ، يا امين ، ان تنظم فيها قصيدتك البيضاء ، وهذا بعضها :

لا تعجل ، فالليل انسى دابره ... يا بياض الصباح ، والحسن اسود
ليلتي ليلتان ، في الحلك الرطب ... فجنح مضى ، وجنح كان قد
وكاني على الغصون من اللين ... وهز الثمار ، ما تتاود
نت ، تحسن السيد في مجدك ... الاسود ، اهل البياض نشقى ونسعد
الف غصن ، في الف هزة غصن ... وقيام مع الغصون ، وقعد

وعندما عدتك في مرضك الاخير بمنزلك في بيروت ، صيف ١٩٧٠ ، فاستقبلتني رغم توعكك بابتسامتك المألوفة ، وكابرت على الداء الذي اثناك عن الكلام وكثرة الحركة ، فحز في نفسي ان اراك غائر النظرات وبعيدها ، كأنما شيء منك يغيب فيها ببطء ، ووجهك شاحب اللون ، وشمعة حياتك اخذت تذوب في اواخر ليل حياتك !

وبعدما تعانقنا ، ودمعت عينانا ، فرحا باللقيا ، قلت لي بصوتك الخافت الابح : يعز علي يا رياض ان لا استطيع ايفاء عمي الحبيب عيسى حقه في حفلة تمثاله في قصر الاونيسكو ، لانني اعلم الناس بعلمه ، وسعة اطلاعه !

ولا انساك مرتديا ذلك « الغمباز » الحريري السكري اللون ، واكمامه المطرزة تتموج مع حركتك الدائمة ، كارداف غمباز محسن الهزان في زجليات ابيك شاعر الباروك ، وبيدك مسبحة سوداء مطعمة بالفضة ، وهي آخر نظرة وتعت من عيني عليك ، يا بلبل المجالس والمنابر .

ويا ابا سعيد ، وابن الرشيد ، رحمك الله ، ورحم معك الصداقة والوفاء ، واشعل شمعة ذكراك الى الابد !

زحلة — لبنان ... رياض المعلوف

ادب الاغتراب

هل انتهى ؟ ام ما يزال قائما ؟

بقلم عبد اللطيف اليونس

* * *



طلب الي الصديق الاستاذ نواف حردان ان اكتب حول هذا الموضوع — بعد العاصفة التي اثارها الدكتور عيسى الناعوري ، ونشرت في بعض صحف الوطن الام .

وقتدت من بين يدي جريدة « حمص » — التي نشرت رسالة « الناعوري » الى الاديب عيسى فتوح ، فيما اذكر .

وليس من السهل الكتابة في موضوع معين ، ردا على افتئات معين ، اذا لم يكن امامك المستند الذي تستند اليه ، فيما تكتب ، وترد .

ولكن .. ليس من السهل ايضا امهال طلب الاستاذ نواف حردان — ولا اقول اهماله — وله دالته علي ، كما هو معروف .

... فضلا عن ان من العقوق للادب العربي بصورة عامة ، والادب المهجري بصورة خاصة ، ان نسكت عن مثل هذا الافتئات ، ولا نرد الضربة من حيث اتت ، والتهجم من حيث جاء .

وغريب جدا .. ان يجنح كاتب كبير ، كالدكتور الناعوري ، وقف اكثر نشاط قلمه — ان لم يكن وقته كله — على الكتابة عن المغتربين العرب في امريكا ، وادبهم النابض بالقوة والحياة .. ان يجنح الى الادعاء بان هذا الادب قد انتهى .. واصبح .. ماضيا .. ، لا حاضر له ، ولا مستقبل !

اما انه انتهى .. فهذه كلمة لا تقال عن ادب ، مهما كان ، الا اذا كان ادبا فقيرا ومغمورا .. ليس له مقومات ادب ، ولا خصائص تضمن له الخلود ، وتكفل له ان يعيش على السنة الناس ، وفي ذاكرتهم ، ومكتباتهم .

واذا كان كل ما مضى يعتبر منتهيا .. فان تاريخنا الادبي الحافل لا اثر له اذن ولا وجود ! وما نحسب الدكتور الناعوري يقصد هذا ، او يريد التلميح عنه ، وله المؤلفات الضخمة بدرسه وتخليده وتمجيده .

لقد انتهى « العهد الاندلسي » .. بتلك المأساة المؤلمة المروعة الدامية .. ولكن هل انتهى ادبه الذي يعتبر درة في التاريخ ، ومنارة مشرقة سامية رفيعة ؟

وفي يقيني .. ان الدكتور الناعوري لا يقصد «الماضي» ، ولا يريد النيل منه .. وانما يقصد «الحاضر» ، ويتهم بالذوبان والاضمحلال والتلاشي !

فالشعراء الذين مضوا ، قد مضوا .. ومن بقي منهم حيا فقد صمت ، وتوقف — حسب زعمه — عن العطاء والابداع ! واذا كان ثمة شاعر ما يزال ينظم وينشر .. فليس شعره ، حسب رايه ، من النوع الجدير بالنشر والحفظ والدرس !

وفي كتابه الاخير عن الادب المهجري .. عرض بالشاعر الكبير جورج صيدح — تعريضا ما يزال مثار تعليقات جمة ، من كافة الادباء المعنيين بالادب المهجري ؛ وموضع استنكار واستهجان وتندر .

اذ لعل الشاعر جورج صيدح هو الوحيد بين الشعراء المغتربين ، من الرواد الاول الذي ما يزال مثابرا على العطاء — وبنفس المستوى الذي عرف به ، وقدر ، واشتهر .. رغم تقدمه في السن ، ووضعه الصحي المؤسف المؤلم . ومع ذلك .. فقد اتهمه بانه انتهى .. وقال في « شظايا حزيران » كلاما لا يليق باديب كبير — كالدكتور الناعوري — ان يقوله .. ولا ان يتسال بشاعر انيق الديباجة ، مجنح الفكر ، وضيء الخيال ، غزير المعنى ، كالشاعر جورج صيدح ! ولكن .. لله في خلقه شؤون ، وشجون !

وكان رد الاستاذ صيدح ، بقصيدة طويلة عامرة ، شاهدا حيا على بطلان ذلك الادعاء ، ودحض ذلك الافتراء ، واحباط تلك التهمة(١) .

وهكذا .. لم يسلم من الاقلام الشابة والمخضرمة ، من الحكم الجائر الذي اصدره الناعوري ، والفتية الغريبة العجيبة بحق الادب المهجري : شعرا ونثرا !

بل انه نعى ادب الاغتراب كله — ولم يستثن ! والكتاب في نظره ، او حكمه ، كالشعراء : صمتا ، وعجزا ، وعدم قدرة على العطاء والابداع !

فكان — وهو يعلن « اسفه » و «اله » ! — يريد ان يميت الاحياء ، ويذري عليهم تراب الفناء ، وينكر عليهم طاقة العطاء ، ويحرمهم من عطر الخلود !

واذا كان ليس ثمة كاتب كجبران ، والريحاني ، ونعيمه .. او شاعر كأبي ماضي ، والقروي ، وفرحات .. فهل معنى ذلك أن هذا الجيل الحافل بالكفايات والطاقات والمؤهلات ، لا يصلح ان يبرز ، او يخلد ، او يعترف به ، ويحكى عنه ؟ ! — مع انه يوجد شعراء الآن ، في البرازيل والارجنتين ، لا يقلون سوية وشهرة وذيوع اسم عن الشعراء في الوطن الام .

انا لا اريد الخوض في معرض اسماء — وهو شيء يطول ، ولا يمكن حشره في مقال .. ولكنني مؤمن ايمانا عميقا بانه ما يزال في الادب المهجري الق القصيدة العربية ، وفي نثره تدفق الشريان المتوهج النابض المعطاء .

وما تزال المطابع في البرازيل والارجنتين ، وبعض

---

(١) — كتبت هذه المقالة قبل وفاة الشاعر المرحوم جورج صيدح في باريس .

دور النشر في الوطن العربي ، تنشر كل عام عددا من المؤلفات ، لادباء مغتربين ، يحتل انتاجهم الادبي مكانا بارزا في المكاتب العربية . ومن الغرابة بمكان .. الا يكون الدكتور الناعوري قد اطلع عليها ، او حاول الاطلاع !

وهل يسوغ ان توجه الى ادب — لـه مقوماته ، ومنطلقاته ، وخصائصه ، والقوة النابضة فيه — تهمة الخمود والركود ، والموت والفناء ، والزوال والاضمحلال ؟

وممن ؟ من اديب له اثره ومكانته ، وأياديه البيضاء في تخليد الادب المهجري وتمجيده ! وهل يسوغ اذا كانت ثمة حفيظة لشخص معين .. ان يميت ، او يحاول اماتة ، ادب بكامله من اجل ذلك الشخص المعين ؟!

اعرف ، واعترف ، بأن القراء العرب قد نقص عددهم في الامريكتين — الشمالية والجنوبية — الى حد مخيف ! وان الادب بشقيه — شعرا ونثرا — انما ينهض ويجلي بكثرة الشغوفين المتتبعين المعجبين .. وان كثيرا من الاقلام التي تفتقد قراء اذكياء مدركين متدرين ، انما تتوقف وتنحبس وتصمت .. وانه في اي عصر من العصور ، او بلد من البلدان ، لم ينطلق اصيل ، وينسم وينجل ، الا اذا توفرت له الاسباب الداعية لذلك ، والدافعة والمشجعة والمثيرة ..

ولا شك .. انه حينما كان عصر الاغتراب في فتوته ونضارته وزهوه ، كانت عشرات الصحف ، في كل من الارجنتين والبرازيل ، تصدر بوقت واحد ..

وليس هذا الرقم خياليا .. بل انه واقعي ، يستند الى وقائع في كل ما كتب عن الاغتراب ، وسجل ، واذيع .

ومما لا شك فيه ايضا .. انه حينما تناقص عدد القراء العرب .. تناقص عدد الصحف العربية ، واضمحل .. ثم تناقص الانتاج الادبي والعطاء الفكري تبعا لذلك — ولكنه ابدا لم يتلاش ، ولم يسف .

لقد طويت آخر صحيفة في تشيلي ، وفي الارجنتين — ولم يبق في الجمهورية الفضية الا صحيفة « العلم العربي » التي يصدرها الاستاذ عبد اللطيف الخشن شهريا ، حيث ينقش بعض اعمدتها على الآلة الكاتبة ، ويصور البعض الآخر بالزنك عن صحف الوطن الام .

وفي فنزويلا ، وكندا ، والولايات المتحدة الامريكية ، ما تزال ثمة صحف عربية تصدر ، ويبذل اصحابها جهودا مضنية لكي تبقى وتستمر — ولكن الى متى ؟

اما البرازيل .. فان الوضع فيها اجمل وافضل — اذ ما تزال بضعة صحف تصدر باستمرار ، وفي طليعتها جريدة « الانباء » .. لان روافد الهجرة الى تلك البلاد الشاسعة المترامية الاطراف لم تتوقف .. فقد اغتربت في الخمسينات ، وما قبلها وبعدها ، اقلام شابة .. اعطت الادب المهجري دما جديدا ، وحيوية متدفقة خلاقة مبدعة .. وبرز بعض هذه الاقلام ، في مختلف اوجه النشاط الفكري ، حتى اصبح يشار اليها بالبنان ، وتوجه اليها عبارات الثناء والتقدير من كل مكان .

لقد انتقلنا من حديث الادب ، الى حديث الصحافة — لانهما متلازمان متوافقان لا ينفصلان . ومن المحال ان يبحث عن احدهما في معزل عن الآخر — اذ ان صلة كل منهما بالآخر وثيقة متينة محكمة . وكل منهما متواجد مع صاحبه ، متمم له ، منصهر فيه .

ولكن .. اذا كان الاديب العربي في البرازيل ، وغيرها من المهاجر الامريكية التي توجد فيها صحف عربية — كما مر معنا — يستطيع ان ينشر انتاجه الادبي ، او بعضه ، في البلد الذي يقطن فيه .. فليس معنى ذلك ان الاديب في الارجنتين لا يجد له منطلقا لنشر روائعه في الصحف العربية بالمهاجر الاخرى ، او في صحف الوطن الام كما هي حالهم دائما وباستمرار .

ودور النشر الرسمية والشعبية ، في العالم العربي ، تخرج كل عام عددا من الكتب لشعراء وكتاب مغتربين ، لا يهبط مستوى انتاج بعضهم عن مستوى انتاج اشقائهم في الوطن العربي — وهيهات . وقد نشرت وزارتا الثقافة والارشاد القومي ، في سورية والعراق ، عددا من المؤلفات للشاعرين المتفوقين الياس قنصل وزكي قنصل ، وما تزال الطلبات تنهال على هذين الشاعرين الكبيرين ، من البلدين المذكورين ، ومن مختلف الاقطار العربية الاخرى ..

وفي البرازيل ينشر كل عام عدد من المؤلفات — شعرا ونثرا — وللاستاذ نواف حردان بضعة مؤلفات نشرت خلال بضعة اعوام . واكرر القول بانني لا اريد الخوض في معرض اسماء .. فذلك امر يطول . وكتابي « المغتربون » الذي تصدر الطبعة الثانية منه قريبا ، باذن الله ، سوف يتضمن دراسات واسعة للادب العربي في المغتربات ، وتركيزا تاما حول هذا الموضوع وسواه .

وفي يقيني .. ان من الصعب ان يقيم المرء الادب المهجري بين الفترة التي مرت ، والتي نعيشها اليوم ، تقييما واسعا دقيقا عميقا في مقال محدود الصفحات والاسطر . ولكنني استطيع الجزم — وبكل قناعة وايمان — اننا اذا استثنينا اولئك العمالقة الذين مر ذكرهم في مطلع هذا المقال ، وقد مضى اكثرهم الى عالم الخلود .. فان الرهط الادبي الحالي في المغتربات لا يقل مستواه عن مستوى الآخرين — بل ربما زاد مستوى الكثيرين من هؤلاء ، عن مستوى الكثيرين من اولئك .. ما عدا العمالقة المعروفين طبعا .

ومن الظلم — بل من التجني على الحقيقة والواقع .. ان يتهم الادب المهجري الحالي بالركود والخمود ! فما قولك اذا زاد الاتهام حتى يصل الى حد الادعاء بانه قضى ومضى ، وانتهى وزال ؟ ! ثم نستعمل له كلمة « يرحمه الله » ، ونتصدق عليه بها — كما فعل الدكتور الناعوري .. حفظه الله ، وسامحه الله !

سان باولو — البرازيل — عبد اللطيف يونس

ارجوحة القمر

*

في ليلة لم تعرف القمر
جلست وحدي ارقب السماء
لعلها تغازل الغريب
وتنثر الزهر
في عالم نهاره ظلام
وحبه الم

ما للسماء تحجب القمر
وتنحر الآمال ؟
في ليلة عاصفة الانواء
غيومها اقسى من ...
وصرخة الفناء

الشارع الممتد والشجر
وخفقة المصباح في ظلامه الرهيب
والريح تعوي دونما خجل
كانها تطارد الغريب
في عالم الاموات
والناس غرقى ههنا في لجة العدم
جلست وحدي ارقب السماء
اواه لو ترحمني السماء
وتبعث القمر
لارشف النور الذي يرشفه العراق
وارتوي من ثغره الحبيب
وابصر النخيل في ضيائه العطر

هل يعلم العراق
بانني في غربتي اعانق الفرات
وارشف الرحيق
والثم الارض التي تحضنها الحياة
ويعبر النهر بها ارجوحة القمر
اني هنا اسائل السماء
والريح والمطر
هل نسمة عاطرة الانداء
وهمسة من سعف النخيل
تغمرني بالدفء والحنان
في عالم لا يعرف الحنان

سيرجع الغريب يا عراق
وترتوي الاشواق
وتبسم الحياة
ويورق الامل
سبع عجاف كلها حنين
ضاعت وما الندم
بنافع يا وطني الحبيب

يا خفقة لم تعرف الونى
يا بسمة احيا بها يا جنة المنى
ساعلت بالامس ربى الخليج
عن شطك الجميل
عن دجلة الخير وعن فراتك الطروب

واليوم في غياهب العدم
اسائل السماء والمطر
اسائل الريح عن القمر
لعلني اراه
لعلني اراه

سافرون ــ انكلترة

احمد مطلوب



الدكتور عدنان الخطيب

الدكتور عدنان الخطيب

بقلم عجاج نويهض

* * *

ليس ابهج للقلب ، واغبط للنفس ، واكثر انعاشا للاماني العروبية الجامعة لابناء الضاد في القارتين ، من عرض صور رجالات الميادين العاملين في سبيل مستقبل العرب لاعادة العربية سيرتها الاولى نضارة وضياء ، توهجا واشراقا ، واعزاز الثقافة العربية ، وهي الرابطة بين الاذهان والارواح بين العرب ، متجاورين الجدار لصق الجدار ام تناءت بينهم الديار ، وذلك ما نراه من اهل العزم والمضاء ، والعلم والعرفان ، وكلهم نجوم ومصابيح ، في المجامع العلمية للغة العربية في عواصمنا الكبرى ، والمشاركين لهم في الابحاث والدراسات في الصحف والمجلات ، والمقبلين على المحاضرات في المعاهد والاندية والمدارس والجامعات ، وما نرى من جلسات المناقشات ونقد الآراء ، ابتغاء الوصول الى افضل المحصول والمنخول .

فنهضتنا في اللغة وآفاق الثقافة ، منذ الحرب العالمية الاولى الى اليوم وذلك ستون سنة ، جنينا فيها من طيب الثمرات ما يوطد الثقة باننا الى مستقبل حضاري واسع المدى ، والى مشاركة بناءة عملية في نسج خيوط هذه الحضارة التي كلما تعقدت في آلتها وادواتها واجهزتها ، نبهتنا الى اننا نحن العرب اذا لم نستثمر كل طاقاتنا ، ونسخر كل قوانا وممكناتنا وانظمتنا ، ونعمل معا ، لتقوية قوافلنا نهجا وصمودا ، ثقلت بالتالي علينا الاعباء ، وانتهى منا الى اولادنا واحفادنا ميراث فيه طيبات وحلاوات ، واشواك ومرارات ، وها نحن كدنا ندرك قمة القرن العشرين ومن اطلع مؤخرا على كتيب محاضرة العلامة الكتور قسطنطين زريق في « المركز الثقافي الاسلامي » وهو يتكلم عن « تاريخ المستقبل » يدرك ان العرب عليهم اذا شاءوا الحياة ان يشتروا مستقبلهم بثمن .

لا احب الكنايات حيث الصراحة اولى : اني اتكلم في هذه المعاني التي احصر تعلقها بثقافتنا ولغتنا ، ولا اريد ان اخلط شيئا من هذا بما بيننا وبين العدو الذي في فلسطين ، ذلك لان قضية فلسطين وان كانت دولنا العربية جمعاء هي المسؤول الاول عنها امام الله والتاريخ والذراري ، من حيث السلاح والمقاومة ، غير ان مستقبل فلسطين هو مسؤولية كل عربي وعربية على وجه الارض قاطبة ، قربت الديار من فلسطين ام شط مزارها عنها ، واني من جهة هذه الحقيقة لا افرق في تحمل المسؤولية بين دول تسمى « مواجهة » ، ودول تسمى « مساندة » ودول تتلذذ باخبار فلسطين على التلفاز والمذياع .

فلنبق في الفلك الثقافي . فانت ترى اليوم ان هذه الامة الكريمة العنصر والجرثومة ، يرن طبقها النحاسي على نقرات الدعوات الثقافية الشاربة من ينابيع التاريخ ، وليس مثلنه رنين الطبق اذا كانت النقرات سياسية ، فاصطلاح « من المحيط الى الخليج »(١) هو تعبير الاشواق الثقافية لا السياسية ، او تعبير عروبي لا « دولي عربي » .

في مقدمة الموكب الثقافي في امتنا اليوم ، المجامع العلمية للغة العربية ، وهي القاهرة ودمشق وبغداد ، وقد الفت هذه المجامع اتحادا فيما بينها قبل سنتين ، وهذا لا ريب يرفع من شأن العربية عالميا ، حضاريا ، راجين ان يزداد بعد اليوم انتاج الاتحاد لمصلحة عرب القارتين .

ويسرنا السرور كله ان نتناول من حين الى آخر ، وكلما تيسرت الوسائل والاسباب ، شخصية عربية علمية ثقافية رائدة ، لها راية ورابية ترتفع عليها ، وسيرة نضال عروبي وضاء ، والمبتغى من وراء هذا ان تزداد وشائج قربى في هذه الآفاق الضادية النقية التربة الشهية الثمر ، وترنو الى « مستقبل » وصفه الدكتور قسطنطين زريق وصفا مشبعا في محاضرته الغنية بالمصابيح .

---

(١) — لما كانت « الحكومة العربية » في دمشق من تشرين الثاني ١٩١٨ الى آخر تموز ١٩٢٠ وكانت ثورة الاماني القومية العربية ، والعراك شديدا بل على اشده بين العرب وفرنسا ، والصهيونية مع لندن تنتظران اقتلاع العرب من سورية ، كان الصارخ سياسيا لا ثقافيا يقول بوحدة سورية (ومنها فلسطين) هكذا : « من طورس الى رفح » . فجاء بعده « الوطن العربي الكبير » بين الحربين وهو ثقافي ، وبعد الحرب الثانية جاء « من المحيط الى الخليج » وهو ثقافي كما قلنا .

ونحب ان نكون الآن مع علم من الاعلام : له راية ورابية ، هو الاستاذ الدكتور عدنان الخطيب نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق . وعضو مجمع اللغة العربية ورئيس مجلس الدولة السوري .

واول ما يواجهك من سير تافلته ، وانت تشاهد منها المراحل والادوار ، ومواقف البروز ، وغزارة العطاء ، ان عدة مناح ثقافية متآخية ، راحت تتناغم وتواكب بعضها بعضا في السير . وهذا نادر الاتفاق في مواهب اهل الثقافات الواسعة . فالاستاذ الدكتور عدنان الخطيب — بعد قليل نتناول نشأته العلمية المحلية والعالية — اول عمله كان في المحاماة ثم انتقل الى القضاء وجعل يصعد سلمه (بتشديد اللام) حتى بلغ ذروته ، وهو في الوقت نفسه نراه محاضرا ، استاذا في كلية الشريعة واستاذا للحقوق الجزائية في كلية الحقوق للجامعة السورية . وفي عهد الوحدة بين مصر وسورية انتخب في اللجان التي عهد اليها توحيد القوانين وعين مستشارا في مجلس الدولة للجمهورية العربية المتحدة ، وكلف ألقاء محاضرات جمة في نوبات مختلفة في معهد الدراسات العالية التابع لجامعة الدول العربية ، وغالبا ما كانت هذه المحاضرات تجمع وتظهر بشكل كتب . وشغل منصب «رئيس مجلس الدولة» السوري نحو ٦ سنوات آخرها نهاية ١٩٧٤ ثم منذ ١٩٦٠ وهو من الاعضاء العاملين في مجمع اللغة العربية بدمشق وبالتالي انتخب نائب رئيس المجمع ، كما انتخب عضوا في المجمع العلمي العراقي . وكتبه تتوالى ظهورا وانتشارا ، وبعضها يعاد طبعها لنفاد طبعاتها ، وجميع كتبه ذات المنحنات الجمة ، في الدساتير والقوانين ، والادب واللغة في القانون . وشارته العلمية البارزة في جميع كتبه على اختلاف ميادينها ، روح التعمق ، وعشق الاستقصاء ، والكشف الباهر عما كان مستورا او خفيا .

فمجمع اللغة العربية في مصر لما جاء سنة ١٩٧٢ يعد عدته لاصدار الطبعة الثانية من « المعجم الوسيط » ، نظر في ما انتهى اليه من نقد النقاد للطبعة الاولى ، حتى اذا اقر ما اقر من تلك النقود تدارك النقص في الطبعة الثانية التي هو بسبيلها ، وانتدبت لجنة مجمعية مؤلفة من اربعة : دكتور ابراهيم انيس ، ودكتور عبد الحليم منتصر ، والاستاذ عطية الصوالحي ، والاستاذ محمد خلف الله احمد ، لوضع « مقدمة الطبعة الثانية » ، وقالت وهي تجول في نطاق تلك النقود ما يلي : « وفيما عنيت اللجنة بدراسته ، كتاب للاستاذ الدكتور عدنان الخطيب اخرجه مجمع اللغة العربية بدمشق ، عنوانه : « المعجم العربي ونظرات في المعجم الوسيط »(٢) » .

(٢) — هذا غير كتاب آخر للدكتور عدنان الخطيب اسمه « المعجم العربي بين الماضي والحاضر » سنأتي على ذكره بعد قليل ، وهو محاضرات القاها على طلاب قسم الدراسات الادبية اللغوية « معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة » وطبع ١٩٦٧ .

وفي ربيع ١٩٧٦ انشىء اتحاد مجامع اللغة العربية يضم مجمع اللغة العربية في القاهرة ، ومجمع اللغة العربية في دمشق ، والمجمع العلمي العراقي في بغداد ، ويمثل كل مجمع عضوان ، فمجمع القاهرة يمثله رئيسه الدكتور ابراهيم مدكور (وهو رئيس الاتحاد) والدكتور محمد خلف الله احمد ، ومجمع دمشق يمثله رئيسه الدكتور حسني سبح والدكتور عدنان الخطيب ، ومجمع بغداد يمثله رئيسه الدكتور عبد الرزاق محي الدين والاستاذ عبد الستار الجواري .

يلوح لي اننا توسعنا هذا التوسع في الكلام المتقدم ويصيب منه نصيب الدكتور عدنان الخطيب ، قبل ان نذكر شيئا عن حياته ونشأته وتحصيله العلوم ، فنقول موجزا انه هو ابن العالم الشيخ عبد القادر الخطيب ، وآل الخطيب في دمشق من الاسر العربية الاسلامية ، العريقة بالاصالة وطيب الارومة في العالمين العربي والاسلامي ، وبيوتاتهم بيوتات الفضل ومتوارث العلم .

ولد عدنان في دمشق سنة ١٣٣٤ هـ — ١٩١٥ م وحصل علومه الابتدائية والثانوية في دمشق نفسها ، وبعض العلوم اخذها خصوصيا عن بعض العلماء . ودرس الحقوق في جامعة بغداد ، واما شهادة الدكتوراه في الحقوق واجازة في العلوم المالية فقد نالهما من جامعة باريس .

بعد عودته الى سوريا اشتغل بالمحاماة الى سنة ١٩٤٤ وفي تلك السنة ، شهدت دمشق ، والحرب في تواليها ، موجات عروبية جامعة ، تمثلت « بمؤتمر المحامين العرب الاول » بدمشق ، فكان للدكتور عدنان الخطيب اليد الكبرى البناءة في هذا المؤتمر الذي كان له صدى عظيم في العالم العربي ، وقضية فلسطين وقتها في طريقها لتسلم الى الجزارين بعد نحو ٤ سنين .

ويظهر لمتتبع سيرة الدكتور عدنان ، ان الشركة الوثيقة بين اللغة والقانون ، شركة ينبغي ان تصفى وتنقى ، ويخل محلها مصطلحات صحيحة ، وهذه قضية يبدو لنا انها اول شاغل استولى على ذهنه فأولاه من عنايته ما استطاع بصورة عملية لا نظرية ، فوضع في تلك الغضون كتابه « لغة القانون في الدول العربية » وكان له عظيم الوقع في العالم العربي ونتناوله فيما بعد(٣) .

وبعد ان تناهى في تقلد المناصب القضائية ، تولى في ربيع ١٩٦٩ رياسة « مجلس الدولة » وبقي رئيس هذا المجلس حتى احيل على « المعاش » آخر سنة ١٩٧٤ .

ولما أحيل على « المعاش » لبلوغه السن القانونية ، قرر مجلس فرع نقابة المحامين منح الاستاذ الدكتور عدنان الخطيب لقب « محام شرف » ، وتقليده الشارة الذهبية لمحامي دمشق ، تقديرا « للخدمات الجليلة التي قدمها للقانون ، لغة وقضاء وتأليفا ، من خلال عمله كقاض

(٣) — لدينا منه نسخة الطبعة الثانية ، طبع بدمشق سنة ١٩٥٢ .

وكاستاذ في الجامعة وكعضو في مجمع اللغة العربية ولما ارساه خلال ذلك كله من مبادىء للحق في اطار سيادة القانون » .

وبهذه المناسبة كتب اليه الشاعر الكبير « بدوي الجبل » رسالة في ١٩٧٥/٤/٢٩ نثبتها هنا ، لما لها من جلال وهيبة في المعاني والمباني :

اخي وسيدي الدكتور عدنان الخطيب

« ما مررت بمجلس الدولة بعد ان تركته ، الا شممت ارجا معطرا من بيانك ووجدانك ، وعلمك وعدلك ، لقد اعدت القضاء الى نبعته الاصيلة ، وصفائه القديم الوسيم ، ورددته عمري الحنان والعنفوان ، قويا تجل قوته ان تكون عنفا ، ورحيما تجل رحمته ان تكون ضعفا .

ولعلك تأثرت بقضائك بعظيم الدنيا عمر بن الخطاب ، فانت في الاحكام للحق جريء متقحم ، وفي الاحكام على الباطل جريء متقحم ، هذا مع تغير الزمان وتغير السلطان ، ومع فورة للطغيان لا تردها الا فورة للايمان .

انك يا اخي وسيدي لتزين كرامة الشام بكرامة عبقريتك ، وتجعل تاريخ الشام بجمال المعيتك ، وتجمع الى التفرد بقدسية القضاء التفرد بقدسية الوفاء ، وشموخ الاباء ، والعلم عندك واسع عميق ولكنه لا يتكبر ولا يتعالى لانه واسع عميق .

ومن نعمة العذوبة في شمائلك نعمة العذوبة في علمك ، ومروئتك رائعة وتزيدها في كتمانها روعة واشراقا على اشراق ، وسريرتك وعلانيتك حسناء تقطر المرآة فيتقابل جمالان ، ويتنازع الوسامة والقسامة وجهان ، ولا غموض في عبقريتك ولا تعقيد ولا اسرار .

يريدون اسراري والليل سره اذا تغيبوا عنه ، وما للضحى سر

يا اخي وسيدي ، تحية اجلال وحب معطرة بذكرى ابيك العظيم الذي شرفني بعطفه علي في صباي ، كما شرفتني بعطفك علي في كهولتي » بدوي الجبل .

ولما قدم الشاعر الكبير محمد البزم ، رحمه الله عضو المجمع العلمي العربي ، الى المجمع العلمي العربي ترشيحه الدكتور عدنان الخطيب ليملأ احد الكراسي الشاغرة سنة ١٩٥٣ كتب وقال : الدكتور عدنان الخطيب :

« ثمرة يانعة من بيت عرف بالعلم والادب ، شب وترعرع في هذه البيئة التي اكسبته خلقا ساميا وتشوقا الى العلم والدراسة ينتفع بهما لينفع ، فغدا — وقد رزقه الله نشاطا وحماسة — رجل علم وادب ، جمع الى معلوماته الادبية الغزيرة ، ثقافة حقوقية واسعة ، وقلما ان تجتمع هاتان الصفتان .

صرف همه الى الكتابة في امهات المجلات العربية ، يديج يراعه مقالات كثيرة في اغراض متعددة ، ثم تركز هذا الانتاج فطلع على الناس بكتاب صغير الحجم جليل القدر ، عرض فيه لنقد لغة القانون ، وكيف اضحت هزيلة لا تقوم بما حملته من اعباء ، واقترح ان توحد المصطلحات الحقوقية في جميع الاصقاع العربية ، ليلائم مبنى الفكرة معناها . ودعم كل ذلك بامثلة تنضح عما يملكه المؤلف من تضلع في اللغة وتعمق في الحقوق ، كما اخرج للعالم القضائي كتابه « شرح قانون العقوبات » طبع منه جزءا سيتلوه اجزاء ، وهذا عمل ضخم لا يجرؤ على القيام به الا من انس من نفسه الثقة والقدرة اللتين يتحلى بهما صاحب الكتاب ، فسد بذلك فراغا في الخزانة الحقوقية العربية التي تفتقر الى امثال هذه التآليف القيمة افتقار كل قاض ومحام اليها .

ولعل تجوال الدكتور الخطيب في ربوع الغرب فتح امامه آفاقا ساعدته على القيام بعمله هذا اتم قيام ، وهذا ما جعل رجال القانون والقضاء يثنون على مؤلفه القيم وتلهج السنتهم بما وتقوا عليه من علم يرتدي رداء الادب ، ونتاج لفكر ابدع ولا يزال يبدع » .

مؤلفاتـــــه

بين ايدينا من مؤلفات الاستاذ الدكتور عدنان الخطيب ما نذكره حسب ابوابه العامة ، غير ناظرين الى تاريخ الطبع من حيث التقديم والتأخير :

في التاريخ والاجتماع والتراجم

١) الشيخ طاهر الجزائري — رائد النهضة في بلاد الشام واعلام من خريجي مدرسته — تاريخ الطبع ١٩٧١

٢) الشيخ محمد بهجة البيطار — حياته وآثاره ١٩٧٦

٣) الامير مصطفى الشهابي — ١٩٦٨

٤) ساطع الحصري — ١٩٦٩

٥) الدكتور احمد زكي — حياته وآثاره ١٩٧٦

٦) عارف النكدي — حياته وآثاره ١٩٧٥

٧) الذكرى المئوية لولادة الاستاذ الرئيس محمد كرد علي ١٩٧٧

٨) المجمعيون في خمسين عاما ١٩٦٩

٩) الشيخ عبد القادر المغربي حياته وآثاره — وخطاب الدكتور عدنان الخطيب في المجمع ١٩٦٠

١٠) الخطابان الملقيان في جلسة استقبال الاستاذ عبد الهادي هاشم (خطاب الدكتور عدنان الخطيب وخطاب الاستاذ عبد الهادي هاشم) ١٩٦٩

في الادب ، والمعجم العربي والحروف العربية

١١) المعجم العربي بين الماضي والحاضر — ١٩٦٧

١٢) الارقام العربية بين مشرق الوطن العربي ومغربه — ١٩٧٦

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في اللغة العربية والقانون

١٣) لغة القانون في الدول العربية — الطبعة الثانية ١٩٥٢

١٤) الوجيز في اصول المحاكمات ، الجزء الاول — ١٩٥٨

١٥) الاجراءات الادارية — ١٩٦٨

١٦) تاريخ القضاء الاداري — ١٩٧٥

وهناك كتب اخرى لم نطلع عليها بعد وهي :

— تطور العقوبة عند البدو

— شرح قانون العقوبات

— المسؤولية الجزائية في قانون العقوبات السوري

— النظرية العامة للجريمة

ونحاول ان نتناول الآن اربعة من هذه الكتب :

— الشيخ طاهر الجزائري

— المعجم العربي بين الماضي والحاضر

— لغة القانون في الدول العربية

— تاريخ القضاء الاداري

كتاب « **الشيخ طاهر الجزائري — رائد النهضة العلمية في بلاد الشام واعلام من خريجي مدرسته** » هذا الكتاب المثير في فتح نوافذ جديدة على سيرة الشيخ طاهر رائد النهضة العلمية في بلاد الشام وصديق والي سوريا مدحت باشا الشهير بأبي الدستور وبمشروعاته الاصلاحية العمرانية المدهشة ، في كل ولاية جاءها واليا (العراق وسورية وعدة بلدان في البلقان) التي محاضرات في قسم البحوث والدراسات الادبية واللغوية في القاهرة ثم جمعت المحاضرات في هذا الكتاب النفيس . توفي هذا المصلح الشيخ طاهر الجزائري اوائل سنة ١٩٢٠ في دمشق عهد « الحكومة العربية » كما درج على التعبير عنها بهذا الاسم ، وهي الحكومة التي كان يراسها (الامير) فيصل بن الحسين وعاشت نحو ٢٢ شهرا آخرها آخر تموز ١٩٢٠ .

ولا نعلم ان للشيخ طاهر رحمه الله ، سيرة في كتاب براسه ، منشورة بعد وفاته ، قبل كتاب الدكتور عدنان من هذا الموضوع ، الا ما كتب عن الشيخ المصلح من قبيل المقالات الصحفية او الترجمة المقتضبة في بعض المجلات .

قال المؤرخ الدكتور عدنان في مقدمته الوجيزة : — « انا لا اترجم في هذه المحاضرات لرائد من رواد النهضة العربية الحديثة فحسب ، ولا لطائفة من اعلام تلامذته ، يمثل كل واحد منهم ، في حياته وآثاره العلمية ، نهجا خاصا في دروب هذه النهضة اهتدى الى معالمه من استاذه ، بل انا اصور مع هذا وذاك ، واقعا مرت به اكثر الاقطار من بلادنا العزيزة ، وكانت تعصف بها خلاله عوامل خفية اورثتنا بعض ما نحن فيه اليوم من فرقة واختلاف راي ، وانتهت بنا الى حال لا يسر الا الذين يكرهون العرب والاسلام » .

واذا شئت ان تقف على تلك « العوامل الخفية » التي باعدت بين السيد جمال الدين الافغاني وتلميذه الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، ثم ما الفت بين الاستاذ الامام والشيخ طاهر الجزائري ، والجزائري كان في الشام منزلة ومقاما مرعيا كما كان الاستاذ الامام في مصر ، فعليك ان تقرا الكتاب اذا كنت ممن يعنى بدراسة رواد الاصلاح . وقال الاستاذ محمد كرد علي احد تلامذة الشيخ طاهر : « استاذنا العلامة الشيخ طاهر الجزائري في هذه الديار كالاستاذ الامام محمد عبده في مصر » .

إذا وعيت الفقرة الاولى التي مررت بها الآن ، وهي من مقدمة المؤلف الحصيف اللبيب ، فاليك منها الفقرة الثانية ، وهي تستثير اهتمامك جدا ، فقال : —

« لقد قل في كتابنا ومؤرخينا من جرؤ على التصدي لدراسة تلك العوامل ، او حتى على الاشارة اليها . وغدا قد اجد من ينكر علي تدوين بعض الحقائق في هذه المحاضرات ، لان مرارتها ستصعب تقبلها عند بعض الناس ، وعذري في ذكرها ، وقد حان الوقت للافادة من عبرها ، ان مرارة الدواء لا تسوغ حجبه عن اعز الاعزاء (كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال) .

وتلك « العوامل الخفية » هي الماسونية التي كانت اضاليلها تنبث في المجتمع خفية انبثاث الافاعي في التبن ، وتقوم بأفاعيلها فعل الميكروب في الجسم ، وخبر السيد جمال الدين الاعيبها وتلميذه الاستاذ الامام ، والشيخ طاهر ، واخبرا جاول منذ سنين تجربتها عن كثب الشيخ محمد ابو زهرة ، حتى اذا انكشفت له تمويهاتها استعاذ بالله وانسحب منها . وهذا الموضوع بجملته ، ونحن ننظر الى حوادثه اليوم بعد نحو ثلاثة ارباع القرن من تجربة السيد جمال الدين ، هو منظورا اليه منا بالنسبة الى حملة عرش الدعوة الى الاصلاح العربي الاسلامي ، يفرض علينا ان ننتظر مزيدا من الانكشافات عن تلك الخفايا ، ومزيدا من الامتداد في الاستقصاء العلمي على الطراز الذي يتبعه ويجري عليه صاحب كتاب « الشيخ طاهر الجزائري » فالى الدكتور عدنان الخطيب يعود الفضل في هذا الباب حتا .

اما من جهة الحقيقة ، وهي كون الشيخ طاهر الجزائري ، رحمه الله هو رائد النهضة العلمية في ديار الشام ، فهي ام الحقائق في دراسة مناشىء النهضة ، واول اخضرار مروجها في العهد الاخير من حياة السلطنة العثمانية ، وهذا يشمل الربع الاخير من القرن التاسع عشر الى ١٩١٨ . ونرى من الواجب ان نقول بهذه المناسبة ، ان دراسة الاستاذ جورج انطونيوس في كتابه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« يقظة العرب » في طبعته الاولى بالانكليزية (١٩٣٨) هي على الجم من حسناتها ، ولا سيما للقارىء الاجنبي ، لم تبلغ النهاية من جهة الكشف عن مبادىء الحركة في سوريا على يد الشيخ طاهر وتلامذته ، وهذا رأس المال الاول . واخبرني الشيخ كامل القصاب سنة ١٩٥٥ ان الاستاذ انطونيوس قصد الاجتماع بالشيخ كامل الذي هو ولا ريب ثقة ، وخزانة المعلومات الصافية ، فنبهه الشيخ الى حقائق وامور جمة ، هذا يوم كان الاستاذ انطونيوس يرحل ويراجع مادة صالحة لكتابه ويمده مستر كراين بالمعونة في مشروعه .

والذين ترجم لهم الدكتور عدنان من تلامذة الشيخ طاهر هم اربعة : المؤرخ العلامة محمد كرد علي ، والداعية العربي الاسلامي محب الدين الخطيب ، والعالم الفقيه الشيخ محمد سعيد الباني ، والقائد العسكري الشهيد سليم الجزائري ، وهو ابن اخي الشيخ طاهر ، كفله ورباه بعد وفاة ابيه ، فنبغ في التاريخ العربي والعلوم العسكرية الحديثة متخرجا من معاهد الاستانة ، وكان من الاحرار العرب الذين علقهم السفاح احمد جمال الطوراني قائد الجيش الرابع على الاعواد في بيروت في خلال الحرب الاولى في ١٩١٦/٥/٦ .

ولما نقل الجند التركي قافلة الاحرار (المحكوم عليهم بالاعدام) من عاليه حيث كان المجلس العرفي العسكري ، الى بيروت ليلا ليعلقوا في الصباح في ساحة البرج (بعدئذ ساحة الشهداء) كانوا ينشدون الاناشيد القومية طول الطريق وفي الغرف التي زجوا فيها حتى انقضاء الليل ، ولما جاءت نوبة القائد العسكري سليم الجزائري ليقاد الى كرسي المشنقة ووقف على الكرسي ليربطوا الحبل في عنقه ثم تسحب الكرسي من تحته ، واراد الجنود القائمون بتنفيذ الشنق ان ينزعوا النظارات الطبية (العويقات) التي على عينيه ، زمجر وصاح بملء صوته : ابعد عني يا هذا ، اني اريد ان اموت وانا على مثل الحالة التي كنت آمر جنودي فيها . قل للطاغية جمال ان لا يسترسل في سروره اذا رآني اموت . ان روحي ستبقى حية ، وستطبع في نفوس العرب محبة الوطن وكراهية « الاتحاديين »(٤) .

قال الامير مصطفى الشهابي في كتابه « القومية العربية » :

« وفي تلك المدة التي قضاها الشيخ طاهر الجزائري بالشام ، كان يتحلق حوله في دمشق صفوة المتعلمين والنبهاء والمفكرين العرب فتالف من جماعتهم اكبر حلقة ادبية وثقافية كانت تدعو الى تعليم العلوم العصرية ، وممارسة تاريخ العرب وتراثهم العلمي ، وآداب اللغة العربية ، والتمسك بمحاسن الاخلاق الدينية ، والاخذ بالصالح من المدنية الغربية » .

وقال محب الدين الخطيب عن استاذه الشيخ طاهر :

- « وعن هذا الشيخ الحكيم عرفت عروبتي والاسلامي » .

والكتاب في ١٨٣ صفحة مع الفهارس ، طبع في مصر (معهد البحوث والدراسات العربية) ١٩٧١ وهو صحيفة علم ، وتمحيص ، وكشف وتاريخ وحقيقة . ولا نقول ما يقال عادة : ولا يستغني عنه اديب او دارس تاريخ في ميادين النهضة العربية الاسلامية ، بل نقول يجب على كل عربي مستيقظ ومسلم مستضيء ، ان يقرأ هذا الكتاب ويستوعبه ويحيط به احاطة وعي وهضم . ويشكر مؤلفه الاستاذ الدكتور عدنان الخطيب فانه اعطى الامة كنزا وذخيرة .

- **المعجم العربي بين الماضي والحاضر** : وهو محاضرات القيت على طلاب قسم الدراسات الادبية واللغوية ، وطبع سنة ١٩٦٧ ويقع في اكثر من مئة صفحة بقليل من الحجم الوافي وللمؤلف ابحاث اخرى في هذا الموضوع ، كالتي نشرت في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦٥ . وبين دفتي هذا الكتاب تقرأ بوضوح وبيان قصة المعجم العربي كلها وما اطيبها وما الذها . تحدثك عن اول نشوء المعجم ، هذا المعمر الذي هو اكل الدهر وشرب عليه ، لا الدهر اكله ، في خمسة عشر قرنا ، وكيف ترعرع وشب وما شاب ولن يشيب ما طلعت على الارض الشمس وتناسخ الملوان . وتحدثك القصة عن تزتيب حروف المعجم وسبب الاختلاف في هذا الترتيب ، وكما قال المؤلف : « معددين اعلام المشتركين في تشييد صرحه العظيم ، مع بيان اشهر مؤلفاتهم ، وكل ذلك — يستمر المؤلف في عبارته — لنصل الى الكلام عن المعجم المنشود ، وكيف يجب ان يصنع ، آملين ان يكون عملنا هذا مشاركة متواضعة في خدمة العربية ، فاما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض »(٥) .

وقصة المعجم في العربية غير قصة النحو ، في النشأة ، وان كانت الغاية واحدة . واحدث المعجمات لدينا في زمننا المعاصر ، هو « المعجم الوسيط » وضعه مجمع اللغة العربية في مصر . ومر بنا ان هذا المجمع الموقر لما جاء منذ نحو سبع سنوات يصدر الطبعة الثانية من « المعجم الوسيط » واراد الاستبصار بما ورده من

---

(٤) — « الشيخ طاهر الجزائري » ص ٨٥ . و « الاتحاديون » هم المنتمون الى « جمعية الاتحاد والترقي » التركية الطورانية التي عملت سرا في « اعلان الدستور العثماني » سنة ١٩٠٨ وخلع عبد الحميد سنة ١٩٠٩ في حوادث مشهورة في تاريخ ذلك الانقلاب . وكان عمال الصهيونية الماسونيون يعملون مع الاتراك في « جمعية الاتحاد والترقي » وصار يقال لرجالها « اتحاديون » الى انحلال السلطنة في خريف ١٩١٨ .

(٥) — من مقدمة المؤلف .

نقود النقاد على الطبعة الاولى ، نظر بعناية في كتاب في الموضوع للدكتور عدنان الخطيب عنوانه « المعجم العربي ونظرات في المعجم الوسيط » .

وطوى هذا الكتاب على مرحلتين ، الإولى دارت حول المعجم الاول في ماضيه ، والثانية حول المعجم العربي في العصر الحديث ، وحدثنا كيف نشأت كلمة « معجم » ، وبنشط نقد المعاجم القديمة كلها مبينا عيوبها ، حتى انتهى الى بيان ما ينبغي ان يكون عليه المعجم الحديث ، وآخر ابحاثه : « المعاجم العربية بين الفن والصناعة » .

ومن ملاحظة تاريخ نشاط علماء السلف الكرام في وضع المعاجم ، من معجم الليثي نصر بن عاصم في القرن الإول الهجري ، الى آخر ما وضع من معجم في القرن الثاني عشر ، وهو « تاج العروس » للزبيدي ، نجد ان اوسع نشاط واغزره في القرون كلها ، كان في القرنين الثالث والرابع ، وهذه قرون الزمان من بني العباس ، المزدهرة ثم ما تلاها من عصور الانقباض والانكماش ، وانفصال الامصار النائية عن عاصمة الخلافة بغداد ، والذين اشتركوا بثقافاتهم العلمية اللغوية في بناء المعجم العربي ، يزيدون على ثمانين عالما علما في راسه نار . ووضع المؤلف حسابات دقيقة لهؤلاء جميعا ، كما وضع مثل ذلك للعلماء الذين وضعوا المعجمات ، على توالي العصور ، وهذا كله في جداول حسنة التنظيم والترتيب استغرقت جهدا كبيرا لم نر مثلها بعد في كل ما كتب في الموضوع . وتحب اعلام القارىء الكريم صفوة هذا . فهناك جدول على صفحة واحدة يبين حروف المعجم وترتيبها ، (وشبيه هذا قد تراه في غير مؤلفات ايضا) .

وهناك جدول في ثلاث صفحات متتالية يطلعك على « اشهر المشتركين في المعجم العربي » . وهؤلاء هم الذين يزيد عددهم على ثمانين عالما ، كل واحد منهم مذكور بشهرته او كنيته في خانة من الجدول ، وعلى اسمه الكامل ، وتاريخ مولده ووفاته ، ومعطياته للمعجم واهم مؤلفاته اللغوية ، مع ملاحظات للمراجع ، وكل باب من هذه المواد في خانة من الجدول .

ثم هناك جدول آخر يشغل صفحة واحدة يتناغى لذة ومتعة علمية عنوانه « امهات المعاجم العربية واشهرها مصنفة بحسب نهجها » . فهذا الجدول يحتوي على اسم المعجم ، واسم مؤلفه ، وتاريخ وفاته ، ومكان الوفاة ، والنهج الذي نهجه المؤلف في وضع المعجم ، والميزات التي له ثم الملاحظات . واسماء هذه المعاجم يعرفها القراء ، غير ان العبرة التي تبعث على عميق الاطراق ، والتامل الصامت ، ونحن اليوم مقبلون على مفتتح القرن الخامس عشر ، ان نفكر في هؤلاء الذين بنوا لنا كعبة لغتنا ، واحاطوها بالاسوار والحصون ، وكان كل واحد منهم انقلب في التاريخ سادنا لها ، وننظر الى اماكن وفياتهم فنجدهم موزعين في رقعة الضاد من خراسان ونيسابور والري وزمخشر وبغداد ومكة الى القاهرة ودانية وقرطبة في الاندلس . الا يشعر كل عربي بعربيته هذه انها زينة الدنيا ، معطية المحاسن للحضارات ، وانها خالدة باذن الله ، ما خطت قدما العربي فوق الارض . واني بهذه المناسبة وانا اكتب هذه العبارة من الفصل ، اشكر لاخي العلامة الاستاذ البير اديب صاحب « الاديب » ، حسن ذوقه المشهور ، فانه من عادته ان يقتبس عبارة حكيمة يجعلها على الغلاف من خارج تلتقطها العين بسرعة ، وفي عدد ابريل الماضي كانت هذه الكلمة الحكيمة الفلسفية للعلامة اللغوي الاستاذ محمد العدناني وهي : « ارى ان المجد اللغوي لا يقل قيمة عن المجد السياسي في الامة الصاحية حديثا من سباتها العميق » .

وارى من المستحسن ان انقل اليك جدول « امهات المعاجم العربية واشهرها مصنفة بحسب نهجها » ، مقتصرا من الجدول على اربع خانات تضمن اسم المعجم ، واسم المؤلف وتاريخ وفاته ومكانها ومجموع هذه المعاجم عشرون معجما :

اسم المعجم	اسم المؤلف	تاريخ الوفاة	مكان الوفاة
العين	للخليل	٧٨٦ م	البصرة
البارع	للقالي	٩٦٧ م	قرطبة
تهذيب اللغة	للازهري	٩٨١ م	خراسان
المحيط	للصاحبي	٩٩٥ م	الري
المحكم (والمحيط الاعظم)	لابن سيده	١٠٦٦م	دانية (الاندلس)
القريب المصنف	لابن سلام	٨٣٨ م	مكة
الالفاظ	لابن السكيت	٨٥٨ م	بغداد
المخصص	لابن سيده	١٠٦٦م	دانية (الاندلس)
الحروف	للشيباني	٨٢١ م	بغداد
اساس البلاغة	للزمخشري	١١٤٤م	خوارزم
المصباح المنير	للفيومي	١٣٦٨م	حماة
الجمهرة	لابن دريد	٩٣٣ م	بغداد
المجمل	لابن فارس	١٠٠٤م	الري
المقاييس	لابن فارس	١٠٠٤م	الري
ديوان الادب	للفارابي	٩٦١ م	زبيد
الصحاح	للجوهري	١٠٠٣م	نيسابور
العباب	للصاغاني	١١٨١م	بغداد
لسان العرب	لابن منظور	١٣١١م	القاهرة
القاموس المحيط	للفيروز ابادي	١٤١٥م	زبيد
تاج العروس	للزبيدي	١٧٩٠م	القاهرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد يلاحظ ان هذا الترتيب تابع للنهج الذي اتبعه المؤلف ولذلك جاء تاريخ الوفيات مختلفا . ونرى ان آخر هذه المعاجم وهو « تاج العروس » قد الف قبل غزوة نابليون لمصر ببضع سنين .

لغة القانون في الدول العربية : هذا كتاب صغير الحجم ككتب الجيب عادة ، وصفحاته لا تزيد على ١١٥ صفحة . له مقدمة حية بارعة « لاديب الشام الكبير علي الطنطاوي » ، قاضي دمشق وقتئذ ، ومطبوع في دمشق نفسها سنة ١٩٥٢ وهو من منشورات « حلقة الدراسات العلمية » ومهدى من المؤلف « الى الاستاذ الجليل محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي اجلالا وتقديرا » .

غير ان صغر حجم الكتاب الصاروخي ، لم يؤثر شيئا في قوة اختراقه الآفاق في العالم العربي على الصعيدين ، صعيد الشعوب العربية حيث يلتقي في كل قطر المشرع والقاضي والمحامي ، على بساط ثقافي قطري له في دنيا القانون مصطلحاته التي قلما تتفق ومصطلحات القطر الآخر ، والصعيد الآخر هو صعيد الحكومات العربية . فهذا الكتاب احدث اثره العميق في هذين الصعيدين ، مع اننا لو جئنا بمصطلحات كل قطر وقابلناها بمصطلحات اي قطر آخر ، بدت لنا رقاع شطرنج او الوان خرائط جغرافية ، وكل قطر عربي يوجد في رأس مواد دستوره او قانونه الاساسي يقول ان العربية لغة البلاد ، واكثر الدساتير يقول ايضا في معرض الانتماء القومي ان القطر ... جزء من الامة العربية .

فكانت رسالة هذا الكتيب ان يغرز المهاميز في خواصر المسؤولين يستحثهم عروبيا على التحرر من قيود المصطلحات التي هي فاسدة او غريبة . فتلقاه معظم القوم ، بل بمعنى ثقافي عام جميعهم ، بالترحيب وحسن الاستجابة لدعوته . وكانت هذه الصرخة المستغيثة ، قبل اليوم باكثر من ربع قرن ، محركة لوجدان العربي المسؤول في وجدان لغته ، ليذب عن حرماتها بين ايدي ابنائها ، ويدافع عن قدسيتها وكأن صوت حافظ ابراهيم صار هتافه تسمعه كل اذن .

واثير موضوع اللغة والتشريع في المؤتمر الاول للمحامين العرب في دمشق سنة ١٩٤٤ ، فمهد ذلك في تنبيه الاذهان ، ومما قاله المؤلف ، يا رعاه الله ، في محاضرته التي القاها في ذلك المؤتمر ، وعنوانها « اللغة القانونية في الاقطار العربية ووجوب تصفيتها وتوحيدها » : « ظلت اللغة العربية لغة التشريع والقضاء والفقه الى ان زالت دولة العرب ، فاخذت اللغات الاعجمية تتسرب الى الادارة والسياسة ، وما ان قامت دول المحاربين الاعاجم حتى اصبحت لغتهم لغة القضاء ، بينما ظلت لغة الفقه عربية مستمدة من ام التشريع الاسلامي العربي المبين ، فلما اخبت الدولة العثمانية ان تقتدي باوروبا في التشريع والتقنين اخذت تترجم القوانين الغربية الى اللغة التركية ، لغة الدولة الرسمية ولغة القضاء فيها ، فغدا القانون في البلاد العربية قانونا اجنبيا ، كتب بلغة اجنبية ويحكم به في الغالب قاض غير عربي » (ص ٦٧) .

وهذه امثلة من التباين في اللغة القانونية والمصطلحات الحقوقية :

— « الدستور » في مصر وسورية ولبنان هو « القانون الاساسي » في العراق وشرق الاردن .

— « الهيئة التشريعية » بمصر هي « البرلمان المصري » ، وفي العراق « مجلس الامة العراقي » .

— « مجلس الشيوخ المصري » يقابله في العراق « مجلس الامة العراقي » .

— « اللائحة » في مصر هي « النظام » في العراق ، و « المرسوم » في سورية ولبنان .

— « المرسوم » في مصر وسورية ولبنان هو « الارادة الملكية في العراق » (١٩٤٤) .

— « القرارات » في سورية ولبنان ومصر هي « التعليمات » في العراق .

وفي سبيل توحيد المصطلحات القانونية « هذا قبل ربع قرن » يرى المؤلف تاليف هيئة علمية عليا تمثل جميع الاقطار العربية ، فتقرر المصطلحات والمعربات اللازمة الاعجمية ، ثم تتخذ الوسائل الكافية لنشرها وتعميمها واعتمادها في تشريع كل قطر من الاقطار .

وقال في الفصل الاخير وعنوانه « التشريع والمشرعون » :

« ان التشريع في مختلف البلاد العربية ، انما يضع اكثره اناس لا يتصفون بصفات المشرعين ، ينقص بعضهم العلم الصحيح ، وتنقص آخرين الثقافة القانونية العميقة ، وينقص بعضهم الآخر الاختصاص في النوع الذي يتصدرون للتشريع فيه ، واكثرهم لا يتقن العربية ، بل ان فيهم من لا تربطه بعلومها وآدابها رابطة من صلة او نسب او ميل ، فهل من عجب بعدئذ ان كانت صياغة القوانين فاسدة لا يقرها الفكر السليم ، ولا يرتضيها المنطق العربي الاصيل» .

وبعد شكرنا العظيم للمؤلف البارع براعة النطاسي في تشخيص الامراض والاعراض ، في هذا الباب وكل باب في كتبه الفريدة النمط المجوهر ، ان لنا ملاحظتين منبعثتين عن حبنا الشمول في العروبة : الاولى ، ان الموضع لا بد ان يكون قد تقدم في خلال ربع القرن الاخير ، وما عقد في خلال هذه المدة من مؤتمرات رمت الى هذه الاهداف . والثانية ، كنا نتمنى لو كان المؤلف الموسوعي الدكتور عدنان الخطيب قد اوجز لنا حالة التشريع في المغارب العربية الشقيقة اذ غاية العرب ان يسيروا سيرا واحدا موحدا الى مصير واحد موحد ، وعسى عناية المؤلف تمتد في الطبعة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اما كرمي فلم افطره

ان اكن سمراء فالحسن نصيري ... انني نرجسة الوادي النضير

يا بنات الحي لا تنظرن لي ... نظرة الساخر مفلول الضمير

انها الشمس احالت مشرقي ... شفقا في الحسن مفقود النظير

اخوتي جاروا ... فيا لي منهم ... لم يكن كرمي لديهم بائر

فاقاموني .. على كرم لهم ... بينما كرمي مباح للمغير

الاسكندرية ... عبد العليم القباني

الثانية الى مغاربنا العربية لنعلم من الحال هناك ما نشعر بشوقنا اليه . اليس المصطلح من « المحيط الى الخليج » مصطلحا ثقافيا محضا ؟

« تاريخ القضاء الاداري ونظام مجلس الدولة في سورية » : صدر هذا الكتاب الخطير الشأن في بابه سنة ١٩٧٥ (معهد البحوث والدراسات العربية) من الحجم الوافي ، يقع في ٣٧٢ صفحة ، ولا اعتقد ان فائدته مقصورة على رجال القانون كما يتبادر الى الذهن ، وانما في منطوياته غذاء ثقافي متنوع مما يهم امره كل عربي على العموم وكل عربي في سوريا ولبنان ومصر على الخصوص . وفي هذا المجال الرحب ، بلغت خبرة المؤلف الدكتور عدنان الخطيب غاية اماناها ، موسوعي العلم جامعا لاطرافه ، مارس العلوم نظريا وعمليا ، فصح له من التجارب ما آهله ليكون من الرجال الذين يبنون الدولة ويرفعون اعمدتها . فالثروة التي يملكها هي ثروة الامة العربية .

مبدا الامر في هذا الكتاب ينبع من مؤسسات القضاء الاداري في سوريا ، ولباب هذه المؤسسات « مجلس الشورى العربي » الذي عاش من خريف ١٩١٨ الى ١٩٢٠ وبعد دخول الفرنسيين دمشق تغير الاسم الى « مجلس شورى الدولة » واستمر هذا الى ١٩٤٩ فتغير الى « المحكمة العليا » وفي سنة ١٩٥٦ تغير الى « مجلس الدولة » وذلك بعد قيام الوحدة بين مصر وسوريا .

وننقل عن « السجل الذهبي » الذي وضع بمناسبة مرور خمسين عاما على انشاء اولى المؤسسات سنة ١٩١٨ :

« اثر جلاء الجيش التركي عن بلاد الشام في نهاية الحرب العالمية الاولى ، تسلم الفريق علي رضا الركابي حكم البلاد يوم ١٩١٨/١٠/٥ واعلن عن تاليف حكومته برياسته يوم ١٩١٨/١٠/٥ وافتتح يوم ١٩١٨/١٠/٦ مجلسا تشريعيا باسم « مجلس الشورى العربي » فقام المجلس بانتخابه رئيسا له ثم بتاريخ ١٩١٨/١٠/٧ اقر قانونا اساسيا للبلاد اعطى فيه لاحدى شعبه ولاية القضاء الاداري وبتاريخ ١٩١٩/١١/١٤ تولى رياسة المجلس السيد علاء الدين الدروبي وخلفه بتاريخ ١٩٢٠/٢/٢٣ السيد عبد الرحمن اليوسف . وبتاريخ ١٩٢٠/٣/٨ اعلن المؤتمر السوري استقلال البلاد السورية وشغل السيد علاء الدين الدروبي رياسة مجلس الشورى العربي للمملكة السورية في اول حكومة دستورية ، فلما كلف بتاريخ ١٩٢٠/٧/٢٥ بتاليف الوزارة عاد فخلفه في الرياسة السيد عبد الرحمن اليوسف » .

و« مجلس الدولة » هذا عاد فانشىء بعد الانفصال وتولى رياسته الدكتور عدنان الخطيب من ١٩٦٩/٣/١٠ — ١٩٧٤/١٢/٣١ .

نقف عند هذا الحد في جولتنا حول العلامة الموسوعي الدكتور عدنان الخطيب ، مكبرين معظمين كتبه جميعا اذ كلها جوهر ولباب ، وعمق واحاطة . متمنين ان يكثر في الامة العربية من امثاله ، النابغين على منواله ، واذا زكا العلم وطاب ، فلما يزكو ويطيب في ظلاله .

وفي كتبه الاخرى ، غير التي تناولناها في هذه النوبة ، مواقف فضل جمة ، نحاول ان نكملها في نوبة اخرى بحول الله ومنه . ومن صميم قلبي عاطفة الشكر ازجيها الى اخي العلامة الاستاذ البير اديب ، فصدره ارحب من صفحات « الاديب » ، وخلقه العالي ليس له ضريب .

راس المتن — لبنان ... عجاج نويهض



فوزي عطوي

ازمة الادب العربي المعاصر

بقلم فوزي عطوي

* * *

اصبح الحديث عن « ازمة الادب العربي المعاصر » ، بل الادب المعاصر عامة ، من الاغراء بحيث لا يكاد قلم واحد من اقلام المهتمين بالشؤون الثقافية ، والادبية منها بوجه خاص ، يحجم عن الخوض فيه ، وتبيان دوافعه واسبابه ، ودراسة واقعه ، ومحاولة استشفاف النتائج التي يمكن ان تترتب عليه ، مع تشخيص ناجح حينا ، وفاشل حينا آخر ، لعوارضه ، ووصف ناجح او فاشل ايضا لعلاجه والخلاص منه .

وكان آخر احاديث ازمة الادب العربي المعاصر ، ما اثير في مجلة « الهلال » القاهرية ، من ضمن حملة منظمة قادها رئيس تحريرها الاستاذ الدكتور حسين مؤنس ، وشارك فيها ، على مدى شهور ، كتاب ومفكرون من غير قطر عربي ، ثم اقفل النقاش ، دون سابق انذار ، ولم يفسح لنا في المجال لظهور راي لنا ، قد يخالف اتجاه معظم الابحاث والمقالات التي انتظمت في تلك الحملة الفكرية الهامة ، فكان لا بد من ابداء ذلك الراي ، هنا ، على صفحات « الاديب » ، لاقتناعنا بأن كل المنابر الفكرية صالحة ، بل مدعوة ، الى معالجة ازمة الادب العربي المعاصر .

عودة الى جلسة المناقشة

والواقع انني حين قرات في « الهلال » لاول مرة ، حديث الدكتور حسين مؤنس حول هذه الازمة ، وافتتاحه جلسة مناقشة هذه القضية الخطيرة التي يشعر بها كل حامل قلم ، على الارض العربية الواسعة ، ثم لما قرات مقاله الثاني حول اعادة التقييم ، شعرت ان الدكتور مؤنس لا يبث كلاما على غير طائل ، ولكنه يستانف حركة ادبية اصلاحية كان قد بداها منذ فترة غير قصيرة ، حين طرح مقاله الشهير « الفكر العربي — الى اين » في جريدة « القبس » الكويتية التي كان من تسمتي ودواعي سروري ان التقي معه في تحرير عدد كبير من افتتاحياتها ومقالاتها الاسبوعية السياسية ، فضلا عن عدد من القصائد والكتابات النثرية المتنوعة ، خلال الفترات المتقطعة التي كنت ازور فيها الكويت الشقيق وعددا آخر من الدول العربية لالقاء محاضرات في نطاق الحلقات التدريبية التي ينظمها المركز التنفيذي للتنمية (نسويسرا) لموظفي المؤسسات العامة والخاصة .

ولم تقتصر قيادة الدكتور حسين مؤنس لتلك الحركة الادبية الاصلاحية على مقال اثار ردود فعل كثيرة ومتباينة على صفحات الصحف الكويتية ، واخص بالذكر من تلك الردود ، مقال الاستاذ الدكتور محمد اسماعيل موافي (العدد ١٧٨٢ تاريخ ٧٧/٥/٦ من القبس) الذي حمل عنوانين مطولين : « لا مجال للمقارنة بين جيل الرومانسية وجيل الواقعية — مطلوب لغة ثالثة مألوفة تخلو من صعوبة الفصحى وابتذال العامية » ، اقول : لم تقتصر قيادة الدكتور حسين مؤنس على مقال واحد ، ففي عداد مقالاته الكثيرة التي تحمل في الغالب عنوان « كلمة طيبة » ، مقال نشره في « القبس » ايضا (العدد ١٤٣٠ بتاريخ ٧٦/٥/١٢) يحمل عنوانا جريئا وقويا : « شيء واحد يحتاج اليه الفكر ليزهر : الحرية ، وشيء واحد لا يحتاج اليه : الدولة » .

لكل ما تقدم ، عجبت كل العجب حين وجدتني امام مقالة « تدهور الفكر العربي المعاصر » التي انتظمت افتتاحية في « الهلال » ، اذ قرات طروحات كثيرة قدمها رئيس تحرير المجلة ، وتساؤلات لا تنتهي حول اسباب تدهور الفكر ، ودوافع ما يعانيه الادب العربي المعاصر من ازمات ، ولكنه ترك المجال فسيحا امام الكتاب والنقاد لكي يدلوا بدلائهم في هذا الموضوع ، موحيا اليهم انه لا يملك اجابات واضحة حول تلك الطروحات والتساؤلات ، في وقت كان الدكتور مؤنس قد سبقنا جميعا الى تشخيص الداء ، ووصف الدواء .

يا احمر الخدين

ويأذن لي الاستاذ الدكتور مؤنس ان استعير كلاما له في « القبس » يقول فيه : « ما دامت القاعدة الاساسية في

الاذن بنشر اي شيء هي قاعدة « يا احمر الخدين » . فلا نتوقع ان يكون هناك فكر او ادب او ابداء » .

وما دامت موسيقات وزارات الاعلام تنفق الالوف لتلحين انشودة « يا احمر الخدين » بكل طبقة موسيقية ، فلا امل في فن او ادب او موسيقى . هذا يفسر لك العقم الادبي الذي نعانيه الآن : انه ثمرة ربع قرن من تطبيق قاعدة « يا احمر الخدين » !

ثم يأذن لي الاستاذ الدكتور مؤنس ان استعير كلاما آخر له يقول فيه : « اذا كان الكاتب العربي في كل مكان ضحية الوزارات من ناحية ، والموظفين الصغار (الذين يتولون الرقابة بتشدد لا مبرر له) من ناحية اخرى ، فكيف نطمع في ان يظهر في هذه الظروف عندنا كاتب من طراز الفحول القدامى ؟ » ؟

واكتفي بهاتين الاستعارتين ، وان يكن بين يدي الكثير مما استطيع استعارته ، بعد ، من كلام للدكتور حسين مؤنس ذاته ، للدلالة ، على ان عظمى ازمات الفكر والادب ، في هذا الزمان ، هي ازمة الشعور بأن القلم محكوم بامزجة ، ومقيد باعتبارات تضطره لارضاء الطفيليين والمتطفلين ، فضلا عن اضطراره لنيل رضى الرقابة والرقباء الذين لا يملكون من معطيات الرقابة سوى القلم الاحمر العريض !

ان الانطلاقة الفكرية ، في مناخ الحرية الكاملة ، قادرة وحدها على تفجير العبقريات ، وتقديم العمالقة الذين لم يكونوا ، ولن يكونوا يوما وقفا على جيل دون جيل ، لا بل ان الحرية لو توفرت للاديب ، فلم يكن مهددا بقطع رزقه ورزق عياله ، ولا بتشريده من بلاده ، ولا بملاحقته وسجنه باسم القوانين التي تطبق ساعة يتعارض الفكر مع سياسة الحاكم ، وتعطل ساعة يستحيل القلم الى مبخرة ، والى طبل وزمر ، للتسبيح بآلاء الحاكم ، لجعلت قدرته على العطاء تتجاوز كل حد ، فيثري الفكر ، ويغني الادب ، ويجعل العمل الحضاري انجازا انسانيا متصلا .

من مسائل الازمة

واذا كنت لا اجد نفسي في مقام المستطيع حقا مناقشة جميع المسائل المثارة حول اسباب تدهور الفكر العربي المعاصر ، فاحسب ان بعضا من تلك المسائل يعني مثلما يعني امثالي من العاملين في مجالات الادب والشعر والدراسات الانسانية بوجه عام :

اولى هذه المسائل : ازمة النشر . فليس صحيحا ان ثمة ازمة باحثين مجيدين ، او مؤلفات جيدة في البلاد العربية ، بمقدار ما هنالك ازمة نشر حقيقية ، اذ لا يستطيع منصف ان ينكر ان عملية نشر المؤلفات ، ناهيك بالمقالات والقصص والقصائد في الصحف والمجلات (وخصوصا التي تدفع بدلا لما يكتب فيها) تخضع لاعتبارات ومقاييس لا تمت بصلة على الدوام الى جودة المادة الادبية ، او صلاحيتها للنشر ، بالمقياس الفني الصرف .

واسارع ، لكيلا يساء فهمي ، الى التوضيح بانني احد الذين تهيأت لهم ، بحمد الله وفضله ، اسباب وفرص كثيرة ، وفي بلدان عربية عديدة ، وعلى الاخص في لبنان ومصر والعراق والاردن والكويت والبحرين ، لنشر العديد من المصنفات والدواوين والدراسات الادبية والقانونية والسياسية ، وما زلت الى الآن على صلات متينة ووثيقة بكبريات دور النشر في الوطن العربي ، وكبريات صحفه ومجلاته .

اخلص من هذا الى انني ، شخصيا ، لا اعاني من ازمة النشر ، لكن ذلك لن يعميني ، كما ينبغي الا يعمي غيري ، عن رؤية الواقع المؤسف الذي يعانيه اخوان كثيرون يملكون المادة الجيدة ، ولكنهم لا يوفقون الى الناشر الجيد ، وعند اخواني الاساتذة الجامعيين الخبر اليقين ، اذ يصعب عليهم نشر اي بحث جامعي ، في يسر وسهولة ، ما لم يكن ذلك البحث مقررا جامعيا يدر على الناشرين الارباح المرجوة .

كتب الارصفة

ثانية المسائل ، قول الاستاذ الدكتور حسين مؤنس في « الهلال » : « كتب الارصفة لا تعلو في احيان كثيرة عن مستوى الارصفة . انها ليست كتبا يغطيها تراب ، بل هو تراب يغطيه تراب » .

واذا كنت افهم مرمى الدكتور مؤنس ، من وراء هذا الكلام ، وكونه يعني بالضبط والدقة ، تلك الاوراق الرخيصة المضمون التي تنتظم فيما يسمونه « كتابا » ، طالما انه يحمل عنوانا ضاربا في اعماق الالغاز والاحاجي ، ويتضمن الفاظا هي الى الهلوسات اقرب ، وبالهرطقات اشبه ، فانني اخشى ان يفهم القارىء غير المتأني ، ان كل كتاب معروض على الرصيف لا يعلو عن مستوى الارصفة ، وانه تراب يغطيه تراب .

ذلك ان لي من خبرتي وتجربتي ما يؤكد ان المكان الذي يعرض فيه الكتاب لا يقدم ولا يؤخر شيئا في قيمة مضمونه ، وفي اهميته الادبية . لا بل اضيف الى هذا ، انني اتحمل بكل جراة ، مسؤولية انتشار كتب كثيرة من التراث الادبي القيم ، على الارصفة ، وفوق عربات الباعة المتجولين ، وفي افخم واجهات المكتبات العربية ، فيما الفته وحققته وعربته من كتب تجاوز عددها الى الآن الخمسين كتابا ، وكلها تباع بأثمان معقولة ، لانني لم افرض على

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الناشرين اي شرط مادي معجز ، بل كان شرطي الوحيد هو بيع الكتاب بسهولة ، لكي يصبح في متناول الكثرة الساحقة من ابناء شعبنا ، طالما ان الحكومات لا تعمد الى تشجيع الطبعات الشعبية باسعار زهيدة للراغبين في القراءة ، على ندرة الراغبين في القراءة .

وكانت فلسفتي ، في هذا العمل الذي اجرؤ على تسميته *بالانجاز العلمي* ، *دون ان اتخفى وراء قناع* التواضع الزائف والذي اتحمل كامل المسؤولية عنه ، ان بناء الوطن يبدا ببناء الانسان ، ولا بناء للانسان ما لم نبن فكره اولا . وقد كفانا عناية بغذاء البطون ، وازراء بغذاء العقول .

وويل ، بعد هذا ، لبيت تكون مكتبته اصغر من مطبخه ! !

لقد خرجت يوما من منزلي ، قبالة جامعة بيروت العربية ، فوجدت امام البناية بائعا متجولا يبيع كتبا مختلفة المواضيع على عربة ، ولمحت لديه كتابا عن « العسكرية العربية » ، فلما سالته عن ثمنه ، فوجئت بأن الرقم الذي عينه لا يبلغ ربع الثمن الذي طلبه ، قبل يوم واحد ، صاحب مكتبة مجاورة ، للكتاب نفسه . فما رأي الاستاذ الدكتور مؤنس في هذا الواقع ؟ !

لغة الكتابة

وثالثة المسائل التي تهمنا ، هي مسالة اللغة المستعملة كاداة للكتابة الادبية : انني في غير تحفظ ولا تردد ، اؤيد كل دعوة طيبة ، كدعوة الدكتور مؤنس الى احلال اللغة الفصحى في المحل الاول من ادوات الكتابة . وليكن معلوما ان اية معادلة بسيطة يجريها المتعصبون للفصحى او المتعصبون عليها ، تثبت لهم جميعا ان الدعوة الى الكتابة بالعامية تعني حتما تهديما للفصحى ، بينما الدعوة الى الكتابة بالفصحى لا تضيق ذرعا باللهجات العامية ، بل تساعد على تنميتها وتطويرها وترقيتها ، وهذا ما سبق ان اكدت عليه في المقدمة التي وضعتها لكتاب المؤرخ اللبناني الشاعر الباحث الاستاذ فوزي ساسا « المؤامرة الكبرى على اللغة الفصحى » ، وقد سبق لمجلة « الهلال » ان نشرت قصيدة عن هذا الكتاب للشاعر المهجري المغفور له شكرالله الجر .

الشعر بين الاصالة والحداثة

ورابعة المسائل التي تهمنا ، هي مسالة الشعر العربي في صراع القديم الاصولي ، والمحدث الفوضوي : ان من الخرق العظيم اتهام الاصولية في الكتابة ، واحترام قواعد اللعبة الشعرية ، بل قواعد الفن الشعري ، بالكلاسيكية القديمة البالية ، ومن ثم اسباغ نعوت الخبرة والتطور والحداثة على كل تلك المعميات الغريبة العجيبة التي تحاول ان تعني كل الشعر ، فلا تستطيع ان تعني من الشعر شيئا ، وحسبها من المجد الزائف انها تعجز (ولا اقول تزري) عن نظم بيت شعري اصولي واحد ، فتحطم الاوزان والقوافي ، ولا تستطيع ان تقنع اسماعنا ولا اذواقنا بايقاع واحد من *الايقاعات التي تشبه رقصات الجنون* ! !

ان اي شاعر معاصر يحس اشد الالم وهو يرى ان ضوء الشمس الساطع اصبح في حاجة الى من يبرهن على وجوده ، فيرى ان حاله كما وصفها امام الشعراء العرب ، ابو الطيب المتنبي :

وليس يصح في الافهام شيء ... اذا احتاج النهار الى دليل

ومن عجب ان نجد انفسنا ، ونحن نحترم الاصول والقواعد الفنية الابداعية ، مضطرين الى اقناع « كتاب الزمان الاخير » بصحة موقفنا ، وسلامة نهجنا الادبي ، في وقت ينبغي لهم هم ان يقنعونا بعبارة واحدة من العبارات المفككة المخلعة التي يملأون بها اعمدة الصحف ، فنقراها من اولها ، ونقراها من آخرها ، وقد نبدأ بوسطها ، ونقفز كالبهلوان بين سطر وسطر ، فلا يتبدل من واقع «قصائدهم» المزعومة شيء ، وتبقى النتيجة واحدة ، اذ لا نفهم شيئا مما يكتبون حتى ولو تبحرنا في فك السحر وحل الطلاسم . ونكون واثقين انهم يفهمون ما نكتب ، ولكن يصعب عليهم الاعتراف بعجزهم عن الانسلاك في موكبنا الاصولي المتجدد .

لقد بنى الشعر العربي على ستة عشر بحرا عروضيا ، عدا مجزوءاتها ، ثم عمد المجددون الاصوليون الى اعتماد البناء التفعيلي الى جانب البناء العروضي ، ومع كل هذا ، لم يحظ بناء من هذه الابنية الاصولية بشيء من اعجاب مدعي الحداثة ، فانحرفوا على سجاياهم عن صراط الفن المستقيم ، واتحفونا بهذه « الروائع » التي لا نحسب احدا من هذا الجيل ، او من الاجيال المقبلة ، سيروي عبارة واحدة من عباراتها .

وبعد ، فقد اراني قسوت في موضع ، وتلطفت في موضع آخر ، ولكن وراء المسائل التي وقفت عندها ، بعضا من التفسيرات التي تبرر تدهور الفكر العربي المعاصر .

فاذا لم يكن لهذه الكلمة ان توفي الموضوع حقه . فحسبها انها اسهمت بتواضع في جلاء جوانب دقيقة من قضية الادب المعاصر .

بيروت ـ شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني رقم ٢

فوزي عطوي

من المتهم ؟

بقلم سكينة الشهابي

* * *

اظن ان اقامة الاستعمار في الوطن العربي قد تستمر اكثر مما نتصور ، ومما تذاعبه به احلامه . وتحلو لي هنا المقارنة بين الاستعمار والشيطان لان وجه الشبه واسع رحب ... تنظر الى ما حولنا من مظاهر التخلف فنلعن الاستعمار . نلعنه من اجل جهلنا ونلعنه بسبب فساد اخلاقنا . ونلعنه بسبب تفرقنا وانقسامنا ، ونلعنه بسبب غفلتنا وسذاجتنا .

والامر لا يختلف فيما يتعلق بالشيطان . نغتاب الآخرين فنلعن الشيطان ، ونسيء اليهم فنلعن الشيطان . ونكذب فنلعن الشيطان . ونعصي الله فنلعن الشيطان . انه وراء كل الآثام والشرور فيما يخيل الينا . وكأننا بذلك جردنا انفسنا من كل ارادة والقينا عنها كل مسؤولية .

ولو رجعنا الى القرآن الكريم لوجدناه يجعل للنفس الدور الكبير فيما يمكن ان نسميه الجانب السلبي من حياة المرء . يقول تعالى : « وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون » الا تدل هذه الآية على ان الانسان يستطيع ان يقود ذاته نحو الخير ان شاء ونحو الشر ان شاء . وهل بعد ذلك من شك في حرية الانسان وامتلاكه زمام نفسه . ولكن هذه النفس التي ظلمناها بجهلنا ستغدو ظالمة لنا حين تستبد وحين نشاء ان نلقي اليها بمقدراتنا ونحول بين عقولنا وبين التصرف القويم . يقول تعالى : « ان النفس لامارة بالسوء . فطاوعت له نفسه قتل اخيه » .

وكأني بالعقل والنفس في تفكير العربي على جانبي نقيض ، العقل يأمر بالصلاح والنفس تأمر بالفساد . وربما وجدوا في النفس صورة ثانية للشيطان يجب ان يعصيها العاقل اذا اراد ان يطيع ربه . يقول البوصيري :

وخالف النفس والشيطان واعصهما وان هما محضاك النصح فاتهم

ربما ظن ظان انني اريد الدفاع عن الاستعمار وتبرئة ساحة الشيطان .

وانا اقول : لا الى شيء من ذلك اقصد ، وانما اريد ان احمل عقل الانسان مسؤولية كبيرة .. اريد ان امنحه ثقة تحكمه بكل ما يتعلق بالانسان من اعمال . وكل تقصير يصدر عن الشخصية الانسانية وكل زلل او فساد لا يكون الا نتيجة لعدم قيام العقل بوظائفه كاملة . لنأخذ شارب الخمر مثلا ، هل يمكن ان يعتبر ذا تفكير سليم وهو يسلب نفسه شعورها الى مهاوي الرذيلة ، ويجعلها اضحوكة للآخرين ، مضحيا بسمعته واخلاقه وصحته . وكذلك الرجل الكذوب .. واظن ان الامثلة لا يمكن ان تحصى عدا . وفي كل ما يمكن ان نأتي به من مثل نجد الشخص المثل به يمكن ان يستدر عطفنا ، او اسانا ، او ضحكنا لجمقه ولعدم معرفته استعمال عقله .

ليس للشيطان سيطرة على النفس الا بمقدار الطريق الذي بشقة له العقل ، وهذا يعني ان العقل اكبر منه واقوى سلطة ، وسرعان ما يولي هاربا امام يقظة التفكير وصفاء الذهن .

نحن اذا الذين نلقي بزمام انفسنا الى الشيطان ، كما نستطيع ان ننتزع الزمام منه فيولي هاربا . فلماذا نرهب الشيطان ولا نرهبه ، لماذا نخافه ولا نخيفه ، لماذا نغمض اعيننا لينشر حبائله ومكائده ثم نستيقظ فلا نجد لنا حولا ولا قوة لاننا نكون قد كبلنا انفسنا بقيوده وشددنا بوثاقه .

وما نقوله عن الشيطان نقوله عن الاستعمار : نصدق اكاذيبه وفلسفته ونغط بالجهل ثم نعد العتاد والعدد لنحاربه ونهزمه بقوة الحديد والنار ، وهو كائن في اعماقنا يتخذ عرشه فوق ضمائرنا . وكيف نهزم شرور الاستعمار اذا لم نهزم الشر من ضمائرنا ، وكيف نبدد جمعه وشمل تفكيرنا مفرق . الاستعمار شر والشر لا يقضى عليه بسلاح الكراهية فقط . الاستعمار فساد والفساد قد هد كياننا ونخر عقولنا وعشش في قلوبنا .

تخطيء ، حين نظن ان الاستعمار هزمنا بقوة الحديد والنار . الاستعمار هزمنا بالعقل وحده .

وفي اليوم الذي لن يحب الاخ العربي الاذى لاخيه العربي ، على الاقل ، في الساعة التي ننظر فيها شذرا الى التآمر والمتآمرين لا على المصالح العامة ولكن على المصالح الخاصة في اليوم الذي يعرف الفرد منا ان نجاحه ليس مرهونا بفشل زميله وان تفوقه لا يحد منه تفوق الكثيرين معه بل يزيده قوة وتمكنا .. في اليوم الذي نتعود النظر الى الامام ولا نخشى الطعنات الموجهة الينا من خلفنا ، لا من اعدائنا ولكن من اخوتنا واصدقائنا ، في اليوم الذي نحب الانسان لانه انسان مثلنا قذفت به الحياة على درب الشقاء ولا يستطيع ان ينتزع اشواكه وحده ما لم تمد له يد العون ، ما لم نبذل له الحب الحقيقي لا الحب النفعي الذي يزول بزوال المصلحة .. في ذلك اليوم سيقول لنا الاستعمار : وداعا ! لم يعد لي مكان فوق ارضكم لانكم عرفتم قيمة انفسكم .. يومها لن يوجه الينا مدفعا ولن يقذفنا بقنبلة لانه يعرف ان جدارنا لا تنفذ منه الحمم .

بين يدي الطبيب

بين يديك يخفق القلب ... يا هل ترى يسعفه الطب
انهكه الحب .. فهل نافع ... طبك من انهكه الحب
والنار في اعماقه اضرمت ... ابالعقاقير ـ ترى ـ تخبو
خطط له ما شئت .. لا ينثني ... وما له غير الهوى درب
اصغ الى دقاته .. انها ... تنبيك كيف العاشق الصب
راح يغالب الهوى عابثا ... ان الهوى ـ دوما ـ له الغلب
ولا تلمه ان صبا .. انه ... مرهف حس .. كيف لا يصبو
لا ترتجي يصغي الى رشده ... فما له رشد ، ولا لب
واصدق الحب جنون .. بلا ... عقل ، والا شابه الكذب
تحسبه معذبا ... انما ... هذا العذاب عنده عذب
قد اوقعته في شراك الهوى ... حبيبة لذ بها الحب
بات اسيرها فلم يلهه ... عن حبها اهل ولا صحب
تثيره فتنتها زانها ... التيه ، والاغراء ، والعجب
فاتنتي ، ملهمتي : شفني ... منك بعاد . فمتى القرب
حلقت كي اراك . من لم يكن ... يرقى ، فلم تدن له الشهب
فتهت في دنياك يزهو بها ... حسنك ، فهي عالم رحب
فانت في افق الهوى شمسه ... وانت منه الشرق والغرب
حبيبتي : ما ذقت طعم الكرى ... وبت والتسهيد لي داب
زيدي النوى ما شئت . اني به ... راض ، ولو ان النوى صعب
فالعاشق الصادق يبقى كما ... تهوين وهو الصائد الصلب
يحمل عبء البعد لم يثنه ... لوم على حبك او عتب
لو انك الآن بقربي اذن ... يبرأ من علته القلب
لو ان لقيا جمعت بيننا ... اريك كيف الجد .. لا اللعب
اغصب منك قبلة حلوة ... يزيد من روعتها الغصب
وبعدها لا تسالي .. انني ... افعل ما يأمرني الحب
فيزدهي العيش كما اشتهي ... ويينع العمر فلا جدب

بغداد ـ ص.ب ١٠٣٨ ... محمد جواد الغبان

نحن وحدنا نستطيع ان نقتلع جذور الاستعمار لان هذه الجذور ليست في الثكنات العسكرية والمطارات الحربية ، والمخابر العلمية ، ان مكانها الاول في اعماقنا ، في هذه الغشارة التي تحجب عن عيوننا الحقيقة ، في هذه الاغشية التي تغلف عقولنا فتحول بيننا وبين النفاذ الى اعماق الاشياء .

ان الالم يعتصر قلبي وانا اسمع مناقشات طويلة هي للهدم اقرب منها للبناء ، مناقشات تتهم الناس في ذكائهم واخلاقهم ودينهم ؛ يسمعها السامع فيتصور انه لن تقوم للعرب قائمة وانه استعمار طويل الامد حتا لانه تجاوز جدران المساكن واسوار المدن وعشش في اعماق النفوس .

دمشق ... سكينة الشهابي



عبد الغني العطري

دفاع عن اللغة

بقلم عبد الغني العطري

* * *

منذ ان خلق الانسان ، واستعاض عن الاشارات والاصوات المبهمة ، بالكلمات الواضحة ، باتت اللغة وسيلة للتعبير عن رغبات النفس ، وهواجس الخاطر .

منذ ذلك الحين ... منذ قديم الزمن وغابر العصور ، واللغة السليمة اداة للتعبير عن الافكار التي تخالج الانسان ، والخواطر التي تداعبه .

وبقدر ما تكون وسيلة التعبير هذه ، سليمة ومشرقة ، بعيدة عن الاسفاف والركاكة ، يكون الغرض من « اداة التعبير » هذه ، اقرب الى تحقيق الغاية ، وادنى من الوصول الى المطلوب .

وبكلمة اكثر وضوحا واختصارا ، ان اللغة — وهي كما وصفناها — اداة التعبير ، يجب ان تكون سليمة ، بعيدة عن الشوائب ، لا يعكر تسلسل الحديث فيها غلطة في اللغة ، ولا هفوة في الاملاء .

هذه كلها حقائق ومقررات بديهية . لا جدال فيها ، ولا خلاف حولها ...

كان هذا في الماضي البعيد ، وما تلاه من عصور ، بما فيها عصر الانحطاط والتخلف ... ثم عصر النهضة والتقدم . غير ان الحال ، منذ عقد او عقدين من الزمن ، بدا يختلف ، وبدانا نرى في بعض اقطار الوطن العربي ، من يتطاول لحمل القلم ، دون ان يدري خطورة السلاح ، الذي يحاول ان يمسك به ، ودون ان يستعين بالزاد الذي يؤهله لحمله . وبدانا نرى في صفوف من يملكون بعض المواهب ، من يستهينون باللغة — كاداة للتعبير ، ويحاولون ان يطرحوا افكارهم ، دون ان يعنوا باختيار الكلمة الحلوة ، واللفظة الرشيقة ، بل دون ان يحاولوا ان يجتنبوا ما يكتبون ، التعابير العامية الركيكة ، والكلمات التي لا صلة لها البتة باللغة الام السليمة .

اكثر من هذا ، بدا بعض من قالوا لهم : « كونوا كتابا وحملة اقلام » ... بدا هؤلاء يحاولون ان يكتبوا ، وفتحت امامهم ابواب الصحف على مصاريعها ، فاذا بهم يظهرون عراة ، حتى من ورقة التين ، وبدت سوءاتهم للعيان ، وكان الامر مأساة حينا ، وملهاة احيانا اخرى ... وكان امرهم مضحكا ... ولكنه ضحك كالبكاء ! .

وظهر في عالم الادب والنشر ايضا ، افراد يحاولون ان يكون ظلهم رقيقا ، ودمهم خفيفا ، فاخذوا يبحثون عن الكلمة العامية ، لتحل مكان اللفظة الفصيحة السليمة ... وهم يعتقدون انهم يحسنون بذلك الى انفسهم ، ويرقون بنتاجهم الفكري ، حين ينجحون بتقليد اسلوب مارون عبود السهل الممتنع ، الذي جمع بين السخرية اللاذعة ، وبساطة الاسلوب ، الى سلامة اللغة .

ولعل هؤلاء يحسبون انهم يحسنون صنعا في هذا التقليد الاصم . وربما كان من الممكن ان يكون الامر كذلك ، لو حاولوا تجنب الالفاظ العامية ، والاغلاط اللغوية ، التي يرتكبونها عن علم او جهل .

مهما تنوعت الافكار ، ومهما تعددت الآراء ، ومهما كانت وسائل النشر : كتابا ، او مجلة ، او جريدة ، او آلة نسخ ، فان وسيلة التعبير — واعني اللغة — يجب ان تبقى محرابا يصلي فيه حملة الاقلام بخشوع واكبار ... وعلى حملة الاقلام ان يؤدوا لها فروض الاحترام والطاعة والتقديس ، فلا يستهينوا بأمرها ، ولا يدخلوا عليها كلمة ركيكة ، ولا تعبيرا دخيلا ، او لفظة لا ترضي ضميرهم الادبي . ومن يفعل غير ذلك ، يرتكب جريمة لا تغتفر ، بحق لغته وقوميته ووطنه ... ومن ينشر لكاتب ، او شاعر ، او قاص ، او محرر صحفي ، اي نتاج بلغة ركيكة مغلوطة ، واسلوب هزيل متهافت ، يسهم اسهاما مباشرا في هذه الجريمة .

لآلىء وجواهر

من قال ان الياسمين ازاهر ؟ ... الياسمين لآلىء وجواهر
يهدي الي ، مع الصباح ، غفرفتي ... اشراقة جذلى ، وجو عاطر
يثوي على القرطاس فهو تراكم ... لقلائد يحتار فيها الناظر
النفس تلقى ذاتها بجوارها ... وعلى شذاها يستريح الخاطر
سلمت انائل من جنى زهراتها ... وجزاه ـ عن عجزي ـ الاله القادر
والله يعلم وحده كم ذا انا ... بالفضل معترف وفي شاكر
ساظل اذكر ـ ما حييت ـ شمائلا ... هي للشمائل قدوة ومنائر

دمشق — سعيد أبو الحسن

منذ شهر او شهرين ، وقعت بين يدي نسخة من جريدة يومية ، ووجدت في احدى صفحاتها شرحا لصورة ، لا يتجاوز السطرين ، فاذا بي احصي في هذا الشرح القصير ست غلطات لغويات بالتمام والكمال ... وارتسمت على شفتي ابتسامة حسرة ، وتذكرت اننا كنا نحاسب المحرر حسابا عسيرا ، على الهفوة العابرة ، ونوجه اليه اللوم القاسي ، ولا نسمح بأن ندفع الى المطبعة ، بأي مقال او تحقيق ، او خبر ، قبل ان نعيد النظر فيه غير مرة ، ونتدارك حتى النقاط والفواصل ، واشارات التعجب والاستفهام ، التي ربما غفل عنها الكاتب .

ذات يوم ، جاءني متأدب شاب ، ودفع الي مقالا ، ارادني ان اقراه ، وابدي له رأيي فيما حواه . وقبل ان اتجاوز المقاطع الاولى منه ، وجدتني اتوقف واطوي المقال ، وارده اليه ، وعلى شفتي ابتسامة باهتة . وحين تساءل الشاب بدهشة عن سبب ما فعلت قلت :

ـ انني افضل ان تعيد فيه النظر ، وترتفع قليلا بأسلوبك عن العامية ، وتحاول الخلاص من اغلاطك اللغوية .

وهنا ثار المتأدب الشاب في وجهي وقال :

ـ اردت يا سيدي ان تقرأ افكاري ، وتناقش آرائي : لا ان تعطيني درسا في اللغة والنحو والاملاء ... ان امر اللغة تجاوزه الزمن ، ولم يعد يعنى بها الا اعضاء المجمع اللغوي ، ومجلته وكتابها ... اما نحن جيل الادباء الصاعدين ، فقد تحررنا من جميع هذه القيود ، ولم نعد نعبأ الا بالفكرة والراي ... وارجو ان لا اكون قد اخطأت باختيارك للمناقشة بمثل هذه الآراء الحديثة .

واكتفيت من مناقشة الشاب بهذا الرد القصير :

ـ لقد اخطأت انت ... واخطأت انا ، فمعذرة ! .

بمثل هذا المنطق يحاول بعض المتأدبين « الصاعدين » ان يفرضوا وجودهم وآراءهم وادبهم . انهم يزعمون ان اللغة قد « تجاوزها الزمن » ، وعليهم ان لا يفكروا فيها ، او يكترثوا بأمرها ...

وما دام الامر كذلك ، فلماذا يكتبون « ادبهم » ، او قلة ادبهم بها ؟ ...

لماذا لا يبحثون عن لغة جديدة ، والفاظ جديدة ، يعبرون بها عن « آرائهم وافكارهم » ؟ ....

لماذا يحاولون ان يشوهوا لغة القرآن الكريم ؟ .

ولماذا يتعالون عليها ؟ .

ولماذا يزعمون ان امرها قد « تجاوزه الزمن » ؟ .

ان اللغة كانت وستظل ابد الدهر ، وسيلة نقية طاهرة ، للتعبير عن رغبات النفس ، وخلجات الضمير ... وكل محاولة للمساس بها ، او تمزيقها ، مصيرها الى الفشل . وسيكون دائما مصير من يحاول التطاول عليها ، والادعاء بأن امرها « تجاوزه الزمن » ، سيكون مصيره . كما قال الشاعر :

كناطح صخرة يوما ليوهنها ... فلم يضرها ، واوهى قرنه الوعل

دمشق — عبد الغني العطري



لورا الاسيوطي

شاعرة الحب والوفاء

بقلم غبريال وهبه

* * *

تلبد الجو فجاة بالغيوم القاتمة الحزينة ، فآويت الى فراشي ، واذا بالسماء تبرق ، والرعد يدوي ، والمطر ينهمر مدرارا ، وطفق يلطم زجاج نافذة غرفة الفندق المطلة على كورنيش الاسكندرية .. فأحسست بها طرقات توقظني لاتصفح جرائد الصباح التي شغلني السفر وتعطل العربة عن قراءتها ، فذابت كبدي اسى وشجنا ، وصعقني نبأ رحيل شاعرتنا لورا الاسيوطي التي طالما عبقت بعبيرها الجميل نغم الندوات الادبية بدار الادباء ، ونادي القصة ، ونادي الوافدين . ورابطة الادب الحديث ، وتصور الثقافة .

لم انم ليلتي : بينما كان المطر ما زال يهطل بغزارة ، ومصاريع النافذة ترتج وتصطدم تحت صفعات الريح التي كانت تعوي وتعول بالخارج كأنها تندب الشاعرة التي مال راسها كما تميل زنبقة الحقل براسها الجميل الى الارض وقد ذبلت وغاضت منها مياه الحياة ، وغادرت دنيانا على غير انتظار .

اهكذا يا قلب تكف فجاة عن الخفقان بعد ان كان نبضك ايقاعا هادئا لاعذب القصائد التي تفتحت على مشهد الحب ..

بربت فوق كفي في حنان كأني طفلة قدمت اليه
وراح الدفء من كفيه يسري ويجري في دمي من راحتيه
احاسيس تمس شغاف قلبي نحس بها تدفق من يديه
ولكني أحاول ان يراني وأخفي انني ارنو اليه

وفي موضع آخر من القصيدة تقول :

وفي سحر الغروب مضيت ارنو الى سحر الجمال اللانهائي
وكان بجانبي يرنو هياما وفي عينيه خشية كبريائي
ورغم سهام عينيه اللواتي يصوبهن نحوي .. كالظباء
كتمت مشاعري ونأيت عنه يطاوعني ويمنعني حيائي

تركت له اكتشاف مدى هيامي ولم انطق بما يصبو اليه
ورحنا في طريق الجسر نمضي وكانت راحتي في راحتيه
وكان الليل يسدل في دلال ويجمعنا معا في بردتيه

وفي انغام اخرى حالمة هامسة تعبر الشاعرة عن اشواق قلبها نحو حبيبها في نهج متحرر :

تذكرني الزوارق وهي تشوى بيوم كان احلى ذكرياتي
صباحا حيث كان معي حبيبي يصارحني باسعد امنياتي
ركبنا زورقا طربا تهادى يشق الموج يجري في اناة
وبحر الحب داعبنا فتونا بموجات لدينا راقصات

وظل حبيب قلبي في حنان يغازلني بهمسات الغرام
يقول حبيبتي واقول حبي وفي النظرات اشواق الهيام

وبمثل هذه الابيات تمكنت لورا من الاعراب عن خلجات قلبها في بساطة وصدق مثير هزاز .

لم تكن لورا الاسيوطي شاعرة عاطفية فحسب ، بل كتبت الاناشيد الوطنية .. ولنستمع اليها وهي تنشد :

اني مسيحية والمسلمون هنا اهلي كلانا مياه النيل تروينا
اني مسيحية والمسلمون هنا اهلي دمانا تلاقت في ثرى سينا

يا دار «لقمان» في المنصورة احتبسي هذا «اللويس» الذي قد جاء يغزونا
وسجلي صفحة للنصر مشرقة في الكون اجمع عن ابطال وادينا

ولها اناشيد قومية اخرى منها « ساهرون » ، « انا الثورة » ، « علم الوحدة » ، « دعاة السلام » . وقد ترجمت لورا القصيدة الاخيرة الى اللغة الفرنسية التي تتقنها وارسلتها الى الفاتيكان بروما ولمجلس السلام العالمي ولمجلس الامن وفيها تقول :

هيا دعاة السلام هيا حماة السلام
هيا معا في نظام نبني صروح السلام
ودائما للامام

هيا هيا .. باسم الحرية هيا هيا .. باسم البشرية
باسم الاديان العلوية باسم استمرار المدنية
هيا باسم الغابر هيا باسم الحاضر
نصنع غدنا الناضر

وكانت لورا تنادي دائما بالاهتمام بالوعي السياحي ، ومن شعر الرحلات السياحية انها عندما دعاها المجلس الاعلى للفنون والآداب لحضور مهرجان الشعر الخامس

ارز لبنان

يـا طيبه ارزا بـدت اشجاره ... رمـز الخلـود وللبنين منـارا
يعلو علـى قمم الجبال يودع ... الايـام أو يستقبـل الادهارا
طابـت مشاربه وراق صبوحه ... ثلجـا يـذوب وتـارة أمطارا
وغصونه كحلت بمرود شمسه ... في ليلهـا وتفتحـت اسحـارا
وعـلا بهامته التي لـم يحنها ... الا لرحمـة ربـه استـدرارا
وتغلغلت حتـى الوهاد جذوره ... ولـواؤه حـول الكواكب دارا
قدسية أعـواده منهـا بنـوا ... لجـلال ربـك معبـدا ومزارا
آثار (آمون) عفت ومحا البلى ... في بعلبك علـى المـدى الآثارا
وظللت يـا ارث الجدود مخلدا ... رمـزا لبنان الفتـى وشعارا

بكاسين — لبنان

جرجي نصر

بالاسكندرية صحت ذات ليلة على صفير الموج ، واطلت من شرفة الفندق على البحر فرات السلسلة .. ورات طابية قايتباي .. فاطلقت العنان لذكرياتها :

سهرت هنا مع الاشواق وحدي ... وطال بـي الحنين لذكرياتي
وناداني صفير الموج لحنـا ... لالقـي نظرة فيهـا حياتي

ثم قالت :

رايت الليل ممتـدا امامي ... وسلسلة حوت كـل الجمال
وقايتباي قـام هناك يحكي ... بصمت عـز ايـام خـوال
وامجاد الحروب وقـد هلاه ... سكون .. من لياليه الطوال
يصوغ بفنـه التاريخ فخرا ... وفوق جبينه سحـر الجلال

كذلك نرى الشاعرة لورا في تقديمها لقصيدة « من رسالة الانسان .. العلم والايمان » التي فازت فيهـا بالميدالية الفضية من محافظة القاهرة تقول ان الانسان لكي يكون جديرا بانسانيته — يجب ان يتحلى بقيم روحية واخلاقية .. ان يضيء فكره بالعلم والمعرفة .. وان تجري بين حناياه عاطفة الحب .. والا ينحني الا لصوت الحق .. وان يخلص للاصدقاء ولا يتخلى عنهم .. ويتحلى بالصفاء ويتجه الى ربه في كل اوان .. ان يعرف ان لا قيمة للعقل بلا روح .. ولا للعلم بـلا ايمان .. وهذه هي اخلاق الصديقة لورا كما عرفتها وزاملتها في جمعية الادباء واتحاد الكتاب . ومما جاء في هذه القصيدة قولها :

يا رب قد علمتني لا انحني ... الا لصوت الحق من عليائي
يا رب وفقني اقول لمن به ... عيب صواب الراي دون رياء
لا اوهم الاعمى نفاقا انـه ... هو مبصر واغيض في الاطراء
انا لا اريد الحقد يملا عالمي ... والعيش بـين عداوة الاعداء

وقد حدثتني لورا انها ذهبت الى الجبهة بدعوة من قائد الجيش الثاني حيث القت قصيدة (صيحة الشعوب) بين صفوف مقاتلينا ، ونراها في هذه القصيدة تعود فتؤكد في اصرار على الوحدة الوطنية بين المسلمين والمسيحيين عندما تقول :

عقيدتنـا ابـدا خالـدة ... ومن اجلها سوف نطوي المحال

وها هي ذي لورا تتركنا لتسبح في الملكوت الاعلى : وتمرح حول اشجار الجنة ، فتحرمنا من حلاوة الائتناس برؤيتها ، والاستمتاع بنضارة صوتها الشجي عندما تشدو بأشعارها الرقيقة الحالمة ..

ولكن لا لن تبارحنا ذكراك ..
سنذكرك في غدونا ورواحنا ..
وفي دعائنا وصلواتنا ..
وفي ندوات الادباء ..
وفي الحدائق الغناء ..
وفي الخلاء ..
يا شاعرة الحب والوفاء ..

القاهرة

غبريال وهبه

البير اديب يذكر ويتذكر

بقلم جوزيف ابو زيد

* * *

البير اديب رائد من رواد الادب والفكر في لبنان ؛ وهو احد القلائل من اعلام الرعيل الاول الذين ما زالوا يعملون في حقل النشر على المستويات العالية ، ومجلته « الاديب » التي كانت منبرا رياديا للادباء والشعراء اللبنانيين والعرب: ما زالت حتى الساعة : تواصل كفاحها .

اولا يبدا بما يقوم به يوميا فيقول : « ابدا يومي بالعمل راسا ، لان مكتبي كما ترى في منزلي ، فانجز ما استطيع انجازه واستقبل بعض الزوار ، واحل بعض القضايا المتعلقة « بالاديب » تليفونيا ، الى ان يحين موعد الظهر . في الثانية اتناول طعامي وارتاح حتى الرابعة . وحوالي الرابعة والنصف ، اعود الى ممارسة اشغال « الاديب » حتى السابعة والنصف مساء . وقد كنت في السابق اطالع كثيرا ولكن بعدما اصبت في عيني الاثنتين ؛ واجريت لي جراحة للماء الزرقاء « كاتاركت » في عيني اليمنى ؛ واصيبت بعدها بالضغط « كلوكوم » وهي قيد المعالجة الدائمة يوميا ، كما ان عيني اليسرى التي لا ارى فيها ، صرت — مع الاسف — امتنع عن مطالعة الكتب ؛ واقصر عملي وقراءتي على اشغال « الاديب » ؛ ففي المواد الواردة الي ما يكفي لاشغال وقتي بقراءتها ؛ والتي اجد صعوبة في القيام بها .

« الاديب » الجامعة

اما « الاديب » التي عاشت وتعيش مع البير اديب حتى الآن فيساهم في ابحاثها ونشاطاتها كتاب وادباء وشعراء ، من سائر الاقطار العربية من الخليج الى المحيط ، فاذا تناولت عددا من اعدادها تجد فيه كتابا وادباء وشعراء من المغرب ، وتونس ، ومصر ، والاردن ، وسورية ، والعراق ، والكويت ، بالاضافة الى كتاب لبنان من مقيمين ومهاجرين .

واكثر كتاب الاديب هم مداومون ؛ اي يكاد المرء منهم يخص الاديب دون سواها بانتاجه .

اما ابرز الشعراء الذين نشروا في الاديب ماضيا وحاضرا فيقول البير اديب : اذا لم تخني الذاكرة فليس من شاعر الا نشر في الاديب .

فمن يوسف غصوب الى الياس ابو شبكة . امين نخله ، صلاح لبكي ، احمد الصافي النجفي ، جورج صيدح . زكي قنصل ، الياس قنصل ، جورج كعدي ، سليم حيدر ، صلاح الاسير ، محمد علي الحوماني ، بولس غانم ، محمد عبد الغني حسن « شاعر الاهرام » ، الدكتور عبد العزيز الحبابي « مغربي » ، عمر ابو ريشة ، ثريا ملحس ، انور العطار ، عدنان مردم بك ، غدوى طوقان ، نازك الملائكة ، عبد الوهاب البياتي ، بلند الحيدري ، صفاء الحيدري ، الدكتور باقر سماكه ، فوزي عطوي ، بولس سلامه ، نزار قباني ، يوسف الخال ، بدر شاكر السياب ، وديع ديب . الياس خليل زخريا ، رياض المعلوف ، الدكتور زكي المحاسني ، نعمة الحاج ، ابراهيم العريض . سلافة العامري ، الدكتور كمال نشات ، الدكتور احمد زكي ابو شادي ، فيليب لطف الله ، علي محمود طه ، علي الزيبق ، عمر ابو قوس ، فؤاد الخشن ، خليل الحاوي ، الدكتور بشر فارس ، الدكتور علي شلق ، نسيم نصر ، موسى سليمان وغيرهم ممن نسيتهم الذاكرة .

وفي الاديب نشأ معظم شعراء الشعر الحديث المشهورين اليوم . وعرفت الاديب بانها سجل للادب العربي الحديث ، اي انها تلتزم بنشر الشعر على الطريقة العمودية المعروفة الاصيلة والشعر الحديث الخ .

الاذاعة

وانتقل البير اديب من مجلته « الاديب » الى ذكرياته الاذاعية عندما كان مديرا للاذاعة قال :

« هناك اشياء كثيرة حدثت . ولكن ليس كل ما يحدث ينشر ، انما من باب الفكاهة اذكر ان كثيرا من التوصيات كانت تردني لقبول بعض المغنين ، ففي احدى المرات ، تمكن احدهم من جلب عشرات التوصيات من بينها توصيات من رجال الدين وكبار الرسميين . فاحترت كيف استطيع التخلص منه بعد ان ثبت فشله في الغناء . وقد كانت التوصيات كلها تلح على انه في حاجة الى العمل ؛ فكيف استطيع ان اقنعهم بان الحاجة شيء وسماع الصوت الجميل شيء آخر ؟ فقررت له اذاعة في السادسة الا ربع مساء وكانت المحطة تبدا بالبث في السادسة تماما . ولما حضر هذا « المطرب » وكان يرافقه بعض الاهل والاصدقاء ، ادخلناه الى الستوديو واذاع اغنيته ، وكان موظف الارسال قد وصل المذياع بالراديو الذي امامه ، وهكذا استطاع رفاق الشاب سماع صوته دون ان يدروا ان الارسال محصور في الغرفة نفسها فقط . وبعد ايام معدودة انهالت علي رسائل المستمعين يثنون على الصوت « الجميل » فتأمل !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اما ذكرياته مع وديع الصافي فقد اختصرها كما يلي :

« عندما تقدم وديع للامتحان حتى يذيع في الاذاعة ، اعجبت بصوته كثيرا . وكان اسمه وديع فرنسيس . فقلت له اننا قبلناه ، وقد سميناه وديع الصافي لان صوته صاف . فقبل مسرورا . وهكذا عرف بوديع الصافي . اما الحقيقة التي جعلتني اختار له هذا الاسم الذي ناسب صوته فهي انني كنت قد التقيت صديقي المحامي صافي الصافي رئيس بلدية بكفيا قبل قليل من التقائي مع وديع . وقد هيمن اسم الصافي على مخيلتي وكان ما كان .

ويتابع البير اديب ذكرياته الاذاعية : لا شك ان الذين تحدثوا في الاذاعة ايام كنت فيها ، كثيرون ، وكانوا من كبار الادباء والشخصيات ، وكان لكل منهم اثره . غير ان الذي بقي منطبعا في ذاكرتي واثر في نفسي ، هو حديث الآنسة مي زيادة على اثر شفائها من مرضها ، وكان بصحبتها الصديق خليل بك الخوري شقيق فارس الخوري الزعيم الوطني الكبير . وقد قدم مي بكلمة مؤثرة ، الشاعر سعيد عقل الذي كان مذيعا في الاذاعة ، وكنت اعرف مي من مصر . وقد جرى حديث بيني وبينها تأثرت منه ، لانها شكت فيه مرارة ما لقيته من ظلم ، على ما يعرفه القراء .

ملتقى الادباء

ثم تلاحقت الذكريات ما قبل فترة الاذاعة ، الى الايام التي كان يجتمع فيها بعض الادباء والشعراء في ساحة الشهداء ، في مقهى « فتوح » وعن هذا يقول البير اديب :

« ان محل فتوح وكان يعرف قبلا بمحل شتير وكان ملتقى الادباء والشعراء ورجال السياسة ، وكان الزوار من الشعراء والادباء الذين يأتون من الخارج ، يقصدون مقهى فتوح للالتقاء باخوانهم شعراء لبنان وادبائه .

كنا نلتقي ليليا وكان من رواد المقهى ، الفنان رافت بحيري ، ميشال ابو شهلا ، وابراهيم النجار ، بشارة الخوري (الاخطل الصغير) ، الشيخ صلاح المنذر ، عبدالله تبرجي ، عارف الغريب ، جان جلخ ، سعيد صباغة صاحب جريدة « الاحرار » يومذاك ، ياسر ادهمي ، حنا غصن ، فيليب بولس ، ابراهيم الحداد ، يوسف يزبك ، علي ناصر الدين ، امين نخله ، اميل لحود ، جبرائيل نصار ، كاظم الصلح ونحري المعلوف .

ولي ذكريات طريفة مع « الاخطل الصغير » فالاخطل كان صديقي واشتركت معه في اصدار جريدة « البرق » التي كانت تحمل في اعلاها انني « اشترك في التحرير » .

اما اطرف ذكرياتي معه فهي اني كنت جالسا واياه في مقهى فتوح ، عندما قدم شخص وعرفنا بنفسه ، وقال : « ان ابنته ستغني وهي مغنية في مقهى كوكب الشرق ، قصيدة للاخطل . ودعانا لسماعها ، فاعتذرنا في البدء ؛ ولكن الرجل الح واستعان بي على الاخطل لاقناعه ، فوافقت وقلت للاخطل ، فلنذهب ونسمع القصيدة فقط ثم نعود . وذهبنا وقد شعرت ونحن جلوس في الكوكب نستمع للغناء ، بالبناء يهتز اهتزازا عنيفا من وقت لآخر ، فقلت للاخطل : فلنغير الطاولة ونجلس قرب احد العواميد ، لان البناء يهتز بعنف . وفعلنا ذلك وقد احس الاخطل مثلي بالارتجاج ، وعند انتهاء الغناء هرولنا عائدين الى مقهى فتوح . وفي اليوم الثاني ظهرا انهار كوكب الشرق وراح اكثر من اربعين ضحية . واعتبرنا ، الاخطل وانا ، اننا نجونا من الكارثة باعجوبة .

ولمناسبة حكاية انهيار كوكب الشرق ، اذكر ان من بين ضحاياه الموسيقار العالمي الكبير ، اسكندر شلفون الذي جاء من مصر زائرا لبنان ، وقد الحت على الاخطل لرثاء اسكندر بعدما عرفته على مزاياه ، فرثاه بقصيدة اذكر ان عنوانها : « موت البلابل » او شيء من هذا .

كما ألحت علي صديقي امين نخله فرثاه ايضا . وفتحت جريدة « الاحرار » صفحاتها لرسائل نشرها الموسيقي الكسي اللادقاني ، وكان يتلقاها من اسكندر شلفون ، ودلت على انه الى جانب عبقريته الموسيقية ، كان اديبا كبيرا .. وسعيت لاقامة حفلة تأبين له بمعاونة وديع صبرا ، مدير الكونسرفاتوار الذي عندما اخبرته بوفاة شلفون قال لي انه امس فقط زاره اسكندر ، واطلعه على نتيجة ابحاثه الرياضية عن « ربع المقام » ، وانه — اي وديع صبرا — كان وصل ايضا الى نتيجة اسكندر نفسها .

ولكن الغريب ان صبرا بعد ذلك قدم بحثا طويلا جدا في هذا الموضوع الى اكاديمية الموسيقى في باريس ، ولم يأت على ذكر اسكندر شلفون في هذا البحث .

والشيء بالشيء يذكر لقد ترجم الموسيقار شلفون ديوان شارل قرم « الجبل الملهم » شعرا ولحن قصائده وكتبها

اشتركوا في مجلة
الآداب
تساهموا في نشر الثقافة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالنوتة ، فعندما انهار الكوكب وعلم شارل ترم بأن القصائد كانت مع اسكندر في ذلك الوقت ، ارسل من يبحث بين الانقاض عنها ولكن للاسف لم يعثر على شيء . وقال البير اديب . اما قصة تأبيني وانا حي ، والتي وردت كثيرا ، فقد كانت كما يلي :

« السبب انه كان هناك شخص يدعى « البير ديب » ولا ادري اذا كان عن حسن نية ام عن سوئها يراسل بعض الزعماء السياسيين خصوصا في سوريا ، فكنت اتلقى ردودهم على اعتبار انهم كانوا يحسبون انني المرسل وهكذا تلقيت كتبا من لطفي الحفار رئيس وزراء سوريا ، والامير عادل ارسلان وغيرهما ، فكنت ارد عليهم بأنني وان كنت لم اكتب اليهم ، فانا اتبنى ما جاء من ثناء عليهم ، ثم ظهرت في الاسواق بعض المنشورات بامضاء « البير ديب » تتناول قضايا سياسية ، فكان الناس يحسبون انني انا كاتبها ، ولم ينتبهوا لعدم وجود الالف قبل « ديب » مما ازعجني وخلق لي المشاكل ، فاعلنت في الاديب القصة ، ونبهت القراء اليها ، وفي حوادث ١٩٥٨ اغتيل « البير ديب » فتناقلت البرقيات العالمية الخبر واذاعته على انه « البير اديب » ، وفي مصر كان صديقي حبيب جاماتي المحرر في دار « الهلال » اعلن النبأ ايضا ، استنادا الى البرقيات وصحح الاسم من البير ديب الى البير اديب ، واذا النبأ في مجلة « المصور » المصرية . كما اذاعته سائر الصحف المصرية ، فابرقت الى جاماتي شارحا الموضوع ننفي الخبر في العدد الذي تلاه .

اما في الخارج فقد كتبت المقالات المطولة في رثاء « البير اديب » صاحب مجلة « الاديب » ونشرت اكثر هذه المقالات في مجلتي الاديب ، كما انهالت على العائلة الرسائل وبرقيات التعزية .

ولدى البير اديب مخزون من الذكريات لا ينضب وكله ظريف وطريف . ولكن العائد من الاموات اتحفنا في النهاية بهذه القصيدة النثرية الجديدة القديمة وهي بعنوان : « عودة » .

عـــــودة

انا هنا .. حيث كنا
بالامس نلتقي

... غريبان .. لا موعد
وهما على موعد

تبوحين بالنظرة الخجلى
ولا اتقي
وارتشف التضوع الشذي
فانتشي
نغيب عن الدنيا معا
رؤى لا تنجلي
تسربلنا امنيات
غد غبي
احلامك واحلامي اليقظى
لا تعي
يا لطهر الصبوح
والجسم الطري
كم وشوشت (...)
وقلت (...) ان تستحي
عشنا معا
روحين في جسد
ولم نلتق
كنت لي وكنت لك
في الخاطر المبهم
رحنا ..
في مدى العمر الشقي
شقاء الطريق الطويل
الذي لا ينتهي

عدت اليك اليوم
انا هنا ...
حيث كنا .. بالامس نلتقي
امسح الدماء عن جبهتي
لالتاك
ونعيش العمر معا
هنا ...
كما كنا ..
غريبين .. لا موعد
وهما في العمر
على موعد

عودي الي
فقد عدت
آن لنا ..
ان نلتقي

جريدة « الانوار » بيروت

جوزيف ابو زيد

كانت الطبيعة تؤدي دورها المرسوم . النهار يطوي صفحته والليل آت . هبط قرص الشمس من عليائه . ورويدا رويدا يدخل قفصه الذهبي في البحر . ولكنه اذ يلقي تحية الوداع ؛ يتأهب كل ما في الكون لرد التحية ؛ بحزن عميق . وسط سكون شامل حتى ان الامواج تتقدم وتتعاقب دون اية جلبة ، وحتى ان الهواء يستحيل الى وهن وفتور .

تسربت اليه العدوى ، فطغى عليه الحزن ؛ ايضا . كف عن التدخين بالنارجيلة لكيلا تخرق القرقرة السكون . ارسل تنهيدة ، انفاسها شواظ من نار . تمنى ان تغرب حياته بمثل هذا الموكب الجنائزي للمغيب . داخله احساس ان اشعة الشمس الذهبية انقلبت الى فضية ، مذ لامس قرصها مياه البحر . لكأنه يستحم ، مثلما يغتسل الميت قبل الدفن ! ولكنه لا يلبث ان يستعيد لباسه بأزهى مما كان ، فيغدو قرصا كبيرا بلون الارجوان ، ثم يتضاءل تدريجيا ، حتى لا يبقى منه اثر . وعندئذ يقتفي الليل آثار النهار ، بأناة وحذر ، لكيلا يستعجل زواله .

نكأ المشهد جراحاته . تبدت له ذكرياته فاستفاض حزنه ... ولد في ليل ضرير ، مرض معدته اعيا نطس الاطباء ، والنفور بين والديه داء عضال . كانت درجته الوسطى بين اخوين .

اختصت والدته بالشقوة ، ترضعها ابناءها ، فرقتهم شذر ومذر ، وعملت في الغنى عمل الخائف من زوال الغنى ... شمخ برأسه ، فلا منة لاحد عليه . بدا حياته اسكافيا ، يكسب رزقه بعرق جبينه . بلع ريقه وانتفض ، كحصان يحاول ان يتفلت من رحله :

ـ كيف ارتضت ان يكون ابنها اسكافيا ؟

راودته همسة بصفحة خياله . من اعجب العجب هذا التكوين الخلقي لافراد اسرته . يدبرون كالسمود (حيوان برمائي) الخطط فتنقلب وبالا عليهم . ويعتاشون من المال الحلال في ايديهم بالمال الحرام في ايدي الناس . كل بيني جدارا حول شخصيته ويحبسها داخله ثم يعيش داخل هذا الجدار ... في هذه العزلة نوع من التمزق الذي يشابه التمزق العام ، الذي تعاني ويلاته الاقطار الضادية !

غمره شعور بالضعف فقد ذكر والده ، كضفدع حقير في حوض آسن . وجه وجهه اليه قاطعا مسافات بعيدة . احتضنه والده ورعاه . تاجرا معا فصادفا نجاحا مباهرا . تمتم بارتياح :

ـ التعاون ... التعاون ... ما احلى التعاون !

لما اتنهد الساعد

بقلم مصطفى الخش

بدا ضاويا عندما لاحت له صورة والدته . لقد طارت اليهما لتعكر صفوهما فحطت ، كغيمة كثيفة في صحن الدار . وكادت لهما حتى اوقعت الشقاق بينهما ، فشهر السلاح على والده ، بلا مبرر ، وعاد معها يخفي حنين . تخافت بالكلام :

ـ لا يجيء منها امر صالح ابدا .

كان هذا الحادث نذير الشؤم . اوصدت في وجهه ابواب الرزق :



خزلت قدماه في جميع اعماله ورزح تحت ثقل الديون . فتح عينيه وتلفت حوله فلم يجد احدا . دب فيه اليأس فهانت عليه الحياة . كان الاغتراب قارب النجاة فشد عصا الترحال ...

كانت الغربة خاتمة المطاف ، هدر الشيطان في باطنه . كانت الغاية عنده تبرر الواسطة . لم يتورع ان يعمل نادلا . جمع مالا فبدده . لم يكن ليقنع بالقليل . تمتم في همس ضعيف :

ـ (بالقليل القليل يبني العصفور عشه) .

ـ لو جمعت القليل لكان لي منه الكثير .

لاذ بحلبة سباق سباق الخيل وتعاطى الميسر ولكنه ما ان يمسك بشعاع الشمس حتى ينساب بين اصابعه .

كان الليل قد ارخى سدوله . النجوم تلمع في كبد السماء . والقمر يرسل اشعته فتنعكس لجينا على الامواج تذكر ان وشوشة الامواج للشاطىء تهدهد الآلام فاصاخ السمع اليها ، قطب ما بين حاجبيه .. ان ليلته هذه آخر ليلة يقضيها مع الحياة .. ارجع البصر الى موكب المغيب فتنهد من اعماق قلبه وحشرج تائلا :

ـ ليت لي من يذرف دمعة علي !

كان يجلس في المقهى الى زاوية منفردة بحيث لا يرى احدا .. وجهه للحائط وعن يمينه البحر والافق يتطلع اليهما من نافذة الزجاج . صفق بيديه ، يطلب نفسا آخر من التبغ . (.....) اخرى . اما ... فلم يطلب تجديدها ، فما به شهية للاكل . اشعل لفافة من التبغ وراح يمج الدخان من انفه ومن فمه مجا متواصلا .

لوى عنقه الى اليسار . كانوا خليطا من الجنسين يسمرون . فيهم فتاة فتن برنة ضحكتها العذبة ادار بصره نحوها . كانت عيناه سادرتين هائمتين فلم يبصر احدا . ارتسمت ابتسامة مغتصبة على شفتيه . ود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اوراق العناق

اليـوم راجعت اوراقي مبعثرة ... فكنت انت التي اشتاقها فيهـا
وجدت فيها دموعي جدولين معا ... لم ينضبا منذ فاضت في حواشيها
وراعني اثر للشمع من سهدي ... بـين السطور تناجيـه قوافيها
لامتها ، بعضها تحت المخد روت ... حديث طيفـك تشجيه ويشجيها
ودن زوايا همسنا في جوانبها ... كـم همسة وتر الدنيا يغنيها
وفيق مكتبتي حيرى وفي كتبي ... علامـة اجهـل مـن معانيها
وتحت منضدتي طارت فلا قلمي ... درى بها اين في الدنيا يلاقيها
وحيثما سرت تختالين في غرفي ... لقيتهـا راقصـات في امانيهـا
مدادها لم يزل رغم البلى عبقا ... بالعطر تنشره احلـى لياليهـا
فان رجعت الى بيتي يحن الى ... يراعتي وبـدت منهـا بواقيها
وقد تبخر حبري مـن زجاجته ... كأدمع في الاسى جفـت مآقيها
واظلمت في النهار الصحو من حزن ... ارائك الحب والاشجان تضنيها
والريح تزأر في الابواب عاصفة ... وفي النوافـذ تبليهـا سوافيها
دوت فلم تستطع تمزيق معدنها ... اغلى الجواهر أبقى من مآتيها
فهرعي الخطو حتى تبلغي طرفا ... في غرفتي فيه اشعاري غواليها
هناك ودعت اوراقي وما حفظت ... فان ظفرت بهـا تبكي فضميها
وطالعيها ففيهـا انـت خالدة ... وعانقيها فاني لـم امت فيهـا

عصيفرة ــ تعز ــ ص.ب ٤٨٠٦ — علي محمد لقمان

ان يضحك مع الضاحكين ولكنه بمنأى عن السعادة ، وهي كالقبلة ، لا تكون الا متبادلة . وانـه ضعف غريب : غريب في بلده وغريب خارجها .

استحم بشجونه ، بعـد ان عاد اليه النازل بمطلوبه . (....) وجعـل يقرقر بالنارجيلة ، يسحب نفسا تلو آخر . القرقرة مستمرة . اورق الاسى في نفسه جديدا فضاق به صدره :

ــ حياتي مثل هذا الدخان : يتطاير في الهـواء ويصبح هشيما تـذروه الرياح .

حدق في البحر وفي الافق . فجوتا عينيه خاليتان من اي تعبير كينبوعين جفت مياههما . اضاءت ابتسامـة شقيقة البكر حندس قلبه . ان فيها شيئا يحذق معناه . استروح فترة عبـير الطمأنينة والرقة في استعادة شريط ذكرياته معه . انه فتى طويل . منمشوق القامة ، ابيض اللون ، فاتن العينين . حسن الهندام . وان في اهابه لقلب رجل . ولكنه كمثله حرم نعمة العلم . ولئن تعذب كثيرا لكنه لاذ بالنعماء قليلا فماك بالمجون وبدد الاموال الطائلة ثم انه ادرك الزواج وخفق قلبه بحنين الآباء لولا انه كمثله ايضا : ماضيه مبتور ومستقبله غـير موجود . طاف الرعب بعينيه عندما تراقصت اشباح شقيقتـه الصغير . كلفي عزاء حياته المكدودة . ربـاه صغيرا ونذر نفسه لضمان مستقبله . عوضه حنان الاب وبـدا الكد مـع نضارة العمر ليوفر له المال ويمده بلوازم المدرسة . ومهد له السبيل الـى ان كسر طـوق الجهل فسهر الليالي بطلب العلم وانهى دراسته العالية فتفتحت له ابواب الامان على مستقبله . تدلى رأسه على صدره من فرط الالم . مسح وجهه بالمنديل كمن اعياه التعب او بلله العرق . ثم انتفض انتفاضة كلها الم وغضب فشد قبضته اليمنى وتحول كيانه الى حرقة صاهرة .

ــ لقد علمته الرماية فلما اشتد ساعده ر..... ا.. ني.

اجهش بالبكاء ، كانـه الطفل في اول فطامه ثم اخذ رأسه بين يديه وضغط بهمـا على صدغيه . لقـد تناثرت اوراق اربعين عاما من عمره ، كمـا تتناثـر اوراق الاشجـار في الخريف . كان يتنفس بشقيقه الصغير هواء الربيع المنعش . فلما استغنى عنه وجعله نسيا منسيا ، اسدل عليه ستار الحياة علـى اديم الارض . انتفض ، كمن كان في ذهول ثم ثاب الى رشده :

ــ تبا لي ! لقد آن ان استريح فاتنفس الهواء نقيـا ... انتشرت سحابة من النور غيرت سيماء وجهه وكالمحموم الذي اصاب ماء باردا . تهاوى الـى الارض : كومة مـن تش ! ...

مصياف ــ سورية — مصطفى الخش